مركز القائمية اصفهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية

السلام عليك يا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

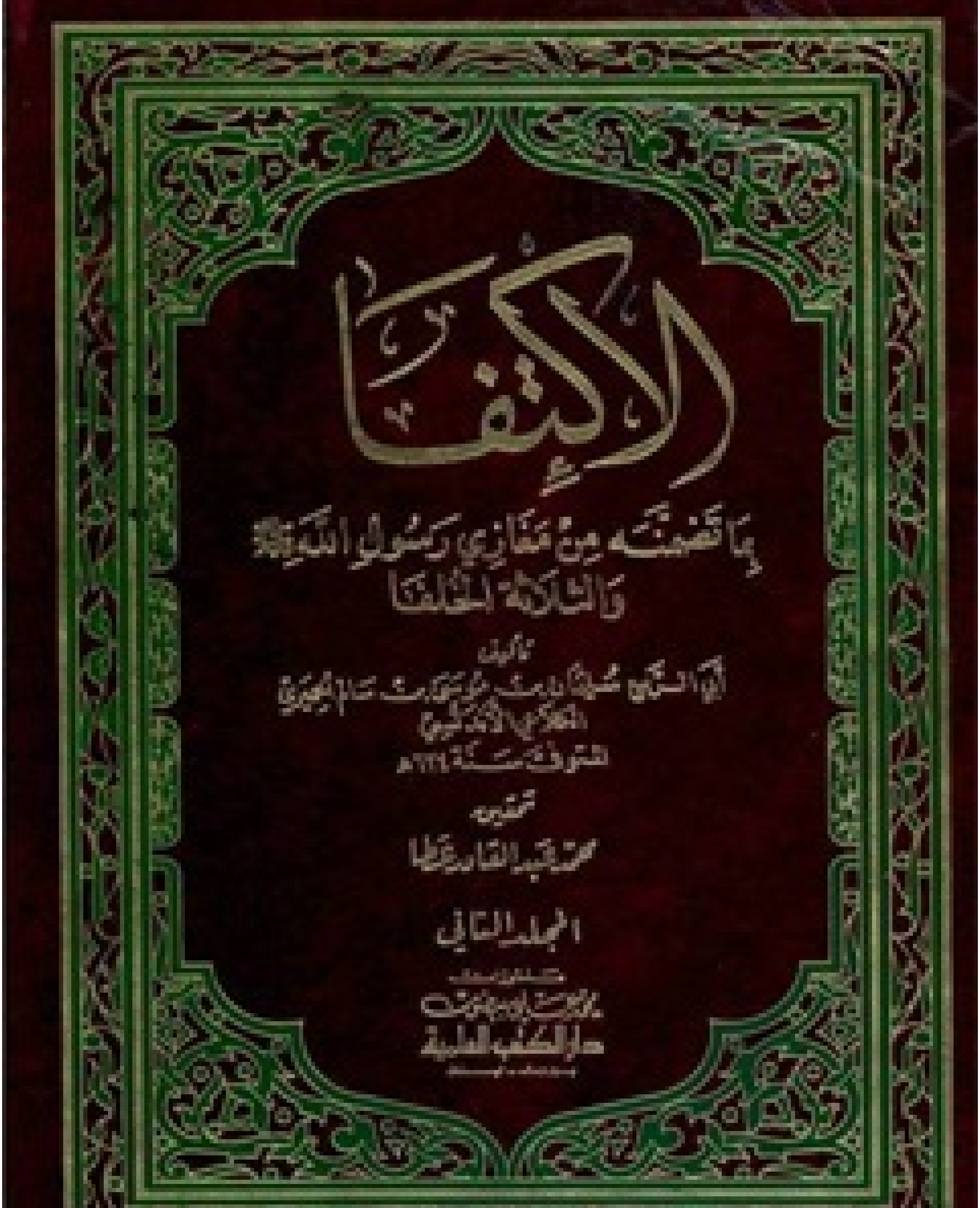
الاكتفا
بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ
والثلاثة الخلفا
تأليف
أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري
الكلاعي الأندلسي
المتوفى سنة ٦٣٤هـ
تحقيق
محمد عبد القادر عطا
المجلد الثاني
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية

بسم الله الرحمن الرحیم

الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و الثلاثة الخلفاء

كاتب:

ابوالربيع حميرى كلاعى

نشرت فى الطباعة:

دارالكتب العلمية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵

الاکتفاء بما تضمنه من مغازی رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم و الثلاثة الخلفاء المجلد ۲ ----- ۱۱

اشارة ----- ۱۱

ذکر بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلّم إلی الملوک، و کتابه إلیهم یدعوهم إلی الله و إلی الإسلام ----- ۱۱

ذکر کتاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلی قیصر، و ما کان من خبر دحیة معه «۶» ----- ۱۲

ذکر توجه عبد الله بن حذافة إلی کسری بکتاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و ما کان من خبره معه «۱» ----- ۱۶

ذکر إسلام النجاشی، و کتاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلیه مع عمرو بن أمیة الضمری «۱» ----- ۱۷

کتاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی المقوقس صاحب الإسکندریة مع حاطب بن أبی بلتعة «۳» ----- ۱۸

ذکر کتاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی المنذر بن ساوی العبدی مع العلاء بن الحضرمی بعد انصرافه من الحدیبیة «۱» ----- ۱۹

ذکر کتاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلی جیفر و عبد ابنی الجلندی الأزدیین، ملکی عمان، مع عمرو بن العاص «۱» ----- ۲۰

کتاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی هوذة بن علی مع سلیط بن عمرو العامری، و ما کان من خبره معه «۲» ----- ۲۲

ذکر کتاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلی الحارث بن أبی شمر الغسانی مع شجاع بن وهب «۱» ----- ۲۴

ذکر کتاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلی فروة بن عمرو الجذامیّ ثم النفاثی، و ما کان من تبرعه بالإسلام هدایة من الله عز و جل له «۱» ----- ۲۷

ذکر حجة الوداع «۳» و تسمی أیضا حجة التمام، و حجة البلاغ ----- ۲۹

ذکر مصیبة الأولین و الآخرین من المسلمین بوفاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و علی آله أجمعین ----- ۳۳

بیعة أبی بکر رضی الله عنه و ما کان من تحیز الأنصار إلی سعد بن عبادة فی سقیفة بنی ساعدة، و منتهی أمر المهاجرین معهم ----- ۴۳

ذکر غسل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و دفنه، و ما یتصل بذلک من أمره صلوات الله علیه و سلامه و رحمته و برکاته ----- ۴۹

ذکر خلافة أبی بکر الصدیق رضی الله عنه «۱» و ما حفظ عن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من الإیماء إلیها و الإشارات الدالة علیها مع ما کان من تقدم

ذکر بدء الردة بعد وفاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و ما کان من تأیید الله لخلیفة رسوله علیه السلام فیها ----- ۷۱

وصیة أبی بکر الصدیق رضی الله عنه، خالد بن الولید حین بعثه فی هذا الوجه ----- ۷۷

ذکر مسیر خالد بن الولید رضی الله عنه، إلی بزاخة و غیرها ----- ۸۰

ذکر رجوع بنی عامر و غیرهم إلی الإسلام ----- ۸۳

قصة مسیلمة الکذاب وردة أهل الیمامة «۱» ----- ۸۷

ذکر تقدیم خالد بن الولید الطلائع أمامه من البطاح «۱» ---- ۹۱

ذکر ردة بنی سلیم ---- ۱۰۸

ردة البحرین «۱» ---- ۱۱۰

ذکر ردة أهل دبا و أزد عمان «۱» ---- ۱۱۴

ذکر ردة صنعاء ---- ۱۱۵

ذکر ردة کندة و حضرموت ---- ۱۱۷

ذکر بدء الغزو إلی الشام و ما وقع فی نفس أبی بکر الصدیق رضی الله عنه، من ذلک و ما قوی عزمه علیه «۱» ---- ۱۲۲

وقعة أجنادین ---- ۱۴۵

وقعة مرج الصفر ---- ۱۴۸

ذکر الخبر عن وفاة أبی بکر الصدیق رضی الله عنه، و ما کان من عهده إلی عمر بن الخطاب، جزاهما الله عن دینه الحق أفضل الجزاء ---- ۱۴۹

استخلاف عمر بن الخطاب ---- ۱۵۱

ذکر الخبر عما صار إلیه أمر دمشق من الفتح و الصلح بعد طول الحصار فی خلافة عمر بن الخطاب، علی نحو ما ذکره من ذلک أصحاب فتوح الشام ۱۵۵

ذکر بیسان «۲» ---- ۱۵۹

ذکر طبریة «۳» ---- ۱۵۹

حدیث مرج الروم من روایة سیف أیضا ---- ۱۵۹

وقعة فحل حسبما فی کتب فتوح الشام ---- ۱۶۱

فتح حمص فیما حکاه أصحاب فتوح الشام «۱» ---- ۱۷۱

حدیث حمص آخر ---- ۱۷۵

فتح قنسرین «۱» ---- ۱۷۶

جمع الروم للمسلمین ---- ۱۷۷

وقعة الیرموک «۲» علی نحو ما حکاه أصحاب کتب فتوح الشام ---- ۱۸۲

قصة صلح إیلیاء و قدوم عمر رضی الله عنه الشام ---- ۲۰۹

ذکر ما وعدنا به قبل من سیاقة فتح قیساریة حیث ذکرها أصحاب فتوح الشام خلافا لما أوردناه قبل ذلک عن سیف بن عمر، مما لا یوافق هذا مساقا و لا ز

ذکر فتح مصر ---- ۲۲۳

ذكر فتح أنطابلس ----- ۲۴۴

فتح أطرابلس ----- ۲۴۴

ذكر انتقاض الإسكندرية فی خلافة عثمان رضی الله عنه ----- ۲۴۵

ذكر غزو إفريقية و فتحها ----- ۲۴۶

ذكر صلح النوبة ----- ۲۴۹

ذكر البحر و الغزو فيه ----- ۲۴۹

غزو معاوية بن أبی سفيان قبرس ----- ۲۵۰

غزوة ذات الصواری ----- ۲۵۱

ذكر فتح العراق و ما والاه علی ما ذكره سيف بن عمر و أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبری عنه و عن غيره ----- ۲۵۳

أخبار الأيام فی زمان خالد بن الوليد رضی الله عنه «۱» ----- ۲۵۵

حديث الثّنی و المذار «۱» ----- ۲۵۸

حديث الولجة «۱» و هی مما يلی كسكر من البر ----- ۲۵۹

حديث ألّيس، و هی علی صلب الفرات «۱» ----- ۲۶۰

حديث أمغيشيا و كيف أفاءها الله بغير قتال «۱» ----- ۲۶۲

حديث يوم المقر و فم فرات بادقلی مع ما يتصل به من حديث الحيرة «۲» ----- ۲۶۲

حديث الأنبار «۱» و هی ذات العيون «۲» ----- ۲۶۷

حديث عين التمر «۳» ----- ۲۶۸

حديث دومة الجندل و ما بعدها من الأيام بحصيد و الخنافس و مصيخ و البشر و الفراض «۱» ----- ۲۶۹

حديث المثنی بعد خالد «۱» ----- ۲۷۳

ذكر ما كان من خبر العراق فی خلافة عمر بن الخطاب رضی الله عنه، و ما كان من أمر المثنی بن حارثة معه، و ذكر أبی عبيد بن مسعود، علی ما فی ذلک

حديث وقعة الجسر «۱» ----- ۲۷۸

حديث البويب و وقعة مهران «۱» ----- ۲۸۳

حديث غارة المثنی علی سوقی الخنافس و بغداد «۱» ----- ۲۹۰

حديث السرايا من الأنبار «۱» ----- ۲۹۱

ذكر ما هيج حرب القادسية على ما ذكره سيف عن أشياخه «۱» ----- ۲۹۲

تأمير عمر، رضى الله عنه، سعد بن أبى وقاص على العراق و ذكر الخبر عن حرب القادسية «۱» ----- ۲۹۳

يوم أرماث ----- ۳۱۵

ذكر اليوم الثانى من أيام القادسية، و هو يوم أغواث ----- ۳۲۲

حديث يوم عماس، و هو اليوم الثالث من أيام القادسية ----- ۳۲۶

خبر اليوم الرابع من أيام القادسية ----- ۳۲۹

ذكر فتح المدائن «۱» و ما نشأ بينه و بين القادسية من الأمور ----- ۳۳۹

حديث «۱» وقعة جلولاء «۲» ----- ۳۵۳

حديث يوم تكريت «۲» ----- ۳۵۷

ذكر يوم ماسبذان «۱» و يوم قرقيسيا «۲» ----- ۳۵۸

ذكر الحديث عن تمصير الكوفة و البصرة و تحول سعد بن أبى وقاص عن المدائن إلى الكوفة و ما يندرج مع ذكر البصرة من فتح الأبلة «۱» ----- ۳۵۹

ذكر الجزيرة، و ذكر السبب الذى دعا عمر إلى الأمر بقصدها «۱» ----- ۳۶۴

ذكر فتح سوق الأهواز و مناذر و نهرتير «۱» ----- ۳۶۶

حديث فتح الأهواز و مدينة سرق ----- ۳۶۷

ذكر غزو المسلمين أرض فارس «۱» ----- ۳۶۸

ذكر فتح رامهرمز و السوس و تستر و أسر الهرمزان «۱» ----- ۳۶۹

ذكر فتح السوس ----- ۳۷۲

فتح جندى‌سابور ----- ۳۷۳

حديث وقعة نهاوند «۱» ----- ۳۷۴

ذكر الانسياح فى بلاد فارس، و عمل المسلمين به بإذن عمر رضى الله عنه، فيه بعد منعه إياهم، و ما تبع ذلك من الفتوح فى بقية خلافته و قتال الترك و

ذكر الخبر عن أصبهان «۱» ----- ۳۸۶

ذكر فتح همذان ثانية و قتال الديلم «۱» ----- ۳۸۷

فتح الرى «۱» ----- ۳۸۸

ذكر فتح قومس و جرجان ----- ۳۸۹

ذكر فتح طبرستان ----- ۳۸۹
فتح أذربيجان ----- ۳۸۹
حديث فتح الباب «۱» ----- ۳۹۰
ذكر مسير يزدجرد إلى خراسان و دخول الأحنف إليها غازيا «۱» ----- ۳۹۲
فتح توج ----- ۳۹۶
حديث اصطخر ----- ۳۹۶
حديث فسا و دارابجرد «۱» ----- ۳۹۸
حديث فتح كرمان ----- ۳۹۹
فتح سجستان ----- ۳۹۹
فتح مكران ----- ۴۰۰
حديث بيروذ ----- ۴۰۰
غزوة سلمة بن قيس الأشجعى الأكراد ----- ۴۰۱
ذكر الخبر عن إحرام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه إلى حين مقتله ----- ۴۰۳
ذكر خلافة ذى النورين أبى عمرو عثمان بن عفان أمير المؤمنين، رضى الله عنه و مبايعة أهل الشورى له بعد وفاة عمر، رضى الله عنه ----- ۴۰۷
ذكر غزوة الوليد بن عقبة أذربيجان و أرمينية لمنع أهلها ما صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر بن الخطاب «۱» ----- ۴۰۸
ذكر انتقاض فارس، و مسير عبد الله بن عامر إليها و فتحه إياها «۱» ----- ۴۰۹
ذكر مقتل يزدجرد «۱» ----- ۴۰۹
ذكر فتح أبرشهر، و طوس، و بيورد، و نسا، و سرخس، و صلح مرو ----- ۴۱۱
ذكر فتح مروالروذ و الطالقان و الفارياب و الجوزجان و طخارستان ----- ۴۱۲
ذكر جرى الصلح بين الأحنف و بين أهل بلخ «۱» ----- ۴۱۴
فتح عمورية و انتقاضها ----- ۴۱۵
مقتل عثمان رضى الله عنه ----- ۴۱۵
الخاتمة ----- ۴۱۷
فهرس محتويات الجزء الثانى ----- ۴۱۸

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---------- ۴۲۲

الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و الثلاثة الخلفاء المجلد ۲

اشارة

نام كتاب: الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و الثلاثة الخلفاء

نويسنده: ابوالربيع حميرى كلاعى

وفات: ۶۳۴ ق

تعداد جلد واقعى: ۲

زبان: عربى

موضوع: رسول خدا صلّى الله عليه و آله و سلّم

ناشر: دار الكتب العلمية

مكان نشر: بيروت

سال چاپ: ۱۴۲۰ ق

نوبت چاپ: اوّل

ذكر بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم إلى الملوك، و كتابه إليهم يدعوهم إلى اللّه و إلى الإسلام

قال ابن هشام «۱»: و قد كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه، و كتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام.

حدثنى من أثق به عن أبى بكر الهذلى قال: بلغنى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التى صد عنها يوم الحديبية، فقال: «أيها الناس، إن الله قد بعثنى رحمة و كافة، فلا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم عليه السلام».

و فى حديث ابن إسحاق: «إن الله بعثنى رحمة و كافة، فأدوا عنى يرحمكم الله، و لا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى»، فقال أصحابه: «و كيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟»، فقال: «دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى و سلم، و أما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه و تثاقل، فشكا ذلك عيسى إلى الله تعالى فأصبح المتثاقلون و كل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التى بعث إليها» «۲».

فبعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم دحية بن خليفة الكلبى «۳» إلى قيصر ملك الروم، و بعث عبد الله بن حذافة السهمى «۴» إلى كسرى ملك فارس، و بعث عمرو بن أمية

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۳۱).

(۲). انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۵/ ۳۰۵، ۳۰۶)، فتح البارى لابن حجر (۷/ ۷۳۴).

(۳). انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۷۰۰)، الإصابة الترجمة رقم (۲۳۹۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۵۰۷)، التاريخ الكبير (۳/ ۲۵۴)، تاريخ الطبرى (۲/ ۵۸۲)، أنساب الأشراف (۱/ ۳۷۷)، الجرح و التعديل (۳/ ۴۳۹)، العقد الفريد (۲/ ۳۴)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (۵۶)، الأنساب لابن السمعانى (۱۰/ ۴۵۲)، تهذيب الكمال (۸/ ۴۷۳)، تهذيب التهذيب (۳/ ۵۰۶)، خلاصة تهذيب الكمال (۱۱۲)، الوافى بالوفيات (۴/ ۵۱)، تاريخ الإسلام (۱/ ۴۸).

(۴). انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۵۲۶)، الإصابة الترجمة رقم (۴۶۴۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۸۹۱)، خلاصة تذهيب الكمال (۲/ ۴۹)، المعرفة و التاريخ (۱/ ۲۵۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴

الضمرى «۱» إلى النجاشى ملك الحبشة، و بعث حاطب بن أبى بلتعة «۲» إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، و بعث عمرو بن العاص إلى جيفر و عبد «*» ابنى الجلندى ملكى عمان، و بعث سليط بن عمرو «۳» أحد بنى عامر بن لؤىّ إلى ثمامة بن أثال، و هوذة بن على الحنفيين ملكى اليمامة؛ و بعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين؛ و بعث شجاع بن وهب الأسدى «۴» إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك تخوم الشام «۵».

و يقال: بعثه إلى جبلة بن أيهم الغسانى، و بعث المهاجر بن أبى أمية المخزومى إلى الحارث بن عبد كلال الحميرى ملك اليمن.

ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى قيصر، و ما كان من خبر دحية معه «۶»

ذكر الواقدى من حديث ابن عباس، و من حديثه خرج فى الصحيحين: أن رسول

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۹۱۳)، الإصابة الترجمة رقم (۵۷۸۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۸۶۲)، سير أعلام النبلاء (۳/ ۱۷۹)، تهذيب التهذيب (۸/ ۶)، تقريب التهذيب (۲/ ۶۵)، خلاصة تهذيب الكمال (۲/ ۲۸۰)، الاستبصار (۷۸)، الأعلام (۵/ ۷۳)، المعرفة و التاريخ (۱/ ۳۲۵)، الرياض المستطابة (۲۱۴)، التحفة اللطيفة (۳/ ۲۹۱).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۴۷۲)، الإصابة الترجمة رقم (۱۵۴۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۰۱۱)، تاريخ خليفة (۱۶۶)، الجرح و التعديل (۳/ ۳۰۳)، تهذيب التهذيب (۲/ ۱۶۸)، تاريخ الإسلام (۲/ ۸۵)، شذرات الذهب (۱/ ۳۷).

(*) كذا فى الأصل، و فى السيرة: «عياذ».

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۰۴۵)، الإصابة الترجمة رقم (۳۴۳۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۲۰۳)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۳۵)، الجرح و التعديل (۴/ ۱۲۲۸)، الثقات (۳/ ۱۸۱)، المصباح المضىء (۱/ ۲۷۰، ۲/ ۷۴).

(۴) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۱۹۹) «و فيه قال ابن عبد البر: شجاع بن أبى وهب و يقال: ابن وهب». الإصابة الترجمة رقم (۳۸۵۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۳۸۸).

(۵) انظر: السيرة (۴/ ۲۳۱).

(۶) راجع: صحيح البخارى (۴/ ۱۱۹، ۱۲۲)، دلائل النبوة لأبى نعيم (۳۴۳، ۳۴۸)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۳۷۷، ۳۸۶)، تاريخ الطبرى (۳/ ۶۴۴، ۶۴۶، ۶۵۱)، تاريخ اليعقوبى (۲/ ۷۷، ۷۸)، المصباح المضىء (۲/ ۷۶، ۱۲۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵

اللّه صلى اللّه عليه و سلم كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، و بعث بكتابه مع دحية الكلبى، و أمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى، ليدفعه إلى قيصر، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر، و كان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس مشى من حمص إلى إيلياء شكرا لله جل و عز فيما أبلاه من ذلك، فلما جاء قيصر كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: التمسوا لنا هاهنا أحدا من قومه نسألهم عنه.

قال ابن عباس: فأخبرنى أبو سفيان بن حرب أنه كان بالشام فى رجال من قريش، قدموا تجارا، و ذلك فى الهدنة التى كانت بين رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بين كفار قريش، قال:

فأتانا رسول قيصر، فانطلق بنا حتى قدمنا إيلياء، فأدخلنا عليه، فإذا هو جالس فى مجلس ملكه عليه التاج، و حوله، عظماء الروم، فقال لترجمانه: سلهم، أيهم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى، قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبا، و ليس فى الركب يومئذ رجل

من بنى عبد مناف غيرى، قال قيصر: أدنوه منى، ثم أمر بأصحابى فجعلوا خلف ظهرى، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه، إنما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى، و إنما جعلتم خلف كتفيه لتردوا عليه كذبا إن قاله، قال أبو سفيان: فو الله لو لا الحياء يومئذ من أن يأثروا على كذبا لكذبت عنه، و لكنى استحييت فصدقته و أنا كاره، ثم قال لترجمانه: قل له: كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ فقلت هو فينا ذو نسب قال: قل له هل قال هذا القول منكم أحد قبله؟، قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: قلت: لا، قال: هل كان من آبائه ملك؟

قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم قال: فهل يزيدون أو ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن دخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، و نحن الآن منه فى مدة، و نحن لا نخاف غدره، و فى رواية: و نحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها.

قال أبو سفيان: و لم تمكنى كلمة أغمزه بها لا أخاف على فيها شيئا غيرها. قال:

فهل قاتلتموه؟، قلت: نعم، قال: فكيف حربكم و حربه؟، قلت: دول سجال، ندال عليه مرة و يدال علينا أخرى، قال: فما يأمركم به؟، قلت: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، و ينهانا عما كان يعبد آباؤنا، و يأمرنا بالصلاة و الصدق و العفاف و الوفاء بالعهد و أداء الأمانة، فقال لترجمانه: قل له: إنى سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب، و كذلك الرسل تبعث فى نسب قومها، و سألتك: هل قال هذا القول منكم أحد قبله، فزعمت أن لا، فلو كان أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت: رجل يأتم بقول قيل قبله،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶

و سألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس و يكذب على الله، و سألتك هل كان من آبائه ملك، فقلت: لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه، و سألتك:

أ أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم، فقلت: ضعفاؤهم، و هم أتباع الرسل، و سألتك هل يزيدون أو ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون، و كذلك الإيمان حتى يتم، و سألتك: هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فزعمت أن لا، و كذلك الإيمان حتى تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد، و سألتك: هل قاتلتموه، فقلت: نعم، و أن حربكم و حربه دول سجال، و يدال عليكم مرة، و تدالون عليه أخرى و كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، و سألتك: ما ذا يأمركم به، فزعمت أنه يأمركم بالصلاة و الصدق و العفاف و الوفاء بالعهد، و أداء الأمانة، و هو نبى، و قد كنت أعلم أنه خارج لكم و لكن لم أظن أنه فيكم، و إن كان ما أتانى عنه حقا، فيوشك أن يملك موضع قدمى هاتين، و لو أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقيه، و لو كنت عنده لغسلت قدميه.

قال أبو سفيان: «ثم دعا بكتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقرئ، فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنى أدعوك بداعية الإسلام، أسلم لتسلم، و أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم، أن لا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئا، و لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون».

قال أبو سفيان: فلما قضى مقالته و فرغ الكتاب علت أصوات الذين حوله و كثر لغطهم، فلا أدرى ما قالوا، و أمر بنا فأخرجنا، فلما خرجت أنا و أصحابى و خلصنا، قلت لهم: لقد أمر أمر ابن أبى كبشة، هذا ملك بنى الأصفر يخافه، قال: فو الله ما زلت ذليلا مستيقنا أن أمره سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام «۱».

و فى حديث غير هذا، ذكره أيضا الواقدى عن محمد بن كعب القرظى أن دحية الكلبى لقى قصر بحمص لما بعثه إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و قيصر ماش من قسطنطينة إلى إيلياء فى نذر كان عليه إن ظهرت الروم على فارس أن يمشى حافيا من قسطنطينة، فقال لدحية قومه لما بلغ قيصر: إذا رأيته فاسجد له، ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك.

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۶/ ۴۵)، سنن أبى داود (۵۱۳۶)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۳/ ۴۱۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۷

قال دحية: لا أفعل هذا أبدا، و لا أسجد لغير الله عز و جل، قالوا: إذ لا يؤخذ كتابك، و لا يكتب جوابك، قال: و إن لم يأخذه، فقال له رجل منهم: أدلك على أمر يأخذ فيه كتابك، و لا يكلفك فيه السجود. قال دحية: و ما هو؟ قال: إن له على كل عقبة منبرا يجلس عليه، فضع صحيفتك تجاه المنبر، فإن أحد لا يحركها حتى يأخذها هو، ثم يدعو صاحبها فيأتيه. قال: أما هذا فسأفعل، فعمد إلى منبر من تلك المنابر التى يستريح عليها قيصر، فألقى الصحيفة، فدعا بها فإذا عنوانها كتاب العرب، فدعا الترجمان الذى يقرأ بالعربية، فإذا فيه: «من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم»، فغضب أخ لقيصر يقال له: نياق، فضرب فى صدر الترجمان ضربة شديدة، و نزع الصحيفة منه، فقال له قيصر: ما شأنك، أخذت الصحيفة؟ فقال: تنظر فى كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك؟

و سماك قيصر صاحب الروم، و ما ذكر لك ملكا. فقال له قيصر: إنك و الله ما علمت أحمق صغيرا، مجنون كبيرا، أ تريد أن تخرق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه، فلعمرى لئن كان رسول الله كما يقول، لنفسه أحق أن يبدأ بها منى، و إن كان سمانى صاحب الروم لقد صدق، ما أنا إلا صاحبهم و ما أملكهم، و لكن الله عز و جل سخرهم لى، و لو شاء لسلطهم على كما سلط فارس على كسرى فقتلوه.

ثم فتح الصحيفة، فإذا فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى قيصر صاحب الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ الآية إلى قوله: اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران: ۶۴] فى آيات من كتاب الله يدعوه إلى الله و يزهده فى ملكه و يرغبه فيما رغبه الله فيه من الآخرة، و يحذره بطش الله و بأسه» «۱».

و فى حديث غير الواقدى أن دحية لما لقى قيصر قال له: يا قيصر، أرسلنى إليك من هو خير منك، و الذى أرسله خير منه و منك، فاسمع بذل، ثم أجب بنصح، فإنك إن لم تذلل لم تفهم، و إن لم تنصح لم تنصف. قال: هات. قال: هل تعلم أن المسيح كان يصلى؟. قال: نعم، قال: فإنى ادعوك إلى من كان المسيح يصلى له، و أدعوك إلى من دبر خلق السموات و الأرض و المسيح فى بطن أمه، و أدعوك إلى هذا النبىّ الأمى، الذى بشر به موسى و بشر به عيسى ابن مريم بعده، و عندك من ذلك أثاره من علم تكفى عن العيان و تشفى عن الخبر فإن أجبت كانت لك الدنيا و الآخرة، و إلا ذهبت عنك الآخرة

---

(۱) انظر الحديث فى: تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۵/ ۲۲۲)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۰۲۷۸، ۳۰۳۳۷)، دلائل النبوة لأبى نعيم (۱۲۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۵/ ۳۰۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸

و شوركت فى الدنيا، و أعلم أن لك ربا يقصم الجبابرة و يغير النعم.

فأخذ قيصر الكتاب فوضعه على عينيه و رأسه، و قبله، ثم قال: أما و الله، ما تركت كتابا إلا قرأته، و لا عالما إلا سألته، فما رأيت إلا خيرا، فأمهلنى حتى أنظر من كان المسيح يصلى له، فإنى أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غدا ما هو أحسن منه، فأرجع عنه، فيضرنى ذلك و لا ينفعنى، أقم حتى أنظر.

و يروى أن قيصر لما سأل أبا سفيان بن حرب عما سأله عنه من أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حسبما تقدم، و أخبره به قال: و الذى نفسى بيده ليوشكن أن يغلب على ما تحت قدمى، يا معشر الروم، هلم إلى أن نجيب هذا الرجل إلى ما دعا إليه، و نسأله الشام أن لا توطأ علينا أبدا، فإنه لم يكتب نبى من الأنبياء قط إلى ملك من الملوك يدعوه إلى الله فيجيبه إلى ما دعاه إليه، ثم يسأله عندها مسألة إلا أعطاه مسألته ما كانت، فأطيعونى، فلنجبه و نسأله أن لا توطأ الشام. قالوا: لا نطاوعك فى هذا أبدا، تكتب إليه تسأله ملكك الذى تحت رجليك، و هو هنالك لا يملك من ذلك شيئا، فمن أضعف منك.

و فى هذا الحديث عن أبى سفيان أنه قال لقيصر لما سأله عن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فى جملة ما أجابه:

أيها الملك، أ لا أخبرك خبرا تعرف به أنه قد كذب؟. قال: و ما هو؟ قلت: إنه زعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فى ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيلياء و رجع إلينا فى تلك الليلة قبل الصباح. قال: و بطريق إيلياء عند رأس قيصر، فقال: قد علمت تلك الليلة، قال: فنظر إليه قيصر، و قال: و ما علمك بهذا؟ قال: إنى كنت لا أنام ليلة أبدا حتى أغلق أبواب المسجد، فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبنى، فاستعنت عليه عمالى و من يحضرنى فلم نستطع أن نحركه، كأنما نزاول جبلا، فدعوت النجارين فنظروا إليه فقالوا: هذا باب سقط عليه النجاف و البنيان، فلا نستطيع أن نحركه حتى نصبح، فننظر من أين أتى، فرجعت و تركت البابين مفتوحين، فلما أصبحت غدوت عليهما فإذا الحجر الذى فى زاوية المسجد مثقوب، و إذا فيه أثر مربط الدابة، فقلت لأصحابى: ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبى، و قد صلى الليلة فى مسجدنا هذا.

فقال قيصر لقومه: يا معشر الروم، أ لستم تعلمون أن بين عيسى و بين الساعة

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۹

نبى بشركم به عيسى ابن مريم، ترجون أن يجعله الله فيكم؟ قالوا: بلى، قال: فإن الله قد جعله فى غيركم، فى أقل منكم عددا، و أضيق منكم بلدا، و هى رحمة الله عز و جل يضعها حيث يشاء «۱».

و فى الصحيح من الحديث أن هرقل لما تحقق أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بما كان يجده فيما عندهم من العلم أذن لعظماء الروم فى دسكرة له بحمص، و أمر بالأبواب فغلقت، ثم طلع عليهم، فقال: يا معشر الروم، هل لكم فى الفلاح و الرشد، و أن يثبت لكم ملككم، و أن تتبعوا ما قال عيسى ابن مريم؟ قالوا: و ما ذاك أيها الملك؟ قال: تتبعون هذا النبىّ العربى. قال: فحاصوا حيصة حمر الوحش و استجالوا فى الكنيسة و تناخروا، و رفعوا الصلب، و ابتدروا الأبواب، فوجدوها مغلقة، فلما رأى هرقل ما رأى يئس من إسلامهم و خافهم على ملكه، فقال: ردوهم على، فردوهم، فقال: إنما قلت لكم ما قلت لأخبر كيف صلابتكم فى دينكم، فقد رأيت منكم الذى أحب، فسجدوا له و رضوا عنه، فكان ذلك آخر شأنهم «۲».

و يروى أن قيصر لما انتهى مع قومه إلى ما ذكر، و يئس من إجابتهم كتب مع دحية جواب كتابه الذى جاءه به، يقول فيه للنبى صلى اللّه عليه و سلم: إنى مسلم، و لكنى مغلوب على أمرى.

و أرسل إليه بهدية، فلما قرأ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كتابه قال: «كذب عدو الله، ليس بمسلم، بل هو على نصرانيته»، و قبل هديته، و قسمها بين المسلمين.

و قال دحية فى قدومه:

ألا هل أتاها على نأيهاأنى قدمت على قيصر

فقررته بصلاة المسيحو كانت من الجوهر الأحمر

و تدبير ربك أمر السماء و الأرض فأغضى و لم ينكر

و قلت تفز ببشرى المسيحفقال سأنظر قلت انظر

فكاد يقر بأمر الرسولفمال إلى البدل الأعور

فشك و جاشت له نفسهو جاشت نفوس بنى الأصفر

على وضعه بيديه الكتابعلى الرأس و العين و المنخر

فأصبح قيصر فى أمرهبمنزلة الفرس الأشقر

---

(۱) انظر: التخريج السابق.

(۲) انظر: التخريج السابق.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰

ذكر توجه عبد اللّه بن حذافة إلى كسرى بكتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و ما كان من خبره معه «۱»

و كسرى هذا هو أبرويز بن هرمز، أنو شروان، و معنى أبرويز: المظفر، فيما ذكره المسعودى، و هو الذى كان غلب الروم، فأنزل الله فى قصتهم: الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ [۱- ۳: الروم]، و أدنى الأرض فيما ذكر الطبرى هى بصرى و فلسطين، و أذرعات من أرض الشام.

و ذكر الواقدى من حديث الشفاء بنت عبد الله، أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعث عبد الله بن حذافة السهمى منصرفه من الحديبية إلى كسرى، و بعث معه كتابا مختوما فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله و رسوله، و شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، ادعوك بداعية الله، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا، و يحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت، فعليك إثم المجوس». قال عبد الله بن حذافة، فانتهيت إلى بابه، فطلبت الإذن عليه حتى وصلت إليه، فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقرئ عليه، فأخذه و مزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال:

«مزق ملكه» «۲».

و ذكر أبو رفاعة، وثيمة بن موسى بن الفرات، قال: لما قدم عبد الله بن حذافة على كسرى قال: يا معشر الفرس، إنكم عشتم بأحلامكم لعدة أيامكم بغير نبى و لا كتاب، و لا تملك من الأرض إلا ما فى يديك، و ما لا تملك منها أكثر، و قد ملك الأرض قبلك ملوك أهل الدنيا و أهل الآخرة، فأخذ أهل الآخرة بحظهم من الدنيا، وضيع أهل الدنيا حظهم من الآخرة، فاختلفوا فى سعى الدنيا و استووا فى عدل الآخرة، و قد صغر هذا الأمر عندك، أنا أتيناك به، و قد و الله جاءك من حيث خفت، و ما تصغيرك إياه بالذى يدفعه عنك، و لا تكذيبك به بالذى يخرجك منه، و فى وقعة ذى قار على ذلك دليل.

فأخذ الكتاب فمزقه، ثم قال: لى ملك هنى، لا أخشى أن أغلب عليه، و لا أشارك فيه،

---

(۱) راجع: صحيح البخارى (۴/ ۱۱۹)، تاريخ الطبرى (۳/ ۶۴۴، ۶۵۴، ۶۵۷)، دلائل النبوة لأبى نعيم (۳۴۸، ۳۵۱)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۳۸۷، ۳۹۲)، المصباح المضىء (۲/ ۱۸۰، ۲۲۷)، أعلام النبوة للماوردى (۹۷، ۹۸).

(۲) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۶/ ۳۴۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۱

و قد ملك فرعون بنى إسرائيل، و لستم بخير منهم، فما يمنعنى أن أملككم و أنا خير منه، فأما هذا الملك فقد علمنا أنه يصير إلى الكلاب، و أنتم أولئك تشبع بطونكم و تأبى عيونكم، فأما وقعة ذى قار فهى بوقعة الشام.

فانصرف عنه عبد الله، و قال فى ذلك:

أبى الله إلا أن كسرى فريسةلأول داع بالعراق محمدا

تقاذف فى فحش الجواب مصغرالأمر العريب الخائفين له الردا

فقلت له أرود فإنك داخلمن اليوم فى بلوى و منتهب غدا

فأقبل و أدبر حيث شئت فإننالنا الملك فابسط للمسالمة اليدا

و إلا فأمسک قارعا سن نادمأقر بذل الخرج أو مت موحدا

سفهت بتخریق الکتاب و هذهبتمزیق ملک الفرس یکفی مبددا و یروی أن کسری رأی فی النوم بعد أن أخبر بخروج النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و نزوله یثرب أن سلما وضع فی الأرض إلی السماء، و حشر الناس حوله، إذ أقبل رجل علیه عمامة، و إزار أو رداء، فصعد السلم حتی إذا کان بمکان منه نودی: أین فارس و رجالها و نساؤها و لامتها و کنوزها؟ فأقبلوا، فجعلوا فی جوالق، ثم رفع الجوالق إلی ذلک الرجل، فأصبح کسری تعس النفس، محزونا لتلک الرؤیا، و ذکرها لأساورته، فجعلوا یهونون علیه الأمر، فیقول کسری: هذا أمر تراد به فارس، فلم یزل مهموما حتی قدم علیه عبد الله بن حذافة بکتاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یدعوه إلی الإسلام.

و ذکر الواقدی من حدیث أبی هریرة و غیره أن کسری بینا هو فی بیت کان یخلو فیه إذا رجل قد خرج إلیه فی یده عصا، فقال: یا کسری، إن الله قد بعث رسولا، و أنزل علیه کتابا، فأسلم تسلم، و اتبعه یبق لک ملکک قال کسری: أخر هذا عنی أثرا ما، فدعا حجابه و بوابیه، فتواعدهم، و قال: من هذا الذی دخل علی؟ قالوا: و الله، ما دخل علیک أحد، و ما ضیعنا لک بابا، و مکث حتی إذا کان العام المقبل أتاه فقال له مثل ذلک، و قال: إن لا تسلم أکسر العصا. قال: لا تفعل، أخر ذلک أثرا ما، ثم جاء العام المقبل، ففعل مثل ذلک، و ضرب بالعصا علی رأسه فکسرها، و خرج من عنده، و یقال أن ابنه قتله فی تلک اللیلة، و أعلم الله بذلک رسوله علیه السلام بحدثان کونه فأخبر صلی اللّه علیه و سلم بذلک رسل باذان إلیه.

و کان باذان عامل کسری علی الیمن، فلما بلغه ظهور النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و دعاؤه إلی الله، کتب إلی باذان: أن ابعث إلی هذا الرجل الذی خالف دین قومه، فمره فلیرجع إلی دین قومه، فإن أبی فابعث إلی برأسه، و إلا فلیواعدک یوما تقتتلون فیه، فلما ورد کتابه إلی

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۲

باذان، بعث بکتابه مع رجلین من عنده، فلما قدما علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أنزلهما و أمرهما بالمقام فأقاما أیاما، ثم أرسل إلیهما رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ذات غداة، فقال: «انطلقا إلی باذان فأعلماه أن ربی عز و جل قد قتل کسری فی هذه اللیلة»، فانطلقا حتی قدما علی باذان، فأخبراه بذلک، فقال: إن یکن الأمر کما قال فو الله إن الرجل لنبی، و سیأتی الخبر بذلک إلی یوم کذا، فأتاه الخبر کذلک، فبعث باذان بإسلامه و إسلام من معه إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

و یقال: إن الخبر أتاه بمقتل کسری و هو مریض، فاجتمعت إلیه أساورته، فقالوا: من تؤمر علینا. فقال لهم: ملک مقبل و ملک مدبر، فاتبعوا هذا الرجل، و ادخلوا فی دینه و أسلموا. و مات باذان، فبعث رءوسهم إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم وفدهم یعرفونه بإسلامهم.

ذکر إسلام النجاشی، و کتاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلیه مع عمرو بن أمیة الضمری «۱»

قال ابن إسحاق: لما وجه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم رسله إلی ملوک الأرض یدعوهم إلی الإسلام، وجه إلی النجاشی عمرو بن أمیة، فقال له: یا أصحمة، إن علی القول، و علیک الاستماع، إنک کأنک فی الرقة علینا منا، و کأنا فی الثقة بک منک، لأنا لن نظن بک خیرا قط إلا نلناه، و لم نخفک علی شیء قط إلا أمناه، و قد أخذنا الحجة علیک من فیک، الإنجیل بیننا و بینک شاهد لا یرد، و قاض لا یجور، و فی ذلک وقع الحز و إصابة المفصل، و إلا فأنت فی هذا النبیّ الأمی کالیهود فی عیسی ابن مریم، و قد فرق النبیّ صلی اللّه علیه و سلم رسله إلی الناس، فرجاک لما لم یرجهم له، و أمنک علی ما خافهم علیه، لخیر سالف و أجر ینتظر، فقال النجاشی: أشهد بالله أنه للنبی الأمی الذی ینتظره أهل الکتاب، و أن بشارة موسی براکب الحمار کبشارة عیسی براکب الجمل، و أن العیان لیس بأشفی من الخبر.

و ذکر الواقدی أن الکتاب الذی کتبه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی النجاشی مع عمرو ابن أمیة الضمری هو هذا: «بسم الله

الرحمن الرحیم، من محمد رسول الله إلی النجاشی ملک الحبشة. سلم أنت، فإنی أحمد إلیک الله الذی لا إله إلا هو الملک القدوس السلام المؤمن

---

(۱) راجع: صحیح البخاری (۲/ ۱۸۴، ۱۸۵)، صحیح مسلم (۳/ ۵۴، ۵/ ۱۱۶)، دلائل النبوة للبیهقی (۴/ ۴۱۰، ۴۱۲)، تاریخ الطبری (۳/ ۶۴۴/ ۶۵۲، ۶۵۴)، المصباح المضیء لابن حدیدة (۲/ ۱۷، ۷۵)، الأسماء المبهمة للخطیب البغدادی (۲۱، ۲۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۳

المهیمن، و أشهد أن عیسی ابن مریم روح الله و کلمته، ألقاها إلی مریم البتول الطیبة الحصینة، فحملت بعیسی، فخلقه من روحه و نفخه کما خلق آدم بیده.

و إنی أدعوک إلی الله وحده لا شریک له، و الموالاة علی طاعته، و أن تتبعنی و تؤمن بالذی جاءنی، فإنی رسول الله، و إنی أدعوک و جنودک إلی الله عز و جل، فقد بلغت و نصحت، فاقبلوا نصیحتی، و السلام علی من اتبع الهدی».

فکتب إلیه النجاشی: بسم الله الرحمن الرحیم. إلی محمد رسول الله، من النجاشی أصحمة. سلام علیک یا رسول الله من الله و رحمة الله و برکات الله الذی لا إله إلا هو.

أما بعد، فقد بلغنی کتابک یا رسول الله فیما ذکرت من أمر عیسی، فو رب السماء و الأرض إن عیسی لا یزید علی ما ذکرت ثفروقا، إنه کما ذکرت، و قد عرفنا ما بعثت به إلینا، و قد قربنا ابن عمک و أصحابه، فأشهد أنک رسول الله صادقا مصدقا، و قد بایعتک و بایعت ابن عمک، و أسلمت علی یدیه لله رب العالمین «۱».

و ذکر الواقدی عن سلمة بن الأکوع أن النجاشی توفی فی رجب سنة تسع، منصرف رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عن تبوک، قال سلمة: صلی بنا رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الصبح، ثم قال:

«إن أصحمة النجاشی قد توفی هذه الساعة، فاخرجوا بنا إلی المصلی حتی نصلی علیه»، قال سلمة: فحشد الناس و خرجنا مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی المصلی، فرأیت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقدمنا و إنا لصفوف خلفه، و أنا فی الصف الرابع، فکبر بنا أربعا «۲».

کتاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی المقوقس صاحب الإسکندریة مع حاطب بن أبی بلتعة «۳»

و لما وجه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم رسله إلی الملوک، بعث حاطبا إلی المقوقس صاحب الإسکندریة بکتاب فیه: «بسم الله الرحمن الرحیم، من محمد بن عبد الله رسول الله، إلی

---

(۱) ذکره ابن کثیر فی البدایة و النهایة (۳/ ۸۳).

(۲) انظر الحدیث فی: سنن ابن ماجه (۱۵۳۴)، مجمع الزوائد للهیثمی (۳/ ۳۹).

(۳) راجع تاریخ الطبری (۳/ ۶۴۴، ۶۴۵)، دلائل النبوة للبیهقی (۴/ ۳۹۵، ۳۹۶)، المصباح المضیء لابن حدیدة (۲/ ۱۲۵- ۱۷۹)، مروج الذهب للمسعودی (۲/ ۲۸۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۴

المقوقس عظیم القبط، سلام علی من اتبع الهدی، أما بعد، فإنی أدعوک بداعیة الإسلام، أسلم تسلم، و أسلم یؤتک الله أجرک مرتین، فإن تولیت فإن علیک إثم القبط قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ تَعالَوْا إِلی کَلِمَةٍ سَواءٍ بَیْنَنا وَ بَیْنَکُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِکَ بِهِ شَیْئاً وَ لا یَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران: ۶۴]. و ختم الکتاب «۱».

فخرج به حاطب حتى قدم عليه الإسكندرية، فانتهى إلى حاجبه، فلم يلبثه أن أوصل إليه كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.
و قال حاطب للمقوقس لما لقيه: «إنه قد كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة و الأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، و لا يعتبر بك».
قال: هات. قال: «إن لك دينا لن تدعه إلا لما هو خير منه، و هو الإسلام الكافى به الله، فقد ما سواه، إن هذا النبيّ صلى اللّه عليه و سلم دعا الناس، فكان أشدهم عليه قريش، و أعداهم له يهود، و أقربهم منه النصارى، و لعمرى ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد صلى اللّه عليه و سلم و ما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، و كل نبى أدرك قوما، فهم من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدركه هذا النبيّ، و لسنا ننهاك عن دين المسيح، و لكنا نأمرك به». فقال المقوقس: «إنى قد نظرت فى أمر هذا النبيّ، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، و لا ينهى إلا عن مرغوب عنه، و لم أجده بالساحر الضال، و لا الكاهن الكاذب، و وجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء و الإخبار بالنجوى، و سأنظر.
و أخذ كتاب النبيّ صلى اللّه عليه و سلم فجعله فى حق من عاج و ختم عليه، و دفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية، فكتب إلى النبيّ صلى اللّه عليه و سلم: «بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك. أما بعد، فقد قرأت كتابك، و فهمت ما ذكرت فيه، و ما تدعو إليه. و قد علمت أن نبيا قد بقى، و كنت أظن أنه يخرج بالشام، و قد أكرمت رسولك، و بعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم، و بكسوة، و أهديت لك بغلة لتركبها. و السلام عليك». و لم يزد على هذا، و لم يسلم. و هاتان الجاريتان اللتان ذكرهما، إحداهما مارية أم إبراهيم ابن النبيّ صلى اللّه عليه و سلم و أختها سيرين، و هى التى وهبها النبيّ صلى اللّه عليه و سلم لحسان بن ثابت فولدت له ابنه عبد الرحمن، و البغلة هى دلدل، و كانت بيضاء. و قيل: إنه لم يكن فى العرب يومئذ غيرها، و إنها بقيت إلى زمان معاوية.

---

(۱) انظر: التخريج السابق.
الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۵
و ذكر الواقدى بإسناد له: أن المقوقس أرسل إلى حاطب ليلة و ليس عنده أحد إلا ترجمان له يترجم له بالعربية، فقال له: أ لا تخبرنى عن أمور أسألك عنها و تصدقنى؟ فإنى أعلم أن صاحبك قد تخيرك من بين أصحابه حيث بعثك، فقال له حاطب: لا تسألنى عن شيء إلا صدقتك، فسأله عن: ما ذا يدعو إليه النبيّ صلى اللّه عليه و سلم و من أتباعه، و هل يقاتل قومه؟ فأجابه حاطب عن ذلك كله، ثم سأله عن صفته، فوصفه حاطب و لم يستوف، فقال له: بقيت أشياء لم أرك تذكرها، فى عينيه حمرة، قل ما تفارقه، و بين كتفيه خاتم النبوة، و يركب الحمار، و يلبس الشملة، و يجتزى بالتمرات و الكسرة، و لا يبالى من لاقى من عم و ابن عم.
قال حاطب: فهذه صفته. قال: كنت أعلم أنه بقى نبى، و كنت أظن أن مخرجه و منبته بالشام، و هناك تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج فى العرب فى أرض جهد و بؤس، و القبط لا يطاوعونى فى اتباعه، و لا أحب أن تعلم بمحاورتى إياك، و أنا أضن بملكى أن أفارقه، و سيظهر على البلاد، و ينزل بساحتنا هذه أصحابه من بعده حتى يظهر على ما هاهنا، فارجع إلى صاحبك، فقد أمرت له بهدايا و جاريتين أختين فارهتين، و بغلة من مراكبى، و ألف مثقال ذهبا، و عشرين ثوبا من لين، و غير ذلك، و أمرت لك بمائة دينار و خمسة أثواب. فارحل من عندى و لا تسمع منك القبط حرفا واحدا.
فرجعت من عنده و قد كان لى مكرما فى الضيافة، و قلة اللبث ببابه، ما أقمت عنده إلا خمسة أيام، و إن الوفود، وفود العجم ببابه منذ شهر و أكثر. قال حاطب: فذكرت قوله لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقال: «ضن الخبيث بملكه، و لا بقاء لملكه».

ذكر كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى المنذر بن ساوى العبدى مع العلاء بن الحضرمى بعد انصرافه من الحديبية «۱»

ذكر الواقدى بإسناد له عن عكرمة قال: وجدت هذا الكتاب فى كتب ابن عباس بعد موته، فنسخته، فإذا فيه: بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم العلاء بن الحضرمى، إلى المنذر بن

---

(۱) راجع: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۴۵)، الروض الأنف للسهيلى (۴/ ۲۵۰)، المصباح المضىء (۲/ ۳۳۵، ۳۳۸)، تاريخ اليعقوبى (۲/ ۷۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۶

ساوى «۱»، و كتب إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام، فكتب يعنى المنذر إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: أما بعد، يا رسول الله، فإنى قرأت كتابك على أهل هجر، فمنهم من أحب الإسلام، و أعجبه، و دخل فيه، و منهم من كرهه، و بأرضى مجوس و يهود، فأحدث إلى فى ذلك أمرك».

فكتب إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى المنذر ابن ساوى، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، و أشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله. أما بعد، فإنى أذكرك الله عز و جل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، و إنه من يطع رسلى و يتبع أمرهم فقد أطاعنى، و من نصح لهم فقد نصح لى، و إن رسلى قد أثنوا عليك خيرا، و إنى قد شفعتك فى قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، و عفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، و إنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، و من أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية» «۲».

و ذكر غير الواقدى أن العلاء بن الحضرمى لما قدم على المنذر بن ساوى قال له: يا منذر، إنك عظيم العقل فى الدنيا، فلا تصغرن من الآخرة، إن هذه المجوسية شر دين، ليس فيها تكرم العرب، و لا علم أهل الكتاب، ينكحون ما يستحى من نكاحه، و يأكلون ما يتكرم عن أكله، و يعبدون فى الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة، و لست بعديم عقل و لا أرى، فانظر: هل ينبغى لمن لا يكذب أن تصدقه، و لمن لا يخون أن تأتمنه، و لمن لا يخلف أن تثق به، فإن كان هذا هكذا فهو هذا النبىّ الأمى الذى و الله لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه أمر به أو ليته زاد فى عفوه أو نقص من عقابه، إن كل ذلك منه على أمنية أهل العقل و فكر أهل البصر.

فقال المنذر: قد نظرت فى هذا الذى فى يدى فوجدته للدنيا دون الآخرة، و نظرت فى دينكم فوجدته للآخرة و الدنيا، فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة و راحة الموت، و لقد عجبت أمس ممن يقبله، و عجبت اليوم ممن يدره، و إن من إعظام ما جاء به أن يعظم رسوله، و سأنظر.

و ذكر ابن إسحاق و الواقدى و سيف و الطبرى و غيرهم أن المنذر لما وصله العلاء الاكتفاء، الكلاعى ج۲ ۱۶ ذكر كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المنذر بن ساوى العبدى مع العلاء بن الحضرمى بعد انصرافه من الحديبية ..... ص : ۱۵

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۵۱۵)، الإصابة الترجمة رقم (۸۲۳۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۱۰۶).

(۲) انظر التخريج السابق.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۷

برسالة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كتابه أسلم فحسن إسلامه. و زاد الواقدى: أن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم استقدم العلاء بن الحضرمى، فاستخلفه العلاء مكانه على عمله.

و ذكر ابن إسحاق و غيره أن المنذر توفى قبل ردة أهل البحرين و العلاء عنده أميرا لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم على البحرين.

و ذكر ابن قانع أن المنذر وفد على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و لا يصح ذلك إن شاء الله.

ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى جيفر و عبد ابنى الجلندى الأزديين، ملكى عمان، مع عمرو بن العاص «۱»

ذکر الواقدی بإسناد له إلی عمرو بن العاص أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بعث نفرا سماهم إلی جهات مختلفة برسم الدعاء إلی الإسلام.

قال عمرو: فکنت أنا المبعوث إلی جیفر و عبد ابنی الجلندی، و کتب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم معی کتابا.

قال: و أخرج عمرو الکتاب، فإذا صحیفة أقل من الشبر، فیها: «بسم الله الرحمن الرحیم، من محمد بن عبد الله، إلی جیفر و عبد ابنی الجلندی، سلام علی من اتبع الهدی، أما بعد، فإنی أدعوکما بداعیة الإسلام، أسلما تسلما، فإنی رسول الله إلی الناس کافة، لأنذر من کان حیا، و یحق القول علی الکافرین، و إنکما إن أقررتما بالإسلام ولیتکما، و إن أبیتما أن تقرا بالإسلام فإن ملککما زائل عنکما، و خیلی تحل بساحتکما، و تظهر نبوتی علی ملککما» و کتب أبی بن کعب، و ختم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم الکتاب.

ثم خرجت حتی انتهیت إلی عمان، فلما قدمتها عمدت إلی عبد، و کان أحلم الرجلین و أسهلهما خلقا، فقلت: إنی رسول رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلیک و إلی أخیک، فقال:

أخی المقدم علی بالسن و الملک، و أنا أوصلک إلیه حتی یقرأ کتابک، ثم قال لی: و ما تدعو إلیه؟ قلت: أدعوک إلی الله وحده لا شریک له، و تخلع ما عبد من دونه، و تشهد أن محمدا عبده و رسوله. قال: یا عمرو، إنک ابن سید قومک، فکیف صنع أبوک؟ فإن لنا

---

(۱) راجع: تاریخ الطبری (۳/ ۶۴۵)، الروض الأنف للسهیلی (۴/ ۲۵۰)، تاریخ الیعقوبی (۲/ ۷۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۸

فیه قدوة. قلت: مات، و لم یؤمن بمحمد صلی اللّه علیه و سلم و ودت أنه کان أسلم و صدق به، و قد کنت أنا علی مثل رأیه حتی هدانی الله للإسلام. قال: فمتی تبعته؟ قلت: قریبا، فسألنی أین کان إسلامی؟ قلت: عند النجاشی، و أخبرته أن النجاشی قد أسلم، قال: فکیف صنع قومه بملکه؟ قلت: أقروه و اتبعوه، قال: و الأساقفة و الرهبان تبعوه، قلت: نعم. قال: انظر یا عمرو ما تقول، إنه لیس من خصلة فی رجل واحد أفضح له من کذب. قلت: ما کذبت، و ما نستحله فی دیننا. ثم قال: ما أری هرقل علم بإسلام النجاشی.

قلت: بلی. قال: بأی شیء علمت ذلک؟ قلت: کان النجاشی یخرج له خرجا، فلما أسلم و صدق بمحمد صلی اللّه علیه و سلم قال: لا، و الله لو سألنی درهما واحدا ما أعطیته، فبلغ هرقل قوله، فقال له نیاق أخوه: أ تدع عبدک لا یخرج لک خرجا، و یدین دینا محدثا؟ قال هرقل: رجل رغب فی دین و اختاره لنفسه، ما أصنع به، و الله لو لا الضن لملکی لصنعت کما صنعوا. قال: انظر ما تقول یا عمر، قلت: و الله صدقتک. قال عبد: فأخبرنی ما الذی یأمر به و ینهی عنه. قلت: یأمر بطاعة الله عز و جل و ینهی عن معصیته، و یأمر بالبر و صلة الرحم، و ینهی عن الظلم و العدوان، و عن الزنا و شرب الخمر، و ینهی عن عبادة الحجر و الوثن و الصلیب. فقال: ما أحسن هذا الذی یدعو إلیه، لو کان أخی یتابعنی لرکبنا حتی نؤمن بمحمد و نصدق به، و لکن أخی أضن بملکه من أن یدعه و یصیر ذنبا.

قلت: إنه إن أسلم ملکه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم علی قومه، فأخذ الصدقة من غنیهم فردها علی فقیرهم. فقال: إن هذا لخلق حسن، و ما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من الصدقات فی الأموال حتی انتهیت إلی الإبل. فقال: یا عمرو، تؤخذ من سوائم مواشینا التی ترعی الشجر و ترد المیاه. فقلت: نعم.

فقال: و الله، ما أری قومی فی بعد دارهم و کثرة عددهم یطیعون بهذا. قال: فمکثت ببابه أیاما و هو یصل إلی أخیه فیخبره کل خبری، ثم إنه دعانی یوما فدخلت علیه، فأخذ أعوانه بضبعی، فقال: دعوه، فأرسلت، فذهبت لأجلس، فأبوا أن یدعونی أجلس، فنظرت إلیه، فقال: تکلم بحاجتک، فدفعت إلیه الکتاب مختوما، ففض خاتمه، فقرأه حتی انتهی إلی آخره. ثم دفعه إلی أخیه فقرأه مثل قراءته، إلا أنی رأیت أخاه أرق منه، ثم قال: أ لا تخبرنی عن قریش، کیف صنعت؟ فقلت: تبعوه، إما راغب فی الدین، و إما مقهور بالسیف. قال:

و من معه؟ قلت: الناس، قد رغبوا فى الإسلام، و اختاروه على غيره، و عرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا فى ضلال، فما أعلم أحدا بقى غيرك فى هذه الحرجة، و أنت إن لم تسلم اليوم و تتبعه يوطئك الخيل، و يبيد خضراءك،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹

فأسلم تسلم و يستعملك على قومك، و لا تدخل عليك الخيل و الرجال. قال: دعنى يومى هذا و ارجع إلى غدا.

فرجعت إلى أخيه، قال: يا عمرو، إنى لأرجو أن يسلم إن لم يضن بملكه حتى إذا كان الغد أتيت إليه، فأبى أن يأذن لى، فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أنى لم أصل إليه، فأوصلنى إليه. فقال: إنى فكرت فيما دعوتنى إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما فى يدى و هو لا- تبلغ خيله هاهنا، و إن بلغت خيله ألفت قتالا- ليس كقتال من لاقى. قلت: فأنا خارج غدا، فلما أيقن بمخرجى خلا به أخوه، فقال: ما نحن فيما قد ظهر عليه، و كل من أرسل إليه قد أجابه، فأصبح، فأرسل إلى، فأجاب إلى الإسلام هو و أخوه جميعا، و صدقا النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و خليا بينى و بين الصدقة، و بين الحكم فيما بينهم، و كانا لى عونا على من خالفنى «۱».

و فى حديث غير الواقدى أن عمرا قال له فيما دار بينهما من الكلام: إنك و إن كنت منا بعيدا فإنك من الله غير بعيد، إن الذى تفرد بخلقك أهل أن تفرده بعبادتك، و أن لا تشرك به من لم يشركه فيك، و أعلم أنه يميتك الذى أحياك، و يعيدك الذى أبدأك، فانظر فى هذا النبىّ الأمى الذى جاءنا بالدنيا و الآخرة، فإن كان يريد به أجرا فامنعه، أو يميل به هوى فدعه، ثم انظر فيما يجىء به، هل يشبه ما يجىء به الناس؟ فإن كان يشبهه فسله العيان و تخير عليه فى الخبر، و إن كان لا يشبهه فاقبل ما قال، و خف ما وعد.

قال ابن الجلندى: إنه و الله لقد دلنى على هذا النبىّ الأمى أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به، و لا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، و أنه يغلب فلا يبطر، و يغلب فلا يضجر، و أنه يفى بالعهد، و ينجز الموعود، و أنه لا يزال سر قد اطلع عليه يساوى فيه أهله، و أشهد أنه نبى.

كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى هوذة بن على مع سليط بن عمرو العامرى، و ما كان من خبره معه «۲»

و لما بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم رسله إلى الملوك يدعوهم إلى الله، بعث سليط بن عمرو إلى

---

(۱) انظر التخريج السابق.

(۲) راجع: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۴۴، ۶۴۵)، المصباح المضىء لابن حديدة (۲/ ۳۵۴، ۳۵۹)، تاريخ اليعقوبى (۲/ ۷۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۰

هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة و المتوج بها و هو الذى يقول فيه الأعشى، ميمون ابن قيس من كلمة:

إلى هوذة الوهاب أعلمت ناقتى أرجى عطاء فاضلا من عطائكا

فلما أتت آطام جو و أهلها أنيخت و ألقت رحلها بقبائكا و ذكر الواقدى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كتب إلى هوذة مع سليط حين بعثه إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هوذة بن على، سلام على من اتبع الهدى، و اعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف و الحافر، فأسلم تسلم، و أجعل لك ما تحت يديك». فلما قدم عليه سليط بكتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم مختوما أنزله و حياه، و اقترأ عليه الكتاب، فرد ردا دون رد، و كتب إلى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: ما أحسن ما تدعو إليه و أجمله، و أنا شاعر قومى و خطيبهم، و العرب تهاب مكانى فاجعل إلى بعض الأمر أتبعك.

و أجاز سليطا بجائزة، و كساه أثوابا من نسج هجر، فقدم بذلك كله على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فأخبره، و قرأ النبىّ صلى اللّه عليه و سلم كتابه، و قال: «لو سألنى سبابة من الأرض ما فعلت، باد و باد ما فى يده»، فلما انصرف النبىّ صلى اللّه عليه و سلم من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأن هوذة مات، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبأ، يقتل بعدى»، فقال

قائل:

يا رسول الله، فمن يقتله؟ فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أنت و أصحابك»، فكان من أمر مسيلمة و تكذبه ما كان، و ظهر المسلمون عليه فقتلوه، و كان ذلك القاتل من قتله وفق ما قاله الصادق المصدوق صلوات الله و بركاته عليه.

و ذكر وثيمة بن موسى أن سليط بن عمرو لما قدم على هوذة بكتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كان كسرى قد توجه، و قال له: يا هوذة، إنه قد سودتك أعظم حائلة و أرواح فى النار، و إنما السيد من متع الإيمان ثم زود التقوى، إن قوما سعدوا برأيك، فلا تشقين به، و إنى آمرك بخير مأمور به، و أنهاك عن شر منهى عنه، آمرك بعبادة الله، و أنهاك عن عبادة الشيطان، فإن فى عبادة الله الجنة، و فى عبادة الشيطان النار، فإن قبلت نلت ما رجوت و أمنت ما خفت، و إن أبيت فبيننا و بينك كشف الغطاء و هو المطلع.

فقال هوذة: يا سليط، سودنى من لو سودك شرفت به، و قد كان لى رأى اختبر به الأمور فقدته، فموضعه من قلبى هواء، فاجعل لى فسحة يرجع إلى رأيى فأجيبك به إن شاء الله «۱».

---

(۱) انظر التخريج السابق.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۱

و قال هوذة فى ذلك:

أتانى سليط بالحوادث جمةفقلت له ما ذا يقول سليط

فقال التى فيها على غضاضةو فيها رجاء مطمع و قنوط

فقلت له غاب الذى كنت أجتلىبه الأمر عنى فالصعود هبوط

و قد كان لى و الله بالغ أمرهأبا النصر جاش فى الأمور ربيط

فأذهبه خوف النبىّ محمدفهوذة فيه فى الرجال سقيط

فأجمع أمرى من يمين و شمألكأنى ردود للنبال لقيط

و أذهب ذاك الرأى إذ قال قائلأتاك رسول الله للنبى خبيط

رسول الله راكب ناضحعليه من أوبار الحجاز غبيط

سكرت و دبت فى المفارق و سنةلها نفس على الفؤاد غطيط

أحاذر منه سورة هائميةفوارسها وسط الرجال عبيط

فلا تعجلنى يا سليط فإننابادر أمرا و القضاء محيط و ذكر الواقدى بإسناد له عن عبد الله بن مالك أنه قال: قدمت اليمامة فى خلافة عثمان بن عفان، فجلست فى مجلس لحجر، فقال رجل فى المجلس: إنى لعند ذى التاج الحنفى يعنى هوذة يوم الفصح إذ جاء حاجبه، فاستأذن لأركون دمشق و هو عظيم من عظماء النصارى فقال: ائذن له، فدخل فرحب به و تحدثا، فقال الأركون: ما أطيب بلاد الملك و أبرأها من الأوجاع. قال ذو التاج: هى أصح بلاد العرب، و هى زين بلادهم، قال الأركون: و ما قرب محمد منكم؟ قال ذو التاج: هو بيثرب، و قد جاءنى كتابه يدعونى إلى الإسلام فلم أجبه. قال الأركون: لم لا تجيبه؟ قال: ضننت بدينى، و أنا ملك قومى، و إن تبعته لم أملك. قال: بلى، و الله لئن اتبعته ليمكنك و إن الخيرة لك فى اتباعه، و إنه للنبى العربى الذى بشر به عيسى ابن مريم، و إنه لمكتوب عندنا فى الإنجيل: محمد رسول الله. قال ذو التاج: قد قرأت فى الإنجيل ما تذكر. ثم قال الأركون: فما لك لا تتبعه؟ قال: الحسد له، و الضن بالخمر و شربها. قال: فما فعل هرقل؟ قال: هو على دينه و يظهر لرسله أنه معه، و قد سبر أهل مملكته، فأبوا أشد الإباء، فضن بملكه أن يفارقه، قال ذو التاج: فما أرانى إلا متبعه و داخلا فى دينه، فأنا فى بيت العرب، و هو مقرى على ما تحت يدى. قال البطريق: هو فاعل فاتبعه، فدعا رسولا و كتب معه كتابا، و سمى هدايا، فجاءه قومه فقالوا: تتبع محمدا و تترك دينك، لا تملكن

علينا أبدا، فرفض الكتاب.

قال: فأقام الأركون عنده فى حباء و كرامة، ثم وصله و وجه راجعا إلى الشام.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٢٢

قال الرجل: و تبعته حين خرج، فقلت: أحق ما أخبرت ذا التاج؟ قال: نعم و الله، فاتبعه، قال: فرجعت إلى أهلى فتكلفت الشخوص إلى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فقدمت عليه مسلما، فأخبرته بكل ما كان، فحمد الله الذى هدانى.

و لم يسم فى حديث الواقدى هذا الرجل، إلا أن فيه أنه كان من طيئ، ثم من بنى نبهان.

و قد تقدم صدر هذا الكتاب أن عامر بن سلمة من بنى حنيفة رأى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثلاثة أعوام ولاء فى الموسم بعكاظ و بمجنة و بذى المجاز يعرض نفسه على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله و إلى أن ينصروه، حتى يبلغ عن الله فلا يستجيب له أحد، و إن هوذة بن على سأل عامرا بعد انصرافه عن الموسم إلى اليمامة فى أول عام عن ما كان فى موسمهم من خبر، فأخبره خبر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أنه رجل من قريش، فسأله هوذة: من أى قريش هو؟ فقال له عامر: من أوسطهم نسبا، من بنى عبد المطلب، قال هوذة: أ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب؟ فقال: هو هو، فقال هوذة: أما إن أمره سيظهر على ما هاهنا و غير ما هاهنا. ثم ذكر تكرر سؤال هوذة له عنه حتى ذكر له فى السنة الثالثة أنه رآه و أمره قد أمر، فقال له هوذة: هو الذى قلت لك، و لو أنا اتبعناه لكان خيرا لنا، و لكنا نضن بملكنا.

و أخبر عامر بذلك كله سليط بن عمرو، و قد مر به منصرفا عن هوذة إذ بعثه إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فلم يسلم و أسلم عامر آخر حياة النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و مات هوذة كافرا على نصرانيته.

ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى مع شجاع بن وهب «١»

ذكر الواقدى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعث شجاعا إلى الحارث بن أبى شمر، و هو بغوطة دمشق، فكتب إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مرجعه من الحديبية:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى الحارث بن أبى شمر، سلام على

---

(١) راجع: تاريخ الطبرى (٣/ ٦٤٤، ٦٥٢)، الروض الأنف للسهيلى (٤/ ٢٥، ٢٥١)، المصباح المضىء لابن حديدة (٢/ ٣١٤، ٣١٦)، تاريخ اليعقوبى (٢/ ٧٨).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٢٣

من اتبع الهدى و آمن به و صدق، و إنى أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبق لك ملكك». فختم الكتاب، و خرج به شجاع بن وهب.

قال: فانتهيت إلى صاحبه، فأخذه يومئذ و هو مشغول بتهيئة الإنزال و الألطاف لقيصر، و هو جاء من حمص إلى إيلياء، حيث كشف الله عنه جنود فارس شكرا لله تعالى قال: فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه: إنى رسول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال حاجبه: لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا و كذا، و جعل حاجبه و كان روميا اسمه مرى يسألنى عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و ما يدعو إليه، فكنت أحدثه، فيرق حتى يغلبه البكاء، و يقول: إنى قرأت فى الإنجيل، و أجد صفة هذا النبىّ بعينه فكنت أراه يخرج بالشام، فأراه قد خرج بأرض القرظ، فأنا أؤمن به و أصدقه، و أنا أخاف من الحارث بن أبى شمر أن يقتلنى.

قال شجاع: فكان، يعنى هذا الحاجب، يكرمنى و يحسن ضيافتى و يخبرنى عن الحارث باليأس منه، و يقول: هو يخاف قيصر.

قال: فخرج الحارث يوما فجلس، فوضع التاج على رأسه، فأذن لى عليه، فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقرأه، ثم

رمى به، و قال: من ينتزع منى ملكى؟ أنا سائر إليه، و لو كان باليمن جئته، على بالناس، فلم يزل جالسا بعرض حتى الليل، و أمر بالخيل أن تنعل، ثم قال: أخبر صاحبك بما ترى. و كتب إلى قيصر يخبره خبرى، فصادف قيصر بإيلياء و عنده دحية الكلبى قد بعثه إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فلما قرأ قيصر كتاب الحارث كتب إليه:

أن لا تسر إليه و إله عنه و وافنى بإيلياء، قال: و رجع الكتاب و أنا مقيم، فدعانى و قال:

متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ قلت: غدا، فأمر بمائة مثقال، و وصلنى مرى بنفقة و كسوة، و قال: اقرأ على رسول الله منى السلام، و أخبره أنى متبع دينه.

قال شجاع: فقدمت على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فأخبرته، فقال: باد ملكه، و أقرأته من مرى السلام، و أخبرته بما قال، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «صدق».

قال الواقدى: و مات الحارث بن أبى شمر عام الفتح، و كان نازلا بجلق، و وليهم جبلة ابن الأيهم، و كان ينزل الجابية، و كان آخر ملوك غسان، أدركه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجابية فأسلم، ثم إنه لاحى رجلا من مزينة، فلطم عينه، فجاء به المزنى إلى عمر رضى الله عنه و قال: خذ لى بحقى، فقال له عمر: الطم عينه، فأنف جبلة و قال: عينى و عينه سواء؟ قال عمر: نعم، فقال جبلة: لا أقيم بهذه الدار أبدا، و لحق بعمورية مرتدا، فمات هناك على ردته.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴

هكذا ذكر الواقدى أن توجه شجاع بن وهب بكتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان إلى الحارث بن أبى شمر، و كذلك قال ابن إسحاق.

و أما ابن هشام «۱» فقال: إنما توجه إلى جبلة بن الأيهم، و قد قال ذلك غيره، فالله أعلم.

و ذكر بعض من وافق ابن هشام على أن الرسالة كانت إلى جبلة: أن شجاع بن وهب لما قدم عليه قال له: «يا جبلة، إن قومك نقلوا هذا النبىّ الأمى من داره إلى دارهم يعنى الأنصار فأووه و منعوه، و إن هذا الدين الذى أنت عليه ليس بدين آبائك، و لكنك ملكت الشام و جاورت بها الروم، و لو جاورت كسرى دنت بدين الفرس لملك العراق، و قد أقر بهذا النبىّ الأمى من أهل دينك من إن فضلناه عليك لم يغضبك، و إن فضلناك عليه لم يرضك، فإن أسلمت أطاعتك الشام و هابتك الروم، و إن لم يفعلوا كانت لهم الدنيا و لك الآخرة، و كنت قد استبدلت المساجد بالبيع، و الأذان بالناقوس، و الجمع بالشعانين، و القبلة بالصليب، و كان ما عند الله خير و أبقى».

فقال له جبلة: «إنى و الله لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبىّ الأمى اجتماعهم على خلق السموات و الأرض، و لقد سرنى اجتماع قومى له، و أعجبنى قتله أهل الأوثان و اليهود و استبقاءه النصارى، و لقد دعانى قيصر إلى قتال أصحابه يوم مؤتة فأبيت عليه، فانتدب له مالك بن نافلة من سعد العشيرة، فقتله الله، و لكنى لست أرى حقا ينفعه و لا باطلا يضره، و الذى يمدنى إليه أقوى من الذى يختلجنى عنه، و سأنظر».

و أما توجه المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى، و هو شقيق أم سلمة زوج النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى الحارث بن عبد كلال، فلم أجد عند ابن إسحاق، و لا فيما وقع إلى عن الواقدى شيئا أنقله عنهما سوى ما ذكر ابن إسحاق «۲» من توجيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إياه إلى الحارث بن عبد كلال ذكرا مقتصرا فيه على القدر مختصرا من الإمتاع بما تحسن إضافته إلى ذلك من الوصف.

و تقدم لابن إسحاق فى كتابه، و ذكره أيضا الواقدى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قدم عليه كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك، و رسولهم إليه بإسلامهم الحارث بن عبد كلال و نعيم بن عبد كلال و النعمان قيل: ذى رعين و معافر و همدان، و بعث إليه زرعة ذى يزن مالك بن مرة الرهاوى بإسلامهم و مفارقتهم الشرك و أهله.

(۱) انظر: السیرة (۴/ ۲۳۱).

(۲) انظر: السیرة (۴/ ۲۳۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۵

و قد کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی مسیره إلی تبوک یقول: «إنی بشرت بالکنزین: فارس و الروم، و أمددت بالملوک: ملوک حمیر، یأکلون فیء الله و یجاهدون فی سبیل الله». فلما قدم علیه مالک بن مرة بإسلامهم، کتب إلیهم: «بسم الله الرحمن الرحیم. من محمد رسول الله النبیّ، إلی الحارث بن عبد کلال و إلی نعیم بن عبد کلال و إلی النعمان قیل: ذی رعین و معافر و همدان. أما بعد ذلکم، فإنی أحمد إلیکم الله الذی لا إله إلا هو. أما بعد، فإنه قد وقع بنا رسولکم منقلبنا من الأرض الروم فلقینا بالمدینة، فبلغ ما أرسلتم به، و خبر ما قبلکم، و أنبأنا بإسلامکم و قتلکم المشرکین، و أن الله قد هداکم بهداه. أن أصلحتم و أطعتم الله و رسوله و أقمتم الصلاة و آتیتم الزکاة و أعطیتم من المغانم خمس الله و سهم النبیّ و صفیه، و ما کتب علی المؤمنین من الصدقة و بین لهم صدقة الزرع و الإبل و البقر و الغنم، ثم قال: فمن زاد خیرا فهو خیر له، و من أدی ذلک و أشهد علی إسلامه و ظاهر المؤمنین علی المشرکین فإنه من المؤمنین، له ما لهم، و علیه ما علیهم، و له ذمة الله و ذمة رسوله، و أنه من أسلم من یهودی أو نصرانی فإنه من المؤمنین، له ما لهم، و علیه ما علیهم، و من کان علی یهودیته أو نصرانیته فإنه لا یرد عنها، و علیه الجزیة علی کل حالم ذکر أو أنثی حر أو عبد دینار واف من قیمة المعافر أو عوضه ثیابا، فمن أدی ذلک إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فإن له ذمة الله و ذمة رسوله، و من منعه فإنه عدو لله و لرسوله.

أما بعد، فإن محمد النبیّ أرسل إلی زرعة ذی یزن أن إذا أتاکم رسلی فأوصیکم بهم خیرا، معاذ بن جبل و عبد الله بن زید و مالک بن عبادة و عقبة بن نمر و مالک بن مرة و أصحابهم، و أن أجمعوا ما عندکم من الصدقة و الجزیة من مخالفیکم و أبلغوها رسلی، فإن أمیرهم ابن جبل، فلا ینقلبن إلا راضیا. أما بعد، فإن محمدا یشهد أن لا إله إلا الله و أنه عبده و رسوله، ثم إن مالک بن مرة الرهاوی قد حدثنی أنک قد أسلمت من أول حمیر، و قتلت المشرکین، فأبشر بخیر، و آمرک بحمیر خیرا، و لا تخاونوا و لا تخاذلوا فإن رسول الله هو مولی غنیکم و فقیرکم، و إن الصدقة لا تحل لمحمد و لا لأهل بیته، و إنما هی زکاة یزکی بها علی فقراء المسلمین و ابن السبیل، و إن مالکا قد بلغ الخبر و حفظ الغیب، و آمرکم به خیرا، و إنی قد أرسلت إلیکم من صالحی أهلی و أولی دینهم و أولی علمهم و آمرکم بهم خیرا، فإنه منظور إلیهم، و السلام علیکم و رحمة الله» «۱».

فهذا ما ذکر ابن إسحاق «۲» من شأن ملوک حمیر، و ما کتبوا به، و کتب إلیهم، و ذکر الواقدی أیضا نحوه.

(۱) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۵/ ۷۵).

(۲) انظر: السیرة (۴/ ۲۱۲- ۲۱۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۶

و لا ذکر للمهاجر بن أبی أمیة فی شیء من ذلک إلا أن ابن إسحاق و الواقدی ذکرا أن قدوم رسول ملوک حمیر علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم کان مقدمه من تبوک، و ذلک فی سنة تسع، و توجیه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم رسله إلی الملوک إنما کان بعد انصرافه عن الحدیبیة آخر سنة ست، فلعل المهاجر و الله أعلم کانت وجهه حینئذ إلی الحارث بن عبد کلال فصادف منه عامئذ ترددا و استنظارا، ثم جلا الله عنه العمی فیما بعد، و أمر بهدایته فاستبان له القصد، فعند ذلک أرسل هو و أصحابه بإسلامهم إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و بذلک یجتمع الأمران، و یصح الخبران، إذ لا خلاف بین أهل العلم بالأخبار و العنایة بالسیر أن ملوک حمیر أسلموا و کتبوا بإسلامهم إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم کما أنه لا خلاف بینهم أیضا فی توجیه المهاجر بن أبی

أمية إلى الحارث بن عبد كلال.

و يقول بعض من ذكر ذلك أن المهاجر لما قدم عليه قال له: يا حارث إنك كنت أول من عرض عليه النبىّ صلى اللّه عليه و سلم نفسه فخطيت عنه، و أنت أعظم الملوك قدرا، فإذا نظرت فى غلبة الملوك فانظر فى غالب الملوك، و إذا أسرك يومك فخف غدك، و قد كان قبلك ملوك ذهبت آثارها و بقيت أخبارها، عاشوا طويلا و أملوا بعيدا و تزودوا قليلا، منهم من أدركه الموت، و منهم من أكلته النقم، و إنى أدعوك إلى الرب الذى إن أردت الهدى لم يمنعك، و إن أرادك لم يمنعك منه أحد، و أدعوك إلى النبىّ الأمى الذى ليس شىء أحسن مما يأمر به و لا أقبح مما ينهى عنه، و اعلم أن لك ربا يميت الحى و يحيى الميت، و يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور.

فقال الحارث: قد كان هذا النبىّ عرض نفسه على، فخطيت عنه، و كان ذخرا لمن صار إليه، و كان أمره أمرا بسق، فحضره اليأس و غاب عنه الطمع، و لم تكن لى قرابة أحتمله عليها، و لا لى فيه هوى أتبعه له، غير أنى أرى أمرا لم يؤسسه الكذب، و لم يسنده الباطل، له بدو سار و عافية نافعة، و سأنظر.

ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى فروة بن عمرو الجذامىّ ثم النفاتى، و ما كان من تبرعه بالإسلام هداية من الله عز و جل له «۱»

ذكر الواقدى بإسناد له أن فروة بن عمرو «۲»، هذا كان عاملا لقيصر على عمان من

---

(۱) راجع: السيرة (۴/ ۲۱۴).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب ترجمة رقم (۲۰۹۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۷

أرض البلقاء و فى كتاب ابن إسحاق: معان و ما حولها من أرض الشام، و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد كتب إلى هرقل و إلى الحارث بن أبى شمر، و لم يكتب إليه، فأسلم فروة، و كتب إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بإسلامه، و بعث من عنده رسولا يقال له: مسعود بن سعد من قومه بكتاب مختوم فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد رسول الله النبىّ، إنى مقر بالإسلام مصدق به، أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، و إنه الذى بشر به عيسى ابن مريم. و السلام عليك».

ثم بعث مع الرسول بغلة بيضاء يقال لها: فضة، و حماره يعفور، و فرسا يقال له: الضرب، و بعث بأثواب من لين، و قباء من سندس مخوص بالذهب، فقدم الرسول فدفع الكتاب إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فاقترأه، و أمر بلالا أن ينزله و يكرمه، فلما أراد الخروج كتب إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جواب كتابه:

«من محمد رسول الله، إلى فروة بن عمرو، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد. فإنه قدم علينا رسولك بكتابك فبلغ ما أرسلت به، و خبر عن ما قبلكم، و أنبأنا بإسلامك، و إن الله عز و جل قد هداك إن أصلحت و أطعت الله و رسوله و أقمت على الصلاة و آتيت الزكاة، و السلام عليك».

و لما بلغ قيصر إسلام فروة بن عمرو بعث إليه فحبسه، و لما طال حبسه أرسلوا إليه:

أن ارجع إلى دينك و يعيد إليك ملكك، فقال: لا أفارق دين محمد أبدا، أما أنك تعرف أنه رسول الله، بشرك به عيسى ابن مريم، و لكنك ضننت بملكك و أحببت بقاءه. فقال قيصر: صدق و الإنجيل.

و ذكر الواقدى أنه مات فى ذلك الحبس، فلما مات صلبوه.

قال: فلما اجتمعت الروم لصلبه قال:

ألا هل أتى سلمى بأن حليلهاعلى ماء عفرا فوق إحدى الرواحل «۱»

على ناقة لم يضرب الفحل أمهامشذبة أطرافها بالمناجل «۲» و ذكر ابن شهاب الزهرى أنهم لما قدموه ليقتلوه قال:

---

(۱) إحدى الرواحل: المراد بها الخشبة التى صلب عليها.

(۲) مشذبة: قد أزيلت أغصانها.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۸ أبلغ سراة المسلمين بأننىسلم لربى أعظمى و مقامى ثم ضربوا عنقه و صلبوه على ذلك الماء، يرحمه الله.

قال ابن إسحاق «۱»: و قد كان تكلم على عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الكذابان: مسيلمة بن حبيب الحنفى باليمامة فى بنى حنيفة، و الأسود بن كعب العنسى بصنعاء.

و ذكر بإسناد له عن أبى سعيد الخدرى قال: سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو يخطب الناس على منبره و هو يقول: «يا أيها الناس، إنى قد رأيت ليلة القدر، ثم أنسيتها، و رأيت فى ذراعى سوارين من ذهب، فكرهتهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن، و صاحب اليمامة» «۲».

و عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا، كلهم يدعى النبوة» «۳».

قال ابن إسحاق «۴»: و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد بعث أمراءه و عماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان، فبعث المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة «۵» إلى صنعاء، فخرج عليه العنسى و هو بها، و بعث زياد بن لبيد «۶» أخا بنى بياضة الأنصارى إلى

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۲۲).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (۴/ ۱۷۸۱/ ۲۱)، سنن الترمذى (۴/ ۲۲۹۲)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۶۳، ۲/ ۳۱۹، ۳۳۸، ۳۴۴).

(۳) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۲/ ۴۵۰)، مجمع الزوائد للهيثمى (۵/ ۳۱۵)، سنن أبى داود (۴/ ۴۳۳۳).

(۴) انظر: السيرة (۴/ ۲۲۳).

(۵) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۸۲۷۱)، أسد الغابة ترجمة رقم (۵۱۳۴)، مؤتلف الدارقطنى (ص ۱۶۳).

(۶) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۲۸۷۱)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۸۰۹)، مسند أحمد (۴/ ۱۶۰)، الطبقات الكبرى (۳/ ۵۹۸)، التاريخ الكبير (۳/ ۳۴۴)، التاريخ الصغير (۱/ ۴۱)، تاريخ الطبرى (۳/ ۱۴۷)، الجرح و التعديل (۳/ ۵۴۳)، المعجم الكبير (۵/ ۳۰۴)، الكامل فى التاريخ (۲/ ۳۰۱)، تهذيب الكمال (۹/ ۵۰۶)، الكاشف (۱/ ۲۶۲)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۹۵)، الوافى بالوفيات (۱۵/ ۱۰)، تهذيب التهذيب (۳/ ۳۸۲)، خلاصة تهذيب التهذيب (۱۲۵)، تاريخ الإسلام (۱/ ۵۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۹

حضرموت و على صدقاتها، و بعث عدى بن حاتم «۱» على طىء و صدقاتها، و على بنى أسد، و بعث مالك بن نويرة اليربوعى «۲» على صدقات بنى حنظلة، و فرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم، فبعث الزبرقان بن بدر «۳» على ناحية منها، و قيس بن عاصم «۴» على ناحية، و كان قد بعث العلاء بن الحضرمى «۵» على البحرين، و بعث على بن أبى طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم و يقدم عليهم بجزيتهم.

و قد کان مسیلمة بن حبیب کتب إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «من مسیلمة رسول الله، إلی محمد رسول الله، سلام علیک، أما بعد. فإنی قد أشرکت فی الأمر معک، و إن لنا نصف الأرض، و لقریش نصفها، و لکن قریشا قوم یعتدون».

فقدم علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بهذا الکتاب رسولان لمسیلمة، فقال لهما رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حین قرأ کتابه: «فما تقولان أنتما؟» قالا: نقول کما قال، فقال: «أما و الله لو لا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقکما». ثم کتب إلی مسیلمة:

---

(۱) انظر ترجمته فی: طبقات ابن سعد (۶/ ۲۲)، التاریخ الکبیر (۷/ ۴۳)، التاریخ الصغیر (۱/ ۱۴۸)، المعارف (۳۱۳)، الجرح و التعدیل (۷/ ۲)، تاریخ بغداد (۱/ ۱۸۹)، تاریخ ابن عساکر (۱۱/ ۲۳۴)، تهذیب الأسماء و اللغات (۱/ ۳۲۷)، تهذیب الکمال (۹۲۵)، تاریخ الإسلام (۳/ ۴۶)، العبر (۱/ ۷۴)، تذهیب التهذیب (۳/ ۳۶)، جامع الأصول (۹/ ۱۱۱)، مرآة الجنان (۱/ ۱۴۲)، تهذیب التهذیب (۷/ ۱۶۶)، خلاصة تذهیب الکمال (۲۲۳)، شذرات الذهب (۱/ ۷۴)، سیر أعلام النبلاء (۳/ ۱۶۲)، الإصابة ترجمة رقم (۵۴۹۱)، أسد الغابة ترجمة رقم (۳۶۱۰).

(۲) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۷۷۱۲)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۶۵۴).

(۳) انظر ترجمته فی: الثقات (۳/ ۱۴۲)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۷۲۸)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۱۸۸)، الإصابة ترجمة رقم (۲۷۸۹)، الاستبصار (۳۱۴، ۴۱۵)، الأعلام (۳/ ۴۱)، تقریب التهذیب (۱/ ۲۵۷)، الطبقات الکبری (۷/ ۳۶، ۱/ ۲۹۴، ۲/ ۱۶۱)، الجرح و التعدیل (۳/ ۲۷۶۰۰)، البدایة و النهایة (۵/ ۴۱).

(۴) انظر ترجمته فی: الثقات (۳/ ۳۳۸)، تجرید أسماء الصحابة (۲/ ۲۲)، الجرح و التعدیل (۷/ ۱۰۱)، تقریب التهذیب (۲/ ۱۲۹)، تهذیب التهذیب (۸/ ۳۹۹)، خلاصة تهذیب الکمال (۲/ ۳۵۷)، الکاشف (۲/ ۳۰۵)، أزمنة التاریخ الإسلامی (۸۱۶)، التاریخ الکبیر (۷/ ۱۴۱)، الأنساب (۹/ ۱۳۵)، بقی بن مخلد (۳۲۱)، الإصابة ترجمة رقم (۷۲۰۹)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۳۷۰).

(۵) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۵۶۵۸)، أسد الغابة ترجمة رقم (۳۷۴۵)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۳۸۸)، الجرح و التعدیل (۶/ ۳۵۶)، التاریخ الکبیر (۶/ ۵۰۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۰

«بسم الله الرحمن الرحیم. من محمد رسول الله إلی مسیلمة الکذاب، السلام علی من اتبع الهدی، أما بعد: فإن الأرض لله یورثها من یشاء من عباده، و العاقبة للمتقین» «۱».

قال ابن إسحاق: و کان ذلک فی آخر سنة عشر «۲».

و قال أبو جعفر محمد بن جریر الطبری: و قد قیل: إن دعوی مسیلمة و من ادعی من الکذابین النبوة فی عهد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إنما کانت بعد انصرافه من حجة التمام، و وقوعه فی المرض الذی توفاه الله فیه، فالله تعالی أعلم.

ذکر حجة الوداع «۳» و تسمی أیضا حجة التمام، و حجة البلاغ

و لما دخل علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ذو القعدة من سنة عشر تجهز للحج، و أمر الناس بالجهاز له، و خرج لخمس لیال بقین من ذی القعدة، و قد کان أذن فی الناس أنه خارج، فقدم المدینة بشر کثیر، کلهم یلتمس أن یأتم برسول الله صلی اللّه علیه و سلم و یعمل مثل عمله.

قال جابر بن عبد الله: فخرجنا معه حتی أتینا ذا الحلیفة، فصلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی المسجد، ثم رکب القصواء حتی إذا استوت به ناقته علی البیداء نظرت إلی مد بصری بین یدیه من راکب و ماش و عن یمینه مثل ذلک و عن یساره مثل ذلک و من خلفه مثل ذلک، و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بین أظهرنا، و علیه ینزل القرآن، و هو یعرف تأویله، و ما عمل من شیء عملناه، فأهل

بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد و النعمة لك و الملك لا شريك لك» «۴».

---

(۱) انظر الحديث فى: سنن البيهقى (۹/ ۲۱۱)، مسند الإمام أحمد (۳۷۰۸)، سنن أبى داود (۳/ ۲۷۶۱).

(۲) انظر: السيرة (۴/ ۲۲۴).

(۳) عرفت باسم: حجة الوداع؛ و ذلك لأن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و تسمى أيضا حجة الإسلام. انظر: لم يحج بعدها، إذ بدأ به مرضه الذى توفاه الله فيه، كما قيل: حجة البلاغ؛ لأنه صلى اللّه عليه و سلم أرى الناس مناسكهم و علمهم حجهم، و قيل: حجة الإسلام؛ لأنه صلى اللّه عليه و سلم لم يحج بعد أن فرض الحج فى الإسلام غيرها. راجع: طبقات ابن سعد (۲/ ۱۷۲- ۱۸۹)، المغازى للواقدى (۳/ ۱۰۸۸- ۱۱۱۵)، الثقات لابن حبان (۲/ ۱۲۴- ۱۲۹).

(۴) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۲/ ۱۷۰، ۷/ ۲۰۹)، صحيح مسلم كتاب الحج، باب-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۱

و أهل الناس بهذا الذى يهلون به، فلم يرد عليهم شيئا منه، و لزم صلى اللّه عليه و سلم تلبيته.

و فى حديث عائشة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما خرج فى حجة الوداع لم يكن يذكر و لا يذكر الناس إلا الحج، حتى إذا كان بسرف و قد ساق رسول الله صلى اللّه عليه و سلم معه الهدى و أشراف من أشراف الناس، أمر الناس أن يحلوا بعمرة، إلا من ساق الهدى.

و قال جابر فى حديثه: لسنا ننوى إلا الحج، لسنا نعرف العمرة، حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا و مشى أربعا، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى [البقرة: ۱۲۵] فجعل المقام بينه و بين البيت، ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ [البقرة: ۱۵۸] أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا، فرقى عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة، فوحد الله و كبره، و قال: «لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده» «۱». ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى انصبت قدماه فى بطن الوادى، حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى إذا كان آخر طواف على المروة قال:

«لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت، لم أسق الهدى و لجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل و ليجعلها عمرة» «۲».

فقام سراقة بن مالك بن جعشم «۳»

- (۳) رقم (۱۹، ۲۰، ۲۱، باب (۱۹) رقم (۱۴۷)، سنن أبى داود (۱۸۱۲، ۱۸۱۳)، سنن الترمذى (۸۲۵)، سنن ابن ماجه (۲۹۱۵، ۲۹۱۸، ۳۰۷۴)، سنن النسائى (۵/ ۱۵۹، ۱۶۰، ۱۶۱)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۶۷، ۴۰۱، ۲/ ۷۷، ۴۰۱، ۳/ ۳۲۰، ۶/ ۱۰۰، ۱۸۱، ۲۳۰، ۲۴۳)، السنن الكبرى للبيهقى (۵/ ۴۴، ۴۵، ۷/ ۴۸)، موطأ مالك (۳۳۱)، الدر المنثور للسيوطى (۱/ ۲۱۹)، فتح البارى لابن حجر (۱/ ۳۶۰)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۲۵۴۱، ۲۵۵۵)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (۳/ ۷۳، ۵/ ۵۵، ۲۸۲، ۶/ ۴۵)، طبقات ابن سعد (۲/ ۱/ ۱۲۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۱۴۳).

(۱) انظر الحديث فى: سنن الدارمى (۲/ ۴۶)، الدر المنثور للسيوطى (۱/ ۲۲۶).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب الحج باب (۱۹) رقم (۱۴۷).

(۳) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۳۱۲۲)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۹۵۵)، الثقات (۳/ ۱۸۰)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۱۰)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۸۴)، تهذيب التهذيب (۳/ ۴۵۶)، تهذيب الكمال (۱/ ۴۶۶)، الكاشف (۱/ ۳۴۹)، الجرح و التعديل (۴/ ۱۳۴۲)، شذرات الذهب (۱/ ۳۵)، الطبقات (۳۴)، الطبقات الكبرى (۹/ ۷۸)، بقى بن مخلد (۱۳۰)، العقد الثمين (۴/ ۵۲۳)، العبر (۱/

۲۷)، الأعلام (۳/ ۸۰)، الأنساب (۷/ ۱۱۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۲

فقال: يا رسول الله، أ لعامنا هذا أم لأبد؟ فشبك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أصابعه واحدة فى الأخرى، و قال: «دخلت العمرة فى الحج مرتين بل لأبد الأبد» «۱».

و قدم على من اليمن ببدن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فوجد فاطمة ممن حل و لبست ثيابا صبيغا و اكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إن أبى أمرنى بهذا، قال: فكان على يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم محرشا على فاطمة للذى صنعت، مستفتيا له فيما ذكرت عنه، فأخبرته أنى نكرت ذلك عليها، فقال: «صدقت صدقت، ما ذا قلت حين فرضت الحج؟» «۲» قال: قلت: اللهم إنى أهل بما أهل به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. قال: فإن معى الهدى فلا تحل، فكان جماعة الهدى الذى قدم به على من اليمن و الذى أتى به النبىّ صلى اللّه عليه و سلم مائة.

فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج، فركب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فصلى بها الظهر و العصر و المغرب و العشاء و الفجر، ثم مكث قليلا- حتى طلعت الشمس، فأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة، فسار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية، فأجاز رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى إذا أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت به بنمرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادى، فخطب الناس.

قال ابن إسحاق «۳»: و مضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على حجه، فأرى الناس مناسكهم،

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح مسلم فى كتاب الحج باب (۱۹) رقم (۱۴۷)، سنن أبى داود فى كتاب المناسک، باب (۲۳)، باب (۵۷)، سنن النسائى فى كتاب الحج باب (۷۶)، سنن الترمذى (۹۳۲)، سنن ابن ماجه (۳۰۷۴)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۳۶، ۲۵۳، ۲۵۹، ۳۴۱، ۴/ ۱۷۵)، سنن الدارمى (۴۷)، السنن الكبرى للبيهقى (۴/ ۳۵۲، ۵/ ۷، ۱۳، ۱۸)، مستدرک الحاكم (۱/ ۶۱۹، ۳/ ۶۱۹)، مجمع الزوائد للهيثمى (۳/ ۲۳۵، ۳۷۸)، المعجم الكبير للطبرانى (۲/ ۱۴۴، ۷/ ۱۴۰، ۱۵۱، ۱۵۴، ۱۱/ ۸۳، ۱۲/ ۲۲۸)، التمهيد لابن عبد البر (۸/ ۳۶۰)، مصنف ابن أبى شيبة (۴/ ۱۰۲)، إرواء الغليل للألبانى (۴/ ۱۵۲)، المطالب العالية لابن حجر (۱۱۰۰)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۱۹۷۵، ۱۱۹۸۳، ۱۲۴۷۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۱۳۵)، الحاوى للفتاوى للسيوطى (۲/ ۵۱)، الكاف الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر (۵۹)، مسند الشافعى (۱۱۲، ۱۹۶)، تاريخ أصبهان لأبى نعيم (۲/ ۱۹۱)، سنن الدارقطنى (۲/ ۲۸۳)، المنتقى لابن الجارود (۴۶۵).

(۲) انظر الحديث فى: المنتقى لابن الجارود (۴۶۹).

(۳) انظر: السيرة (۴/ ۲۲۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۳

و أعلمهم سنن حجهم، و خطب للناس خطبته التى بين فيها ما بين، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس، اسمعوا قولى، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا، أيها الناس، إن دماءكم و أموالكم عليكم حرام؛ إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، و كحرمة شهركم هذا، و إنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، و قد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، و إن كل ربّا موضوع، و لكن لكم رءوس أموالكم، لا تظلمون و لا تظلمون. قضى الله أنه لا- ربا و إن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، و إن كل دم كان فى الجاهلية موضوع، و إن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، و كان مسترضعا فى بنى ليث، فقتلته هذيل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

أما بعد، أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، و لكنه إن يطع فيما سوى ذلك، فقد رضى به مما تحقرون

من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً وَ يُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللَّهُ [التوبة: ۳۷]، و يحرموا ما أحل الله، و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض، إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، [التوبة: ۳۶]. ثلاثة متوالية، و رجب مضر الذى هو بين جمادى و شعبان.

أما بعد، أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقا و لهن عليكم حقا، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، و عليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع و تضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن و كسوتهن بالمعروف، و استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، و إنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، و استحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولى، فإنى قد بلغت و قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا، كتاب الله و سنة نبيه.

أيها الناس، اسمعوا قولى و اعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، و أن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه؛ فلا تظلمن أنفسكم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۴

اللهم هل بلغت؟» فذكر أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اللهم اشهد» «۱».

و فى حديث جابر، أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال للناس فى خطبته: «و أنتم تسألون عنى، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت و أديت و نصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء و ينكبها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات، ثم إذن، ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر، و لم يصل بينهما شيئا، ثم ركب حتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، و جعل جبل المشاة بين يديه. و استقبل القبلة، فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس و ذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص، و أردف أسامة بن زيد خلفه، و دفع و قد شنق القصواء الزمام حتى أرسلها ليصيب مورك رحله، و يقول بيده اليمنى: أيها الناس، السكينة، كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد، ثم أتى المزدلفة فصلى بها المغرب و العشاء بأذان واحد و إقامتين، و لم يسبح بينهما شيئا، ثم اضطجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى طلع الفجر، فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان و إقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعا الله و كبره و هلله و وحده، فلم يزل واقفا حتى اصفر جدا، فدفع قبل أن تطلع الشمس و أردف الفضل بن عباس حتى أتى بطن محر، فحرك قليلا، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصات، يكبر مع كل حصاة منها، رمى من بطن الوادى، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثا و ستين بدنة بيده، ثم أعطى عليا فنحر ما غبروا شركة فى هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت فى قدر فطبخت، فأكلا من لحمها و شربا من مرقها، ثم ركب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى البيت فى قدر فأفاض و صلى بمكة الظهر، فأتى بنى عبد المطلب و هم يسقون على زمزم، فقال: «انزعوا يا بنى عبد المطلب، فلو لا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم» «۲»، فناولوه دلوا، فشرب منه.

و يروى أن ربيعة بن أمية بن خلف هو الذى كان يصرخ فى الناس يقول رسول الله

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (۲/ ۱۴۷/ ۸۸۶- ۸۹۲)، سنن أبى داود (۲/ ۱۹۰۵).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب الحج (۱۴۷)، سنن أبى داود فى كتاب المناسك باب (۵۷)، سنن ابن ماجه (۳۰۷۴)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۷۶)، السنن الكبرى للبيهقى (۵/ ۱۵۷)، سنن الدارمى (۲/ ۴۹)، الدر المنثور للسيوطى (۱/ ۲۲۶)، البداية و النهاية لابن

كثير (۵/ ۱۹۱)، المنتقى لابن جارود (۴۶۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۵

صلى اللّه عليه و سلم و هو بعرفة، يقول له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: قل: «أيها الناس، إن رسول الله يقول: هل تدرون أى شهر هذا؟» فيقوله لهم، فيقولون: الشهر الحرام، فيقول لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا، ثم يقول: قل: أيها الناس، إن رسول الله يقول: «هل تدرون أى بلد هذا؟» قال: فيصرخ به، فيقولون: البلد الحرام، فيقول: قل لهم: «إن الله قد حرم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة بلدكم هذا»، ثم يقول: «قل: يا أيها الناس، إن رسول الله يقول: هل تدرون أى يوم هذا؟» فيقول لهم، فيقولون: يوم الحج الأكبر، فيقول: «قل لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا» «۱».

و قال عمرو بن خارجة: وقفت تحت ناقة النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و إن لعابها ليقع على رأسى، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم واقف بعرفة، فسمعته و هو يقول: «أيها الناس، إن الله قد أدى إلى كل ذى حق حقه، فلا وصية لوارث، و الولد للفراش، و للعاهر الحجر، و من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل الله له صرفا و لا عدلا» «۲».

و لما وقف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعرفة قال: «هذا الموقف، للجبل الذى هو عليه، «و كل عرفة موقف».

و قال حين وقف على قزح صبيحة المزدلفة: «هذا الموقف، و كل المزدلفة موقف».

ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال: «هذا المنحر، و كل منى منحر» «۳».

فقضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الحج، و قد أراهم مناسكهم، و أعلمهم ما فرض عليهم من حجهم: من الموقف، و رمى الجمار، و طواف البيت، و ما أحل لهم فى حجهم، و ما حرم عليهم، فكانت حجة البلاغ، و حجة الوداع، و ذلك أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لم يحج بعدها.

---

(۱) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (۱/ ۴۷۳، ۴۷۴)، مجمع الزوائد للهيثمى (۳/ ۲۷۰).

(۲) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (۴/ ۲۱۲۱)، سنن النسائى (۶/ ۳۶۴۴)، مسند الإمام أحمد (۴/ ۱۸۶، ۲۳۸).

(۳) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (۲/ ۱۹۰۷، ۱۹۳۵)، سنن ابن ماجه (۲/ ۳۰۱۲)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۲۰، ۳۲۱، ۳۲۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶

ذكر مصيبة الأولين و الآخرين من المسلمين بوفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و على آله أجمعين

و لما قفل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من حجة الوداع أقام بالمدينة بقية ذى الحجة و المحرم و صفرا، و ضرب على الناس بعثا إلى الشام، و هو البعث الذى أمر عليه أسامة بن زيد، و أمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء و الداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس، و أوعب مع أسامة المهاجرون الأولون، و كان آخر بعث بعثه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فبينا الناس على ذلك ابتدئ صلوات الله عليه بشكواه الذى قبضه الله فيه إلى ما أراد من رحمته و كرامته فى ليال بقين من صفر أو فى أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدئ به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما ذكر أنه خرج إلى بقيع الغرقد من جوف الليل، فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك.

حدث أبو مويهبة مولى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: بعثنى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من جوف الليل فقال: «يا أبا مويهبة، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معى»، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى»؛ ثم أقبل على

فقال: «یا أبا مویهبة، إنی قد أوتیت مفاتح خزائن الدنیا و الخلد فیها، ثم الجنة، فخیرت بین ذلک و بین لقاء ربی و الجنة»، فقلت: بأبی أنت و أمی فخذ مفاتح خزائن الدنیا و الخلد فیها، ثم الجنة؛ قال: «لا و الله یا أبا مویهبة، لقد اخترت لقاء ربی و الجنة». ثم استغفر لأهل البقیع، ثم انصرف، فبدأ به وجعه الذی قبضه الله فیه «۱».

و قالت عائشة رضی الله عنها: رجع رسول الله صلى اللّه علیه و سلم من البقیع، فوجدنی و أنا أجد صداعا فی رأسی، و أنا أقول: وا رأساه، فقال: «بل أنا و الله یا عائشة، وا رأساه». قالت:

ثم قال: «و ما ضرک لو مت قبلی، فقمت علیک و کفنتک و صلیت علیک و دفنتک؟» فقلت: و الله لکأنی بک لو قد فعلت ذلک لرجعت إلى بیتی فأعرست فیه ببعض نسائک، فتبسم رسول الله صلى اللّه علیه و سلم و تتام به وجعه و هو یدور على نسائه، حتى استعز به و هو فی بیت میمونة، فدعا نساءه فاستأذنهن فی أن یمرض فی بیتی، فأذن له «۲».

---

(۱) انظر الحدیث فی: مستدرک الحاکم (۳/ ۵۵، ۵۶)، دلائل النبوة للبیهقی (۷/ ۱۶۲، ۱۶۳)، سنن الدارمی (۱/ ۷۸).

(۲) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۱۰/ ۵۶۶۶)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۲۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۷

و فی غیر حدیث عائشة أن نساءه صلى اللّه علیه و سلم کن یومئذ تسعا: عائشة بنت أبی بکر الصدیق، و حفصة بنت عمر بن الخطاب، و أم حبیبة بنت أبی سفیان بن حرب، و أم سلمة بنت أبی أمیة بن المغیرة، و زینب بنت جحش، و سودة بنت زمعة القرشیات، و میمونة بنت الحارث بن حزن الهلالیة، و جویریة بنت الحارث بن أبی ضرار المصطلقیة، و صفیة بنت حیی بن أخطب من بنی النضیر.

فهؤلاء التسع هن اللاتی توفی عنهن صلى اللّه علیه و سلم و توفی منهن قبله علیه السلام خدیجة بنت خویلد، وزیرته على الإسلام و أم بنیه و بناته کلهم ما خلا إبراهیم فإنه لسریته ماریة القبطیة، و لم یتزوج علیها رسول الله صلى اللّه علیه و سلم حتى ماتت، و زینب بنت خزیمة من بنی هلال ابن عامر بن صعصعة: و کانت تسمى أم المساکین لرحمتها إیاهم و رقتها علیهم، فزینب هذه و خدیجة توفیتا قبله، و بهما کمل عدد من بنى علیه رسول الله صلى اللّه علیه و سلم من أزواجه ممن اتفق العلماء علیه إحدى عشرة امرأة، توفی منهن عن تسع کما ذکرنا.

و قد عقد علیه السلام على نساء غیرهن، فلم یبن فی المشهور من أقاویل العلماء بواحدة منهن، فاستغنینا لذلک عن ذکرهن.

و نرجع الآن إلى حدیث عائشة زوج النبیّ صلى اللّه علیه و سلم لما استأذن أزواجه أن یمرض فی بیتها فأذن له، قالت: فخرج رسول الله صلى اللّه علیه و سلم یمشی بین رجلین من أهله، أحدهما الفضل بن عباس، و رجل آخر عاصبا رأسه تخط قدماه، حتى دخل بیتی.

و عن ابن عباس: أن الرجل الآخر هو علی بن أبی طالب.

ثم غمر رسول الله صلى اللّه علیه و سلم و اشتد به وجعه، فقال: «هریقوا علی من سبع قرب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إلیهم». فأقعدناه فی مخضب لحفصة بنت عمر، ثم صببنا علیه الماء حتى طفق یقول: «حسبکم حسبکم» «۱».

قال الزهری: حدثنی أبو أیوب بن بشیر أن رسول الله صلى اللّه علیه و سلم خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر، ثم کان أول ما تکلم به أنه صلى على أصحاب أحد و استغفر لهم فأکثر الصلاة علیهم، ثم قال: «إن عبدا من عباد الله خیره الله بین الدنیا و الآخرة، و بین ما عنده، فاختار ما عند الله»، ففهمها أبو بکر و عرف أن نفسه یرید، فبکى و قال: بل نفدیک بأنفسنا و أبنائنا، فقال: «على رسلک یا أبا بکر»، ثم قال: «انظروا هذه الأبواب

---

(۱) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۲۸)، مصنف عبد الرزاق (۵/ ۹۷۵۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۸

اللافظة فی المسجد فسدوها إلا باب أبی بکر، فإنی لا أعلم أحدا کان أفضل فی الصحبة عندی یدا منه» «۱».

و فی روایة: «فإنی لو کنت متخذا من العباد خلیلا لاتخذت أبا بکر خلیلا، و لکن صحبة و إخاء إیمان حتی یجمع الله بیننا عنده».

و عن عروة بن الزبیر و غیره من العلماء أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم استبطأ الناس فی بعث أسامة بن زید و هو فی وجعه، فخرج عاصبا رأسه حتی جلس علی المنبر، و قد کان الناس قالوا فی إمرة أسامة أمر غلاما حدثا علی جلة المهاجرین و الأنصار.

فحمد الله و أثنی علیه بما هو له أهل، ثم قال: «أیها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمری لئن قلتم فی إمارته لقد قلتم فی إمارة أبیه من قبله، و إنه لخلیق للإمارة و إن کان أبوه لخلیق بها» «۲»، ثم نزل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و انکمش الناس فی جهازهم، و استعز برسول الله صلی اللّه علیه و سلم وجعه، فخرج أسامة و خرج جیشه معه حتی نزلوا الجرف من المدینة علی فرسخ، فضرب به عسکره و تتام إلیه الناس، و ثقل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فأقام أسامة و الناس لینظروا ما الله قاض فی رسوله علیه السلام.

و من حدیث عبد الله بن کعب بن مالک أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أوصی بالأنصار یوم صلی و استغفر لأصحاب أحد، و ذکر من أمرهم ما ذکر، فقال یومئذ: «یا معشر المهاجرین، استوصوا بالأنصار خیرا، فإن الناس یزیدون و إن الأنصار علی هیئتها لا تزید، و إنهم کانوا عیبتی التی آویت إلیها، فأحسنوا إلی محسنهم و تجاوزوا عن مسیئهم» «۳»، ثم نزل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و دخل بیته و تتام به وجعه حتی غمر.

و فی الصحیحین من حدیث عبید الله بن عبد الله أنه قال لعائشة رضی الله عنها: أ لا تحدیثنی عن مرض رسول الله صلی اللّه علیه و سلم؟ قالت: بلی، ثقل النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فقال: «أصلی الناس؟» قلنا:

لا، هم ینتظرونک یا رسول الله، قال: «ضعوا لی ماء فی المخضب»، قالت: ففعلنا، فاغتسل ثم ذهب لینوء فأغمی علیه، ثم أفاق، فقال: «أصلی الناس؟» قلنا: لا، هم ینتظرونک یا رسول الله، قال: «ضعوا لی ماء فی المخضب»، قالت: فاغتسل ثم ذهب

---

(۱) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۳/ ۱۸)، صحیح البخاری (۱/ ۴۶۶)، الطبقات الکبری لابن سعد (۲/ ۲۸۸).

(۲) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۷/ ۴۲۵۰)، فتح الباری لابن حجر (۷/ ۷۵۹).

(۳) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۷/ ۳۸۰۰)، مسند الإمام أحمد (۵/ ۲۲۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۹

لینوء فأغمی علیه، ثم أفاق، فقال: «أصلی الناس؟» قلنا: لا، هم ینتظرونک یا رسول الله، قال: «ضعوا لی ماء فی المخضب»، فقعد فاغتسل ثم ذهب لینوء فأغمی علیه، ثم أفاق فقال: «أصلی الناس؟» «۱» قلنا: لا، هم ینتظرونک یا رسول الله عکوف فی المسجد ینتظرون النبیّ صلی اللّه علیه و سلم لصلاة العشاء الآخرة فأرسل النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلی أبی بکر بأن یصلی بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یأمرک أن تصلی بالناس، فقال أبو بکر و کان رجلا رقیقا: یا عمر صل بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلک، فصلی أبو بکر تلک الأیام.

و من حدیث الأسود عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم جاء بلال یؤذنه بالصلاة، فقال: «مروا أبا بکر فلیصل بالناس». قالت: فقلت: یا رسول الله، إن أبا بکر رجل أسیف و إنه متی یقم مقامک لا یسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: «مروا أبا بکر فلیصل بالناس»، قالت: فقلت لحفصة: قولی له: إن أبا بکر رجل أسیف و إنه متی یقم مقامک لا یسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقالت له، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «إنکن لأنتن صواحب یوسف، مروا أبا بکر فلیصل بالناس» «۲»، قالت: فأمروا أبا بکر، فلما دخل فی الصلاة وجد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من نفسه خفة، فقام یهادی بین رجلین و رجلاه تخطان فی الأرض، فلما دخل المسجد و سمع أبو بکر حسه ذهب یتأخر، فأومأ إلیه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

«أقم مکانک»، فجاء رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم حتی جلس عن یسار أبی بکر، فکان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یصلی بالناس جالسا، و أبو بکر قائما، یقتدی أبو بکر بصلاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و یقتدی الناس بصلاة أبی بکر.

و عن عبد الله بن زمعة بن الأسود أنه کان عند رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی نفر من المسلمین لما استعز به و دعاه بلال إلی الصلاة، فقال: «مروا من یصلی بالناس»، قال: فخرجت فإذا عمر فی الناس، و کان أبو بکر غائبا، فقلت: قم یا عمر فصل بالناس، فقام، فلما کبر سمع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم صوته و کان عمر رجلا مجهرا فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «فأین أبو بکر؟

---

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۱/ ۱۷۶)، صحیح مسلم فی کتاب الصلاة (۹۰)، سنن النسائی (۲/ ۱۰۱)، مسند الإمام أحمد (۲/ ۵۲، ۶/ ۲۵۱)، سنن الدارمی (۱/ ۲۸۷)، السنن الکبری للبیهقی (۱/ ۱۲۳، ۸/ ۱۵۱)، کنز العمال للمتقی الهندی (۱۸۸۳۸)، دلائل النبوة للبیهقی (۷/ ۱۹۰)، مصنف ابن أبی شیبة (۲/ ۳۳۱، ۳۳۲، ۱۴/ ۵۶۰، ۵۶۱)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۵/ ۲۳۳)، طبقات ابن سعد (۲/ ۲/ ۱۹).

(۲) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۲۸، ۲۲۹)، صحیح مسلم (۱/ ۹۴، ۳۱۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۰

یأبی الله ذلک و المسلمون، یأبی الله ذلک و المسلمون»، فبعث إلی أبی بکر، فجاء بعد أن صلی عمر تلک الصلاة، فصلی أبو بکر بالناس یرید ما بعد من الصلوات، فقال لی عمر:

ویحک، ما ذا صنعت فی یا ابن زمعة و الله ما ظننت حین أمرتنی إلا أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أمرک بذلک، و لو لا ذلک ما صلیت بالناس. قلت: و الله ما أمرنی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بذلک، و لکنی حین لم أر أبا بکر رأیتک أحق من حضر بالصلاة للناس «۱».

و عن أنس بن مالک قال: آخر نظرة نظرتها إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم کشف الستارة یوم الاثنین و الناس صفوف فی الصلاة، فنظر إلینا و هو قائم کأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ضاحکا، فبهتنا و نحن فی الصلاة من فرح بخروج النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و نکص أبو بکر علی عقبه لیصل الصف، و ظن أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم خارج للصلاة، فأشار إلیهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بیده أن أتموا صلاتکم، ثم دخل فأرخی الستر، فتوفی من یومه ذلک.

و فی روایة عن أنس أن خروج رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی الناس کان و هم یصلون الصبح، و أنه لما رفع الستر و قام علی باب عائشة، فکاد المسلمون یفتتنون فی صلاتهم فرحا به حین رأوه، قال: و تبسم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم سرورا لما رأی من هیئتهم فی صلاتهم، و ما رأیت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أحسن هیئة منه تلک الساعة.

قال: ثم رجع، و انصرف الناس و هم یرون أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قد أفرق من وجعه.

و عن سعید بن جبیر قال: قال ابن عباس: یوم الخمیس و ما یوم الخمیس، ثم بکی، حتی بل دمعه الحصا، قلت: یا ابن عباس، و ما یوم الخمیس؟ قال: اشتد برسول الله صلی اللّه علیه و سلم وجعه، فقال: «ائتونی أکتب لکم کتابا لا تضلوا بعدی»، فتنازعوا و ما ینبغی عند نبی تنازع و قالوا: ما شأنه، أهجر، استفهموه، قال: «دعونی، فالذی أنا فیه خیر، أوصیکم بثلاث، أخرجوا المشرکین من جزیرة العرب، و أجیزوا الوفد بنحو ما کنت أجیزهم».

قال: و سکت عن الثالثة أو قالها فأنسیتها.

و فی حدیث عبید الله بن عبد الله عن ابن عباس أن النبیّ صلی اللّه علیه و سلم لما حضر و فی البیت رجال فیهم عمر بن الخطاب، قال النبیّ صلی اللّه علیه و سلم: «هلم اکتب لکم کتابا لا تضلوا بعده» «۲».

---

(۱) انظر الحدیث فی: مستدرک الحاکم (۳/ ۶۴۱)، سنن أبی داود (۴/ ۴۶۶۰).

(۲) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۷/ ۱۵۶، ۹/ ۱۳۷)، صحیح مسلم فی کتاب الوصیة (۲۲)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۲۴)، طبقات ابن سعد (۲/ ۲/ ۳۷)، فتح الباری لابن حجر (۱۳/ ۳۳۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۱

فقال عمر: إن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قد غلب علیه الوجع، و عندکم القرآن، حسبنا کتاب الله.

فاختلف أهل البیت، منهم من یقول: قوموا یکتب لکم رسول الله کتابا لن تضلوا بعده، و منهم من یقول ما قال عمر، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «قوموا» «۱»، لما أکثروا اللغو و الاختلاف عنده. قال: فکان ابن عباس یقول: إن الرزیة کل الرزیة ما حال بین رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و بین أن یکتب لهم ذلک الکتاب من اختلافهم و لغطهم.

و عن عبد الله بن مسعود قال: نعی إلینا نبینا و حبیبنا نفسه قبل موته بشهر، بأبی هو و نفسی له الفداء، فلما دنا الفراق جمعنا فی بیت أمنا عائشة فنظر إلینا و تشدد و دمعت عیناه، و قال: «مرحبا بکم، حیاکم الله، رحمکم الله، آواکم الله، حفظکم الله، رفعکم الله، نفعکم الله، وفقکم الله، رزقکم الله، هداکم الله، نصرکم الله، سلمکم الله، قبلکم الله، أوصیکم بتقوی الله، و أوصی الله عز و جل بکم و أستخلفه علیکم، و أذکرکم الله و أشهدکم أنی لکم منه نذیر و بشیر أن لا تعلوا علی الله فی عباده و بلاده فإنه عز و جل قال لی و لکم: تِلْکَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِینَ لا یُرِیدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِینَ [الزمر: ۳۲]، و قال: أَ لَیْسَ فِی جَهَنَّمَ مَثْویً لِلْمُتَکَبِّرِینَ [۶۰: الزمر]»، قلنا: متی أجلک یا رسول الله؟ قال: «دنا الأجل و المنقلب إلی الله عز و جل و إلی سدرة المنتهی و إلی جنة المأوی و الفردوس الأعلی و الکأس الأوفی و العیس و الحظ المهنی». قلنا: فمن یغسلک یا رسول الله؟ قال: «رجال أهل بیتی الأدنی فالأدنی»، قلنا: ففیم نکفنک یا رسول الله؟ قال: «فی ثیابی هذه إن شئتم أو فی بیاض مصر أو حلة یمانیة»، قلنا: فمن یصلی علیک یا رسول الله؟ قال: فبکی و بکینا، فقال:

«مهلا غفر الله لکم و جزاکم عن نبیکم خیرا إذا أنتم غسلتمونی و کفنتمونی فضعونی علی شفیر قبری ثم اخرجوا عنی ساعة، فإن أول من یصلی علی خلیلی و جلیسی

---

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۴/ ۲۳۵، ۵/ ۱۳۸، ۶/ ۱۲، ۷/ ۸۹، ۸/ ۱۷۴)، صحیح مسلم فی کتاب الوصیة باب (۵) رقم (۲۲)، و کتاب الأشربة باب (۲۰) رقم (۱۴۰، ۱۴۲، ۱۴۳)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۳۶، ۳/ ۱۵۸، ۲۱۸، ۲۳۲)، السنن الکبری للبیهقی (۴، ۲۷۳)، الدر المنثور للسیوطی (۶/ ۳۸۹)، فتح الباری لابن حجر (۱/ ۵۱۷، ۹/ ۵۲۶، ۱۰/ ۱۲۶، ۱۱/ ۵۷۰)، إتحاف السادة المتقین للزبیدی (۲/ ۲۰۶، ۷/ ۱۸۱)، موطأ مالک (۹۲۷)، مجمع الزوائد للهیثمی (۸/ ۳۰۷)، کنز العمال للمتقی الهندی (۳۵۴۴۴)، مصنف ابن أبی شیبة (۷/ ۴۱۶)، دلائل النبوة للبیهقی (۶/ ۹۰، ۷/ ۱۸۴)، طبقات ابن سعد (۲/ ۲/ ۳۸)، دلائل النبوة لأبی نعیم (۱۳۷، ۱۴۷)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۵/ ۲۲۷)، ۶/ ۱۲۱، ۱۵۴)، مجمع الزوائد للهیثمی (۹/ ۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۲

جبریل، ثم میکائیل، ثم إسرافیل، ثم ملک الموت مع جنوده بأجمعهم مع الملائکة علیهم السلام، ثم ادخلوا علی أفواجا فصلوا علی و سلموا تسلیما، و لا یؤمکم أحد و لا تؤذونی بترکیة و لا نصیحة و لا برنة، و اقرءوا أنفسکم منی السلام، و من کان غائبا من أصحابی فأبلغوه عنی السلام، و أشهدکم أنی قد سلمت علی من دخل فی الإسلام و علی من تابعنی علی دینی من الیوم إلی یوم القیامة». قلنا: فمن یدخلک قبرک یا رسول الله؟ قال:

«رجال أهل بیتی الأدنی فالأدنی مع ملائکة کثیر یرونکم من حیث لا ترونهم» «۱».

و عن الفضل بن عباس أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال له و هو موعوک قد عصب رأسه: «خذ بیدی» «۲». قال: فأخذت بیده

حتى جلس على المنبر، ثم قال: «ناد فى الناس». فصحت فى الناس، فاجتمعوا إليه، فقال: «أما بعد، أيها الناس، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، و إنه قد دنا منى خفوف من بين أظهركم، فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه، و من كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه، و من كنت أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه، و لا يقل رجل: إنى أخشى الشحناء من قبل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ألا-و أن الشحناء ليست من طبيعتى، و لا-من شأنى، ألا-و إن أحبكم إلى من أخذ منى حقا إن كان له أو حللنى، فلقيت الله عز و جل و أنا طيب النفس، و قد أرى أن هذا غير مغن عنى حتى أقوم فيكم مرارا». قال الفضل: ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقالته الأولى فى الشحناء و غيرها، فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن لى عندك ثلاثة دراهم، فقال: «أما إنا لا نكذب قائلا، و لا نستحلفه على يمين، فيم كانت لك عندى؟» «۳» فقال: يا رسول الله، أتذكر يوم مر بك المسكين فأمرتنى فأعطيته ثلاثة دراهم؟ فقال: «أعطه يا فضل» «۴»، ثم قال: «أيها الناس، من كان عنده شىء فليرده و لا يقل رجل: فضوح الدنيا، ألا و إن فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة» «۵». فقام رجل فقال: يا رسول الله، عندى ثلاثة دراهم غللتها فى سبيل الله، قال: «و لم غللتها؟» قال: كنت إليها محتاجا، قال: «خذها منه يا فضل»، ثم قال: «من

---

(۱) انظر الحديث فى: إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۱۰/ ۳۸۶)، المطالب العالية لابن حجر (۴۳۹۲، ۴۳۹۳)، حلية الأولياء لأبى نعيم (۴/ ۱۹۸).

(۲) انظر الحديث فى: السنن الكبرى للبيهقى (۶/ ۷۴)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۲۵)، دلائل النبوة للبيهقى (۷/ ۱۷۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۲۳۱).

(۳) انظر الحديث فى: ميزان الاعتدال (۶۸۵۵)، المعجم الكبير للطبرانى (۱۸/ ۲۸۱).

(۴) انظر الحديث فى: السنن الكبرى للبيهقى (۶/ ۷۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۲۳۱).

(۵) انظر الحديث فى: جمع الجوامع للسيوطى (۹۵۷۰)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۱۰۵۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۳

خشى من نفسه شيئا فليقم أدع له»، فقام رجل فقال: يا رسول الله، إنى لكذوب، و إنى لفاحش، و إنى لنئوم. فقال: «اللهم ارزقه الصدق و أذهب عنه النوم إذا أراد». ثم قال رجل فقال: و الله يا رسول الله إنى لكذاب و إنى لمنافق و ما شىء أو إن شىء إلا قد جئته. فقام عمر بن الخطاب فقال: فضحت نفسك أيها الرجل، فقال النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: «يا ابن الخطاب، فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة، اللهم ارزقه صدقا و إيمانا و صير أمره إلى خير».

فقال عمر كلمة، فضحك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: «عمر معى و أنا مع عمر و الحق بعدى مع عمر حيث كان» «۱».

و عن عائشة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات و ينفث، قالت: فلما اشتد وجعه كنت أنا أقرأ عليه و أمسح عنه بيمينه رجاء بركتها.

و عنها قالت: ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لا أغبط أحدا بهون موت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و قالت رضى الله عنها: رأيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو بالموت و عنده قدح فيه ماء و هو يدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه صلى اللّه عليه و سلم بالماء، ثم يقول: «اللهم أعنى على منكرات الموات أو سكرات الموت» «۲».

و عنها، و عن عبد الله بن عباس أيضا قالا: لما نزل برسول الله صلى اللّه عليه و سلم طفق يلقى خميصة على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال و هو كذلك: «لعنة الله على اليهود و النصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» «۳». يحذرهم مثل ما صنعوا.

و عن أسامة بن زيد قال: لما ثقل النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و هبطت و هبط الناس معى إلى المدينة يعنى

(۱) انظر الحديث فى: المعجم الكبير للطبرانى (۱۸/ ۲۸۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۲۶).

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۶/ ۶۴، ۷۰، ۷۷، ۱۵۱)، سنن ابن ماجه (۱۶۲۳)، الدر المنثور للسيوطى (۶/ ۱۰۵)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۱۵۶۴)، فتح البارى لابن حجر (۸/ ۱۴۰، ۱۱/ ۳۶۲)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۸۸۳۶)، طبقات ابن سعد (۲/ ۲/ ۴۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۲۳۹).

(۳) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۱/ ۱۱۹، ۴/ ۲۰۶، ۶/ ۱۴، ۷/ ۱۰۹)، صحيح مسلم فى كتاب المساجد باب (۳) رقم (۲۲)، سنن النسائى (۲/ ۴۰)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۷۵، ۲۹۹)، دلائل النبوة للبيهقى (۷/ ۲۰۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۲۳۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۴

الجيش الذى كان تهيأ للخروج معه فى بعثه قال: فدخلت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و قد أصمت فلا يتكلم، و جعل يرفع يديه إلى السماء، ثم يضعهما على، أعرف أنه يدعو لى.

و ذكر ابن إسحاق «۱»: من حديث أبى بكر بن عبد الله بن أبى مليكة أن مما تكلم به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم للناس يوم صلى قاعدا عن يمين أبى بكر أن قال لهم لما فرغ من الصلاة و أقبل عليهم فكلمهم رافعا صوته حتى خرج صوته من باب المسجد، يقول: «يا أيها الناس، سعرت النار، و أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، إنى و الله ما تمسكون على بشىء، إنى لم أحل إلا ما أحل القرآن، و لم أحرم إلا ما حرم القرآن».

قال: فلما فرغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من كلامه قال له أبو بكر: يا رسول الله، إنى أراك قد أصبحت بنعمة من الله و فضل كما نحب، و اليوم يوم بنت خارجة، أ فآتيها؟ قال: «نعم»، ثم دخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و خرج أبو بكر إلى أهله بالسنح «۲».

و عن عبد الله بن عباس قال: خرج يومئذ على بن أبى طالب رضى الله عنه على الناس من عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال له الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟

قال: أصبح بحمد الله بارئا. قال: فأخذ العباس بيده، ثم قال: يا على، أنت و الله عبد العصا، بعد ثلاث مرات، أحلف بالله لقد رأيت الموت فى وجه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب، فانطلق بنا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، و إن كان فى غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس. فقال على: إنى و الله لا أفعل، و الله لئن منعناه لا يؤتيناه أحد بعده، فتوفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين اشتد الضحى من ذلك اليوم.

و قالت عائشة رضى الله عنها: رجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى ذلك اليوم حين دخل المسجد فاضطجع فى حجرى، فدخل على رجل من آل أبى بكر و فى يده سواك أخضر، فنظر إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى يده نظرا عرفت أنه يريده، فقلت: يا رسول الله، أ تحب أن أعطيك هذا السواك؟ قال: «نعم»، قالت: فأخذته فمضغته له حتى لينته، ثم أعطيته إياه؛ قالت: فاستن به كأشد ما رأيته استن بسواك قط، ثم وضعه؛ و وجدت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يثقل فى حجرى، فذهبت أنظر فى وجهه، فإذا بصره قد شخص و هو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة» «۳»؛ قالت: فقلت: خيرت فاخترت و الذى بعثك بالحق.

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۷۸).

(۲) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۷/ ۲۰۱).

(۳) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۷۴)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۱۰/ ۲۸۸، ۲۹۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۵

و قالت: كان عليه السلام كثيرا ما أسمعه يقول: «إن الله لم يقبض نبيا حتى يخيره»، فلما حضر كان آخر كلمة سمعتها منه و هو يقول:

«بل الرفيق الأعلى من الجنة» فقلت:

إذا و الله لا يختارنا، و عرفت أنه الذى كان يقول لنا: «إن نبيا لم يقبض حتى يخير» «۱».

قالت: و قبض رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و عن أنس بن مالك قال: لما وجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من كرب الموت ما وجد قالت فاطمة، وا كرباه لكربك يا أبة، فقال النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: «لا كرب على أبيك بعد اليوم، إنه قد حضر من أبيك ما ليس بتارك منه أحدا لموافاة يوم القيامة» «۲».

و قالت عائشة رضى الله عنها: كان آخر ما عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن قال: «لا يترك بجزيرة العرب دينان» «۳».

و قالت أم سلمة: كان عامة وصية رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عند موته: «الصلاة و ما ملكت أيمانكم» «۴»، حتى جعل يلجلجها فى صدره، و ما يقبض بها لسانه.

و قال أنس بن مالك: شهدته يوم توفى صلى اللّه عليه و سلم فلم أر يوما كان أقبح منه.

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۶/ ۴۵، ۴۸، ۷۴، ۸۹، ۱۰۸، ۱۲۰، ۱۲۶)، صحيح مسلم (۴/ ۱۸۹۳/ ۸۵).

(۲) انظر الحديث فى: سنن ابن ماجه (۱۶۲۹)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۱۰/ ۲۶۳)، دلائل النبوة للبيهقى (۷/ ۲۱۲)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۸۸۱۸، ۱۸۸۲۰)، تاريخ أصفهان (۲/ ۲۲۱).

(۳) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۵/ ۳۲۵)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۷۵).

(۴) انظر الحديث فى: سنن ابن ماجه (۱۶۲۵، ۲۶۹۷، ۲۶۹۸)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۱۱۷)، مجمع الزوائد للهيثمى (۴/ ۲۳۷)، طبقات ابن سعد (۲/ ۲/ ۴۴)، شرح السنة للبغوى (۹/ ۳۵۰)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۱۰/ ۲۹۷)، الترغيب و الترهيب للمنذرى (۳/ ۲۱۵)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۸۸۶۳)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۳۳۵۶، ۳۳۵۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۲۳۸)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (۴/ ۲۴۰)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۲/ ۲۳۶)، المغنى عن حمل الأسفار للعراقى (۲/ ۴۴)، مشكل الآثار للطحاوى (۴/ ۲۳۵، ۲۳۶)، تفسير ابن كثير (۸/ ۳۱۴)، علل الحديث لابن أبى حاتم الرازى (۳۰۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶

و قالت عائشة: توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بين سحرى و نحرى، و فى دولتى «۱»، لم أظلم فيه أحدا، فمن سفهى و حداثة سنى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبض و هو فى حجرى، ثم وضعت رأسه على وسادة، و قمت التدم مع النساء، و أضرب وجهى «۲».

و اختلف أهل العلم بهذا الشأن فى اليوم الذى توفى فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من الشهر بعد اتفاقهم على أنه توفى يوم الاثنين فى شهر ربيع الأول.

فذكر الواقدى و جمهور الناس أنه توفى يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول لتمام عشر سنين من مقدمه المدينة، و هذا لا يصح، و قد جرى فيه على العلماء من الغلط ما علينا بيانه، و ذلك أن المسلمين قد أجمعوا على أن وقفة النبىّ صلى اللّه عليه و سلم بعرفة فى حجة الوداع كانت يوم الجمعة تاسع ذى الحجة من سنة عشر، فاستهل هلال ذى الحجة على هذا ليلة الخميس، ثم لا يخلو شهر ذى الحجة و المحرم بعده من سنة إحدى عشرة ثم صفر بعده أن تكون هذه الأشهر الثلاثة كاملة كلها أو ناقصة كلها، أو اثنان منها كاملين و واحد ناقصا، أو اثنان منها ناقصين و واحد كاملا، و أيا ما قدرت من ذلك و اعتبرته لم تجد الثانى عشر من ربيع الأول يكون يوم الاثنين أصلا.

و ذكر أبو جعفر الطبرى بإسناد يرفعه إلى فقهاء أهل الحجاز، قالوا: قبض رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نصف النهار يوم الاثنين

للیلتین مضتا من شهر ربیع الأول.

و هـذا القول و إن خـالف مـا ذکره جهور العلماء فإنه أولی بالصواب، و أمکن أن یکون حقا، فإنه إن کانت الأشـهر الثلاثـة کل شـهر منها من تسعة و عشرین یوما کان استهلال شهر ربیع الأول علی ذلک بالأحد فکان یوم الاثنین ثانیه.

و قـد حکی الخوارزمی أنه صـلی اللّه علیه و سـلم توفی أول یوم من شـهر ربیع الأول، و هـذا أیضا أمکن و أکثر إذ اتصال النقص فی ثلاثة أشهر لا یکون إلا قلیلا، و الله تعالی أعلم.

و لما توفی رسول الله صـلی اللّه علیه و سلم و ارتفعت الرنة علیه و سجته الملائکة دهش الناس کما روی عن غیر واحد من الصحابة و طاشت عقولهم، و أفحموا، و اهتلطوا، فمنهم من خبل، و منهم من أصمت، و منهم من أقعد إلی الأرض، فکان عمر رضی الله عنه ممن خبل، فجعل یصیح و یقول: إن رجالا من المنافقین یزعمون أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم توفی و إنه و الله ما مات، و لکنه ذهب إلی ربه کما ذهب موسی بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعین

---

(۱) فی دولتی: أی فی نوبتها.

(۲) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۶/ ۴۸/ ۱۲۱، ۲۰۰، ۲۷۴)، صحیح البخاری (۳/ ۱۳۸۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۷

لیلـة ثم رجع إلیهم بعـد أن قیـل: قـد مـات، و الله لیرجعن رسول الله صـلی اللّه علیه و سـلم کما رجع موسـی، فلیقطعن أیـدی رجال و أرجلهم زعموا أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مات.

و أما عثمان بن عفان رضی الله عنه فأخرس حتی جعل یذهب به و یجاء و لا یتکلم.

و أقعد علی رضی الله عنه فلم یستطع حراکا. و أضنی عبد الله بن أنیس.

و بلغ الخبر أبـا بکر رضـی الله عنه و هو بالسـنح فجاء و عینـاه تهملان و زفراته تترد فی صـدره و غصـصه ترتفع کقطع الجرة و هو فی ذلک رضوان الله علیه جلد العقل و المقالة، حتی دخل علی رسول الله صـلی اللّه علیه و سلم فأکب علیه و کشف عن وجهه و مسحه و قبـل جبینه و جعـل یبکی و یقول: بـأبی أنت و أمی طبت حیـا و میتـا، و لنقطع لموتـک ما لم ینقطع لموت أحـد من الأنبیاء من النبوة، فعظمت عن الصـفة، و جللت عن البکـاء، و خصـصت حتی صـرت مسـلاة، و عممت حتی صـرنا فیـک سواء، و لو لاـ أن موتک کان اختیـارا لجـدنا لموتـک بـالنفوس، لو لاـ أنـک نهیت عن البکـاء لأنفـذنا علیک ماء الشون، فأما ما لا نسـتطیع نفیه عنا فکمـد و أدناف یتخالفان لا یبرحان، اللهم فأبلغه عنا، اذکرنا یا محمـد عند ربک و لنکن من بالک، فلو لا ما خلفت من السـکینة لم نقم لما خلفت من الوحشـة، اللهم أبلغ نبیـک عنـا و احفظه فینـا. ثم خرج إلی النـاس و هم فی عظیم غمراتهم و شدیـد سـکراتهم فقام فیهم بخطبـة جلها الصلاة علی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و قال فیها: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له، و أشهد أن محمد عبده و رسوله و خاتم أنبیائه، و أشهد أن الکتاب کما نزل و أن الدین کما شرع، و أن الحدیث کما حدث، و أن القول کما قال، و أن الله هو الحق المبین ... فی کلام طویل، ثم قال:

أیها الناس، من کان یعبـد محمـدا فإن محمـدا قد مات، و من کان یعبد الله فإن الله حی لا یموت، و إن الله قد تقدم إلیکم فی أمره فلا تدعوه جزعا، قال الله تبارک و تعالی:

وَ مـا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَـدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُـلُ أَ فَإِنْ مـاتَ أَوْ قُتِـلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ وَ مَنْ یَنْقَلِبْ عَلی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُـرَّ اللَّهَ شَـیْئاً وَ سَیَجْزِی اللَّهُ الشَّاکِرِیـنَ [آل عمران: ۱۴۴]. و إن الله سـبحانه قـد اختار لنبیه صـلی اللّه علیه و سـلم ما عنده علی ما عندکم، و قبضه إلی ثوابه، و خلف فیکم کتـابه و سـنة نبیه، فمن أخـذ بهمـا عرف و من فرق بینهما أنکر، یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُونُوا قَوَّامِینَ بِالْقِسْطِ [النساء: ۱۳۵] و لا یشغلنکم الشیطان بموت نبیکم، و لا یلفتنکم عن دینکم، فعاجلوا الشیطان بالخزی تعجزوه و لا تستنظروه فیلحق بکم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۸

فلما فرغ من خطبته التفت إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: يا عمر، أنت الذى بلغنى عنك أنك تقول على باب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: و الذى نفس عمر بيده ما مات نبى الله أ ما علمت أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال يوم كذا: كذا و كذا، و قال يوم كذا: كذا و كذا، و قال الله تعالى فى كتابه: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [۳۰: الزمر]. فقال عمر: و الله لكأنى لم أسمع بها فى كتاب الله تعالى قبل ذلك لما نزل بنا، أشهد أن الكتاب كما نزل و أن الحديث كما حدث و أن الله تبارك و تعالى حى لا يموت، صلوات الله على رسوله، و عند الله نحتسب رسوله.

و فى بعض سياق هذا الخبر أن أبا بكر رضى الله عنه لما دخل على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى بيت عائشة و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مسجى فى ناحية البيت عليه برد حبرة، أقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم أقبل عليه فقبله، ثم قال: بأبى أنت و أمى، أما الموتة التى كتبها الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا، ثم رد البرد على وجه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم خرج و عمر يكلم الناس، فقال: يا عمر، أنصت. فأبى إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل يكلم الناس، فلما سمع الناس كلام أبى بكر أقبلوا عليه و تركوا عمر؛ فحمد الله أبو بكر و أثنى عليه، ثم قال:

يا أيها الناس، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، و من كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت، ثم تلا هذه الآية: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ [آل عمران: ۱۴۴] إلى آخر الآية.

قال: فو الله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ؛ و أخذها الناس عن أبى بكر، فإنما هى فى أفواههم.

و قال عمر رضى الله عنه: و الله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرت «۱» حتى وقعت إلى الأرض، ما تحملنى رجلاى، و عرفت أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد مات «۲».

و قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما كان منه يومئذ:

لعمرى لقد أيقنت أنك ميتو لكنما أبدى الذى قلته الجزع

و قلت يغيب الوحى عنا لفقده كما غاب موسى ثم يرجع كما رجع

و كان هواى أن تطول حياته و ليس لحى فى بقا ميت طمع

---

(۱) عقرت: أى دهشت و تحيرت.

(۲) انظر الحديث فى: صحيح البخارى فى كتاب فضائل الصحابة (۷/ ۳۶۶۷- ۳۶۶۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹ فلما كشفنا البرد عن حر وجهه إذا الأمر بالجدع الموعب قد وقع

فلم تك لى عند المصيبة حيلة أرد بها أهل الشماتة و القذع

سوى إذن الله الذى فى كتابه و ما أذن الله العباد به يقع

و قد قلت من بعد المقالة قولة لها فى حلوق الشامتين به بشع

ألا إنما كان النبىّ محمد إلى أجل وافى به الموت فانقطع

ندين على العلات منا بدينه و نعطى الذى أعطى و نمنع ما منع

و وليت محزونا بعين سخينة أكفكف دمعى و الفؤاد قد انصدع

و قلت لعينى كل دمع ذخرته فجودى به إن الشجى له دفع و ذكر ابن إسحاق «۱» بإسناد يرفعه إلى عبد الله بن عباس قال: إنى لأمشى مع عمر فى خلافته و هو عامد إلى حاجة له، و فى يده الدرة ما معه غيرى، و هو يحدث نفسه و يضرب و خشى قدمه بدرته، إذ التفت إلى فقال: يا ابن عباس، هل تدرى ما حملنى على مقالتى التى قلت حين توفى الله و رسوله صلى اللّه عليه و سلم؟ قال: قلت: لا أدرى

یا أمیر المؤمنین؛ أنت أعلم. قال: فإنه و الله، إن حملنی على ذلک إلا أنی کنت أقرأ هذه الآیة: وَ کَذلِکَ جَعَلْناکُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ وَ یَکُونَ الرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَهِیداً [۱۴۳: البقرة]، فو الله إن کنت لأظن أن رسول الله صلى الله علیه و سلم سیبقى فی أمته حتى یشهد علیها بآخر أعمالها، فإنه للذى حملنى على أن قلت ما قلت «۲».

و ذکر موسى بن عقبة أن المقام الذى قام به أبو بکر رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى اللّه علیه و سلم و بعد الذى کان من عمر من القول هو أنه خرج سریعا إلى المسجد من بیت رسول الله صلى اللّه علیه و سلم یتوطأ رقاب الناس حتى جاء المنبر و عمر یکلم الناس و یوعد من زعم أن رسول الله صلى اللّه علیه و سلم مات، فجلس عمر حین رأى أبا بکر مقبلا، فقام أبو بکر على المنبر فنادى الناس أن اجلسوا و أنصتوا، فتشهد بشهادة الحق، ثم قال: إن الله قد نعى نبیکم لنفسه و هو حی بین أظهرکم، و نعى لکم أنفسکم، فهو الموت حتى لا یبقى أحد إلا الله، یقول الله عز و جل: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِکُمْ وَ مَنْ یَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّ اللّهَ شَیْئاً وَ سَیَجْزِی اللّهُ الشّاکِرِینَ [۱۴۴: آل عمران].

و قال: إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ [۳۰: الزمر]

---

(۱) انظر: السیرة (۴/ ۲۸۶).

(۲) أخرجه الطبرى فى تاریخه (۲/ ۲۳۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۰

و قال: کُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران: ۳۵، الأنبیاء، ۵۷].

و قال: کُلُّ شَیْءٍ هالِکٌ إِلّا وَجْهَهُ [القصص: ۸۸]. و قال: کُلُّ مَنْ عَلَیْها فانٍ وَ یَبْقى وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِکْرامِ [الرحمن: ۲۶].

ثم قال: إن الله عمر محمدا و أبقاه حتى أقام دین الله و أظهر أمر الله و بلغ رسالة الله و جاهد أعداء الله حتى توفاه الله صلوات الله علیه و هو على ذلک و ترکتم على الطریقة، فلا یهلک هالک إلا من بعد البینة، فمن کان الله ربه فإن الله حی لا یموت فلیعبده، و من کان یعبد محمدا أو یراه، إلها فقد هلک إلهه، فأفیقوا أیها الناس و اعتصموا بدینکم و توکلوا على ربکم، فإن دین الله قائم، و إن کلمته باقیة، و إن الله ناصر من نصره و معز دینه.

و إن کتاب الله بین أظهرنا هو النور و الشفاء و به هدى الله محمدا، و فیه حلال الله و حرامه، لا و الله ما نبالی من أجلب علینا من خلق الله، إن سیوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد، و لنجاهدن من خالفنا کما جاهدنا مع رسول الله صلى اللّه علیه و سلم فلا یبقین أحد إلا على نفسه.

ثم انصرف و انصرف المهاجرون معه.

بیعة أبی بکر رضی الله عنه و ما کان من تحیز الأنصار إلی سعد بن عبادة فی سقیفة بنی ساعدة، و منتهی أمر المهاجرین معهم

قال ابن إسحاق «۱»: و لما قبض رسول الله صلى اللّه علیه و سلم انحاز هذا الحی من الأنصار إلى سعد بن عبادة فی سقیفة بنی ساعدة، و اعتزل على بن أبی طالب و الزبیر بن العوام و طلحة بن عبید الله فی بیت فاطمة، و انحاز بقیة المهاجرین إلى أبی بکر، و انحاز معهم أسید بن حضیر فی بنی عبد الأشهل، فأتى آت إلى أبی بکر فقال: إن هذا الحی من الأنصار مع سعد بن عبادة فی سقیفة بنی ساعدة قد انحازوا إلیه، فإن کان لکم بأمر الناس حاجة فأدرکوا الناس من قبل أن یتفاقم أمرهم و رسول الله صلى اللّه علیه و سلم فی بیته لم یفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله. قال عمر: فقلت لأبی بکر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من

---

(۱) انظر: السیرة (۴/ ۲۸۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۱

الأنصار حتی ننظر ما هم علیه. قال: و کان من حدیث السقیفة حین اجتمعت بها الأنصار أن عبد الله بن عباس قال: أخبرنی عبد الرحمن بن عوف و کنت فی منزله بمنی أنتظره، و هو عند عمر فی آخر حجة حجها عمر قال: فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر فوجدنی فی منزله أنتظره، و کنت أقرئه القرآن، فقال لی: لو رأیت رجلا أتی أمیر المؤمنین فقال: یا أمیر المؤمنین، هل لک فی فلان یقول: و الله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بایعت فلانا، و الله ما کانت بیعة أبی بکر إلا فلتة فتمت. قال: فغضب عمر فقال: إنی إن شاء الله لقائم العشیة فی الناس، فمحذرهم هؤلاء الذین یریدون أن یغصبوهم أمرهم. ثم قال عبد الرحمن: فقلت: یا أمیر المؤمنین لا تفعل، إن الموسم یجمع رعاع الناس و غوغاءهم و إنهم هم الذین یغلبون علی قربک حین تقوم فی الناس، و إنی أخشی أن تقوم فتقول مقالة یطیر بها أولئک عنک کل مطیر و لا یعودها و لا یضعوها علی موضعها، فأمهل حتی تقدم المدینة فإنها دار السنة و تخلص بأهل الفقه و أشراف الناس فتقول ما قلت بالمدینة متمکنا، فیعی أهل الفقه مقالتک، و یضعونها موضعها. فقال عمر: أما و الله إن شاء الله لأقومن بذلک أول مقام أقومه بالمدینة.

قال ابن عباس «۱»: فقدمنا المدینة فی عقب ذی الحجة، فلما کان یوم الجمعة عجلت الرواح حین زاغت الشمس فأجد سعید بن زید بن عمرو بن نفیل جالسا إلی رکن المنبر، فجلست حذوه تمس رکبتی رکبته، فلم أنشب أن خرج عمر، فلما رأیته مقبلا قلت لسعید بن زید: لیقولن العشیة علی هذا المنبر مقالة لم یقلها منذ استخلف؛ قال:

فأنکر علی سعید بن زید ذلک. قال: و ما عسی أن یقول مما لم یقل قبله، فجلس عمر علی المنبر، فلما سکت المؤذن قام فأثنی علی الله بما هو له أهل، ثم قال: أما بعد، فإنی قائل لکم مقالة قد قدر لی أن أقولها و لا أدری لعلها بین یدی أجلی، فمن عقلها و وعاها فلیأخذنها حیث انتهت به راحلته، و من خشی أن لا یعیها فلا یحل لأحد أن یکذب علی؛ إن الله بعث محمدا صلی اللّه علیه و سلم و أنزل علیه الکتاب، فکان مما أنزل علیه آیة الرجم، فقرأناها و علمناها و وعیناها، و رجم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و رجمنا بعده، فأخشی إن طال بالناس زمان أن یقول قائل: و الله ما نجد الرجم فی کتاب الله، فیضلوا بترک فریضة أنزلها الله، و إن الرجم فی کتاب الله حق علی من زنی إذا أحصن من الرجال و النساء، إذا قامت البینة، أو کان الحبل أو الاعتراف؛ ثم إنا قد کنا نقرأ فیما نقرأ من الکتاب: «لا ترغبوا عن آبائکم فإنه کفر بکم» أو «کفر بکم أن ترغبوا عن آبائکم»، ألا إن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم

---

(۱) انظر: السیرة (۴/ ۲۸۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۲

قال: «لا تطرونی کما أطری عیسی ابن مریم، و قولوا: عبد الله و رسوله» «۱»؛ ثم إنه قد بلغنی أن فلانا قال: لو و الله قد مات عمر بایعت فلانا، فلا یغرن امرأ أن یقول: إن بیعة أبی بکر کانت فلتة فتمت، و إنها قد کانت کذلک إلا أن الله قد وقی شرها، و لیس فیکم من تنقطع الأعناق إلیه مثل أبی بکر، فمن بایع رجلا من غیر مشورة من المسلمین فإنه لا بیعة له هو و لا الذی بایعه، تغرة أن یقتلا، إنه کان من خبرنا حین توفی الله نبیه صلی اللّه علیه و سلم أن الأنصار خالفوا فاجتمعوا بأشرافهم فی سقیفة بنی ساعدة، و تخلف عنا علی بن أبی طالب و الزبیر بن العوام و من معهما، و اجتمع المهاجرون إلی أبی بکر، فقلت لأبی بکر: انطلق بنا إلی إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم حتی لقینا منهم رجلان صالحان، فذکرا لنا ما تمالأ علیه القوم، فقالا: أین تریدون یا معشر المهاجرین؟ قلنا: نرید إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: فلا علیکم أن لا تقربوهم یا معشر المهاجرین، اقضوا أمرکم. قال: قلت: و الله لنأتینهم. فانطلقنا حتی أتیناهم فی سقیفة بنی ساعدة، فإذا بین ظهرانیهم رجل مزمل، فقلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ فقالوا: وجع. فلما جلسنا تشهد خطیبهم فأثنی علی الله بما هو له أهل، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله و کتیبة الإسلام، و أنتم یا معشر المهاجرین رهط منا، و قد دفت دافة من قومکم.

قال: و إذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا و يغصبونا الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم و قد زورت فى نفسى مقالة قد أعجبتنى، أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر، و كنت أدارى منه بعض الحد، فقال أبو بكر: على رسلك يا عمر. فكرهت أن أعصيه، فتكلم، و هو كان أعلم منى و أوقر، فو الله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديهته أو مثلها أو أفضل منها حتى سكت.

قال: أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، و لن تعرف العرب هذا الأمر إلا هذا الحى من قريش، هم أوسط العرب نسبا و دارا، و قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، و أخذ بيدى و بيد أبى عبيدة بن الجراح و هو جالس بيننا، و لم أكره شيئا مما قال غيرها، كان و الله أن أقدم فتضرب عنقى لا يقربنى ذلك إلى إثم أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر.

قال: فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب، منا أمير و منكم

---

(۱) انظر الحديث فى: سنن الدارمى (۲/ ۲۷۸۴)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۳، ۲۴، ۴۷، ۵۵)، مصنف عبد الرزاق (۱۱/ ۲۰۵۲۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۳

أمير يا معشر قريش. قال: فكثر اللغط و ارتفعت الأصوات، حتى تخوفت الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته و بايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار، و نزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. فقلت: قتل الله سعد ابن عبادة.

و ذكر ابن إسحاق «۱» عن الزهرى عن عروة أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة هو عويم بن ساعدة، و هو الذى قال فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما سئل:

من الذين قال الله لهم: رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ [التوبة:

۱۰۸]، فقال عليه السلام: «نعم المرء منهم عويم بن ساعدة، و أما الرجل الآخر فهو:

معن بن عدى» «۲»، و يقال: إنه لما بكى الناس على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين توفاه الله و قالوا:

و الله لوددنا أن متنا قبله، إنا نخشى أن نفتتن بعده، قال معن بن عدى: لكنى و الله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا، و قتل رحمه الله شهيدا اليمامة.

و ذكر ابن عقبة أنهم لما توجهوا إلى سقيفة بنى ساعدة و أراد عمر أن يتكلم و يسبق بالقول و يمهد لأبى بكر و يتهدد من هناك من الأنصار، و قال عمر: خشيت أن يقصر أبو بكر رضى الله عنه عن بعض الكلام و عن ما أجد فى نفسى من الشدة على من خالفنا زجره أبو بكر رضى الله عنه فقال: على رسلك فستكفى الكلام إن شاء الله تعالى، ثم سوف تقول بعدى ما بدا لك، فتشهد أبو بكر، و أنصت القوم، ثم قال:

بعث الله محمدا بالهدى و دين الحق، فدعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى الإسلام فأخذ الله بقلوبنا و نواصينا إلى ما دعانا إليه، فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاما، و نحن عشيرته و أقاربه، و ذوو رحمه، فنحن أهل النبوة و أهل الخلافة و أوسط الناس أنسابا فى العرب، ولدتنا العرب كلها، فليست منها قبيلة إلا لقريش فيها ولادة، و لن تعترف العرب و لا تصلح إلا على رجل من قريش، هم أصبح الناس وجوها، و أبسطه ألسنا، و أفضله قولا، فالناس لقريش تبع، فنحن الأمراء، و أنتم الوزراء، و هذا الأمر بيننا و بينكم قسمة إلا بلمه، و أنتم يا معشر الأنصار إخواننا فى كتاب الله و شركاؤنا فى الدين و أحب الناس إلينا، و أنتم الذين آووا و نصروا، و أنتم أحق الناس أن لا تحسدوهم على خير أتاهم الله إياه، فأنا أدعوكم إلى أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب و أبى عبيدة

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۸۵).

(۲) انظر الحديث فى: طبقات ابن سعد (۳/ ۲/ ۳۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۴

ابن الجراح و وضع يديه عليهما، و كان قائما بينهما فكلاهما قد رضيته للقيام بهذا الأمر، و رأيته أهلا لذلك.

فقال عمر و أبو عبيدة: ما ينبغى لأحد بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يكون فوقك يا أبا بكر، أنت صاحب الغار مع رسول الله، و ثانى اثنين، و أمرك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين اشتكى فصليت بالناس، فأنت أحق بهذا الأمر.

قالت الأنصار: و الله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم، و ما خلق الله قوما أحب إلينا و لا أعز علينا منكم، و لا أرضى عندنا هديا، و لكنا نشفق بعد اليوم، فلو جعلتم اليوم رجلا- منكم فإذا مات أخذنا رجلا من الأنصار فجعلناه، فإذا مات أخذنا رجلا من المهاجرين فجعلناه، فكنا كذلك أبدا ما بقيت هذه الأمة بايعناكم و رضينا بذلك من أمركم، و كان ذلك أجدر إن يشفق القرشى إن زاغ أن ينقض عليه الأنصارى، و أن يشفق الأنصارى إن زاغ أن ينقض عليه القرشى.

فقال عمر: لا ينبغى هذا الأمر و لا يصلح إلا لرجل من قريش، و لن ترضى العرب إلا به، و لن تعرف العرب الإمارة، إلا له، و لن تصلح إلا عليه، و الله لا يخالفنا أحد إلا قتلناه.

فقام الحباب بن المنذر من بنى سلمة «۱»، فقال: منا أمير و منكم أمير يا معشر قريش، أنا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب، دفت علينا منكم دافة أرادوا أن يخرجونا من أصلنا و يختصونا من هذا الأمر، و إن شئتم كررناها جزعة.

فكثر القول حتى كادت الحرب تقع بينهم، و أوعد بعضهم بعضا، ثم تراد المسلمون و عصم الله لهم دينهم، فرجعوا بقول حسن، و سلموا الأمر لله و عصوا الشيطان، و وثب عمر فأخذ بيد أبى بكر و قام أسيد بن حضير الأشهلى «۲» و بشير بن سعد أبو النعمان بن

---

(۱) انظر ترجمته فى: الأنساب (۳/ ۲۷۸)، الإصابة ترجمة رقم (۱۵۵۷)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۰۲۳).

(۲) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۱۸۵)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۷۰)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۱)، الثقات (۳/ ۶)، الإكمال (۲/ ۴۸۲)، تهذيب الكمال (۱/ ۱۱۳)، الطبقات (۷۷)، تقريب التهذيب (۱/ ۷۸)، بقى بن مخلد (۱۳۶)، خلاصة تذهيب الكمال (۱/ ۹۸)، الوافى بالوفيات (۹/ ۲۵۸، ۱/ ۳۲۸)، تهذيب التهذيب (۱/ ۳۴۷)، الكاشف (۱/ ۱۳۳)، الجرح و التعديل (۲/ ۱۱۶۳)، التاريخ الكبير (۲/ ۴۷)، البداية و النهاية (۷/ ۱۰۱)، الأنساب (۱/ ۲۷۸).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۲،ص:۵۵

بشير «۱» يستبقان ليبايعا أبا بكر فسبقهما عمر فبايع ثم بايعا معا، و وثب أهل السقيفة يبتدرون البيعة، و سعد بن عبادة مضطجع يوعك، فازدحم الناس على أبى بكر، فقال رجل من الأنصار: اتقوا سعدا، لا تطؤه فتقتلوه.

فقال عمر و هو مغضب: قتل الله سعدا، فإنه صاحب فتنة. فلما فرغ أبو بكر من البيعة رجع إلى المسجد فقعد على المنبر فبايعه الناس حتى أمسى، و شغلوا عن دفن رسول الله حتى آخر الليل من ليلة الثلاثاء مع الصبح.

و قال ابن أبى عزة القرشى الجمحى فى ذلك:

شكرا لمن هو بالثناء خليقذهب اللجاج و بويع الصديق

من بعد ما دحضت بسعد نعلهو رجا رجاء دونه العيوق

جاءت به الأنصار عاصب رأسهفأتاهم الصديق و الفاروق

و أبو عبيدة و الذين إليهمنفس المؤمل للبقاء تتوق

كنا نقول لها على و الرضىعمر و أولادهم بتلك عتيق

فدعت قريش باسمه فأجابهاإن المنوه باسمه الموثوق و ذكر وثيمة بن موسى بن الفرات أنه كان لأشراف قريش فيما كان من شأن الأنصار مقامات محمودة، فمن ذلك أن خالد بن الوليد قام على أثر أبى بكر بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كان خطيب قريش، فقال:

أيها الناس، إنا رمينا فى بدء هذا الدين بأمر ثقل علينا محمله و صعب علينا مرتقاه، و كنا كأنا منه على أوفاز، ثم و الله ما لبثنا أن خف علينا ثقله، و ذللنا صعبه، و عجبنا ممن شك فيه بعد عجبنا ممن آمن به، حتى و الله أمرنا بما كنا ننهى عنه، و نهينا عن ما كنا نأمر به، و لا و الله ما سبقنا إليه بالعقول، و لكنه التوفيق. ألا و إن الوحى لم ينقطع حتى أكمل، و لم يذهب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم حتى أعذر، فلسنا ننتظر بعد النبىّ نبيا و لا بعد الوحى وحيا، و نحن اليوم أكثر منا بالأمس، و نحن بالأمس خير منا اليوم، من دخل فى هذا الدين كان من ثوابه على حسب عمله، و من تركه رددناه إليه، إنه و الله ما صاحب هذا الأمر

---

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۶۹۴)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۵۹)، الثقات (۳/ ۳۳)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۵۳)، تهذيب التهذيب (۱/ ۴۶۴)، الطبقات (۹۴، ۱۹۰)، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (۱/ ۱۳۰)، الوافى بالوفيات (۱۰/ ۱۶۲)، العبر (۱/ ۱۵، ۱۶)، البداية و النهاية (۶/ ۳۵۳)، التاريخ الصغير (۱/ ۷۳)، تقريب التهذيب (۱/ ۱۰۳)، التاريخ الكبير (۲/ ۹۸)، الجرح و التعديل (۲/ ۳۷۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۶

يعنى أبو بكر بالمسئول عنه و لا المختلف فيه، و لا بالخفى الشخص، و المغمور القناة.

ثم سكت، فعجب الناس من كلامه.

و قام حزن بن أبى وهب و هو الذى سماه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سهلا فقال:

و قامت رجال من قريش كثيرةفلم يك فى القوم القيام كخالد

ترقى فلم تزلق به صدر نعلهو كف فلم يعرض لتلك الأوابد

فجاء بها غراء كالبدر سهلةتشبهها فى الحسن أم القلائد

أ خالد لا تعدم لؤىّ بن غالبقيامك فيها عند قذف الجلامد

كساك الوليد بن المغيرة مجدهو علمك الشيخان ضرب القماحد

تقارع فى الإسلام عن صلب دينهو فى الشرك عن أجلال جد و والد

و كنت لمخزوم بن يقظة جنةكلا اسميك فيها ماجد و ابن ماجد

إذا ما غنا فى هيجها ألف فارسعدلت بألف عند تلك الشدائد

و من يك فى الحرب المصرة واحدافما أنت فى الحرب العوان بواحد

إذا ناب أمر فى قريش محلجتشيب له روس العذارى النواهد

توليت منه ما يخاف و إن تغيبقولوا جميعا خطنا غير شاهد قال ابن إسحاق «۱»: و لما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عظمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة فيما بلغنى تقول: لما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ارتدت العرب و اشرأبت اليهودية و النصرانية و نجم النفاق، و صار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية لفقد نبيهم حتى جمعهم الله على أبى بكر.

و ذكر ابن هشام «۲» عن أبى عبيدة و غيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم هموا بالرجوع عن الإسلام و أرادوا ذلك حتى خافهم عتاب بن أسيد فتوارى فقام سهيل بن عمرو فحمد الله و أثنى عليه، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و قال:

إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه، فتراجع الناس و كفوا عن ما هموا به، فظهر عتاب بن أسيد، و قد تقدم لنا أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال فى سهيل بن عمرو لعمر بن الخطاب و قد قال له: انزع ثنيتى سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۹۱).

(۲) انظر المصدر السابق.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷

خطيبا أبدا، فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه» «۱»، فكان هذا المقام المتقدم هو الذى أراد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و عن أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر فى السقيفة و كان الغد جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر، فحمد الله و أثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال:

أيها الناس، إنى قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت و ما وجدتها فى كتاب الله، و لا كانت عهدا عهده إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لكنى كنت أرى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سيد برنا؛ يقول: يكون آخرنا، و إن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى رسوله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه، و إن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثانى اثنين إذ هما فى الغار، فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة.

ثم تكلم أبو بكر فحمد الله و أثنى عليه بالذى هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإنى قد وليت عليكم و لست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى، و إن أسأت فقومونى؛ الصدق أمانة و الكذب خيانة، و الضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، و القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، و لا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء؛ أطيعونى ما أطعت الله و رسوله، فإذا عصيت الله و رسوله فلا طاعة لى عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله «۲».

و ذكر موسى بن عقبة أن رجالا من المهاجرين غضبوا فى بيعة أبى بكر، منهم على و الزبير، فدخلا بيت فاطمة ابنة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و معهما السلاح، فجاءهما عمر بن الخطاب فى عصابة من المهاجرين و الأنصار فيهم أسيد بن حضير و سلمة بن سلامة بن وقش الأشهليان و ثابت بن قيس بن شماس الخزرجى فكلموهما حتى أخذ أحد القوم سيف الزبير فضرب به الحجر حتى كسره ثم قام أبو بكر فخطب الناس و اعتذر إليهم و قال:

و الله ما كنت حريصا على الإمارة يوما قط، و لا ليلة، و لا سألتها الله قط سرا و لا علانية، و لكنى أشفقت من الفتنة، و ما لى فى الإمارة من راحة، و لقد قلدت أمرا عظيما

(۱) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۳۱۰)، دلائل النبوة للبيهقى (۶/ ۳۶۷).

(۲) انظر: البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۰۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۸

ما لى به طاقة و لا يدان إلا بتقوية الله، و لوددت أن أقوى الناس عليها مكانى اليوم.

فقبل المهاجرون منه ما قاله و اعتذر به، و قال على و الزبير: ما غضبنا إلا أنا أخرنا عن المشورة، و إنا لنرى أن أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أنه لصاحب الغار و ثانى اثنين، و إنا لنعرف له شرفه و سنه، و لقد أمره رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالصلاة بالناس و هو حى.

و ذكر غير ابن عقبة أن أبا بكر رضى الله عنه قام فى الناس بعد مبايعتهم إياه يقيلهم فى بيعتهم و يستقيلهم فيما تحمله من أمرهم و

يعيد ذلك عليهم، كل ذلك يقولون له:

و الله لا نقيلك و لا نستقيلك، قدمك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فمن ذا يؤخرك.

و لم يبدأ أبو بكر رضى الله عنه بعد أن فرغ أمر البيعة و اطمأن الناس بشىء من النظر قبل إنفاذ بعث أسامة، فقال له: امض لوجهك الذى بعثك له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فكلمه رجال من المهاجرين و الأنصار و قالوا: أمسك أسامة و بعثه، فإنا نخشى أن تميل علينا العرب إذا سمعوا بوفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال أبو بكر و كان أفضلهم رأيا: أنا أحتبس بعثا بعثه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لقد اجترأت إذ على أمر عظيم، و الذى نفسى بيده لأن تميل العرب على أحب إلى من أن احتبس جيشا أمرهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. امض يا أسامة فى جيشك للوجه الذى أمرت به، ثم اغز حيث أمرك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من ناحية فلسطين، و على أهل مؤتة فإن الله سيكفى ما تركت، و لكن إن رأيت أن تأذن لعمر بن الخطاب بالتخلف لأستشيره و أستعين برأيه فإنه ذو رأى و نصيحة للإسلام و أهله فعلت. ففعل أسامة و أذن لعمر، فأقام بالمدينة مع أبى بكر رضى الله عنهم أجمعين.

ذكر غسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و دفنه، و ما يتصل بذلك من أمره صلوات الله عليه و سلامه و رحمته و بركاته

و لما فرغ الناس من بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه و جمعهم الله عليه و صرف عنهم كيد الشيطان أقبلوا على تجهيز نبيهم صلى اللّه عليه و سلم و الاشتغال به.

قالت عائشة رضى الله عنها: لما أرادوا غسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم اختلفوا فيه، فقالوا: و الله ما ندرى، أ نجرّد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله و عليه ثيابه؟ قالت:

فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا ذقنه فى صدره، و كلمهم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹

مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبىّ و عليه ثيابه. قالت: فقاموا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فغسلوه و عليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، و يدلكونه و القميص دون أيديهم.

و يروى عن غير واحد أن الذين ولوا غسله صلى اللّه عليه و سلم ابن عمه على بن أبى طالب، و عمه العباس بن عبد المطلب، و ابناه الفضل، و قثم، و حب أسامة بن زيد، و مولاه شقران.

و قال أوس بن خولى أحد بنى عوف بن الخزرج و كان ممن شهد بدرا لعلى بن أبى طالب يومذاك أنشدك الله يا على و حظنا من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. فقال له: ادخل، فدخل و جلس، فحضر غسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم معهم، فأسند على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى صدره، و كان العباس و الفضل و قثم يقلبونه معه، و كان أسامة و شقران هما اللذان يصبان الماء عليه، و على يغسله، قد أسنده إلى صدره، و عليه قميصه يدلكه به من ورائه، لا يفضى بيده إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و على يقول: بأبى أنت و أمى، ما أطيبك حيا و ميتا. و لم ير من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم شىء مما يرى من الميت «۱».

و كانت عائشة رضى الله عنها تقول: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلا نساؤه «۲».

و لما فرغ من غسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كفن فى ثلاث أثواب.

قال ابن إسحاق «۳» فى حديث يرفعه إلى على بن حسين: ثوبين صحاريين، و برد حبرة أدرج فيه إدراجا «۴».

و خرج مسلم فى صحيحه من حديث عائشة، قالت: كفن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى ثلاثة

---

(۱) انظر: الطبقات لابن سعد (۲/ ۲۸۰)، تاريخ الطبرى (۲/ ۲۳۸)، سنن ابن ماجه فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى غسل النبىّ صلى اللّه

عليه و سلم (۱/ ۱۴۶۷).

(۲) انظر: مسند أبى داود الطيالسى (ص ۲۱۵ ج ۱۵۳۰).

(۳) انظر: السيرة (۴/ ۲۸۸).

(۴) انظر: التمهيد لابن عبد البر (۲/ ۱۶۳)، الدلائل للبيهقى (۷/ ۲۴۸)، صحيح البخارى فى كتاب الجنائز (۳/ ۱۲۶۴)، صحيح مسلم فى كتاب الجنائز (۲/ ۶۵۰، ۶۵۱)، سنن أبى داود فى كتاب الجنائز باب فى الكفن (۳/ ۳۱۵۱)، سنن الترمذى فى كتاب الجنائز (۳/ ۹۹۶)، سنن النسائى (۱۸۹۶)، سنن ابن ماجه (۱/ ۱۴۶۹)، موطأ مالك (۱/ ۵/ ۲۲۳)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۴۰، ۱۳۲، ۱۶۵، ۱۹۲، ۲۰۴، ۲۳۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۰

أثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيها قميص و لا عمامة «۱».

زاد الترمذى قال: فذكروا لعائشة قولهم: فى ثوبين و برد حبرة. فقالت: قد أتى بالبرد و لكنهم ردوه و لم يكفنوه فيه.

و اختلف المسلمون فى موضع دفنه، فقال قائل: ندفنه فى مسجده، و قال آخر: بل ندفنه مع أصحابه، و قال أبو بكر رضى الله عنه: ادفنوه فى الموضع الذى قبض فيه، فإن الله لم يقبض روحه إلا فى مكان طيب، فعلموا أن قد صدق «۲».

و فى رواية أنه قال لهم: سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول: ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض.

فرفع فراش رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الذى توفى عليه، فحفر له تحته.

و لما أرادوا أن يحفروا له، و كان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة، و كان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذى يحفر لأهل المدينة، و كان يلحد، دعا العباس برجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبى عبيدة بن الجراح، و للآخر: اذهب إلى أبى طلحة. اللهم خر لرسول الله، فوجد الذى توجه إلى أبى طلحة أبا طلحة، فجاء به، فلحد لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوم الثلاثاء، وضع على سريره فى بيته، ثم دخل الناس على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يصلون عليه أرسالا- الرجال، حتى إذا فرغوا أدخل النساء حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان، و لم يؤم الناس على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أحد.

و يروى فى حديث أن عليا رضى الله عنه قال: لقد سمعنا همهمة و لم نر شخصا، فسمعنا هاتفا يقول: ادخلوا رحمكم الله فصلوا على نبيكم.

ثم دفن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من وسط الليل، ليلة الأربعاء «۳».

قالت عائشة رضى الله عنها: ما علمنا بدفن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى سمعنا صوت

---

(۱) انظر: صحيح مسلم (۳/ ۳۹)، صحيح البخارى (۲/ ۲۱۱)، سنن أبى داود (۳/ ۱۹۸/ ۳۱۵۱)، سنن النسائى (۴۹۰/ ۳۵، ۳۶)، طبقات ابن سعد (۲/ ۲۸۲- ۲۸۴)، دلائل النبوة للبيهقى (۷/ ۲۴۶- ۲۴۹).

(۲) انظر: طبقات ابن سعد (۲/ ۲۷۵، ۲۹۲، ۲۹۹)، دلائل النبوة للبيهقى (۲۵۹- ۲۶۱).

(۳) انظر: السيرة (۴/ ۲۸۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱

المساحى من جوف الليل من ليلة الأربعاء. و كان الذين نزلوا فى قبر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على بن أبى طالب، و الفضل و قثم ابنا عمه العباس، و شقران مولى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و قال أوس بن خولى من الأنصار لعلى بن أبى طالب: يا على، أنشدك الله و حظنا من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. فقال: انزل، فنزل مع القوم.

و كانت لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم قطيفة يلبسها و يفترشها، فأخذها شقران مولاه، فدفنها فى القبر: و الله لا يلبسها أحد بعدك أبدا، فدفنت مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و لما انصرف الناس قالت فاطمة رضى الله عنها لعلى رضى الله عنه: يا أبا الحسن، دفنتم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟ قال: نعم. قالت فاطمة: كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟ أ ما كان فى صدوركم لرسول الله رحمة؟ أ ما كان معلم الخير؟ قال:

بلى يا فاطمة، و لكن أمر الله الذى لا مرد له، فجعلت تبكى و تندب: وا أبتاه، أجاب ربا دعاه، وا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، وا أبتاه، إلى جبريل ينعاه.

و قد كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أسر إليها فى مرضه أنه مقبوض منه و لا حق بربه، فبكت مشفقة من فراقه، فأسر إليها ثانية أنها أول أهله لحاقا به، فضحكت راضية بالموت مسرورة بوقوعه فى جنب ما تتعجل من لقائه فى حضرة القدس و محلة الرضوان و الكرامة.

و لما دفن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و انصرف المهاجرون و الأنصار عن دفنه، و رجعت فاطمة رضى الله عنها إلى بيتها اجتمع إليها نساؤها فقال:

اغبر أفاق السماء و كورتشمس النهار و أظلم العصران

فالأرض من بعد النبىّ كئيبةأسفا عليه كثيرة الرجفان

فليبكه شرق البلاد و غربهاو لتبكه مضر و كل يمان

و ليبكه الطود المعظم جوهو البيت ذو الأستار و الأركان

يا خاتم الرسل المبارك ضنهصلى عليك منزل الفرقان و يروى أيضا أن فاطمة رضى الله عنها أنشدت بعد موت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم متمثلة بشعر سميتها فاطمة بنت الأجهم:

قد كنت لى جبلا ألوذ بظلهفتركتنى أمشى بأجرد ضاح

قد كنت ذات حمية ما عشت لىأمشى البرار و كنت أنت جناحى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۲ فاليوم أخضع للذليل و أتقىمنه و أدفع ظالمى بالراح

و إذا دعت قمرية شجنا لهاليلا على فنن دعوت صباحى و مما ينسب إلى على أو فاطمة رضى الله عنهما:

ما ذا على من شم تربة أحمدأن لا يشم مدا الزمان غواليا

صبت على مصائب لو أنهاصبت على الأيام عدن لياليا و جلست أم أيمن تبكى على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعد موته، و هى حاضنته التى كان يأوى إليها بعد موت أمه، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى بيته لم يدفن بعد، فقيل لها: ما يبكيك يا أم أيمن قد أكرم الله نبيه و أدخله جنته و أراحه من نصب الدنيا، فقالت: إنما أبكى على خبر السماء كان يأتينا غضا جديدا كل يوم و ليلة، فقد انقطع عنا و رفع، فعليه أبكى. فعجب الناس من قولها و بكوا لبكائها.

و قال أنس بن مالك خادم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة أضاء منها كل شىء، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء و ما نفضنا أيدينا من التراب، و إنا لفى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا.

و قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: ولد النبىّ صلى اللّه عليه و سلم يوم الاثنين، و نبئ يوم الاثنين، و خرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، و قدم المدينة يوم الاثنين، و قبض يوم الاثنين، فيا لهذا اليوم كم خير تسبب فيه إلى أهل الأرض، و أى مصيبة نزلت فيه بمنية ضاق عنها منفسح الطول و العرض.

و قد حدثنا ابن عباس أيضا أنه سمع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول: «من كان له فرطان من أمتى أدخله الله بهما الجنة» «۱».

فقالت عائشة: فمن کان له فرط من أمتک؟ قال: «و من کان له فرط یا موفقة» «۲» قالت: فمن لم یکن له فرط من أمتک؟ قال: «فأنا فرط لأمتی، لن یصابوا بمثلی» «۳».

و لله در شاعره حسان بن ثابت إذ یقول:

---

(۱) انظر الحدیث فی: سنن الترمذی (۱۰۶۲)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۳۴)، السنن الکبری للبیهقی (۴/ ۶۸)، مشکاة المصابیح للتبریزی (۱۷۳۵)، کنز العمال للمتقی الهندی (۶۵۷۲، ۶۶۰۹)، تاریخ بغداد للخطیب البغدادی (۱۲/ ۲۰۸).

(۲) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۳۵)، الشمائل للترمذی (۲۱۲).

(۳) انظر الحدیث فی: هامش المواهب (۲۰۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۳ و هل عدلت یوما رزیة هالک‌رزیة یوم مات فیه محمد و هذا البیت من قصیدة له یرثی بها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم سنذکرها بعد فی مراثیه.

و روی أیضا عن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أنه قال: «لیعز المسلمین فی مصائبهم المصیبة بی» «۱».

فیا لها و الله مصیبة أحرقت الأکباد، و غمرت بالأسف و الحزن الآماد و الآباد، و رزأ ثقیلا آد کاهل الإیمان منه ما آد، و خطبا جلیلا أودی بکل صبر جمیل أو کاد:

و الصبر یحمد فی المواطن کلهاإلا علیک فإنه مذموم و لو لا أن الله سبحانه و تعالی ربط علی القلوب من بعده بأمر من عنده لأودت مکانها کمدا، و لما وجدت إلی البقاء متسلفا، و لا عن وحی القنا ملتحدا، و لو رجفت الأرض لفقدان أحد لأصبحت لفقدانه راجفة، و لو نسفت الجبال لمهلک هالک لغدت رواسیها علی حکم الأسف متناسفة، و لو کسفت النیرات لمصرع حی لأمست دررها منثورة لمصرعه، و لو تغیرت المشارع الموروذة لموت إنسان لأمر لموته علی کل وارد عذب مشرعه هیهات هیهات، ذلک و الله الرزء الکبار، و النازلة التی یعیی بها الاحتمال و الاصطبار، و الخطر الذی تقاصر دونه الأخطار، و الخطب الذی تشقی بمضاضة مشاهدته المهاجرون و الأنصار، و المفقود الذی لا-عوض منه أبدا و إن تراخت الأیام و تطاولت الأعصار، و لو غیر الأقدار أصابته لبدلت دونه أعلاق المهج، أو غیر المنایا نابتة لتعذر علی قاصده وجه السبیل المنتهج، و لکنها السبیل التی لا یتخطاها سالک، و ما سبقت به مشیئة الدائم الباقی الذی کل شیء إلا وجهه هالک، فلا مجال للدفاع، و لا حیلة فی الامتناع، و لا غناء للأعوان و الأتباع، و لا شیء یضمه حکم الممکن المستطاع غیر الانقیاد لأمر الله و الإهطاع، و لهفا علیه، و یا برح شوق القلوب المشربة نور الإیمان به، و شدة نزاعها إلیه، و بالدموع أجریت علیه، صلوات الله و برکاته علیه، لقد وجدت مجرا، و أوجبت أجرا و حرمت لهیا عن أسبابها و زجرا، و لقد کان من یقدم المدینة بعد أن استأثر به مولاه الذی شرح له صدرا، و رفع له ذکرا و قدرا، إذا أشرفوا علیها سمعوا لأهلها ضجیجا یصم السمیع، و للبکاء فی جنباتها عجیجا أصحل الحلوق و نزف الدموع.

حدث أبو ذؤیب الهذلی فقال: بلغنا أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم علیل، فاستشعرت حزنا، و بت بأطول لیلة لا ینجاب دیجورها، و لا یطلع نورها، فظللت أقاسی طولها حتی إذا کان قرب السحر أغفیت فهتف بی هاتف و هو یقول:

---

(۱) انظر الحدیث فی: السلسلة الصحیحة للألبانی (۱۱۰۶)، موطأ مالک (۲۳۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۴ خطب أجل أناخ بالإسلامبین النخیل و معقد الآطام

قبض النبیّ محمد فعیونناتذری الدموع علیه بالتسجام قال أبو ذؤیب: فوثبت من نومی فزعا، فنظرت إلی السماء، فلم أر إلا سعد الذابح، فتفاءلت به، ذبح یقع فی العرب، و علمت أن النبیّ صلی اللّه علیه و سلم قد قبض، أو هو میت من علته، فرکبت ناقتی و سرت، فلما أصبحت طلبت شیئا أزجر به، فعن لی شیهم یعنی القنفذ قد قبض علی صل یعنی الحیة فهی تلتوی علیه، و الشیهم یقضها حتی أکلها،

فزجرت ذلک و قلت: شیهم شیء مهم، و التواء الصل التواء الناس عن الحق علی القائم بعد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ثم أکل الشیهم إیاها غلبة القائم بعده علی الأمر، فحثثت ناقتی حتی إذا کنت بالغابة زجرت الطائر فأخبرنی بوفاته، و نعب غراب سانح، فنطق بمثل ذلک، فتعوذت بالله من شر ما عن لی فی طریقی، و قدمت المدینة و لها ضجیج بالبکاء کضجیج الحجیج إذا أهلوا بالإحرام، فقلت: مه؟ فقالوا: قبض رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فجئت المسجد، فوجدته خالیا، فأتیت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فوجدت بابه مرتجا، و قیل إلی الأنصار، فجئت إلی السقیفة، فأصبت أبا بکر و عمر و أبا عبیدة بن الجراح و سالما مولی أبی حذیفة و جماعة من قریش، و رأیت الأنصار فیهم سعد بن عبادة، و فیهم شعراؤهم: حسان بن ثابت و کعب بن مالک و ملأ منهم، فآویت إلی قریش و تکلمت الأنصار، فأطالوا الخطاب، و أکثروا الصواب، و تکلم أبو بکر رضی الله عنه فلله دره من رجل لا یطیل الکلام و یعلم مواضع فصل الخطاب، و الله لقد تکلم لکلام لا یسمعه سامع إلا انقاد له و مال إلیه، ثم تکلم عمر رضی الله عنه بعده دون کلامه، و مد یده و بایعوه، و رجع أبو بکر و رجعت معه.

قال أبو ذؤیب: فشهدت الصلاة علی محمد صلی اللّه علیه و سلم و شهدت دفنه.

ثم أنشد أبو ذؤیب یبکی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم:

لما رأیت الناس فی غسلاتهما بین ملحود له و مضرح

متبادلین لشرجع بأکفهمنص الرقاب لفقد أبیض أروح

فهناک صرت إلی الهموم و من بیت‌جار الهموم یبیت غیر مروح

کسفت لمصرعه النجوم و بدرهاو تزعزعت آطام بطن الأبطح

و تزعزعت أجیال یثرب کلهاو نخیلها لحلول خطب مفدح

و لقد زجرت الطیر قبل وفاته‌بمصابه و زجرت سعد الأذبح و ذکر الزبیر بن أبی بکر بإسناد له إلی هشام بن عروة: أن صفیة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قالت ترثی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لما توفی:

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۵ ألا یا رسول الله کنت رجاءناو کنت بنا برا و لم تک جافیا

و کنت رحیما هادیا و معلمالیبک علیک الیوم من کان باکیا

لعمرک ما أبکی النبیّ لفقدهو لکن لما أخشی من الهرج آتیا

کأن علی قلبی لذکر محمدو ما خفت من بعد النبیّ المکاویا

أ فاطم صلی الله رب محمدعلی جدث أمسی بیثرب ثاویا

فدا لرسول الله أمی و خالتیو عمی و آبای و نفسی و مالیا

صدقت و بلغت الرسالة صادقاو مت صلیب العود أبلج صافیا

فلو أن رب الناس أبقی نبیناسعدنا و لکن أمره کان ماضیا

علیک من الله السلام تحیةو أدخلت جنات من العدن راضیا

أری حسنا أیتمته و ترکته‌یبکی و یدعو جده الیوم نائیا و قال أبو سفیان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم «۱» یبکی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

أرقت فات لیلی لا یزولو لیل أخی المصیبة فیه طول

و أسعدنی البکاء و ذاک فیماأصیب المسلمون به قلیل

لقد عظمت مصیبتنا و جلت‌عشیة قیل قد قبض الرسول

و أضحت أرضنا مما عراهاتکاد بنا جوانبها تمیل

فقدنا الوحی و التنزیل فینایروح به و یغدو جبرئیل

و ذاک أحق ما سالت علیه‌نفوس الناس أو کربت تسیل

نبی کان یجلو الشک عنابما یوحی إلیه و ما یقول

و یهدینا فلا نخشی ضلالاعلینا و الرسول لنا دلیل

أ فاطم إن جزعت فذاک عذرو إن لم تجزعی ذاک السبیل

فقبر أبیک سید کل قبرو فیه سید الناس الرسول و لما بلغت عمرو بن العاص السهمی وفاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و هو یومئذ بعمان، قال یرثیه:

أتانی و رحلی فی عمان مصیبةفبت بعین طرفها طرف أرمد

غداة نعی الناس النبیّ محمدافأعزز علینا بالنبی محمد

فقدنا به وحی السماء و نعمةتروح علینا بالمراد و تغتدی

و أوحش منه منبر کان زینةو مسجده وحش فیها خیر مسجد

---

(۱) انظر ترجمته فی: تجرید أسماء الصحابة (۲/ ۱۷۳)، الإصابة ترجمة رقم (۱۰۰۲۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۶ فلو کنت یوما شاهدا لوفاته‌لمست ترابا من ضریحته یدی

بإذن یراه أهله و مکیده‌أسود بها ما عشت یومی و فی غد

کما نالها منه المغیرة خدعةو ما أنا دون الطائفی الجفیدد یرید: المغیرة بن شعبة الثقفی، و کان یدعی أنه أحدث الناس عهدا برسول الله صلی اللّه علیه و سلم و یقول: أخذت خاتمی فألقیته فی القبر، و قلت: إن خاتمی سقط منی، و إنما طرحته عمدا لأمس رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فأکون أحدث الناس عهدا به صلی اللّه علیه و سلم.

و کان علی بن أبی طالب رضی الله عنه ینکر ذلک من قول المغیرة و یأباه، و یقول:

أحدث الناس عهدا برسول الله صلی اللّه علیه و سلم قثم بن عباس.

و ذکر وثیمة بن موسی أن عبد الله بن أنیس الجهنی «۱» کان غائبا ببعض ضواحی المدینة، فلما انتهی إلیه الخبر بوفاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أظلمت علیه الأرض، ثم قال: و الله، لو أن میتا رده قتل حی نفسه لقتلت نفسی، و لکن أفرغ إلی أمر الله، إنا لله و إنا إلیه راجعون. ثم سأل الذی أخبره: هل استخلف رسول الله صلی اللّه علیه و سلم رجلا بعینه؟ قال: لا و الله.

قال: الله اکبر، لو استخلفه هلکنا بمعصیة. فهل اجتمع الناس علی رجل؟ قال: أمر نبی الله صلی اللّه علیه و سلم أبا بکر أن یصلی بالناس.

قال: هی إعلام الإمامة، و لیس کل من صلی بإمام. ما فعل علی؟ قال: هو فی بیته. قال: لا یریدها یا ابن أخی، لها ثلاثة من قریش: علی و أبو بکر و عمر، من ادعی منازلهم قصر دونهم. ما صنعت الأنصار؟ قال: اعتزلت، قال:

کلا، طائف من الشیطان، لم یکن الله لیخذلهم مع ما سبق لهم، بت عندی اللیلة فإنی علیل و لا أرانی إلا لما بی من هذه الصدمة، و لکن أبلغ عنی قریشا، فقال:

نفا النوم ما لا تبتغیه الأصابعو خطب جلیل للبلیة جامع

غداة نعی الناعی إلینا محمداو تلک التی تستک منها المسامع

فلو رد نفسا قتل نفس قتلتهاو لکنه لا یدفع الموت دافع

فآلیت لا أبکی علی هلک هالک‌من الناس ما أوسی ثبیر و فارع

---

(۱) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۴۵۶۵)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۸۲۷)، الثقات (۳/ ۲۳۴)، حلیة الأولیاء (۲/ ۵)، حسن المحاضرة (۱/ ۲۱۱)، شذرات الذهب (۱/ ۶۰)، البدایة و النهایة (۸/ ۵۷)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۲۹۸)، تهذیب التهذیب (۵/ ۱۴۹)، العبر (۱/ ۵۹)، الجرح و التعدیل (۵/ ۱)، تلقیح فهوم أهل الأثر (۳۶۷)، التاریخ الکبیر (۳/ ۱۴)، تهذیب الکمال (۲/ ۶۶۶)، الطبقات (۱۱۸)، الکاشف (۲/ ۷۳)، تقریب التهذیب (۱/ ۴۰۲)، الوافی بالوفیات (۱۷/ ۷۶)، الأنساب (۲/ ۱۷۸)، بقی بن مخلد (۱۱۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۷ و لکننی باک علیک و متبع مصیبته إنی إلی الله راجع

و قد قبض الله النبیین قبله و عادا أصیب بالوری و التتابع

فإن مات فالإسلام حی و ربنالذا الدین مما کاده الیوم مانع

فیا لیت شعری من یقوم بأمرناو هل لقریش یا إمام منازع

ثلاثة رهط من قریش هم هم أزمة هذا الأمر و الله صانع

علی أو الصدیق أو عمر لهاو لیس لها بعد الثلاثة رابع

أولئک خیر الحی فهر بن مالک و أول من تجنی علیه الأصابع

أولئک إن قاموا به سلکوا بنامحجتنا العظمی و قل التنازع

و کل قریش و الذی أنا عبده علی کل حال للثلاثة تابع

فإن قال منا قائل غیر هذه أبینا و قلنا الله راء و سامع

فیا لقریش قلدوا الأمر بعضکم فإن ضجیع العجز للسن قارع

و لا تبطئوا عنها فواقا فإنهاإذا قطعت لم تسر فیها المطامع قال: فانتهی الرجل إلی قریش و قد انطلق المهاجرون إلی الأنصار، و کان من أمرهم الذی کان، فرجع إلی عبد الله بن أنیس، فأخبره الخبر، ففرح بذلک.

و لأبی الهیثم بن التیهان الأنصاری فی نحو هذا المعنی شعر قاله و قد مر به أبو بکر الصدیق رضی الله عنه قبل مبایعة الناس إیاه، فشکی إلیه وفاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فقال أبو الهیثم: و قد و الله شمتت الیهودیة و النصرانیة، و بلغنی عن الناس أمر ساءنی، فرجع أبو الهیثم إلی منزله، فقال:

ألا قد أری أن المنی لم تخلدلأن المنایا للنفوس بمرصد

لقد جدعت آذاننا و أنوفناغداة فجعنا بالنبی محمد

تکلم أهل الشرک من بعد غلظةلغیبة هاد کان فینا و مهتدی

ثلاثة أصناف من الناس کلهم یروح علینا بالشنان و یغتدی

نصاری یقولون الفری و منافق شبیه بذاک الشامت المتهود

و أوعد کذاب الیمامة جهده فأجلب عودا باللسان و بالید

فإن تک هذا الیوم منهم شماتةفلا یأمنوا ما یحدث الله فی غد

و ما نحن إن لم یجمع الله أمرنابخیر قریش کلها بعد أحمد

بأمنع من شاء یقفر مطیرةبقیعة قاع أو ضباب بفدفد

و إنی لأرجو أن یقوم بأمرناعلی أو الصدیق و المرء من عدی

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۸ أولئک خیار الحی فهر بن مالک و أنصار هذا الدین من کل معتدی و لما انتهت إلی همدان وفاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم تکلمت سفاؤهم بما کرهت ظماؤهم، فقال عبد الله بن مالک الأرض، و کان من أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم له هجرة و فضل فی دینه، فاجتمعت إلیه همدان، فقال:

يا معشر همدان، إنكم لم تعبدوا محمدا، إنما عبدتم رب محمد، و هو الحى الذى لا يموت، غير أنكم أطعتم رسولكم بطاعة الله فدعاكم فأجبتموه، و هداكم فاتبعتموه، و اعلموا أنه ولى نعمتكم فى دينكم و دنياكم، فأما دينكم فاستنقذكم الله به من النار، و أما دنياكم فاستنقذكم الله به من الرق، و لم يكن الله ليجمع صحابة رسوله على ضلال، و قد وعدهم أن يهديهم عند ما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فأطيعوا من اختاروا، و قدموا من قدموا، فى كلام غير هذا تكلم به على هذا المثال، و نسجه على هذا المنوال.

و قال فى ذلك:

لعمرى لئن مات النبىّ محمدلما مات يا ابن القيل رب محمد

و ما كان إلا مرسلا برسالةليبلغها و الحادثات بمرصد

و لما قضى من ذاك ما كان قاضياو لم يبق شيء فيه إلحاد ملحد

دعاه إليه ربه فأجابهفيا خير غورى و يا خير منجد

و ما نحن إلا مثل من كان قبلنافريقين شتى كافر و موحد

و نحن على ما كان بالأمس بيننامن الدين نهدى من أراد فيهتدى ثم قام ابن ذى مران، و كان من سادات همدان و ملوكهم، فتكلم فيهم، فأطال نفس الكلام، و حرض على التمسك بالدين، و حمل على الطاعة للقائم بالأمر بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم قال يرثيه و يتفجع للمصيبة فيه:

إن حزنى على الرسول طويلذاك منى على الرسول قليل

قلت و الموت يا إمام كريهليتنى مت يوم مات الرسول

ليتنى لم أكن بقيت فواقابعده و الفواق منى طويل

بكت الأرض و السماء عليهو بكاه خليله جبريل

يا لها رحمة أصيب بها الناس تولت و حان منها الرحيل

جدعت منهم الأنوف فللقلب خفوق و للجفون همول

ليس للناس إمام من الأمر فتيل و أين منك الفتيل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۹ إنما الأمر للذى خلق الخلق و فى خلقه عليه دليل فى أبيات غير هذه يؤنس فيها المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة، و كان أميرا عليهم من قبل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بما عند قومه من حسن الطاعة له و القيام فى الحق معه.

ثم قام ابن ذى المشغار، و كان ملك أهل ناحيته، و كان متألها، فتكلم أيضا فى هذا النحو بكلام حسن، نظما و نثرا، فلما فرغ من مقالته أتاه مسروق بن الحارث القوال الأرحبى، فقال له:

أيها الملك، إنه لا ـ يعرف عندك فى قريش إلا رجل مثلى من قومك، أنا القوال ابن القوال، الفارس ابن الفارس، ابعثنى إلى خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأقوم مقاما شريفا أباهى به فيك الناس.

فسرحه، فلما قدم مسروق على أبى بكر رضى الله عنه تهيأت له قريش، و قالوا:

خطيب همدان و فتاها، فتكلم عندهم بكلام تركنا ذكره و ذكر ما أنشد معه من الشعر، إذ ليس مناسبا لما نحن الآن بسبيله من ذكر مراثى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فلما سمعت قريش شعره و خطبته، عجبت منه، و كان معه عبد الله بن سلمة الهمدانىّ، فقام فقال: يا معشر قريش، إنكم لم تصابوا بنبى الله صلى اللّه عليه و سلم دون سائر العرب، لأنه لم يكن لأحد دون أحد، و أيم الله، لا أدرى أى الرجلين أشد حزنا عليه، و أعظم مصابا به، من عاينه فغاب عنه عيانه، أو من أشرف على رؤيته، فلم يره؟ غير أنا معترفون للمهاجرين بفضل هجرتهم، و للأنصار بفضل نصرتهم، و التابع ناصر، و المؤمن مهاجر فى كلام غير هذا صدر عن قلب مؤمن، و جأش به خاطر شديد، فأثنى عليه أبو بكر خيرا، و حمدته قريش، و كان سيدا، فقال:

إن فقد النبیّ جدعنا الیوم فدته الأسماع و الأبصار

و فدته النفوس لیس من الموت فرار و أین أین الفرار

ما أصیبت به الغداة قریش‌لا و لا أفردت به الأنصار

دون من وجه الصلاة إلی الله و قد هنئت به الکفار

و رجال منافقون شمات‌و یوم واروه کفرهم إسرار

من بکته السماء تسعدها الأرض و بکت بعد القفار البحار

و سرافیل قد بکاه و جبریل و میکال و الملأ الطهار

یا لها کلمة یضیق بها الحلق أتانا بنقلها السفار

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۷۰ قیل مات النبیّ فانصدع القلب و شابت من هولها الأشعار

فعلیه السلام ما هبت الریح و مدت جنح الدجی أنوار و قال سواد بن قارب الدوسی «۱»، و هو الذی کان کاهنا فأسلم فحسن إسلامه بإرشاد ربه إیاه إلی ذلک حسب ما تقدم صدر کتابنا هذا من خبره یبکی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم لما بلغت أسد السراة وفاته، و بعد أن قام فیهم مقاما محمودا، یثبتهم فی الدین، و یحذرهم سوء عاقبة الارتداد، و کان قد سادهم و شرف فیهم، فأجابوه إلی ما أراد، و قبلوا رأیه، و قال:

جلت مصیبتک الغداة سوادو أری المصیبة بعدها تزداد

أبقی لنا فقد النبیّ محمدصلی الإله علیه ما یعتاد

حزنا لعمرک فی الفؤاد مخامراأو هل لمن فقد النبیّ فؤاد

کنا نحل به جنابا ممرعاخف الجناب فأجدب الرواد

فبکت علیه أرضنا و سماؤناو تصدعت وجدا به الأکباد

قل المتاع به و کان عیانه‌حلما تضمن سکریته رقاد

کان العیان هو الطریف و حزنه‌باق لعمرک فی النفوس تلاد

إن النبیّ وفاته کحیاته‌و الحق حق و الجهاد جهاد

لو قیل تفدون النبیّ محمدابذلت له الأموال و الأولاد

و تسارعت فیها النفوس لبذلهاهذا له الأغیاب و الأشهاد

هذا و هذا لا یرد نبینالو کان یفدیه فداء سواد و قال عبد الحارث بن أسد بن الریان من أهل نجران یبکی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم لما بلغتهم وفاته، بعد قیامه فیهم أحمد مقام، یحرضهم علی التمسک بالدین و الثبوت علی الإسلام، و یذکرهم نعمة الله علیهم، بالدخول فیه و اللحاق بمن هاجر إلیه، و یقول لهم فیما قال:

إنما کان نبی الله صلی اللّه علیه و سلم بین أظهرکم عاریة، فأتی علیه أجله، و بقی الکتاب الذی کان یحکم به، و یحکم علیه، فأمره أمر و نهیه نهی إلی یوم القیامة، و قد سهل لکم الطریق فاسلکوه، و لا بد من جولة، فکونوا فیها ذوی أناة، و قد اختار القوم لأنفسهم رجلا لا یألوهم خیرا، فأطیعوا قریشا ما أطاعوا الله، فإذا عصوه فاعصوهم، فإنه لا ینبغی لآخرنا أن یملک

---

(۱) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۳۵۹۶)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۳۳۴)، الثقات (۳/ ۱۷۹)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۲۴۸)، الوافی بالوفیات (۱۶/ ۳۵)، التاریخ الکبیر (۴/ ۲۰۲)، الأعلام (۳/ ۱۴۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۷۱

إلا بما ملكك به أولنا، و هى النبوة، فميراثها منها فى كلام غير هذا حسن أبلى به عذرا، و بالغ لقومه نصحا.

و قال:

لعمرى لئن كان النبىّ محمدعليه السلام الله أودى به القدر

لقد كسفت شمس النهار لفقدهو بكت عليه الأرض و انكسف القمر

و بكته آفاق السماء و ما لهاو للأرض شجو غير ذاك و لا عبر

و لو قيل تفدون النبىّ محمدالقلنا نعم بالنفس و السمع و البصر

و قل له منا الفداء و هذهو إن بذلت لا يسترد بها بشر

فإن يك وافاه الحمام فدينهعلى كل دين خالف الحق قد ظهر

و نحن بحمد الله هامة مذحجبنو الحارث الخير الذين هم الغرر

بنجران نعطى من سعى صدقاتناموفرة ما فى الخدود لها صعر

و نحن على دين النبىّ نرى الذىنهانا حراما منه و الأمر ما أمر

أحاذر إن لم يدفع الله جولةمجدعة يبيض من هولها الشعر

يحين فيها الله من خف حلمهو يسعد فيها ذو الأناة بما صبر

نطيع قريشا ما أطاعوا فإن عصواأبينا و لم نشر السلامة بالغرر

و كان لهذا الأمر منهم ثلاثةعلى أو الصديق أو ثالث عمر

فلم يخطئوا إذا سددوها لبعضهم ما هم كل لإرعاده مطر و أمثال هذه المقالات نثرا و نظما لرجال من سادات العرب و أشراف القبائل بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كثير، قاموا بها فى قومهم يحذرونهم من الفتنة، و يحرضونهم على التمسك بالطاعة لمن قام بالأمر.

و قد ذكر المؤلفون فى الردة كثيرا منها، و هى بذلك الباب أخص، و إنما تخيرت هنا منا ما يتعلق نظمه بباب الرثاء، و يبعث فى حق المصطفى على التفجع و البكاء، حشدا على الداهية الدهياء، و استعانة على الحادثة النكراء، و عظيم المصيبة بوفاة من حق فى حقه بكاء الأرض و السماء، و قل لفقده أن تسح المدامع عوض الدموع بالدماء:

هو الرزء الذى ابتدأ الرزاياو قال لأعين الثقلين جودى و قال حسان بن ثابت الأنصارى «۱» يبكى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۹۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۷۲ بطيبة رسم للرسول و معهدمنير و قد تعفو الرسوم و تهمد «۱»

و لا تمتحى الآيات من دار حرمةبها منبر الهادى الذى كان يصعد

و واضح آثار و باقى معالمو ربع له فيه مصلى و مسجد

بها حجرات كان ينزل وسطهامن الله نور يستضاء و يوقد

معارف لم تطمس على العهد أيهاأتاها البلى فالآى منها تجدد

عرفت بها رسم الرسول و عهدهو قبرا بها واراه فى التراب ملحد

ظللت بها أبكى الرسول فأسعدتعيون و مثلاها من الجفن تسعد

يذكون ألاء الرسول و ما أرىلها محصيا نفسى فنفسى تبلد «۲»

مفجعة قد شفها فقد أحمدفظلت لآلاء الرسول تعدد «۳»

و ما بلغت من كل أمر عشيره و لكن لنفسى بعد ما قد توجد «۴»

اطالت وقوفا تذرف العين جهدها على طلل القبر الذى فيه أحمد

فبوركت يا قبر الرسول و بوركت بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

و بورك لحد منك ضمن طيبا عليه بناء من صفيح منضد «۵»

تهيل عليه الترب أيد و اعين عليه و قد غارت بذلك أسعد

لقد غيبوا حلما و علما و رحمة عشية علوه الثرى لا يوسد

و راحوا بحزن ليس فيهم نبيهم و قد وهنت منهم ظهور و أعضد

يبكون من تبكى السموات يومه و من قد بكته الأرض فالناس أكمد

و هل عدلت يوما رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد

تقطع فيه منزل الوحى عنهم و قد كان ذا نور يغور و ينجد «۶»

يدل على الرحمن من يقتدى به و ينقذ من هول الخزايا و يرشد

إمام لهم يهديهم الحق جاهدا معلم صدق أن يطيعوا و يسعدوا

---

(۱) طيبة: اسم مدينة النبىّ. و الرسم: ما بقى من آثار الدار. و تعفو: أى تدرس و تتغير. و تهمد: أى تبلى.

(۲) تسعد: أى تعين.

(۳) شفها: أى أضعفها.

(۴) العشير: أى العشر. و توجد: من الوجد، و هو الحزن.

(۵) الصفيح: الحجارة العريضة. و المنضد: الذى جعل بعضه على بعض.

(۶) يغور: أى يبلغ الغور، و هو المنخفض من الأرض. و ينجد: أى يبلغ النجد، و هو المرتفع من الأرض.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۷۳ عفو عن الزلات يقبل عذرهم و إن يحسنوا فالله بالخير أجود

و إن ناب أمر لم يقوموا بحمله فمن عنده تيسير ما يتشدد

فبينا هم من نعمة الله وسطهم دليل به نهج الطريق يقصد

عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى حريص على أن يستقيموا و يهتدوا

عطوف عليهم لا يثنى جناحه إلى كنف يحنو عليهم و يمهد «۷»

فبينا هم فى ذلك النور إذ غدا إلى نورهم سهم من الموت مقصد

فأصبح محمودا إلى الله راجعا يبكيه جن المرسلات و يحمد

و أمست بلاد الحرم وحشا بقاعها لغيبة ما كانت من الوحى تعهد

قفارا سوى معمورة اللحد ضافها فقيد نبكيه بلاط و غرقد

و مسجده فالموحشات لفقده خلاء له فيها مقام و مقعد

و بالجمرة الكبرى له ثم أوحشت ديار و عرصات و ربع و مولد

فبكى رسول الله يا عين عبرة و لا أعرفنك الدهر دمعك يجمد

و مالك لا تبكين ذا النعمة التى على الناس منها سابغ يتغمد

فجودى عليه بالدموع و أعولى لفقد الذى لا مثله الدهر يوجد

و ما فقد الماضون مثل محمدو لا مثله حتى القيامة يفقد

أعف و أوفى ذمة بعد ذمةو أقرب منه نائلا لا ينكد

و أبذل منه للطريف و تالداإذا ضن معطاء بما كان يتلد «۸»

و أكرم صيتا فى البيوت إذا انتهىو أكرم جدا أبطحيا يسود «۹»

و أمنع ذروات و أثبت فى العلادعائم عز شاهقات تشيد

و أثبت فرعا فى الفروع و منبتاو عودا غذاه المزن فالعود أغيد

رباه وليدا فاستتم تمامهعلى أكرم الخيرات رب ممجد

تناهت وصاة المسلمين بكفهفلا العلم محبوس و لا الرأى يفند

أقول و لا يلقى لما قلت عائبمن الناس إلا عازب العقل مبعد «۱۰»

و ليس هواى نازعا عن ثنائهلعلى به فى جنة الخلد أخلد

---

(۷) الكنف: أى الجانب و الناحية.

(۸) الطريف: المال المستحدث. و التالد: المال القديم الموروث. و ضن: أى بخل. و يتلد: أى يكتسب قديما.

(۹) الصيت: أى الذكر الحسن. و الأبطحى: المنسوب إلى أبطح مكة، و هو موضع سهل متسع.

(۱۰) عازب العقل: بعيد العقل غائبه.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۷۴ مع المصطفى أرجو بذاك جوارهو فى نيل ذاك اليوم أسعى و أجهد و قال حسان بن ثابت «۱» يبكى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

ما بال عينك لا تنام كأنماكحلت مآقيها بكحل الأرمد

جزعا على المهدى أصبح ثاويايا خير من وطئ الحصى لا تبعد

وجهى يقيك الترب لهفا ليتنىغيبت قبلك فى بقيع الغرقد

بأبى و أمى من شهدت وفاتهفى يوم الاثنين النبىّ المهتدى

فظللت بعد وفاته متبلدامتلدا يا ليتنى لم أولد

أ أقيم بعدك فى المدينة بينهميا ليتنى صبحت سم الأسود

أو حل أمر الله فينا عاجلافى روحة من يومنا أو من غد

فتقوم ساعتنا فنلقى طيبامحضا ضرائبه كريم المحتد

يا بكر آمنة المبارك ذكرهاولدته محصنة الأسعد

نورا أضاء على البرية كلهامن يهد للنور المبارك يهتدى

يا رب فاجمعنا معا و نبينافى جنة تبنى عيون الحسد

فى جنة الفردوس فاكتبها لنايا ذا الجلال و ذا العلا و السؤدد

و الله أسمع ما بقيت بهالكإلا بكيت على النبىّ محمد

يا ويح أنصار النبىّ و رهطهبعد المغيب فى سواء الملحد

ضاقت بالانصار البلاد فأصبحواسودا وجوههم كلون الأثمد

و لقد ولدناه و فينا قبرهو فضول نعمته بنا لم تجحد

و الله أکرمنا به و هدی بهأنصاره فی کل ساعة مشهد

صلی الإله و من یحف بعرشهو الطیبون علی المبارک أحمد و قال حسان بن ثابت «۲» أیضا یبکی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

نب المساکین أن الخیر فارقهممع النبیّ تولی عنهم سحرا

من ذا الذی عنده رحلی و راحلتیو رزق أهلی إذا لم یؤنسوا المطرا

أم من نعاتب لا نخشی جنادعهإذا اللسان عتا فی القول أو عثرا

کان الضیاء و کان النور نتبعهبعد الإله و کان السمع و البصرا

یا لیتنا یوم واروه بملحدهو غیبوه و ألقوا فوقه المدارا

---

(۱) انظر: السیرة (۴/ ۲۹۵).

(۲) انظر: السیرة (۴/ ۲۹۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۷۵ لم یترک الله منا بعده أحداو لم یعش بعده أنثی و لا ذکرا

ذلت رقاب بنی النجار کلهمو کان أمرا من أمر الله قد قدرا

و اقتسم الفیء دون الناس کلهمو بددوه جهارا بینهم هدرا و قال حسان بن ثابت أیضا یبکی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

آلیت ما فی جمیع الناس مجتهدامنی ألیة بر غیر إفناد «۱»

تالله ما حملت أنثی و لا وضعتمثل الرسول نبی الأمة الهادی

و لأبرأ الله خلقا من بریتهأو فی بذمة جار أو بمیعاد

من ذا الذی کان فینا یستضاء بهمبارک الأمر ذا عدل و إرشاد

أمسی نساؤک عطلن البیوت فمایضربن فوق قفا ستر بأوتاد

مثل الرواهب یلبسن المباذل قدأیقن بالبؤس بعد النعمة الباد «۲»

یا أفضل الناس إنی کنت فی نهرأصبحت منه کمثل المفرد الصادی «۳» و قال کعب بن مالک الأنصاری من کلمة یبکی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

و باکیة حری تحرق بالبکاو تلطم منها خدها و المقلدا

علی هالک بعد النبیّ محمدو لو عدلت لم تبک إلا محمدا

فلست بباک بعد فقد محمدفقیدا و إن کان القریب المسودا

فجعنا بخیر الناس حیا و میتاو أدناه من أهل السموات مقعدا

و أعظمه فقدا علی کل مسلمو أکرمه فی الناس کلهم یدا

متی تنزل الأملاک بالوحی بعدهعلینا إذ ما اللبس فینا ترددا

إذا کان منه القول کان موفقاو إن کان وحیا کان نورا مجددا

جزی الله عنا ربنا خیر ما جزینبی الهدی الداعی إلی الحق أحمدا و قال عمرو بن سالم الخزاعی یبکی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

لعمری لئن جادت لک العین بالبکالمحقوقة أن تستهل و تدمعا

فیا حفص إن الأمر جل عن البکاغداة نعی الناعی النبیّ فأسمعا

فلم أر یوما کان أعظم حادثاو لم أر یوما کان أکثر موجعا

(١) الألية: اليمين و الحلف. و الإفناد: العيب و الخطأ.

(٢) المباذل: الأثواب التى تستعمل يوميا، أو الأثواب الخلقة.

(٣) الصادى: العاطش أو الشديد العطش.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٧۶ و لم أر من يوم أعم مصيبةو لا ليلة كانت أمر و أفظعا

تعزى بصبر و اذكرى الله و اعلمىبأن سوف يجزى كل ساع بما سعى

و لا تزرئى محض الحياء فتفجعىبدينك و الدنيا فتزريهما معا

فإن يك قد مات النبىّ فبعد مانعى نفسه بدآ و عودا فأسمعا

إذا ذكرت نفسى فراق محمدتهيج حزنى و الفؤاد تقطعا

فيا لك نفسا لا يزال يزيدهاعلى الدهر طول الدهر إلا تصدعا

جزى منك رب الناس أفضل ما جزىنبيا هدانا ثم ولى مودعا

فو الله لا أنساك ما دمت ذاكرالشىء و ما قلبت كفا و إصبعا و قد أكثر الشعراء فى تأبينه صلوات الله عليه قديما و حديثا، و قضوا من التفجيع عليه حقا، لا ينبغى أن يكون عهده نكيثا، و لم يمنعهم تقادم الأيام و تطاول الأعوام من تجديد البكاء عليه، و مزيد الحنين إليه، و بحق ما يكون ذلك، فهو الرزء الذى حقه أن ينسى جميع الأرزاء، و الحادث الجلل الذى يقبح معه حسن العزاء، و طواعية الأسف عليه دائما من أعدل الشهادات بالإخلاص لمن قام بها و استقام بالنية و القول على سواء مذهبها، جعلنا الله ممن أحبه حقا، و كتبنا فيمن غدا لشفاعته المشفعة مستحقا.

فمن ذلك ما وقفت عليه لأبى إسحاق إسماعيل بن القاسم الغزى الكوفى، المعروف بأبى العتاهية من كلمة:

على رسول الله منى السلامما كان إلا رحمة للأنام

أحيى به الله قلوبا كماأحيى موات الأرض صوب الغمام

أكرم به للخلق من مبلغهاد و للناس به من إمام

و أصبح الحق به قائماو أصبح الباطل دحض المقام و قال إسماعيل بن القاسم أيضا من كلمة أخرى:

ليبك رسول الله من كان باكياو لا تنس قبرا بالمدينة ساويا

جزى الله عنا كل خير محمدافقد كان مهديا دليلا هاديا

لمن تبتغى الذكرى لما هو أهلهإذا كنت للبر المطهر ناسيا

أ تنسى رسول الله أفضل من مشىو آثاره بالمسجدين كما هيا

و كان أبر الناس بالناس كلهمو أكرمهم بيتا و شعبا و واديا

تكدر من بعد النبىّ محمدعليه سلام الله ما كان صافيا

فكم من منار كان أوضحه لناو من علم أمسى و أصبح عافيا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٧٧ ركنا إلى الدنيا الدنية بعدهو كشفت الأطماع منا المساويا

و إنا لنرمى كل يوم بعبرةنراها فما نزداد إلا تعاميا

كأنا خلقنا للبقاء و أيناو إن مدت الدنيا له ليس فانيا

أبى الموت إلا أن يكون لمن ترىمن الخلق طرا حيث ما كان لاقيا

حسمت المنى يا موت حسما مبرحاو علمت يا موت البكاء البواكيا

و مزقتنا يا موت كل ممزقو عرفتنا يا موت منك الدواهيا و لأبى عبد الله محمد بن أبى الخصال الغافقى الأندلسى، و مكانه من متانة العلم و الدين و صدق المقالة و صحة اليقين المكان الذى يلحقه بأقرانه من العلماء المتقنين، قصائد يرثى بها النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و على آله أجمعين يساجل بها شاعره حسان بن ثابت فى قصائده المتقدمة صوتا بصوت، و كلمة بكلمة، أخبرنا بها و بسائر كلامه نثره و نظمه غير واحد من أشياخنا رحمهم الله عنه فمن ذلك قوله يعارض حسان فى قصيدته الأولى و يمشى فى التفجع و التوجع على طريقته المثلى:

بطيبة آثار تحج و تقصدو دار بها الله نور مخلد

و مهبط جبريل بوحى و حكمةيبينها للعالمين محمد

و مظهر آيات كأن رسومهاعلى ما محى منها البلى يتجدد

و فى مسجد التقوى تأرخ روضةعليها من الفردوس كل ممدد

يفاوحها طيب الجنان و تربةتبوءها من جنة الخلد أحمد

و منبره الأعلى على ذروة التقىو جذع له فيه حنين مردد

و مولد إبراهيم حيث تمخضتبه أمه مثوى كريم و مولد

و موقعه من نفسه و اختيارهله اسم خليل الله فخر مشيد

و إعلانه بالحزن تدمع عينهله رحمة و النفس ترقى و تصعد

و مبنى على و الهدى يألف الهدىبفاطمة نور بنور يقيد

و مولد سبطيه و ريحان قلبهمكانهما من عاتقيه ممهد

و حيث ارتقت منها إمامة مرتقىيقوم بها جبالها ثم يسجد

و حيث بنى بالطيبات نسائهبعصمته الوثقى و جبريل يشهد

و متلى كتاب الله فى حجراتهايقمن به فى الليل و الناس هجد

و تمت لأصحاب الكساء طهارةمن الله يحييها الكتاب المؤيد

معاهد إيمان تألق نورهاففى كل أفق جذوة تتوقد

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۷۸ و كانت أمانا ثم عادت مخافةفزائرها فوق الردى يتوسد

فيا أيها الدار التى حق أهلهاعلى الناس طرا دائم ليس ينفد

لقد درست منك المغانى و أوحشتو كان إليها الدين يأوى و يصمد

ذكرتك ذكرى من يهيم فؤادهبقربك لكنى عن القرب مبعد

و مثلت لى فى بهجة الدين و التقىو أمر رسول الله يعلو و يمهد

و إذا برقت نورا أسارير وجههفزحزح قطع الليل و الليل أسود

و ألقت إليه الأرض أفلاذها التىتحل بها عقم الأمور و تعقد

و غزو تبوك ثم حج وداعهو لم يبق تبين و لم يبق مشهد

و مثلت لى و المسلمون بشكوهفرائصهم من روعة البيت ترعد

و قد جلل الدنيا ظلام مطبقيخال به ليل على الناس سرمد

فما راعهم إلا وفاة رسولهمو كل يرى أن الرسول يخلد

و قد ذهلوا أن التى يقرونهاإذا جاء نصر الله للموت مرصد

و ودع جبريل وداع مفارقو لا عود يستثنى و لا وحى يعهد

و أم أبيها مسبلات دموعهاكما انحل من سلكك فريد مبدد

فأودعها سرا بكت من نجيهو ثنى بسر فانثنت تتجلد

و قد أعلنت عند الرسول بكربهالكرب أبيها و هو بالموت يجهد

فقال لها كفى دموعك و اصبرىفما بعد هذا اليوم كرب يعدد

و بشرها من قرب ملحقها لهببشرى حديث صادق لا يفند

فيا من رأى حيا يعزى بموتهفيرضى كأن الموت خلد مؤيد

فرارا عن الدنيا إلى قرب ربهاو شجا عليها من حياة تنكد

و لطفا من الله العظيم بصونهاو باب الرزايا المستكنات مرصد

و لو أنها امتدت طويلا حياتهالشرد عنها النوم ليل مسهد

و غصت على قرب بثكل ابن عمهاو فقد شهيد حزنه ليس يفقد

أقام كتاب الله فى كل مارقيقر به فى زعمه و هو يجحد

فقيض أشقى الناس يدنى سعادةلمن هو بالإيمان أولى و أسعد

و كيف بها و الله يأبى هوانهالمصرع سبط أول و هو مقصد

و قد جرعته حتفه كف جعدةبمكرع سم مجه فيه أسود

و لو حدثت عن كربلاء لأبصرتحسينا فتاها و هو شلو مقدد

و ثانى سبطى أحمد جعجعت بهعتاة جفاة و هو فى الأرض أوحد

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۷۹ و لم يرقبوا إلا لآل محمدو لم يذكروا أن القيامة موعد

و أن عليهم فى الكتاب مودةلقرباه لا ينحاش عنها موحد

فيا سرع ما ارتدوا و صدوا عن الهدىو مالوا عن البيت الذى بهم هدوا

فحل عن برد الفرات عطاشهمو روى منهم ذابل و مهند

فيا أوجها شاهت و ناهت عن الهدىأ هذا التحفى منكم و التردد

و ترتم رسول الله فى ذبح سبطهو بؤتم بنار حرها ليس يبرد

فما لكم عند الشفيع شفاعةو لا لكم فى كوثر الحوض مورد

لعمرى لقد غادرتم كل مؤمنعلى مضض برح يقوم و يقعد

و نغصتم المحيى و أرضيتم العدىفأنتم لغير الله جند و أعبد

فيا كبدى إن أنت لم تتصدعىفأنت من الصفوان أقسى و أجلد

و يا عبرتى إن لم تفيضى عليهمفنفسى أسخى بالحياة و أجود

أ تنتهب الأيام أفلاذ أحمدو أفلاذ من عاداهم تتودد

و يضحى و يظمى أحمد و بناتهو بنت زياد وردها لا يصرد

أ فى دينه فى أمنه فى بلادهتضيق عليهم فسحة تتورد

و ما الدين إلا دين جدهم الذىبه أصدروا فى العالمين و أوردوا

ينام النصارى و اليهود بأمنهمو نومهم بالخوف نوم مشرد

و ما هی إلا ردة جاهلیۀو حقد قدیم بالحدیث یؤکد

أ لهفی علی سبطی هدی و نبوۀجری لها یوم من الشر أنکد

شهیدین متبوعین من کل مؤمنبکل صلاۀ برۀ تتعهد

فهذا أذابت سورۀ السم کبدهو هذا أبادته قسی تکبد

فما عذر أهل الأرض و القسط قائمو کلهم فی موقف الفصل شهد

أ یفعل هذا بابن بنت نبیکمو لیس لکم فی النصر یوم و لا غد

أبی الله إلا أن فی النفس حسرۀبغصتها أضحی و أمسی و أرقد

إلی أن یقید الله من کل واترعلی أن کفؤا مقنعا لیس یوجد

و أی دم یوفی دم ابن محمدحسین و أمسی و هو سبط موحد

فیا خاتم الأسباط إن تحیتیتؤمک من أرض بعید و تقصد

مثقلة بالدمع شوقا و لوعۀعلی زفرۀ من حرها أتأود

و یا أسوۀ للمؤمنین کریمۀیلین علیها الحادق المتشدد

فمن ینکر البلوی و أنت بکربلاءلذی البث و الشکوی إمام مقلد

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۸۰ فإن تجهل الدنیا علیک و أهلهافإنک فی أهل السماء ممجد

أبوک شفیع الناس و هو الذی لهمقام کریم فی البریۀ یحمد

و مشرعۀ الحوض الروی بکفهتزاد رجال عندها و تطرد

و ممن یذود الله عنه عصابۀبقتلک فی طغیانها تتحمد

و ذنبهم فی قتلک الذنب کلهفما لهم إلا الجحیم تغمد

و هل کنت إلا مثل عمک جعفرقتیلا بکفار بذی العرش ألحدوا

و إلا کلیث الله جدک حمزۀو حربۀ وحشی إلیه تسدد

و ما منهم إلا غریق شهادۀحیاتهم موصولۀ حین تنفد

و مثل أبی حفص و عثمان بعدهو مثل علی و هو للحق سید

دماؤهم مسک ذکی و أجرهمعلی الله لا یحصی و لا یتحدد

أقول ببث مستکن و ظاهرمضاضته عن حبکم تتولد

و ما سرنی أنی خلی من الهویهوی هو فی حم یتلی و یسند

سریرۀ حب یوم تتلی سرائرییقوم بها عنی الصفیح المنضد

سلام علی تلک المعاهد إنهاآل رسول الله طهر و مسجد

فیا رب وفدنی إلیها مسلماو یا طیب مسری من إلیها یوفد

أفض بها دمعی و أنقع غلتیو أتهم فی ربع الرسول و أنجد

و أدعو إلی الرحمن دعوۀ تائبإلی عفوه من طیبه یتزود

و أسموا إلی البیت العتیق بفرضهفکل به من ذنبه یتجرد

و لست علی قبر الرسول بمؤثرلیحشر من ذاک البقیع محمد

فیا رب حقق نیتی و منیتیهنالک و الأرواح جند مجند و قال أیضا یعارض حسان فی کلمته الثانیۀ التی أولها:

ما بال عينك لا تنام كأنما................ .....

بهذه الكلمة المرسومة بعد:

هل يجمعن صباح يوم أو غدبينى و بين القبر قبر محمد

حتى أروى ناظرى من عبرتىو يقر عينى طيب ذاك المشهد

و أقبل الأرض التى حملت بهنورا يجلى كل جنح أسود

و أعظم البلد الذى رأسى بهطود النبوة ثابتا بالأسعد

أشكو إلى جبل تضمن حبهحبا أضاق تصبرى و تجلدى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸۱ و أبلغ القلب المروع أمانهو أقول للنفس التى ظمئت ردى

و أهش للأفق المبارك جوهمتجددا من نوره المتجدد

و أسح فى أبيات آل محمددمعا كنظم اللؤلؤ المتبدد

و الله يعلم أن آل رسولهآل تمكن حبهم فى محتدى

و بكربتى منهم أبوح و أنطوىو بحسرتى فيهم أروح و أغتدى

قف بالمنازل سائلا عن أهلهاأين الرسالة و الرسول المهتدى

أين الصواحب و الصحابة حولهإذ بايعوه بالقلوب و باليد

أين الذين بسبقهم عز الهدىو علت على الأديان ملة أحمد

أين الذين لعتبة و لشيبةو إلى الوليد سموا بكل مهند

أين الذين بيوم أحد صرعوابين مثنى فى الإله و موحد

أين الذين بمؤتة و جلادهاماتوا كراما كالليوث الحرد

أين الثمانية الذين بصبرهمثابت بأوطاس بصائر من هدى

يا مسجد التقوى غدوت بفضلهمو مكانهم فى الدين أفضل مسجد

و بقيت بعدهم مثابة رحمةفى غربة المستوحش المتفرد

تبكى على خير البرية كلهابدموع كل مصدق و موحد

فقد السماء كما فقدت نديهمو نجيبهم فى مهبط أو مصعد

و تفرد الرحمن بالغيث الذىكان الرسول بوحيه عبق الند

و لقد أقام الدين من خلفائهأصهاره كل بأحمد يقتدى

و أتتك بعدهم الملوك فمصلحيضع الأمانة عند آخر مفسد

يا بيت عائشة المجن ثلاثةتطموا به نظم الطراز الأوحد

مثوى النبىّ و صاحبيه و فسحةعيسى ابن مريم حازها بالموعد

بوركت من بيت يضم رسالةو نبوة و خلافة فى ملحد

منى إليك تحية يهفو بهاقلب بذكرهم و حلهم ند

صلى الإله و أرضه و سماؤهو العالمون على النبىّ المقتدى

بالأنبياء المهتدى بهداهمرشدا تبين فى الكتاب المرشد و قال أبو عبد الله أيضا يعارض حسان فى كلمته الثالثة التى أولها:

نب المساكين أن الخير فارقهم................ ......

بهذه الکلمة المرسومة:

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۸۲ هون علیک من الأرزاء ما خطرابعد الرسول و لا تعدل به خطرا

و اذکره فی کل محذور تغص بهتلقی المصاب به قد هون الحذرا

أبعد أحمد یستقری مضاجعهفودع البیت و الأرکان و الحجرا

مستقبلا طیبة و الله ینقلهإلی رضاه فلما یعد أن صدرا

ثم استعز به شکو یعالجهیغشی بسورته الأبیات و الحجرا

حتی انتهی دوره فی بیت عائشةفی نومها یتبع الأنفاس و الأثرا

فمال فی حجرها طلقا أسرتهغض البشاشة إلا اللمح و النظرا

فأذهل الناس طرا عن حیاتهمموت الرسول و منهم من نفی الخبرا

فیا له من نظام بات فی قلقلو لا أبو بکر الصدیق لانتثرا

إن کنت معتبرا فانظر تقللهو الأرض تبر و دین الله قد ظهرا

لم یرض منها سوی قبر تضمنهکان الفراش له فی نومه مدرا

یا قبر أحمد هل من زورة أممقبل الحمام تسر السمع و البصرا

و هل إلی طیبة ممشی یقربهایا طیبة إن تأتی یومه سفرا

فتنشق النفس فی أرجائها أرجایشفی السقام و ینفی الذنب و الضررا

و أستجیر ببطن الأرض من کربفی ظهرها لم تدع شمسا و لا قمرا

أستجمل الله من أسرار قدرتهعزما یخوض إلیه البدو و الحضرا

و قوة بالضعیف الهم ناهضةو حجة تنظم الآصال و البکرا

یا حب أحمد کن لی فی زیارتهأقوی ظهیر إلی أن أقضی الوطرا

صلی الإله صلاة غیر نافدةتکاثر الریح و الأشجار و المطرا

علی البشیر النذیر المصطفی کرمامن کل بطن و صلب طیب ظهرا

علی ابن آمنة الماحی بملتهمن کان بالله و الإسلام قد کفرا

و أهله الطیبین الأکرمین و من آوی و ساهم فی البلوی و من نصرا

و أمهات جمیع المؤمنین و منهدی هداه و من صلی و من نحرا

و نضر الله حسانا و أعظمهو قد بعثت الجوی و الحزن و الذکرا

أبا الولید لقد هیجت لی شجنانافحت عنهم بروح القدس مقتدرا

و أنت شاعر آل الله قاطبةضریحه و امسحی عن وجهه العفرا

یا رحمة الله أمی غیر صاغرةفی الحق أن تمسح الأعطاف و الغررا

فإنه سابق و السابقات لهاعمت فی المدر استثنت و لا الوبرا

أبقی له منبر الإنشاد مکرمةفی الحق أن تمسح الأعطاف و الغررا

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۸۳ و لم یسل لسانا فی مقاولةو إنما سل عضبا صارما ذکرا

یا مقولا نضر الله الرسول بهلا زلت فی جنة الفردوس مشتهرا و قال أیضا رحمه الله یبکی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و یعارض حسان فی کلمته المتقدمة قبل، رابعة لکلماته، و هی التی أولها:

آلیت ما فی جمیع الناس مجتهدا................ ....

بهذه الکلمة الموسومة بعد:

قلبی إلی طیبة ذو غلة صادیإلی البشیر النذیر الخاتم الهادی

إلی أبی القاسم الماحی بملته کفران کل کفور جهله بادی

حتی أعفر خدی فی مواطئهغورا بغور و أنجادا بأنجاد

و أرسل الدمع سحا فی منازلهمستفرغا جهد أفلاذ و أکباد

فی حیث أودع جبریل رسالتهو حیا إلیه بتوفیق و إرشاد

و أشرب الماء من أروی منابعهفطیبه قد سری فی ذلک الوادی

یا حب أحمد إنی منک فی ثقةو أنت أحضر أعتادی و أزوادی

سر بی إلیه و جاور بی مثابتهحتی أضمن أکفانی و أعوادی

و ما تمکنت من قلبی لتبدع بیو لا لتقطعنی عن ذلک النادی

نور من الله لو أنی سریت بهلما افتقرت إلی هاد و لا حادی

لم یقذف الله فی قلبی محبتهإلا لأحمل فوق الرأس و الهاد

متی أقول لوفد الله عن کثبیا رایحین انظرونی إننی غاد

و قد برئت إلی الرحمن من نشبیو قد تخلیت عن أهلی و أولادی

مستبدلا بجوار الله منقطعاإلی الرسول انقطاع العاطف الباد

صلی الإله و أهل الأرض یقدمهمأهل السموات من مثنی و آحاد

علی الذی أنقذ الله العباد بهمن ظلمة الکفر رشدا بعد إفناد

علی ابن آمنة المختار من نفرما فوق مجدهم مرمی لمزداد

علی النبیّ الذی تمت نبوتهو آدم طینة قدت لأجساد

علی الرسول بن عبد الله أکرم من أوری بنور أضاء الأرض و قاد

و بعده صلوات الله عاطرةعلی الصحابة أعداد بأعداد

و أهله الطیبین الأکرمین فهمفی الأرض أطهر غیاب و شهاد

یا رب و احفظ مقامی فی محبتهمفإنها و إلیک المنتهی زادی

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۸۴

فهذا ما تیسر لنا ذکره من مراثی الشعراء فی سید المرسلین و خاتم الأنبیاء. و بقی علینا منها کثیر تخطیناه، إما لتخطی الاختیار له و الانتقاء، و إما لقصد الاختصار و الاکتفاء، و أکثر الشعراء أفحمتهم المصیبة القاصمة للظهور، الرزیة المتجددة علی بلی الأزمان و تجدد الدهور، عن أن یفوهوا فی ذلک ببنت شفة أو یفوا بما یناسب ذلک الکرب العظیم و الخطب الجسیم من صفة متصفة، و أولئک أولی الناس بالمعذرة، و أحقهم بالتجاوز عن مقصدهم المقصرة، فمصاب المسلمین به علیه أفضل الصلاة و السلام أعظم من أن تؤدی حقیقته سعة الکلام، أو تستقل أسالیب القول المتشعبة و منادح العبارات المتطنبة المهذبة بأیسر جزء من مآثره الکرام و محاسنه العظام، أو تفی الألفاظ علی اتساعها و تعدد ضروبها و أنواعها بشرح ما یتحمل فیه القلوب المؤمنة من برح الآلام، و الإعراب عن قدر مصیبة فقده علی الإسلام، فجزاه الله عن نهجه لنا السبیل إلی دار السلام أفضل ما أعده من الجزاء لأنبیائه المختصین من عنایته بشرف الاجتباء و الاصطفاء دون الأنام، و أدر علیه و علیهم من سحب الرحمة و البرکات و السلام و الصلوات ما یزری بهطال الدیم و

واكف الغمام.

و هنا انتهى ما يختص من هذا المجموع بمغازى نبينا محمد صلى اللّه عليه و سلم و ذكر أيامه و كافة أمره إلى حين وفاته.

و نشرع الآن فى صلة ذلك بمغازى خلفائه الثلاثة الأول رضى الله عن جميعهم على نحو ما علمنا به فى مغازى من قصد التهذيب، و بذل الجهد فى حسن الترتيب، و ربنا الكريم جلت قدرته نعم الوكيل بالمعونة على ذلك، لا حول و لا قوة إلا به، هو حسبى لا إله إلا هو، عليه توكلت و إليه أنيب.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸۵

ذكر خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه «۱» و ما حفظ عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من الإيماء إليها و الإشارات الدالة عليها مع ما كان من تقدمه صلى اللّه عليه و سلم إلى الإنذار بالفتن الكائنة بعده و ما صدر عنه من الأقاويل المنذرة بالردة

فى الصحيح من الآثار، أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، لما سمع صوت عمر فى صلاته بالناس عند ما أمر عليه السلام فى مرضه أبا بكر أن يصلى، فلم يوجد حاضرا، قال: يأبى الله ذلك و المسلمون، يأبى الله ذلك و المسلمون.

و عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اقتدوا باللذين من بعدى، أبى بكر و عمر» «۲».

و قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: استخلف أبو بكر، فأقام و استقام. و قال صعصعة: استخلف الله أبا بكر، فأقام المصحف.

و ذكر يعقوب بن محمد الزهرى، عن شيوخه، قالوا: و ذكروا استخلاف أبى بكر بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و من قبل ما وصف لهم صفة من يلى بعده، حتى كاد يقول: خليفتى أبو بكر.

و حدث جبير بن مطعم «۳» أن امرأة أتت النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، تكلمه فى شيء، فأمرها أن ترجع

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۵- ۷).

(۲) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (۳۶۶۲، ۳۸۰۵)، سنن ابن ماجه (۹۷)، مسند الإمام أحمد (۵/ ۳۸۲، ۳۸۵، ۳۹۹، ۴۰۱، ۴۰۲)، السنن الكبرى للبيهقى (۵/ ۱۲، ۸/ ۱۵۳)، مستدرك الحاكم (۳/ ۷۵)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۵۳، ۲۹۵)، حلية الأولياء لأبى نعيم (۹/ ۱۰۹)، شرح السنة للبغوى (۱۴/ ۱۰۱، ۱۰۲)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۶۲۲۱)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۲/ ۲۳۰)، البخارى فى التاريخ الكبرى (۸/ ۲۰۹، ۹/ ۵۰)، كشفا الخفاء للعجلونى (۱/ ۱۸۱)، الدر المنثور للسيوطى (۱/ ۳۳۰)، المعجم الكبير للطبرانى (۹/ ۶۸)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۶۵۶، ۳۲۶۴۶، ۳۲۶۵۷، ۳۳۱۱۷، ۳۳۶۷۹، ۳۶۷۴۶، ۳۶۸۵۳)، الكامل فى الضعفاء لابن عدى (۲/ ۶۶۶، ۷۹۷).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۱۵)، الإصابة الترجمة رقم (۱۰۹۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۶۹۸)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (۳۵)، جمهرة أنساب العرب (۱۱۶)، تهذيب الكمال (۱۸۸)، تهذيب التهذيب (۲/ ۶۳)، تذهيب التهذيب (۱/ ۱۰۲)،-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸۶

إليه، فقالت: يا رسول الله، إن جئت فلم أجدك، تعنى الموت، قال: «فأتى أبا بكر».

و عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال: «رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و نيط عمر بأبى بكر، و نيط عثمان بعمر»، قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله، و أما ذكر من نوط بعضهم ببعض، فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه.

و عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «بينا أنا نائم، رأيتنى على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها

ابن أبی قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبین، و فی نزعه، و الله یغفر له، ضعف، ثم استحالت غربا، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقریا من الناس ینزع نزع عمر بن الخطاب، حتی ضرب الناس بعطن».

و فی روایة: «فأروی الظمئة، و ضرب الناس بعطن» «۱».

و قد أخبر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، بردة المرتدین من بعده، فحدث أبو سعید الخدری، قال:

قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «بینا أنا نائم، رأیت فی یدی سوارین من ذهب، فکرهتهما فنفختهما فطارا، فأولتهما: کذابین یخرجان، مسیلمة و العنسی» «۲».

و عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «بین یدی الساعة کذابون، منهم صاحب الیمامة، یعنی مسیلمة، و صاحب خیبر، یعنی طلیحة، و منهم العنسی یعنی الأسود، و منهم الدجال، و هو أعظمهم فتنة» «۳».

- خلاصة تذهیب الکمال (۵۲)، شذرات الذهب (۱/ ۶۴)، العقد الثمین (۳/ ۴۰۸).

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۵/ ۷، ۹/ ۴۵، ۴۹، ۱۷۱)، صحیح مسلم کتاب فضائل الصحابة (۱۷)، السنن الکبری للبیهقی (۸/ ۱۵۳)، فتح الباری لابن حجر (۷/ ۱۹، ۱۲/ ۴۱۴)، مشکاة المصابیح للتبریزی (۶۰۳۱)، شرح السنة للبغوی (۱۴/ ۸۹)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۶/ ۲۲۶)، کنز العمال للمتقی الهندی (۳۲۷۳)، دلائل النبوة للبیهقی (۶/ ۳۴۴)، السنة لابن أبی عاصم (۱۴/ ۸۹).

(۲) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۵/ ۲۱۷، ۹/ ۵۲)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۶۳)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۵/ ۵۰)، فتح الباری لابن حجر (۱۲/ ۴۲۰).

(۳) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۴۵، ۵/ ۹۵، ۹۶، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۶)، الدر المنثور للسیوطی (۶/ ۵۱)، کنز العمال للمتقی الهندی (۳۸۳۷۱)، مجمع الزوائد للهیثمی (۶/ ۵۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۸۷

و عن عبد الله بن حوالة «۱»، قال: قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «ثلاث من نجا منهن فقد نجا: من موتی، و من قتل خلیفة مصطبر بالحق یعطیه، و من الدجال» «۲».

و قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، لعبدة بن مسهر الحارثی فیما یعظه به لما قدم علیه: «و إن أدرکتک الردة فلا تتبعن کندة».

و دعا أیضا لجریر بن عبد الله «۳» لما وفد علیه، فقال: «اللهم اشرح صدره للإسلام، و لا تجعله من أهل الردة».

و لما أسر المسلمون یوم بدر سهیل بن عمرو العامری، سأل عمر بن الخطاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، أن ینزع ثنیتیه السفلاوین، و کان أعلم الشفة السفلی، قال: فإنه خطیب لیقوم علیک خطیبا بمکة، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لعمر: «عسی أن یقوم مقاما یسرک» «۴»، فلما توفی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و انتهی خبر وفاته إلی مکة، تکلم بها قوم کلاما قبیحا، و وعی ذلک علیهم، فقام سهیل بن عمرو بخطبة أبی بکر، کأنه کان یسمعها، فقال: أیها الناس، من کان یعبد محمدا، فإن محمدا قد مات، و من کان یعبد الله، فإن الله حی لم یمت، و قد نعی الله عز و جل نبیه صلی اللّه علیه و سلم، إلیکم و هو بین أظهرکم، و نعاکم إلی أنفسکم، فهو الموت حتی لا یبقی أحد، أ لم تعلموا أن الله تعالی قال: إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ [الزمر: ۳۰]، و قال: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ. الآیة [آل عمران: ۱۴۴]، و قال تعالی: کُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران: ۱۸۵]، و قال: کُلُّ شَیْءٍ هالِکٌ إِلَّا وَجْهَهُ [القصص: ۸۸].

فاتقوا الله، و اعتصموا بدینکم، و توکلوا علی ربکم، فإن دین الله قائم، و کلمته تامة، و إن الله ناصر من نصره، و معز دینه، جمعکم الله علی خیرکم.

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۵۳۶)، الإصابة الترجمة رقم (۴۶۵۸)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۹۰۹)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۳۰۶)، تهذيب التهذيب (۵/ ۱۹۴)، تقريب التهذيب (۱/ ۴۱۱)، تهذيب الكمال (۲/ ۶۷۶)، خلاصة تذهيب الكمال (۲/ ۵۱)، الوافى بالوفيات (۱۷/ ۱۵۶)، الثقات (۳/ ۳۴۳)، حلية الأولياء (۲/ ۳).

(۲) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۲۱۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۴/ ۳۳۴).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۲۶)، الإصابة الترجمة رقم (۱۱۳۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۷۳۰۹)، طبقات خليفة (۱۱۶، ۱۳۸)، تاريخ خليفة (۲۱۸)، الجرح و التعديل (۲/ ۵۰۲)، تهذيب الكمال (۱۹۱)، تهذيب التهذيب (۲/ ۷۳)، خلاصة تذهيب الكمال (۶۱)، شذرات الذهب (۱/ ۵۷، ۵۸).

(۴) انظر الحديث فى الشفاء للقاضى عياض (۱/ ۶۷۶)، الجامع الكبير (۲/ ۷۸۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸۸

و فى كلام أكثر من هذا و عظمهم به، و ذكرهم. و قد كان الناس نفروا و هموا، فنفعهم الله بكلامه، فلم يرتد بمكة أحد، فلما بلغ عمر بن الخطاب مقام سهيل، قال: أشهد أن ما قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، حق، فهو و الله هذا المقام.

ذكر بدء الردة بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و ما كان من تأييد الله لخليفة رسوله عليه السلام فيها

قالت عائشة رضى الله عنها: لما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، نجم النفاق و ارتدت العرب، و اشرأبت اليهودية و النصرانية، و صار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية، لفقد نبيهم، حتى جمعهم الله على أبى بكر، فلقد نزل بأبى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، فو الله ما اختلفوا فيه من أمر إلا طار أبى بعلائه و غنائه، و كان من رأى ابن الخطاب علم أنه خلق عونا فللإسلام، كان و الله أحوذيا، نسيج وحده، قد أعد للأمور أقرانها.

و فى الصحيح من حديث أبى هريرة، قال: لما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و استخلف أبو بكر رضى الله عنه، بعده، و كفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبى بكر:

كيف تقاتل الناس، و قد قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى نفسه و ماله إلا بحقه، و حسابه على الله؟» فقال أبو بكر: و الله لأقاتلن من فرق بين الصلاة و الزكاة، فإن الزكاة حق المال، و الله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فو الله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال، فعرفت أنه الحق «۱». الاكتفاء، الكلاعى ج ۲ ۸۸ ذكر بدء الردة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم و ما كان من تأييد الله لخليفة رسوله عليه السلام فيها ..... ص : ۸۸

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۱/ ۱۳، ۱۰۹، ۲/ ۱۳۱، ۴/ ۵۸، ۹/ ۱۹، ۱۱۵، ۱۳۸)، صحيح مسلم كتاب الإيمان (۳۲، ۳۳، ۳۵)، سنن النسائى الصغرى (۷/ ۷۷، ۷۸، ۷۹، ۸/ ۸۱)، سنن أبى داود (۱۵۵۶، ۲۶۴۰)، سنن الترمذى (۲۶۰۶، ۲۶۰۷، ۳۳۴۱)، سنن ابن ماجه (۳۹۲۷، ۳۹۲۸، ۳۹۲۹)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۱۱، ۱۹، ۳۵، ۴۸، ۲/ ۳۷۷، ۴۲۳، ۴۷۵، ۵۰۲، ۵۲۷، ۵۲۸، ۳/ ۳۰۰، ۳۲۲، ۳۳۹، ۴/ ۸)، سنن البيهقى الكبرى (۱/ ۷، ۵۴، ۲/ ۳، ۹۲، ۴/ ۱۰۴، ۱۱۴، ۷/ ۳، ۴، ۸/ ۱۹، ۱۳۶، ۱۷۶، ۱۷۷، ۱۹۶، ۹/ ۴۹، ۱۸۲)، مستدرك الحاكم (۲/ ۵۲۲)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۶/ ۱۷۱)، شرح السنة للبغوى (۱/ ۶۶، ۶۹، ۵/ ۴۸۸)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۷۵، ۳۷۹)-.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸۹

قال عمر بن الخطاب: و الله لرجح إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة جميعا فى قتال أهل الردة.

و ذكر يعقوب بن محمد الزهرى عن جماعة من شيوخه، قالوا: فكان أبو بكر أمير الشاكرين الذين ثبتوا على دينهم، و أمير الصابرين الذين صبروا على جهاد عدوهم، أهل الردة بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و برأى أبى بكر أجمعوا على قتالهم، و ذلك أن العرب افترق فى ردتها، فقالت فرقة:

لو كان نبيا ما مات، و قال بعضهم: انقضت النبوة بموته، فلا نطيع أحدا بعده، و فى ذلك يقول قائلهم:

أطعنا رسول الله ما عاش بيننافيا لعباد الله ما لأبى بكر

أ يورثها بكرا إذا مات بعدهفتلك و بيت الله قاصمة الظهر و قال بعضهم: نؤمن بالله، و نشهد أن محمدا رسول الله، و نصلى، و لكن لا نعطيكم أموالنا، فأبى أبو بكر إلا قتالهم على حسب ما تقدم ذكره.

و جادل أبو بكر الصحابة فى جهادهم، و كان من أشدهم عليه عمر و أبو عبيدة بن الجراح «۱»، و سالم مولى أبى حذيفة «۲»، و قالوا له: احبس جيش أسامة بن زيد، فيكون عمارة و أمانة بالمدينة، و ارفق بالعرب حتى ينفرج هذا الأمر، فإن هذا الأمر شديد غوره و تهتكه من غير وجهه، فلو أن طائفة من العرب ارتدت قلنا: قاتل بمن معك ممن ثبت من ارتد، و قد اتفقت العرب على الارتداد، فهم بين مرتد، و مانع صدقة، فهو مثل المرتد،

- ۱۶۸۳۶، ۱۶۸۴۶)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۱/ ۱۵۵)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۱۷۹۰)، البداية و النهاية لابن كثير (۱۰/ ۳۳۴)، فتح البارى لابن حجر (۱/ ۴۹۷، ۱۳/ ۱۷۴، ۲۵۰، ۳۳۹)، نصب الراية للزيلعى (۳/ ۳۸۰، ۴۸۰، ۴/ ۳۲۴، ۳۳۹)، الدر المنثور للسيوطى (۵/ ۲۷۴، ۶/ ۳۴۳)، زاد المسير لابن الجوزى (۹/ ۱۰۰)، جمع الجوامع (۴۴۱۱، ۴۴۱۴، ۴۴۱۸)، المعجم الكبير للطبرانى (۲/ ۱۹۸، ۳۴۷، ۶/ ۱۶۱، ۸/ ۳۸۲)، التاريخ الكبير للبخارى (۳/ ۳۶۷، ۷/ ۳۵)، مصنف ابن أبى شيبة (۱۰/ ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۲/ ۳۷۴، ۳۷۶، ۳۷۷، ۳۸۰).

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۱۰۸)، الإصابة الترجمة رقم (۱۰۲۳۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۶۰۸۴)، تهذيب الكمال (۱۶۲۳)، تقريب التهذيب (۲/ ۴۴۸)، تهذيب التهذيب (۱۲/ ۱۵۹)، المؤتلف و المختلف (۸۴۰)، التبصرة و التذكرة (۳/ ۲۷).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۸۸۶)، الإصابة الترجمة رقم (۳۰۵۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۸۹۲)، و هو: سالم بن معقل، مولى أبى حذيفة.

الاكتفاء، الكلاعى، ج۲، ص: ۹۰

و بين واقف ينظر ما تصنع أنت و عدوك، قد قدم رجلا و أخر رجلا «۱».

و فى كتاب الواقدى من قول عمر لأبى بكر: و إنما شحت العرب على أموالها، و أنت لا تصنع بتفريق العرب عنك شيئا، فلو تركت للناس صدقة هذه السنة.

و قدم على أبى بكر عيينة بن حصن الفزارى، و الأقرع بن حابس، فى رجال من أشراف العرب، فدخلوا على رجال من المهاجرين، فقالوا: إنه قد ارتد عامة من وراءنا عن الإسلام، و ليس فى أنفسهم أن يؤدوا إليكم من أموالهم ما كانوا يؤدون إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فإن تجعلوا لنا جعلا نرجع فنكفيكم من وراءنا؛ فدخل المهاجرون و الأنصار على أبى بكر، فعرضوا عليه الذى عرضوا عليهم، و قالوا: نرى أن تطعم الأقرع و عيينة طعمة يرضيان بها و يكفيانك من وراءهما، حتى يرجع إليك أسامة و جيشه، و يشتد أمرك، فإنا اليوم قليل فى كثير، و لا طاقة لنا بقتال العرب، قال أبو بكر: هل ترون غير ذلك؟ قالوا:

لا؛ قال أبو بكر: إنكم قد علمتم أنه كان من عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، إليكم المشورة فيما لم يمض فيه أمر من نبيكم و لا نزل به الكتاب عليكم، و أن الله لن يجمعكم على ضلالة، و إنى سأشير عليكم، فإنما أنا رجل منكم، تنظرون فيما أشير به عليكم و فيما أشرتم به، فتجتمعون على أرشد ذلك، فإن الله يوفقكم، و أما أنا فأرى أن ننبذ إلى عدونا، فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر، و أن لا

نرشو على الإسلام أحدا، و أن نتأسى برسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فنجاهد عدوه كما جاهدهم، و الله لو منعونى عقالا لرأيت أن أجاهدهم عليه حتى آخذه، فائتمروا يرشدكم الله، فهذا رأيى؛ و أما قدوم عيينة و أصحابه إليكم، فهذا أمر لم يغب عنه عيينة، هو راضه ثم جاء له و لو رأوا ذباب السيف لعادوا إلى ما خرجوا منه أو أفناهم السيف فإلى النار، قتلناهم على حق منعوه و كفر. فبان للناس وجه أمرهم، و قالوا لأبى بكر لما سمعوا رأيه: أنت أفضلنا رأيا، و رأينا لرأيك تبع. فأمر أبو بكر الناس بالتجهز، و أجمع على المسير بنفسه لقتال أهل الردة.

و كانت أسد و غطفان من أهل الضاحية قد ارتدت، و لم ترتد عبس و لا بعض أشجع، و ارتدت عامة بنى تميم و طوائف من بنى سليم: عصية و عميرة و خفاف، و بنو عوف بن امرئ القيس، و ذكوان، و بنو جارية، و ارتد أهل اليمامة «۲» كلهم، و أهل البحرين «۳»

---

(۱) انظر: غزوات ابن حبيش (۱/ ۲۲).

(۲) راجع قصة ارتداد أهل اليمامة فى: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۷۹- ۸۳)، تاريخ الطبرى (۳/ ۲۸۰، ۲۸۱).

(۳) راجع قصة أهل البحرين فى: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۸۳- ۸۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۹۱

و بكر بن وائل، و أهل دبى من أزد عمان «۱»، و النمر بن قاسط، و كلب، و من قاربهم من قضاعة، و عامة بنى عامر بن صعصعة، و فيهم علقمة بن علاثة، و قيل: إنها تربصت مع قادتها و سادتها ينظرون لمن تكون الدبرة، و قدموا رجلا و أخروا أخرى، و ارتدت فزارة، و جمعها عيينة بن حصن، و تمسك بالإسلام من بين المسجدين، و أسلم و غفار و جهينة و مزينة و كعب و ثقيف، قام فيهم عثمان بن أبى العاص فى بنى مالك، و قام فى الأحلاف رجل منهم، فقال: يا معشر ثقيف، نشدتكم الله أن تكونوا أول العرب ارتدادا و آخرهم إسلاما؛ و أقامت طئ كلها على الإسلام، و هذيل، و أهل السراة و بجيلة و خثعم و من قارب تهامة من هوازن نصر و جشم و سعد بن بكر و عبد القيس، قام فيهم الجارود فثبتوا على الإسلام، و ارتدت كندة و حضرموت و عنس.

و قال أبو هريرة: لم يرجع رجل واحد من دوس و لا من أهل السراة كلها. و قال أبو مرزوق التجيبى: لم يرجع رجل واحد من تجيب و لا من همدان، و لا من الأبناء بصنعاء، و لقد جاء الأبناء وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فشق نساؤهم الجيوب و ضربن الخدود، و فيهم المرزبانة، فشقت درعها من بين يديها و من خلفها.

و قد كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، لما صدر من الحج سنة عشر، و قدم المدينة فأقام حتى رأى هلال المحرم سنة إحدى عشرة، و بعث المصدقين فى العرب، فبعث على عجز هوازن عكرمة بن أبى جهل «۲»، و بعث حامية بن سبيع الأسدى على صدقات قومه، و على بنى كلاب الضحاك بن سفيان «۳»، و على أسد وطئ عدى بن حاتم «۴»، و على بنى يربوع

---

(۱) راجع قصة أهل عمان فى: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۸۵- ۸۶)، تاريخ الطبرى (۳/ ۳۱۴).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۸۵۷)، الإصابة الترجمة رقم (۵۶۵۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۷۴۱)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (۱۷۴)، طبقات خليفة (۲۰/ ۲۹۹)، تاريخ خليفة (۹۲)، الجرح و التعديل (۷/ ۶، ۷)، العقد الثمين، (۶/ ۱۱۹، ۱۲۳)، شذرات الذهب (۱/ ۲۷، ۲۸)، سير أعلام النبلاء (۱/ ۳۲۳)، العبر (۱/ ۱۸)، تهذيب الكمال (۹۵۰)، تهذيب التهذيب (۷/ ۲۵۷)، خلاصة تذهيب الكمال (۲۷۰).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۲۵۵)، الإصابة الترجمة رقم (۴۱۸۶) أسد الغابة الترجمة رقم (۲۵۵۶)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۷۰)، الوافى بالوفيات (۱۶/ ۳۵۲)، الأعلام (۳/ ۲۱۴)، تهذيب الكمال (۱/ ۶۱۵)، تهذيب التهذيب (۴/ ۴۴۴)، خلاصة

تذهيب الكمال (۲/ ۳)، المعرفة و التاريخ (۳/ ۳۶۹)، التحفة اللطيفة (۲/ ۲۵۰)، الجرح و التعديل (۴/ ۲۰۱۸)، دائرة معارف الأعلمیّ (۲۰/ ۲۵۵).

(۴) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۱۸۰۰)، الإصابة الترجمة رقم (۵۴۹۱)، أسد-

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۲،ص:۹۲

مالك بن نویرة «۱»، و علی بنی دارم و قبائل بنی حنظلة الأقرع بن حابس «۲»، و بعث الزبرقان بن بدر «۳» علی صدقات قومه، و قیس بن عاصم المنقری «۴» علی صدقات قومه.

فلما بلغتهم وفاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم اختلفوا، فمنهم من رجع، و منهم من أدی إلی أبی بكر، و كان الذین حبسوا صدقات قومهم و فرقوها بین قومهم مالك بن نویرة، و قیس بن عاصم، و الأقرع بن حابس التمیمی، و أما بنو كلاب فتربصوا، و لم یمنعوا منعا بینا، و لم یعطوا، كانوا بین ذلك.

و بعث رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، علی فزارة نوفل بن معاویة الدیلی «۵»، فلقیه خارجة بن حصن ابن حذیفة بن بدر الفزاری بالشربة، فقال: أ ما ترضی أن تغنم نفسك؟ فرجع نوفل بن

- الغابة الترجمة رقم (۳۶۱۰)، الجرح و التعدیل (۷/ ۲)، مروج الذهب (۳/ ۱۹۰)، جمهرة أنساب العرب (۴۰۲)، تاریخ بغداد (۱/ ۱۸۹)، تهذیب الكمال (۹۲۵)، تذهیب التهذیب (۳/ ۳۶)، خلاصة تذهیب الكمال (۲۲۳)، تهذیب التهذیب (۷/ ۱۶۶)، شذرات الذهب (۱/ ۷۴)، سیر أعلام النبلاء (۳/ ۱۶۲).

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۳۳۱)، الإصابة الترجمة رقم (۷۷۱۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۶۵۶).

(۲) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۶۹)، الإصابة الترجمة رقم (۲۳۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۰۸)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۲۶)، الوافی بالوفیات (۹/ ۳۰۷)، التحفة اللطیفة (۱/ ۳۳۷)، أزمنة التاریخ الإسلامی (۱/ ۵۳۱)، التاریخ الصغیر (۵۹)، الجامع فی الرجال (۲۸۱)، تهذیب الأسماء و اللغات (۱/ ۱۲۴).

(۳) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۸۷۰)، الإصابة الترجمة رقم (۲۷۸۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۷۲۸)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۱۸۸)، تقریب التهذیب (۱/ ۲۵۷)، الطبقات الكبری (۷/ ۳۶)، الثقات (۳/ ۱۴۲)، الأعلام (۳/ ۴۱).

(۴) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۱۶۴)، الإصابة الترجمة رقم (۷۲۰۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۳۷۰)، تجرید أسماء الصحابة (۲/ ۲۲)، تقریب التهذیب (۲/ ۱۲۹)، تهذیب التهذیب (۸/ ۳۹۹)، خلاصة تهذیب الكمال (۲/ ۳۵۷)، الأنساب لابن السمعانی (۷/ ۱۴۱)، أزمنة التاریخ الإسلامی (۸۱۶)، الثقات (۳/ ۳۳۸).

(۵) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۶۷۳)، الإصابة الترجمة رقم (۸۸۵۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۳۲۲)، تجرید أسماء الصحابة (۲/ ۱۱۵)، تهذیب التهذیب (۱۰/ ۴۹۲)، تقریب التهذیب (۲/ ۳۰۹)، خلاصة تذهیب الكمال (۳/ ۱۰۳)، الجرح و التعدیل (۱/ ۴۸۷)، العقد الثمین (۷/ ۳۵۳)، الأنساب لابن للسمعانی (۵/ ۴۴۹)، الأعلام (۸/ ۵۵)، الطبقات الكبری (۱/ ۸۷).

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۲،ص:۹۳

معاویة هاربا حتی قدم علی أبی بكر الصدیق بسوطه، و قد كان جمع فرائض فأخذها منه خارجة، فردها علی أربابها، و كذا فعلت سلیم بعرباض بن ساریة «۱»، و قد كان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، بعثه علی صدقاتهم، فلما بلغتهم وفاة النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، أبوا أن یعطوه شیئا، و أخذوا منه ما كان جمع، فانصرف من عندهم بسوطه، و أما أسلم و غفار و مزینة و جهینة، و كان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، بعث إلیهم كعب بن مالك الأنصاری، فسلموا إلیه صدقاتهم، لما بلغتهم وفاته، و تأدت إلی أبی بكر، فاستعان بها فی قتال أهل الردة، و كذلك فعل بنو كعب مع أمیر صدقاتهم بشر بن سفیان الكعبی، و أشجع مع مسعود بن رحیلة الأشجعی «۲»،

فقدم بذلک کله علی أبی بکر.

و کان عدی بن حاتم قد حبس إبل الصدقة، یرید أن یبعث بها إلی أبی بکر إذا وجد فرجة، و الزبرقان بن بدر مثل ذلک، فجعل قومهما یکلمونهما فیأبیان، و کان أحزم رأیا و أفضل فی الإسلام رغبة ممن کان فرق الصدقة فی قومه، فقالا لقومهما: لا تعجلوا، فإنه إن قام بهذا الأمر قائم ألفاکم لم تفرقوا الصدقة، و إن کان الذی تظنون، فلعمری إن أموالکم لبأیدیکم، فلا یغلبنکم علیها أحد، فسکتوهم حتی أتاهم یقین خبر القوم، فلما اجتمع الناس علی أبی بکر جاءهم أنه قد قطع البعوث، و سار بعث أسامة بن زید إلی الشام، و أبو بکر یخرج إلیهم، فکان عدی بن حاتم یأمر ابنه أن یسرح مع نعم الصدقة، فإذا کان المساء روحها، و إنه جاء بها لیلة عشاء، فضربه، و قال: أ لا عجلت بها؟.

ثم راح بها اللیلة الثانیة فوق ذلک قلیلا، فجعل یضربه، و جعلوا یکلمونه فیه، فلما کان الیوم الثالث قال: یا بنی إذا سرحتها فصح فی أدبارها و أم بها المدینة، فإن لقیک لاق من قومک أو من غیرهم فقل أرید الکلأ، تعذر علینا ما حولنا، فلما أن جاء الوقت الذی کان یروح فیه، لم یأت الغلام، فجعل أبوه یتوقعه و یقول لأصحابه: العجب لحبس ابنی، فیقول بعضهم: نخرج یا أبا طریف فنتبعه، فیقول: لا و الله؛ فلما أصبح تهیأ لیغدو، فقال قومه: نغدو معک، فقال: لا یغدو معی منکم أحد، إنکم إن رأیتموه حلتم بینی

---

(۱) انظر ترجمته فی: الإستیعاب الترجمة رقم (۲۰۴۹)، الإصابة الترجمة رقم (۵۵۱۷)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۶۳۰)، مشاهیر علماء الأمصار الترجمة رقم (۳۳۱)، شذرات الذهب (۱/ ۸۲)، حلیة الأولیاء (۲/ ۱۳)، سیر أعلام النبلاء (۳/ ۴۱۹)، تقریب التهذیب (۲/ ۱۷)، خلاصة تذهیب التهذیب (۲۶۹)، تاریخ الإسلام (۲/ ۴۸۳).

(۲) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۴۰۸)، و فیه: مسعود بن «رخیلة بن عائذ الأشجعی»، الإصابة الترجمة رقم (۷۹۶۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۸۸۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۹۴

و بین ضربه، و قد عصی أمری کما ترون؛ فخرج علی بعیر له سریعا حتی لحق ابنه، ثم حدر النعم إلی المدینة، فلما کان ببطن قناة لقیته خیل لأبی بکر، علیها ابن مسعود، و یقال محمد بن مسلمة «۱» و هو أثبت عندنا، فلما نظروا إلیه ابتدروه، و ما کان معه، و قالوا له: أین الفوارس الذین کانوا معک؟ قال: ما معی أحد، قالوا: بلی، لقد کان معک فوارس، فلما رأونا تغیبوا، فقال ابن مسعود: خلوا عنه فما کذب و لا کذبتم، جنود الله معه، و لم یرهم.

فقدم علی أبی بکر بثلاثمائة بعیر، و کانت أول صدقة قدم بها علی أبی بکر.

و ذکر بعض من ألف فی الردة: أن الزبرقان بن بدر هو الذی فعل هذا الفعل المنسوب فی هذا الحدیث إلی عدی بن حاتم، فإما أن یکونا فعلاه معا توفیقا من الله لهما، و إما أن یکون هذا مما یعرض فی النقل من الاختلاف، و الذی ینسب ذلک إلی الزبرقان یقول: إنه قال فی ذلک:

لقد علمت قیس و خندف أننیوفیت إذا ما فارس الغدر ألجما

أتیت التی قد یعلم الله أنهاإذا ذکرت کانت أعف و أکرما

أنفت لعوف أن یسب أبوهمإذا اقتسم الناس السوام المقسما

و روحتها من أهل جوفاء صبحتتدوس بأیدیها الحصاد المحرما

حبوت بها قبر النبیّ و قد أبیفلم یجبه ساع من الناس مقسما و قال أیضا:

وفیت بأذواد النبیّ ابن هاشمعلی موطن ضام الکریم المسودا

فأدیتها ألفا و لو شئت ضمهارعاء یکون الوشیج المقصدا و ذکر ابن إسحاق: أن عدی بن حاتم کانت عنده إبل عظیمة اجتمعت له من

صدقات قومه عند ما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فلما ارتد من الناس و ارتجعوا صدقاتهم، و ارتدت بنو أسد، و هم جيرانهم، اجتمعت طيئ إلى عدى بن حاتم، فقالوا: إن هذا الرجل قد مات، و قد انتقض الناس بعده، و قبض كل قوم ما كان فيهم من صدقاتهم، فنحن أحق بأموالنا من شذاذ الناس، فقال: أ لم تعطوا من أنفسكم العهد و الميثاق على الوفاء طائعين غير مكرهين.

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۳۷۲)، الإصابة الترجمة رقم (۷۸۲۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۷۶۸)، تهذيب الكمال (۱۲۷۱)، تهذيب التهذيب (۹/ ۴۵۴)، خلاصة تذهيب الكمال (۳۵۹)، شذرات الذهب (۱/ ۴۵، ۵۳)، الجرح و التعديل (۸/ ۷۱)، الاستبصار (۲۴۱، ۲۴۲)، تاريخ الإسلام (۲/ ۲۴۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۹۵

قالوا: بلى، و لكن قد حدث ما ترى، و قد ترى ما صنع الناس. قال: و الذى نفس عدى بيده، لا أخيس بها أبدا، و لو كنت جعلتها لرجل من الزنج، لوفيت له بها، فإن أبيتم لأقاتلنكم، يعنى على ما فى يده و ما فى أيديهم، فليكونن أول قتيل يقتل على وفاء ذمته عدى بن حاتم، أو يسلمها، فلا تطمعوا أن يسب حاتما فى قبره عدى ابنه من بعده، فلا يدعونكم عذر عاذر إلى أن تعذروا، فإن للشيطان قادة عند موت كل نبى، يستخف لها أهل الجهل حتى يحملهم على قلائص الفتنة، و إنما هى عجاجة لا ثبات لها، و لا ثبات فيها، إن لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، خليفة من بعده يلى هذا الأمر، و إن لدين الله أقواما سينهضون و يقومون به بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، كما قاموا بعهده و ذو بيته فى السماء، لئن فعلتم ليقارعنكم على أموالكم و نسائكم بعد قتل عدى و غدركم، فأى قوم أنتم عند ذلك، فلما رأوا منه الجد، كفوا عنه، و سلموا له.

و يروى أن مما قال له قومه: أمسك فى يدك، فإنك إن تفعل تسد الحليفين، يعنون طيئا و أسدا.

فقال: ما كنت لأفعل حتى أدفعها إلى أبى بكر، فجاء بها حتى دفعها إليه، فلما كان زمن عمر بن الخطاب، رأى من عمر رحمه الله، جفوة، فقال له عدى: ما أراك تعرفنى؟

قال عمر: بلى، و الله، و الله يعرفك من السماء، أعرفك و الله: أسلمت إذ كفروا، و وفيت إذ غدروا، و أقبلت إذ أدبروا، بلى، و ايم الله أعرفك.

و قدم أيضا الزبرقان بن بدر بصدقات قومه على أبى بكر، فلم يزل لعدى و الزبرقان بذلك شرف و فضل على من سواهما.

و أعطى أبو بكر عديا ثلاثين بعيرا من إبل الصدقة، و ذلك أن عديا لما قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، نصرانيا فأسلم و أراد الرجوع إلى بلاده أرسل إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، يعتذر من الزاد و يقول: «و الله، ما أصبح عند آل محمد شقة من الطعام، و لكن ترجع و يكون خير»، فلذلك أعطاه أبو بكر تلك الفرائض.

و لما كان من العرب ما كان من التواثهم عن الدين و منع من منع منهم الصدقة جد بأبى بكر الجد فى قتالهم، و أراه الله رشده فيهم، و عزم على الخروج بنفسه إليهم، و أمر الناس بالجهاز، و خرج هو فى مائة من المهاجرين، و قيل: فى مائة من المهاجرين و الأنصار، و خالد بن الوليد يحمل اللواء، حتى نزل بقعاء، و هو ذو القصة «۱»، يريد أبو

---

(۱) ذو القصة: مكان على بريد من المدينة، و هو الذى أخرج إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه. انظر: الروض المعطار (۴۷۷)، معجم ما استعجم (۳/ ۱۰۸۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۹۶

بكر أن يتلاحق الناس من خلفه، و يكون أسرع لخروجهم، و وكل بالناس محمد بن مسلمة يستحثهم، فانتهى إلى بقعاء عند غروب الشمس، فصلى بها المغرب، و أمر بنار عظيمة فأوقدت، و أقبل خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر و كان ممن ارتد، فى خيل من

قومه إلی المدینة یرید أن یخذل الناس عن الخروج، أو یصیب غرة فیغیر، فأغار علی أبی بکر رضی الله عنه، و من معه، و هم غافلون، فاقتتلوا شیئا من قتال، و تحیز المسلمون، و لاذ أبو بکر بشجرة، و کره أن یعرف، فأوفی طلحة بن عبید الله علی شرف فصاح بأعلی صوته لا بأس، هذه الخیل قد جاءتکم، فتراجع الناس، و جاءت الأمداد، و تلاحق المسلمون، فانکشف خارجة بن حصن و أصحابه، و تبعه طلحة بن عبید الله فیمن خف معه، فلحقوه فی أسفل ثنایا عوسجة، و هو هارب لا یألو فیدرک أخریات أصحابه، فحمل طلحة علی رجل بالرمح فدق ظهره، و وقع میتا، و هرب من بقی، و رجع طلحة إلی أبی بکر، فأخبره أن قد ولوا منهزمین هاربین، و أقام أبو بکر ببقعاء أیاما ینتظر الناس، و بعث إلی من کان حوله من أسلم و غفار و مزینة و أشجع و جهینة و کعب یأمرهم بجهاد أهل الردة، و الخفوف إلیهم، فتحلب الناس إلیهم من هذه النواحی، حتی شحنت منهم المدینة.

قال سبرة الجهنی «۱»: قدمنا معشر جهینة أربعمائة معنا الظهر و الخیل، و ساق عمرو ابن مسرة الجهنی مائة بعیر عونا للمسلمین، فوزعها أبو بکر فی الناس، و جعل عمر بن الخطاب، و علی بن أبی طالب یکلمان أبا بکر فی الرجوع إلی المدینة لما رأیا عزمه علی المسیر بنفسه، و قد توافی المسلمون و حشدوا، فلم یبق أحد من أصحاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، من المهاجرین و الأنصار من أهل بدر إلا خرج، و قال عمر: ارجع یا خلیفة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، تکن للمسلمین فئة و رداء، فإنک إن تقتل یرتد الناس و یعل الباطل الحق، و أبو بکر مظهر المسیر بنفسه، و سألهم بمن نبدأ من أهل الردة، فاختلفوا علیه، فقال أبو بکر: نصمد لهذا الکذاب علی الله و علی کتابه، طلیحة.

و لما ألحوا علی أبی بکر فی الرجوع، و عزم هو علیه، أراد أن یستخلف علی الناس،

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۹۱۳)، الإصابة الترجمة رقم (۳۰۹۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۹۳۶)، مشاهیر علماء الأمصار (۳۵)، الوافی بالوفیات (۱۵/ ۱۱۱)، تهذیب الکمال (۱۰/ ۲۰۳)، تهذیب التهذیب (۳/ ۴۵۰۳)، تقریب التهذیب (۱/ ۲۸۳)، خلاصة تذهیب التهذیب (۱۳۳)، تاریخ الإسلام (۱/ ۲۱۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۹۷

فدعا زید بن الخطاب «۱» لذلک، فقال: یا خلیفة رسول الله، قد کنت أرجو أن أرزق الشهادة مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فلم أرزقها، و أنا أرجو أن أرزقها فی هذا الوجه، و إن أمیر الجیش لا ینبغی أن یباشر القتال بنفسه، فدعا أبا حذیفة بن عتبة بن ربیعة، فعرض علیه ذلک، فقال مثل ما قال زید، فدعا سالما مولی أبی حذیفة لیستعمله، فأبی علیه، فدعا أبو بکر خالد بن الولید فأمره علی الناس، و قال لهم و قد توافی المسلمون قبله، و بعث مقدمته أمام الجیش: أیها الناس، سیروا علی اسم الله تعالی و برکته، فأمیرکم خالد بن الولید، إلی أن ألقاکم، فإنی خارج فیمن معی إلی ناحیة خیبر حتی ألاقیکم. و یروی أنه قال للجیش: سیروا، فإن لقیتکم بعد غد فالأمر إلی، و أنا أمیرکم، و إلا فخالد بن الولید علیکم، فاسمعوا له و أطیعوا.

و إنما قال ذلک أبو بکر لأن تذهب کلمته فی الناس، و تهاب العرب خروجه، ثم خلا بخالد بن الولید، فقال: یا خالد، علیک بتقوی الله، و إیثاره علی من سواه، و الجهاد فی سبیله، فقد ولیتک علی من تری من أهل بدر من المهاجرین و الأنصار، فسار خالد، و رجع أبو بکر، و عمر، و علی، و طلحة، و الزبیر، و عبد الرحمن بن عوف، و سعد بن أبی وقاص فی نفر من المهاجرین و الأنصار من أهل بدر رضی الله عنهم جمیعهم، إلی المدینة.

وصیة أبی بکر الصدیق رضی الله عنه، خالد بن الولید حین بعثه فی هذا الوجه

قال حنظلة بن علی الأسلمی: بعث أبو بکر رضی الله عنه، خالد بن الولید إلی أهل الردة، و أمره أن یقاتلهم علی خمس خصال، فمن ترک واحدة من الخمس قاتله: شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله، و إقام الصلاة، و إیتاء الزکاة، و صیام شهر رمضان.

زاد زيد بن أسلم: و حج البيت، و قال: كن ستا.

و عن نافع بن جبران أن أبا بكر حين بعث خالد بن الوليد عهد إليه، و كتب معه هذا الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر، خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، إلى

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۸۵۱)، الإصابة الترجمة رقم (۸۹۰۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۸۳۴)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۹۸)، سير أعلام النبلاء (۱/ ۲۹۷)، تهذيب التهذيب (۳/ ۴۱۱)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۷۴)، خلاصة تذهيب الكمال (۱/ ۳۵۲)، الأعلام (۳/ ۵۸)، العبر (۱۴)، الثقات (۳/ ۱۳۶)، الاستبصار (۲۹۶، ۲۹۷)، صفة الصفوة (۱/ ۴۴۷)، التحفة اللطيفة (۱/ ۹۹)، الرياض المستطاب (۸۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۹۸

خالد بن الوليد، حين بعثه فيمن بعثه من المهاجرين و الأنصار، و من معهم من غيرهم لقتال من رجع عن الإسلام بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، عهد إليه و أمره أن يتقى الله ما استطاع فى أمره كله، علانيته و سره، و أمره بالجد فى أمر الله و المجاهدة لمن تولى عنه إلى غيره و رجع عن الإسلام إلى ضلالة الجاهلية و أمانى الشيطان.

و عهد إليه و أمره أن لا يقاتل قوما حتى يعذر إليهم و يدعوهم إلى الإسلام، و يبين لهم الذى لهم فى الإسلام و الذى عليهم فيه، و يحرص على هداهم، فمن أجابه إلى ما دعاه إليه من الناس كلهم، أحمرهم و أسودهم، قبل منه، و ليعذر إلى من دعاه بالمعروف و بالسيف، فإنما يقاتل من كفر بالله على الإيمان بالله، فإذا أجاب المدعو إلى الإيمان، و صدق إيمانه، لم يكن عليه سبيل، و كان الله حسيبه بعد فى عمله، و من لم يجبه إلى ما دعا إليه من دعائه الإسلام، ممن رجع عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، أن يقاتل أولئك بمن معه من المهاجرين و الأنصار، حيث كانوا، و حيث بلغ مراغمه، ثم يقتل من قدر عليه من أولئك، و لا يقبل من أحد شيئا دعاه إليه و لا أعطاه إياه الإسلام و الدخول فيه و الصبر به و عليه و شهادة أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله.

و أمره أن يمضى بمن معه من المسلمين حتى يقدم اليمامة فيبدأ ببنى حنيفة و مسيلمتهم الكذاب، فيدعوهم و يدعوه إلى الإسلام، و ينصح لهم فى الدين، و يحرص على هداهم، فإن أجابوا إلى ما دعاهم إليه من دعاية الإسلام قبل منهم، و كتب بذلك إلى، و أقام بين أظهرهم حتى يأتيه أمرى، و إن هم لم يجيبوا و لم يرجعوا عن كفرهم و اتباع كذابهم على كذبه على الله عز و جل، قاتلهم أشد القتال بنفسه و بمن معه، فإن الله ناصر دينه و مظهره على الدين كله، كما قضى فى كتابه و لو كره الكافرون، فإن أظهره الله عليهم إن شاء الله و أمكنه منهم فليقتلهم بالسلاح، و ليحرقهم بالنار، و لا يستبق منهم أحدا قدر على أن يستبقيه، و ليقسم أموالهم و ما أفاء الله عليه و على المسلمين إلا خمسه، فليرسل به إلى أضعه حيث أمر الله به أن يوضع إن شاء الله.

و عهد إليه أن لا- يكون فى أصحابه فشل من رأيهم و لا عجلة عن الحق إلى غيره، و لا يدخل فيهم حشو من الناس حتى يعرفهم و يعرف ممن هم، و علام اتبعوه و قاتلوا معه، فإني أخشى أن يدخل معكم ناس يتعوذون بكم ليسوا منكم و لا على دينكم، فيكونون عيونا عليكم، و يتحفظون من الناس بمكانهم معكم، و أنا أخشى أن يكون ذلك فى الأعراب و جفاتهم، فلا يكونن من أولئك فى أصحابك أحد إن شاء الله تعالى، و ارفق بالمسلمين فى سيرهم و منازلهم، و تفقدهم، و لا تعجل بعض الناس عن بعض فى المسير

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۹۹

و لا- فى الارتحال من مكان، و استوص بمن معك من الأنصار خيرا فى حسن صحبتهم، و لين القول لهم، فإن فيهم ضيقا و مرارة و زعارة، و لهم حق و فضيلة و سابقة و وصية من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فاقبل من محسنهم و تجاوز عن مسيئهم كما قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و السلام عليك و رحمة الله و بركاته.

و يروى أن أبا بكر رحمه الله، كتب مع هذا الكتاب كتابا آخر إلى عامة الناس، و أمر خالدا أن يقرأه عليهم فى كل مجمع، و هو: بسم

الله الرحمن الرحيم، من أبى بكر خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى من بلغه كتابى هذا من عامة أو خاصة، تاما على إسلامه أو راجعا عنه، سلام على من اتبع الهدى و لم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة و العمى، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبد و رسوله، الهادى غير المضل، أرسله بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا و نذيرا، و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا، لينذر من كان حيا، و يحق القول على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، و ضرب بالحق من أدبر عنه حتى صاروا إلى الإسلام طوعا و كرها، ثم أدرك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، عند ذلك أجله الذى قضى الله عليه و على المؤمنين، فتوفاه الله، و قد كان بين له ذلك و لأهل الإسلام فى الكتاب الذى أنزل عليه، فقال له: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر: ۳۰]، و قال:

وَ ما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ [الأنبياء: ۳۴، ۳۵]، و قال للمؤمنين:

وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [آل عمران: ۱۴۴]، فمن كان إنما يعبد محمدا، فإن محمدا قد مات، صلوات الله عليه، و من كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له، فإن الله بالمرصاد، حى قيوم لا يموت، و لا تأخذه سنة و لا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه، و إنى أوصيكم أيها الناس بتقوى الله، و أحضكم على حظكم و نصيبكم من الله و ما جاءكم به نبيكم محمد صلى اللّه عليه و سلم، و أن تهتدوا بهدى الله، و تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يحفظه الله ضائع، و كل من لم يصدقه الله كاذب، و كل من لم يسعده الله شقى، و كل من لم يرزقه الله محروم، و كل من لم ينصره الله مخذول، فاهتدوا بهدى الله ربكم و ما جاءكم به نبيكم محمد صلى اللّه عليه و سلم، فإنه: مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً [الكهف: ۱۷]، و إنه قد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام و عمل به، اغترارا بالله و جهالة بأمر الله، و طاعة للشيطان، إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما يَدْعُوا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۰

حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ [فاطر: ۶]، و إنى قد بعثت خالد بن الوليد فى جيش من المهاجرين الأولين من قريش و الأنصار و غيرهم، و أمرته أن لا يقاتل أحدا و لا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن دخل فى دين الله و تاب إلى الله و رجع عن معصية الله إلى ما كان يقر به من دين الله و عمل صالحا قبل ذلك منه، و أعانه عليه، و من أبى أن يرجع إلى الإسلام بعد أن يدعوه بداعية الله و يعذر إليه بعاذرة الله، أن يقاتل من قاتله على ذلك أشد القتال بنفسه و من معه من أنصار دين الله و أعوانه، ثم لا يبقى على أحد بعد أن يعذر إليه، و أن يحرقهم بالنار، و يسبى الذرارى و النساء، و أمرته أن لا يقبل من أحد شيئا إلا الرجوع إلى دين الله، و شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله صلى اللّه عليه و سلم، و قد أمرته أن يقرأ على الناس كتابى إليهم فى كل مجمع و جماعة، فمن اتبعه فهو خير له، و من تركه فهو شر له.

و عن عروة بن الزبير، قال: جعل أبو بكر رضى الله عنه، يوصى خالد بن الوليد و يقول: يا خالد، عليك بتقوى الله، و الرفق بمن معك من رعيتك، فإن معك أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، أهل السابقة من المهاجرين و الأنصار، فشاوروهم فيما نزل بك، ثم لا تخالفهم، و قدم أمامك الطلائع ترتاد لك المنازل، و سر فى أصحابك على تعبئة جيدة، فإذا لقيت أسدا و غطفان فبعضهم لك و بعضهم عليك، و بعضهم لا عليك و لا لك، متربص دائرة السوء، ينظر لمن تكون الدبرة، فيميل مع من تكون له الغلبة، و لكن الخوف عندى من أهل اليمامة، فاستعن بالله على قتالهم، فإنه بلغنى أنهم رجعوا بأسرهم، و إن كفاك الله الضاحية فامض إلى أهل اليمامة، فإنك تلقى عدوا كلهم عليك، لهم بلاد منكرة، فلا تؤتى إلا من مفازة، فارفق بجيشك فى تلك المفازة، فإن فى جيشك قوما أهل ضعف، أرجو أن تنصر بهم حتى تدخل بلادهم إن شاء الله تعالى.

فإذا دخلت بلادهم فالحذر الحذر إذا لقيت القوم فقاتلهم بالسلاح الذى يقاتلونك به، السهم للسهم، و الرمح للرمح، و السيف للسيف، فإن أعطاك الله الظفر عليهم، فأقل البقيا عليهم إن شاء الله تعالى، و إياك أن تلقانى غدا بما يضيق صدرى به منك، اسمع

عهدى و وصيتى، لا تغيرن على دار سمعت فيها أذانا حتى تعلم ما هم عليه، و إياك و قتل من صلى، و اعلم يا خالد أن الله يعلم من سريرتك ما يعلم من علانيتك، و اعلم أن رعيتك إنما تعمل بما تراك تعمل، كف عليك أطرافك، و تعاهد جيشك، و انههم عما لا يصلح لهم، فإنما تقاتلون من تقاتلون بأعمالكم، و بهذا نرجو لكم النصر على أعدائكم، سر على بركة الله تعالى.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۱

ذكر مسير خالد بن الوليد رضى الله عنه، إلى بزاخة و غيرها

قالوا: و سار خالد بن الوليد و معه عدى بن حاتم، و قد انضم إليه من طىء ألف رجل، فنزل بزاخة، و كانت جديلة معرضة عن الإسلام، و هى بطن من طىء، و كان عدى بن حاتم من الغوث، و قد همت جديلة أن ترتد، فجاءهم مكنف بن زيد الخيل الطائى، فقال: أ تريدون أن تكونوا سبة على قومكم، لم يرجع رجل واحد من طىء، و هذا أبو طريف عدى بن حاتم، معه ألف رجل من طىء، فكسرهم، فلما نزل خالد بزاخة، قال لعدى: يا أبا طريف، أ لا نسير إلى جديلة؟ فقال: يا أبا سليمان، لا تفعل، أقاتل معك بيدين أحب إليك، أم بيد واحدة؟ فقال خالد: بل بيدين، قال عدى: فإن جديلة إحدى يدى، فكف خالد عنهم، فجاءهم عدى فدعاهم إلى الإسلام، فأسلموا، فحمد الله و سار بهم إلى خالد.

فلما رآهم خالد فزع منهم، و ظن أنهم أتوا للقتال، فصاح فى أصحابه بالسلاح، فقيل له: إنما هى جديلة أتت تقاتل معك، فلما جاءوا حلوا ناحية، و جاءهم خالد، فرحب بهم، و فرح بهم، و اعتذروا إليه من اعتزالهم، و قالوا: نحن لك حيث أحببت، فجزاهم خيرا، فلم يرتد من طىء رجل واحد، فسار خالد على تعبئته، و طلب إليه عدى أن يجعل قومه مقدمة أصحابه، فقال: يا أبا طريف، إن الأمر قد اقترب، و أنا أخاف أن أقدم قومك، فإذا ألحمهم القتال انكشفوا، فانكشف من معنا، و لكن دعنى أقدم قوما صبرا، لهم سوابق و نيات، و هم من قومك.

قال عدى: الرأى ما رأيت، فقدم المهاجرين، و الأنصار، و لم يزل خالد يقدم طليعته منذ خرج من بقعاء حتى قدم اليمامة، و أمر عيونه أن يختبروا كل من مروا به عند مواقيت الصلاة بالأذان لها، فيكون ذلك أمانا لهم، و دليلا على إسلامهم، و انتهى خالد و المسلمون إلى عسكر طليحة، و قد ضربت لطليحة قبة من أدم، و أصحابه حوله معسكرون، فانتهى خالد ممسيا، فضرب عسكره على ميل أو نحوه من عسكر طليحة، و خرج يسير على فرس معه نفر من أصحاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فوقف من عسكر طليحة غير بعيد، ثم قال: يخرج إلى طليحة، فقال أصحابه: لا تصغر اسم نبينا، و هو طلحة. فخرج طليحة فوقف، فقال له خالد: إن من عهد خليفتنا إلينا أن ندعوك إلى الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، و أن تعود إلى ما خرجت منه، فنقبل منك، و نغمد سيوفنا عنك، فقال: يا خالد، أنا أشهد أن لا إله إلا الله، و أنى رسول الله، و أنى نبى مرسل يأتينى ذو النون، كما كان جبريل يأتى محمدا، و قد كان ادعى هذا فى عهد النبىّ

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۲

صلى اللّه عليه و سلم، فقال النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: لقد ذكر ملكا عظيما فى السماء يقال له: ذو النون، و كان عيينة بن حصن قد قال له: لا أبا لك، هل أنت مرينا بعض نبوتك، فقد رأيت و رأينا ما كان يأتى محمدا، قال: نعم، فبعث عيونا له حيث سار خالد بن الوليد من المدينة مقبلا إليهم قبل أن يسمع بذكر خالد، و قال: إن بعثتم فارسين على فرسين أغرين محجلين من بنى نصر بن قعين أتوكم من القوم بعين، فهيئوا فارسين، فبعثوهما، فخرجا يركضان، فلقيا عينا لخالد بن الوليد، فقالا: ما وراءك؟ فقال: هذا خالد بن الوليد فى المسلمين، قد أقبلوا، فأتوا به إليه، فزادهم فتنة، و قال: أ لم أقل لكم؟.

فلما أبى طليحة على خالد أن يقر بما دعاه إليه انصرف خالد إلى معسكره، فاستعمل تلك الليلة على حرسه مكنف بن زيد الخيل، و عدى بن حاتم، و كان لهما صدق نية و دين، فباتا يحرسان فى جماعة من المسلمين، فلما كان فى السحر، نهض خالد فعبأ أصحابه، و

وضع ألويته مواضعها، و دفع اللواء الأعظم إلى زيد بن الخطاب، فتقدم به، و تقدم ثابت بن قيس بن شماس بلواء الأنصار، و طلبت طيء لواء يعقد لها، فعقد خالد لواء و دفعه إلى عدى بن حاتم، فلما سمع طليحة حركة القوم عبأ أصحابه، و جعل خالد يسوى الصفوف على رجليه، و طليحة يسوى أصحابه على راحلته، حتى إذا استوت الصفوف زحف بهم خالد حتى دنا من طليحة، فلما انتهى إليه، خرج إليه طليحة بأربعين غلاما جلداء من جنوده، مردا، فأقامهم فى الميمنة، فقال: اضربوا حتى تأتوا الميسرة، فتضعضع الناس و لم يقتل أحد، ثم أقامهم فى الميسرة ففعلوا مثل ذلك، و انهزم المسلمون، فقال رجل من هوازن، حضرهم يومئذ: إن خالدا لما كان ذلك قال: يا معشر الأنصار، الله الله، و اقتحم وسط القوم، و كر عليه أصحابه، فاختلطت الصفوف، و اختلفت السيوف بينهم، و ضرس خالد فى القتال، فجعل يقحم فرسه و يقولون له: الله الله، فإنك أمير القوم، و لا ينبغى لك أن تقدم، فيقول: و الله إنى لأعرف ما تقولون، و لكنى و الله ما رأيتنى أصبر، و أخاف هزيمة المسلمين.

و فيما ذكر الكلبى عن بعض الطائيين: أنه نادى مناد من طيء، يعنى عند ما حمل أولئك الأربعون غلاما على المسلمين: يا خالد، عليك سلمى و أجأ فقال: بل إلى الله الملجأ، قال: ثم حمل، فو الله ما رجع حتى لم يبق من أولئك الأربعين رجل واحد، و قاتل خالد يومئذ بسيفين، حتى قطعهما، و تراد الناس بعد الهزيمة، و اشتد القتال، و أسر حبال ابن أبى حبال، فأرادوا أن يبعثوا به إلى أبى بكر، فقال: اضربوا عنقى و لا ترونى محمديكم هذا، فضربوا عنقه.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۳

و ذكر الواقدى عن ابن عمر، قال: نظرت إلى راية طليحة يومئذ، حمراء يحملها رجل منهم لا يزول بها فترا، فنظرت إلى خالد أتاه فحمل عليه فقتله، فكانت هزيمتهم، فنظرت إلى الراية تطؤها الإبل و الخيل و الرجال حتى تقطعت.

و عنه، قال: يرحم الله خالد بن الوليد، لقد كان له غناء و جرأة، و لقد رأيته يوم طليحة يباشر الحرب بنفسه حتى ليم فى ذلك، و لقد رأيته يوم اليمامة يقاتل أشد القتال، إن كان مكانه ليتقى حتى يطلع إلينا منبهرا.

و لما تراجع المسلمون، و ضرس القتال، تزمل طليحة بكساء له ينتظر، زعم أن ينزل عليه الوحى، فلما طال ذلك على أصحابه و هدتهم الحرب، جعل عيينة بن حصن يقاتل و يذمر الناس.

قال ابن إسحاق: قاتل يومئذ فى سبعمائة من فزارة قتالا شديدا، حتى إذا لج المسلمون عليهم بالسيف و قد صبروا لهم، أتى طليحة و هو متلثم فى كسائه، فقال: لا أبا لك، هل أتاك جبريل بعد؟ قال: يقول طليحة و هو تحت الكساء: لا و الله ما جاء بعد، فقال عيينة: تبا لك سائر اليوم، ثم رجع عيينة فقاتل، و جعل يحض أصحابه و قد ضجوا من وقع السيوف.

فلما طال ذلك على عيينة جاء طليحة و هو مستلق متسج بكسائه فجبذه جبذة جلس منها، و قال له: قبح الله هذه من نبوة، ما قيل لك بعد شيء؟ فقال: طليحة: قد قيل لى:

إن لك رحا كرحاه، و أمرا لن تنساه، فقال عيينة: أظن قد علم الله أن سيكون لك أمر لن تنساه، يا فزارة، هكذا، و أشار له تحت الشمس، هذا و الله كذاب، ما بورك له و لا لنا فيما يطالب، فانصرفت فزارة، و ذهب عيينة و أخوه فى آثارها، فيدرك عيينة فأسر، و أفلت أخوه، و يقال: أسر عيينة عروة بن مضرس بن أوس بن حارثة بن لام الطائى، فأراد خالد قتله حتى كلمه فيه رجل من بنى مخزوم، فترك قتله.

و لما رأى طليحة أن الناس يقتلون و يؤسرون، خرج منهزما، و أسلمه الشيطان، فأعجزهم هو و أخوه، فجعل أصحابه يقولون له: ما ذا ترى؟ و قد كان أعد فرسه و هيأ امرأته النوار فوثب على فرسه، و حمل امرأته وراءه فنجا بها، و قال: من استطاع منكم أن يفعل كما فعلت فليفعل، و لينج بأهله، ثم هرب حتى قدم الشام، فأقام عند بنى جفنة الغسانيين.

و فى كتاب يعقوب الزهرى: أن طليحة قال لأصحابه لما رأى انهزامهم: ويلكم ما

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۴

يهزمكم؟ فقال له رجل منهم: أنا أخبرك أنه ليس منا رجل إلا و هو يحب أن صاحبه يموت قبله، و أنا نلقى قوما كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه.

و ذكر ابن إسحاق أن طليحة لما ولى هاربا تبعه عكاشة بن محصن، و ثابت بن أقرم، و قد كان طليحة أعطى الله عهدا أن لا يسأله أحد النزول إلا فعل، فلما أدبر ناداه عكاشة: يا طليحة، فعطف عليه، فقتل عكاشة، ثم أدركه ثابت، فقتله أيضا طليحة، ثم لحق بالشام. و قال طليحة يذكر قتله إياهما:

زعمتم بأن القوم لن يقتلوكم أ ليسوا و إن لم يسلموا برجال

عدلت لهم صدر الحمالة إنهامعودة قيل الكماة نزال

فيوما تفى بالمشرفية خدهاو يوما تراها فى ظلال عوال

و يوما تراها فى الجلال مصونةو يوما تراها غير ذات جلال

عشية غادرت ابن أقرم ثاوياو عكاشة الغنمى عند مجال

فإن يك أذواد أصبن و نسوةفلن يذهبوا فرغا بقتل حبال و قد قيل فى قتلها غير هذا، و هو ما ذكره الواقدى عن عميلة الفزارى، و كان عالما بردتهم: أن خالد بن الوليد كان لما دنا من القوم بعث عكاشة و ثابتا طليعة أمامه، و كانا فارسين، فلقيهما طليحة و أخاه مسيلمة ابنى خويلد، طليعة لمن وراءهما من الناس، و خلفوا عسكرهم من ورائهم، فلما التقوا، انفرد طليحة بعكاشة، و مسلمة بثابت، فلم يلبث مسلمة أن قتل ثابتا، و صرخ طليحة بمسلمة: أعنى على الرجل فإنه قاتلى، فكر معه على عكاشة، فقاتلاه رحمه الله، ثم كرا راجعين إلى من وراءهما، و أقبل خالد معه المسلمون، فلم يرعهم إلا ثابت بن أقرم قتيلا تطوه المطى، فعظم ذلك على المسلمين، ثم لم يسيروا إلا يسيرا حتى وطئوا عكاشة قتيلا، فثقل على المطى، كما وصف واصفهم، حتى ما تكاد المطى ترفع أخفافها.

و فى كتاب الزهرى: ثم لحقوا أصحاب طليحة، فقتلوا و أسروا، و صاح خالد: لا يطبخن رجل قدرا و لا يسخنن ماء إلا على أثفية رأس رجل، و تظلف رجل من بنى أسد، فوثب على عجز راحلة خالد و هو يقول:

لن يخزى الله قوما أنت قائدهميا ابن الوليد و لن تشقى بك الدبر

كفاك كف عقاب عند سطوتهاعلى العدو و كف برة عقر أنشدك الله أن يكون هلاك مضر اليوم على يديك، قال: من أنت ويحك؟ قال: أنا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۵

الآباء بن قيس يا خالد، حكمك فى بنى أسد، قال: حكمى فيهم أن يقيموا الصلاة، ثم يؤتوا الزكاة، ثم يرجعوا إلى بلادهم، فمن كان له بها مال فليعمده، و ليسلم عليه، فهو له. فأقروا بذلك، فنادى خالد: من قام فهو آمن، فقام الناس كلهم، فآمن من قام.

و سمعت بذلك بنو عامر، فأعلنوا بالإسلام، و أمر خالد بالحظائر أن تبنى، ثم أوقد فيها النار، ثم أمر بالأسرى، فألقيت فيها، و ألقى يومئذ حامية بن سبيع بن الحسحاس الأسدى، و هو الذى كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، استعمله على صدقات قومه فارتد عن الإسلام.

و أخذ أم طليحة، إحدى نساء بنى أسد، فعرض عليها الإسلام، فأبت، و و ثبت فاقتحمت النار و هى تقول:

يا موت عم صباحاكافحته كفاحا

إذا لم أجد براحا

و ذكر الواقدى عن يعقوب بن يزيد بن طلحة: أن خالدا جمع الأسارى فى الحظائر، ثم أضرمها عليهم، فاحترقوا و هم أحياء، و لم يحرق أحد من بنى فزارة، فقلت لبعض أهل العلم: لم حرق هؤلاء من بين أهل الردة؟ فقال: بلغت عنهم مقالة سيئة، شتموا النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و ثبتوا على ردتهم.

و ذكر عن غير يعقوب: أن خالدا أمر بالأخدود يحفر، فقيل له: ما تريد بهذا الأخدود؟ قال: أحرقهم بالنار، فكلم فى ذلك، فقال: هذا عهد الصديق أبى بكر إلى، اقرءوه فى كل مجمع: إن أظفرك الله بهم فاحرقهم بالنار.

و عن عبد الله بن عمر، قال: شهدت بزاخة فظفرنا الله على طليحة، فكنا كلما أغرنا على القوم سبينا الذرارى و اقتسمنا أموالهم.

ذكر رجوع بنى عامر و غيرهم إلى الإسلام

و لما أوقع الله ببنى أسد و فزارة ما أوقع ببزاخة بعث خالد بن الوليد السرايا ليصيبوا ما قدروا عليه ممن هو على ردته، و جعلت العرب تسير إلى خالد راغبة فى الإسلام أو خائفة من السيف، فمنهم من أصابته السرية، فيقول: جئت راغبا فى الإسلام، و قد رجعت إلى ما خرجت منه، و منهم من يقول: ما رجعنا و لكنا منعنا أموالنا و شححنا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۶

عليها، فقد سلمناها فليأخذ منها حقه، و منهم من لم تظفر به السرايا، فانتهى إلى خالد مقرا بالإسلام، و منهم من مضى إلى أبى بكر الصديق و لم يقرب خالدا.

قال الواقدى: فاختلفوا علينا فى قرة بن هبيرة القشيرى «۱»، فقال قائل: هرب إلى أبى بكر و أسلم عنده، و قال قائل: أخذته خيل خالد، فأتت به إليه، و منهم من قال: جاء إلى خالد بن الوليد شاردا حين جاءت بنو عامر إلى خالد، و هو أثبت عندنا.

قال بعضهم: و كانت بنو عامر تربص لمن الدبرة، و صاحب أمرهم قرة بن هبيرة، فقام فيهم أبو حرب ربيعة بن خويلد العقيلى، و هو يومئذ، فارس عامر و رجلها، فقال: مهلا يا بنى عامر، قد قتلتم رسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، إلى بئر معونة، و أخفرتم ذمة أبى براء، و أرداكم عامر بن الطفيل، و قد أظلكم خالد فى المهاجرين و الأنصار، فكسرهم قوله، و قد رضوه، و كان عرض لعمرو بن العاص مقدمه من عمان بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، مع قرة بن هبيرة ما نذكره، و ذلك أن عمرا كان عاملا للنبى صلى اللّه عليه و سلم، على عمان، فجاءه يوما يهودى من يهود عمان، فقال: أ رأيتك إن سألتك عن شيء أ أخشى على منك؟ قال: لا، قال اليهودى: أنشدك الله، من أرسلك إلينا؟ قال: اللهم، رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال اليهودى:

الله إنك لتعلم أنه رسول الله؟ قال عمرو: اللهم نعم، فقال اليهودى: لئن كان حقا ما تقول لقد مات اليوم.

فلما رأى عمرو ذلك جمع أصحابه و حواشيه، و كتب ذلك اليوم الذى قال له اليهودى فيه ما قال، ثم خرج بخفراء من الأزد و عبد القيس، يأمن بهم، فجاءته وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بهجر، و وجد ذكر ذلك عند المنذر بن ساوى، فسار حتى قدم أرض بنى حنيفة، فأخذ منهم خفيرا حتى جاء أرض بنى عامر، فنزل على قرة بن هبيرة القشيرى، فقال له حين أراد عمرو أن يركب: إن لك عندى نصيحة، و أنا أحب أن تسمعها، إن صاحبك قد توفى، قال عمرو: و صاحبنا هو لا أم لك، يعنى دونك، قال له قرة: و إنكم يا معشر قريش كنتم فى حرمكم تأمنون فيه و يأمنكم الناس، ثم خرج منكم رجل يقول ما سمعت، فلما بلغنا ذلك لم نكرهه، و قلنا، رجل من مضر يريد يسوق الناس، و قد توفى، و الناس إليكم سراع، و إنهم غير معطيكم شيئا، فالحقوا بحرمكم تأمنون فيه، و إن كنت غير فاعل، فعدنى حيث شئت آتك، فوقع به عمرو و قال: إنى أرد عليك نصيحتك، و موعدك حفش أمك، قال قرة: إنى لم أرد هذا، و ندم على مقالته، و يقال:

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۱۳۸)، الإصابة الترجمة رقم (۷۱۲۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۲۹۶)، الجرح و التعديل (۷/ ۷۴۰)، التاريخ الكبير (۷/ ۱۸۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۷

خرج مع عمرو فى مائة من قومه خفراء له. و أقبل عمرو بن العاص يلقى الناس مرتدين، حتى أتى على ذى القصة، فلقى عيينة بن

حصن خارجا من المدينة، و ذلك حين قدم على أبى بكر يقول: إن جعلت لنا شيئا كفيناك ما وراءنا، فقال له عمرو بن العاص: ما وراءك يا عيينة؟ من ولى الناس أمورهم؟ قال: أبو بكر. فقال عمرو: الله أكبر، قال عيينة: يا عمرو، استوينا نحن و أنتم، فقال عمرو: كذبت يا ابن الأخابث من مضر، و سار عيينة فجعل يقول لكل من لقى من الناس: احبسوا عليكم أموالكم. قالوا: فأنت ما تصنع؟ قال: لا يدفع إليه رجل من فزارة عناقا واحدة، و لحق عند ذلك بطليحة الأسدى، فكان معه.

و قدم عمرو المدينة، فأخبر أبا بكر بما كان فى وجهه، و بمقالة قرة بن هبيرة، و بمقالة عيينة بن حصن، و أتى عمرو خالدا حين بعثه أبو بكر إلى أهل الردة، فجعل يقول: يا أبا سليمان، لا يفلت منك قرة بن هبيرة، فلما صنع الله بأهل بزاخة ما صنع، عمد خالد إلى جبلى طىء فأتته عامر و غطفان يدخلون فى الإسلام، و يسألونه الأمان على مياههم و بلادهم، و أظهروا له التوبة، و أقاموا الصلاة، و آتوا الزكاة، فأمنهم خالد، و أخذ عليهم العهود و المواثيق ليبايعن على ذلك أبناءكم و نساءكم آناء الليل و آناء النهار، فقالوا: نعم نعم، و لما اجتمعوا إليه، قال خالد: أين قرة بن هبيرة القشيرى؟ قال: ها أنا ذا، قال: قدمه فاضرب عنقه، و قال: أنت المتكلم لعمرو بن العاص بما تكلمت به و أنت المتربص بالمسلمين الدوائر، و لم تنصر و قلت إن كانت الدائرة على المسلمين فمالى بيدى، و جمعت قومك على ذلك، و رأسك قومك، و لم تكن بأهل أن ترأس و لا تطاع. قال: يا ابن المغيرة، إن لى عند عمرو بن العاص شهادة، فقال خالد: عمرو الذى نقل عنك إلى الخليفة ما تكلمت به.

و يروى أنه قال له هذا ما قال لك عمرو: سيأتيك فى حفش أمك. فقال له قرة: يا أبا سليمان، إنى قد أجرته فأحسنت جواره، و أنا مسلم لم ارتد، فقال: لو لا ما تذكر لضربت عنقك، و لكن لا بد أن أبعث بك فى وثاق إلى أبى بكر فيرى فيك رأيه، فلما فرغ من بيعة بنى عامر أوثق عيينة بن حصن، و قرة بن هبيرة، و بعث بهما إلى أبى بكر الصديق.

قال ابن عباس: فقدم بهما المدينة فى وثاق، فنظرت إلى عيينة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ينخسه غلمان المدينة بالجريد، و يضربونه، و يقولون: أى عدو الله، أكفرت بالله بعد إيمانك؟ فيقول: و الله ما كنت آمنت بالله.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۸

قالوا: و وقف عليه عبد الله بن مسعود، فقال: خبت و خسرت، إنك لموضع فى الباطل قديما، فقال له عيينة: اقصر أيها الرجل، فلو لا ما أنا فيه لم تكلمنى بما تكلمنى به، فانصرف ابن مسعود، و أتى بقرة بن هبيرة، فقال: يا خليفة رسول الله، و الله ما كفرت، و سل عمرو بن العاص، فإن لى عنده شهادة، لما أقبل من عمان خرجت فى مائة من قومى خفراء له، و قبل ذلك ما أكرمت منزله، و نحرت له، فسأل أبو بكر رضى الله عنه، عمرا، فقال: نزلت به، فلم أر للضيف خيرا منه، لم يترك، و خرج معى فى مائة من قومه؛ ثم ذكر عمرو ما قال له قرة، فقال قرة: انزع يا عمرو، فقال عمرو: لو نزعت نزعت، فلم يعاقبه أبو بكر، و عفا عنه، و كتب له أمانا، و قبل منه.

و كان فيمن ارتد من بنى عامر و لم يرجع معهم علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر، فبعث أبو بكر إلى ابنته و امرأته ليأخذهما، فقالت امرأته: ما لى و لأبى بكر، إن كان علقمة قد كفر فإنى لم أكفر، فتركها، ثم راجع علقمة الإسلام زمن عمر رضى الله عنه، فرد عليه زوجته.

و أخذ خالد بن الوليد من بنى عامر و غيرهم من أهل الردة ممن جامعهم و بايعه على الإسلام كل ما ظهر من سلاحهم، و استحلفهم على ما غيبوا عنه، فإن حلفوا تركهم، و إن أبوا شدهم أسرا حتى أتوا بما عندهم من السلاح، فأخذ منهم سلاحا كثيرا، فأعطاه أقواما يحتاجون إليه فى قتال عدوهم، و كتبه عليهم، فلقوا به العدو ثم ردوه بعد، فقدم به على أبى بكر، رضى الله عنه.

و حدث يزيد بن شريك الفزارى، عن أبيه، قال: قدمت مع أسد و غطفان على أبى بكر وافدا حين فرغ خالد من بزاخة، و جعلت أسد و غطفان تسلل، فاجتمعوا عند أبى بكر، فمنهم من بايع خالدا، و منهم من لم يبايعه، فجاءوا إلى أبى بكر، فقال أبو بكر:

اختاروا بين خصلتين: حرب مجلية أو سلم مخزية، قال خارجة بن حصن: هذه الحرب المجلية قد عرفتها، فلما السلم المخزية؟.

قال: تقرون أن قتلانا فى الجنة، و أن قتلاكم فى النار، و أن تردوا علينا ما أخذتم منا، و لا نرد عليكم مما أخذنا منكم شيئا، و أن تدوا

قتلانا دیة کل قتیل مائة بعیر، منها أربعون فى بطونها أولادها، و لا ندى قتلاکم، و نأخذ منکم الحلقة و الکراع، و تلحقون بأذناب الإبل حتى یرى الله خلیفة نبیه و المؤمنین ما شاء فیکم أو یرى منکم إقبالا- إلى ما خرجتم منه. فقال خارجة بن حصن: نعم یا خلیفة رسول الله، قال أبو بکر: علیکم

الاکتفاء، الکلاعى ،ج۲،ص:۱۰۹

عقد الله و میثاقه أن تقوموا بالقرآن آناء اللیل و آناء النهار، و تعلموه أولادکم و نساءکم، و لا تمنعوا فرائض الله فى أموالکم، قالوا: نعم، فقال عمر: یا خلیفة رسول الله، کل ما قلت کما قلت إلا أن یدوا من قتلوا منا، فإنهم قوم قتلوا فى سبیل الله، و استشهدوا.

و فى روایة: فتتابع الناس على قول عمر، و قبض أبو بکر رضى الله عنه، کل ما قدر علیه من الحلقة و الکراع، فلما توفى، رأى عمر رضى الله عنه، أن الإسلام قد ضرب بجرانه، فدفعه إلى أهله، أو إلى عصبة من مات منهم.

و لما فرغ خالد من بزاخة و بنى عامر و من یلیهم، أظهر أن أبا بکر عهد إلیه أن یسیر إلى أرض بنى تمیم و إلى الیمامة، فقال ثابت بن قیس بن شماس، و هو على الأنصار، و خالد على جماعة المسلمین: ما عهد إلینا ذلک، و ما نحن بسائرین، و لیست بنا قوة، و قد کلّ المسلمون، و عجف کراعهم. فقال خالد: أما أنا فلست بمستکره أحدا منکم، فإن شئتم فسیروا، و إن شئتم فأقیموا، فسار خالد و من تبعه من المهاجرین و أبناء العرب، عامدا لأرض بنى تمیم، و الیمامة، و أقامت الأنصار یوما أو یومین، ثم تلاومت فیما بینها، و قالوا: و الله ما صنعنا شیئا، و الله لئن أصیب القوم لیتولن: أخذلتموهم و أسلمتموهم، و إنها لسبة باق عارها آخر الدهر، و لئن أصابوا خیرا و فتح الله فتحا، إنه لخیر منعتموه، فابعثوا إلى خالد یقیم لکم حتى تلحقوه، فبعثوا إلیه مسعود بن سنان، و یقال: ثعلبة بن غنمة، فلما جاءه الخبر أقام حتى لحقوه، فاستقبلهم فى کثرة من معه من المسلمین، لما أطلوا على العسکر حتى نزلوا، و ساروا جمیعا حتى انتهى خالد بهم إلى البطاح من أرض بنى تمیم، فلم یجد بها جمعا، ففرق السرایا فى نواحیها، و کان فى سریة منها أبو قتادة الأنصارى.

قال: فلقینا رجل، فقلنا: ممن أنت؟ قال: من بنى حنظلة، فقلنا: أین من یمنع الصدقة منا الآن؟ قال: هم بمکان کذا و کذا، فقلت: کم بیننا؟ قال: مائة، فانطلقنا سراعا حتى أتیناهم حین طلعت الشمس، ففزعوا حین رأونا، و أخذوا السلاح، و قالوا: من أنتم؟ قلنا: نحن عباد الله المسلمون، قالوا: و نحن عباد الله المسلمون، و کانوا اثنى عشر رجلا- فیهم مالک بن نویرة، قلنا: فضعوا السلاح و استسلموا، ففعلوا، فأخذناهم، فجئنا بهم خالدا.

و ذکر من خبرهم ما یأتى بعد إن شاء الله تعالى.

و کان مالک بن نویرة قد بعثه النبیّ صلى اللّه علیه و سلم، مصدقا إلى قومه بنى حنظلة، و کان سیدهم، فجمع صدقاتهم، فلما بلغته وفاة النبیّ صلى اللّه علیه و سلم، جفل إبل الصدقة، أى ردها من حیث

الاکتفاء، الکلاعى ،ج۲،ص:۱۱۰

جاءت، فلذلک سمى الجفول، و جمع قومه، فقال: إن هذا الرجل قد هلک، فإن قام قائم من قریش بعد نجتمع علیه جمیعا، إن رضى منکم أن تدخلوا فى أمره، و لم یطلب ما مضى من هذه الصدقة أبدا، و لم تکونوا أعطیتم الناس أموالکم، فأنتم أولى بها و أحق، فتسارع إلیه جمهور قومه و فرحوا بذلک، فقام ابن قعنب، و کان سید بنى یربوع، فقال:

یا بنى تمیم، بئس ما ظننتم، أن ترجعوا فى صدقاتکم و لا- یرجع الله فى نعمه علیکم، و أن تجردوا للبلاء و یلبسکم الله العافیة، و أن تستشعروا خوف الکفر، و أن تسکنوا فى أمن الإسلام، إنکم أعطیتم قلیلا من کثیر، و الله مذهب الکثیر بالقلیل و مسلط على أموالکم غدا من لا یأخذها على الرضى و لا یخیرکم فى الصدقة، و إن منعتموها قتلتم، فأطیعوا الله و اعصوا مالکا.

فقام مالک، فقال: یا معشر بنى تمیم، إنما رددت علیکم أموالکم إکراما لکم، و بقیا علیکم، و إنه لا یزال یقوم قائم منکم یخطئنى فى ردها علیکم و یخطئکم فى أخذها، فما أغنانى عما یضرنى و لا ینفعکم، فو الله ما أنا بأحرصکم على المال، و لا بأجزعکم من الموت، و لا- بأخفاکم شخصا إن أقمت، و لا- بأخفکم رحلة إن هربت، فترضاه عند ذلک بنو حنظلة، و أسندوا إلیه أمرهم، و قالوا: حربنا

حربک و سلمنا سلمک، فأخذوا أموالهم، و أبى الله إلا أن يتم أمره فيهم، و قال فى ذلک مالک:

و قال رجال سدد اليوم مالکو قال رجال مالک لم يسدد

فقلت دعونى لا أبا لأبيکمفلم أخط رأيا فى المعاد و لا البد

و قلت خذوا أموالکم غير خائفو لا ناظر فيما يجىء به غد

فدونکموها إنها صدقاتکممصررة أخلافها لم تحرد

سأجعل نفسى دون ما تحذرونه و أرهنکم يوما بما قلته يدى

فإن قام بالأمر المخوف قائمأطعنا و قلنا الدين دين محمد و لما بلغ ذلک أبا بکر و المسلمين حنقوا على مالک، و عاهد الله خالد بن الوليد لئن أخذه ليقتلنه، ثم ليجعلن هامته أثفية للقدر، فلما أتى به أسيرا فى نفر من قومه، أخذوا معه كما تقدم.

اختلف فيه الذين أخذوهم، فقال بعضهم: قد و الله أسلموا، فما لنا عليهم من سبيل و فيمن شهد بذلک أبو قتادة الأنصارى، و كان معهم فى تلک السرية، و قالوا: إنا قد أذنا فأذنوا، ثم أقمنا فأقاموا، ثم صلينا فصلوا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۱۱

و كان من عهد أبى بكر إلى خالد أن: أيما دار غشيتموها فسمعتم الأذان فيها بالصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما ذا نقموا و ما ذا يبغون، و أيما دار غشيتموها فلم تسمعوا فيها الأذان، فشنوا عليها الغارة، فاقتلوا و حرقوا.

و شهد بعض من كان فى تلک السرية أنهم لم يسلموا، و أنهم لم يسمعوهم كبروا و لا أذنوا، و أن قتلهم و سبيهم حلال، و كان ذلک رأى خالد فيهم.

قال أبو قتادة: فجئته فقلت: أقاتل أنت هؤلاء القوم؟ قال: نعم، قلت: و الله ما يحل لک قتلهم، و لقد اتقونا بالإسلام، فما عليهم من سبيل، و لا أتابعک على قتلهم، فأمر بهم خالد فقتلوا.

قال أبو قتادة: فتسرعت حتى قدمت على أبى بكر، فأخبرته الخبر، و عظمت عليه الشأن، فاشتد فى ذلک عمر، و قال: ارجم خالدا، فإنه قد استحل ذلک، فقال أبو بكر:

و الله لا أفعل، إن كان خالد تأول أمرا فأخطأه.

و ذكر يعقوب بن محمد الزهرى و الواقدى فى مقتل مالک بن نويرة روايات غير ما تقدم، استغنى عن إيرادها بما ذكر هنا. و فى بعض ذلک أن خالدا أمر برأسه فجعل أثفية لقدر حسب ما تقدم من نذره ذلک، و كان من أكثر الناس شعرا، فكانت القدر على رأسه، فراحوا و إن شعره ليدخن و ما خلصت النار إلى شواة رأسه.

و عاتب أبو بكر خالدا لما قدم عليه فى قتل مالک بن نويرة مع ما شهد له به أبو قتادة و غيره، فاعتذر إليه خالد، و زعم أنه سمع منه كلاما استحل به قتله، فعذره أبو بكر و قبل منه.

و رثا متمم بن نويرة «۱» أخاه مالكا بقصائد كثيرة منها قصيدته المشهورة المتخيرة فى مراثى العرب التى يقول فيها «۲»:

و كنا كندمانى جذيمة حقبةمن الدهر حتى قيل لن نتصدعا

فلما تفرقنا كأنى و مالكالطول اجتماع لم نبت ليلة معا و يروى أن عمر بن الخطاب رحمه الله، قال لمتمم بن نويرة: لوددت أنى رثيت أخى زيدا بمثل ما رثيت به مالكا أخاک، و كان زيد أصيب يوم اليمامة، فقال له متمم: يا أبا

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۵۴۱)، الإصابة الترجمة رقم (۷۷۳۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۶۶۶).

(۲) انظر الأبيات فى ديوانه ص (۱۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۱۲

حفص، و الله لو علمت أن أخى صار حيث صار أخوك ما رثيته، فقال عمر: ما عزانى أحد عن أخى بمثل تعزيته.

قصة مسيلمة الكذاب وردة أهل اليمامة «۱»

عن رافع بن خديج قال: قدمت على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، وفود العرب، فلم يقدم علينا وفد أقسى قلوبا و لا أحرى أن يكون الإسلام لم يقر فى قلوبهم من بنى حنيفة.

و قد تقدم ذكر قدوم مسيلمة فى قومه، و أنه ذكر لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال: «أما أنه ليس بشركم مكانا، لما كانوا أخبروه به من أنهم تركوه فى رحالهم حافظا لها» «۲».

و يروى من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ذكر له مسيلمة، قال عند ما قدم فى قومه: لو جعل لى محمد الخلافة من بعده لاتبعته، فجاءه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، معه ثابت بن قيس بن شماس، و فى يد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ميتخة من نخل فوقف عليه، ثم قال: «لئن أقبلت ليفعلن الله بك، و لئن أدبرت ليقطعن الله دابرك، و ما أراك إلا الذى رأيت فيه ما رأيت، و لئن سألتنى هذه الشظية، لشظية من الميتخة التى فى يده، ما أعطيتكها، و هذا ثابت يجيبك».

قال ابن عباس: فسألت أبا هريرة عن قول النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: ما أراك إلا الذى رأيت فيه ما رأيت، قال: كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال: «بينا أنا نائم، رأيت فى يدى سوارين من ذهب، فنفختهما فطارا، فوقع أحدهما باليمامة، و الآخر باليمن، قيل: ما أولتهما يا رسول الله؟

قال: أولتهما كذابين يخرجان من بعدى» «۳».

و لما انصرف فى قومه إلى اليمامة، ارتد عدو الله، و ادعى الشركة فى النبوة مع النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و قال للوفد الذين كانوا معه: «أ لم يقل لكم حين ذكرتمونى له: أما أنه ليس بشركم مكانا، ما ذاك إلا لما علم أنى أشركت فى الأمر معه»، و كتب إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد، فإنى قد أشركت فى الأمر معك، و إن لنا نصف الأرض و لقريش نصفها، و لكن قريشا قوم يعتدون.

---

(۱) راجع: المنتظم (۴/ ۷۹- ۸۳)، تاريخ الطبرى (۳/ ۲۸۰- ۲۸۱).

(۲) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (۷/ ۶۹۱)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۱/ ۳۱۷).

(۳) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۵/ ۲۱۷، ۹/ ۵۲)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۶۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۵۰)، فتح البارى لابن حجر (۱۲/ ۴۲۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۱۳

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، بهذا الكتاب رسولان لمسيلمة، فقال لهما رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين قرءا كتابه: «فما تقولان أنتما؟» قالا: نقول كما قال، فقال: «أما و الله لو لا أن الرسل ما تقتل لضربت أعناقكما»، ثم كتب إلى مسيلمة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، و العاقبة للمتقين «۱»».

قال ابن إسحاق: و كان ذلك فى آخر سنة عشر، و ذكر غيره أن ذلك كان بعد انصراف النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، من حجة الوداع، و وقوعه فى المرض الذى توفاه الله فيه، فالله تعالى أعلم.

وجد بعدو الله ضلاله بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و أصفقت معه حنيفة على ذلك، إلا أفدادا من ذوى عقولهم، و من أراد الله به الخير منهم، و كان من أعظم ما فتن به قومه شهادة الرجال بن عنفوة له بإشراك النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، إياه فى الأمر، و كان من قصة الرجال أنه قدم مع قومه وافدا على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فقرأ القرآن و تعلم السنن.

قال ابن عمر: و كان من أفضل الوفد عندنا، قرأ البقرة و آل عمران، و كان يأتى أبيا يقرئه فقدم اليمامة، و شهد لمسيلمة على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، أنه أشركه فى الأمر من بعده، فكان أعظم أهل اليمامة فتنة من غيره، لما كان يعرف به.

و قال رافع بن خديج: كان بالرجال من الخشوع و لزوم قراءة القرآن و الخير فيما نرى شىء عجيب، خرج علينا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، يوما و هو معنا جالس مع نفر، فقال: «أحد هؤلاء النفر فى النار» «۲». قال رافع: فنظرت فى اليوم، فإذا بأبى هريرة و أبى أروى الدوسى و طفيل بن عمرو الدوسى، و الرجال بن عنفوة، فجعلت أنظر و أعجب، و أقول:

من هذا الشقى؟ فلما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، رجعت بنو حنيفة، فسألت: ما فعل الرجال؟

قالوا: افتتن، هو الذى شهد لمسيلمة على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، أنه أشركه فى الأمر من بعده، فقلت: ما قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فهو حق.

قالوا: و سمع الرجال يقول: كبشان انتطحا، فأحبهما إلينا كبشنا. و كان ابن عمير اليشكرى من سراة أهل اليمامة و أشرافهم، و كان مسلما يكتم إسلامه، و كان صديقا

---

(۱) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۸۴)، مسند أبى حنيفة (۱۸۰).

(۲) انظر الحديث فى: معجم الطبرانى الكبير (۴/ ۳۳۸)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۷/ ۱۸۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۸/ ۲۹۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۱۴

للرجال، فقال شعرا فشا فى اليمامة حتى كانت المرأة و الوليدة و الصبى ينشدونه، فقال:

يا سعاد الفؤاد بنت أثالطال ليلى بفتنة الرجال

إنها يا سعاد من حديث الدهر عليكم كفتنة الرجال

فتن القوم بالشهادة و الله عزيز ذو قوة و محال

لا يساوى الذى يقول من الأمر قبالا و ما احتذى من قبال

إن دينى دين النبىّ و فى القوم رجال على الهدى أمثالى

أهلك القوم محكم بن طفيلو رجال ليسوا لنا برجال

بزهم أمرهم مسيلمة اليوم فلن يرجعوه أخرى الليالى

قلت للنفس إذ تعاظمها الصبر و ساءت مقالة الأقوال

ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال

إن تكن ميتتى على فطرة الله حنيفا فإننى لا أبالى فبلغ ذلك مسيلمة، و محكما، و أشراف أهل اليمامة، فطلبوه، ففاتهم، و لحق بخالد بن الوليد، فأخبره بحال أهل اليمامة، و دله على عوراتهم، و قالوا: إن رجلا من بنى حنيفة كان أسلم، و أقام عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فحسن إسلامه، فأرسله رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، إلى مسيلمة ليقدم به عليه، و قال الحنفى: إن أجاب أحدا من الناس أجابنى، و عسى أن يجيبه الله، فخرج حتى أتاه، فقال: إن محمدا قد أحب أن تقدم عليه، فإنك لو جئته لم يفارقك إلا عن رضى، و رفق له، و جعل يأتيه خاليا، فيلقى هذا القول إليه، فلما أكثر عليه قال:

انظر فى ذلك، فشاور الرجال بن عنفوة و أصحابه، فقالوا: لا تفعل، إن قدمت عليه قتلك، أ لم تسمع كلامه و ما قال.

فأبى مسيلمة أن يقدم معه على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و بعث معه رجلين ممن يصدق به ليكلماه و يخبراه بما قال الحنفى، فخرج الرسولان حتى قدما على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، مع رسوله، فتشهد أحدهما برسول الله وحده، ثم كلمه بما بدا له، فلما قضى كلامه تشهد الآخر، فذكر رسول الله و ذكر مسيلمة، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «كذبت، خذوا هذا فاقتلوه»، فثار

المسلمون إليه يلببونه، و أخذ صاحبه بحجزه و جعل يقول: يا رسول الله، اعف عنه، بأبى أنت و أمى، فيجاذبه إياه المسلمون، فلما أرسلوه تشهد بذكر رسول الله، صلى اللّه عليه و سلم وحده، و أسلم هو و صاحبه، فلما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خرجا فقدما على أهليهما باليمامة، و قد فتن الذى أمسك بحجزة صاحبه ذلك، فقتل مع مسيلمة، و ثبت الممسك بحجزته، و كان بعد يخبر خالد بن الوليد بعورة بنى حنيفة، و أخبر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، رسوله

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۱۵

إلى مسيلمة كيف رفق به حتى أراد أن يقدم لو لا أن الرجال نهاه، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

يقتله الله، و يقتل الرجال معه، ففعل الله ذلك بهما، و أنجز وعده فيهما.

و استضاف مسيلمة إلى ضلاله فى دين الله و تكذبه على الله ضلالة سجاح، و كانت امرأة من بنى تميم، أجمع قومها أنها نبية، فادعت الوحى، و اتخذت مؤذنا و حاجبا و منبرا، فكانت العشيرة إذا اجتمعت تقول: الملك فى أقربنا من سجاح، و فيها يقول عطارد بن حاجب بن زرارة:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بهاو أصبحت أنبياء الناس ذكرانا ثم إن سجاح رحلت تريد حرب مسيلمة، و أخرجت معها من قومها من تابعها على قولها و هم يرون أن سجاح أولى بالنبوة من مسيلمة، فلما قدمت عليه خلا بها، و قال لها: تعالى نتدارس النبوة، أينا أحق؟ فقالت سجاح: قد أنصفت، و فى الخبر بعد هذا من قوله ما يحق الإعراض عن ذكره.

و قد قيل إن سجاح إنما توجهت إلى مسيلمة مستجيرة به لما وطئ خالد العرب و رأت أنه لا أحد أعز لها منه، و قد كانت أمرت مؤذنها شبث بن ربعى أن يؤذن بنبوة مسيلمة، فكان يفعل، فلما قدمت على مسيلمة قالت: اخترتك على من سواك و نوهت باسمك، حتى إن مؤذنى ليؤذن بنبوتك، فخلا بها ليتدارسا النبوة.

و لما قتل مسيلمة، أخذ خالد بن الوليد سجاح، فأسلمت و رجعت إلى ما كانت عليه، و لحقت بقومها.

و عظمت فتنة بنى حنيفة بكذابهم هذا حتى كان يدعو لمريضهم و يبرك على مولودهم، و لا ينهاهم عن اغترارهم به ما يشاهدون من قلة غنائه عنهم. جاءه قوم بمولود، فمسح رأسه فقرع و قرع كل مولود له، و جاءه آخر، فقال: يا أبا ثمامة، إنى ذو مال، و ليس لى مولود يبلغ سنتين حتى يموت غير هذا المولود، و هو ابن عشر سنين، و لى مولود ولد أمس، فأحب أن تبارك فيه و تدعو أن يطيل الله عمره، فقال: سأطلب لك الذى طلبت، فجعل عمر المولود أربعين سنة، فرجع الرجل إلى منزله مسرورا، فوجد الأكبر قد تردى فى بئر، و وجد الصغير ينزع فى الموت، فلم يمس من ذلك اليوم حتى ماتا جميعا، تقول أمهما: فلا و الله ما لأبى ثمامة عند إلهه مثل منزلة محمد صلى اللّه عليه و سلم.

قالوا: و حفرت بنو حنيفة بئرا، فأعذبوها نتاحا، فجاءوا إلى مسيلمة، فطلبوا إليه أن يأتيها، و أن يبارك فيها، فأتاها، فبصق فيها، فعادت أجاجا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۱۶

و كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه، قد عاهد خالدا إذا فرغ من أسد و غطفان و الضاحية أن يقصد اليمامة، و أكد عليه فى ذلك، فلما أظفر الله خالدا بأولئك تسلل بعضهم إلى المدينة يسألون أبا بكر أن يبايعهم على الإسلام و يؤمنهم، فقال لهم: بيعتى إياكم و أمانى لكم أن تلحقوا بخالد بن الوليد و من معه من المسلمين، فمن كتب إلى خالد بأنه حضر معه اليمامة فهو آمن، فليبلغ شاهدكم غائبكم، و لا تقدموا على، اجعلوا وجوهكم إلى خالد.

قال أبو بكر بن أبى الجهم: أولئك الذين لحقوا خالد بن الوليد من الضاحية الذين كانوا انهزموا بالمسلمين يوم اليمامة ثلاث مرات، و كانوا على المسلمين بلاء.

و قال شريك الفزارى: كنت ممن حضر بزاخة مع عيينة بن حصن، فرزق الله الإنابة، فجئت أبا بكر، فأمرنى بالمسير إلى خالد، و كتب

معی إلیه: أما بعد، فقد جاءنی کتابک مع رسولک تذکر ما أظفرک الله بأهل بزاخة، و ما فعلت بأسد و غطفان، و إنک سائر إلى الیمامة، و ذلک عهدی إلیک، فاتق الله وحده لا شریک له، و علیک بالرفق بمن معک من المسلمین، کن لهم کالوالد، و إیاک یا خالد بن الولید و نخوة بنی المغیرة، فإنی قد عصیت فیک من لم أعصه فی شیء قط، فانظر بنی حنیفة إذا لقیتهم إن شاء الله، فإنک لم تلق قوما یشبهون بنی حنیفة کلهم علیک، و لهم بلاد واسعة، فإذا قدمت فباشر الأمر بنفسک، و اجعل على میمنتک رجلا و على میسرتک رجلا، و اجعل على خیلک رجلا، و استشر من معک من الأکابر من أصحاب رسول الله صلى اللّه علیه و سلم، من المهاجرین و الأنصار، و اعرف لهم فضلهم، فإذا لقیت القوم و هم على صفوفهم، فالقهم إن شاء الله و قد أعددت للأمور أقرانها، فالسهم للسهم، و الرمح للرمح، و السیف للسیف، فإذا صرت إلى السیف فهو الثکل، فإن أظفرک الله بهم فإیاک و الإبقاء علیهم، اجهز على جریحهم، و اطلب مدبرهم، و احمل أسیرهم على السیف، و هول فیهم القتل، و احرقهم بالنار، و إیاک أن تخالف أمری، و السلام علیک.

فلما انتهى الکتاب إلى خالد اقترأه، و قال: سمع و طاعة.

و لما اتصل بأهل الیمامة مسیر خالد إلیهم بعد الذی صنع الله له فی أمثالهم حیرهم ذلک و جزع له محکم بن الطفیل سیدهم، و هم أن یرجع إلى الإسلام، فبات یتلوى على فراشه، و هو یقول:

أرى الرکبان تخبر ما کرهناأکل الرکب یکذب ما یقول

الاکتفاء، الکلاعى ،ج۲،ص:۱۱۷ ألا لا لیس کلهم کذوباو قد کذبوا و کذبهم قلیل

و قد صدقوا لهم منا و منهملنا إن حاربوا یوم طویل

فقل لابن الولید و للمنایاعلى السراء و الضراء دلیل

أ یقطع بیننا حبلا وصالفلیس إلیهما أبدا سبیل

و ما فی الحرب أعظم من جریحو عان خر بینهما قتیل فلما سمع القوم کلامه، عرفوا أنه ثابت على ضلالته معهم، و فرح بذلک منه مسیلمة، و کان محکم سید أهل الیمامة، و کان صدیقا لزیاد بن لبید بن بیاضة من الأنصار، فقال له خالد فی بعض الطریق: لو ألقیت إلى محکم شیئا تکسره به، فإنه سید أهل الیمامة، و طاعة القوم له، فبعث إلیه مع راکب، و یقال: بل بعث بها إلیه حسان بن ثابت من المدینة:

یا محکم بن طفیل قد أتیح لکمللّه در أبیکم حیة الوادی

یا محکم بن طفیل إنکم نفرکالشاء أسلمها الراعی لآساد

ما فی مسیلمة الکذاب من عوضمن دار قوم و إخوان و أولاد

فاکفف حنیفة عنه قبل نائحةتنعى فوارس شاخ شجوها بادی

لا تأمنوا خالدا بالبرد معتجراتحت العجاجة مثل الأغضف العاد

ویل الیمامة ویلا لا فراق لهإن جالت الخیل فیها بالقنا الصاد

و الله لا تنثنی عنکم أعنتهاحتى تکونوا کأهل الحجر أو عاد و وردت على محکم، و قیل له: هذا خالد بن الولید فی المسلمین، فقال: رضی خالد أمرا و رضینا غیره، و ما ینکر خالد أن یکون فی بنی حنیفة من قد أشرک فی الأمر، فسیرى خالد إن قدم علینا یلق قوما لیسوا کمن لقی، ثم خطب أهل الیمامة فقال: یا معشر أهل الیمامة إنکم تلقون قوما یبذلون أنفسهم دون صاحبهم، فابذلوا أنفسکم دون صاحبکم، فإن أسدا و غطفان إنما أشار إلیهم خالد بذباب السیف، فکانوا کالنعام الشارد، و قد أظهر خالد بن الولید بأوا حیث أوقع ببزاخة ما أوقع، و قال: هل حنیفة إلا کمن لقینا.

و کان عمیر بن ضابئ الیشکری فی أصحاب خالد، و کان من سادات الیمامة، و لم یکن من أهل حجر، کان من أهل ملهم، و هی

لبنی یشکر، فقال له خالد: تقدم إلی قومک، فاکسرهم، فأتاهم، و لم یکونوا علموا بإسلامه، و کان مجتهدا فارسا سیدا، فقال: یا معشر أهل الیمامة، أظلکم خالد فی المهاجرین و الأنصار، ترکت القوم یتتابعون

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۱۸

إلی فتح الیمامة، قد قضوا وطرا من أسد و غطفان و علیا و هوازن، و أنتم فی أکفهم، و قولهم: لا قوة إلا بالله، إنی رأیت أقواما إن غلبتموهم بالصبر غلبوکم بالنصر، و إن غلبتموهم علی الحیاة غلبوکم علی الموت، و إن غلبتموهم بالعدد غلبوکم بالمدد، لستم و القوم سواء، الإسلام مقبل، و الشرک مدبر، و صاحبهم نبی، و صاحبکم کذاب، و معهم السرور، و معکم الغرور، فالآن و السیف فی غمده و النبل فی جفیره قبل أن یسل السیف و یرمی بالسهم سرت إلیکم مع القوم عشرا.

فکذبوه و اتهموه، فرجع عنهم، و قام ثمامة بن أثال الحنفی «۱» فی بنی حنیفة، فقال:

اسمعوا منی و أطیعوا أمری ترشدوا، إنه لا یجتمع نبیان بأمر واحد، و إن محمدا صلی اللّه علیه و سلم، لا نبی بعده، و لا نبی مرسل معه، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحیم: حم تَنْزِیلُ الْکِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ شَدِیدِ الْعِقابِ ذِی الطَّوْلِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ إِلَیْهِ الْمَصِیرُ [غافر: ۱، ۳].

هذا کلام الله عز و جل، أین هذا من: یا ضفدع نقی کم تنقین، لا الشرب تمنعین، و لا الماء تکدرین، و الله إنکم لترون أن هذا الکلام ما یخرج من إل، و قد استحق محمد صلی اللّه علیه و سلم، أمرا أذکره به، مر بی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و أنا علی دین قومی، فأردت قتله، فحال بینی و بینه عمیر، و کان موفقا، فأهدر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، دمی، ثم خرجت معتمرا، فبینا أنا أسیر قد أظللت علی المدینة أخذتنی رسله فی غیر عهد و لا ذمة، فعفا عن دمی و أسلمت، فأذن لی فی الخروج إلی بیت الله، و قلت: یا رسول الله، إن بنی قشیر قتلوا أثالا فی الجاهلیة، فأذن لی أغزهم، فغزوتهم، و بعثت إلیه بالخمس، فتوفی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و قام بهذا الأمر من بعده رجل هو أفقههم فی أنفسهم، لا تأخذه فی الله لومة لائم، ثم بعث إلیکم رجلا لا یسمی باسمه و لا اسم أبیه، یقال له: سیف الله، معه سیوف لله کثیرة، فانظروا فی أمرکم «۲»، فآذاه القوم جمیعا، أو من آذاه منهم، فقال ثمامة:

مسیلمة ارجع و لا تمحکفإنک فی الأمر لم تشرک
کذبت علی الله فی وحیهفکان هواک هوی الأنوک
و مناک قومک أن یمنعوکو إن یأتهم خالد تترک
فما لک من مصعد فی السماءو لا لک فی الأرض من مسلک

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۸۲)، الإصابة الترجمة رقم (۹۶۳)، الوافی بالوفیات (۱۱/ ۲۱۹)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۶۹).

(۲) راجع ما ذکره ابن عبد البر فی الاستیعاب فی قصة ثمامة الترجمة رقم (۲۸۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۱۹

ذکر تقدیم خالد بن الولید الطلائع أمامه من البطاح «۱»

قالوا: و لما سار خالد بن الولید من البطاح، و وقع فی أرض بنی تمیم، قدم أمامه مائتی فارس علیهم معن بن عدی العجلانی، و بعث معه فرات بن حیان العجلی دلیلا، و قدم عینین له أمامه، مکنف بن زید الخیل الطائی، و أخاه.

و ذکر الواقدی: أن خالدا لما نزل العارض، قدم مائتی فارس، و قال: من أصبتم من الناس فخذوه، فانطلقوا حتی أخذوا مجاعة بن مرارة الحنفی فی ثلاثة و عشرین رجلا من قومه قد خرجوا فی طلب رجل من بنی نمیر أصاب فیهم دماء، فخرجوا و هم لا یشعرون

بمقبل خالد، فسألوهم: ممن أنتم؟ قالوا: من بنی حنیفة، فظن المسلمون أنهم رسل من مسیلمة إلی خالد، فلما أصبحوا و تلاحق الناس، جاءوا بهم إلی خالد، فلما رآهم ظن أیضا، أنهم رسل من مسیلمة، فقال: ما تقولون یا بنی حنیفة فی صاحبکم؟ فشهدوا أنه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فقال لمجاعة: ما تقول أنت؟ فقال: و الله ما خرجت إلا فی طلب رجل من بنی نمیر أصاب فینا دما، و ما کنت أقرب مسیلمة، و لقد قدمت علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فأسلمت، و ما غیرت و لا بدلت، فقدم القوم، فضرب أعناقهم علی دم واحد، حتی إذا بقی ساریة بن مسیلمة بن عامر قال: یا خالد، إن کنت ترید بأهل الیمامة خیرا أو شرا فاستبق هذا، یعنی مجاعة «۲»، فإنه لک عون علی حربک و سلمک.

و کان مجاعة شریفا، فلم یقتله، و أعجب بساریة و کلامه، فترکه أیضا، و أمر بهما فأوثقا فی جوامع حدید، و کان یدعو مجاعة و هو کذلک فیتحدث معه، و مجاعة یظن أن خالدا یقتله، فبینما هما یتحدثان، قال له: یا ابن المغیرة، إن لی إسلاما، و الله ما کفرت، و لقد قدمت علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فخرجت من عنده مسلما، و ما خرجت لقتال، و أعاد ذکر خروجه فی طلب النمیری، فقال خالد: إن بین القتل و الترک منزلة، و هی الحبس حتی یقضی الله فی حربنا ما هو قاض، و دفعه إلی أم متمم امرأته التی تزوجها لما قتل زوجها مالک بن نویرة و أمرها أن تحسن إساره، فظن مجاعة أن خالدا یرید حبسه لأن یشیر علیه و یخبره عن عدوه، فقال: یا خالد، إنه من خاف یومک خاف غدک، و من

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۷۸- ۷۹)، تاریخ الطبری (۳/ ۲۷۶)، الأغانی (۱۵/ ۲۲۹- ۳۰۲).

(۲) هو: مجاعة بن مرارة الیمامی. انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۵۴۵)، الإصابة الترجمة رقم (۷۷۳۸)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۹۷۱)، تهذیب الکمال (۳/ ۱۳۰۴)، تقریب التهذیب (۲/ ۲۲۹)، تجرید أسماء الصحابة (۲/ ۵۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۲۰

رجاک رجاهما، و لقد خفتک و رجوتک، و لقد علمت أنی قدمت علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و بایعته علی الإسلام، ثم رجعت إلی قومی، و أنا الیوم علی ما کنت علیه أمس، فإن یکن کذاب خرج فینا، فإن الله یقول: لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری [فاطر: ۱۸].

و قد عجلت فی قتل أصحابی قبل التأنی بهم، و الخطأ مع العجلة، فقال خالد: یا مجاعة، ترکت الیوم ما کنت علیه أمس، و کان رضاک بأمر هذا الکذاب، و سکوتک عنه و أنت أعز أهل الیمامة، و قد بلغک مسیری، إقرارا له، و رضی بما جاء به، فهلا أبلیت عذرا، فتکلمت فیمن تکلم، فقد تکلم ثمامة بن أثال فرد و أنکر، و قد تکلم الیشکری، فإن قلت أخاف قومی، فهلا عمدت إلیّ ترید لقائی، أو کتبت إلیّ کتابا أو بعثت إلیّ رسولا، و أنت تعلم أنی قد أوقعت بأهل بزاخة، و زحفت بالجیوش إلیک. فقال مجاعة: إن رأیت یا ابن المغیرة أن تعفو عن هذا کله فعلت. فقال خالد: قد عفوت عن دمک، و لکن فی نفسی من ترکک حوجا بعد، فقال مجاعة: أما إذا عفوت عن دمی فلا أبالی.

و کان خالد کلما نزل منزلا و استقر به دعا مجاعة فأکل معه و حدثه، فقال له ذات یوم: أخبرنی عن صاحبک یعنی مسیلمة، ما الذی یقرأ علیکم؟ هل تحفظ منه شیئا؟ قال:

نعم، فذکر له شیئا من رجزه، قال خالد و ضرب بإحدی یدیه علی الأخری: یا معشر المسلمین، اسمعوا إلی عدو الله کیف یعارض القرآن، ثم قال: ویحک یا مجاعة، أراک رجلا سیدا عاقلا، اسمع إلی کتاب الله عز و جل، ثم انظر کیف عارضه عدو الله، فقرأ علیه خالد: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی، فقال مجاعة: أما إن رجلا من أهل البحرین کان یکتب، أدناه مسیلمة و قربه حتی لم یکن یعدل له فی القرب عنده أحد، فکان یخرج إلینا فیقول: یا أهل الیمامة، صاحبکم و الله کذاب، و ما أظنکم تتهموننی علیه، إنکم لترون منزلتی عنده، و حالی، هو و الله یکذبکم و یأتیکم بالباطل.

قال خالد: فما فعل ذلک البحرانی؟ قال: هرب منه، کان لا یزال یقول هذا القول حتی بلغه، فخافه علی نفسه، فهرب، فلحق بالبحرین،

قال خالد: فما كان فى هذا ناه و لا زاجر، ثم قال: هات زدنا من كذب الخبيث، فقال مجاعة: أخرج لكم حنطة و زؤانا، و رطبا و تمراتا، فى رجز له، فقال خالد: و هذا كان عندكم حقا؟ و كنتم تصدقونه؟ قال مجاعة: لو لم يكن عندنا حقا لما لقيتك غدا أكثر من عشرة آلاف سيف يضاربونك فيه حتى يموت الأعجل، قال خالد: إذا يكفيناهم الله و يعز دينه، فإياه تقاتلون و دينه تريدون.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۱

و فى كتاب الأموى: ثم مضى خالد حتى نزل منزله من اليمامة، ببعض أوديتها، و خرج الناس مع مسيلمة.

و قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: لما أشرف خالد بن الوليد و أجمع أن ينزل عقرباء «۱»، دفع الطلائع أمامه، فرجعوا إليه، فخبروه أن مسيلمة و من معه قد خرجوا فنزلوا عقرباء، فشاور أصحابه أن يمضى إلى اليمامة، أو ينتهى إلى عقرباء، فأجمعوا له أن ينتهى إلى عقرباء، فزحف خالد بالمسلمين حتى نزلوا عقرباء، و ضرب عسكره.

و قد قيل: إن خالدا هو الذى سبق إلى عقرباء، فضرب عسكره ثم جاء مسيلمة فضرب عسكره «۲». و يقال: توافيا إليها جميعا.

قالوا: و كان المسلمون يسألون عن الرجال بن عنفوة، فإذا الرجال على مقدمة مسيلمة، فلعنوه و شتموه، فلما فرغ خالد من ضرب عسكره، و حنيفة تسوى صفوفها، نهض خالد إلى صفوفه فصفها، و قدم رايته مع زيد بن الخطاب، و دفع راية الأنصار إلى ثابت بن قيس بن شماس، فتقدم بها، و جعل على ميمنته أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة، و على ميسرته شجاع بن وهب، و استعمل على الخيل البراء بن مالك، ثم عزله و استعمل عليها أسامة بن زيد، و أمر بسرير فوضع فى فسطاطه، و اضطجع عليه يتحدث مع مجاعة، و معه أم متمم و أشراف أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، يتحدث معهم، و أقبلت بنو حنيفة قد سلت السيوف، فلم تزل مسللة و هم يسيرون نهارا طويلا، فقال خالد: يا معشر المسلمين، أبشروا، فقد كفاكم الله عدوكم، ما سلوا السيوف من بعيد إلا ليرهبونا، و إن هذا منهم لجبن و فشل، فقال مجاعة و نظر إليهم: كلا و الله يا أبا سليمان، و لكنها الهندوانية، خشوا من تحطمها، و هى غداة باردة، فأبرزوها للشمس لأن تسخن متونها.

فلما دنوا من المسلمين نادوا: إنا نعتذر من سلنا سيوفنا حين سللناها، و الله ما سللناها ترهيبا لكم و لا جبنا عنكم، و لكنها كانت الهندوانية، و كانت غداة باردة، فخشينا تحطمها، فأردنا أن تسخن متونها إلى أن نلقاكم، فسترون.

قال: فاقتتلوا قتالا شديدا، و صبر الفريقان جميعا صبرا طويلا، حتى كثرت القتلى و الجراح فى الفريقين، و كان أول قتيل من المسلمين مالك بن أوس من بنى زعوراء، قتله

---

(۱) عقرباء: موضع بناحية اليمامة. انظر: الروض المعطار (۴۱۹- ۴۲۰) و ذكر فيه هذا الخبر.

(۲) قال فى الفتوح (۱/ ۳۱): سار خالد بن الوليد بالمسلمين حتى نزل بموضع يقال له: عقرباء من أرض اليمامة، فضرب عسكره هناك، و سار مسيلمة فى جميع بنى حنيفة حتى نزل حذاء خالد.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۲

محكم بن الطفيل، و استلحم من المسلمين حملة القرآن حتى فنوا إلا قليلا، و هزم كلا الفريقين حتى دخل المسلمون عسكر المشركين، و المشركون عسكر المسلمين مرارا، و إذا أجلى المسلمون عن عسكرهم فدخل المشركون أرادوا حمل مجاعة، فلا يستطيعون لما هو فيه من الحديد، و لأنه لا تزال تناوشهم خيل المسلمين، فإذا رجع المسلمون وثبوا على مجاعة ليقتلوه، و قالوا: اقتلوا عدو الله، فإنه رأسهم، و أنهم إن دخلوا عليه أخرجوه، فإذا أشهروا عليه سيوفهم ليقتلوه، حنت عليه أم متمم امرأة خالد و ردتهم عنه، و قالت: إنى له جار، حتى أجارته منهم، و كان مجاعة أيضا، قد أجارها من المشركين مرارا أن يقتلوها على هذا الوجه.

و قد كان مجاعة قال لها لما دفعه إليها خالد لتحسن إساره: يا أم متمم، هل لك أن أحلفك، إن غلب أصحابى كنت لك جارا، و أنت كذلك؟ فقالت: نعم، فتحالفا على ذلك.

و قال عكرمة: حملت حنيفة أول مرة كانت لها الحملة، و خالد على سريره حتى خلص إليه، فجرد سيفه و جعل يسوق حنيفة سوقا، حتى ردهم، و قتل منهم قتلى كثيرة، ثم كرت حنيفة حتى انتهوا إلى فسطاط خالد، فجعلوا يضربون الفسطاط بالسيوف.

قال الواقدى: و بلغنا أن رجلا منهم لما دخلوا الفسطاط، أراد قتل أم متمم، و رفع السيف عليها، فاستجارت بمجاعة، فألقى عليها رداءه، و قال: إنى جار لها فنعمت الحرة كانت، و عيرهم و سبهم «۱»، و قال: تركتم الرجال و جئتم إلى امرأة تقتلونها، عليكم بالرجال، فانصرفوا، و جعل ثابت بن قيس يومئذ يقول، و كانت معه راية الأنصار: بئس ما عودتم أنفسكم الفرار يا معشر المسلمين.

و قد انكشف المسلمون حتى غلبت حنيفة على الرحال، فجعل زيد بن الخطاب ينادى، و كانت عنده راية خالد: أما الرحال فلا رحال، و أما الرجال فلا رجال، اللهم إنى اعتذر إليك من فرار أصحابى، و أبرأ إليك مما جاء به مسيلمة، و محكم بن طفيل، و جعل يشتد بالراية، يتقدم بها فى نحر العدو، ثم ضارب بسيفه حتى قتل، رحمه الله، فلما قتل وقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبى حذيفة، فقال المسلمون: يا سالم، إنا نخاف أن نؤتى من قبلك، فقال: بئس حامل القرآن أنا إذا إن أتيتم من قبلى.

قالوا: و نادت الأنصار ثابت بن قيس و هو يحمل رايتهم: الزمها، فإنما ملاك القوم الراية.

---

(۱) انظر: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۸۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۳

فتقدم سالم مولى أبى حذيفة، فحفر لرجليه حتى بلغ أنصاف ساقيه، و معه راية المهاجرين، و حفر ثابت لنفسه مثل ذلك «۱»، ثم لزما رايتيهما، و لقد كان الناس يتفرقون فى كل وجه، و إن سالما و ثابتا لقائمان برايتيهما، حتى قتل سالم و قتل أبو حذيفة مولاه، رحمهما الله تعالى، فوجد رأس أبى حذيفة عند رجلى سالم، و رأس سالم عند رجلى أبى حذيفة، لقرب مصرع كل واحد منهما من صاحبه، فلما قتل سالم، مكثت الراية ساعة لا يرفعها أحد، فأقبل يزيد بن قيس، و كان بدريا، فحملها حتى قتل رحمه الله، ثم حملها الحكم بن سعيد بن العاص، فقاتل دونها نهارا طويلا، ثم قتل رحمه الله.

قال وحشى «۲»: اقتتلنا قتالا شديدا، فهزموا المسلمين ثلاث مرات، و كر المسلمون فى الرابعة، و تاب الله عليهم، و ثبت أقدامهم، و صبروا لوقع السيوف، و اختلفت بينهم و بين بنى حنيفة السيوف، حتى رأيت شهب النار تخرج من خلالها، حتى سمعت لها أصواتا كالأجراس، و أنزل الله تعالى، علينا نصره، و هزم الله بنى حنيفة، و قتل الله مسيلمة.

قال: و لقد ضربت بسيفى يومئذ حتى غرى قائمه فى كفى من دمائهم.

و قال ابن عمر: لقد رأيت عمارا على صخرة قد أشرف، يصيح: يا معشر المسلمين، أمن الجنة تفرون، أنا عمار بن ياسر، هلموا إلىّ، و أنا أنظر إلى أذنه تذبذب و قد قطعت.

و قال سعد القرظ: لقد رأيته يومئذ يقاتل قتال عشرة.

و قال شريك الفزارى: لما التقينا و القوم، صبر الفريقان صبرا لم أر مثله قط، ما تزول الأقدام فترى، و اختلفت السيوف بينهم، و جعل يقبل أهل السوابق و النيات فيتقدمون، فيقتلون، حتى فنوا، و ذلقت فينا سيوفهم طويلا، فانهزمنا، فلقد أحصيت لنا ثلاث انهزامات، و ما أحصيت لحنيفة إلا انهزامة واحدة، التى ألجأناهم فيها إلى الحديقة، يعنى حديقة الموت.

---

(۱) قال ابن عبد البر فى الاستيعاب فى ترجمة ثابت رقم (۲۵۳): لما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة، فلما التقوا انكشفوا، فقال ثابت و سالم مولى أبى حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ثم حفر كل واحد منهما له حفرة، فثبتا و قاتلا حتى قتلا.

(۲) هو وحشى بن حرب الحبشى، انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۷۶۸)، الإصابة الترجمة رقم (۹۱۲۹)، أسد الغابة

الترجمة رقم (۵۴۴۹)، الثقات (۳/ ۴۳۰)، الاستبصار (۸۱)، الإكمال (۷/ ۹۰)، العقد الثمين (۷/ ۳۸۵)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (۳۵۶)، تاريخ الثقات (۴۶۴)، الأنساب لابن السمعانى (۱۱/ ۱۱۱، ۱۱۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۴

و قال رافع بن خديج «۱»: شهدنا اليمامة، فكنا تسعين من النبيت، فلاقينا عدوا صبرا لوقع السلاح، و جماعة الناس أربعة آلاف، و حنيفة مثل ذلك أو نحوه، فلما التقينا أذن الله للسيوف فينا و فيهم، فجعلت السيوف تختلى هام الرجال و أكفهم، و جراحا لم أر جراحا قط أبعد غورا منه، فينا و فيهم، إنى لأنظر إلى عباد بن بشر قد ضرب بسيفه حتى انحنى كأنه منجل، فيقيمه على ركبته، فيعرض له رجل من بنى حنيفة، فلما اختلفا ضربات ضربه عباد بن بشر على العاتق مستمكنا، فو الله لرأيت سحره باديا، و مضى عنه عباد، و مررت بالحنفى و به رمق، فأجهزت عليه، و أنظر بعد إلى عباد و قد اختلف السيوف عليه و هو يضع بها و يبعج بطنه، فوقع و ما أعلم به مصحا، و كانوا حنقوا عليه لأنه أكثر القتل فيهم. قال: و حرضت على قتلته، فناديت أصحابنا من النبيت، فقمنا عليه، و قتلنا قتلته، فرأيتهم حوله مقتلين، فقلت: بعدا لكم.

و قال ضمرة بن سعيد المازنى، و ذكر ردة بنى حنيفة: لم يلق المسلمون عدوا أشد لهم نكاية منهم، لقوهم بالموت الناقع، و بالسيوف قد أصلتوها قبل النبل، و قبل الرماح، و قد صبر المسلمون لهم، فكان المعول يومئذ على أهل السوابق، و نادى عباد بن بشر يومئذ و هو يضرب بالسيف، قد قطع من الجراح، و ما هو إلا كالنمر الجرف، فيلقى رجلا من بنى حنيفة كأنه جمل صئول، فقال: هلم يا أخا الخزرج، أ تحسب قتالنا مثل من لاقيت، فيعمد له عباد، و يبدره الحنفى، و يضربه ضربة بالسيف، فانكسر سيفه و لم يصنع شيئا، و ضربه عباد فقطع رجليه و جاوزه و تركه ينأ على ركبتيه، فناداه: يا ابن الأكارم اجهز علىّ، فكر عليه عباد، فضرب عنقه، ثم قام آخر فى ذلك المقام، فاختلفا ضربات و تجاولا، و عباد على ذلك كثير الجراح، فضربه عباد ضربة أبدى سحره، و قال: خذها و أنا ابن وقش، ثم جاوزه يفرى فى بنى حنيفة ضربا فريا، فكان يقال: قتل عباد يومئذ من بنى حنيفة بالسيف أكثر من عشرين رجلا، و أكثر فيهم الجراح.

قال ضمرة: فحدثنى رجل من بنى حنيفة قديم قال: إن حنيفة لتذكر عباد بن بشر، فإذا رأت الجراح بالرجل منهم تقول: هذا ضرب مجرب القوم، عباد بن بشر.

و فى بعض الروايات عن حديث رافع بن خديج قال: خرجنا من المدينة و نحن أربعة آلاف، و أصحابنا من الأنصار ما بين خمسمائة إلى أربعمائة، و على الأنصار ثابت بن

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۷۲۸)، الإصابة الترجمة رقم (۲۵۳۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۵۸۰)، تاريخ خليفة (۲۷۱)، طبقات خليفة (۷۹)، شذرات الذهب (۱/ ۸۲)، تاريخ الإسلام (۲/ ۴۰۰)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۴۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۵

قيس، و يحمل رايتنا أبو لبابة، فانتهينا إلى اليمامة، فننتهى إلى قوم هم الذين قال الله تعالى: سَتُدْعَوْنَ إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ [الفتح: ۱۶].

فلما صففنا صفوفنا و وضعنا الرايات مواضعها، لم يلبثوا أن حملوا علينا، فهزمونا مرارا، فنعود إلى مصافنا و فيها خلل، و ذلك أن صفوفنا كان مختلطة، فيها حشو كثير من الأعراب فى خلال صفوفنا، فينهزم أولئك الناس فيستخفون أهل البصائر و النيات، حتى كثر ذلك منهم، ثم إن الله بمنه و فضله رزقنا عليهم الظفر، و ذلك أن ثابت بن قيس نادى خالد بن الوليد: أخلصنا، فقال: ذلك إليك، فناد فى أصحابك، قال: فأخذ الراية و نادى: يا للأنصار، فتسللت إليه رجلا رجلا، فنادى خالد للمهاجرين، فأحدقوا به، و نادى عدى بن حاتم، و مكنف بن زيد الخيل الطائى بطيئ، فثابت إليهما طيئ، و كانوا أهل بلاء حسن، و عزلت الأعراب عنا ناحية، فقاموا من

ورائنا غلوة أو أكثر، و إنما كنا نؤتى من الأعراب.

قال رافع: فانتهينا إلى جمعهم فصبروا و صبرنا صبرا لم ير مثله قط، لم تزل الأقدام، فذكرت بيتى قيس بن الحطيم:

إذا ما فررنا كان أسوا فرارناصدود الخدود و ازورار المناكب

صدود الخدود و القنا متشاجرو لا تبرح الأقدام عند التضارب «۱» قال: و اجهضهم أهل السوابق و البصائر، فهم فى نحورهم ما يجد أحد مدخلا إلا أن يقتل رجل منهم، أو يخرج فيقع، فيخلف مقامه آخر، حتى أوجعنا فيهم و بان خلل صفوفهم، و ضجوا من السيف، ثم اقتحمنا الحديقة، فضاربوا فيها، و علقنا الحديقة، و أقمنا على بابها رجالا لئلا يهرب منهم أحد، فلما رأوا ذلك عرفوا أنه الموت، فجدوا فى القتال، و دكت السيوف بيننا و بينهم، ما فيها رمى بسهم و لا حجر و لا طعن حتى قتلنا عدو الله مسيلمة، فقيل لرافع: يا أبا عبد الله، أى القتلى كان أكثر، قتلاكم أو قتلاهم؟ قال: قتلاهم أكثر من قتلانا و أخبث، أحسبنا قتلنا منهم ضعف ما قتلوا منا مرتين، فقد قتل من الأنصار يومئذ زيادة على التسعين، و جرح منهم مائتان، و لقد لقينا بنى سليم بالجواء، و أنهم لمجروحون، فأبلوا بلاء حسنا.

و كان أبو خيثمة النجارى يقول: لما انكشف المسلمون يوم اليمامة تنحيت ناحية،

---

(۱) انظر الأبيات فى: ديوانه ص (۴۱)، الخزانة للبغدادى (۳/ ۱۶۵)، الأشباه و النظائر للخالديين (۲۷، ۲۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۶

و كأنى أنظر إلى أبى دجانة «۱» يومئذ ما يولى ظهره منهزما، و ما هو إلا فى نحور القوم، حتى قتل رحمه الله، و كان يختال فى مشيته عند الحرب سجية، ما يستطيع غير ذلك.

قال: و كرت عليه طائفة من بنى حنيفة، فما زال يضرب بالسيف أمامه و عن يمينه و عن شماله، فحمل على رجل فصرعه، و ما ينبس بكلمة، حتى انفرجوا عنه و نكصوا على أعقابهم، و المسلمون مولون، و قد ابيض ما بينهم و بينه، فما ترى إلا المهاجرين و الأنصار، لا و الله ما أرى أحدا يخالطهم، فقاموا ناحية، و تلاحق الناس، فدفعوا حنيفة دفعة واحدة، فانتهينا بهم إلى الحديقة، فأقحمناهم إياها.

قال أبو دجانة: ألقونى على الترسة حتى أشغلهم، فكانوا قد أغلقوا الحديقة، فأخذوه فألقوه على الترسة، حتى وقع فى الحديقة، و هو يقول: لا ينجيكم منا الفرار، فضاربهم حتى فتحها، و دخلنا عليه مقتولا رحمه الله.

و قد روى أن البراء بن مالك هو المرمى به فى الحديقة، و الأول أثبت.

و قال ثابت بن قيس، يومئذ: يا معشر الأنصار، الله الله و دينكم، علمنا هؤلاء أمرا ما كنا نحسنه، ثم أقبل على المسلمين، فقال: أف لكم و لم تعملون، ثم قال: خلوا بيننا و بينهم، أخلصونا، فأخلصت الأنصار، فلم يكن لهم ناهية حتى انتهوا إلى محكم بن الطفيل، فقتلوه، ثم انتهوا إلى الحديقة فدخلوها، فقاتلوا أشد القتال، حتى اختلطوا فيها، فما يعرف بعضهم بعضا إلا بالشعار، و شعارهم: أمت أمت، ثم صاح ثابت صيحة يستجلب بها المسلمين: يا أصحاب سورة البقرة، يقول رجل من طيئ: و الله ما معى منها آية، و إنما يريد ثابت: يا أهل القرآن.

و قال واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ: لما زحف المسلمون، انكشفوا أقبح الانكشاف، حتى ظن ظانهم أن لا تكون لهم فئة فى ذلك اليوم، و الناس أوزاع قد هدأ حسهم. و أشرت حنيفة و أظهروا البغى، و أوفى عباد بن بشر على نشز من الأرض، ثم صاح بأعلى صوته: أنا عباد بن بشر، يا للأنصار، يا للأنصار، ألا إلى، ألا إلى، فأقبلوا إليه جميعا، و أجابوه: لبيك لبيك، حتى توافوا عنده، فقال: فداكم أبى و أمى، حطموا جفون السيوف، ثم حطم جفن سيفه، فألقاه، و حطمت الأنصار جفون سيوفهم، ثم قال: حملة صادقة، اتبعونى، فخرج أمامهم حتى ساقوا حنيفة منهزمين، حتى انتهوا بهم

---

(۱) اسمه: سماك بن خرشة، انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۹۶۸)، الإصابة الترجمة رقم (۹۸۶۶)، معجم رجال الحديث

(۲۱/ ۱۵۱)، تنقیح المقال (۳/ ۱۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۲۷

إلی الحدیقة، فأغلق علیهم، فأوفی عباد بن بشر یشرف علی الحدیقة و هم فیها، فقال للرماة: ارموا، فرموا أهل الحدیقة بالنبل حتی ألجئوهم أن اجتمعوا فی ناحیة منها لا یطلع النبل علیهم، ثم إن الله فتح الحدیقة، فاقتحم علیهم المسلمون، فضاربوهم ساعة، ثم أغلق عباد باب الحدیقة لما کلّ أصحابه، و کره أن تفر حنیفة، و جعل یقول: اللهم إنی أبرأ إلیک مما جاءت به حنیفة.

قال واقد بن عمرو: فحدثنی من رأی عباد بن بشر ألقی درعه علی باب الحدیقة، ثم دخل بالسیف صلتا یجالدهم حتی قتل، رحمه الله.

و قال أبو سعید الخدری: سمعت عباد بن بشر یقول حین فرغنا من بزاخة: یا أبا سعید، رأیت اللیلة کأن السماء فرجت، ثم أطبقت علیّ، فهی إن شاء الله الشهادة، قال: قلت: خیرا و الله، قال أبو سعید: فأنظر إلیه یوم الیمامة و إنه لیصیح بالأنصار و یقول: أخلصونا، فأخلصوا أربعمائة رجل، لا یخلطهم أحد، یقدمهم البراء بن مالک و أبو دجانة سماک بن خرشة و عباد بن بشر، حتی انتهوا إلی باب الحدیقة.

قال أبو سعید: فرأیت بوجه عباد، یعنی بعد قتله، ضربا کثیرا، و ما عرفته إلا بعلامة کانت فی جسده.

و کان أبو بکر الصدیق رضی الله عنه، لما انصرف إلیه أسامة بن زید من بعثه إلی الشام، بعثه فی أربعمائة مددا لخالد بن الولید، فأدرک خالدا قبل أن یدخل الیمامة بثلاث، فاستعمله خالد علی الخیل مکان البراء بن مالک، و أمر البراء أن یقاتل راجلا، فاقتحم عن فرسه، و کان راجلا لا رجلة به، فلما انکشف الناس یوم الیمامة، و انکشف أسامة بأصحاب الخیل، صاح المسلمون: یا خالد، ول البراء بن مالک، فعزل أسامة، ورد الخیل إلی البراء، فقال له: ارکب فی الخیل، فقال البراء: و هل لنا من خیل؟ قد عزلتنی و فرقت الناس عنی، فقال له خالد: لیس حین عتاب، ارکب أیها الرجل فی خیلک، أ ما تری ما لحم من الأمر، فرکب البراء فرسه، و إن الخیل لأوزاع فی کل ناحیة، و ما هی إلا الهزیمة، فجعل یلیح بسیفه و ینادی: یا صحابة، یا للأنصار، یا للأنصار، یا خیلاه، یا خیلاه، أنا البراء بن مالک، فثابت إلیه الخیل من کل ناحیة، و ثابت إلیه الأنصار، فارسها و راجلها.

قال أبو سعید الخدری: فقال لنا: احملوا علیهم فداکم أبی و أمی، حملة صادقة، تریدون فیها الموت، ثم أظهر التکبیر، و کبرنا معه، فما کانت لنا ناهیة إلا باب الحدیقة،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۲۸

و قد غلقت دوننا، و ازدحمنا علیهم، فلم نزل حتی فتح الله، و ظفرنا، فله الحمد.

و قال عبد الله بن أبی بکر بن حزم: کان البراء فارسا، و کان إذا حضرته الحرب أخذته رعدة، و انتفض حتی یضبطه الرجال ملیا، ثم یفیق فیبول بولا أحمر کأنه نقاعة الحناء، فلما رأی ما یصنع بالناس یومئذ من الهزیمة أخذه ما کان یأخذه، فانتفض و ضبطه أصحابه و جعل یقول: طرونی إلی الأرض، فلما أفاق سری عنه، و هو مثل الأسد، و هو یقول:

أسعدنی ربی علی الأنصارکانوا یدا طرا علی الکفار

فی کل یوم ساطع الغبارفاستبدلوا النجاة بالفرار قال: و ضرب بسیفه قدما، حتی أفرجوا له، و خاض غمرتهم، و ثابت إلیه الأنصار کأنها النحل تأوی إلی یعسوبها، و تلاومت الأنصار فیما صنعت.

و حدث عن خالد بن الولید من سمعه یقول: شهدت عشرین زحفا، فلم أر قوما أصبر لوقع السیوف و لا أضرب بها و لا أثبت أقداما من بنی حنیفة یوم الیمامة، أنّا لما فرغنا من طلیحة الکذاب، و لم تکن له شوکة، قلت کلمة و البلاء موکل بالقول: و ما حنیفة، ما هی إلا کمن لقینا فلقینا قوما لیسوا یشبهون أحدا، لما انتهینا إلی عسکرهم نظرت إلی قوم قد قدموا أمام عسکرهم بشرا کثیرا، فقلت: هذه مکیدة، و إذا القوم لم یحفلوا بنا، فعسکرنا منهم بمنظر العین، فلما أمسیت حزرت القوم بنفسی، فإذا القوم نحونا، فبتنا فی عسکرنا، و باتوا فی عسکرهم.

فلما طلع الفجر قام القوم إلی التعبئة، و ثرنا معهم فی غدوة باردة، و صففت صفوفی، و صفوا صفوفهم، ثم أقبلوا إلینا یقطعون قطوا، قد

سلوا السيوف، فكبرت، و رأيت ذلك منهم فشلا، فلما دنوا منا نادوا: أن هذا ليس بفشل، و لكنها الهندوانية و خفنا التحطم عليها، فما هو إلا أن واجهونا، حملوا علينا حملة واحدة، و انهزمت الأعراب، و لا ذوا بين أضعاف الصفوف، فانهزم معهم أهل النيات، و أوجعت حنيفة فى أدباركم بالقتل، و تقدمت أضرب بسيفى مرة يشتملون علىّ، و مرة أنفذ منهم، و كر المسلمون كرة ثانية، فحملت بنو حنيفة أيضا، حتى هزموا المسلمين ثلاث مرات. و إنما يهزم بالناس الأعراب.

فناديت فى المسلمين، فذكرتهم الله، و ناديت فى المهاجرين و الأنصار: الله الله، الكرة على عدوكم، فنادى أهل السوابق: أخلصونا، فأخلصوا، لا يخلطهم رجل، فأخلص قوم قد ألح السيف عليهم، و قتل من قتل منهم، و من بقى من أهل النيات منقطع من الجراح،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۹

و لكنا لم نجد المعول إلا عليهم و لا الصبر إلا عندهم، فصفوا جميعا فى نحر العدو، و جاءت الأعراب من خلفهم، و ذهبت حنيفة تطلب أن تهزمهم كما كانت تفعل، فثبتوا على مصافهم لا تزول فترا، و اختلفت السيوف بينهم، و صبر الفريقان جميعا، و ذهب الأعراب من ورائنا، فحملنا عليهم حملة، فما زادت حنيفة على أن رجعت القهقرى ما تولى الأدبار، حتى وقفوا على باب الحديقة، و اختلفت السيوف بيننا و بينهم حتى نظرت إلى شهب النار، و حتى صارت القتلى منا و منهم ركاما، و قد أغلقت الحديقة، فدخل من رحمه الله فشغلهم عن الباب حتى دخلنا.

فإذا أهل السوابق قد وطئوا أنفسهم على الموت، فما هو إلا أن عاينتهم حنيفة فى الحديقة، فناديت أصحابى: عضوا على النواجذ، لا أسمع شيئا إلا وقع الحديد بعضه على بعض، فما كان شيء حتى قتل عدو الله، فما ضرب أحد بعده من بنى حنيفة بسيف، و لقد صبروا لنا من حين طلعت الشمس إلى صلاة العصر، و لقد رأيتنى فى الحديقة و عانقنى رجل منهم و أنا فارس و هو فارس، فوقعنا عن فرسينا، ثم تعانقنا بالأرض، فأجؤه بخنجر فى سيفى، و جعل يجؤنى بمعول فى سيفه، فجرحنى سبع جراحات، و قد جرحته جرحا أثبته، فاسترخى فى يدى، و ما بى حركة من الجراح، و قد نزفت من الدم إلا أنه سبقنى بالأجل، فالحمد لله على ذلك.

و حدث ضمرة بن سعيد: أنه خلص يومئذ إلى محكم بن طفيل و هو يقول: يا بنى حنيفة قاتلوا قبل أن تستحقب الكرائم غير رضيات، و ينكحن غير حظيات، و ما كان عندكم من حسب فأخرجوه، فقد لحم الأمر، و احتيج إلى ذلك منكم، و جعل يقول: يا بنى حنيفة ادخلوا الحديقة، سأمنع دابركم، و جعل يرتجز:

لبئسما أوردنا مسيلمةأورثنا من بعده أغيلمة فدخلوا الحديقة و غلقوها عليهم، و رمى عبد الرحمن بن أبى بكر محكما بسهم فقتله، فقام مكانه المعترض ابن عمه، فقاتل ساعة حتى قتله الله.

و فى غير حديث ضمرة أن خالد بن الوليد هو الذى قتل محكما.

حدث الحارث بن الفضل، قال: لما رأى محكم بن طفيل من قتل قومه ما رأى، جعل يصيح: ادن يا أبا سليمان، فقد جاءك الموت الناقع، قد جاءك قوم لا يحسنون الفرار، فبلغ خالدا كلمته و هو فى مؤخر الناس، فأقبل يقول: هأنذا أبو سليمان، و كشف المغفر عن وجهه، ثم حمل على ناحية محكم يخوف بنى حنيفة، فاقتحم عليه خالد، فيضربه

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۰

ضربة أرعش منها، ثم ثنى له بأخرى و هو يقول: خذها و أنا أبو سليمان، فوقع ميتا، و كان عبد الرحمن بن أبى بكر قد رماه بسهم قبل ذلك، و منهم من يقول: رماه عبد الرحمن بعد ضربة خالد، و منهم من يقول: لم يكن من سهم عبد الرحمن شيء.

و قاتلت حنيفة بعد قتل محكم بن طفيل أشد القتال، و هم يقولون: لا بقاء بعد محكم، و قال قائل: يا أبا ثمامة، أين ما كنت وعدتنا؟ قال: أما الدين فلا دين، و لكن قاتلوا عن أحسابكم، فاستيقن القوم أنهم كانوا على غير شيء.

و قال وحشى: لما اختلط الناس فى الحديقة، و أخذت السيوف بعضها بعضا، نظرت إلى مسيلمة و ما أعرفه، و رجل من الأنصار يريده، و أنا من ناحية أخرى أريده، فهززت من حربتى حتى رضيت منها، ثم دفعتها عليه، و ضربه الأنصارى، فربك أعلم أينا قتله، إلا أنى

سمعت امرأة فوق الدير تقول: قتله العبد الحبشى.

و قال أبو الحويرث: ما رأيت أحدا يشك أن عبد الله بن زيد الأنصارى «١» ضرب مسيلمة و زرقه وحشى فقاتلاه جميعا «٢».

و ذكر عمرو بن يحيى المازنى عن عبد الله بن زيد أنه كان يقول: أنا قتلته. و كان معاوية بن أبى سفيان يقول: أنا قتلته.

و كانت أم عبد الله بن زيد، و هى أم عمارة، نسيبة بنت كعب تقول: إن ابنها عبد الله هو الذى قتله. و كانت ممن شهد ذلك اليوم، و قطعت فيه يدها، و ذلك أن ابنها حبيب بن زيد كان مع عمرو بن العاص بعمان عند ما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فلما بلغ ذلك عمرا، أقبل من عمان، فسمع به مسيلمة، فاعترض له، فسبقه عمرو، و كان حبيب ابن زيد و عبد الله بن وهب الأسلمى فى الساقة، فأصابهما مسيلمة، فقال لهما:

أ تشهدان أنى رسول الله، فقال الأسلمى: نعم، فأمر به فحبس فى حديد، و قال لحبيب:

أتشهد أنى رسول الله، فقال: لا أسمع، فقال: أتشهد أن محمدا رسول الله، قال: نعم،

---

(١) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٥٥٨)، الإصابة الترجمة رقم (٤٧٠٦)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٩٥٨)، الوافى بالوفيات (١٧/ ٤٧)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٢٣)، تقريب التهذيب (١/ ٤١٧)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٧).

(٢) ذكر ابن الجوزى فى المنتظم (٤/ ٨٢): أنه اشترك فى قتل مسيلمة رجلان: رجل من الأنصار، و وحشى مولى جبير بن مطعم: و قال: و كان وحشى يقول: وقعت فيه حربتى و ضربه الأنصارى و الله يعلم أينا قتله. و كان يقول: قتلت خير الناس و شر الناس، حمزة و مسيلمة، و كانوا يقولون:

قتله العبد الأسود، فأما الأنصار فلا شك عندهم أن أبا دجانة سماك بن خرشة قتله.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:١٣١

فأمر به فقطع. و كلما قال له: أتشهد أنى رسول الله، قال: لا أسمع، فإذا قال له: أتشهد أن محمدا رسول الله، قال: نعم، حتى قطعه عضوا عضوا، حتى قطع يديه من المنكبين و رجليه من الوركين، ثم حرقه بالنار، و هو كل ذلك لا ينزع عن قوله، و لا يرجع عن ما بدا به، حتى مات فى النار، رحمه الله.

فلما تهيأ بعث خالد بن الوليد إلى اليمامة جاءت أم عمارة إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه، فاستأذنته فى الخروج، فقال لها أبو بكر: ما مثلك يحال بينه و بين الخروج، قد عرفناك و عرفنا جزاءك فى الحرب، فاخرجى على اسم الله.

قالت فيما حدث به عنها ابن ابنها عباد بن تميم بن زيد: فلما انتهوا إلى اليمامة، و اقتتلوا، تداعت الأنصار: أخلصونا، فأخلصوا، فلما انتهينا إلى الحديقة ازدحمنا على الباب، و أهل النجدة من عدونا فى الحديقة، قد انحازوا، يكونون فئة لمسيلمة، فاقتحمنا فضاربناهم ساعة، و الله يا بنى ما رأيت أبذل لمهج أنفسهم منهم، و جعلت أقصد لعدو الله مسيلمة لأن أراه، و قد عاهدت الله لئن رأيته لا أكذب عنه أو أقتل دونه، و جعلت الرجال تختلط، و السيوف بينهم تختلف، و خرص القوم، فلا صوت إلا وقع السيوف، حتى بصرت بعدو الله فأشد عليه، و يعرض لى منهم رجل، فضرب يدى فقطعها، فو الله ما عرجت عليها حتى أنتهى إلى الخبيث و هو صريع، و أجد ابنى عبد الله قد قتله.

و فى رواية: و ابنى يمسح سيفه بثيابه، فقلت: أ قتلته؟ قال: نعم يا أمه، فسجدت لله شكرا، و قطع الله دابرهم، فلما انقطعت الحرب، و رجعت إلى منزلى، جاءنى خالد بن الوليد بطبيب من العرب، فداوانى بالزيت المغلى، و كان و الله أشد علىّ من القطع، و كان خالد كثير التعاهد لى، حسن الصحبة لنا، يعرف لنا حقنا، و يحفظ فينا وصية نبينا صلى اللّه عليه و سلم، قال عباد: فقلت: يا جدة، كثرت الجراح فى المسلمين؟ فقالت: يا بنى، لقد تحاجز الناس، و قتل عدو الله، و إن المسلمين لجرحى كلهم، لقد رأيت بنى أبى مجرجين، ما بهم حركة، و لقد رأيت بنى مالك بن النجار بضعة عشر رجلا، لهم أنين يكمدون ليلتهم بالنار.

و لقد أقام الناس باليمامة خمس عشرة ليلة، و قد وضعت الحرب أوزارها، و ما يصلى مع خالد بن الوليد من المهاجرين و الأنصار إلا نفر يسير من الجراح، و ذلك أنا أتينا من قبل العرب، انهزموا بالمسلمين، إلا أنى أعلم أن طيئا قد أبلت يومئذ بلاء حسنا، لقد رأيت عدى بن حاتم يومئذ يصيح بهم: صبرا، فداكم أبى و أمى لوقع الأسل، و إن ابنى زيد الخيل يومئذ ليقاتلان قتالا شديدا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۲

و عن محمد بن يحيى بن حبارة، قال: جرحت أم عمارة يعنى يوم اليمامة، أحد عشر جرحا بين ضربة بسيف، أو طعنة برمح، و قطعت يدها سوى ذلك، فرئى أبو بكر يأتيها يسأل عنها، و هو يومئذ خليفة.

و قاتل كعب بن عجرة «۱» يومئذ، و انهزم الناس الهزيمة الآخرة، و جاوزوا الرحال منهزمين، فجعل يصيح: يا للأنصار، يا للأنصار الله و رسوله، حتى انتهى إلى محكم بن الطفيل، فضربه محكم، فقطع شماله، فو الله ما عرج عليها كعب، و أنه ليضرب بيمينه، و إن شماله لتهراق الدماء، حتى انتهى إلى الحديقة، فدخل.

و أقبل حاجب بن زيد بن تميم الأشهلى «۲» يصيح بالأوس: يا للأشهل، فقال له ثابت ابن هذال: ناد يا للأنصار، فإنه جماع لنا و لك، فنادى: يا للأنصار، يا للأنصار، حتى اشتملت عليه حنيفة، فانفرجت، و تحته منهم اثنان قد قتلهما، و قتل رحمه الله، فخلفه فى مقامه عمير بن أوس، فاشتملوا عليه حتى قتل، رحمه الله.

و كان أبو عقيل الأزرقى، حليف الأنصار، بدرى من أول من خرج يوم اليمامة، رمى بسهم فوقع بين منكبيه و فؤاده، فشطب فى غير مقتل، فأخرج السهم، و وهن شقه الأيسر، و كانت فيه، و هذا أول النهار و جرروه إلى الرحل، فلما حمى القتال و انهزم المسلمون و جاوزوا رحالهم، و أبو عقيل واهن من جرحه، سمع معن بن عدى يصيح: يا للأنصار، الله و الكرة على عدوكم، و أعنق معن بن عدى يقدم القوم، و ذلك حين صاحت الأنصار: أخلصونا، فأخلصوا رجلا رجلا، يتميزون.

قال أبو عمرو: و نهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد يا أبا عقيل؟ ما فيك قتال، قال: قد نوه المنادى باسمى، فقلت: إنما يقول: يا للأنصار، لا يعنى الجرحى، قال:

فأنا رجل من الأنصار، و أنا أجيب و لو جبنوا، قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل، فأخذ السيف بيده اليمنى مجردا، ثم جعل ينادى: يا للأنصار، كرة كيوم حنين، فاجتمعوا جميعا يقدمون المسلمين دريئة دون عدوهم، حتى أقحموا عدوهم الحديقة، فاختلطوا و اختلفت السيوف بيننا و بينهم، فنظرت إلى أبى عقيل و قد قطعت يده المجروحة من المنكب،

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۲۲۳)، الإصابة الترجمة رقم (۷۴۳۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۴۷۱)، جمهرة أنساب العرب (۴۴۲)، تهذيب الكمال (۱۱۴۶)، تاريخ الإسلام (۲/ ۳۱۳)، تهذيب التهذيب (۸/ ۴۳۵)، شذرات الذهب (۱/ ۵۸).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۹۱)، الإصابة الترجمة رقم (۱۳۶۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۸۴۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۳

فوقعت إلى الأرض، و به أربعة عشر جرحا، كلها قد خلصت إلى مقتل، و قتل عدو الله مسيلمة.

قال ابن عمر: فوقفت على أبى عقيل و هو صريع بآخر رمق، فقلت: يا أبا عقيل، فقال لبيك بلسان ملتاث، ثم قال: لمن الدبرة، فقلت: أبشر و رفعت صوتى، قد قتل عدو الله، فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله، و مات، رحمه الله.

قال ابن عمر: فأخبرت أبى بعد أن قدمت بخبره كله، فقال: رحمه الله، ما زال يسأل الشهادة و يطلبها، و إن كان ما علمت لمن خيار أصحاب نبينا صلى اللّه عليه و سلم، و قديمى إسلامهم.

و ذكر مجاعة بن مرارة يوما، معن بن عدى، و كان نازلا به ليالى قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، مع خلة كانت بينهما قبل ذلك قديمة، فلما قدم فى وفد اليمامة على أبى بكر، توجه أبو بكر رضى الله عنه، يوما إلى قبور الشهداء زائرا لهم فى نفر من أصحابه

یمشون، قال: فخرجت معهم حتی أتوا قبور الشهداء السبعین یرحمهم الله، فقلت: یا خلیفة رسول الله، لم أر قوما قط، أصبر لوقع السیوف، و لا أصدق کرة منهم، لقد رأیت رجلا منهم یرحمهم الله، و کانت بینی و بینه خلة، فقال أبو بکر رضی الله عنه:

معن بن عدی؟ قلت: نعم، و کان عارفا بما کان بینی و بینه، فقال: رحمه الله، ذکرت رجلا صالحا، حدیثک، قلت: یا خلیفة رسول الله، فأنظر إلیه و أنا موثق فی الحدید فی فسطاط ابن الولید، و انهزم المسلمون، انهزمت بهم الضاحیة انهزامة ظننت أنهم لا یجتبرون لها، و ساءنی ذلک، قال أبو بکر: الله، لساءک ذلک؟ قلت: الله لساءنی، قال أبو بکر: الحمد لله علی ذلک، قال: فأنظر إلی معن بن عدی قد کر معلما فی رأسه بعصابة حمراء، واضعا سیفه علی عاتقه، و إنه لیقطر دما، ینادی: یا للأنصار، کرة صادقة، قال:

فکرت الأنصار علیه، فکانت الوقعة التی ثبتوا علیها حتی انتحوا و أباحوا عدوهم، فلقد رأیتنی و أنا أطوف مع خالد بن الولید أعرفه قتلی بنی حنیفة، و إنی لأنظر إلی الأنصار و هم صرعی، فبکی أبو بکر رضی الله عنه، حتی بل لحیته.

و عن أبی سعید الخدری، قال: دخلت الحدیقة حین جاء وقت الظهر، و استحر القتال، فأمر خالد بن الولید المؤذن، فأذن علی جدار الحدیقة بالظهر، و القوم یضطربون علی القتل، حتی انقطعت الحرب بعد العصر، فصلی بنا خالد الظهر و العصر، ثم بعث السقاة یطوفون علی القتلی، فطفت معهم، فمررت بأبی عقیل الأنصاری البدری، و به خمسة عشر جرحا، فاستسقانی، فسقیته، فخرج الماء من جراحاته کلها، و مات رحمه

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۳۴

الله، و مررت ببشر بن عبد الله و هو قاعد فی حشوته، فاستسقانی، فسقیته، فمات، و مررت بعامر بن ثابت العجلانی و إلی جنبه رجل من بنی حنیفة به جراح، فسقیت عامرا فشرب و قال الحنفی: اسقنی فدی لک أبی و أمی، قلت: لا کرامة، و لکنی أجهز علیک، قال: قد أحسنت لی مسألة و لا شیء علیک فیها، أسألک عنها، قلت: و ما هی؟

قال: أبو ثمامة، ما فعل؟ قلت: قتل و الله، قال: نبی ضیعه قومه، قال أبو سعید: فضربت عنقه.

و عن محمود بن لبید قال: لما قتل خالد بن الولید من أهل الیمامة من قتل، کانت لهم فی المسلمین أیضا مقتلة عظیمة «۱»، حتی أبیح أکثر أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و قیل: لا نغمد السیوف بیننا و بینهم عین تطرف و کان فیمن بقی من المسلمین جراحات کثیرة، فلما أمسی مجاعة بن مرارة، أرسل إلی قومه لیلا: أن ألبسوا السلاح النساء و الذریة و العبید، ثم إذا أصبحتم فقوموا مستقبلی الشمس علی حصونکم حتی یأتیکم أمری، و بات خالد و المسلمون یدفنون قتلاهم، فلما فرغوا، رجعوا إلی منازلهم، فباتوا یتکمدون بالنار من الجراح.

فلما أصبح خالد، أمر بمجاعة، فسیق معه فی الحدید، فجعل یستبرئ القتلی، و هو یرید مسیلمة، فمر برجل و سیم، فقال: یا مجاعة، أ هو هذا؟ قال: لا، هذا و الله أکرم منه، هذا محکم بن الطفیل، ثم قال مجاعة: إن الذی تبتغون رجل ضخم أشعر البطن و الظهر، أبجر، بجرته مثل القدح، مطرق إحدی العینین، و یقال: هو أرجل أصیفر أخینس، قال:

و أمر خالد بالقتلی، فکشفوا حتی وجد الخبیث، فوقف علیه خالد، فحمد الله کثیرا، و أمر به فألقی فی البئر التی کان یشرب منها «۲».

قالوا: و لما أمسینا، أخذنا شعل السعف، ثم جعلنا نحفر لقتلانا حتی دفناهم جمیعا، بدمائهم و ثیابهم، و ما صلینا علیهم، و ترکنا قتلی بنی حنیفة، فلما صالحوا خالدا طرحوهم فی الآبار.

و کان خالد یری أنه لم یبق من بنی حنیفة أحد إلا من لا ذکر له، و لا قتال عنده، فقال خالد لما وقف علی مسیلمة مقتولا: یا مجاعة، هذا صاحبکم الذی فعل لکم

---

(۱) قال ابن الجوزی فی المنتظم (۴/ ۸۳): قال علماء السیر: قتل من المسلمین یوم الیمامة أکثر من ألف، و قتل من المشرکین نحو عشرین ألفا.

(۲) ذکر مثل هذا الخبر ابن الجوزی فی المنتظم (۴/ ۸۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۳۵

الأفاعیل، ما رأیت عقولا أضعف من عقول أصحابک، مثل هذا فعل بکم ما فعل، فقال مجاعة: قد کان ذلک یا خالد، و لا تظن أن الحرب انقطعت بینک و بین بنی حنیفة، و إن قتلت صاحبهم، إنه و الله ما جاءک إلا سرعان الناس، و إن جماعة الناس و أهل البیوتات لفی الحصون، فانظر، فرفع خالد بن الولید رأسه و هو یقول: قاتلک الله، ما تقول؟ قال:

أقول و الله الحق، فنظر خالد، فإذا السلاح، و إذا الخلق علی الحصون، فرأی أمرا غمه، ثم تشدد ساعتئذ و أدرکته الرجولیة، فقال لأصحابه: یا خیل الله ارکبی، و جعل یدعو بسلاحه، و یقول: یا صاحب الرایة قدمها، قال: و المسلمون کارهون لقتالهم، و قد ملوا الحرب، و قتل من قتل و عامة من بقی جریح.

فقال مجاعة: أیها الرجل، إنی لک ناصح، إن السیف قد أفناک و أفنی غیرک، فتعال أصالحک عن قومی، و قد أخل بخالد مصاب أهل السابقة، و من کان یعرف عنده الغناء، فقد رق و أحب الموادعة مع عجف الکراع، فاصطلحا علی الصفراء و البیضاء، و الحلقة و الکراع، و نصف السبی، ثم قال مجاعة: آتی القوم فأعرض علیهم ما صنعت، قال:

فانطلق، فذهب ثم رجع، فأخبره أنهم قد أجازوه، فلما بان لخالد أنه إنما هو السبی، قال: ویلک، یا مجاعة خدعتنی فی یوم مرتین، قال مجاعة: قومی، فما أصنع، و ما وجدت من ذلک بدا، قد حضنی النساء، و أنشده قول امرأة من بنی حنیفة:

مسیلم لم یبق إلا النساءسبایا لذی الخف و الحافر

و طفل ترشحه أمهحفیر متی یدع یستأخر

فأما الرجال فأودی بهمحوادث من دهرنا العاثر

فلیت أباک مضی حیضهو لیتک لم تک فی الغابر

سحبت علینا ذیول البلاءو جئت بهن سمی قاشر

فمجاعة الخیر فانظر لنافلیس لنا الیوم من ناظر

سواک فإنا علی حالةتروعنا مرة الطائر فقال: مجاعة: فکنت أجد من هذا بدا «۱».

و ذکر أن مجاعة لما ذهب إلی قومه لیعرض علیهم الصلح، انتهی إلی باب الحصن لیلا، فإذا امرأة تنشد هذا الشعر، فدنا منها مجاعة، فقال: هتم الله فاک، اسکتی، أنا مجاعة، ثم دخل الحصن و لیس فیه إلا النساء و الصبیان، فأمرهم بلبس السلاح و إطالة الإشراف، و القیام فی مصاف الرجال، فقال سلمة بن عمیر لأصحابه: یا بنی حنیفة قاتلوا و لا

---

(۱) راجع ما ذکره ابن الجوزی فی صلح خالد بن الولید مع أهل الیمامة (۴/ ۸۲- ۸۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۳۶

تصالحوا خالدا، فإن الحصن حصین، و الطعام کثیر، و القوم قد أفناهم السیف، و من بقی منهم جریح، و لا تطیعوا مجاعة، فإنه إنما یرید أن ینفلت من إساره، فقال مجاعة: یا بنی حنیفة، أطیعونی و اعصوا سلمة، فإنی أخاف أن یصیبکم ما قال شرحبیل بن سلمة، أن تستردف النساء سبیات، و ینکحن غیر حظیات، فأطاعوا مجاعة، و تم الصلح بینه و بین خالد.

و قال أسید بن حضیر «۱» و أبو نائلة لخالد لما صالح: یا خالد، اتق الله، و لا تقبل الصلح، قال خالد: إنه أفناکم السیف، قال أسید: و إنه قد أفنی غیرنا أیضا، قال: فمن بقی منکم جریح، قال: و کذلک من بقی من القوم جرحی، لا ندخل فی الصلح أبدا، اغد بنا علیهم حتی یظفرنا الله بهم أو نبید من آخرنا، احملنا علی کتاب أبی بکر: إن أظفرک الله ببنی حنیفة فلا تبق علیهم، فقد أظفرنا الله بهم و قتلنا رأسهم، فمن بقی أکل شوکة، فبینما هم علی ذلک إذ جاء کتاب أبی بکر یقطر الدم، و یقال: إنهم لم یمسوا حتی قدم سلمة بن

سلامة بن وقش من عند أبى بكر بكتابين، فى أحدهما: بسم الله الرحمن، أما بعد فإذا جاءك كتابى، فانظر، فإن أظفرك الله ببنى حنيفة فلا تستبق منهم رجلا جرت عليه الموسى «۲».

فكلمت الأنصار فى ذلك، و قالوا: أمر أبى بكر فوق أمرك، فلا تستبق منهم أحدا، فقال خالد: إنى و الله ما صالحت القوم إلا لما رأيت من رقتكم، و لما نهكت الحرب منكم، و قوم قد صالحتهم و مضى الصلح فيما بيننا و بينهم، و الله لو لم يعطونا شيئا ما قاتلتهم، و قد أسلموا.

قال أسيد بن حضير: قد قتلت مالك بن نويرة و هو مسلم، فسكت عنه خالد، فلم يجبه، قالوا: و قال سلمة بن سلامة بن وقش: لا تخالف كتاب إمامك يا خالد، فقال خالد: و الله ما ابتغيت بذلك إلا الذى هو خير، رأيت أهل السابقة و أهل الفضل و أهل القرآن قد قتلوا، و لم يبق معى إلا قوم خشيت أن لا يكون لهم بقاء على السيف لو ألح عليهم، فقبلت الصلح، مع أنهم قد أظهروا الإسلام، و اتقوا بالراح.

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۵۴)، الإصابة الترجمة رقم (۱۸۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۷۰)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۱)، تهذيب الكمال (۱/ ۱۱۳)، تقريب التهذيب (۱/ ۷۸)، تهذيب التهذيب (۱/ ۳۴۷)، الوافى بالوفيات (۹/ ۲۵۸)، سير أعلام النبلاء (۱/ ۲۲۹)، الجرح و التعديل (۲/ ۱۱۶۳)، الرياض المستطابة (۲۹).

(۲) انظر: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۸۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۷

و كان خالد قد خطب إلى مجاعة ابنته، و كانت أجمل أهل اليمامة، فقال له مجاعة:

مهلا، إنك قاطع ظهرى و ظهرك عند صاحبك «۱»، إن القالة عليك كثيرة، و ما أقول هذا رغبة عنك، فقال له خالد: زوجنى أيها الرجل، فإنه إن كان أمرى عند صاحبى على ما أحب فلن يفسده ما تخاف علىّ، و إن كان على ما أكره، فليس هذا بأعظم الأمور، فقال له مجاعة: قد نصحتك، و لعل هذا الأمر لا يكون عيبة إلا عليك، ثم زوجه.

فلما بلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه، غضب، و قال لعمر بن الخطاب: و أبى خالد أنه لحريص على النساء، حين يصاهر عدوه، و ينسى مصيبته، فوقع عمر فى خالد، و عظم الأمر ما استطاع، فكتب أبو بكر إلى خالد مع سلمة بن سلامة:

يا خالد بن أم خالد، إنك لفارغ، تنكح النساء، و تعرس بهن، و ببابك دماء ألف و مائتين من المسلمين، لم تجف بعد، ثم خدعك مجاعة عن رأيك فصالحك على قومه، و لقد أمكن الله منهم، فى كلام غير هذا ذكره وثيمة فى الردة. فلما نظر خالد فى الكتاب قال: هذا عمل عمر «۲».

و كتب إلى أبى بكر جواب كتابه مع أبى برزة الأسلمى: أما بعد، فلعمرى ما تزوجت النساء حتى تم لى السرور، و قرت بى الدار، و ما تزوجت إلا إلى امرئ لو أعملت إليه من المدينة خاطبا لم أبل، دع أنى استشرت خطبتى إليه من تحت قدمى، فإن كنت كرهت لى ذلك لدين أو دنيا اعتبتك، و أما حسن عزائى على قتلى المسلمين، فو الله لو كان الحزن يبقى حيا أو يرد ميتا لأبقى حزنى الحى ورد الميت، و لقد أقحمت فى طلب الشهادة حتى يئست من الحياة، و أيقنت بالموت، و أما خدعة مجاعة إياى عن رأيى، فإنى لم أخط رأى يومى، و لم يكن لى علم بالغيب، و قد صنع الله للمسلمين خيرا، أورثهم الأرض، و جعل لهم عاقبة المتقين.

فلما قدم الكتاب على أبى بكر رضى الله عنه، رق بعض الرقة، و تم عمر على رأيه الأول فى عيب خالد بما صنع، و وافقه على ذلك رهط من قريش، فقام أبو برزة الأسلمى فعذر خالدا، و قال: يا خليفة رسول الله، ما يؤبن خالد بجبن و لا خيانة، و لقد

---

(۱) انظر: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۸۳).

(۲) ذكر ابن الجوزى فى المنتظم كتاب أبى بكر رضى الله عنه إلى خالد فقال: «... فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه: لعمرى يا ابن أم خالد، إنك لفارغ حين تتزوج النساء و حول حجرتك دماء المسلمين لم تجف بعد، فإذا جاءك كتاب فالحق بمن معك من جموعنا بأهل الشام، و اجعل طريقك على العراق، فقال: و هو يقرأ الكتاب: هذا عمل الأعيسر، يعنى عمر بن الخطاب.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۸

أقحم حتى أعذر، و صبر حتى ظفر، و ما صالح القوم إلا على رضاه، و ما أخطأ رأيه بصلح القوم، إذ هو لا يرى النساء فى الحصون إلا رجالا، فقال أبو بكر: صدقت لكلامك هذا أولى بعذر خالد من كتابه إلىّ.

و قد كان خالد لما وقع الصلح، خاف من عمر أن يحمل أبا بكر، رضى الله عنهما، عليه، فكتب إلى أبى بكر كتابا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم لأبى بكر خليفة رسول الله من خالد بن الوليد، أما بعد، فإنى أقسم بالله أنى لم أصالحهم حتى قتل من كنت أقوى به، و حتى عجف الكراع، و هلك الخف، و نهك المسلمون بالقتل و الجراح، حتى إنى لأفعل أمورا أرى أنى فيها معزر، أباشر القتال بنفسى حتى ضعف المسلمون و نهكوا، حتى إن كنت لا تنكر، ثم أدخل بسيفى فرقا على المسلمين حتى جاء بالظفر، فله الحمد.

فسر أبو بكر بذلك، فدخل عليه عمر و هو يقرأ الكتاب، فدفعه إليه، فقرأه، فقال: إنما راقب خئونتهم و خالف أمرك، أ لا ترى إلى ذكره أنه يباشر القتال بنفسه، يمن عليك بذلك. فقال أبو بكر: لا تقل يا عمر، فإنه و الى صدق ميمون النقيبة، ناكى العدو، و قد كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، يقدمه و يقربه، و قد ولاه، فقال عمر: ولاه، و خالف أمره، و قبل بدخول الجاهلية حتى كان ما كان، فقال أبو بكر: دع هذا عنك، فقال عمر: سمعا و طاعة.

و لما فرغ خالد من الصلح، أمر بالحصون فألزمها الرجال، و حلف مجاعة بالله لا يغيب عنه شيئا مما صالحه عليه، و لا يعلم أحدا غيبة إلا رفعه إلى خالد، ثم فتحت الحصون، فأخرج سلاحا كثيرا، فجمعه خالد على حدة، و أخرج ما وجد فيها من دنانير و دراهم، فجمعه على حدة، و جمع كراعهم، و ترك الخف فلم يحركه و لا الرثة، ثم أخرج السبى، فقسمه قسمين، ثم أقرع على القسمين، فخرج سهمه على أحدهما، و فيه: مكتوب لله، ثم جزأ الذى صار له من السبى على خمسة أجزاء، ثم كتب على كل سهم منها: لله، و جزأ الكراع، و الحلقة هكذا، و وزن الذهب و الفضة، فعزل الخمس، و قسم على الناس أربعة الأخماس، و أسهم للفرس سهمين، و لصاحبه سهما، و عزل الخمس من ذلك كله، حتى قدم به على أبى بكر الصديق، رضى الله عنه.

و لما انقطعت الحرب بين خالد و بين أهل اليمامة، تحول من منزله الذى كان فيه إلى منزل آخر، ينتظر كتاب أبى بكر يأمره أن ينصرف إليه بالمدينة، فبينا هو على ذلك، إذ

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۹

أقبل سلمة بن عمير الحنفى، و كان من شياطينهم، فقال لمجاعة: استأذن لى على الأمير، فإن لى إليه حاجة، فأبى مجاعة عليه، و قال: ويحك يا سلمة، ابق على نفسك، فقد آن لك أن تبصر ما أنت فيه، و الله لكأنى أنظر إلى خالد بن الوليد قد أمر بك فضربت عنقك.

فقال سلمة: ما بينى و بين خالد من عتاب، قد قتل قومى، فلهى عنه مجاعة، يطلب غرة من خالد، فأقبل مع الناس الذين يدخلون عليه، فلما رآه خالد التفت إلى مجاعة، فقال: و الله إنى لأعرف فى وجه هذا الشر، فقام إليه مجاعة و هو يخافه على الذى ظن به، فإذا هو مشتمل على السيف، فقال: يا عدو الله، لعنك الله، لقد أردت أن تستأصل حنيفة، و الله لو قتلته ما بقى من حنيفة صغير و لا كبير إلا قتل، ثم لببه بثوبه، و جعل يتله حتى أدخله بيتا، ثم أوثقه فى الحديد، و أغلق عليه، فأفلت من الليل و معه سيف، فوقع فى حائط من حوائط اليمامة، و علم شأنه و ما أراد من ضرب خالد بالسيف، و كان خالد قد أمر به أن تضرب عنقه، فكلمه فيه مجاعة، و قال: هبه لى يا أبا سليمان، فوهبه له، و قال له: أحسن أدبه، فذلك حين حذره مجاعة، فخرج بالسيف و اكتنفه أهل اليمامة، فلما رأى ذلك أمال السيف على حلقه، فقطع أوداجه، و سقط فى بئر هناك، فانقطع ذكره.

و حدث زید بن أسلم عن أبیه، قال: کان أبو بکر حین وجه خالدا إلی الیمامة، رأی فی النوم کأنه أتی بتمر من تمر هجر «۱»، فأکل منها تمرة واحدة وجدها نواة علی خلقة التمرة، فلاکها ساعة ثم رمی بها، فتأولها، فقال: لیلقین خالد من أهل الیمامة شدة، و لیفتحن الله علی یدیه إن شاء الله، فکان أبو بکر یستروح الخبر من الیمامة بقدر ما یجیء رسول خالد، فخرج أبو بکر یوما بالعشی إلی ظهر الحرة، یرید أن یبلغ صرارا، و معه عمر بن الخطاب و سعید بن زید و طلحة بن عبید الله، و نفر من المهاجرین و الأنصار، فلقی أبا خیثمة النجاری قد أرسله خالد، فلما رآه أبو بکر قال له: ما وراءک یا أبا خیثمة؟ قال: خیر یا خلیفة رسول الله، قد فتح الله علینا الیمامة، قال: فسجد أبو بکر، قال أبو خیثمة: و هذا کتاب خالد إلیک، فحمد الله أبو بکر و أصحابه، ثم قال:

أخبرنی عن الوقعة، کیف کانت؟.

فجعل أبو خیثمة یخبره کیف صنع خالد، و کیف صف أصحابه، و کیف انهزم المسلمون، و من قتل منهم، و جعل أبو بکر یسترجع و یترحم علیهم، و جعل أبو خیثمة

---

(۱) هجر: بفتح أوله و ثانیه، مدینة البحرین، و هی معرفة لا تدخلها الألف و اللام، سمیت بهجر بنت مکنف من العمالیق. انظر: الروض المعطار (۵۹۲)، معجم ما استعجم (۴/ ۱۳۴۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۴۰

یقول: یا خلیفة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، أتینا من قبل الأعراب، انهزموا بنا و عودونا ما لم نکن نحسن، حتی أظفرنا الله بعد، ثم قال أبو بکر: کرهت رؤیا رأیتها کراهیة شدیدة، و وقع فی نفسی أن خالدا سیلقی منهم شدة، و لیت خالدا لم یصالحهم، و أنه حملهم علی السیف، فما بعد هؤلاء المقتولین یستبقی أهل الیمامة، و لن یزالوا من کذابهم فی بلیة إلی یوم القیامة، إلا أن یعصمهم الله، ثم قدم بعد ذلک وفد الیمامة مع خالد علی أبی بکر رضی الله عنه.

قال الواقدی: أجمع أصحابنا أن خالد بن الولید قدم المدینة من الیمامة، و قدم بوفد الیمامة سبعة عشر رجلا من بنی حنیفة، فیهم مجاعة بن مرارة، و إخوته، و أن أبا بکر حبسهم، فلم یدخلهم علیه، فدخلوا علی عمر بن الخطاب یکلمونه فی أن یکلم أبا بکر أن یأذن لهم فیدخلهم أو یأذن لهم فی الرجوع إلی بلادهم، فوجدوه یحلب شاة علی رغیف فی صحفة، و معه عبد الرحمن بن زید بن الخطاب و ابنه زید بن الخطاب، فهما ینزوان علی ظهره، قالوا، أو من قال منهم: فنسبنا، فانتسبنا، فقرب تلک الصحفة و ما فیها، و قال: أصیبوا شیئا، فتحرمنا فأصبنا شیئا، فسألته: من هذان الغلامان؟ فقال: هذان ابنا زید بن الخطاب رحمه الله، فوجمنا لأنا قتلنا زیدا، فلما رأی وجومنا قال: ما لکم قد سکتم؟ هذا أمر قد ذهب، حاجتکم، قالوا: فبسطنا، فقلنا: احتبسنا و لا نقدر علی الدخول علی أبی بکر، و لا السراح إلی بلادنا، فقال عمر: علیکم عهد الله و کفالته أن تناصحوا الإسلام و أهله، قلنا: نعم، قال: ارجعوا حتی تأتوا فی هذه الساعة من غد فأوصلکم إلی أبی بکر، فلما کان ذلک الوقت من الغد، جاءوه، فخرج معهم حتی أوصلهم إلی أبی بکر.

و قال زید بن أسلم عن أبیه: لما دخلوا علی أبی بکر الصدیق، قال: ویحکم، ما هذا الذی استنزل منکم ما استنزل، و خدعکم، قالوا: یا خلیفة رسول الله، قد کان الذی بلغک مما أصابنا.

و ذکر وثیمة أن الذی کلم أبا بکر منهم رجل من بنی سحیم، فقال: یا خلیفة رسول الله، کان رجلا مشئوما أصابته فتنة من حدیث النفس، و أمانی الشیطان، دعا إلیها أقواما مثله فأجابوه فلم یبارک الله له و لا لقومه.

قال أسلم فی حدیثه: ثم أقبل یعنی أبا بکر، علی مجاعة، فقال: یا مجاعة، أنت خرجت طلیعة لمسیلمة حتی أخذک خالد أخذا؟ فقال: یا خلیفة رسول الله، و الله ما

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۴۱

فعلت، خرجت فی طلب رجل من بنی نمیر قد أصاب فینا دما، فهجمت علینا خیل خالد، و لقد کنت قدمت علی رسول الله، فلما ذکر

رسول الله، قال أبو بكر: قل صلى اللّه عليه و سلم، فقال: صلى اللّه عليه و سلم، ثم رجعت إلى قومى، فو الله ما زلت معتزلا أمر مسيلمة حتى كان أوان قدمت عليك مقدمى هذا، ثم لم آل لخالد فيما استشارنى إلى اليوم، و قد جئناك لترضى عمن أساء، و تقبل ممن تاب، فإن القوم قد رجعوا و تابوا، فقال أبو بكر: أما أنى قد كتبت إلى خالد كتابا فى أثر كتاب آمره أن لا يستبقى من بنى حنيفة أحدا مرت عليه الموسى قال مجاعة: الذى صنع الله لك و لخالد خير، يفىء الله بهم إلى الإسلام، قال أبو بكر: أرجو أن يكون ما صنع خالد خيرا، يا مجاعة أنى خدعتم بمسيلمة؟ قال: يا خليفة رسول الله، لا تدخلنى فى القوم، فإن الله يقول: لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى [فاطر: ۱۸]، قال أبو بكر رضى الله عنه: فما كان يقول لقومه؟ قال: فكره مجاعة أن يخبره فقال أبو بكر: عزمت عليك لتخبرنى.

و فى غير هذا الحديث أن الرجل السحيمى الذى تقدم ذكره قبل أخبره بأنه كان يقول: يا ضفدع بنت ضفدعين، لحسن ما تنقنين، لا الشارب تمنعين، و لا الماء تكدرين، امكثى فى الأرض حتى يأتيك الخفاش بالخبر اليقين، لنا نصف الأرض و لقريش نصفها، و لكن قريش قوم لا يعدلون. فاسترجع أبو بكر، ثم قال: سبحان الله، ويحكم، أى كلام هذا، إن هذا الكلام ما خرج من إل و لا بر، فأين ذهب بكم؟ الحمد لله الذى قتله، قالوا: يا خليفة رسول الله، قد أردنا الرجوع إلى بلادنا، قال: ارجعوا، و كتب لهم كتابا آمنهم فيه.

و فى كتاب يعقوب الزهرى: أن وفد بنى حنيفة لما قدموا، نادى أبو بكر أن لا يؤويهم أحد، و لا يبايعهم، و لا ينزلهم، و لا يكلمهم، فداروا فى المدينة لا يكلمون و لا يبايعون، فضاقت عليهم، فقيل لهم: ائتوا عمر، فجاءوه، فوجدوه معتقلا عنزا يحلبها على رغيف، فلما رآهم، حلب، فاشتد حلبه حتى دار الرغيف فى القدح من شدة حلبه، ثم وضعه، فدعاهم فأكلوا معه، و معه صبية صغيرة، فقالوا: إنا نعوذ بالله أن يرد علينا من إسلامنا ما يقبل من غيرنا، و إنا نشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله، الذى لا إله إلا هو، الذى يعلم من السر ما يعلم من العلانية، قال: الله، إن ما تقولون بألسنتكم لحق من قلوبكم، قالوا: الذى لا إله إلا هو إن ما نقول بألسنتنا لحق من قلوبنا، قال:

الحمد لله الذى جعل لنا من الإسلام ما يعزنا و يردنا إليه. قال: أ فيكم قاتل زيد بن الخطاب؟ قلنا: ما تريد بذلك؟ قال: أ فيكم قاتل زيد؟ فقام أبو مريم، فقال: أنا قاتل زيد،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۴۲

قال: و كيف قتلته؟ قال: اضطربت أنا و هو بالسيفين حتى انقطعا، ثم أطعنا بالرمحين حتى انكسرا، ثم اصطرعنا، فشحطته بالسكين شحطا، قال: يا بنية، هذا قاتل أبيك، فوضعت يدها على رأسها، و صاحت: يا أبتاه.

قال: ثم خرج حتى جاء أبا بكر، فاستأذن لنا عليه، فدخلنا فقلنا له كما قلنا لعمر، و ناشدنا كما ناشدنا عمر، فحلفنا له، فقال: الحمد لله الذى جعل لنا من الإسلام ما يعزنا و يردنا إليه، قال: أ فيكم من رهط عامر بن مسلمة أحد؟ قال خالد: و ما تصنع بعامر و هذا مجاعة سيد أهل اليمامة، فكررها أبو بكر، فقال: هل فيكم من رهط ثمامة ابن أثال أحد؟ قال خالد: و ما تصنع بثمامة، و هذا مجاعة سيد أهل اليمامة، قال أبو بكر رضى الله عنه: إنهم أهل بيت اصطعنهم النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فأحب أن أصطنعهم، فقام مطرف بن النعمان بن سلمة، فقال: عامر بن سلمة عمى، و ثمامة بن أثال عمى، فاستعمله أبو بكر على اليمامة.

و قال أبو بكر لخالد: سم لى أهل البلاء، فقال: يا خليفة رسول الله، كان البلاء للبراء بن مالك، و الناس له تبع.

و لما قدم خالد المدينة لم يبق بها دار إلا فيها باك لكثرة من قتل معه من الناس، فبكى أبو بكر رضى الله عنه، لما رأى ذلك، و قال ما أبعد ما رأى من الظفر، و الله لثابت بن قيس بن شماس «۱» أعز على الأنصار من أسماعها و أبصارها.

و كانت اليمامة فى ربيع الأول من سنة اثنتى عشرة «۲»، و اختلف فى عدد من استشهد فيها من المسلمين، فأكثر ما فى ما وقع فى كتاب أبى بكر إلى خالد: أن ببابك دماء ألف و مائتين من المسلمين.

و قال سالم بن عبد الله بن عمر: قتل يوم اليمامة ستمائة من المهاجرين و الأنصار، و غير ذلك.

و قال زيد بن طلحة: قتل يوم اليمامة من قريش سبعون، و من الأنصار ستون، و من سائر الناس خمسمائة.

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۵۳)، الإصابة الترجمة رقم (۹۰۶)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۶۹).

(۲) ذکر ابن الجوزی فی المنتظم (۴/ ۸۳): أنها کانت سنة إحدی عشرة فی قول جماعة منهم أبو معشر، فأما ابن إسحاق فإنه قال فتح الیمامة و الیمن و البحرین، و بعث الجنود إلی الشام سنة اثنتی عشرة.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۴۳

و عن أبی سعید الخدری قال: قتلت الأنصار فی مواطن أربعة سبعین سبعین، یوم أحد سبعین، و یوم بئر معونة سبعین، و یوم الیمامة سبعین، و یوم جسر أبی عبید سبعین.

و قال سعید بن المسیب: قتلت الأنصار فی مواطن ثلاثة سبعین سبعین، فذکر ما تقدم إلا بئر معونة.

و ذکر عمر بن الخطاب رضی الله عنه، یوما وقعة الیمامة و من قتل فیها من المهاجرین و الأنصار، فقال: أحلت السیوف علی أهل السوابق من المهاجرین و الأنصار، و لم نجد المعول یومئذ إلا علیهم، خافوا علی الإسلام أن یکسر بابه، فیدخل منه إن ظهر مسیلمة، فمنع الله الإسلام بهم، حتی قتل عدوه و أظهر کلمته، و قدموا یرحمهم الله، علی ما یسرون به من ثواب جهادهم من کذب علی الله و علی رسوله، و رجع عن الإسلام بعد الإقرار به.

و فی روایة عنه: جعل منادی المسلمین، یعنی یوم الیمامة، ینادی: یا أهل الوجوه، لو لا ما استدرک خلیفة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، من جمع القرآن لخفت أن لا یلتقی المسلمون و عدوهم فی موضع إلا استحر القتل بأهل القرآن.

و لما قتل ثابت بن قیس بن شماس یوم الیمامة، و معه کانت رایة الأنصار یومئذ، و هو خطیبهم و سید من سادتهم، أری رجل من المسلمین فی منامه ثابت بن قیس یقول له:

إنی موصیک بوصیة، فإیاک أن تقول هذا حلم فتضیعه، إنی لما قتلت بالأمس جاء رجل من ضاحیة نجد و علیّ درع فأخذها، فأتی بها منزله فأکفأ علیها برمة، و جعل علی البرمة رحلا، و خباؤه فی أقصی العسکر، إلی جنب خبائه فرس یستن فی طوله، فائت خالد بن الولید فأخبره فلیبعث إلی درعی فلیأخذها، و إذا قدمت علی خلیفة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فأخبره أن علیّ من الدین کذا و لی من الدین کذا، و سعد و مبارک غلامای حران، و إیاک أن تقول هذا حلم، فتضیعه.

فلما أصبح الرجل أتی خالد بن الولید فأخبره، فبعث خالد إلی الدرع فوجدها کما قال، و أخبره بوصیته فأجازها، و لا نعلم أحدا من المسلمین أجیزت، وصیته بعد موته إلا ثابت بن قیس «۱».

و قد روی أن بلال بن الحارث کان صاحب الرؤیا، رواه الواقدی، ثم قال بعقبه:

فذکرته، یعنی الحدیث، لعبد الله بن سعد، فقال: حدثنی عبد الواحد بن أبی عون، قال:

(۱) ذکر ابن عبد البر فی الاستیعاب هذا الخبر فی ترجمة ثابت رقم (۲۵۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۴۴

قال بلال: رأیت فی منامی کأن سالما مولی أبی حذیفة قال لی و نحن منحدرون من الیمامة إلی المدینة: إن درعی مع الرفقة الذین معهم الفرس الأبلق، تحت قدرهم، فإذا أصبحت فخذها من تحت قدرهم، فاذهب بها إلی أهلی، و إن علیّ شیئا من دین، فمرهم یقضونه، قال بلال: فأقبلت إلی تلک الرفقة، و قدرهم علی النار، فألفیتها و أخذت الدرع، و جئت أبا بکر فحدثته الحدیث، فقال: نصدق قولک، و نقضی دینه الذی قلت.

و قتل الله من بنی حنیفة یوم الیمامة عددا کثیرا، ففی کتاب یعقوب الزهری أنه قتل منهم أکثر من سبعة آلاف، و عن غیره أنه أصیب یومئذ من صلیب بنی حنیفة سبعمائة مقاتل، و کان داؤهم خبیثا، و الطارئ منهم علی الإسلام عظیما، فاستأصل الله تعالی شأفتهم، ورد

ألفة الإسلام علی ما کانت علیه علی عهد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم.

ذکر ردة بنی سلیم

ذکر الواقدی من حدیث سفیان بن أبی العوجاء السلمی، قال: و کان عالما بردة قومه، مع أنه کان من وعاة العلم، و ممن یوثق به فی الدین، قال: أهدی ملک من ملوک غسان إلی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، لطیمة فیها مسک و عنبر، و خیل، فخرجت بها الرسل حتی إذا کانوا بأرض بنی سلیم، بلغتهم وفاة النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، فتشجع بعض بنی سلیم علی أخذها و الردة، و أبی بعضهم من ذلک، و قالوا: إن کان محمد قد مات، فإن الله حی لا یموت، و کان الذین ارتدوا منهم عصیة و بنو عمیرة و بنو عوف، و بعض بنی جاریة، و الذین انتهبوا اللطیمة فتمزقوها، بنو الحکم بن مالک بن خالد بن الشرید.

فلما ولی أبو بکر کتب إلی معن بن حاجز «۱» فاستعمله علی من أسلم من بنی سلیم، و کان قد قام فی ذلک قیاما حسنا، ذکر وفاة النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و ذکر الناس ما قال الله لنبیه علیه السلام: إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ [الزمر: ۳۰]، و قال: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ الآیة [آل عمران: ۱۴۴] و التی قبلها، مع آی من کتاب الله، فاجتمع إلیه بشر کثیر من بنی سلیم، و انحاز أهل الردة منهم فجعلوا یغیرون علی الناس، و یقطعون السبیل، فلما بدی لأبی بکر أن یوجه خالد بن الولید إلی الضاحیة، کتب إلی معین بن حاجز أن یلحق بخالد بن الولید هو و من معه من المسلمین، و یستعمل

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۴۹۹)، الإصابة الترجمة رقم (۸۴۷۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۴۹۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۴۵

علی عمله طریفة بن حاجز، ففعل، و أقام طریفة یکالب من ارتد بمن معه من المسلمین، یغیر علیهم و یغیرون علیه، إذ قدم الفجاءة، و هو إیاس بن عبد الله بن عبد یالیل بن عمیر ابن خفاف، علی أبی بکر الصدیق، فقال: یا أبا بکر، إنی مسلم، و قد أردت جهاد من ارتد من الکفار، فاحملنی و أعنی، فإنه لو کان عندی قوة لم أقدم علیک، و لکنی مضعف من الظهر و السلاح، فسر أبو بکر بمقدمه، فحمله علی ثلاثین بعیرا، و أعطاه سلاح ثلاثین رجلا، فخرج یستعرض المسلم و الکافر، فیأخذ أموالهم، و یصیب من امتنع مع قوم من أهل الردة قد تبعوه علی ذلک، لقد أغار علی قوم بالأرحضیة مسلمین، جاءوا یریدون أبا بکر، فسلبهم و قتلهم، و معه رجل من بنی الشرید، یقال له: نجبة بن أبی المثنی.

فلما بلغ أبا بکر خبره و ما صنع، کتب إلی طریفة بن حاجز: بسم الله الرحمن الرحیم، من أبی بکر خلیفة رسول الله إلی طریفة بن حاجز، سلام علیک، فإنی أحمد إلیک الله الذی لا إله إلا هو، و أسأله أن یصلی علی محمد صلی اللّه علیه و سلم أما بعد، فإن عدو الله الفجاءة أتانی، فزعم أنه مسلم، و سألنی أن أقویه علی قتال من ارتد عن الإسلام، فقویته، و قد انتهی إلی الخبر الیقین أنه قد استعرض المسلم و المرتد، یأخذ أموالهم، و یقتل من امتنع منهم، فسر إلیه بمن معک من المسلمین حتی تقتله أو تأسره، فتأتینی به فی وثاق إن شاء الله، و السلام علیک و رحمة الله.

فقرأ طریفة کتاب أبی بکر علی قومه المسلمین، فحشدوا، و ساروا معه إلی الفجاءة، فقدم إلیهم نجبة بن أبی المثنی، فناوش المسلمین، و قتل نجبة، و هرب من کان معه إلی الفجاءة، ثم زحف طریفة إلی الفجاءة، فتصادما، و جعل المسلمون یرمون بالنبل، و رمی أصحاب الفجاءة شیئا و هم منکسرون لما یرون من انکسار الفجاءة و ندامته، فقال: یا طریفة «۱» و الله ما کفرت، و إنی لمسلم، و ما أنت بأولی بأبی بکر منی، أنت أمیره و أنا أمیره، قال طریفة: فإن کنت صادقا، فألق السلاح، ثم انطلق إلی أبی بکر فأخبره خبرک، فوضع الفجاءة السلاح، و أوثقه طریفة فی جامعة، فقال طریفة: لا تفعل، فإنک إن أقدمتنی فی وثاق أشعرتنی، فقال طریفة: هذا کتاب أبی بکر إلی: أن ابعثک إلیه فی وثاق، فقال الفجاءة: سمعا و طاعة، فبعث به فی جامعة مع عشرة من بنی سلیم، فأرسل به أبو بکر

رضى الله عنه، إلى بنى جشم، فحرقه بالنار.

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۳۰۸)، الإصابة الترجمة رقم (۴۲۶۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۶۰۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۴۶

و قدم على أبى بكر رضى الله عنه، قبيصة، أحد بنى الضربان، من بنى خفاف، فذكر أن مسلم، و أنه قومه لم يرتدوا، فأمره أبو بكر أن يقاتل بمن معه من سليم على الإسلام من ارتد عنه منهم، فرجع قبيصة إلى قومه، فاجتمع إليه ناس كثير ممن ثبت على الإسلام، فخرج يتبع بهم أهل الردة يقتلهم حيث وجدهم، حتى مر ببيت خميصة بن الحكم الشريدى، فوجده غائبا يجمع أهل الردة، و وجد جارا له مرتدا، فقتله، و استاق ماله و مضى حتى نزل منزلا، فذبح أصحابه شاة من غنم جار خميصة، ثم راحوا، و يقبل خميصة حتى أتى أهله، فيخبروه خبر جاره، فخرج فى طلب القوم حتى مر بمنزلهم حيث ذبحوا الشاة، فيجد رأسها مملولا، قد تركه القوم، فأخذه، فجعل ينهش منه، و هو يطلبهم فأدركهم و هو ينهشه و الدم يسيل على لحيته، و كان رجلا أيدا، فقال لقبيصة: قتلت جارى؟ قال: إن جارك ارتد عن الإسلام، قال: فاردد ماله، فرد قبيصة ماله، فقال: و فقد الشاة التى ذبحوا، فقال: أين الشاة التى ذبحت؟ فقال: لا سبيل إليها، قد أكلها القوم و هم مستحقون لذلك فى طلب قوم كفروا بعد إسلامهم، فقال: يا قبيصة، أمن بين من كفر تعدو على جار لجأ إلى لأمنعه؟ فقال قبيصة: قد كان ذلك فاصنع ما أنت صانع، فطعن قبيصة بالرمح، فوقع فى واسط الرحل، فدقه و انثنى سنان الرمح، و خر قبيصة عن بعيره، فقال لخميصة: إنك قد أشويتنى، فاكفف، فعدل خميصة سنان رمحه بين حجرين ثم شد على قبيصة، و هو يقول: أكفف بعد قتل جارى، لا و الله أبدا، فطعنه بالرمح فقتله و كان قبيصة قد فرق أصحابه، و بثهم قبل أن يلحقه خميصة.

و كتب أبو بكر رحمه الله، إلى خالد بن الوليد: أما بعد، فإن أظفرك الله ببنى حنيفة، فأقل اللبث فيهم حتى تنحدر إلى بنى سليم فتطؤهم وطأة يعرفون بها ما منعوا، فإنه ليس بطن من العرب أنا أغيظ عليه منى عليهم، قدم قادمهم يذكر إسلاما و يريد أن أعينه، فأعنته بالظهر و السلاح، ثم جعل يعترض الناس، فإن أظفرك الله بهم فلا ألومك فيهم، فى أن تحرقهم بالنار، و تهول فيهم بالقتل، حتى يكون نكالا لهم.

قالوا: فجعل خالد بن الوليد يبعث الطلائع أمامه، و سمعت بنو سليم بمقبل خالد، فاجتمع منهم بشر كثير يعرضون لهم، و جلهم بنو عصية، و استجلبوا من بقى من العرب مرتدا، و كان الذى جمعهم أبو شجرة بن عبد العزى، فانتهى خالد إلى جمعهم بالجواء مع الصبح، فصاح خالد فى أصحابه، و أمرهم بلبس السلاح، ثم صفهم، و صفت بنو سليم، و قد كل المسلمون و عجف كراعهم، و خفهم، و جعل خالد يلى القتال بنفسه، حتى أثخن فيهم القتل، ثم حمل عليهم حملة واحدة، فهربوا، و أسر منهم بشر كثير، فجعل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۴۷

يضرب أحدهم على عاتقه فيجز له باثنين، و يبدو سحره، و يضرب الآخر من وسطه.

و فى حديث سفيان بن أبى العوجاء: أن خالدا خطر لهم الخطائر، فحرقهم فيها بالنار، و أصاب أبو شجرة يومئذ، فى المسلمين و جرح جراحات كثيرة، و قال فى ذلك أبياتا، يقول فى آخرها:

فرويت رمحى من كتيبة خالدو إنى لأرجو بعدها أن أعمرا و لما قدم خالد على أبى بكر، كان أول ما سأل عنه خبر بنى سليم، فأخبره خالد، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قدم على أبى بكر معاوية بن الحكم، و أخوه خميصة مسلمين، فقال أبو بكر لخميصة: أنت قتلت قبيصة، و رجعت عن الإسلام؟ قال: إنه قتل جارى، قال: و إن قتل جارك على ردة، قتلته، لن تفلت منى حتى أقتلك، فقال أخوه: يا خليفة رسول الله، كان يومئذ مرتدا كافرا موتورا، و قد تاب اليوم و راجع، و لكن نديه قال أبو بكر: فأخرج ديته، فقال: أفعل يا خليفة رسول الله، قال: فنعم الرجل كان قبيصة، و نعم السبيل مات عليه.

ثم قال لمعاوية: و عمدتم يا بنى الشريد إلى لطيمة بعث بها إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فانتهبتموها، و قلتم إن يقم بهذا الأمر

رجل من قريش، فلعمرى ليرضى أن تدخلوا فى الإسلام مع الناس، فكيف يأخذكم بأمن الطريق إلى رجل قد مات، فإن طلب ما أخذتم فإنما يطلبها أهل بيته، فما كانوا يطلبون ذلك منكم و أنتم أخوالهم. قال معاوية: نحن نضمنها حتى نؤديها إليك، فحمل أبو بكر، معاوية اللطيمة التى أصابوها، و وقت لهم شهرين أو ثلاثة.

قال: فأداها إلى أبى بكر، ثم إن أبا شجرة أسلم، و دخل فيما دخل فيه الناس، فجعل يعتذر و يجحد أن يكون قال البيت المتقدم، فلما كان زمن عمر بن الخطاب، قدم أبو شجرة و أناخ راحلته بصعيد بنى قريظة، و جاء من حرة شوران، ثم أتى عمر و هو يقسم بين فقراء العرب، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطنى، فإنى ذو حاجة، فقال: من أنت؟ قال:

أنا أبو شجرة بن عبد العزى، فقال له: يا عدو الله، أ لست الذى يقول:

فرويت رمحى من كتيبة خالدو إنى لأرجو بعدها أن أعمرا عمر الله سوء ما عشت لك يا خبيث، ثم جعل يعلوه بالدرة على رأسه، حتى سبقه عدوا، و عمر فى طلبه، فرجع أبو شجرة موليا إلى راحلته، فارتحلها، ثم شد بها فى حرة شوران راجعا إلى أرض بنى سليم، فما استطاع أبو شجرة أن يقرب عمر حتى توفى،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۴۸

و إن كان إسلامه لا بأس به، و كان إذا ذكر عمر ترحم عليه، و يقول: ما رأيت أحدا أهيب من عمر بن الخطاب.

و قال أبو شجرة فيما كان من ذلك:

ضن علينا أبو حفص بنائلهو كل مختبط يوما له ورق

ما زال يرهقنى حتى خذيت لهو حال من دون بعض البغية الشفق

لما لقيت أبا حفص و شرطتهو الشيخ يقرع أحيانا فينحمق

ثم ارعويت إلى و جناء كاشرةمثل الطريرة لم يثبت لها الأفق

أقبلت الخيل من شوران صادرةأنى لأزرى عليها و هى تنطلق

تطير مروا خطاها عن مناسمهاكما ينقر عند الجهبذ الورق

إذا يعارضها خرق تعارضهورهاء فيها إذا استعجلتها خرق

ينوء آخرها منها و أولهاسرح اليدين معا نهاضة فتق و فى حديث هشام بن عروة عن أبيه: أن لقاء أبى شجرة عمر كان على غير ما تقدم، و أن أبا شجرة قدم المدينة، فأدخل راحلته بعض دورها، و دخل المسجد متنكرا، فاضطجع فيه، و كان عمر رضى الله عنه، قل شيء يظنه إلا كان حقا، فبينا عمر جالسا فى أصحابه، و أبو شجرة مضطجع، قال عمر: إنى لأرى هذا أبا شجرة، فقام حتى وقف عليه، فقال: من أنت؟ قال: رجل من بنى سليم، قال: انتسب، قال: فلان بن عبد العزى، قال: ما كنيتك؟ قال: أبو شجرة، فعلاه بالدرة.

ثم ذكر من تقريره على قوله: فرويت رمحى البيت، نحوا مما تقدم.

ردة البحرين «۱»

حدث يعقوب الزهرى عن إسحاق بن يحيى، عن عمه عيسى بن طلحة، قال: لما ارتدت العرب بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال صاحب المدائن: من يكفينى أمر العرب، فقد مات صاحبهم و هم الآن يختلفون بينهم، إلا أن يريد الله بقاء ملكهم فيجتمعوا على أفضلهم، فإنهم إن فعلوا صلح أمرهم، و بقى ملكهم، و أخرجوا العجم من أرضهم، قالوا:

نحن بذلك على أكمل الرجال، قال: من؟ قالوا: مخارق بن النعمان، ليس فى الناس مثله، و هو من أهل بيت قد دوخوا العرب و دانت لهم، و هؤلاء جيرانك بكر بن وائل، فأرسل

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۸۳- ۸۵)، تاریخ الطبری (۳/ ۳۰۱)، الأغانی (۱۵/ ۲۵۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۴۹

منهم ناسا مع مخارق، فأرسل معه ستمائة من بکر بن وائل، الأشرف فالأشرف، و ارتد أهل هجر عن الإسلام.

و عن الحسن بن أبی الحسن: أن الجارود قام فی قومه، فقال: یا قوم، أ لستم تعلمون ما کنت علیه من النصرانیة، و إنی لم آتکم قط إلا بخیر، و إن الله تعالی بعث نبیه فنعی له نفسه و أنفسکم؟ فقال: إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ [الزمر: ۳۰]، و قال: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ وَ مَنْ یَنْقَلِبْ عَلی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّ اللَّهَ شَیْئاً [آل عمران: ۱۴۴].

و فی حدیث آخر، أنه قام فیهم، فقال: ما شهادتکم أیها الناس علی موسی؟ قالوا:

نشهد أنه رسول الله، قال: فما شهادتکم علی عیسی؟ قالوا: نشهد أنه رسول الله، قال:

و أنا أشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله، عاش کما عاشوا، و مات کما ماتوا، و أتحمل شهادة من أبی أن یشهد علی ذلک، فلم یرتد من عبد القیس أحد.

و قد کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، قال حین وفدوا علیه: «عبد القیس خیر أهل المشرق، اللهم اغفر لعبد القیس ثلاثا، و بارک لهم فی ثمارهم»، فخرجوا مسرورین بدعوته و أهدوا له من طرائف ثمارهم، و ثبتوا علی الإسلام حین الردة.

و کان النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، استعمل أبان بن سعید بن العاص «۱» علی البحرین، و عزل العلاء بن الحضرمی، فسأل أبان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، أن یحالف عبد القیس، فأذن له، فحالفهم، فلما بلغ أبان بن سعید مسیر من سار إلیه مرتدین، قال لعبد القیس: أبلغونی مأمنی، فأشهد أمر أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فلیس مثلی یغیب عنهم، فأحیا بحیاتهم، و أموت بمماتهم، فقالوا: لا تفعل، فأنت أعز الناس علینا، و هذا علینا و علیک فیه مقالة، یقول قائل: فر من القتال، فأبی و انطلق معه ثلاثمائة رجل یبلغونه المدینة، فقال أبو بکر لأبان: أ لا ثبت مع قوم لم یبدلوا و لم یرتدوا؟ فقال: ما کنت لأعمل لأحد بعد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

و ذکر أبان من عبد القیس خیرا، فدعا أبو بکر العلاء بن الحضرمی، فبعثه إلی البحرین، فی ستة عشر راکبا، و قال: امض، فإن أمامک عبد القیس، فسار حتی بلغهم، و مر بثمامة بن أثال الحنفی، فأمده برجال من قومه بنی سحیم، و لحق به ثمامة، فخرج

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۴)، الإصابة الترجمة رقم (۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲)، نسب قریش (۱۷۴، ۱۷۵)، طبقات خلیفة (۲۹۸)، الجرح و التعدیل (۲/ ۲۹۵)، تاریخ الإسلام (۱/ ۳۷۶، ۳۷۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۵۰

العلاء بمن معه حتی نزل بحصن یقال له جواثی، و کان مخارق قد نزل بمن معه من بکر بن وائل المشقر، فسار إلیهم العلاء فیمن اجتمع إلیه من المسلمین، فقاتلهم قتالا شدیدا، حتی کثرت القتلی و أکثرها فی أهل الردة، و الجارود بالخط یبعث البعوث إلی العلاء، و بعث مخارق الخطم بن شریح، أحد بنی قیس بن ثعلبة إلی مرزبان الخط یستمده، فأمده بالأساورة، فنزل الخطم ردم الفلاح، و کان حلف أن لا یشرب الخمر حتی یری هجر، فقالوا له: هذه هجر، و أخذ المرزبان الجارود رهینة عنده، و قال عبد الرحمن بن أبی بکرة: أخذ الخطم الجارود، فشده فی الحدید، و سار الخطم و أبجر بن العجلی فیمن معهما حتی حصروا العلاء بن الحضرمی بجواثی. فقال عبد الله بن حذف أحد بنی عامر بن صعصعة:

ألا أبلغ أبا بکر رسولاو سکان المدینة أجمعینا

فهل لکم إلی نفر یسیرمقیم فی جواثی محصرینا

کأن دماءهم فی کل شمسشعاع الشمس یغشین العیونا

توکلنا علی الرحمن إناوجدنا النصر للمتوکلینا «۱» فمکثوا علی ذلک محصورین، فسمع العلاء و أصحابه ذات لیلة لغطا فی عسکر

المشركين، فقالوا: و الله لوددنا أن لو علمنا أمرهم، فقال عبد الله بن حذف: أنا أعلم لكم علمهم، فدلونى بحبل، فدلوه، فأقبل حتى يدخل على أبجر بن جابر العجلى، و أم عبد الله امرأة من بنى عدل، فلما رآه أبجر، قال: ما جاء بك، لا أنعم الله بك علينا؟ قال: يا خالى، الضرر و الجوع و شدة الحصار، و أردت اللحاق بأهلى، فزودنى. قال أبجر:

أفعل، على أنى أظنك و الله على غير ذلك، بئس ابن الأخت سائر الليلة، فزوده و أعطاه نعلين، و أخرجه من العسكر، و خرج معه حتى برزا، فقال له: انطلق، فإنى و الله لأراك بئس ابن الأخت أنت هذه الليلة، فمض ابن حذف كأنه لا يريد الحصن، حتى أبعد، ثم عطف فأخذ بالحبل، فصعد الحصن، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ورائى و الله أنى تركتهم سكارى لا يعقلون، قد نزل بهم تجار من تجار الخمر، فاشتروا منهم ثم وقعوا فيها، فإن كانت لكم حاجة بهم فالليلة، فنزل إليهم المسلمون، فبيتوهم، و وضعوا فيهم سلاحهم حيث شاءوا «۲».

و قال إسحاق بن يحيى بن طلحة فى حديثه: كان العلاء فى ثلاثمائة و ستة و عشرين

---

(۱) انظر الأبيات فى: البداية و النهاية (۶/ ۳۲۱).

(۲) راجع ما ذكره ابن كثير فى البداية (۶/ ۳۲۰- ۳۲۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۵۱

من المهاجرين، فطرقوهم، فوجدوهم قد ثملوا، فقتلوهم، فلم يفلت منهم أحد، و وثب الخطم و هو سكران، فوضع رجله فى ركاب فرسه، ثم جعل يقول: من يحملنى، فسمعه عبد الله بن حذف، فأقبل نحوه و هو يقول: أبا ضبيعة؟ قال: نعم، قال: أنا أحملك، فلما دنا منه ابن حذف ضربه حتى قتله، و قطعت رجل أبجر بن جابر العجلى فمات منها و قد كان قال حين قطعت: قاتلك الله يا ابن حذف، ما أشأمك، و قد قيل إن عفيف بن المنذر، أحد بنى عمرو بن تميم، هو الذى سمع كلام الخطم حين رام الركوب، فلم يستطع، فقال: أ لا رجل من بنى قيس بن ثعلبة يعقلنى الليلة، فقال له عفيف و قد عرف صوته: أبا ضبيعة، أعطنى رجلك، فأعطاه إياها، يظن أنه يعقله على فرسه، فأطنها من الفخذ و تركه، فقال: أجهز على، فقال: إنى أحب أن لا تموت حتى أمصك، و كان مع عفيف تلك الليلة عدة من بنى أبيه أصيبوا.

و قتل ليلتئذ مسمع بن سنان، أبو المسامعة، و انهزم الباقون، حتى صاروا فى ناحية من البحرين فعصموا بمفروق الشيبانى.

قال إسحاق: و أصبح ما أفاء الله على المسلمين من خيولهم، و ما سوى ذلك عند العلاء فى حصن جواثى، ثم صار العلاء إلى المدينة فقاتلهم قتالا شديدا، و هزمهم الله حتى لجئوا إلى باب المدينة، فضيق عليهم، فلما رأى ذلك مخارق و من معه، قالوا: إن خلوا عنا رجعنا من حيث جئنا، فشاور العلاء أصحابه، فأشاروا عليه أن يخلى عنهم، فخرجوا فلحقوا ببلادهم، و بقى أهل المدينة، فطلبوا الصلح و الأمان، فصالحهم العلاء على ثلث ما فى أيديهم بالمدينة من أموالهم، و ما كان من شىء خارج منها، فهو له، فبعث العلاء بمال كثير إلى المدينة.

و فى غير هذا الحديث أن عبد القيس لما أوقعوا تلك الليلة ببكر بن وائل، طفقت بكر تنادى: يا عبد القيس، إياكم مفروق بن عمرو فى جماعة بكر بن وائل، فقال عبد الله بن حذف فى ذلك:

لا توعدونا بمفروق و أسرته إن يأتنا يلق منا سنة الخطم

النخل ظاهرها خيل و باطنها خيل تكردس بالفرسان كالنعم

و إن ذا الحى من بكر و إن كثروا الأمة داخلون النار فى أمم ثم سار العلاء بن الحضرمى إلى الخط حتى نزل على الساحل، فجاءه نصرانى، فقال له: ما لى إن دللتك على مخاضة تخوض منها الخيل إلى دارين، قال: و ما تسألنى؟ قال: أهل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۵۲

بیت بدارین، قال: هم لک، فخاض به و بالخیل إلیهم، فظفر علیهم عنوة، و سبی أهلها، ثم رجع إلی عسکره.

و قال إبراهیم بن أبی حبیبة: حبس لهم البحر حتی خاضوه إلیهم، و جازه العلاء و أصحابه مشیا علی أرجلهم، و قد تجری فیه السفن قبل، ثم جرت فیه بعد، فقاتلهم، فأظفره الله بهم، و سلموا له ما کانوا منعوا من الجزیة التی صالحهم علیها رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم.

و یروی أنه کان للعلاء بن الحضرمی و من کان معه جوار إلی الله تعالی فی خوض هذا البحر، فأجاب الله دعائهم، و فی ذلک یقول عفیف بن المنذر، و کان شاهدا معهم «۱»:

أ لم تر أن الله ذلل بحروه أنزل بالکفار إحدی الجلائل

دعونا الذی شق البحار فجاءنابأعظم من غلق البحار الأوائل و فی حدیث غیره، قال: لما رأی ذلک أهل الردة من أهل البحرین سألوه الصلح علی ما صالح علیه أهل حجر.

و لما ظهر العلاء بن الحضرمی علی أهل الردة و المجوس من أهل البحرین، أقام علیها أمیرا، و بعث أربعة عشر رجلا من رؤساء عبد القیس وفدا إلی أبی بکر الصدیق رضی الله عنه، فنزلوا علی طلحة بن عبید الله و الزبیر بن العوام، و أخبروهما بمسارعتهم إلی الإسلام و قیامهم فی الردة، ثم دخل القوم علی أبی بکر، و حضر الزبیر و طلحة رضی الله عنهم، فقالوا: یا خلیفة رسول الله، إنا قوم أهل إسلام، و لیس شیء أحب إلینا من رضاک، و نحن نحب أن تعطینا أرضا من أرض البحرین و طواحین، فأبی أبو بکر، فکلمه فی ذلک طلحة و الزبیر، فأذعن، و قال: اشهدوا أنی قد فعلت و أعطیتهم کل ما سألونی، و عرفت لهم قدر إسلامهم، فجزوه خیرا.

فلما خرجوا من عنده، قال لهم طلحة: إن هذا الأمر لا نراه یلیه بعد أبی بکر إلا عمر، فکلموا أبا بکر یکتب لکم کتابا، و یشهد فیه عمر، فلا یکون لعمر بعد هذا الیوم کلام، فعادوا إلی أبی بکر، فذکروا له ذلک، فدعا عبد الله بن الأرقم، فقال: اکتب لهم بهذا الذی أعطیتهم، ففعل، و شهد فی الکتاب عشرة من قریش و الأنصار، و لم یکن عمر بن الخطاب حاضرا، فانطلقوا إلیه، فأقرءوه الکتاب، فلما قرأه فض الخاتم ثم تفل

---

(۱) انظر الأبیات فی: البدایة و النهایة (۶/ ۳۲۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۵۳

فیه، و رده علیه، فأقبل الوفد علی طلحة، فقالوا: هذا عملک أنت، أمرتنا أن نشهد عمر، و اتهموه فی أمرهم، فقال طلحة: و الله ما أردت إلا الخیر، فرجعوا إلی أبی بکر غضابا، فخبروه الخبر، و دخل طلحة و الزبیر، فقالا: و الله ما ندری أنت الخلیفة أم عمر، فقال أبو بکر: و ما ذاک؟ فأخبروه، فقال: فما صنع عمر بالکتاب؟.

قالوا: فض الخاتم و تفل فی الکتاب و محاه، فقال أبو بکر: لئن کان عمر کره من ذلک شیئا، فإنی لا أفعله، فبینما هم کذلک إذ جاء عمر، فقال له أبو بکر: ما کرهت من هذا الکتاب؟ فقال: کرهت أن تعطی الخاصة دون العامة، و لکن اجعل أمر الناس واحدا لا یکون عندک خاصة دون عامة، و إلا فأنت تقسم علی الناس فیئهم، فتأبی أن تفضل أهل السابقة و أهل بدر و تعطی هؤلاء قیمة عشرین ألفا دون الناس، فقال أبو بکر:

وفقک الله و جزاک خیرا، فهذا هو الحق.

و ذکر وثیمة بن موسی: أن بکر بن وائل لما خفت عند ردة العرب بعد وفاة النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، قالوا: و الله لنردن هذا الملک إلی آل النعمان بن المنذر، فبلغ ذلک کسری، فبعث فی وجوههم، فقدموا علیه و عنده یومئذ المخارق بن النعمان و هو المنذر بن النعمان بن المنذر، و کان یسمی الغرور، فقال لهم: سیروا مع المنذر بن النعمان، فإنی قد ملکته، فخذوا البحرین، فساروا، و سارت معه الأساورة، و هم یومئذ ستة آلاف راکب، ثم إن کسری ندم علی تملیک المنذر و توجیه من وجه معه، و قال: غلام موبق، قتلت أباه،

معه کتیبة النعمان من بکر بن وائل یأتون إخوتهم من عبد القیس، و هو غلام فتی السن لم یختبر، هذا خطأ من الرأی، فصرفه إلیه، و انکسر المنذر للذی صنع به، ثم عاود کسری رأیه فیه لکلام بلغه عنه، فأمضاه و سرح معه أبجر بن جابر العجلی، ثم ذکر حدیثا طویلا تتخلله أشعار کثیرة لم أر لذکر شیء منها وجها، و استغنیت من حدیثهم بما تقدم منه.

و ذکر أن المنذر لما کان من ظهور الإسلام ما تقدم ذکره هرب إلی الشام، فلحق ببنی جفنة، و ندم علی ما مضی منه، ثم ألقی الله فی قلبه الإسلام، فأسلم، فکان بعد إسلامه، یقول: لست بالغرور و لکنی المغرور، هذا ما ذکره وثیمة فی شأن الغرور.

و ذکر سیف فی فتوحه و حکاه الدارقطنی عنه، قال: الغرور بن سوید أسر یوم البحرین، أسره عفیف بن المنذر و أجاره، فأتی به العلاء بن الحضرمی، فقال: إنی قد أجرت هذا، قال: و من هو؟ قال: الغرور، قال: أنت غررت هؤلاء؟ قال: إنی لست

بالغرور و لکنی المغرور، قال: أسلم، فأسلم، و بقی بهجر، و کان اسمه الغرور و لیس بلقب.

ذکر ردة أهل دبا و أزد عمان «۱»

و کان وفد الأزد من أهل دبا قد قدموا علی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، مقرین بالإسلام، فبعث علیهم مصدقا منهم، یقال له حذیفة بن الیمان الأزدی، من أهل دبا، و کتب له فرائض صدقات أموالهم، و رسم له أخذها من أغنیائهم وردها علی فقرائهم، ففعل حذیفة ذلک، و بعث إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، بفرائض فضلت من صدقاتهم لم یجد لها موضعا، فلما توفی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، منعوا الصدقة و ارتدوا، فدعاهم حذیفة إلی التوبة، فأبوا، و أسمعوه شتم النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، فقال: یا قوم، أسمعونی الذی فی أبی و فی أمی، و لا تسمعونی الأذی فی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فأبوا إلا ذلک، و جعلوا یرتجزون:

لقد أتانا خیر ردی أمست قریش کلها نبی

ظلم لعمر الله عبقری «۲»

فکتب حذیفة إلی أبی بکر الصدیق بما کان منهم، فاغتاظ أبو بکر علیهم غیظا شدیدا، و قال: من هؤلاء، ویل لهم، ثم بعث إلیهم عکرمة بن أبی جهل، و کان النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، استعمله علی سفلی بن عامر بن صعصعة مصدقا، فلما بلغته وفاة النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، انحاز إلی تبالة فی أناس من العرب ثبتوا علی الإسلام، فکان مقیما بتبالة من أرض کعب بن ربیعة، فجاءه کتاب أبی بکر الصدیق و کان أول بعث بعثه إلی أهل الردة، أن سر فیمن قبلک من المسلمین إلی أهل دبا، فسار عکرمة فی نحو ألفین من المسلمین، و رأس أهل الردة لقیط بن مالک، فلما بلغه مسیر عکرمة بعث ألف رجل من الأزد یلقونه، و بلغ عکرمه أنهم فی جموع کثیرة، فبعث طلیعة، و کان لأصحاب لقیط أیضا طلیعة، فالتقی الطلیعتان فتناوشوا ساعة.

ثم انکشف أصحاب لقیط، و بعث أصحاب عکرمة فارسا نحو عکرمة، فلما أتاه الخبر أسرع بأصحابه و من معه حتی لحق طلیعته، ثم زحفوا جمیعا میمنة و میسرة، و سار

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۸۵)، تاریخ الطبری (۳/ ۳۱۴)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۶/ ۳۲۳- ۳۲۵).

(۲) انظر الأبیات فی: الروض المعطار ص (۲۳۲).

علی تعبئته حتی إذا أدرک القوم و التقوا فاقتتلوا ساعة، ثم رزق الله عکرمة علیهم الظفر، فهزمهم و أکثر فیهم القتل، و خرجوا منهزمین راجعین إلی لقیط بن مالک، فأخبروه أن جمع عکرمة مقبل إلیهم، و أنهم لا طاقة لهم بهم، و فقدوا من أصحابهم بشرا کثیرا، منهم من قتل و منهم من أسره عکرمة أسرا.

فلما انتهوا إلى لقیط مفلولین قوى حذیفة بن الیمان بمن معه من المسلمین، فناهضهم و ناوشهم، و جاء عکرمة فی أصحابه، فقاتل معهم، فأصابوا منهم مائة أو نحوها فی المعرکة، ثم انهزموا حتى دخلوا مدینة دبا «۱»، فتحصنوا فیها، و حصرهم المسلمون فی حصنهم شهرا أو نحوه، و شق علیهم الحصار، إذ لم یکونوا أخذوا له أهبته، فأرسلوا إلى حذیفة رجلا- منهم یسألونه الصلح، فقال: لا إلا أن أخیرهم بین حرب مجلیة أو سلم مخزیة، قالوا: أما الحرب المجلیة فقد عرفناها، فما السلم المخزیة؟.

قال: تشهدون أن قتلانا فی الجنة و قتلاکم فی النار، و أن ما أخذنا منکم فهو لنا و أن ما أخذتموه منا فهو رد علینا، و أنا على حق و أنکم على باطل و کفر و نحکم فیکم بما رأینا، فأقروا بذلک، فقال: اخرجوا عن مدینتکم عزلا- لا- سلاح معکم، ففعلوا، فدخل المسلمون حصنهم، فقال حذیفة: إنی قد حکمت فیکم: أن أقتل أشرافکم، و أسبى ذراریکم. فقتل من أشرافهم مائة رجل، و سبى ذراریهم، و قدم حذیفة بسبیهم إلى المدینة و هم ثلاثمائة من المقاتلة، و أربعمائة من الذریة و النساء، و أقام عکرمة بدبا عاملا علیها لأبى بکر، فلما قدم حذیفة بسبیهم المدینة، اختلف فیهم المسلمون، فکان زید بن ثابت یحدث أن أبا بکر أنزلهم دار رملة بنت الحارث، و هو یرید أن یقتل من بقى من المقاتلة.

فکان من کلام عمر له: یا خلیفة رسول الله، قوم مؤمنون إنما شحوا على أموالهم، و القوم یقولون: و الله ما رجعنا عن الإسلام، و لکن شحنا على أموالنا، فیأبى أبو بکر أن یدعهم بهذا القول، و لم یزالوا موقفین فی دار رملة بنت الحارث، حتى توفى أبو بکر رضى الله عنه، و ولى عمر، فدعاهم، فقال: قد کان من رأیى یوم قدم بکم على أبى بکر أن یطلقکم، و قد أفضى إلى الأمر، فانطلقوا إلى أى البلاد شئتم، فأنتم قوم أحرار لا فدیة علیکم، فخرجوا حتى نزلوا البصرة، و کان فیهم أبو صفرة والد المهلب، و هو غلام یومئذ، فکان ممن نزل البصرة.

---

(۱) دبا: مثل عصا، موضع بظهر الحیرة، و دبا فیما بین عمان و البحرین. انظر: الروض المعطار (۲۳۲).

الاکتفاء، الکلاعى ،ج۲،ص:۱۵۶

و روى عن ابن عباس: أن رأى المهاجرین فیهم إذا استأسرهم أبو بکر، کان قتلهم، أو فداءهم بأغلى الفداء، و کان عمر یرى أن لا قتل علیهم و لا فداء، لم یزالوا محتبسین حتى ولى عمر، فأرسلهم بغیر فداء.

و یروى عن عمر بن عبد العزیز: أن عمر بن الخطاب قضى فیهم بأربعمائة درهم فداء، ثم نظر فى ذلک، فقال: لا سباء فى الإسلام و هم أحرار، و الأول أکثر.

و عن عروة قال: لما قدم أهل غزو دبا قافلین، أعطاهم أبو بکر خمسة دنانیر خمسة دنانیر «۱».

ذکر ردة صنعاء

و کان الأسود بن کعب العنسى «۲» قد ادعى النبوة فی عهد النبیّ صلى اللّه علیه و سلم، و اتبع على ذلک، فتزوج المرزبانة امرأة باذان الفارسى، و کانت من عظماء فارس، و قسرها على ذلک، فأبغضته أشد البغض، و سمعت به بنو الحارث بن کعب، من أهل نجران، و هم یومئذ مسلمون، فأرسلوا إلیه یدعونه أن یأتیهم فی بلادهم، فجاءهم، فاتبعوه و ارتدوا عن الإسلام.

و یقال: دخلها یوم دخلها فی آلاف من حمیر، یدعى النبوة، و یشهدون له بها، فنزل غمدان، فلم یتبعه من النخع و لا من جعفى أحد، و تبعه ناس من زبید و مذحج، و عبس و بنى الحارث و أود و مسلیة و حکم.

و أقام الأسود بنجران یسیرا، ثم رأى أن صنعاء خیر له من نجران، فسار إلیها فی ستمائة راکب من بنى الحارث، فنزل صنعاء، فأبت الأبناء أن یصدقوه، فغلب على صنعاء و استذل الأبناء بها، و قهرهم و أساء جوارهم لتکذیبهم إیاه، فبعث رسول الله صلى اللّه علیه و سلم، رجلا- من الأزد، و قیل من خزاعة، یقال له و بر بن یحنس إلى الأبناء فی أمر الأسود، فدخل صنعاء مختفیا، فنزل على داذویه

الأبناوی فخبأه عنده، و تآمرت الأبناء لقتل الأسود، فتحرک فی قتله نفر منهم قیس بن عبد یغوث المکشوح، و فیروز الدیلمی، و داذویه الأبناوی، و کانت المرزبانة کما تقدم قد أبغضت الأسود أشد البغض، فوعدتهم

(۱) ذکر فی الروض المعطار جمیع ما فی هذه القصة (۲۳۲- ۲۳۴).

(۲) اسمه: عبهلة بن کعب، یقال له: ذو الخمار، لقب بذلک لأنه کان یقول: یأتینی ذو خمار. انظر ترجمته فی المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۱۸- ۲۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۵۷

موعدا أتوا لمیقاته، و قد سقته الخمر حتی سکر، فسقط نائما کالمیت، فدخل علیه فیروز و قیس و نفر معهما، فوجدوه علی فراش عظیم من ریش، قد غاب فیه، فأشفق فیروز أن یتعادی علیه السیف إن ضربه به، فوضع رکبته علی صدر الکذاب، ثم فتل عنقه فحولها، حتی حول وجهه من قبل ظهره، و أمر فیروز قیسا، فاحتز رأسه، فرمی به إلی الناس، ففض الله الذین اتبعوه، و ألقی علیهم الخزی و الذلة، و خطب الناس قیس بن مکشوح، و أظهر أن الکذاب قتل بکذبه علی الله، و أن محمدا رسول الله.

و بلغ الخبر بذلک إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و هو فی مرضه الذی توفی فیه، فقال صلی اللّه علیه و سلم، و ذکر الأسود: «قتله الرجل الصالح فیروز الدیلمی» «۱»، ورد فیروز و داذویه الأمر إلی قیس بن المکشوح، فکان أمیر صنعاء، و بها یومئذ جماع من أصحاب الأسود الکذاب، فلما بلغتهم وفاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، ثبت قیس و الأبناء و أهل صنعاء علی الإسلام، إلا أصحاب الأسود.

ثم إن قیسا خاف فیروز و داذویه أن یغلباه علی سلطان صنعاء، فأجمع أن یفتک بهما، فأرسل إلیهما یدعوهما، فجاء داذویه فقتله، و أقبل فیروز یریده، فأخبره بقتل داذویه، فهرب منه إلی أبی بکر رضی الله عنه، و ارتد قیس بن المکشوح، و أخرج الأبناء من صنعاء، فلم یبق بها أحد إلا فی جوار، فکان الشعبی یقول فیما ذکر عنه: بالیمن رجلان لو انبغی لأحد أن یسجد لشیء دون الله لانبغی لأهل الیمن أن یسجدوا لهما: سیف بن ذی یزن فی الحبشة، و قیس بن مکشوح فی الأبناء الذین بصنعاء، یعنی إخراج سیف الحبشة و إخراج قیس الأبناء.

و لما بلغ خالد بن سعید بن العاص ردة صنعاء، سار یومها، و کان فی ناحیة أرض مراد، حتی دخلها، فاستعداه فیروز علی قیس فی قتل داذویه، فبعث إلیه من یأتی به، فذهب الرسول فأخذه، ثم أقبل به حتی إذا کان قریبا من صنعاء اختدع قیس الرسول حتی انفلت منه فدخل علی خالد فقال: من جاءکم مسلما قد أصاب فی الجاهلیة أشیاء ما ذا علیه؟ فقال له خالد: هدم الإسلام ما قبله، فأسلم قیس، ثم خرج مع خالد إلی الصلاة فیجد فیروز فی المسجد، فقال له: یا فیروز، هل لک حاجة إلی الأمیر؟.

فانکسر فیروز و دخل علی خالد فاستعداه علی قیس، فبعث أبو بکر إلی عکرمة بن أبی جهل، و هو یومئذ بأرض عمان: أن سر فی بلاد مهرة حتی تخرج علی صنعاء، فخذ

(۱) انظر الحدیث فی: کنز العمال للمتقی الهندی (۳۷۴۷۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۵۸

قیس بن مکشوح المرادی، فابعث به إلی فی وثاق، فسار عکرمة حتی دخل أرض مهرة، فقتل فیهم و سبی، و سار کذلک لا یطأ قوما إلا قاتلوه و قاتلهم، فقتل منهم و سبی، حتی رجعوا إلی الإسلام، و بعث بسبیهم إلی أبی بکر بالمدینة، ثم مضی علی وجهه حتی خرج إلی صنعاء، فلقیه قیس و هو لا یدری بالذی أمر فیه، فأمر به عکرمة، فجعل فی جامعة، و بعث به إلی أبی بکر، فلما دخل علیه عرفه أبو بکر بقتل داذویه، فحلف له ما یدری من أمره شیئا، و لا یدری من قتله، و رغب فی الجهاد فی سبیل الله، فخرج إلی قومه من

مذحج، فاستجلبهم إلى الجهاد و رغبهم فيه، فخفوا فى ذلك و خرجوا حتى توجهوا إلى من بعث أبو بكر إلى الشام، فذلك أول نزول مذحج الشام.

ثم إن الأصفر العكى خرج هو و جماعة من قومه ممن ثبت على الإسلام حتى دخل نجران «١»، و هو يريد قتال بنى الحارث بن كعب، فلما دخل عليهم الأصفر رجعوا إلى الإسلام من غير قتال، فأقام الأصفر فى نجران، و ضبطها، و غلب عليها ثم أمر أبو بكر المهاجر بن أبى أمية أن يستنفر من مر به من مضر و يقويهم و يعطيهم من مال أعطاه إياه أبو بكر، فسار المهاجر يؤم صنعاء، معه سرية من المهاجرين و الأنصار، فيجد المهاجر بنجران الأصفر العكى، ثم سار المهاجر إلى صنعاء و معه بشر كثير، فلقى جماعة من أصحاب الأسود منفصين، فأخذ عليهم الطريق و ألجأهم إلى غيضة، فقتل منهم و أسر، ثم أقبل بالأسرى، و مضى حتى دخل صنعاء، و قد كانت طوائف من زبيد «٢» ارتدت منهم عمرو بن معدى كرب، فاجتمع إلى خالد بن سعيد من ثبت على الإسلام من مراد و سائر مذحج، فلقى بهم بنى زبيد، فانهزموا و ظفر بهم خالد، فسبى منهم نسوة، منهن امرأة عمرو بن معدى كرب جلالة، و كانت أحسن النساء، و كان عمرو فيما ذكروا، غائبا عن ذلك القتال، فلما ظفر خالد، سألت منه زبيد أن يقرهم على الإسلام و يكف عنهم، فكف عنهم، و أسلموا، و بلغ الخبر عمرا، فأقبل حتى نزل بجانب عسكر خالد، ثم خرج ليلا فتلطف حتى لقى جلالة، فقال لها: يا جلالة، ما صنع بك خالد؟ فقالت: لم يصنع بى إلا خيرا، و لم يعرض علىّ من أمره إلا كرما، قال: هل قربك؟ قالت: لا و الله، و ما يحل له ذلك فى دينه، قال: فو رب الكعبة إن دينا منعه منك لدين صدق.

---

(١) نجران: من بلاد اليمن، سميت بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. انظر: الروض المعطار (٥٧٣- ٥٧٦).

(٢) زبيد: مدينة باليمن بقرب الجند و معاثر، تسير فى صحراء رمال حتى تنتهى إلى زبيد، و ليس باليمن بعد صنعاء أكبر من زبيد. انظر: الروض المعطار (٢٨٤)، نزهة المشتاق (٢٠).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:١٥٩

فلما أصبح عمرو غدا على خالد، فقال: ما تريد يا خالد بجلالة؟ قال: قد أسلمت، فإن تسلم أردها إليك، فأسلم عمرو، فردها إليه.

و قدم خالد المدينة، ثم قدم عمرو بن معدى كرب المدينة، فدخل على خالد داره، فقال له: إنى و الله ما وجدت شيئا أكافئك به فى جلالة إلا سيفى الصمصامة، ثم خلعه من عنقه فناوله إياه، و قال عمرو:

وهبت لخالد سيفى ثواباعلى الصمصامة السيف السلام

خليل لم أخنه و لم يخنى‌و لكن التواهب فى الكرام

ذكر ردة كندة و حضرموت

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، لما قدم عليه وفد كندة مسلمين استعمل عليهم زياد بن لبيد الأنصارى البياضى «١»، و أمره بالمسير معهم، ففعل، و أقام معهم فى ديارهم يأخذ صدقاتهم حياة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كان رجلا مسلما، فلما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و ولى أبو بكر، بعث أبا هند مولى بنى بياضة، بكتاب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من أبى بكر خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، إلى زياد بن لبيد، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو.

أما بعد، فإن النبىّ صلى الله عليه و سلم توفى، فإنا لله، و إنا إليه راجعون، فانظر و لا- قوة إلا- بالله أن تقوم قيام مثلك، و يبايع من عندك، فمن أبى وطئته بالسيف، و تستعين بمن أقبل على من أدبر، فإن الله مظهر دينه على الدين كله و لو كره المشركون.

فلما قدم أبو هند بكتاب أبى بكر رحمه الله، على زياد بن لبيد، قدم من الليل، و أخبره باجتماع الناس على أبى بكر، و أنه لم يكن بين

المسلمین اختلاف، فحمد الله زیاد علی ذلک، فلما أصبح زیاد غدا یقرئ الناس کما کان یفعل قبل ذلک، ثم دخل بیته، فلما جاءت الظهر، خرج إلی الصلاة و علیه السیف، فقال بعض الناس: ما شأن أمیرکم و السیف، فصلی الظهر بالناس، ثم قال:

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۸۳۹)، الإصابة الترجمة رقم (۲۸۷۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۸۰۹)، التاریخ الکبیر (۳/ ۳۴۴)، أنساب الأشراف (۱/ ۲۴۵)، الجرح و التعدیل (۳/ ۵۴۳)، تهذیب الکمال (۹/ ۵۰۶)، تهذیب التهذیب (۳/ ۳۸۲)، الوافی بالوفیات (۱۵/ ۱۰)، تاریخ الإسلام (۱/ ۵۲)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۱۹۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۶۰

أیها الناس، إن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم توفی، فمن کان یعبد محمدا فإن محمدا قد توفی، و من کان یعبد الله فإن الله حی لا یموت، و قد اجتمع المسلمون علی أفضلهم من أنفسهم و لم یکن بینهم اختلاف فی أبی بکر بن أبی قحافة، و قد کان النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، یأمره فی مرضه أن یصلی بالناس، فبایعوا أیها الناس، و لا تجعلوا علی أنفسکم سبیلا.

فقال الأشعث بن قیس: إذا اجتمع الناس، فما أنا إلا کأحدهم، و نکص عن التقدم إلی البیعة، فقال امرؤ القیس بن عابس الکندی: أنشدک الله یا أشعث، و وفادتک علی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و إسلامک أن تنقضه الیوم، و الله لیقومن بهذا الأمر من بعده من یقتل من خالفه، فإیاک إیاک، أبق علی نفسک فإنک إن تقدمت تقدم الناس معک، و إن تأخرت افترقوا و اختلفوا، فأبی الأشعث، و قال: قد رجعت العرب إلی ما کانت الآباء تعبد، و نحن أقصی العرب دارا من أبی بکر، أ یبعث أبو بکر إلینا الجیوش؟ قال: أی و الله، و أحری أن لا یدعک عامل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ترجع إلی الکفر.

قال الأشعث: من قال زیاد بن لبید، فتضاحک، ثم قال: أ ما یرضی زیاد أن أجیره، فقال امرؤ القیس: ستری، ثم قام الأشعث، فخرج من المسجد إلی منزله، و قد أظهر ما أظهره من الکلام القبیح من غیر أن یکون نطق بالردة، و وقف یتربص، و قال: نقف أموالنا بأیدینا و لا ندفعها، و نکون من آخر الناس، و بایع زیاد بن لبید لأبی بکر من بعد الظهر إلی أن قامت العصر، فصلی بالناس العصر، ثم انصرف إلی بیته، ثم غدا علی الصدقة من الغد کما کان قبل، و هو أقوی ما کان نفسا، و أشده لسانا، فبینا هو یصدق إلی أن أخذ قلوصا فی الصدقة من فتی من کندة، فلما أمر بها زیاد تعقل و توسم بمیسم السلطان، و کان المیسم لله، أتی الفتی، فصاح: یا حارثة بن سراقة «۱»، یا أبا معدی کرب، عقلت البکرة، فأتی حارثة إلی زیاد، فقال: أطلق للفتی بکرته، فأبی زیاد، فقال:

قد عقلتها و وسمتها بمیسم السلطان، فقال حارثة: أطلقها أیها الرجل طائعا، خیر من أن تطلقها و أنت کاره، قال زیاد: لا و الله لا أطلقها و لا نعمت عین. فقام حارثة فحل عقالها و ضرب علی جنبها، فخرجت القلوص تعدو إلی الأنهار، و جعل حارثة یقول:

أطعنا رسول الله ما کان وسطنافیا قوم ما شأنی و شأن أبی بکر

أ یورثها بکرا إذا مات بعدهفتلک إذا و الله قاصمة الظهر

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۴۵۹)، الإصابة الترجمة رقم (۱۵۲۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۹۹۳)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۱۱۲)، الجرح و التعدیل (۱/ ۱۴۵)، شذرات الذهب (۱/ ۹)، تصحیفات المحدثین (۹۷۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۶۱

قالوا: فکان زیاد یقاتلهم النهار إلی اللیل، فلما کان یوم من تلک الأیام، ضاربهم کذلک حتی أمسی، و لم یکن فیما مضی یوم أشد منه، کانت بینهم فیه قتلی و جراح.

قال أبو هند: برز منهم یومئذ رجل یدعو إلی البراز، فبرزت إلیه، فتشاولنا بالرمحین نهارا طویلا، فلم یظفر واحد منا بصاحبه، ثم صرنا إلی السیفین، فما قدر واحد منا علی صاحبه، و نحن فارسان إلی أن عثر فرسه، فاقتحم و صار راجلا، و یدرک فرسی فیضرب عرقوبیه،

فوقعت إلى الأرض، و أفضى أحدنا إلى صاحبه، فبدرته، فأضربه، فأقطع يده من المنكب، فوقع السيف من يده، و ولى منهزما، و ألحقه، فأجهزت عليه، فما خرج أحد يدعو إلى البراز حتى صلح أمرهم.

قالوا: فلما أمسوا من ذلك اليوم، و تفرقوا، و زياد فى بيته قد بعث العيون، إذ جاءه عين له بعد أن ذهب عامة الليل فدله على عورة من عدوه، و قال: هل لک فى الظفر؟

فقال: ما هو؟ قال: ملوكهم الأربعة فى محجرهم قد ثملوا من الشراب، فسار من ساعته فى مائة رجل من أصحابه حتى انتهوا إلى المحجر، فتقدم العين فاستمع الصوت فإذا القوم قد هدوا و ناموا، فأغار عليهم، فقتل الملوك الأربعة، مخرس و مشرح و حمد و أبضعة، و أختهم العمرة ذبحهم ذبحا، و كانوا ملوك كندة و أشرافهم.

و يقال: كانت الملوك سبعة: الأشعث بن قيس، و مخرس، و حمد، و وديعة، و أبضعة، و مشرح، و وليعة. فقتل منهم أربعة، ثم رجع زياد إلى أهله، فأصبح القوم قد انكسر حدهم و ذلوا.

و قالوا: إن العمردة لما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ضربت بغربال، فقطع زياد لذلک يدها، و صلبها، فهى كانت أول امرأة قتلت فى الردة.

و بعث زياد أبا هند إلى أبى بكر و كتب معه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لأبى بكر خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، من زياد بن لبيد، سلام عليک، فإنى أحمد إليک الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فإن الناس قبلنا منعوا الصدقة، أو عامتهم و أبوا أن يسلموها، و قاتلوا دونها أشد القتال، و أظهروا الردة عن الإسلام، فبعثت عيونا فى طلب غرتهم، فأتانى آت منهم يخبرنى بغرة منهم، فزحفت إليهم ليلا، فقتلتهم فى محجرهم، و كانوا أربعة: مخرس و مشرح و حمد و أبضعة، و أختهم العمردة، فأصبحوا و قد ذلوا و انكسروا، و إنى كتبت إليک و السيف على عاتقى، و بعثت إليک أبا هند بالكتاب، و أمرته أن يجد السير، و أن يخبرک بما رأى و شهد، و إن الكتاب موجز، و عنده علم ما كنا فيه، و السلام.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۶۲

فيروى أن أبا هند قال: خرجت من عند زياد بعد أن صليت الغداة على راحلتى، و معى رجل من بنى قتيرة على راحلة خفير لى، فبلغ بى صنعاء، ثم انصرف، فسرت من حضرموت إلى المدينة تسع عشرة، فأرخفت «۱» راحلتى، و ما مسيت عنها أكثر مما ركبت، و انتهيت إلى أبى بكر، فأجده حين خرج إلى الصلاة، فلما رآنى قال: أبا هند، ما ورائک؟ قلت: خير، و الذى يسرک. قتل الملوک الأربعة و أختهم العمردة، قال: قد كنت كتبت إلى زياد أنهى أن يقتل الملوک من كندة، و بعثت بذلک المغيرة بن شعبة، أ ما لقيته؟ قلت: ما لقيته.

و قدم المغيرة خلافى، و ذلک أنه أخطأ الطريق، فذلک الذى أبطأ به، و جعل أبو بكر يسألنى، فأخبره عن كل ما يسره، ثم قال: ما فعل الأشعث بن قيس؟ قلت: يا خليفة رسول الله، هو أول من نقض، و هو رأس من بقى، و قد ضوى إليه ناس كثير، و قد تحصن فى النجير بمن معه ممن هو على رأيه، و الله مخزيهم، و قد تركت زياد بن لبيد يريد محاصرتهم، فقال أبو بكر: قد كتبت إلى المهاجر بن أبى أمية أن يمد زيادا و يكون أمرهما واحدا.

و كان النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، لما قتل الأسود العنسى «۲» بعث المهاجر واليا على صنعاء، فتوفى صلى اللّه عليه و سلم، و المهاجر وال عليها، فانحاز إلى زياد بحضرموت، كما أمره أبو بكر.

و كانت قتيرة من كندة قد ثبتت على الإسلام، لم يرجع منها رجل واحد، فلما قدم المهاجر على زياد اشتد أمرهما، و كانا يحاصران أهل النجير، و كان أهل النجير قد غلقوه، فلما قتل الملوک الأربعة دخلوا مع الأشعث بن قيس، و جثم زياد و مهاجر على النجير، فحاصروا أهله بالمسلمين، لا يفارقونه ليلا و لا نهارا، و قذف الله الرعب فى أفئدتهم، فلما اشتد به الحصار، بعثوا إلى زياد بن لبيد: أن تنح عنا حتى نكون نخرج و نخليک و الحصن، فقال: لا أبرح شبرا واحدا حتى نموت من آخرنا أو تنزلوا على حكما و رأينا، و جعل

يكايدهم لما يرى من جزعهم. فكتب كتابا، ثم بعث به فى السر مع رجل من بنى قتيرة ليلا، مسيرة يوم أو بعض يوم، ثم يأتيه بكتابه الذى كتبه فيقرؤه على الناس:

من أبى بكر خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، إلى زياد بن لبيد، سلام عليك، فإنى أحمد إليك

---

(۱) أرخف: بالكسر أى تعب. انظر اللسان (۱۶۱۶).

(۲) انظر خبر قتل الأسود العنسى فى: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۹)، تاريخ الطبرى (۳/ ۲۳۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۶۳

الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فقد بلغنى ردة من ارتد قبلك بعد المعرفة بالدين، غرة بالله، و الله مخزيهم إن شاء الله، فاحصرهم و لا تقبل منهم إلا ما خرجوا منه أو السيف.

فقد بعثت إليك عشرة آلاف رجل عليهم فلان بن فلان، و خمسة آلاف عليهم فلان بن فلان، و قد أمرتهم أن يسمعوا لك و يطيعوا، فإذا جاءك كتابى هذا فإن أظفرك الله بهم فإياك و البقيا فى أهل النجير، حرق حصنهم بالنار، و اقطع معايشهم، و اقتل المقاتلة، و اسب الذرية، و ابعث بهم إن شاء الله.

و إنما هذا كتاب كتبه زياد بيده مكايدة لعدوه، فكانوا إذا قرئ عليهم هذا الكتاب أيقنوا بالهلكة، و اشتد عليهم الحصار، و ندموا على ما صنعوا، فبينا هم على ذلك الحصار قد جهدهم، قال الأشعث: إلى متى هذا الحصر قد غرثنا و غرث عيالنا، و هذه البعوث تقدم علينا بما لا قبل لنا به، و قد ضعفنا عمن معنا، فكيف بمن يأتينا من هذه الأمداد و الله للموت بالسيف أحسن من الموت بالجوع، أو يؤخذ برقبة الرجل كما يصنع بالذرية.

قالوا: و هل لنا قوة بالقوم؟ فما ترى لنا؟ فأنت سيدنا، قال: أنزل فآخذ لكم الأمان قبل أن تدخل هذه الأمداد، بما لا قبل لنا به، فجعل أهل الحصن يقولون للأشعث: افعل و خذ لنا أمانا، فإنه ليس أحد أجرأ على ما قبل زياد منك، قال: فأنا أنزل.

فأرسل إلى زياد: أنزل فأكلمك و أنا آمن؟ قال: نعم، فنزل الأشعث من النجير فخلا بزياد، فقال: يا ابن عم، قد كان هذا الأمر و لم يبارك لنا فيه، و إن لى قرابة و رحما، و إن أوصلتنى إلى صاحبك قتلنى، يعنى المهاجر بن أمية «۱»، و أن أبا بكر يكره قتل مثلى، و قد جاءك كتابه ينهاك عن قتل الملوك من كندة، فأنا أحدهم، و أنا أطلب منك الأمان على أهلى و مالى، فقال زياد: لا أؤمنك أبدا على دمك و أنت كنت رأس الردة و الذى نقض علىّ كندة، فقال: أيها الرجل، دع ما مضى و استقبل الأمور إذا أقبلت، قال زياد: و ما ذا؟ قال: و أفتح لك النجير، فأمنه زياد على أهله و ماله، على أن يقدم به على أبى بكر، فيرى فيه رأيه، و فتح له النجير.

و قد كان المهاجر لما نزل الأشعث من الحصن ليكلمهم، قال لزياد: رده إلى الحصن حتى ينزل على حكمنا فنضرب عنقه، فنكون قد استأصلنا شأفة الردة، فأبى زياد إلا أن يؤمنه، و قال: أخشى أن يلومنى أبو بكر فى قتله و قد جاءنى كتابه ينهانى عن قتل الملوك الأربعة، فأخاف مثل ذلك، مع أن أبا بكر إن أراد قتله فله ذلك، إنما جعل له الأمان على

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۵۳۱)، الإصابة الترجمة رقم (۸۲۷۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۱۳۴)، مؤتلف الدارقطنى (ص ۱۶۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۶۴

نفسه و ماله إلى أن يبلغ أبا بكر، لا أدع من عين ماله شيئا يخف حمله معه إلا سار به، و أحول بينه و بين ما هاهنا مما لا يطيق حمله، حتى يأتى رأى أبى بكر فيه، فأمنه زياد على أن يبعث به و بأهله و بماله إلى أبى بكر رضى الله عنه، فيحكم فيه بما يرى.

و فتحوا له النجير، فأخرجوا المقاتلة، فعمد زياد إلى أشرافهم و هم سبعمائة فضرب أعناقهم على دم واحد، و لام القوم الأشعث، فقالوا

لزیاد: غدر بنا فأخذ الأمان لنفسه و أهله، و لم یأخذ لنا، و إنما نزل علی أن یأخذ لنا جمیعا، فنزلنا و نحن آمنون، فقتلنا. فقال زیاد: ما أمنتکم، فقالوا: صدقت، خدعنا الأشعث.

قال الواقدی: و قد ذکروا فی فتح النجیر وجها آخر عن أبی مغیث، قال: کنت فیمن حضر أهل النجیر، فصالح الأشعث زیادا علی أن یؤمن من أهل النجیر سبعین رجلا، ففعل، فنزل سبعون رجلا و نزل معهم الأشعث، فکانوا أحدا و سبعین، فقال زیاد: أقتلک، لم یکن لک أمان، فقال الأشعث: تؤمننی علی أن أقدم علی أبی بکر فیری فیّ رأیه، فآمنه علی ذلک، و القول الأول أثبت.

و بعث أبو بکر نهیک بن أوس بن [حزمة] «۱» إلی زیاد بن لبید یقول: إن ظفرت بأهل النجیر فاستبقهم، فقدم علیه لیلا و قد قتل منهم فی أول النهار سبعمائة فی صعید واحد، قال نهیک: فما هو إلا أن رأیتهم فشبهت بهم قتلی بنی قریظة یوم قتلهم النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و أبی زیاد أن یواری جثثهم، و ترکهم للسباع، فکان هذا أشد علی من بقی من القتل، و هرب أهل الردة فی کل وجه، و کان لا یؤخذ منهم إنسان إلا قتل.

ثم بعث زیاد بالسبی مع نهیک، و بعث معه ثمانین رجلا من قتیرة، و بعث بالأشعث معهم فی وثاق.

قال عبد الرحمن بن الحویرث: رأیته یوم قدم به المدینة فی حدید، مجموعة یداه إلی عنقه. الاکتفاء، الکلاعی ج۲ ۱۶۴ ذکر ردة کندة و حضرموت ..... ص : ۱۵۹

نزل نهیک بالسبی فی دار رملة بنت الحارث، و معهم الأشعث بن قیس، و لما کلمه أبو بکر جعل یقول: یا خلیفة رسول الله، و الله ما کفرت بعد إسلامی، و لکنی شححت علی مالی، فقال أبو بکر: أ لست الذی یقول: قد رجعت العرب إلی ما کانت الآباء تعبد، و أبو بکر یبعث إلینا الجیوش و نحن أقصی العرب دارا؟ فرد علیک من هو

---

(۱) ما بین المعقوفتین کذا فی الأصل، و فی الاستیعاب الترجمة رقم (۲۶۶۷): «نهیک بن أوس بن خزمة». و انظر ترجمته فی: الإصابة (۸۸۳۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۳۱۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۶۵

خیر منک، فقال: لا یدعک عامله ترجع إلی الکفر، فقلت: من، قال: زیاد بن لبید، فتضاحکت، فکیف وجدت زیادا، أذکرت به أمه؟ قال الأشعث: نعم کل الأذکار، ثم قال فی آخر قوله: أیها الرجل، أطلق إساری، و استبقنی لحربک، و زوجنی أختک أم فروة بنت أبی قحافة، فإنی قد تبت مما صنعت، و رجعت إلی ما خرجت منه من منع الصدقة، فأسعفه أبو بکر فزوجه، فکان الأشعث مقیما بالمدینة حتی کانت ولایة عمر بن الخطاب، و ثاب الناس إلی فتح العراق، فخرج الأشعث مع سعد بن أبی وقاص.

قالوا: و قدم علی أبی بکر رضی الله عنه، أربعة عشر رجلا من کندة یطلبون أن یفادوا بینهم، و قالوا: یا خلیفة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، ما رجعنا عن الإسلام و لکن شححنا علی أموالنا، و قد رجع من وراءنا إلی ما خرجوا منه و بایعوک راضین، فقال أبو بکر: بعد ما ذا؟ بعد أن وطئکم السیف؟ فقالوا: یا خلیفة رسول الله، إن الأشعث غدر بنا، کنا جمیعا فی الحصن، فکان أجزعنا، و کان أول من نقض، و أبی أن یدفع الصدقة، و أمرنا بذلک، و رأسنا، فلم یبارک لنا فی رئاسته. فقال: أنزل و آخذ لکم الأمان جمیعا، فإن لم یکن رجعت إلیکم فیصیبنی ما یصیبکم، فنزل، فأخذ الأمان لنفسه و أهله و موالیه، و قتلنا صبرا بالسیف.

فقال أبو بکر رضی الله عنه: قد کنت کتبت إلی زیاد بن مهاجر کتابا مع نهیک بن أوس إن ظفرتما بأهل النجیر فلا تقتلاهم و أنزلاهم علی حکمی.

فقال المتکلم: قد و الله قتل منا سبعمائة علی دم واحد، و قد رجوناک یا خلیفة رسول الله.

و لما کلمه الوفد فی أن یرد علیهم السبی و یقبل منهم الفداء أجاب إلی ذلک، و خطب الناس علی المنبر، فقال: أیها الناس، ردوا علی هؤلاء نساءهم و ذراریهم، لا یحل لرجل یؤمن بالله و الیوم الآخر أن یغیب عنهم أحدا، قد جعلنا الفداء علی کل رأس منهم

أربعمائة درهم.

و أمر أبو بکر زید بن ثابت بقبض الفداء، و أمره أیضا بإخراج الخمس.

قال الواقدی: سألت معاذ بن محمد فقلت: أ رأیت الأربعة الأخماس، حیث أمر أبو بکر أن یفدوا بأربعمائة أربعمائة، ما فعل بها؟ قال: جمع أبو بکر ذلک کله فجعله سهمانا لأهل النجیر مع ما استخرج زیاد بن لبید و المهاجر مما وجدوا فی الحصن النجیر من الرثة و السلاح، و مما أصابوا من غیر ذلک، فجعلوه مغنما.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۶۶

و کان أبو بکر قد أمد زیادا و المهاجر بعکرمة بن أبی جهل و هو یومئذ بدبا، فسار إلیهم فی سبعمائة فارس، و قدم بعد فتح النجیر بأربعة أیام، فأمر أبو بکر بأن یسهم لهم فی ذلک، فأسهم لهم.

و نظرت عجوز من سبی النجیر إلی الأشعث بن قیس، فقالت: قبحت من وافد قوم و رسولهم، أخذت الأمان لأهلک و موالیک و عرضتنا للسباء، و قتلت رجالنا بغدرک، و لم تواسهم بنفسک، و أنت شأمتهم، رأسوک فلم یبارک لهم فی رئاستک، و الله ما رجعوا عن الإسلام و لکن شحوا علی أموالهم، فقتلوا، و رجعت أنت عن الإسلام فنجوت، ما کان أحد قط، أشأم علی قومه منک.

و مما یحفظ من شعر الأشعث، یذکر الجماعة الذین ضرب زیاد أعناقهم من أهل النجیر و هم سبعمائة کما تقدم:

فلا رزء إلا یوم أقرع بینهمو ما الدهر عندی بعدهم بأمین

فلیت جنوب الناس تحت جنوبهمو لم تمش أنثی بعدهم بجنین

فکنت کذات البو ضغت فأقبلتإلی بوها أو طربت بحنین

لغمری و ما عمری علی بهینلقد کنت بالقتلی أحق ضنین و یروی أن الأشعث إنما قال هذا فی الملوک الأربعة الذین قتلوا، و من روی هذا أنشد الشعر هکذا:

لعمری و ما عمریّ علی بهینلقد کنت بالأملاک حق ضنین

فإن یک هذا الدهر فرق بینهمفما الدهر عندی بعدهم بأمین

فلیت جنوب الناس تحت جنوبهمو لم یبشرونی بعدهم بجنین

و کنت کذات البو ریعت فأقبلتعلی بوها أو طربت بحنین

ذکر بدء الغزو إلی الشام و ما وقع فی نفس أبی بکر الصدیق رضی الله عنه، من ذلک و ما قوی عزمه علیه «۱»

حدث سهل بن سعد الساعدی رضی الله عنه، قال: لما فرغ أبو بکر رضی الله عنه، من أهل الردة، و استقامت له العرب، حدث نفسه بغزو الروم، و لم یطلع علیه أحدا، فبینما هو کذلک إذ جاءه شرحبیل بن حسنة فجلس إلیه، فقال: یا خلیفة رسول الله

---

(۱) راجع المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۱۱۵)، تاریخ الطبری (۳/ ۳۸۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۶۷

أحدثت نفسک أن تبعث إلی الشام جندا؟ قال: نعم، قد حدثت نفسی بذلک و لم أطلع علیه أحدا، و ما سألتنی إلا لشیء. قال: أجل، إنی رأیت فیما یری النائم کأنک تمشی فی ناس من المسلمین فوق حرشفة من الجبل، فأقبلت تمشی معهم حتی صعدت قلة فی أعالیه، فأشرفت علی الناس و معک أصحابک أولئک، ثم هبطت من تلک القلة إلی أرض سهلة دمثة، فیها الزروع و العیون و القری و الحصون، فقلت: یا للمسلمین! شنوا الغار علی المشرکین، فأنا ضامن لکم بالفتح و الغنیمة!.

فشد المسلمون و أنا فیهم و معی رایة، فتوجهت بها إلی قریة فسألونی الأمان فأمنتهم، ثم جئت فأجدک قد انتهیت إلی حصن عظیم،

ففتح لک، و ألقوا إلیک السلم، و وضع لک عریش فجلست علیه، ثم قال لک قائل: یفتح علیک و تنصر فاشکر ربک و اعمل بطاعته، ثم قرأ: إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ وَ رَأَیْتَ النَّاسَ یَدْخُلُونَ فِی دِینِ اللَّهِ أَفْواجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ کانَ تَوَّاباً [النصر: ۱، ۴].

ثم انتهیت، فقال له أبو بکر رضی الله عنه: نامت عینک، ثم دمعت عینا أبی بکر رضی الله عنه، فقال: أما الحرشفة التی کنا نمشی علیها حتی صعدنا منها إلی القلة لعالیة فأشرفنا منها علی الناس فإنا نکابد من أمر هذا الجند مشقة و یکابدونها ثم نعلو بعد و یعلو أمرنا، و أما نزولنا من القلة إلی الأرض السهلة الدمثة و ما فیها من الزروع و العیون و القری و الحصون فإنا ننزل إلی أمر أسهل مما کنا فیه، فیه الخصب و المعاش، و أما قولی للمسلمین: شنوا علیهم الغارة، فإنی ضامن لکم بالفتح و الغنیمة، فإن ذلک توجیهی للمسلمین إلی بلاد المشرکین و احتثاثی إیاهم علی الجهاد، و أما الرایة التی کانت معک فتوجهت بها إلی قریة من قراهم فدخلتها فاستأمنوک فأمنتهم فإنک تکون أحد أمراء المسلمین و یفتح الله علی یدیک، و أما الحصن الذی فتح لنا فهو ذلک الوجه، یفتحه الله علیّ، و أما العریش الذی رأیتنی علیه جالسا، فإن الله یرفعنی و یضع المشرکین، و أما الذی أمرنی بالعمل و بالطاعة و قرأ علیّ السورة فإنه نعی إلیّ نفسی، إن هذه السورة حین أنزلت علی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، علم أن نفسه قد نعیت إلیه، ثم سألت عینا أبی بکر، فقال: لآمرن بالمعروف و لأنهین عن المنکر و لأجاهدن من ترک أمر الله و لأجهزن الجنود إلی العادلین بالله فی مشارق الأرض و مغاربها حتی یقولوا: الله أحد، الله أحد، أو یؤدوا الجزیة عن ید و هم صاغرون، أمر الله و سنة رسوله صلی اللّه علیه و سلم، فإذا توفانی الله لم یجدنی وانیا، و لا فی ثواب المجاهدین فیه زاهدا، ثم إنه عند ذلک أمر الأمراء، و بعث إلی الشام البعوث.

و عن عبد الله بن أبی أوفی الخزاعی، و کانت له صحبة، قال: لما أراد أبو بکر أن

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۶۸

یجهز الجنود إلی الشام دعا عمر و عثمان و علیا و عبد الرحمن بن عوف و طلحة و الزبیر و سعد بن أبی وقاص و أبا عبیدة بن الجراح، و وجوه المهاجرین و الأنصار من أهل بدر و غیرهم، فدخلوا علیه و أنا فیهم، فقال: إن الله تبارک و تعالی، لا تحصی نعمه، و لا تبلغ جزاءها، الأعمال، فله الحمد کثیرا علی ما اصطنع عندکم، قد جمع کلمتکم، و أصلح ذات بینکم، و هداکم إلی الإسلام، و نفی عنکم الشیطان، فلیس یطمع أن تشرکوا بالله و لا أن تتخذوا إلها غیره، فالعرب الیوم بنو أم و أب، و قد رأیت أن أستنفرهم إلی الروم بالشام، فمن هلک منهم هلک شهیدا، و ما عند الله خیر للأبرار، و من عاش منهم عاش مدافعا عن الدین، مستوجبا علی الله ثواب المجاهدین، هذا رأیی الذی رأیت، فلیشر علی کل امرئ بمبلغ رأیه «۱».

فقام عمر رضی الله عنه، فقال: الحمد لله الذی یخص بالخیر من یشاء من خلقه، و الله ما استبقنا إلی شیء من الخیر إلا سبقتنا إلیه، و ذلک فضل الله یؤتیه من یشاء، قد و الله أردت لقاءک بهذا الرأی الذی ذکرت غیر مرة، فما قضی الله أن یکون ذلک حتی ذکرته الآن، فقد أصبت، أصاب الله بک سبیل الرشاد، سرب إلیهم الخیل فی أثر الخیل، و ابعث الرجال بعد الرجال، و الجنود یتبعها الجنود، فإن الله تعالی ناصر دینه، و معز الإسلام و أهله، و منجز ما وعده رسوله.

ثم إن عبد الرحمن بن عوف رضی الله عنه قام، فقال: یا خلیفة رسول الله، إنما الروم بنو الأصفر حد حدید، و رکن شدید، و الله ما أری أن تقحم الخیل علیهم إقحاما، و لکن تبعث الخیل فتغیر فی أدنی أرضهم، و ترجع إلیک، فإذا فعلوا ذلک مرارا أضروا بهم، و غنموا من أدانی أرضهم، فقووا بذلک علی قتالهم، ثم تبعث إلی أقاصی أهل الیمن، و أقاصی ربیعة و مضر، فتجمعهم إلیک جمیعا، فإن شئت عند ذلک غزوتهم بنفسک، و إن شئت أغزیتهم غیرک.

ثم جلس و سکت، و سکت الناس، فقال لهم أبو بکر: ما ذا ترون رحمکم الله؟ فقام عثمان بن عفان رضی الله عنه، فحمد الله و أثنی علیه، و صلی علی رسوله، ثم قال:

نری أنک ناصح لأهل هذا الدین، شفیق علیهم، فإذا رأیت رأیا تراه لعامتهم رشدا و صلاحا فاعزم علی إمضائه، فإنک غیر ضنین

علیهم و لا متهم.

فقال طلحة و الزبیر و سعد و أبو عبیدة و سعید بن زید و جمیع من حضر ذلک المجلس

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام للأزدی ص (۱ و ما بعدها).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۶۹

من المهاجرین و الأنصار: صدق عثمان، ما رأیت من الرأی فامضه، فإنا سامعون لک، مطیعون، لا نخالف أمرک، و لا نتهم رأیک، و لا نتخلف عن دعوتک و إجابتک.

فذکروا هذا و أشباهه، و علی رضی الله عنه، فی القوم لا یتکلم، فقال له أبو بکر رضی الله عنهما: ما ذا تری یا أبا الحسن؟ فقال: أری أنک مبارک الأمر، میمون النقیبة، و إنک إن سرت إلیهم بنفسک أو بعثت إلیهم نصرت إن شاء الله تعالی. قال: بشرک الله بخیر، و من أین علمت هذا؟.

قال: سمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، یقول: «لا یزال هذا الدین ظاهرا علی کل من ناوأه حتی تقوم الساعة و أهله ظاهرون» «۱».

فقال أبو بکر: سبحانه الله! ما أحسن هذا الحدیث، لقد سررتنی به، سرک الله فی الدنیا و الآخرة.

ثم إنه قام فی الناس فذکر الله بما هو أهله، و صلی علی نبیه صلی اللّه علیه و سلم ثم قال: أیها الناس، إن الله تعالی، قد أنعم علیکم بالإسلام، و أعزکم بالجهاد، و فضلکم بهذا الدین علی أهل کل دین، فتجهزوا عباد الله إلی غزو الروم بالشام، فإنی مؤمر علیکم أمراء، و عاقد لهم علیکم، فأطیعوا ربکم، و لا تخالفوا أمراءکم، و لتحسن نیتکم و سریرتکم و طعمتکم، فإن الله مع الذین اتقوا و الذین هم محسنون.

فسکت القوم، فو الله ما أجابه أحد هیبة لغزو الروم، لما یعلمون من کثرة عددهم و شدة شوکتهم، فقام عمر رحمه الله، فقال: یا معشر المسلمین، ما لکم لا تجیبون خلیفة رسول الله إذا دعاکم لما یحییکم؟ أما لو کان عرضا قریبا و سفرا قاصدا لابتدرتموه! فقام إلیه عمرو بن سعید فقال: یا ابن الخطاب، أ لنا تضرب أمثال المنافقین؟ فما یمنعک مما عتبت علینا فیه؟. فقال: الاتکال، علی أنه یعلم أنی أجیبه لو یدعونی، و أغزو لو یغزینی.

فقال عمرو: و لکن نحن لا نغزو لکم إن غزونا، فإنما نغزو لله، فقال أبو بکر لعمرو:

اجلس رحمک الله، فإن عمر لم یرد بما سمعت أذی مسلم و لا تأنیبه، إنما أراد أن یبعث بما سمعت المتثاقلین إلی الأرض عن الجهاد، فقام خالد بن سعید «۲» فقال: صدق خلیفة

---

(۱) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۵/ ۸۷)، المستدرک للحاکم (۴/ ۴۴۹)، کنز العمال للمتقی الهندی (۱۴۱۷۲، ۳۴۵۵۸)، الدر المنثور للسیوطی (۳/ ۱۸).

(۲) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۶۱۷)، الإصابة الترجمة رقم (۲۱۷۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۳۶۵)، نسب قریش (۱۷۴)، طبقات ابن خلیفة (۱۱/ ۲۹۸)، مشاهیر علماء الأمصار الترجمة رقم (۱۷۲)، تاریخ الإسلام (۱/ ۳۷۸)، العقد الثمین (۴/ ۲۶۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۷۰

رسول الله صلی اللّه علیه و سلم اجلس یا أخی، فجلس أخوه، فقال خالد: الحمد لله الذی لا إله إلا هو، الذی بعث محمدا صلی اللّه علیه و سلم، بالهدی و دین الحق لیظهره علی الدین کله و لو کره المشرکون، فالله منجز وعده، و معز دینه، و مهلک عدوه.

ثم أقبل علی أبی بکر فقال: و نحن أولاـ غیر مخالفین لک، و لا متخلفین عنک، و أنت الوالی الناصح الشفیق، ننفر إذا استنفرتنا، و

نطيعك إذا أمرتنا، و نجيبك إذا دعوتنا، ففرح بمقالته أبو بكر رضى الله عنه، و قال له: جزاك الله خيرا من أخ و خليل، فقد أسلمت مرتغبا، و هاجرت محتسبا، و هربت بدينك من الكفار لكى يطاع الله و رسوله و تعلو كلمته، فأنت أمير الناس، فتيسر رحمك الله.

ثم إنه نزل، و رجع خالد بن سعيد فتجهز، و أمر أبو بكر رضى الله عنه، بلالا- فأذن فى الناس: انفروا أيها الناس إلى جهاد عدوكم: الروم بالشام، و أمير الناس خالد بن سعيد، فكان الناس لا يشكون أن خالدا أميرهم، و كان خالد بن سعيد من عمال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، على اليمن، فلما قبض رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، جاء المدينة و قد استخلف الناس أبا بكر، فاحتبس عن أبى بكر ببيعته أياما، و أتى بنى هاشم و قال: أنتم الظهر و البطن و الشعار دون الدثار، فإذا رضيتم رضينا، و إذا سخطتم سخطنا، حدثونى: أ بايعتم هذا الرجل؟

قالوا: نعم، قال: على بر و رضى من جماعتكم؟ قالوا: نعم، قال: فإنى أرضى إذا رضيتم، و أبايع إذا بايعتم، أما أنكم و الله يا بنى هاشم فينا لطوال الشجر، طيبو الثمر، ثم بايع أبا بكر بعد ذلك.

و بلغت مقالته أبا بكر فلم يبال، و اضطغن ذلك عليه عمر، فلما ولاه أبو بكر الجند الذى استنفر إلى الشام، أتى عمر، أبا بكر فقال: أتولى خالد بن سعيد و قد حبس عنك بيعته، و قال لبنى هاشم ما بلغك، و قد جاء بورق اليمن و عبيد له حبشان و بدروع و رماح؟ ما أرى أن توليه و ما آمن خلافه، و كان أبو بكر لا يخالف عمر و لا يعصيه، فدعا يزيد بن أبى سفيان، و أبا عبيدة بن الجراح، و شرحبيل بن حسنة، فقال لهم: إنى باعثكم فى هذا الوجه، و مؤمركم على هذا الجند، و أنا باعث على كل رجل من الرجال ما قدرت عليه، فإذا قدمتم البلد و لقيتم العدو فاجتمعتم على قتالهم فأميركم أبو عبيدة.

و إن أبو عبيدة لم يلقكما و جمعتكما حرب فيزيد بن أبى سفيان الأمير، انطلقوا فتجهزوا.

فخرج القوم يتجهزون، و بلغ ذلك خالد بن سعيد، فتيسر و تهيأ بأحسن هيئة، ثم أقبل نحو أبى بكر و عنده المهاجرون و الأنصار أجمع ما كانوا، و قد تيسر الناس، و أمروا بالعسكرة مع هؤلاء النفر الثلاثة، فسلم على أبى بكر و على المسلمين، ثم جلس، فقال

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۷۱

لأبى بكر: أما إنك كنت وليتنى أمر الناس، و أنت لى غير متهم، و رأيك فىّ حسن حتى خوفت منى أمرا، و الله لأن أخر من رأس حالق أو تخطفنى الطير فى الهواء بين الأرض و السماء أحب إلىّ من أن يكون ما ظن، و الله ما أنا فى الإمارة براغب، و لا على البقاء فى الدنيا بحريص، و إنى أشهدكم أنى و إخوتى و فتيانى و من أطاعنى من أهلى جيش فى سبيل الله نقاتل المشركين أبدا حتى يهلكهم الله أو نموت، لا- نريد به حمد الناس و لا- جزاءهم، فقال له الناس خيرا، و دعوا له به، و قال أبو بكر رحمه الله: أوتيت فى نفسى و ولدى ما أحب لك و لإخوتك، و الله إنى لأرجو أن تكون من نصحاء الله فى عباده، و إقامة كتابه، و اتباع سنة رسوله «۱».

فخرج هو و إخوته و غلمته و من معه، فكان أول خلق الله عسكر، ثم خرج الناس إلى معسكرهم من عشرة و عشرين و ثلاثين و أربعين و خمسين و مائة فى كل يوم حتى اجتمع الناس و كثروا، فخرج أبو بكر ذات يوم، و معه من الصحابة كثير حتى انتهى إلى عسكرهم فرأى عدة حسنة، فلم يرض كثرتها للروم، فقال لأصحابه: ما ذا ترون فى هؤلاء؟ أ ترون أن نشخصهم إلى الشام فى هذه العدة؟ فقال له عمر: ما أرضى بهذه العدة لجموع بنى الأصفر، فأقبل على أصحابه فقال: ما ذا ترون؟ فقالوا: و نحن أيضا، نرى ما رأى عمر، فقال أبو بكر: أ فلا- نكتب كتابا إلى أهل اليمن ندعوهم إلى الجهاد و نرغبهم فى ثوابه؟ فرأى ذلك جميع أصحابه، فقالوا: نعم ما رأيت، فافعل.

فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، إلى من قرئ عليه كتابى هذا من المؤمنين و المسلمين من أهل اليمن، سلام عليكم، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد. فإن الله تبارك و تعالى، كتب على المسلمين الجهاد، و أمرهم أن ينفروا فيه خفافا و ثقالا، فقال جل ثناؤه: وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [الصف: ۹]، فالجهاد فريضة مفروضة، و ثوابه عند الله عظيم، و قد استنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، و قد سارعوا إلى ذلك، و عسكروا و خرجوا، و

حسنت نيتهم و عظمت حسبتهم، فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم و سنة نبيكم، و إلى إحدى الحسنيين: إما الشهادة و إما الفتح و الغنيمة، إن الله جل ذكره، لم يرض من عباده بالقول دون العمل، و لا بترك الجهاد فيه أهل عداوته حتى يدينوا بالحق و يقروا بحكم الكتاب، حفظ الله لكم دينكم و هدى قلوبكم، و زكى أعمالكم، و رزقكم أجر المجاهدين الصابرين، و السلام عليكم.

---

(۱) انظر: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۱۶)، تاريخ الطبرى (۳/ ۳۸۷، ۳۸۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۷۲

و بعث بالكتاب مع أنس بن مالك. قال أنس: أتيت اليمن فبدأت بهم حيا حيا «۱»، و قبيلة قبيلة، أقرأ عليهم كتاب أبى بكر الصديق، فإذا فرغت من قراءته قلت: الحمد لله، و أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، أما بعد، فإنى رسول خليفة رسول الله إليكم، و رسول المسلمين، ألا و إنى قد تركتهم معسكرين، ليس يمنعهم عن الشخوص إلى عدوهم إلا انتظاركم، فعجلوا إلى إخوانكم بالنفر، رحمكم الله أيها المسلمون.

قال: فكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب و يسمع منى هذا القول يحسن الرد و يقول:

نحن سائرون، و كأن قد فعلنا حتى انتهيت إلى ذى الكلاع «۲»، فلما قرأت عليه الكتاب، و قلت له هذا المقال دعا بفرسه و سلاحه و نهض فى قومه، و أمر بالعسكرة، فما برحنا حتى عسكر و عسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن، و سارعوا، فلما اجتمعوا إليه قام فحمد الله و أثنى عليه، و صلى على نبيه، ثم قال:

أيها الناس، إن من رحمة الله إياكم و نعمته عليكم أن بعث فيكم نبيا أنزل عليه الكتاب فأحسن عنه البلاغ، فعلمكم ما يرشدكم، و نهاكم عما يفسدكم، حتى علمكم ما لم تكونوا تعلمون، و رغبكم من الخير فما لم تكونوا فيه ترغبون، و قد دعاكم إخوتكم الصالحون إلى جهاد المشركين، و اكتساب الأجر العظيم، فلينفر من أراد النفر معى الساعة.

قال: فنفر بعدد من الناس كثير، و أقبل بهم إلى أبى بكر رحمه الله، فرجعنا نحن فسبقناه بأيام فوجدنا أبا بكر بالمدينة و وجدنا ذلك العسكر على حاله، و أبو عبيدة يصلى بأهل ذلك العسكر.

فلما قدمت حمير معها أولادها و نساؤها، فرح بهم أبو بكر و قام فقال: عباد الله، أ لم نكن نتحدث فنقول إذا مرت حمير معها نساؤها تحمل أولادها: نصر الله المسلمين و خذل المشركين؟ فأبشروا أيها المسلمون، قد جاءكم النصر.

قال: و جاء قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادى معه جمع كثير حتى أتى أبا بكر فسلم

---

(۱) فى تاريخ فتوح الشام: «.... أتيت أهل اليمن جناحا جناحا، و قبيلة قبيلة، أقرأ عليهم ..».

(۲) ذى الكلاع: هو: «أيفع بن يزيد بن النعمان»، و سمى بذلك لأن حمير تلكعوا، أى اتحدوا و تحالفوا على يديه و هو الذى خطب الناس و حرضهم على القتال. انظر ترجمته فى: شذرات الذهب (۱/ ۲۱۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۷۳

عليه ثم جلس، فقال له: ما تنتظر ببعثة هذه الجنود؟ قال: ما كنا ننتظر إلا قدومكم، قال: فقد قدمنا، فابعث الناس الأول فالأول، فإن هذه البلدة ليست ببلدة خف و لا كراع «۱».

قال: فعند ذلك خرج أبو بكر رضى الله عنه، يمشى، فدعا يزيد بن أبى سفيان فعقد له، و دعا ربيعة بن عامر من بنى عامر بن لؤىّ فعقد له، ثم قال له: أنت مع يزيد بن أبى سفيان لا تعصه و لا تخالفه، ثم قال ليزيد: إن رأيت أن توليه مقدمتك فافعل، فإنه من فرسان العرب و صالحاء قومك، و أرجو أن يكون من عباد الله الصالحين، فقال يزيد: لقد زاده إلىّ حبا حسن ظنك به و رجاؤك فيه، ثم إنه خرج معه يمشى، فقال له يزيد: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب، و إما أن تأذن لى فأمشى معك، فإنى أكره أن أركب و أنت

تمشى، فقال أبو بكر رضى الله عنه: ما أنا براكب، و ما أنت بنازل، إنى أحتسب خطاى هذه فى سبيل الله، ثم أوصاه فقال:

يا يزيد، إنى أوصيك بتقوى الله و طاعته، و الإيثار له، و الخوف منه، و إذا لقيتم العدو فأظفركم الله به فلا تغلل و لا تمثل و لا تغدر و لا تجبن، و لا تقتلن وليدا و لا شيخا كبيرا و لا امرأة، و لا تحرقن نخلا و لا تغرقنه، و لا تقطعن شجرا مثمرا، و لا تعقروا بهيمة إلا لمأكل، و ستمرون بقوم فى هذه الصوامع يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله، فدعهم و ما حبسوا أنفسهم له، و ستجدون آخرين فحص الشيطان أوساط رءوسهم كأن أوساطها أفاحيص «٢» القطا، فأضربوا بالسيف ما فحصوا عنه من رءوسهم حتى ينيبوا إلى الإسلام أو يؤدوا الجزية عن يد و هم صاغرون، و لينصرن الله من ينصره و رسله بالغيب. و أقرأ عليك السلام، و أستودعك الله.

ثم أخذ بيده فودعه، ثم قال: إنك أول امرئ وليته على رجال من المسلمين أشراف غير أوضاع فى الناس، و لا ضعفاء و لا أدنياء و لا جفاة فى الدين، فأحسن صحبتهم، و ألن لهم كتفك، و اخفض لهم جناحك، و شاورهم فى الأمر، أحسن الله لك الصحابة، و علينا الخلافة.

فخرج يزيد فى جيشه قبل الشام، و كان أبو بكر رحمه الله، كل غدوة و عشية يدعو فى دبر صلاة الغداة، و يدعو بعد صلاة العصر، فيقول: اللهم إنك خلقتنا و لم نك شيئا،

---

(١) الخف: الإبل. و الكراع: الخيل.

(٢) أفاحيص: جمع أفحوص، و هو التراب، تتخذ فيه طيور القطا مساكن لها.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:١٧٤

ثم بعثت إلينا رسولا رحمة منك و فضلا علينا، فهديتنا و كنا ضلالا، و حببت إلينا الايمان و كنا كفارا، و كثرتنا و كنا قليلا، و جمعتنا و كنا أشتاتا، و قويتنا و كنا ضعفاء، ثم فرضت علينا الجهاد و أمرتنا بقتال المشركين حتى يقولوا: لا إله إلا الله، و يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون، اللهم إنا أصبحنا نطلب رضاك، بجهاد من عاداك، ثم عدل بك و عبد معك آلهة غيرك، لا إله إلا أنت تعاليت عما يقول الظالمون علوا كبيرا، اللهم فانصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين، اللهم افتح لهم فتحا يسيرا، و انصرهم نصرا عزيزا، و شجع جبنهم، و ثبت أقدامهم و زلزل بعدوهم، و أدخل الرعب قلوبهم، و استأصل شأفتهم، و اقطع دابرهم، و أبد خضراءهم، و أورثنا أرضهم و ديارهم و أموالهم و آثارهم، و كن لنا وليا، و بنا حفيا، و أصلح لنا شأننا، و اجعلنا لأنعمك من الشاكرين، و اغفر لنا و للمؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات الأحياء منهم و الأموات، ثبتنا الله و إياكم بالقول الثابت فى الحياة الدنيا و فى الآخرة، إنه بالمؤمنين رءوف رحيم.

و عن أنس قال: لما بعث أبو بكر رحمه الله، يزيد بن أبى سفيان إلى الشام لم يسر من المدينة حتى جاء شرحبيل بن حسنة إلى أبى بكر، فقال: يا خليفة رسول الله، إنى قد رأيت فيما يرى النائم كأنك فى جماعة من المسلمين كثيرة، و كأنك بالشام و نحن معك، إذ استقبلك النصارى بصلبها، و البطارقة بكتبها، و انحطوا عليك من كل شرف و حدب، و كأنهم السيل، فاعتصمنا بلا إله إلا الله، و قلنا: حسبنا الله و نعم الوكيل، ثم نظرنا فإذا نحن بالقرى و الحصون من ورائهم و عن أيمانهم و شمائلهم، فإذا نحن بآت قد أتى، فنزل بأعلى شاهقة فى الجبل حتى استوى بالحضيض، ثم أخرج كفه و أصابعه فإذا هى نار، ثم إنه أهوى بها إلى ما قابله من القرى و الحصون، فصارت نارا تأجج، ثم إنها خبت فصارت رمادا، ثم نظرنا إلى ما استقبلنا من نصاراهم و بطارقتهم و جموعهم فإذا الأرض قد ساخت بهم، فرفع الناس رءوسهم و أيديهم إلى ربهم يحمدونه و يمجدونه و يشكرونه، فهذا ما رأيت، ثم انتبهت.

فقال أبو بكر رضى الله عنه: نامت عينك، هذه بشرى، و هو الفتح إن شاء الله لا شك فيه، و أنت أحد أمرائى، فإذا سار يزيد بن أبى سفيان فأقم ثلاثا ثم تيسر للسير، ففعل، فلما مضى اليوم الثالث أتاه من الغد يودعه، فقال له: يا شرحبيل، أ لم تسمع وصيتى يزيد بن أبى سفيان؟ قال: بلى، قال: فإنى أوصيك بمثلها، و أوصيك بخصال أغفلت ذكرهن لابن أبى سفيان، أوصيك بالصلاة لوقتها، و

بالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل، و بعيادة المرضى و حضور الجنائز، و بذكر الله كثيرا على كل حال، فقال له أبو

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۷۵

سفيان: إن هذه الخصال كان يزيد بهن مستوصيا، و عليهن مواظبا قبل أن يسير إلى الشام، فهو الآن لهن ألزم إن شاء الله تعالى. فقال شرحبيل: الله المستعان، و ما شاء الله أن يكون كان، ثم ودع أبا بكر و خرج فى جيشه قبل الشام، و بقى عظم الناس مع أبى عبيدة فى العسكر يصلى بهم، و أبو عبيدة ينتظر كل يوم أن يدعوه أبو بكر، فيسرحه، و أبو بكر ينتظر به قدوم العرب عليه من كل مكان، يريد أن يشحن أرض الشام من المسلمين، و يريد إن زحفت إليهم الروم أن يكونوا مجتمعين، فقدمت عليه حمير فيها ذو الكلاع، و اسمه أيقع، و جاءت مذحج فيها قيس بن هبيرة المرادى معه جمع عظيم من قومه، و فيهم الحجاج بن عبد يغوث الزبيدى، و جاء حابس بن سعد الطائى فى عدد كثير من طيئ، و جاءت الأزد فيهم جندب بن عمرو بن حممة الدوسى، و فيهم أبو هريرة، و جاءت جماعة من قبائل قيس، فعقد أبو بكر رضى الله عنه، لميسرة بن مسروق العبسى عليهم، و جاء قباث بن أشيم فى بنى كنانة، فأما ربيعة و أسد و تميم فإنهم كانوا بالعراق.

و عن سهل بن سعد أن أبا بكر، رحمه الله، لما أراد أن يبعث أبا عبيدة دعاه، فأتاه فسلم عليه، ثم جلس، فمكث أبو بكر مليا لا يكلمه، فظن أبو عبيدة أنه هم بعزله كما عزل خالد بن سعيد و هو يستحى أن يستقبله به، فقال: يا خليفة رسول الله، إن كنا لا نصلح لكم و لا نحبكم و لا ـ ننصحكم إلا ـ بأن تولونا فلسنا بإخوان فى الله، و إن كنا لا نجاهد فى سبيل الله و لا نقاتل أعداء الله إلا أن نكون أمراء رؤساء فلسنا الله نريد بجهادنا، و إنما ننوى به إذا الفخر فى الدنيا، إنى أطلب إليك أن تعزلنى عن هذا الجند و تولى عليه من أحببت و أنا أخرج معه، فأشير عليه برأيى و أنصحه جهدى، و أواسى المسلمين بنفسى. فقال أبو بكر: سبحان الله، يا أبا عبيدة أظننت أنك ممن نتهمه أو ممن نبتغى به بدلا أو ممن نتخوف أن يأتى المسلمين من قبله و هن أو خلاف أو فساد؟ معاذ الله أن نكون من أولئك، ثم قال له:

اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ثم يعمل بما أمر به، إنك تخرج فى أشراف العرب و بيوتات الناس و صالحاء المسلمين و فرسان الجاهلية، كانوا إذ ذاك يقاتلون حمية، و هم اليوم يقاتلون على النية الحسنة و الحسبة، أحسن صحبة من صحبك، و ليكونوا عندك فى الحق سواء، فاستعن بالله، و كفى به معينا، و توكل عليه و كفى بالله وكيلا.

اخرج من غد إن شاء الله، فخرج من عنده، فلما ولى قال: يا أبا عبيدة، فانصرف إليه، فقال له: إنى أحب أن تعلم كرامتك علىّ، و منزلتك منى، و الذى نفسى بيده، ما على

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۷۶

الأرض من المهاجرين و لا غيرهم من أعدله بك، و لا بهذا، يعنى عمر، رحمه الله، و لا له عندى فى المنزلة إلا دون ما لك. فقال أبو عبيدة: رحمك ربك يا خليفة رسول الله، هذا كان ظنى بك.

قال: فانصرف، فلما كان من الغد خرج أبو بكر فى رجال من المسلمين على رواحلهم، حتى أتى أبا عبيدة، فسار معه حتى بلغ ثنية الوداع، ثم قال حين أراد أن يفارقه: يا أبا عبيدة، اعمل صالحا، و عش مجاهدا، و لتتوف شهيدا، و ليعطك الله كتابك بيمينك، و يقر عينك فى دنياك و آخرتك، فو الله إنى لأرجو أن تكون من التوابين الأوابين الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة، إن الله تبارك و تعالى قد صنع بك خيرا و ساقه إليك إذ جعلك تسير فى جيش من المسلمين تقاتل به من كفر بالله و عبد غيره.

فقال أبو عبيدة: رحمك الله يا خليفة رسول الله، فنشهد بفضلك فى إسلامك، و مناصحتك الله، و مجاهدتك بعد رسول الله من تولى عن دين الله حتى ردهم الله بك إلى الدين و هم صاغرون، و نشهد أنك رحيم بالمؤمنين، ذو غلظة على الكافرين، فبورك لك فيما عملت، و سددت فيما حملت، إن أكن صالحا فلربى المنة علىّ بصلاحى، و إن أكن فاسدا فهو ولى إصلاحى، و أما أنت فنرى أن نجيبك إذا دعوت، و أن نطيعك إذا أمرت.

ثم إنه تأخر، و تقدم إلیه معاذ بن جبل فقال: یا خلیفة رسول الله، إنی أردت أن یکون ما أکلمک به الآن بالمدینة قبل شخوصنا عنها، ثم بدا لی أن أؤخر ما أردت من ذلک حتی یکون عند وداعی، فیکون ذلک آخر ما أفارقک علیه، قال: هات یا معاذ، فو الله إنک ما علمت لسدید القول، موفق الرأی، رشید الأمر، فأدنی راحلته، و مقود فرسه فی یده، و هو متنکب القوس و متقلد السیف، فقال: إن الله تعالی بعث محمدا صلی اللّه علیه و سلم، برسالته إلی خلقه، فبلغ ما أحب أن یبلغ، و کان کما أحب ربه أن یکون، فقبضه الله إلیه و هو محمود مبرور صلوات الله علیه و برکاته، إنه حمید مجید، جزاه الله عن أمته کأحسن ما یجزی النبیین، ثم إن الله تعالی استخلفک أیها الصدیق عن ملأ من المسلمین، و رضی منهم بک، فارتد مرتدون، و أرجف مرجفون، و رجعت راجعة عن هذا الدین، فأدهن بعضنا، و حار جلنا، و أحب المهادنة و الموادعة طائفة منا، و اجتمع رأی الملأ الأکابر منا أن یتمسکوا بدینهم و یعبدوا الله حتی یأتیهم الیقین، و یدعوا الناس و ما ذهبوا إلیه، فلم ترض منهم بشیء کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، یرده علیهم، فنهضت بالمسلمین، و شمرت للمجرمین، و شددت بالمطیع المقبل علی العاصی المدبر، حتی أجاب إلی الحق من کان عند عنه،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۷۷

و زجل عن الباطل من کان مرتکسا فیه، فلما تمت نعمة الله علیک و علی المسلمین فی ذلک قدت المسلمین إلی هذا الوجه الذی یضاعف الله لهم فیه الأجر، و یعظم لهم الفتح و المغنم، فأمرک مبارک، و رأیک محمود و رشید، و نحن و صالحو المؤمنین نسأل الله لک المغفرة و الرحمة الواسعة و القوة فی العمل بطاعة الله فی عافیة، و إن هذا الذی تسمع من دعائی و ثنائی و مقالتی لتزداد فی فعل الخیر رغبة، و تحمد الله تعالی علی النعمة، و أنا معید هذا علی المؤمنین لیحمدوا الله علی ما أبلاهم و اصطنع عندهم بولایتک علیهم.
ثم أخذ کل واحد منهما بید صاحبه فودعه، و دعا له، ثم تفرقا، و انصرف أبو بکر رحمه الله، و مضی ذلک الجیش، و قال رجل من المسلمین لخالد بن سعید و قد تهیأ للخروج مع أبی عبیدة: لو کنت خرجت مع ابن عمک یزید بن أبی سفیان کان أمثل من خروجک مع غیره. فقال: ابن عمی أحب إلیّ من هذا فی قرابته، و هذا أحب إلیّ من ابن عمی فی دینه، هذا کان أخی فی دینی علی عهد الرسول صلی اللّه علیه و سلم، و ولیّ و ناصری علی ابن عمی قبل الیوم، فأنا به أشد استئناسا و إلیه أشد طمأنینة.
فلما أراد أن یغدو سائرا إلی الشام لبس سلاحه، و أمر إخوته فلبسوا أسلحتهم: عمرا، و أبانا، و الحکم، و علقمة و موالیه، ثم أقبل إلی أبی بکر، رحمه الله، عند صلاة الغداة فصلبی معه، فلما انصرفوا قام إلیه هو و إخوته، فجلسوا إلیه، فحمد الله خالد و أثنی علیه، و صلی علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، ثم قال: یا أبا بکر، إن الله تبارک و تعالی، قد أکرمنا و إیاک و المسلمین عامة بهذا الدین، فأحق من أقام السنة و أمات البدعة و عدل فی السیرة الوالی علی الرعیة، و کل امرئ من أهل هذا الدین محفوف بالإحسان، و معدلة الوالی أعم نفعا، فاتق الله یا أبا بکر فیمن ولاک أمره، و ارحم الأرملة و الیتیم، و أعن الضعیف و المظلوم، و لا یکن رجل من المسلمین إذا رضیت عنه آثر عندک فی الحق منه إذا سخطت علیه، و لا تغضب ما قدرت علی ذلک، فإن الغضب یجر الجور، و لا تحقد علی مسلم و أنت تستطیع، فإن حقدک علی المسلم یجعلک له عدوا، و إن اطلع علی ذلک منک عاداک، و إذا عادی الوالی الرعیة و عادت الرعیة الوالی کان ذلک قمنا أن یکون إلی هلاکهم داعیا، و لن للمحسن و اشتد علی المریب، و لا تأخذک فی الله لومة لائم.
ثم قال: هات یدک یا أبا بکر، فإنی لا أدری أ نلتقی فی الدنیا أم لا، فإن قضی الله لنا فی الدنیا البقاء، فنسأل الله عفوه و غفرانه، و إن کانت هی الفرقة التی لیس بعدها لقاء، فعرفنا الله و إیاک وجه النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، فی جنات النعیم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۷۸

فأخذ أبو بکر رضی الله عنه، بیده فبکی، و بکی خالد، و بکی المسلمون و ظنوا أنه یرید الشهادة، و طال بکاؤهم، ثم إن أبا بکر رضی الله عنه، قال: انتظر نمشی معک، قال: ما أرید أن تفعل، قال: لکنی أرید ذلک، و من أراده من المسلمین، فقام، و قام الناس معه حتی خرج من بیوت المدینة، فما رأیت مشیعا من المسلمین شیعه أکثر ممن شیع خالد بن سعید یومئذ و إخوته، فلما خرج من المدینة قال أبو بکر: إنک قد أوصیتنی برشدی و قد وعیت، و أنا موصیک فاسمع وصاتی و عها، إنک امرؤ قد جعل الله لک سابقة فی الإسلام و

فضيلة عظيمة، و الناس ناظرون إليك و مستمعون منك، و قد خرجت فى هذا الوجه العظيم الأجر و أنا أرجو أن يكون خروجك فيه بحسبة و نية صادقة إن شاء الله تعالى، فثبت العالم، و علم الجاهل، و عاتب السفيه المسرف، و انصح لعامة المسلمين، و اخصص الوالى على الجهد من نصيحتك و مشورتك بما يحق لله و للمسلمين عليك، و اعمل لله كأنك تراه، و اعدد نفسك فى الموتى و أعلم أنا عما قليل ميتون ثم مبعثون ثم مسئولون و محاسبون، جعلنا الله و إياك لأنعمه من الشاكرين، و لنقمه من الخائفين.

ثم أخذ بيده فودعه، و أخذ بأيدى إخوته بعد ذلك فودعهم واحدا واحدا، ثم ودعهم المسلمون، ثم إنهم دعوا بإبلهم فركبوها، و كانوا قبل ذلك يمشون مع أبى بكر رضى الله عنهم أجمعين، ثم قيدت معهم خيلهم، فخرجوا بهيئة حسنة، فلما أدبروا قال أبو بكر: اللهم احفظهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن أيمانهم و عن شمائلهم، و احطط أوزارهم و أعظم أجورهم. ثم انصرف أبو بكر و من معه من المسلمين.

و قد قيل: إن أبا بكر رحمه الله، جعل خالدا ردءا بتيماء لما عزله عن الجند و أطاع عمر رحمه الله «۱»، فى بعض أمره و عصاه فى بعض، و سيأتى ذكر ذلك فى موضعه إن شاء الله.

و عن محمد بن خليفة أن ملحان بن زياد الطائى، أخا عدى بن حاتم لأمه أتى أبا بكر رحمه الله، فى جماعة من قومه من طيئ نحو ستمائة، فقال له: إنا أتيناك رغبة فى الجهاد و حرصا على الخير، و نحن القوم الذين تعرف الذين قاتلنا معكم من ارتد منا حتى أقر بمعرفة ما كان ينكر، و قاتلنا معكم من ارتد منكم حتى أسلموا طوعا و كرها، فسرحنا فى أثر الناس، و اختر لنا وليا صالحا نكن معه.

---

(۱) انظر خبر عزل خالد بن سعيد فى: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۱۶)، تاريخ الطبرى (۳/ ۳۸۷، ۳۸۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۷۹

و كان قدومهم على أبى بكر بعد مسير الأمراء كلهم إلى الشام، فقال أبو بكر: قد اخترت لك أفضل أمرائنا أميرا، و أقدم المهاجرين هجرة، الحق بأبى عبيدة بن الجراح، فقد رضيت لك صحبته، و حمدت لك أدبه، فنعم الرفيق فى السفر، و نعم الصاحب فى الحضر.

قال: فقلت لأبى بكر: فقد رضيت لخيرتك التى اخترت لى. فاتبعته حتى لحقته بالشام فشهدت معه مواطنه كلها، لم أغب عن يوم منها.

و عن أبى سعيد المقبرى قال: قدم ابن ذى السهم الخثعمى على أبى بكر و جماعة من خثعم فوق تسعمائة و دون ألف، فقال لأبى بكر: إنا تركنا الديار و الأصول، و العشائر و الأموال، و أقبلنا بنسائنا و أبنائنا، و نحن نريد جهاد المشركين، فما ذا ترى لنا فى أولادنا و نسائنا؟ أ نخلفهم عندك و نمضى؟ فإذا جاء الله بالفتح بعثنا إليهم فأقدمناهم علينا؟ أم ترى لنا أن نخرجهم معنا و نتوكل على الله ربنا؟.

فقال أبو بكر: سبحان الله، يا معشر المسلمين، هل سمعتم أحدا ممن سار من المسلمين إلى أرض الروم و أرض الشام ذكر من الأولاد و النساء مثل ما ذكر أخو خثعم؟

أما إنى أقسم لك يا أخا خثعم، لو سمعت هذا القول منك و الناس مجتمعون عندى قبل أن يشخصوا لأحببت أن أحبس عيالاتهم عندى و أسرحهم ليس معهم من النساء و الأبناء ما يشغلهم و يهمهم حتى يفتح الله عليهم و معهم ذراريهم، و لك بجماعة المسلمين أسوة، و أنا أرجو أن يدفع الله بعزته عن حرمة الإسلام و أهله، فسر فى حفظ الله و كنفه، فإن بالشام أمراء قد وجهناهم إليها، فأيهم أحببت أن تصحبه، فسار حتى لقى يزيد بن أبى سفيان فصحبه.

و عن يحيى بن هانئ بن عروة أن أبا بكر كان أوصى أبا عبيدة بقيس بن مكشوح و قال له: إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف، فارس من فرسان العرب، لا أظن له عظيم حسبة و لا كبير نية فى الجهاد، و ليس بالمسلمين غنى عن مشورته و رأيه و بأسه فى الحرب، فأدنه و الطفه و أره أنك غير مستغن عنه و لا مستهين بأمره، فإنك تستخرج منه بذلك نصيحة لك، و جهده و جده على عدوك، و دعا أبو بكر قيسا فقال له: إنى قد بعثتك مع أبى عبيدة الأمين، الذى إذا ظلم كظم، و إذا أسىء إليه غفر، و إذا قطع وصل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، فلا تعصين له أمرا، و لا تخالفن له رأيا، فإنه لن يأمرك إلا بخير، و قد أمرته أن يسمع منك، فلا

تأمره إلا بتقوى الله، فقد كنا نسمع أنك

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸۰

شريف بئيس مجرب، و ذلك فى زمان الشرك و الجاهلية الجهلاء، فاجعل بأسك و شدتك و نجدتك اليوم فى الإسلام على من كفر بالله و عبد غيره، فقد جعل الله فيه الأجر العظيم، و العز للمسلمين. فقال: إن بقيت فسيبلغك من حيطتى على المسلم، و جهدى على الكافر ما يسرك و يرضيك، فقال أبو بكر رحمه الله: فافعل ذلك، فلما بلغته مبارزته البطريقين بالجابية و قتله إياهما، قال: صدق قيس و وفى وبر.

و عن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص قال «۱»: لما مضت جنود أبى بكر إلى الشام بلغ ذلك هرقل ملك الروم، و هو بفلسطين، و قيل له: قد أتتك العرب و جمعت لك جموعا عظيمة، و هم يزعمون أن نبيهم الذى بعث إليهم أخبرهم أنهم يظهرون على أهل هذه البلاد، و قد جاءوك و هم لا يشكون أن هذا يكون، و جاءوك بأبنائهم و نسائهم تصديقا لمقالة نبيهم، يقولون: لو دخلناها و افتتحناها نزلناها بأولادنا و نسائنا. فقال هرقل: ذلك أشد لشوكتهم، إذا قاتل القوم على تصديق و يقين فما أشد على من كابدهم أن يزيلهم أو يصدهم.

قال: فجمع إليه أهل البلاد و أشراف الروم، و من كان على دينه من العرب، فقال: يا أهل هذا الدين، إن الله قد كان إليكم محسنا، و كان لدينكم هذا معزا، و له ناصرا على الأمم الخالية، و على كسرى و المجوس، و على الترك الذين لا يعلمون، و على من سواهم من الأمم كلها، و ذلك أنكم كنتم تعملون بكتاب ربكم و سنة نبيكم الذى كان أمره رشدا و فعله هدى، فلما بدلتم و غيرتم أطمع ذلك فيكم قوما، و الله ما كنا نعبأ بهم و لا نخاف أن نبتلى بهم، و قد ساروا إليكم حفاة عراة جياعا، اضطرهم إلى بلادكم قحط المطر و جدوبة الأرض و سوء الحال، فسيروا إليهم، فقاتلوهم عن دينكم و عن بلادكم و عن أبنائكم و نسائكم، و أنا شاخص عنكم و ممدكم بالخيول و الرجال، و قد أمرت عليكم أمراء، فاسمعوا لهم و أطيعوا، ثم خرج حتى أتى دمشق فقام مثل هذا المقام، و قال فيها مثل هذا المقال، ثم خرج حتى أتى حمص، ففعل مثل ذلك، ثم أتى أنطاكية، فأقام بها و بعث إلى الروم، فحشدهم إليه، فجاءه منهم ما لا يحصى عدده، و نفر إليه مقاتلتهم و شبابهم و أتباعهم، و أعظموا دخول العرب عليهم، و خافوا أن يسلبوا ملكهم.

و أقبل أبو عبيدة حتى مروا بوادى القرى «۲»، ثم أخذ على الحجر أرض صالح النبىّ

---

(۱) راجع: ما ذكره ابن الجوزى فى المنتظم فى هذا الخبر (۴/ ۱۱۷)، و الطبرى فى تاريخه ۳/ ۳۹۲).

(۲) وادى القرى: من أعمال المدينة. انظر: الروض المعطار (۶۰۲)، المغانم المطابة (۴۲۳)، رحلة الناصرى (۳۱۰)، صبح الأعشى (۴/ ۲۹۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸۱

صلى اللّه عليه و سلم، ثم على ذات المنار «۱»، ثم على زبرا «۲»، ثم ساروا إلى مؤب «۳» بعمان، فخرج إليهم الروم، فلم يلبثهم المسلمون أن هزموهم حتى دخلوا مدينتهم، فحاصروهم فيها، و صالح أهل مؤب عليها، فكانت أول مدائن الشام صالح أهلها، ثم سار أبو عبيدة حتى إذا دنا من الجابية «۴» أتاه آت فخبره أن هرقل بأنطاكية، و أنه قد جمع لكم من الجموع ما لم يجمعه أحد كان قبله من آبائه لأحد من الأمم قبلكم، فكتب أبو عبيدة إلى أبى بكر رضى الله عنهما:

بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله أبى بكر، خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، من أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد، فإنا نسأل الله أن يعز الإسلام و أهله عزا مبينا، و أن يفتح لهم فتحا يسيرا، فإنه بلغنى أن هرقل ملك الروم، نزل قرية من قرى الشام تدعى بأنطاكية، و أنه بعث إلى أهل مملكته فحشدهم إليه، و إنهم نفروا إليه على الصعب و الذلول، و قد رأيت أن أعلمك ذلك فترى فيه رأيك، و السلام عليك و رحمة الله تعالى.

فكتب إليه أبو بكر: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فقد بلغنى كتابك، و فهمت ما ذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم، فأما منزله بأنطاكية فهزيمة له و لأصحابه، و فتح من الله عليك و على المسلمين، و أما حشده أهل مملكته و جمعه لكم الجموع، فإن ذلك ما قد كنا و كنتم تعلمون أنه سيكون منهم، ما كان قوم ليدعوا سلطانهم و لا ليخرجوا من مملكتهم بغير قتال، و لقد علمت و الحمد لله أن قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم الحياة، يحتسبون من الله فى قتالهم الأجر العظيم، و يحبون الجهاد فى سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم و عقائل أموالهم، الرجل منهم عند الهيج خير من ألف رجل من المشركين، فالقهم بجندك، و لا تستوحش لمن غاب من المسلمين، فإن الله تعالى ذكره معك، و أنا مع ذلك ممدك بالرجال بعد الرجال حتى تكتفى و لا تريد أن تزداد، و السلام عليك. و بعث بهذا الكتاب مع دارم العبسى.

---

(۱) ذات المنار: موضع فى أول بادية الشام مما يلى الحجاز. انظر: الروض المعطار (۵۱۷).

(۲) الزبرا: المكان المرتفع من الأرض، و يقصد: أحد أماكن البلقاء فى الأردن.

(۳) مؤب: من قرى الشام من أرض البلقاء، ذكرها ابن الحميرى فى الروض المعطار (۵۱۷)، و ذكر قصة خروج أبى عبيدة.

(۴) الجابية: بالشام، و قال البكرى: هى قنسرين، و بين الجابية و منبج أربعة فراسخ، و من حلب إليها ستة فراسخ. انظر: الروض المعطار (۱۵۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸۲

و كتب يزيد بن أبى سفيان إلى أبى بكر رحمه الله: أما بعد، فإن هرقل ملك الروم لما بلغه مسيرنا إليه ألقى الله الرعب فى قلبه، فتحمل و نزل أنطاكية، و خلف أمراء من جنده على جند الشام، و أمرهم بقتالنا، و قد تيسروا لنا و استعدوا، و قد نبأنا مسالمة الشام أن هرقل استنفر أهل مملكته، و أنهم جاءوا يجرون الشوك و الشجر، فمرنا بأمرك، و عجل علينا فى ذلك برأيك، نتبعه، نسأل الله النصر و الصبر و الفتح و عافية المسلمين، و السلام عليك.

و بعث بهذا الكتاب مع عبد الله بن قرط الثمالىّ، فقال له أبو بكر لما قدم عليه:

أخبرنى خبر الناس، قال: المسلمون بخير، قد دخلوا أدنى أرض الشام، و رعب أهلها منهم، و ذكر لنا أن الروم قد جمعت لنا جموعا عظاما، و لم نلق عدونا بعد، و نحن فى كل يوم نتوكف لقاء العدو أو نتوقعه، و إن لم تأتنا جيوش من قبل هرقل، فليست الشام بشىء. فقال له أبو بكر رحمه الله: صدقتنى الخبر، فقال: و ما لى لا أصدقك، و يحل لى الكذب، و يصلح لمثلى أن يكذب مثلك، و لو كذبت فى هذا لم أخن إلا أمانتى و أخن ربى و أخن المسلمين. قال أبو بكر: معاذ الله، لست من أولئك، و كتب حينئذ معه بهذا الكتاب: أما بعد، فقد بلغنى كتابك، تذكر فيه تحول ملك الروم إلى أنطاكية «۱»، و إلقاء الله الرعب فى قلبه من جموع المسلمين، فإن الله تبارك و تعالى، و له الحمد قد نصرنا و نحن مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، بالرعب، و أيدنا بملائكته الكرام، و إن ذلك الدين الذى نصرنا الله فيه بالرعب هو هذا الدين الذى ندعو الناس إليه اليوم، فو ربك لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين، و لا من يشهد أنه لا إله غيره كمن يعبد معه آلهة أخرى و يدين بعبادة آلهة شتى، فإذا لقيتهم فانبذ إليهم بمن معك و قاتلهم، فإن الله لن يخذلك، و قد نبأنا الله أن الفئة القليلة منا تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله، و أنا مع ما هنالك ممدكم بالرجال فى أثر الرجال حتى تكتفوا و لا تحتاجوا إلى زيادة إنسان إن شاء الله، و السلام.

و لما رد أبو بكر رضى الله عنه، عبد الله بن قرط «۲» بهذا الكتاب إلى يزيد، قال له:

---

(۱) أنطاكية: بتخفيف الياء، مدينة عظيمة على ساحل البحر، قالوا: و كل شىء عند العرب من قبل الشام فهو أنطاكية، و يقال: ليس فى أرض الإسلام و لا أرض الروم مثلها. انظر: الروض المعطار (۳۸- ۳۹)، نزهة المشتاق (۱۹۵)، صبح الأعشى (۴/ ۱۲۹).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۶۵۲)، الإصابة الترجمة رقم (۴۹۰۸)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۱۲۶)، الجرح و التعديل (۵/ ۱۰۴)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۳۲۹)، تهذيب الكمال (۲/ ۷۲۴)، التاريخ الكبير (۵/ ۳۴)، تهذيب التهذيب (۵/ ۳۶۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸۳

أخبره و المسلمين أن مدد المسلمين آتيهم مع هاشم بن عتبة و سعيد بن عامر بن حذيم.

فخرج عبد الله بكتابه حتى قدم به على يزيد، و قرأه على المسلمين، فتباشروا به، و فرحوا.

ثم إن أبا بكر رضى الله عنه، دعا هاشم بن عتبة «۱»، فقال له: يا هاشم، إن من سعادة جدك و وفاء حظك أنك أصبحت ممن تستعين به الأمة على جهاد عدوها من المشركين، و ممن يثق الوالى بنصيحته و صحته و عفافه، و بأسه، و قد بعث إلى المسلمون يستنصرون على عدوهم من الكفار، فسر إليهم فيمن يتبعك، فإنى نادب الناس معك، فاخرج حتى تقدم على أبى عبيدة.

ثم قام أبو بكر فى الناس، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن إخوانكم من المسلمين معافون مكلوءون، مدفوع عنهم، مصنوع لهم، قد ألقى الله جل ثناؤه الرعب منهم فى قلوب عدوهم، فقد استعصموا بحصونهم و أغلقوا أبوابها دونهم، و قد جاءتنى رسلهم يخبروننى بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم حتى نزل قرية من أقصى قرى الشام، و أنه وجه إليهم جندا من مكانه ذلك، فرأيت أن أمد إخوانكم بجند منكم يشد الله بهم ظهورهم، و يكبت به عدوهم، و يلقى به الرعب فى قلوبهم، فانتدبوا رحمكم الله، مع هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، و احتسبوا فى ذلك الأجر و الخير، فإنكم إن نصرتم فهو الفتح و الغنيمة، و إن هلكتم فهى الشهادة و الكرامة.

ثم انصرف إلى منزله، و مال الناس على هاشم حتى كثروا عليه، فلما تموا ألفا أمره أبو بكر رحمه الله، أن يسير، فسلم عليه و ودعه، و قال له أبو بكر: يا هاشم، إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه و مشورته و حسن تدبيره، و كنا ننتفع من الشاب بصبره و بأسه و نجدته، و إن الله تعالى قد جمع لك تلك الخصال كلها، و أنت حديث السن مستقبل الخير، فإذا لقيت عدوك فاصبر و صابر، و اعلم أنك لا تخطو خطوة و لا تنفق و لا يصيبك ظمأ و لا نصب و لا مخمصة فى سبيل الله إلا كتب الله لك بذلك عملا صالحا، إن الله لا يضيع أجر المحسنين. فقال: إن يرد الله بى خيرا يجعلنى كذلك، و أنا أفعل، و لا قوة إلا بالله، أما أنا فأرجو إن لم أقتل أن أقتل ثم أقتل!.

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۷۲۹)، الإصابة الترجمة رقم (۵۳۲۸)، طبقات الخليفة (۸۳۱)، تاريخ بغداد (۱/ ۱۹۶)، مرآة الجنان (۱/ ۱۰۱)، العقد الثمين (۷/ ۳۵۹)، شذرات الذهب (۱/ ۴۶)، العبر (۱/ ۳۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸۴

فقال له عمه سعد بن أبى وقاص: يا ابن أخى لا تطعنن طعنة و لا تضربن ضربة إلا و أنت تريد بها وجه الله، و اعلم أنك خارج من الدنيا وشيكا، و راجع إلى الله قريبا، و لن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدمته، و عمل صالح أسلفته، فقال: يا عم، لا تخافن هذه منى، إنى إذا لمن الخاسرين إن جعلت حلى و ارتحالى و غدوى و رواحى و سعى و إجلابى، و طعنى برمحى و ضربى بسيفى رياء للناس.

ثم خرج من عند أبى بكر رضى الله عنه، فلزم طريق أبى عبيدة حتى قدم عليه، فسر المسلمون بقدومه و تباشروا به.

و بلغ سعيد بن عامر بن حذيم «۱» أن أبا بكر يريد أن يبعثه، فلما أبطأ ذلك عليه، و مكث أياما لا يذكر له ذلك أتاه، فقال: يا أبا بكر، و الله لقد بلغنى أنك كنت أردت أن تبعثنى فى هذا الوجه، ثم رأيتك قد سكت، فما أدرى ما بدا لك فىّ، فإن كنت تريد أن تبعث غيرى فابعثنى معه، فما أرضانى بذلك، و إن كنت لا تريد أن تبعث أحدا فإنى راغب فى الجهاد، فأذن لى يرحمك الله كيما ألحق بالمسلمين، فقد ذكر لى أن الروم جمعت لهم جمعا عظيما. فقال أبو بكر: رحمك أرحم الراحمين يا سعيد بن عامر، فإنك ما علمت من المتواضعين المتواصلين المخبتين المتهجدين بالأسحار، الذاكرين الله كثيرا.

فقال له سعيد: رحمك الله، نعم الله عليّ أفضل، و له الطول و المن، و أنت و الله ما علمت صدوع بالحق، قوام بالقسط، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، تحكم بالعدل، و لا تستأثر فى القسم، فقال له: حسبك يا سعيد، حسبك، اخرج رحمك الله، فتجهز، فإنى مسرح إلى المسلمين جيشا و أؤمرك عليهم، فأمر بلالا فنادى فى الناس: أن انتدبوا أيها المسلمون مع سعيد بن عامر إلى الشام، فانتدب معه سبعمائة رجل فى أيام، فلما أراد سعيد الشخوص جاء بلال فقال: يا خليفة رسول الله، إن كنت إنما أعتقتنى لله تعالى لأملك نفسى و أصرف فيما ينفعنى فخل سبيلى حتى أجاهد فى سبيل ربى، فإن الجهاد إليّ أحب من المقام، قال أبو بكر: فإن الله يشهد أنى لم أعتقك إلا له، و أنى لا أريد منك جزاء و لا شكورا، فهذه الأرض ذات العرض، فاسلك أى فجاجها أحببت، فقال: كأنك أيها الصديق عتبت عليّ فى مقالتى و وجدت فى نفسك منها؟ قال: لا، و الله ما وجدت فى نفسى من ذلك، و إنى لأحب أن لا تدع هواك لهوای ما دعاك

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۹۹۳)، الإصابة الترجمة رقم (۳۲۸۰)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۰۸۴)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۲۳)، الجرح و التعديل (۴/ ۲۰۵). حلية الأولياء (۱/ ۳۶۸)، الوافى بالوفيات (۱۵/ ۳۲۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸۵

هواك إلى طاعة ربك، قال: فإن شئت أقمت معك، قال: أما إذا كان هواك الجهاد فلم أكن لآمرك بالمقام، و إنما أردتك للأذان، و لأجدن لفراقك وحشة يا بلال، و لا بد من التفرق فرقة لا التقاء بعدها حتى يوم البعث، فاعمل صالحا يا بلال، و ليكن زادك من الدنيا ما يذكرك الله به ما حييت، و يحسن لك به الثواب إذا توفيت. فقال له بلال:

جزاك الله من ولى نعمة و أخ فى الإسلام خيرا، فو الله ما أمرك لنا بالصبر على الحق و المداومة على العمل بالطاعة ببدع، و ما كنت لأؤذن لأحد بعد النبيّ صلى اللّه عليه و سلم، ثم خرج بلال مع سعيد بن عامر.

و جاء سعيد على راحلته حتى وقف على أبى بكر و المسلمين، فقال له: إنا نؤم هذا الوجه، فجعله الله وجه بركة، اللهم فإن قضيت لنا التقاء فاجمعنا على طاعتك، و إن قضيت لنا الفرقة فإلى رحمتك، و السلام عليكم، ثم ولى يذهب. فقال أبو بكر: عباد الله، ادعوا الله كيما يصحب صاحبكم و يسلمه، ارفعوا أيديكم رحمكم الله، فرفع القوم أيديهم إلى ربهم و هم أكثر من خمسين رجلا، فقال على رضى الله عنه: ما رفع عدتكم من المسلمين أيديهم إلى ربهم يسألونه شيئا إلا استجاب لهم، ما لم يكن معصية أو قطيعة رحم، فبلغه ذلك بعد ما واقع أرض الشام و قاتل العدو، فقال: رحم الله إخوانى، ليتهم لم يكونوا دعوا لى، قد كنت خرجت و إنى على الشهادة لحريص جاهد، فما هو إلا أن لقيت العدو فعصمنى الله من الهزيمة و الفرار، و ذهب من نفسى ما كنت أعرف من حب الشهادة، فلما خبرت أن إخوانى دعوا لى بالسلامة عرفت أنهم استجيب لهم.

و كان أبو بكر أمره أن يلحق بيزيد بن أبى سفيان، فسار حتى لحق به، و شهد معه وقعة العربة و الداثنة.

و عن حمزة بن مالك الهمذانى أنه قدم فى جمع عظيم من همذان «۱» على أبى بكر، رحمه الله، قال: فقدموا و هم ألفا رجل أو أكثر، فلما رأى أبو بكر عددهم و عدتهم سره ذلك، فقال: الحمد لله على صنيعه للمسلمين، ما يزال الله تعالى، يرتاح لهم بمدد من أنفسهم يشد به ظهورهم و يقصم به عدوهم، قال: ثم إن أبا بكر أمرنا فعسكرنا بالمدينة، و كنت أختلف إلى أبى بكر غدوة و عشية، و عنده رجال من المهاجرين و الأنصار، فكان يلطفنى و يدنى مجلسى، و يقول لى: تعلم القرآن، و أسبغ الوضوء، و أحسن الركوع و السجود، و صل الصلاة لوقتها، و أد الزكاة فى حينها، و انصح المسلم، و فارق المشرك،

---

(۱) همذان: بالذال المعجمة، مدينة من عراق العجم من كور الجبل. انظر: الروض المعطار (۵۹۶)، نزهة المشتاق (۲۰۳)، اليعقوبى (۲۷۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۸۶

و احضر البأس یوم البأس. فقلت: و الله لأجهدن أن لا أدع شیئا مما أمرتنی به إلا عملته، إنی لأعلم أنک قد اجتهدت لی فی النصیحة، و أبلغت فی الموعظة، ثم إنه خرج إلی عسکرنا و أمرنا أن نتیسر و نتجهز و نشتری حوائجنا، ثم نعجل علی أصحابنا، فتحثحثنا لذلک و عجلنا بالجهاز، فلما فرغنا و علم ذلک بعث إلی فقال: یا أخا همذان، إنک شریف بئیس ذو عشیرة، فأحضرهم البأس، و لا تؤذ بهم الناس.

قال: و کان معی رجال من أهل القری من همذان، فیهم جهل و جفاء، و کانوا قد تأذی منهم أهل المدینة، فشکوا ذلک إلی أبی بکر، فقال أبو بکر: نشدتک الله امرأ مسلما سمع نشدی لما کف عن هؤلاء القوم، و من رأی علیه حقا فلیحتمل ذرب ألسنتهم، أو عجلة یکرهها منهم ما لم یبلغ ذلک الحد، إن الله تعالی، مهلک بهؤلاء و أشباههم غدا جموع هرقل و الروم، و إنما هم إخوانکم، فلو أن أخا أحدکم فی دینه عجل علیه فی شیء أ لم یکن أصوب فی الرأی و خیرا فی المعاد أن یحتمل له؟ قال المسلمون: بلی، قال: فهم إخوانکم فی الدین و أنصارکم علی الأعداء، و لهم علیکم حق، فاحتملوا لهم ذلک، ثم نظر إلیّ فقال: ارتحل، ما تنتظر؟ فارتحلت و قد قلت له قبل أن نرتحل: علیّ أمیر دونک؟ قال: نعم، هناک ثلاثة أمراء قد أمرناهم؟. فأیهم شئت فکن معه، فلما لحقت بالمسلمین سألتهم: أی الأمراء أفضل و أیهم کان أفضل عند النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، صحبة؟ فقیل: أبو عبیدة بن الجراح، فقلت فی نفسی: و الله لا أعدل بهذا أحدا، فجئت حتی أتیت أبا عبیدة ثم قصصت علیه قصة مخرجی و مقدمی علی أبی بکر، و ما کان من أمری و أمر أصحابی بالمدینة، و بمقدمی علیه و اختیاری له، فقال: بارک الله لک فی إسلامک و جهادک و قدومک علینا، و بارک لنا فیک و فیمن قدمت به علینا من المسلمین.

و قال عمرو بن محصن «۱»: لم یکن أبو بکر رحمه الله، یسأم توجیه الجنود إلی الشام، و إمداد الأمراء الذین بعث إلیها بالرجال بعد الرجال، إرادة إعزاز أهل الإسلام و إذلال أهل الشرک.

و عن أبی سعید المقبری قال: لما بلغ أبا بکر رحمه الله، جمع الأعاجم لم یکن شیء أعجب إلیه من قدوم المجاهدین علیه من أرض العرب، فکانوا کلما قدموا علیه سرح الأول فالأول، فقدم علیه فیمن قدم أبو الأعور السلمی، فدخل علیه فقال: إنا جئناک من غیر قحمة و لا عدم، فإن شئت أقمنا معک مرابطین، و إن شئت وجهتنا إلی عدوک

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۱۹۷۴)، الإصابة الترجمة رقم (۵۹۷۰)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۰۲۱)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۴۱۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۸۷

المشرکین، فقال له أبو بکر: لا، بل تجاهدون الکافرین، و تواسون المسلمین، فبعثه، فسار حتی قدم علی أبی عبیدة.

ثم قدم علی أبی بکر رضی الله عنه، معن بن یزید بن الأخنس السلمی فی رجال من بنی سلیم، نحو من مائة، فقال أبو بکر: لو کان هؤلاء أکثر مما هم لأمضیناهم، فقال له عمر: و الله لو کانوا عشرة لرأیت لک أن تمد بهم إخوانهم، أی و الله، و أری أن تمدهم بالرجال الواحد إذا کان ذا جزاء و غناء.

فقال حبیب بن مسلمة الفهری: عندی نحو من عدتهم رجال من أبناء القبائل ذوو رغبة فی الجهاد، فأخرجنا و هؤلاء جمیعا یا خلیفة رسول الله، ثم ابعثنا. فقال له: أما الآن فاخرج بهم جمیعا حتی تقدم بهم علی إخوانهم.

فخرج فعسکر معهم، ثم جمع أصحابه إلیهم، ثم مضی بهم حتی قدم علی یزید بن أبی سفیان.

قال: و اجتمعت رجال من کعب و أسلم و غفار و مزینة نحو من مائتین، فأتوا أبا بکر رضی الله عنه، فقالوا: ابعث علینا رجلا، و سرحنا إلی إخواننا، فبعث علیهم الضحاک بن قیس، فسار حتی أتی یزید، فنزل معه.

و عن سعيد بن يزيد بن عمرو بن نفيل قال: لما رأى أهل مدائن الشام أن العرب قد جاشت عليهم من كل وجه، و كثرة جموعهم، بعثوا الرسل إلى ملكهم يعلمونه ذلك و يسألونه المدد، فكتب إليهم: إنى قد عجبت لكم حين تستمدوننى و حين تكثرون علىّ عدة من جاءكم، و أنا أعلم بكم و بمن جاءكم منهم، و لأهل مدينة واحدة من مدائنكم أكثر ممن جاءكم منهم أضعافا، فالقوهم فقاتلوهم و لا تحسبوا أنى كتبت إليكم بهذا و أنا لا أريد أن أمدكم، لأبعثن إليكم من الجنود ما تضيق به الأرض الفضاء.

و كانت مدائن أهل الشام من الروم قد أرسلوا إلى كل من كان على دينهم من العرب فأطمعهم أكثرهم فى النصر، و منهم من حمى للعرب، فكان ظهور العرب أحب إليه، و ذلك من لم يكن فى دينه راسخا منهم، و بلغ خبرهم و تراسلهم أبا عبيدة بن الجراح، فكتب إلى أبى بكر رضى الله عنهما: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فالحمد لله الذى أعزنا بالإسلام، و كرمنا بالإيمان، و هدانا لما اختلف فيه المختلفون من الحق بإذنه، إنه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، و إن عيونى من أنباط الشام نبئونى أن أول أمداد ملك الروم قد وقعوا إليه، و أن أهل مدائن الشام بعثوا رسلهم إليه يستمدونه، و أنه كتب

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸۸

إليهم: أن أهل مدينة من مدائنكم أكثر ممن قدم عليكم من عدوكم، فانهضوا إليهم فقاتلوهم، فإن مددى من ورائكم، فهذا ما بلغنا عنهم، و أنفس المسلمين طيبة بقتالهم، و قد خبرنا أنهم تيسروا لقتالنا، فأنزل الله على المسلمين نصره، و على عدوهم رجزه، إنه بما يعملون عليم، و السلام.

قال: فجمع أبو بكر رحمه الله، أشراف قريش من المهاجرين و غيرهم من أهل مكة، ثم دعا بأشراف الأنصار و ذوى السابقة منهم، فقال عمر: لأى شىء دعوت بهؤلاء؟

فقال: لأستشيرهم فى هذا الأمر الذى كتب إلينا فيه أبو عبيدة. قال له: أما المهاجرين و الأنصار فأهل الاستنصاح و المشورة، و أما رجال أهل مكة الذين كنا نقاتلهم لتكون كلمة الله هى العليا و يقاتلوننا ليطفئوا نور الله بأفواههم جاهدين على قتالنا، إن قلنا ليس مع الله آلهة، قالوا: مع الله آلهة أخرى، فلما أعز الله دعوتنا و صدق أحدوثتنا و نصرنا عليهم أردنا أن نقدمهم فى الأمور و نستشيرهم فيها و نستنصحهم و ندنيهم دون من هو خير منهم، ما أنصفنا إذا نصحاؤنا الذين كانوا يقاتلونهم فى الله حين نقدمهم دونهم، و لا نراهم وضعهم عندنا إذا جهادهم إيانا و جهدهم علينا، لا و الله لا نفعل ذلك أبدا.

فقال أبو بكر رضى الله عنه: قد كنت أردت إدناءهم و إنزالهم منا بالمنازل التى كانوا بها فى قومهم من الشرف، فأما الآن حيث ذكرت ما ذكرت، فو الله ما أرى الرأى فى هذا إلا رأيك، فبلغ ذلك أشراف قريش أولئك، فشق عليهم.

و قال الحارث بن هشام: إن عمر كان فى شدته علينا قبل أن هدانا الله للإسلام مصيبا، فأما الآن حيث هدانا الله فلا نراه فى شدته علينا إلا قاطعا.

ثم خرج هو و سهيل بن عمرو «۱» مع عكرمة بن أبى جهل فى رجال من أشراف قريش حتى أتوا أبا بكر رحمه الله، و عنده عمر، فقال الحارث: يا عمر، إنك قد كنت فى شدتك علينا قبل الإسلام مصيبا، فأما الآن و قد هدانا الله لدينه فما نراك إلا قاطعا، ثم جثا سهيل بن عمرو على ركبتيه و قال: إياك يا عمر نخاطب، و عليك نعتب، فأما خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فبرئ عندنا من الضغن و الحقد و القطيعة، ألسنا إخوانكم فى الإسلام، و بنى أبيكم فى النسب، أ فإنكم إن كان الله قدم لكم فى هذا الأمر قدما صالحا لم نؤت مثله قاطعون قرابتنا و مستهينون بحقنا، ثم قال لهم عكرمة: أما إنكم و إن كنتم

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۱۰)، الإصابة الترجمة رقم (۳۵۸۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۳۲۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸۹

تجدون فى عداوتنا قبل اليوم مقالا فلستم اليوم بأشد على من ترك هذا الدين، و لا أعدى منا. فقال لهم عمر رضى الله عن جميعهم، و

الله ما قلت الذى بلغكم إلا نصيحة لمن سبقكم بالإسلام، و تحريا للعدل فيما بينكم و بين من هو أفضل منكم.

قال سهيل: فإن كنتم إنما فضلتمونا بالجهاد فى سبيل الله، فو الله لنستكثرن منه، أشهدكم أنى حبيس فى سبيل الله.

و قال الحارث بن هشام: و أنا أشهدكم أنى حبيس فى سبيل الله، و الله لأنفقن مكان كل نفقة أنفقتها على حرب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، نفقتين فى سبيل الله، و لأنفقن مكان كل موقف وقفته على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، موقفين على أعداء الله. و قال عكرمة: و أنا أشهدكم أنى حبيس فى سبيل الله.

فقال أبو بكر رضى الله عنه: اللهم أبلغ بهم أفضل ما يأملون، و اجزهم بأحسن ما يعملون، فقد أصبتم فيما صنعتم، فأرشدكم الله. فلما خرجوا من عنده أقبل سهيل على أصحابه، و كان شريفا عاقلا، فقال لهم: لا تجزعوا مما ترون، فإنهم دعوا و دعينا، فأجابوا و أبطأنا، و لو ترون فضائل من سبقكم إلى الإسلام عند الله عليكم ما نفعكم عيش، و ما من أعمال الله عمل أفضل من الجهاد فى سبيل الله، فانطلقوا حتى تكونوا بين المسلمين و بين عدوهم، فتجاهدوهم دونهم حتى تموتوا، فلعلنا أن نبلغ فضل المجاهدين، فخرجوا حينئذ إلى جهاد الروم. قال: فبلغنى أنهم ماتوا مقترنين بين المسلمين و بين الروم، رضى الله عنهم.

ثم دعا أبو بكر، عمرو بن العاص، فقال: يا عمرو، هؤلاء أشراف قومك يخرجون مجاهدين، فاخرج فعسكر حتى أندب الناس معك، فقال: يا خليفة رسول الله، أ لست أنا الوالى على الناس؟ قال: نعم، أنت الوالى على من أبعثه معك من هاهنا، قال: لا، بل وال على من أقدم عليه من المسلمين، قال: لا و لكنك أحد الأمراء، فإن جمعتكم حرب فأبو عبيدة أميركم، فسكت عنه، ثم خرج فعسكر، و اجتمع إليه ناس كثير، و كان معه أشراف قريش أولئك، فلما حضر خروجه جاء إلى عمر، فقال: يا أبا حفص، إنك قد عرفت بصرى بالحرب، و تيمن نقيبتى فى الغزو، و قد رأيت منزلتى عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و قد علمت أن أبا بكر ليس يعصيك، فأشر عليه أن يولينى أمر هذه الجنود التى بالشام، فإنى أرجو أن يفتح الله على يدى هذه البلاد، و أن يريكم و المسلمين من ذلك ما تسرون به.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹۰

فقال له عمر: لا أكذبك، ما كنت لأكلمه فى ذلك، لأنه لا يوافقنى أن يبعثك على أبى عبيدة، و أبو عبيدة أفضل منزلة عندنا منك، قال: فإنه لا ينقص أبا عبيدة شيئا من فضله أن ألى عليه، فقال له: ويحك يا عمرو، إنك و الله ما تطلب بهذه الرئاسة إلا شرف الدنيا، فاتق الله و لا تطلب بشىء من سعيك إلا وجه الله، و اخرج فى هذا الجيش، فإنك إن يكن عليك أمير فى هذه المرة فما أسرع ما تكون إن شاء الله أميرا ليس فوقك أحد، فقال: قد رضيت.

فخرج و استتب له المسير، فلما أراد الشخوص خرج معه أبو بكر يشيعه، و قال: يا عمرو، إنك ذو رأى و تجربة للأمور، و بصر بالحرب، و قد خرجت فى أشراف قومك، و رجال من صالحاء المسلمين، و أنت قادم على إخوانك فلا تألوهم نصيحة و لا تدخر عنهم صالح مشورة، فرب رأى لك محمود فى الحرب، مبارك فى عواقب الأمور. فقال له عمرو: ما أخلق أن أصدق ظنك و لأفنك رأيك، ثم ودعه و انصرف عنه، فقدم الشام، فعظم غناؤه و بلاؤه عند المسلمين.

و كتب أبو بكر رحمه الله، إلى أبى عبيدة: أما بعد، فقد جاءنى كتابك تذكر فيه تيسر عدوكم لمواقعتكم، و ما كتب به إليهم ملكهم من عدته إياهم أن يمدهم من الجنود بما تضيق به الأرض الفضاء، و لعمر الله لقد أصبحت الأرض ضيقة عليه برحبها، و ايم الله ما أنا بيائس أن تزيلوه من مكانه الذى هو به عاجلا إن شاء الله تعالى، فبث خيلك فى القرى و السواد، و ضيق عليهم بقطع الميرة، و لا تحاصر المدائن حتى يأتيك أمرى، فإن ناهضوك فانهض إليهم، و استعن بالله عليهم، فإنه ليس يأتيهم مدد إلا أمددناكم بمثلهم أو ضعفهم، و ليس بكم و الحمد لله قلة و لا ذلة، و لأعرفن ما جبنتم عنهم، فإن الله فاتح لكم، و مظهركم على عدوكم، و معزكم بالنصر، و ملتمس منكم الشكر، لينظر كيف تعملون، و عمرو فأوصيك به خيرا، فقد أوصيته أن لا يضيع لك حقا، و السلام عليك.

و جاء عمرو بالناس حتى نزل بأبى عبيدة، و كان عمرو فى مسيره ذلك إلى الشام، فيما حدث به عمرو بن شعيب، يستنفر من مر بهم

من الأعراب، قال: فتبعه منهم ناس کثیر، فلما اجتمعوا هم و من کان قدم بهم معه من المدینة، کانوا نحوا من ألفین، فلما قدم بهم علی أبی عبیدة سر بهم هو و الناس الذین معه، و استأنس بهم، و کان عمرو ذا رأی فی الحرب و بصر بالأشیاء، فقال له أبو عبیدة: أبا عبد الله، رب یوم شهدته فبورک للمسلمین فیه برأیک و محضرک، إنما أنا رجل منکم، لست و إن کنت الوالی علیکم بقاطع

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۹۱

أمرا دونکم، فأحضرنی رأیک فی کل یوم بما تری، فإنه لیس بی عنکم غنی. فقال له:

أفعل، و الله یوفقک لما یصلح المسلمین.

و قال سهل بن سعد: ما زال أبو بکر رحمه الله تعالی، یبعث الأمراء إلی الشام، أمیرا أمیرا، و یبعث القبائل، قبیلة قبیلة، حتی ظن أنهم قد اکتفوا، و أنهم لا یریدون أن یزدادوا رجلا.

و ذکر أبو جعفر الطبری «۱»، عن محمد بن إسحاق: أن تجهیز أبی بکر الجیوش إلی الشام کان بعد قفوله من الحج سنة اثنتی عشرة، و أنه حینئذ بعث عمرو بن العاص قبل فلسطین.

و ذکر فی تولیة أبی بکر خالد بن سعید بن العاص جند الشام، و تأخیره عن ذلک قبل نفوذه نحوا مما تقدم.

و ذکر أیضا من طریق آخر أن تولیته إیاه إنما کان علی ربع من ذلک الجند.

و قیل: إن أبا بکر رضی الله عنه، جعله ردءا بتیماء، و أمره أن لا یبرحها، و أن یدعو من حوله بالانضمام إلیه، و أن لا یقبل إلا ممن لم یرتد، و لا یقاتل إلا من قاتله حتی یأتیه أمره. فأقام، فاجتمعت إلیه جموع کثیرة، و بلغ الروم عظیم ذلک العسکر، فضربوا علی العرب الضاحیة بالشام البعوث إلیهم، فکتب خالد بن سعید بذلک إلی أبی بکر، فکتب إلیه أبو بکر، رضی الله عنه: أن أقدم و لا تحجم و استنصر الله «۲».

فصار إلیهم خالد، فلما دنا منهم تفرقوا و أعروا منزلهم، فنزله و دخل من کان تجمع له فی الإسلام. و کتب بذلک إلی أبی بکر، فکتب إلیه أبو بکر رضی الله عنه: أقدم و لا تقتحمن حتی لا تؤتی من خلفک. فسار فیمن کان خرج معه من تیماء و فیمن لحق به من طرف الرمل، فسار إلیه بطریق من بطارقة الروم، یدعی باهان، فهزمه و فل جنده، و کتب بذلک إلی أبی بکر، و استمده، و قد قدم علی أبی بکر أوائل مستنفری الیمن، و من بین مکة و الیمن، فساروا فقدموا علی خالد بن سعید، و عند ذلک اهتاج أبو بکر للشام و عناه أمره.

و قد کان أبو بکر رد عمرو بن العاص علی عمالته التی کان رسول الله صلی اللّٰه علیه و سلم، ولاه

---

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۳۸۷).

(۲) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۳۸۸- ۳۸۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۹۲

إیاها من صدقات سعد و عذرة و ما کان معها قبل ذهابه إلی عمان، فخرج إلی عمان من عند رسول الله صلی اللّٰه علیه و سلم، و هو علی عدة من عمله إذا هو رجع، فأنجز له ذلک أبو بکر، ثم کتب إلیه أبو بکر عند اهتیاجه للشام: إنی کنت قد رددتک علی العمل الذی کان رسول الله صلی اللّٰه علیه و سلم، و لاکه مرة و سماه لک أخری إذ بعثک إلی عمان إنجازا لموعد رسول الله صلی اللّٰه علیه و سلم، فقد ولیته ثم ولیته، و قد أحببت أبا عبد الله أن أفرغک لما هو خیر لک فی حیاتک و معادک منه، إلا أن یکون الذی أنت فیه أحب إلیک. فکتب إلیه عمرو: إنی سهم من سهام الإسلام، و أنت بعد الله الرامی بها، و الجامع لها، فانظر أسرها و أحسنها و أفضلها فارم به شیئا إن جاءک من ناحیة من النواحی «۱».

و کتب أبو بکر رضی الله عنه، إلی الولید بن عقبة بنحو ذلک، فأجابه بإیثار الجهاد.

و عن أبی أمامة الباهلی «۲»، قال: کنت ممن سرح أبو بکر رضی الله عنه، مع أبی عبیدة، و أوصانی به و أوصاه بی، فکانت أول وقعة بالشام یوم العربة، ثم یوم الداثنة، و لیسا من الأیام العظام، خرج ستة قواد من الروم مع کل قائد خمسمائة، فکانوا ثلاثة آلاف، فأقبلوا حتی انتهوا إلی العربة، فبعث یزید بن أبی سفیان إلی أبی عبیدة یعلمه، فبعثنی إلیه فی خمسمائة، فلما أتیته بعث معی رجلا فی خمسمائة، فلما رأیناهم یعنی الروم و قوادهم أولئک، حملنا علیهم فهزمناهم و قتلنا قائدا من قوادهم، ثم مضوا و اتبعناهم، فجمعوا لنا بالداثنة، فسرنا إلیهم، فقدمنی یزید و صاحبی فی عدتنا، فهزمناهم، فعند ذلک فزعوا و اجتمعوا و أمدهم ملکهم.

و ذکر ابن إسحاق عن صالح بن کیسان أن عمرو بن العاص خرج حتی نزل بعمر العربات، و نزلت الروم بثنیة جلق بأعلی فلسطین فی سبعین ألفا علیهم تذارق أخو هرقل لأبیه و أمه، فکتب عمرو إلی أبی بکر یستمده، و خرج خالد بن سعید بن العاص و هو بمرج الصفر من أرض الشام فی یوم مطیر یستمطر فیه فتعادی علیه أعلاج الروم فقتلوه، و قیل أتاهم أذریجا فی أربعة آلاف و هم غازون فاستشهد خالد بن سعید و عدة من المسلمین.

قال أبو جعفر الطبری «۳»: قیل إن المقتول فی هذه الغزوة ابن لخالد بن سعید، و أن خالدا انحاز حین قتل ابنه.

---

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۳۸۹).

(۲) اسمه: صدی بن عجلان. انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۸۸۲)، الإصابة الترجمة رقم (۹۵۴۶)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۶۹۵).

(۳) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۳۹۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۹۳

و ذکر سیف أن الولید بن عقبة لما قدم علی خالد بن سعید فسانده، و قدمت جنود المسلمین الذین کان أبو بکر أمده بهم، و بلغه عن الأمراء، یعنی أمراء المسلمین الذین أمدهم أبو بکر، و توجههم إلیه، اقتحم علی الروم طلب الحظوة، و أعری ظهره، و بادر الأمراء لقتال الروم، و استطرد له باهان، فأرز هو و من معه إلی دمشق، و اقتحم خالد فی الجیش و معه ذو الکلاع و عکرمة و الولید حتی ینزل المرج، مرج الصفر، ما بین الواقوصة و دمشق، فانطوت مسالح باهان علیه، و أخذوا علیه الطرق و لا یشعر، و زحف له باهان فوجد ابنه سعید بن خالد یستمطر فی الناس، فقتلوهم. و أتی الخبر خالدا، فخرج هاربا فی جریدة خیل، و لم ینته بخالد الهزیمة عن ذی المروة، و أقام عکرمة فی الناس ردءا لهم، فرد عنهم باهان و جنوده أن یطلبوهم، و أقام من الشام علی قریب.

و ذکر ابن إسحاق مسیر الأمراء و منازلهم، و أن یزید بن أبی سفیان نزل البلقاء، و نزل شرحبیل بن حسنة الأردن، و یقال: بصری، و نزل أبو عبیدة الجابیة.

و عن غیر ابن إسحاق أنه لما نزل أبو عبیدة بالجابیة کتب إلی أبی بکر الصدیق رضی الله عنه، منها: أما بعد، فإن الروم و أهل البلد، و من کان علی دینهم من العرب قد أجمعوا علی حرب المسلمین، و نحن نرجو النصر، و إنجاز موعود الرب تبارک و تعالی، و عادته الحسنی، و أحببت إعلامک ذلک لترینا رأیک.

فقال أبو بکر رحمه الله: و الله لأنسین الروم وساوس الشیطان بخالد بن الولید. و کان خالد إذ ذاک یلی حرب العراق، فکتب إلیه أبو بکر:

أما بعد، فدع العراق و خلف فیه أهله الذین قدمت علیهم و هم فیه، و امض متخفیا فی أهل القوة من أصحابک الذین قدموا معک العراق، من الیمامة، و صحبوک فی الطریق، و قدموا علیک من الحجاز، حتی تأتی الشام، فتلقی أبا عبیدة و من معه من المسلمین، فإذا التقیتم فأنت أمیر الجماعة، و السلام.

و یروی أنه کان فیما کتب إلیه به: «أن سر حتی تأتی جموع المسلمین بالیرموک، فإنهم قد شجوا و أشجوا، و إیاک أن تعود لمثل ما

فعلت، فإنه لم يشج الجموع بعون الله سبحانه، أحد من الناس إشجاءك، و لم ينزع الشجاء أحد من الناس نزعك، فلتهنئك أبا سليمان النعمة و الحظوة، فأتمم يتمم الله لك، و لا يدخلنك عجب فتخسر و تخذل، و إياك أن تدل بعمل، فإن الله تعالى، له المن، و هو ولى الجزاء» «۱».

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۸۴- ۳۸۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹۴

و وافى خالدا كتاب أبى بكر هذا و هو بالحيرة «۱»، منصرفا من حجة حجها مكتتما بها، و ذلك أنه لما فرغ من إيقاعه بالروم و من انضوى إليهم مغيثا لهم من مسالح فارس بالفراض، و الفراض تخوم الشام و العراق و الجزيرة، أقام بالفراض عشرا، ثم أذن بالقفل إلى الحيرة لخمس بقين من ذى القعدة، و أمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم، و أمر شجرة بن الأعز أن يسوقهم، و أظهر خالد أنه فى الساقة. و خرج من الحيرة و معه عدة من أصحابه يعتسف البلاد حتى أتى مكة بالسمت فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل و لا رئبال فسار طريقا من طريق الجزيرة، لم ير طريقا أعجب منه، فكانت غيبته عن الجند يسيرة، ما توافى إلى الحيرة آخرهم حتى وافاهم مع صاحب الساقة الذى وضعه، و قدما معا، و خالد و أصحابه محلقون، و لم يعلم بحجه إلا من أفضى إليه بذلك من الساقة، و لم يعلم أبو بكر رحمه الله، بذلك إلا بعد، فهو الذى يعنيه بما تقدم فى كتاب إليه من معاتبته إياه «۲».

و قدم على خالد بالكتاب عبد الرحمن بن حنبل الجمحى، فقال له خالد قبل أن قرأ كتابه: ما وراءك؟ فقال: خير، تسير إلى الشام. فشق عليه ذلك و قال: هذا عمل عمر، نفس علىّ أن يفتح الله على العراق.

و كانت الفرس قد هابوه هيبة شديدة، و كان خالد إذا نزل بقوم من المشركين عذابا من عذاب الله عليهم، و ليثا من الليوث.

فلما قرأ كتاب أبى بكر و رأى أنه قد ولاه على أبى عبيدة و على الشام، كأن ذلك سخا بنفسه. و قال: أما إذ ولانى، فإن فى الشام من العراق خلفا، فقام إليه النسير بن ديسم العجلى، و كان من أشراف بنى عجل و فرسان بكر بن وائل، و من رءوس أصحاب المثنى بن حارثة، فقال لخالد: أصلحك الله، و الله ما جعل الله فى الشام من العراق خلفا، للعراق أكثر حنطة و شعيرا و ديباجا و حريرا و فضة و ذهبا، و أوسع سعة، و أعرض عرضا، و الله ما الشام كله إلا كجانب من العراق، فكره المثنى مشورته عليه، و كان يحب أن يخرج عن العراق و يخليه و إياها.

---

(۱) الحيرة: قال الهمدانىّ: سار تبع أبو كرب فى غزوته فلما أتى موضع الحيرة خلف هنالك مالك بن فهم بن غنم بن دوس على أثقاله و خلف معه من ثقل من أصحابه فى نحو اثنى عشر ألفا و قال: تحيروا هذا الموضع، فسمى الموضع الحيرة، فما لك أول ملوك الحيرة و أبوهم. و كانت الحيرة على ثلاثة أميال من الكوفة، و الحيرة على النجف، و النجف كان على ساحل البحر الملح، و كان فى سالف الدهر يبلغ الحيرة. انظر: الروض المعطار (۲۰۷).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۸۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹۵

فقال خالد: إن بالشام أهل الإسلام، و قد تهيأت لهم الروم و تيسرت، فإنما أنا مغيث و ليس لهم متركك، فكونوا أنتم هاهنا على حالكم التى كنتم عليها، فإن نفرغ مما أشخصنا إليه عاجلا عجلنا إليكم، و إن أبطأت رجوت أن لا تعجزوا و لا تهنوا، و ليس خليفة رسول الله بتاركك إمدادكم بالرجال حتى يفتح الله عليكم هذه البلاد إن شاء الله تعالى.

و يروى أن أبا بكر أمر خالدا بالخروج فى شطر الناس، و أن يخلف على الشطر الثانى المثنى بن حارثة، و قال له: لا تأخذ مجدا إلا خلفت لهم مجدا، فإذا فتح الله عليكم فارددهم إلى العراق معهم، ثم أنت على عملك.

و أحصی خالد أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فاستأثرهم علی المثنی و ترک للمثنی أعدادهم من أهل الغناء ممن لم یکن له صحبة، ثم نظر فیمن بقی فاختلج من کان قدم علی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، وافدا أو غیر وافد، و ترک للمثنی أعدادهم من أهل الغناء، ثم قسم الجند نصفین.

فقال المثنی: و الله لا أقیم إلا علی إنفاذ أمر أبی بکر کله فی استصحاب نصف الصحابة، و إبقاء النصف أو بعض النصف، فو الله ما أرجو النصر إلا بهم، فأنی تعرینی منهم؟ فلما رأی ذلک خالد بعد ما تلکأ علیه أعاضه منهم حتی رضی، و کان فیمن أعاضه منهم فرات بن حیان العجلی و بشیر بن الخصاصیة و الحارث بن حسان الذهلیان و معبد بن أم معبد الأسلمی و بلال بن الحارث المزنی و عاصم بن عمرو التمیمی، حتی إذا رضی المثنی و أخذ حاجته انحدر خالد فمضی لوجهه، و شیعه المثنی إلی قراقر، فقال له خالد: انصرف إلی سلطانک غیر مقصر و لا ملوم و لا وان «۱».

و ذکر الطبری «۲» أن خالدا رحمه الله، لما أراد المسیر إلی الشام دعا بالأدلة فارتحل من الحیرة سائرا إلی دومة، ثم ظعن فی البر إلی قراقر، ثم قال: کیف لی بطریق أخرج فیه من وراء جموع الروم؟ فإنی إن استقبلتها حبستنی عن غیاث المسلمین، فکلهم قال: لا نعرف إلا طریقا لا تحمل الجیوش، فإیاک أن تغرر بالمسلمین، فعزم علیه، و لم یجبه إلی ذلک إلا رافع بن عمیرة علی تهیب شدید، فقام فیهم فقال: لا یختلفن هدیکم و لا تضعفن تعبئتکم، و اعلموا أن المعونة تأتی علی قدر النیة، و الأجر علی قدر الحسبة، و أن المسلم لا ینبغی له أن یکترث لشیء یقع فیه مع معونة الله له. فقالوا له: أنت رجل قد جمع الله لک الخیر فشأنک، فطابقوه و نووا و احتسبوا.

---

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۴۱۱).

(۲) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۴۰۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۹۶

و ذکر غیر الطبری أن خالدا حین أراد المسیر إلی الشام قال له محرز بن حریش، و کان یتجر بالحیرة، و یسافر إلی الشام: اجعل کوکب الصبح علی حاجبک الأیمن، ثم أمه حتی تصبح، فإنک لا تجور. فجرب ذلک فوجده کذلک.

ثم أخذ فی السماوة حتی انتهی إلی قراقر ففوز من قراقر إلی سوی، و هما منزلان بینهما خمس لیال، فلم یهتدوا للطریق، فدل علی رافع بن عمیرة الطائی، فقال: خفف الأثقال و اسلک هذه المفازة إن کنت فاعلا، فکره خالد أن یخلف أحدا، فقال: قد أتانی أمر لا بد من إنفاذه، و أن نکون جمیعا. قال: فو الله إن الراکب المنفرد لیخافها علی نفسه، ما یسلکها إلا مغررا، فکیف أنت بمن معک؟ قال: إنه لا بد من ذلک، فقد أتتنی عزیمة، قال: فمن استطاع منکم أن یصر أذن راحلته علی ماء فلیفعل، فإنها المهالک إلا ما وقی الله، ثم قال لخالد: ابغنی عشرین جزورا عظاما سمانا مسان. فأتاه بهن، فظمأهن حتی إذا أجهدهن عطشا سقاهن حتی أرواهن، ثم قطع مشافرهن، ثم کعمهن «۱»، ثم قال لخالد: سر بالخیول و الأثقال، فکلما نزل منزلا نحر من تلک الشرف أربعا فافتض ماءهن فسقاه الخیول، و شرب الناس مما تزودوا حتی إذا کان آخر ذلک قال خالد لرافع: ویحک ما عندک یا رافع؟ فقال: أدرکک الرأی إن شاء الله، انظروا، هل تجدون شجرة؟ هو شج علی ظهر الطریق، قالوا: لا، قال: إنا لله إذا و الله هلکت و أهلکت، لا أبا لکم انظروا، فنظروا فوجدوها، فکبروا و کبر و قال: أحفروا فی أصلها، فاحتفروا، فوجدوا عینا، فشربوا و ارتووا، فقال رافع: و الله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة مع أبی و أنا غلام.

و قال راجز من المسلمین:

لله در رافع أنی اهتدیفوز من قراقر إلی سوی

أرضا إذا ما سارها الجیش بکیما سارها من قبله إنس أری

لکن بأسباب متینات الهدینکبها الله بنیات الردی «۲» و عن عبد الله بن قرط الثمالیّ قال: لما خرج خالد من عین التمر «۳» مقبلا إلی

الشام کتب إلی المسلمین مع عمرو بن الطفیل بن عمرو الأزدی، و هو ابن ذی النور: أما بعد، فإن کتاب خلیفة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، أتانی، فأمرنی بالمسیر إلیکم، و قد شمرت و انکمشت، و کأن قد أظلت علیکم خیلی و رجالی، فأبشروا بإنجاز موعود الله، و حسن ثواب الله،

---

(۱) کعمهن: أی شد أفواههن.

(۲) انظر الأبیات فی: تاریخ الطبری (۳/ ۴۱۶).

(۳) راجع خبر عین التمر فی: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۱۰۷)، تاریخ الطبری (۳/ ۳۷۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۹۷

عصمنا الله و إیاکم بالیقین، و أثابنا أحسن ثواب المجاهدین، و السلام علیکم.

و کتب معه إلی أبی عبیدة: أما بعد، فإنی أسأل الله تعالی لنا و لک الأمن یوم الخوف و العصمة فی دار الدنیا من کل سوء، و قد أتانی کتاب خلیفة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، یأمرنی بالمسیر إلی الشام، و بالقیام علی جندها، و التوالی لأمرها، و الله ما طلبت ذلک قط، و لا أردته، إذ ولیته، فأنت علی حالتک التی کنت لا نعصیک و لا نخالفک و لا نقطع أمرا دونک، فإنک سید المسلمین، لا ننکر فضلک، و لا نستغنی عن رأیک، تمم الله ما بنا و بک من إحسان، و رحمنا و إیاک من صلی النار، و السلام علیک و رحمة الله.

قال: فلما قدم علینا عمرو بن الطفیل «۱»، قرأ کتاب خالد علی الناس و هم بالجابیة، و دفع إلی أبی عبیدة کتابه، فقرأه، فقال: بارک الله لخلیفة رسول الله فیما رأی وحیی الله خالدا.

قال: و شق علی المسلمین أن ولی خالد علی أبی عبیدة، و لم أره علی أحد أشد منه علی بنی سعید بن العاص، و إنما کانوا متطوعین حبسوا أنفسهم فی سبیل الله حتی یظهر الله الإسلام. فأما أبو عبیدة فإنا لم نتبین فی وجهه و لا فی شیء من منطقة الکراهة لأمر خالد.

و عن سهل بن سعد أن أبا بکر کتب إلی أبی عبیدة، رضی الله عنهما: أما بعد، فإنی قد ولیت خالدا قتال العدو بالشام فلا تخالفه و اسمع له و أطع أمره، فإنی لم أبعثه علیک أن لا تکون عندی خیرا منه، و لکنی ظننت أن له فطنة فی الحرب لیست لک، أراد الله بنا و بک خیرا، و السلام.

ثم إن خالدا خرج من عین التمر حتی أغار علی بنی تغلب و النمر بالبسر فقتلهم، و هزمهم، و أصاب من أموالهم طرفا. قال: و إن رجلا منهم لیشرب من شراب له فی جفنة، و هو یقول:

ألا عللانی قبل جیش أبی بکرلعل منایانا قریب و ما ندری فما هو إلا أن فرغ من قوله، حتی شد علیه رجل من المسلمین فضرب عنقه، فإذا رأسه فی الجفنة.

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۱۹۵۱)، الإصابة الترجمة رقم (۵۸۹۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۹۶۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۹۸

و عن عدی بن حاتم قال «۱»: غزونا، یعنی مع خالد، علی أهل المصیخ، و إذا رجل من النمر یدعی حرقوص بن النعمان، حوله بنوه و امرأته، و بینهم جفنة من خمر، و هم علیها عکوف یقولون له: و من یشرب هذه الساعة فی أعجاز اللیل؟ فقال: اشربوا شرب وداع، فما أری أن تشربوا خمرا بعدها أبدا، هذا خالد بالعین و قد بلغه جمعنا و لیس بتارکنا:

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهرو قبل انتقاض القوم بالعسکر الدثر

و قبل منایانا المصیبة بالقدرلحین لعمری لا یزید و لا یحری فسبق إلیه و هو فی ذلک بعض الخیل، فضرب رأسه، فإذا هو فی جفنته، فأخذنا بناته و قتلنا بنیه.

و فی کتاب سیف قال «۲»: و لما بلغ غسان خروج خالد علی سوی و انتسافها، و إغارته علی مصیخ بهراء و انتسافها، اجتمعوا بمرج راهط، و بلغ ذلک خالدا و قد خلف ثغور الشام و جنودها مما یلی العراق، فصار بینهم و بین الیرموک صمد لهم، فخرج من سوی بعد ما رجع إلیها بسبی بهراء فنزل علمین علی الطریق، ثم نزل الکثیب، حتی سار إلی دمشق، ثم مرج الصفر، فلقی علیه غسان، و علیهم الحارث بن الأیهم، فانتسف عسکرهم و نزل بالمرج أیاما، و بعث إلی أبی بکر بالأخماس، ثم خرج من المرج حتی نزل میاه بصری، فکانت أول مدینة افتتحت بالشام علی یدی خالد فیمن معه من جنود العراق، و خرج منها فوافی المسلمین بالواقوصة.

و عن غیر سیف أن خالدا أغار علی غسان فی یوم فصحهم، فقتل و سبی، و خرج علی أهل الغوطة حتی أغار علیهم، فقتل ما شاء و غنم، ثم إن العدو دخلوا دمشق فتحصنوا، و أقبل أبو عبیدة، و کان بالجابیة مقیما، حتی نزل معه بالغوطة، فحاصر أهل دمشق.

و عن قیس بن أبی حازم قال: کان خرج مع خالد من بجیلة و عظمهم أحمس نحو من مائتی رجل و من طیئ نحو من مائة و خمسین.

قال: و کان معنا المسیب بن نجیبة، فی نحو مائتی فارس من بنی ذبیان، و کان یعنی خالدا، فی نحو من ثلاثمائة من المهاجرین و الأنصار، فکان أصحابه الذین دخلوا معه

---

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۳۸۲).

(۲) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۴۱۰- ۴۱۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۹۹

الشام ثمانمائة و خمسین رجلا کلهم ذو نیة و بصیرة، لأنه کان یقحمهم أمورا یعلمون أنه لا یقوی علی ذلک إلا کل قوی جلد، فأقبل بنا حتی مر بأرکة، فأغار علیها، و أخذ الأموال، و تحصن منه أهلها، فلم یبارحهم حتی صالحهم.

قال: و مر بتدمر «۱»، فتحصنوا منه، فأحاط بهم من کل جانب، و أخذهم من کل مأخذ، فلم یقدر علیهم، فلما لم یطقهم ترحل عنهم، و قال لهم حین أراد أن یرتحل، فیما روی عن عبد الله بن قرط: و الله لو کنتم فی السحاب لاستنزلناکم و ظهرنا علیکم، ما جئناکم إلا و نحن نعلم أنکم ستفتحون علینا، و إن أنتم لم تصالحوا هذه المرة لأرجعن إلیکم لو قد انصرفت من وجهی هذا ثم لا أرحل عنکم حتی أقتل مقاتلتکم و أسبی ذراریکم.

فلما فصل قال علماؤهم، و اجتمعوا: إنا لا نری هؤلاء القوم إلا الذین کنا نتحدث أنهم یظهرون علینا، فافتحوا لهم، فبعثوا إلی خالد فجاء، ففتحوا له و صالحوه.

و عن سراقة بن عبد الأعلی بن سراقة: أن خالدا فی طریقه ذلک مر علی حوران فهابوه، فتحرز أکثرهم منه، و أغار علیهم، فاستاق الأموال و قتل الرجال و أقام علیهم أیاما، فبعثوا إلی ما حولهم لیمدوهم، فأمدوهم من مکانین: من بعلبک، و هی أرض دمشق، و من قبل بصری، و بصری مدینة حوران، و هی من أرض دمشق أیضا.

فلما رأی المددین قد أقبلا خرج فصف بالمسلمین، ثم تجرد فی مائتی فارس، فحمل علی مدد بعلبک «۲» و هم أکثر من ألفین فما وقفوا حتی انهزموا، فدخلوا المدینة، ثم انصرف یوجف فی أصحابه وجیفا، حتی إذا کان بحذاء بصری، و إنهم لأکثر من الفین، حمل علیهم فما ثبتوا له فواقا حتی هزمهم، فدخلوا المدینة، و خرج أهل المدینة فرموا المسلمین بالنشاب، فانصرف عنهم خالد و أصحابه، حتی إذا کان من الغد خرجوا إلیه لیقاتلوه، فعجزوا و أظهر الله علیهم المسلمین، فصالحوهم.

و قال عمرو بن محصن: حدثنی علج من أهل حوران «۳» کان یشجع، قال: و الله

---

(۱) تدمر: من مدن الشام بالبریة، أولیة یقال إن الجن بنتها لسلیمان علیه السلام. و من حلب إلیها خمسة أیام و کذلک من دمشق إلیها، و کذا من الرقة إلیها، و کذا من الرحبة إلیها. انظر: الروض المعطار (۱۳۱)، معجم ما استعجم (۱/ ۳۰۷).

(۲) بعلبک: مدينة بالشام بينها و بين دمشق فى جهة الشرق مرحلتان، و هى حصينة فى سفح جبل و عليها سور حصين بالحجارة. انظر: الروض المعطار (۱۰۹)، نزهة المشتاق (۱۱۶).

(۳) حوران: جبل بالشام، و حوران أيضا من أعمال دمشق، و مدينتها بصرى، تسير فى صحراء حوران عشرة فراسخ حتى تصل إلى مدينة بصرى. انظر: الروض المعطار (۲۰۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۰۰

لخرجنا إليهم بعد ما جاءنا مدد أهل بعلبک و أهل بصرى بيوم، فلخرجنا و إنا لأكثر من خالد و أصحابه بعشرة أضعافهم و أكثر، فما هو إلا أن دنونا منهم، فثاروا فى وجوهنا بالسيوف كأنهم الأسد، فانهزمنا أقبح الهزيمة، و قتلونا شر المقتلة، فما عدنا نخرج إليهم حتى صالحناهم، و لقد رأيت رجلا منا كنا نعده بألف رجل، قال: لئن رأيت أميرهم لأقتلنه، فلما رأى خالدا قيل له: هذا خالد أمير القوم، فحمل عليه، و إنا لنرجو لبأسه أن يقتله، فما هو إلا أن دنا منه، فضرب خالد فرسه، فقدمه عليه، ثم استعرض وجهه بالسيف فأطار قحف رأسه، و دخلنا مدينتنا، فما كان لنا هم إلا الصلح حتى صالحناهم.

و عن قيس بن أبى حازم قال: كنت مع خالد حين مر بالشام، فأقبل حتى نزل بقناة بصرى من أرض حوران، و هى مدينتها، فلما نزلنا و اطمأننا خرج إلينا الدرنجار «۱» فى خمسة آلاف فارس من الروم، فأقبل إلينا و ما يظن هو و أصحابه إلا أنا فى أكفهم، فخرج خالد فصفنا، ثم جعل على ميمنتنا رافع بن عميرة الطائى، و على ميسرتنا ضرار بن الأزور، و على الرجال عبد الرحمن بن حنبل الجمحى، و قسم خيله، فجعل على شطرها المسيب بن نجية، و على الشطر الآخر رجلا كان معه من بكر بن وائل، و لم يسمه، و أمرهما خالد حين قسم الخيل بينهما أن يرتفعا من فوق القوم عن يمين و شمال، ثم ينصبا على القوم، ففعلا ذلک، و أمرنا خالد أن نزحف إلى القلب، فزحفنا إليهم، و الله ما نحن إلا ثمانمائة و خمسون رجلا، و أربعمائة رجل من مشجعة من قضاعة، استقبلنا بهم يعبوب رجل منهم، فكنا ألفا و مائتين و نيفا.

قال: و كنا نظن أن الكثير من المشركين و القليل عند خالد سواء، لأنه كان لا يملأ صدره منهم شيء، و لا يبالى بمن لقى منهم لجرأته عليهم، فلما دنوا منا شدوا علينا شدتين، فلم نبرح، ثم إن خالدا نادى بصوت له جهورى شديد عال، فقال: يا أهل الإسلام، الشدة، الشدة، احملوا رحمكم الله، عليهم، فإنكم إن قاتلتموهم محتسبين بذلک وجه الله فليس لهم أن يواقفوكم ساعة، ثم إن خالدا شد عليهم، فشددنا معه، فو الله الذى لا إله إلا هو ما ثبتوا لنا فواقا حتى انهزموا، فقتلنا منهم فى المعركة مقتلة عظيمة، ثم اتبعناهم نكردهم «۲» و نصيب الطرف منهم، و نقطعهم عن أصحابهم، ثم نقتلهم، فلم نزل كذلک حتى انتهينا إلى مدينة بصرى، فأخرج لنا أهلها الأسواق، و استقبلوا المسلمين

---

(۱) الدرنجار: أى قائد الروم البيزنطيين.

(۲) نكردهم: أى نطردهم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۰۱

بكل ما يحبون، ثم سألوا الصلح، فصالحناهم، فخرج خالد من فوره ذلک، فأغار على غسان فى جانب من مرج راهط فى يوم فصحهم، فقتل و سبى.

و عن أبى الخزرج الغسانى قال: كانت أمى فى ذلک السبى، فلما رأت هدى المسلمين و صلاحهم و صلاتهم وقع الإسلام فى قلبها فأسلمت، فطلبها أبى فى السبى فعرفها، فجاء المسلمين فقال: يا أهل الإسلام، إنى رجل مسلم، و هذه امرأتى قد أصبتموها، فإن رأيتم أن تصلونى و تحفظوا حقى فتردوا علىّ أهلى فعلتم. فقال لها المسلمون: ما تقولين فى زوجک قد جاء يطلبک و هو مسلم؟ قالت: إن كان مسلما رجعت إليه، و إلا فلا حاجة لى فيه، و لست براجعة إليه.

وقعة أجنادين

ذكر سعيد بن الفضل و أبو إسماعيل و غيرهما أن خالد بن الوليد لما دخل الغوطة «۱» كان قد مر بثنية فخرعها، و معه راية له بيضاء تدعى العقاب، فسميت بذلك تلك الثنية:

ثنية العقاب، ثم نزل ديرا يقال له: دير خالد لنزوله به، و هو مما يلى باب الشرقى، يعنى من دمشق.

و جاء أبو عبيدة من قبل الجابية، حتى نزل باب الجابية، ثم شنا الغارات فى الغوطة و غيرها، فبينما هما كذلك أتاهما أن وردان صاحب حمص، قد جمع الجموع يريد أن يقتطع شرحبيل بن حسنة و هو ببصرى، و أن جموعا من الروم قد نزلت أجنادين «۲»، و أن أهل البلد و من مروا به من نصارى العرب قد سارعوا إليهم، فأتاهما خبر أفظعهما و هما مقيمان على عدو يقاتلانه، فالتقيا فتشاورا فى ذلك، فقال أبو عبيدة: أرى أن نسير حتى نقدم على شرحبيل قبل أن ينتهى إليه العدو الذى قد صمد صمدة، فإذا اجتمعنا سرنا إليه حتى نلقاه، فقال له خالد: إن جمع الروم هنا بأجنادين، و إن نحن سرنا إلى شرحبيل تبعنا هؤلاء من قريب، و لكن أرى أن نصمد صمد عظمهم، و أن نبعث إلى شرحبيل فنحذره مسير العدو إليه، و نأمره فيوافينا بأجنادين، و نبعث إلى يزيد بن أبى سفيان و عمرو بن العاص فيوافيانا بأجنادين، ثم نناهض عدونا. فقال له أبو عبيدة: هذا رأى حسن، فأمضه على بركة الله.

---

(۱) الغوطة: قيل: هى قصبة دمشق، و قيل: هو موضع متصل بدمشق من جهة باب الفراديس، و طول الغوطة مرحلتان عرض فى عرض مرحلة. انظر: الروض المعطار (۴۳۱).

(۲) أجنادين: بفتح الهمزة و النون و الدال، بعدها ياء و نون على لفظ التثنية، موضع بالشام من بلاد الأردن. انظر: الروض المعطار (۱۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۰۲

و كان خالد مبارك الولاية، ميمون النقيبة، مجربا، بصيرا، بالحرب، مظفرا. فلما أراد الشخوص من أرض دمشق إلى الروم الذين اجتمعوا بأجنادين، كتب نسخة واحدة إلى الأمراء:

أما بعد، فإنه نزل بأجنادين جمع من جموع الروم، غير ذى قوة و لا عدة، و الله قاصمهم و قاطع دابرهم، و جاعل دائرة السوء عليهم، و قد شخصت إليهم يوم سرحت رسولى إليكم، فإذا قدم عليكم فانهضوا إلى عدوكم بأحسن عدتكم و أصح نيتكم، ضاعف الله أجوركم و حط أوزاركم، و السلام.

و وجه بهذه النسخ مع أنباط كانوا مع المسلمين عيونا لهم، و فيوجا «۱» و كان المسلمون يرضخون لهم، و دعا خالد الرسول الذى بعثه منهم إلى شرحبيل، فقال له:

كيف علمك بالطريق؟ قال: أنا أدل الناس بالطريق، قال: فادفع إليه هذا الكتاب، و حذره الجيش الذى ذكر لنا أنه يريده، و خذ به و بأصحابه طريقا تعدل به عن طريق العدو الذى شخص إليه و تأتى به حتى تقدمه علينا بأجنادين. قال: نعم، فخرج الرسول إلى شرحبيل، و رسول آخر إلى عمرو بن العاص، و آخر إلى يزيد بن أبى سفيان.

و خرج خالد و أبو عبيدة بالناس إلى أهل أجنادين، و المسلمون سراع إليهم، جراء عليهم، فلما شخصوا لم يرعهم إلا أهل دمشق فى آثارهم، فلحقوا أبا عبيدة و هو فى أخريات الناس فلما رآهم قد لحقوا به نزل، و أحاطوا به، و هو فى نحو من مائتى رجل من أصحابه، و أهل دمشق فى عدد كثير، فقاتلهم أبو عبيدة قتالا شديدا، و أتى الخبر خالدا و هو أمام الناس فى الفرسان و الخيل، فعطف راجعا، و رجع الناس معه، و تعجل خالد فى الخيل و أهل القوة، و انتهوا إلى أبى عبيدة و أصحابه و هم يقاتلون الروم قتالا حسنا، فحمل الخيل على الروم فدق بعضهم على بعض، و قتلهم ثلاثة أميال حتى دخلوا دمشق، ثم انصرف، و مضى بالناس نحو الجابية، و أخذ يلتفت و

ینتظر قدوم أصحابه علیه.

و مضی رسول خالد إلی شرحبیل، فوافاه و لیس بینه و بین الجیش الذی سار إلیه من حمص «۲» مع وردان إلا مسیرة یوم، و هو لا یشعر، فدفع إلیه الرسول الکتاب، و أخبره الخبر، و استحثه بالشخوص، فقام شرحبیل، فی الناس، فقال: أیها الناس، اشخصوا إلی

---

(۱) فیوج: جمع فج، و هو الحارث أو العداء سریع الجری.

(۲) حمص: مدینة بالشام، و لا یجوز فیها الصرف کما لا یجوز فی هند لأنه اسم أعجمی، سمیت برجل من العمالیق یسمی حمص، و یقال: رجل من عاملة، هو أو من نزلها. انظر: الروض المعطار (۱۹۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۰۳

أمیرکم، فإنه قد توجه إلی عدو المسلمین بأجنادین، و قد کتب إلیّ یأمرنی بموافاته هنالک.

ثم خرج بالناس و مضی بهم الدلیل، و بلغ ذلک الجیش الذی جاء فی طلبهم، فجعل المسیر فی آثارهم، و جاء وردان کتاب من الروم الذین بأجنادین: أن عجل إلینا فإنا مؤمروک علینا و مقاتلون معک العرب حتی تنفیهم من بلادنا. فأقبل فی آثار هؤلاء، رجاء أن یستأصلهم أو یصیب طرفا منهم، فیکون قد نکب طائفة من المسلمین، فأسرع السیر فلم یلحقهم، و جاءوا حتی قدموا علی المسلمین، و جاء وردان فیمن معه حتی وافی جمع الروم بأجنادین، فأمروه علیهم، و اشتد أمرهم.

و أقبل یزید بن أبی سفیان حتی وافی أبا عبیدة و خالدا، ثم إنهم ساروا حتی نزلوا بأجنادین، و جاء عمرو بن العاص فیمن معه، فاجتمع المسلمون جمیعا بأجنادین، و تزاحف الناس غداة السبت.

فخرج خالد، فأنزل أبا عبیدة فی الرجال، و بعث معاذ بن جبل علی المیمنة، و سعید ابن عامر بن حذیم علی المیسرة، و سعید بن زید بن عمرو بن نفیل علی الخیل.

و أقبل خالد یسیر فی الناس، لا یقر فی مکان واحد، یحرض الناس، و قد أمر نساء المسلمین فاحتزمن و قمن وراء الناس یدعون الله و یستغثنه، و کلما مر بهن رجل من المسلمین رفعن أولادهن إلیه و قلن لهم: قاتلوا دون أولادکم و نسائکم.

و أقبل خالد یقف علی کل قبیلة فیقول: اتقوا الله عباد الله، و قاتلوا فی الله من کفر بالله، و لا تنکصوا علی أعقابکم، و لا تهنوا من عدوکم، و لکن أقدموا کإقدام الأسد، أو ینجلی الرعب و أنتم أحرار کرام، قد أوتیتم الدنیا و استوجبتم علی الله ثواب الآخرة، و لا یهولنکم ما ترون من کثرتهم، فإن الله منزل رجزه و عقابه بهم. و قال للناس: إذا حملت فاحملوا.

و قال معاذ بن جبل: یا معشر المسلمین، اشروا أنفسکم الیوم لله، فإنکم إن هزمتموهم الیوم کانت لکم دار السلام أبدا مع رضوان الله و الثواب العظیم من الله.

و کان من رأی خالد مدافعتهم، و أن یؤخر القتال إلی صلاة الظهر، عند مهب الأرواح، و تلک الساعة التی کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، یستحب القتال فیها، فأعجله الروم، فحملوا علی المسلمین مرتین: من قبل المیمنة علی معاذ بن جبل، و من قبل المیسرة علی

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۰۴

سعید بن عامر، فلم یتخلخل أحد منهم، و رموا المسلمین بالنشاب، فنادی سعید بن زید، و کان من أشد الناس: یا خالد علام تستهدف هؤلاء الأعلاج؟ و قد رشقونا بالنشاب حتی شمست الخیل، فقال خالد للمسلمین: احملوا رحمکم الله علی اسم الله، فحمل خالد و الناس بأجمعهم، فما واقفوهم فواقا، و هزمهم الله، فقتلهم المسلمون کیف شاءوا، و أصابوا عسکرهم و ما فیه.

و أصابت أبان بن سعید بن العاص نشابة، فنزعها و عصبها بعمامته، فحمله إخوته، فقال: لا تنزعوا عمامتی عن جرحی فلو قد نزعتموها تبعتها نفسی، أما و الله ما أحب أنها بحجر من جبل الحمر، و هو جبل السماق، فمات منها، یرحمه الله.

و أبلى يومئذ بلاء حسنا، و قاتل قتالا شديدا عظم فيه غناؤه، و عرف به مكانه، و كان قد تزوج أم أبان بنت عتبة بن ربيعة، و بنى عليها، فباتت عنده الليلة التى زحفوا للعدو فى غدها، فأصيب، فقالت أم أبان هذه لما مات: ما كان أغنانى عن ليلة أبان.

و قتل اليعبوب بن عمرو بن ضريس المشجعى يومئذ، سبعة من المشركين، و كان شديدا جليدا، فطعن طعنة كان يرجى أن يبرأ منها، فمكث أربعة أيام أو خمسة ثم انتقضت به فاستأذن أبا عبيدة أن يأذن له إلى أهله، فإن يبرأ رجع إليهم، فأذن له، فرجع إلى أهله بالعمر، عمر المدائن، فمات، يرحمه الله، فدفن هنالك.

و قتل مسلمة بن هشام المخزومى، و نعيم بن عدى بن صخر العدوى، و هشام بن العاص السهمى، أخو عمرو بن العاص، و هبار بن سفيان، و عبد الله بن عمرو بن الطفيل الدوسى، و هو ابن ذى النور، و كان من فرسان المسلمين، فقتلوا يومئذ، يرحمهم الله.

و قتل المسلمون فى المعركة منهم ثلاثة آلاف، و أتبعوهم يأسرونهم و يقتلونهم، فخرج فل الروم بإيلياء و قيسارية و دمشق و حمص فتحصنوا فى المدائن العظام.

و كتب خالد إلى أبى بكر: لعبد الله أبى بكر الصديق، خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، من خالد بن الوليد، سيف الله المصبوب على المشركين، سلام عليك، فإنى أخبرك أيها الصديق أنا التقينا نحن و المشركين و قد جمعوا لنا جموعا بأجنادين، و قد رفعوا صلبهم، و نشروا كتبهم، و تقاسموا بالله لا يفروا حتى يفنونا أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله، فطاعناهم بالرماح شيئا، ثم صرنا إلى السيوف فقارعناهم بها مقدار جزر جزور، ثم إن الله أنزل نصره و أنجز وعده و هزم الكافرين، فقتلناهم فى كل فج و شعب و حائط، فالحمد لله على إعزاز دينه و إذلال عدوه و حسن الصنع لأوليائه، و السلام عليك و رحمة الله.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۰۵

و بعث خالد بكتابه هذا مع عبد الرحمن بن حنبل الجمحى، فلما قرئ على أبى بكر و هو مريض مرضه الذى توفاه الله فيه أعجبه ذلك، و قال: الحمد لله الذى نصر المسلمين، و أقر عينى بذلك.

قال سهل بن سعد: و كانت وقعة أجنادين هذه أول وقعة عظيمة كانت بالشام، كانت سنة ثلاث عشرة، فى جمادى الأولى لليلتين بقيتا منه، يوم السبت نصف النهار، قبل وفاة أبى بكر رضى الله عنه، بأربع و عشرين ليلة.

و ذكر الطبرى «۱» عن ابن إسحاق أن الذى كان على الروم تذارق أخو هرقل لأبيه و أمه، ثم ذكر عنه، عن عروة بن الزبير، أنه قال: كان على الروم رجل منهم يقال له:

القبقلار، و كان هرقل استخلفه على أمراء الشام حين سار إلى القسطنطينية، و إليه انصرف تذارق و من معه من الروم.

قال ابن إسحاق: فأما علماء أهل الشام فيزعمون أنه إنما كان على الروم تذارق، فالله أعلم.

و عنه قال: لما تدانى العسكران بعث القبقلار رجلا عربيا، فقال له: ادخل فى هؤلاء القوم فأقم فيهم يوما و ليلة ثم ائتنى بخبرهم. فدخل فى الناس رجل عربى لا ينكر، فأقام فيهم يوما و ليلة، ثم أتاه فقال له: مه ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان و بالنهار فرسان، و لو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، و لو زنى لرجم، لإقامة الحق فيهم، فقال له القبقلار: لئن كنت صدقتنى لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، و لوددت أن حظى من الله أن يخلى بينى و بينهم، فلا ينصرنى عليهم و لا ينصرهم علي.

ثم تزاحف الناس، فاقتتلوا، فلما رأى القبقلار ما رأى من قتالهم قال للروم: لفوا رأسى بثوب، قالوا له: لم؟ قال: هذا يوم بئيس، ما أحب أن أراه، ما رأيت من الدنيا يوما أشد من هذا. قال: فاحتز المسلمون رأسه، و إنه لملفف.

و عن غير ابن إسحاق قال: ثم إن خالد بن الوليد أمر الناس أن يسيروا إلى دمشق، و أقبل بهم حتى نزلوها، و قصد إلى ديره الذى كان ينزل به، فنزله و هو من دمشق على ميل مما يلى باب الشرقى، و بخالد يعرف ذلك الدير إلى اليوم، و جاء أبو عبيدة حتى نزل على باب الجابية، و نزل يزيد بن أبى سفيان على جانب آخر من دمشق و أحاطوا بها، و حاصروا أهلها حصارا شديدا.

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۴۱۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۰۶

و قدم عبد الرحمن بن حنبل من عند أبی بکر بکتابه إلی خالد، و أتی یزید بن أبی سفیان و معه کان یکون، فقال له یزید: هل لقیت أبی؟ قال: نعم، قال: فهل سألک عنی؟ قال: نعم، قال: فما قلت له؟ قال: قلت له إن یزید حازم الرأی، متواضع فی ولایته، بئیس البأس، محبب فی الإخوان، یبذل ما قدر علیه من فضله. فقال أبو سفیان:

کذلک ینبغی لمثله أن یکون، و طلب إلیّ أن أکتب إلیه بما یکون من أمرنا، و أن أعلمه حالنا، فوعدته ذلک.

قال: فخرج خالد بالمسلمین ذات یوم، فأحاطوا بمدینة دمشق، و دنوا من أبوابها، فرماهم أهلها بالحجارة و رشقوهم من فوق السور بالنشاب، فقال ابن حنبل:

و أبلغ أبا سفیان عنا فإننا علی خیر حال کان جیش یکونها

و أنا علی بابی دمشقة نرتمی و قد حان من بابی دمشقة حینها

وقعة مرج الصفر

«۱» قال: فإن المسلمین لکذلک یقاتلونهم و یرجون فتح مدینتهم إذ أتاهم آت فأخبرهم أن هذا جیش قد جاءکم من قبل ملک الروم، فنهض خالد بالناس علی تعبئته و هیئته، فقدم الأثقال و النساء، و خرج معهن یزید بن أبی سفیان، و وقف خالد و أبو عبیدة من وراء الناس، ثم أقبلوا نحو ذلک الجیش، فإذا هو درنجار بعثه ملک الروم فی خمسة آلاف رجل من أهل القوة و الشدة لیغیث أهل دمشق، فصمد المسلمون صمدهم، و خرج إلیهم أهل القوة من أهل دمشق، و ناس کثیر من أهل حمص، فالقوم نحو من خمسة عشر ألفا، فلما نظر إلیهم خالد عبأ أصحابه کتعبئته یوم أجنادین، فجعل علی میمنته معاذ بن جبل، و علی میسرته هاشم بن عتبة، و علی الخیل سعید بن زید، و أبا عبیدة علی الرجال.

و ذهب خالد فوقف فی أول الصف یرید أن یحرض الناس، ثم نظر إلی الصف من أوله إلی آخره حتی حملت خیل لهم علی خالد بن سعید، و کان واقفا فی جماعة من المسلمین فی میمنة الناس یدعون الله، و یقص علیهم، فحملت طائفة منهم علیه، فقاتلهم حتی قتل رحمه الله، و حمل علیهم معاذ بن جبل من المیمنة فهزمهم، و حمل علیهم خالد

---

(۱) مرج الصفر: بالشام، به کانت وقعة للمسلمین علی نصاری الشام بعد وقعة أجنادین و کان بین الوقعتین عشرون یوما و کان ذلک قبل وفاة أبی بکر رضی الله عنه بأربعة أیام. انظر: الروض المعطار (۵۳۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۰۷

ابن الولید من المیسرة فهزم من یلیه منهم، و حمل سعید بن زید بالخیل علی عظم جمعهم، فهزمهم الله و قتلهم، و اجتث عسکرهم، و رجع الناس، و قد ظفروا و قتلوهم کل قتلة، و ذهب المشرکون علی وجههم، فمنهم من دخل مدینة دمشق مع أهلها، و منهم من رجع إلی حمص، و منهم من لحق بقیصر.

و عن عمرو بن محصن: أن قتلاهم یومئذ و هو یوم مرج الصفر کانت خمسمائة فی المعرکة، و قد تلوا و أسروا نحوا من خمسمائة أخری.

و قال أبو أمامة فیما رواه عنه یزید بن یزید بن جابر: کان بین أجنادین و بین یوم مرج الصفر عشرون یوما. قال: فحسبت ذلک فوجدته یوم الخمیس لاثنتی عشرة لیلة بقیت من جمادی الآخرة، قبل وفاة أبی بکر رضی الله عنه، بأربعة أیام.

ثم إن الناس أقبلوا عودهم علی بدئهم حتی نزلوا دمشق، فحاصروا أهلها و ضیقوا علیهم، و عجز أهلها عن قتال المسلمین، و نزل خالد

منزله الـذى كـان ينزل به على بـاب الشـرقى، و نزل أبو عبيـدة منزله على بـاب الجابيـة، و نزل يزيـد بن أبى سـفيان جانبـا آخر، فكـان المسـلمون يغيرون، فكلمـا أصاب رجل نفلا جاء بنفله حتى يلقيه فى القبض، لا يسـتحل أن يأخـذ منه قليلا و لا كثيرا، حتى إن الرجل منهم ليجىء بالكبـة الغزل أو بالكبـة الصوف أو الشعـر أو المسـلمة أو الإبـرة فيلقيها فى القبض، لا يسـتحل أن يأخـذها، فسأل صاحب دمشق بعض عيونه عن أعمالهم و سـيرتهم، فوصـفهم له بهـذه الصـفة فى الأمانة، و وصـفهم بالصـلاة بالليل و طول القيام، فقال: هؤلاء رهبان بالليل أسد بالنهار، لا و الله ما لى بهؤلاء طاقة، و ما لى فى قتالهم خير.

قال: فراود المسـلمين على الصـلح، فأخذ لا يعطيهم ما يرضيهم، و لا يبايعونه على ما يسأل، و هو فى ذلك لا يمنعه من الصلح و الفراغ إلا أنه قد بلغه أن قيصر يجمع الجموع للمسلمين، يريد غزوهم، فكان ذلك مما يمنعه من تعجيل الصلح.

و على تعبئـة ذلـك بلغ المسـلمين الخبر بوفـاة أبى بكر الصـديق رضـى الله عنه، و اسـتخلافه عمر رضـى الله عنهمـا، و ما تبع ذلك من صرف خالد بأبى عبيدة، حسبما يأتى تفصيله و بيانه إن شاء الله تعالى.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۰۸

ذكر الخبر عن وفاة أبى بكر الصديق رضـى الله عنه، و ما كان من عهده إلى عمر بن الخطاب، جزاهما الله عن دينه الحق أفضـل الجزاء

«۱» قـد تقـدم فى بـدء الردة، و ذكر خلافـة أبى بكر رضـى الله عنه، من هذا الكتاب ما دل على ولاية عمر بعده، من حديث رسول الله صلى اللّه عليه و سـلم كالـذى يروى عن جابر بن عبـد الله أن رسول الله صـلى اللّه عليه و سلم، قال: رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله صـلى اللّه عليه و سـلم، و نيط عمر بأبى بكر، و نيط عثمان بعمر، قال جابر فلما قمنا من عند رسول الله صـلى اللّه عليه و سلم قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله صـلى اللّه عليه و سلم و أما ما ذكر من نوط بعضهم ببعض، فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه.

و عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «بينما أنا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبى قحافة، فنزع منها ذنوبا، أو ذنوبين، و فى نزعه و الله يغفر له ضـعف، ثم اسـتحالت غربا، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر بن الخطاب، حتى ضرب الناس بعطن» «۲».

و اختلف أهل العلم فى السـبب الـذى توفى منه أبو بكر، فـذكر الواقدى أنه اغتسل فى يوم بارد فحم و مرض خمسة عشـر يوما. و قال الزبير بن بكار: كان به طرف من السل.

و قال غيره: أن أصل ابتـداء ذلك السل به الوجد على رسول الله صـلى اللّه عليه و سـلم لما قبضه الله إليه، فما زال ذلك به حتى قضـى منه.

و روى عن سلام بن أبى مطيع أنه رضى الله عنه، سم. و بعض من ذكر ذلك يقول:

أن اليهود سـمته فى أرزة، و قيل فى حريرة، فمات بعد سنة. و قيل له: لو أرسلت إلى الطبيب، فقال: قد رآنى، قالوا: فما قال لك؟ قال: قال: إنى أفعل ما أريد «۳».

---

(۱) راجع الخبر فى: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۲۹)، تاريخ الطبرى (۳/ ۴۱۹)، طبقات ابن سعد (۳/ ۱/ ۱۴۰).

(۲) انظر الحـديث فى: صـحيح البخارى (۵/ ۷، ۹/ ۴۵، ۴۹، ۱۷۱)، صـحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة (۱۷)، السنن الكبرى للبيهقى (۸/ ۱۵۳)، فتـح البـارى لابن حجر (۷/ ۱۹، ۱۲/ ۴۱۴)، مشـكاة المصابيح للتبريزى (۶۰۳۱)، شـرح السنة للبغوى (۱۴/ ۸۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۲۲۶)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۲۷۳)، دلائل النبوة للبيهقى (۶/ ۳۴۴)، السنة لابن أبى عاصم (۱۴/ ۸۹).

(۳) راجع ما ذكره ابن الجوزى فى المنتظم (۴/ ۱۲۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۰۹

و كذلك اختلفوا فى حين وفاته، فقال ابن إسحاق: توفى يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة. و قال غيره من أهل السير: إنه مات عشى يوم الاثنين، و قيل ليلة الثلاثاء و قيل: عشى الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة، و هذا هو الأكثر فى وفاته «۱».

و أوصى أن تغسله زوجه أسماء بنت عميس، فغسلته، و صلى عليه عمر بن الخطاب فى مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و حمل على السرير الذى حمل عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و نزل فى قبره عمر و عثمان و طلحة و ابنه عبد الرحمن بن أبى بكر، و دفن ليلا ـ فى بيت عائشة مع النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و جعل رأسه عند كتفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و ألصقوا لحده بلحده، و جعل قبره مسطحا مثل قبر النبىّ صلى اللّه عليه و سلم ورش عليه بالماء.

و لا يختلفون فى أنه توفى ابن ثلاث و ستين سنة، و أنه استوفى بخلافته بعد الرسول صلوات الله عليه، سن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم التى توفاه الله لها «۲».

و يروى أنه رضى الله عنه، لما احتضر، و ابنته عائشة حاضرة، فأنشدت رضى الله عنها «۳»:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتىإذا حشرجت يوما و ضاق بها الصدر رفع إليها رأسه و قال: لا تقولى هذا يا بنية، أو: ليس هكذا يا بنية، و لكن قولى:

«و جاءت سكرة [الحق بالموت] ذلك ما كنت منه تحيد» «۴»، هكذا قرأها أبو بكر رضى الله عنه.

و قالوا: كان آخر ما تكلم به: رب توفنى مسلما، و ألحقنى بالصالحين.

و قال أبو بكر رضى الله عنه، لعائشة رضى الله عنها، و هو مريض: فى كم كفن

---

(۱) راجع المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۳۰)، تاريخ الطبرى (۳/ ۴۲۱).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۲۱).

(۳) انظر الأبيات فى: العقد الفريد (۵/ ۱۹)، و هذا البيت لحاتم الطائى، راجع ديوانه ص (۵۱).

(۴) ما بين المعقوفتين ورد فى بعض الأصول: «الموت بالحق» و هذا هو المشهور فى القراءات السبع، و قول المصنف هكذا قرأها أبو بكر، يوضح أن أبا بكر قرأها باختلاف عن المشهور، و كذلك أيضا قرأ بها سعيد بن جبير و طلحة و عبد الله بن مسعود، و شعبة، و أبى عمران. انظر: الطبرى (۲۶/ ۱۰۰)، الفراء (۳/ ۷۸)، الكشاف (۴/ ۷)، القرطبى (۱۷/ ۱۲)، النحاس (۳/ ۲۱۷)، مجمع البيان (۹/ ۱۴۳)، زاد المسير (۷/ ۱۹۴)، المحتسب (۵/ ۳۳۷- ۳۳۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۱۰

رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟ فقالت: فى ثلاثة أثواب بيض سحولية. فقال أبو بكر: خذوا هذا الثوب، لثوب عليه قد أصابه مشق أو زعفران فاغسلوه، ثم كفنونى فيه مع ثوبين آخرين. فقالت عائشة: و ما هذا؟ فقال أبو بكر: الحى أحوج إلى الجديد من الميت، و إنما هذا للمهلة.

و لما توفى أبو بكر رحمه الله، ارتجت المدينة بالبكاء، و دهش القوم كيوم قبض النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فأقبل على بن أبى طالب رضى الله عنه، مسرعا باكيا مسترجعا، حتى وقف على باب البيت الذى فيه أبو بكر، و قد سجى بثوب، فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلاما، و أخلصهم إيمانا، و أشدهم يقينا، و أخوفهم لله عز و جل، و أعظمهم غناء، و أحدبهم على الإسلام، و أيمنهم على أصحابه، و أحسنهم صحبة و أفضلهم مناقب، و أكثرهم سوابق، و أرفعهم درجة، و أقربهم من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و

أشبههم به هديا و خلقا و سمتا و فعلا، و أشرفهم منزلة، و أكرمهم عليه، و أوثقهم عند الله، فجزاك الله عن الإسلام و عن رسوله و المسلمين خيرا، صدقت رسول الله حين كذبه الناس، فسماك الله فى كتابه صديقا.

فقال: و الذى جاء بالصدق محمد، و صدق به أبو بكر، و آسيته حين بخلوا، و قمت معه حين عنه قعدوا، و صحبته فى الشدة أكرم الصحبة، ثانى اثنين، و صاحبه فى الغار، و المنزل عليه السكينة، و رفيقه فى الهجرة و مواطن الكريهة، ثم خلفته فى أمته أحسن الخلافة حين ارتد الناس، و قمت بدين الله قياما لم يقم به خليفة نبى قط، قويت حين ضعف أصحابك، و بدرت حين استكانوا، و نهضت حين وهنوا، و لزمت منهاج رسوله إذ هم أصحابه، كنت خليفته حقا، لم تنازع و لم تضرع برغم المنافقين و صغر الفاسقين و غيظ الكافرين و كره الحاسدين، فقمت بالأمر حين فشلوا، و نطقت حين تتعتعوا، و مضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتبعوك، فهدوا، و كنت أخفضهم صوتا، و أعلاهم فوقا، و أقلهم كلاما، و أصوبهم منطقا، و أطولهم صمتا، و أبلغهم قولا، و كنت أكبرهم رأيا، و أشجعهم قلبا، و أحسنهم عملا، و أعرفهم بالأمور، كنت و الله للدين يعسوبا أولا حين تفرق عنه الناس، و آخرا حين أقبلوا، كنت للمؤمنين أبا رحيما إذ صاروا عليك عيالا، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا، و حفظت ما ضيعوا، و رعيت ما أهملوا، و شمرت إذ خنعوا، و علوت إذ هلعوا، و صبرت إذ جزعوا، فأدركت أوتار ما طلبوا و نالوا بك ما لم يحتسبوا، كنت على الكافرين عذابا صبا، و كنت للمسلمين غيثا و خصبا، فطرت و الله بغنائها، و فزت بحبابها، و ذهبت بفضائلها، و أحرزت سوابقها، لم تفلل حجتك، و لم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۱۱

يزغ قلبك، و لم تضعف بصيرتك، و لم تجبن نفسك، و لم تخن، كنت كالجبل الذى لا تحركه العواصف، و لا تزيله القواصف، كنت كما قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: أمن الناس عليه فى صحبتك و ذات يدك، و كما قال: ضعيفا فى بدنك قويا فى أمر الله تعالى متواضعا فى نفسك، عظيما عند الله، جليلا فى الأرض، كبيرا عند المؤمنين، لم يكن لأحد فيك مهمز، و لا لقائل فيك مغمز، و لا لأحد فيك مطمع، و لا عندك هوادة لأحد، الضعيف الذليل عندك قوى عزيز حتى تأخذ له بحقه، و القوى العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق، القريب و البعيد عندك فى ذلك سواء، شأنك الحق و الصدق و الرفق، و قولك حكم و حتم، و رأيك علم و عرف، فأقلعت و قد نهج السبيل، و سهل العسير، و أطفئت النيران، و اعتدل بك الدين، و قوى الإيمان، و ظهر أمر الله و لو كره الكافرون، فسبقت و الله سبقا بعيدا، و أتعبت من بعدك إتعابا شديدا، و فزت بالحق فوزا مبينا، فجللت عن البكاء، و عظمت رزيتك فى السماء، و هدت مصيبتك الأنام، فإنا لله و إنا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه، و سلمنا لله أمره، و لن يصاب المسلمون بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بمثلك أبدا، كنت للدين عزا و كهفا، و للمؤمنين حصنا و فئة و أنسا، و على المنافقين غلظة و غيظا و كظما، فألحقك الله بميتة نبيك صلى اللّه عليه و سلم و لا حرمنا أجرك، و لا أضلنا بعدك، فإنا لله، و إنا إليه راجعون «۱».

و أنصت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكى و بكوا، و قالوا: صدقت يا ابن عم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

---

(۱) انظر الخطبة فى: العقد الفريد (۵/ ۱۹- ۲۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۱۲

استخلاف عمر بن الخطاب

«۱» و تقلد أمر الأمة و خلافة المسلمين بعد أبى بكر صاحبه و رفيقه و ظهيره و وزيره عمر ابن الخطاب رضى الله عنهما، بعهد أبى بكر إليه بذلك، و استخلافه إياه عليه، نظرا للدين، و نصيحة لله و للأمة، و ذلك لما استعز بأبى بكر رضى الله عنه، وجعه، و ثقل، أرسل إلى عثمان و على و رجال من أهل السابقة و الفضل من المهاجرين و الأنصار، فقال:

قد حضر ما ترون، و لا بد من قائم بأمركم يجمع فتكم و يمنع ظالمكم من الظلم، و يرد على الضعيف حقه، فإن شئتم اخترتم

لأنفسکم، و إن شئتم جعلتم ذلک إلیّ، فو الله لا آلوکم و نفسی خیرا. قالوا: قد رضینا من اخترت لنا، قال: فقد اخترت عمر، و قال لعثمان: اکتب: هذا ما عهد أبو بکر فی آخر عهده بالدنیا خارجا منها، و عند أول عهده بالآخرة داخلا فیها، حین یتوب الفاجر و یؤمن الکافر و یصدق الکاذب، عهد أنه یشهد أن لا إله إلا الله و أن وعد الله حق و صدق المرسلون، و أن محمدا رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و خاتم النبیین صلی الله علیه و علی أنبیائه و رسله، و قد استخلفت.

و لما انتهی أبو بکر إلی هذا الموضع ضعف و رهقته غشیة، فکتب عثمان: و قد استخلفت عمر بن الخطاب، و أمسک، حتی أفاق أبو بکر فقال: أ کتبت شیئا؟ قال: نعم، کتبت عمر بن الخطاب، فقال: رحمک الله، أما لو کتبت نفسک لکنت لها أهلا، فاکتب: قد استخلفت عمر بن الخطاب بعدی علیکم، و رضیته لکم، فإن عدل فذلک ظنی به، و رأیی فیه، و ذلک أردت، و ما توفیقی إلا بالله، و إن بدل فلکل نفس ما کسبت و علیها ما اکتسبت، و الخیر أردت، و لا أعلم الغیب، و سیعلم الذین ظلموا أی منقلب ینقلبون.

و التوی عمر رضی الله عنه، علی أبی بکر رحمه الله، فی قبول عهده، و قال: لا أطیق القیام بأمر الناس، فقال أبو بکر لابنه عبد الرحمن: ارفعنی و ناولنی السیف، فقال عمر:

أو تعفینی؟ قال: لا، فعند ذلک قبل.

ذکر هذا کله أبو الحسن المدائنی، و ذکر بإسناد له عن أبی هریرة و غیره أنه لما عهد أبو بکر إلی عمر عهده قال له: یا عمر، إن لله حقا فی اللیل لا یقبله فی النهار، و حقا فی النهار لا یقبله فی اللیل، و لا یقبل نافلة حتی تؤدی الفریضة، و إنه یا عمر إنما ثقلت

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۱۳۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۱۳

موازین من ثقلت موازینه یوم القیامة باتباعهم الحق و خفته علیهم، و حق لمیزان لا یوضع فیه إلا الحق أن یکون ثقیلا، و إنه یا عمر إنما خفت موازین من خفت موازینهم یوم القیامة باتباعهم الباطل، و خفته علیهم، و حق لمیزان لا یوضع فیه یوم القیامة إلا الباطل أن یکون خفیفا، أ لم تر أنه نزلت آیة الرخاء مع آیة الشدة، و آیة الشدة مع آیة الرخاء، لیکون المؤمن راغبا راهبا، فلا یرغب رغبة یتمنی فیها علی الله ما لیس له، و لا یرهب رهبة یلقی فیها بیده إلی التهلکة، أ لم تر یا عمر أن الله ذکر أهل النار بسیئ أعمالهم، لأنه رد علیهم ما کان لهم من حسن، فإذا ذکرتهم قلت: إنی لأخشی أن أکون منهم.

و فی روایة: عوضا من هذا، فیقول قائل: أنا خیر منهم، فیطمع، و ذکر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، لأنه تجاوز لهم عما کان من سیئ، فإذا ذکرتهم قلت: إنی مقصر، أین عملی من أعمالهم، و فی روایة: عوضا من هذا، فیقول قائل: من أین أدرک درجتهم، لیجتهد، فإن حفظت وصیتی یا عمر، فلا یکونن غائب أحب إلیک من الموت، و هو نازل بک، و إن ضیعت وصیتی فلا یکونن غائب أکره لک من الموت، و لست بمعجزه.

و عن أسماء بنت عمیس قالت: لما أحس أبو بکر بنفسه أرسل إلی عمر، فقال له: یا عمر إنی قد ولیتک ما ولیتک، و قد صحبت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و رأیت عمله، و أثرته أنفسکم علی نفسه، و أهلکم علی أهله، حتی إن کنا لنظل نهدی إلیه من فضل ما یأتینا من قبله، و صحبتنی و رأیتنی و إنما اتبعت أثر من کان قبلی، و الله ما نمت فحملت، و لا شبهت فتوهمت، و إنی لعلی السبیل ما زغت، و إن أول ما أحذرک نفسک، فإن لکل نفس شهوة، فإذا أعطیتها شهوتها تمادت فیها و رغبت فی غیرها.

و فی حدیث غیر هذا: و خذ هذه اللقحة فإنها من إبل الصدقة، احتبستها للرسل إذا قدموا یصیبوا من رسلها، و خذ هذا البرد فإنی کنت أتجمل به للوفود، و خذ هذا السقاء و هذه العلبة فإنها من متاع إبل الصدقة، و علیّ ثمانیة آلاف درهم، و یقال: قال: ستة آلاف أخذتها للرسل، و لمن کان یغشانا، فأدها من مالی.

فخرج عمر متأبطا البرد، و قد حمل السقاء و العلبة، یقود اللحقة، یبکی و یقول: یرحم الله أبا بکر، لقد أتعب من بعده.

و مات أبو بكر رحمه الله، و دفن ليلا، فلما أصبح عمر بعث إليه عائشة بناضح و عبد حبشى كان يسقى لآل أبى بكر على ذلك الناضح، و قطيفة. فقبض عمر ذلك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: سبحان الله، تسلب عيال أبى بكر ناضحا و عبدا أسود كان

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۱۴

ينفعهم، و قطيفة قيمتها خمسة دراهم؟ قال: فما ترى؟ قال: ترده عليهم، قال: لا و رب الكعبة، لا يكون ذلك و أنا حى، يخرج منه أبو بكر و أرده أنا على عياله «۱».

و عن المسور بن مخرمة أو علقمة بن أبى الفغواء الخزاعى قال: أرسل أبو بكر إلى عمر و هو مريض، فأتاه، فقال: يا عمر، إنى كنت أرى الرأى فتشير علىّ بخلافه، فأتهم نفسى لك، ألا إنى قد عصيتك فى استعمال شرحبيل بن حسنة، و قلت: أخاف ضعفه، فقلت لك: قد كان له فى الإسلام نصيب، و قد أحببت أن أبلوه، فإن رأيت ما أحب أثبته، و إن بلغنى عنه ضعف استبدلت به، فلا عليك أن تقره على عمله، و كنت تنهانى عن يزيد بن أبى سفيان، فقلت لك: إن له موضعا فى قريش، و نشأ بخير، و كان فيه، و قد أحببت أن أقيم له شرفه، فلا عليك أن تقره على عمله، و رجل لم أوصك بمثله و لا أراك فاعلا، قال: تريد خالدا؟ قال: أريده.

فقال عمر: أما شرحبيل بن حسنة فقد كنت أشير عليك أن لا تبعثه، و خفت ضعفه، و أمرتك أن تبعث مكانه عمار بن ياسر، و لم يبلغنا عنه إلا خير، و لست عازله إلا أن يبلغنى عنه ما لا أستحل معه تركه، و أما يزيد فقلت لك: غلام حديث السن لا سابقة له، ابعث مكانه سعد بن أبى وقاص، فلم يكن فى أمره إلا خير، و لا أعزله إلا أن يبلغنى عنه ما لا أستحل معه تركه. و أما خالد، فو الله ما أعدك فى أمره بما لا أفعل و لا أبدأ بأول من عزله، و ما كنت أرى لك أن تجعل مع أبى عبيدة ضدا، و قد عرفت فضل أبى عبيدة.

فقال أبو بكر: أما أنى قد رأيت أبا عبيدة فى مرضى هذا آخذا بثوب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يتبعه، و لنعم المتبع، و رأيتنى آخذا بثوب أبى عبيدة، و لنعم المتقدم، ثم سمعت خسفا ورائى، فالتفت فإذا أنت و إذا الظلمة، فاستلحقتك و ما أبالى إذا لحقت بمن تخلف، فكأنى أسمع وقع نعليك، حتى أخذت بثوبى و التفت، فإذا نفر يخرجون من الظلمة يزدحمون، فالنجاء، النجاء يا عمر.

و كانت من جماعة من المهاجرين موافقة لأبى بكر فى استخلاف عمر ليس إلا، لما كانوا يعرفون من غلظته، فيقول أبو بكر: هو و الله إن شاء الله خيركم. و قال لبعضهم:

إنى أرى ما لا ترون، و لو قد أفضى إليه أمركم لترك كثيرا مما ترون، إنى رمقته، فإذا أغلظت فى أمر أرانى التسهيل، و إذا لنت فى أمر تشدد فيه.

---

(۱) انظر ما ذكره ابن قتيبة فى المعارف ص (۱۷۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۱۵

و قال له طلحة و الزبير: ما أنت قائل لربك إذ وليته مع غلظته؟ قال: ساندونى، فأجلسوه، فقال: أ بالله تخوفوننى، أقول: استعملت عليهم خير أهلك و حلفت، ما تركت أحدا أشد حبا له من عمر، ستعلمون إذا فارقتموه و تنافستموها.

و دخل عثمان و على فأخبرهما أبو بكر، فقال عثمان: علمى به أنه يخاف الله فوله، فما فينا مثله، و قال على: يا خليفة رسول الله امض لرأيك، فما نعلم إلا خيرا، و خرجنا و دخل عمر، فقال أبو بكر: كرهك كاره، و أحبك محب. قال: لا حاجة لى بها، قال: اسكت، إنى ميت من مرضى هذا، إنى رأيت بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أنى فقت ثلاث فوقات، فدسعت فى الآخرة طعاما، فمرضت به مرضتين، و هذه الثالثة، فأنا ميت، و إياك و الأثرة على الناس، و إياك و الذخيرة فإن ذخيرة الإمام تهلك دينه.

و لما توفى أبو بكر رحمه الله، كتب عمر رضى الله عنه، إلى أبى عبيدة: أما بعد، فإن أبا بكر الصديق خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم توفى، فإنا لله و إنا إليه راجعون، و رحمة الله على أبى بكر، القائل بالحق، و الآمر بالقسط، و الآخذ بالعرف، البر الشيم، السهل القريب، و أنا أرغب إلى الله فى العصمة برحمته، و العمل بطاعته، و الحلول فى جنته، إنه على كل شىء قدير، و السلام عليك و

رحمة الله «۱».

و جاء بالكتاب يرفأ حتى أتى أبا عبيدة، فقرأه فلم يسمع من أبى عبيدة حين قرأه شىء ينتفع به مقيم و لا ظاعن، و دعا أبو عبيدة معاذ بن جبل فأقرأه الكتاب، فالتفت معاذ إلى الرسول فقال: رحمة الله على أبى بكر، ويح غيرك، ما فعل المسلمون؟ قال: استخلف أبو بكر، عمر، فقال معاذ: الحمد لله، وفقوا و أصابوا، فقال أبو عبيدة: ما منعنى من مسألته منذ قرأت الكتاب حتى دعوتك لقراءته إلا مخافة أن يستقبلنى فيخبرنى أن الوالى غير عمر. فقال له الرسول: يا أبا عبيدة، إن عمر يقول لك: أخبرنى عن حال الناس، و أخبرنى عن خالد بن الوليد، أى رجل هو؟ و أخبرنى عن يزيد بن أبى سفيان، و عمرو بن العاص، كيف هما فى حالهما و نصيحتهما للمسلمين؟ فقال أبو عبيدة: أما خالد فخير أمير، أنصحه لأهل الإسلام، و أحسنه نظرا لهم، و أشده على عدوهم من الكفار، و يزيد و عمرو فى نصيحتهما وجدهما كما يحب عمر و نحب، قال: فأخبرنى عن أخويك: سعيد بن زيد، و معاذ بن جبل. قال: قل له هما كما عهدت، إلا أن تكون السن زادتهما فى الدنيا زهادة، و فى الآخرة رغبة.

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدى ص (۹۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۱۶

قال: ثم إن الرسول وثب لينصرف فقالا له: سبحان الله، انتظر نكتب معك. فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم من أبى عبيدة بن الجراح و معاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب، سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فإنا عهدناك و أمر نفسك لك مهم، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها و أسودها يجلس بين يديك، الشريف و الوضيع، و العدو و الصديق، و الضعيف و الشديد، و لكل حصته من العدل، فانظر كيف تكون عند ذلك يا عمر، إنا نذكرك يوما تبلى فيه السرائر، و تكشف فيه العورات، و تنقطع فيه الحجج، و تزاح فيه العلل، و تجب فيه القلوب، و تعنو فيه الوجوه لعزة ملك قهرهم بجبروته، فالناس له داخرون، ينتظرون قضاءه، و يخافون عقابه، و يرجون رحمته.

و إنا كنا نتحدث على عهد نبينا صلى اللّه عليه و سلم أنه سيكون فى آخر الزمان و يروى: فى هذه الأمة، رجال يكونون إخوان العلانية أعداء السريرة، و إنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا منك بغير المنزلة التى هو بها من أنفسنا، و السلام.

فمضى الرسول بهذا الكتاب، و قال أبو عبيدة لمعاذ: و الله ما أمرنا عمر أن نظهر وفاة أبى بكر للناس، و لا ننعاه إليهم، فما أرى أن نذكر من ذلك شيئا دون أن يكون هو يذكره. فقال له معاذ: فإنك نعم ما رأيت. فسكتا، فلم يذكرا للناس شيئا، و لم يلبثا إلا مقدار ما قدم رسول عمر إليه حتى بعث إليهما بجواب كتابهما، و بعهد أبى عبيدة، و أمره بعظة الناس. و كان جوابه عن كتابهما: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى أبى عبيدة بن الجراح و معاذ بن جبل، سلام عليكما، فإنى أحمد إليكما الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد. فإنى أوصيكما بتقوى الله، فإنه رضاء ربكما و حفظ أنفسكما، و غنيمة الأكياس لأنفسهم عند تفريط العجزة، و قد بلغنى كتابكما تذكران أنكما عهدتمانى و أمر نفسى إلىّ مهم، و ما يدريكما؟ و كتبتما تذكران أنى وليت أمر هذه الأمة، يقعد بين يدى العدو و الصديق، و القوى و الضعيف، و لكل علىّ حصته من العدل، و تسألانى: كيف بى عند ذلك؟ و إنه لا حول و لا قوة إلا بالله، و كتبتما تخوفانى بيوم هو آت، يوم تحبب فيه القلوب، و تعنوا فيه الوجوه، و تنقطع فيه الحجج، و تزيح فيه العلل، لعزة ملك قهرهم بجبروته، فالخلق له داخرون، ينتظرون قضاءه و يخافون عقابه، و كأن ذلك قد كان، هذا الليل و النهار، يبليان كل جديد، و يقربان كل بعيد، و يأتيان بكل موعود، حتى يكون الناس بأعمالهم فريقا فى الجنة و فريقا فى السعير، و كتبتما تذكران أنكما كنتما تحدثان على عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أنه سيكون فى آخر الزمان إخوان العلانية أعداء السريرة، و أن هذا ليس بزمان ذلك، و لا أنتم أولئك، و إنما ذلكم إذا ظهرت الرغبة

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۱۷

و الرهبة، و إذا كانت رغبة الناس بعضهم إلى بعض، و رهبة بعضهم من بعض فى صلاح دنياهم، و كتبتما تعوذان بالله من أن أنزل كتابكما من قلبى سوى المكان الذى تنزلانه من قلوبكما، فإنكما كتبتما لى نظرا لى، و قد صدقتما، و لا غنى بى عن كتابكما، فتعاهدانى بكتبكما، و السلام.

و ذكر المدائنى و غيره عن صالح بن كيسان، قال: أول كتاب كتبه عمر حين ولى إلى أبى عبيدة يوليه على جند خالد بن الوليد: أوصيك بتقوى الله الذى يبقى و يفنى ما سواه، الذى هدانا من الضلالة، و أخرجنا من الظلمات إلى النور. و قد استعملتك على جند خالد بن الوليد، فقم بأمرهم الذى يحق لله عليك، لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة، و لا تنزلهم منزلا قبل أن تستريده لهم، و تعلم كيف مأتاه، و لا تبعث سرية إلا فى كثف من الناس، و إياك و إلقاء المسلمين فى الهلكة، و قد أبلاك الله و أبلى بك، فغمض بصرك عن الدنيا، و أله قلبك عنها، و إياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك، فقد رأيت مصارعهم «۱».

و عن عباس بن سهيل بن سعد قال: قدم شداد بن أوس بعهد أبى عبيدة، فدفعه إليه، و شداد شاك، فنزل مع أبى عبيدة و معاذ بن جبل فى منزلهما و أمرهما واحد، فكانا يقومان إليه حتى تماثل، فمكث أبو عبيدة خمس عشرة ليلة يصلى خالد بالناس و يأمر بالأمر، و ما يعلم أن أبا عبيدة الأمير، حتى جاء كتاب من عمر إلى أبى عبيدة، فكره أن يخفيه، و كان فى كتابه إليه: أما بعد، فإنك فى كنف من المسلمين، و عدد يكفى حصار دمشق، فابعث سراياك فى أرض حمص و دمشق و ما سواهما من الشام، و لا يبعثك قولى هذا على أن تعرى عسكرك فيطمع فيك عدوك، و لكن نظر برأيك فما استغنيت عنه منهم فسيرهم، و ما احتجت إليه منهم فاحتبسهم عندك، و ليكن فيمن تحتبس عندك خالد ابن الوليد، فإنه لا غنى بك عنه، و السلام.

فلما قرأ أبو عبيدة كتابه على الناس، قال خالد: يرحم الله أبا بكر، لو كان حيا ما عزلنى. و ولى عمر فولى أبا عبيدة، فعافى الله أبا عبيدة، كيف لم يعلمنى بولايته علىّ ثم أتى أبا عبيدة، فقال له: رحمك الله، أنت الأمير و الوالى علىّ و لا تعلمنى؟ و أنت تصلى خلفى و السلطان سلطانك. فقال له أبو عبيدة: ما كنت لأعلمك به أبدا حتى تعلمه من عند غيرى، و ما سلطان الدنيا و إمارتها؟ فإن كل ما ترى يصير إلى زوال، و إنما نحن أخوان فإننا أمة إخوة أو أمر عليه لم يضره ذلك فى دينه و لا دنياه، بل لعل الوالى أن

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۳۴)، المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۲۳۵- ۱۳۶).

يكون أقربهما إلى الفتنة، و أوقعهما بالخطيئة، إلا من عصم الله، و قليل ما هم.

ذكر الخبر عما صار إليه أمر دمشق من الفتح و الصلح بعد طول الحصار فى خلافة عمر بن الخطاب، على نحو ما ذكره من ذلك أصحاب فتوح الشام

فتح دمشق «۱»: قالوا: و تولى أبو عبيدة حصار دمشق، و ولى خالدا القتال على الباب الذى كان عليه، و هو باب الشرقى، و ولاه الخيل إذا كان يوم يجتمع فيه المسلمون للقتال، فحاصروا دمشق بعد مهلك أبى بكر رحمه الله، و ولايته حولا كاملا، و أياما.

و كان أهلها قد بعثوا إلى قيصر و هو بأنطاكية: أن العرب قد حاصرتنا و ضيقت علينا، و ليس لنا بهم طاقة، و قد قاتلناهم مرارا، فعجزنا عنهم، فإن كان لك فينا و فى السلطان علينا حاجة فأمددنا و أغثنا و عجل علينا، فإنا فى ضيق و جهد، و إلا فقد أعذرنا، و القوم قد أعطونا الأمان، و رضوا منا من الجزية باليسير.

فأرسل إليهم: أن تمسكوا بحصنكم، و قاتلوا عدوكم، فإنكم إن صالحتموهم و فتحتم حصنكم لهم لم يفوا لكم، و أجبروكم على ترك دينكم، و اقتسموكم بينهم، و أنا مسرح إليكم الجيوش فى أثر رسولى.

فانتظروا مدده و جيشه، فلما أبطأ عليهم و ألح عليهم المسلمون بالتضييق و شدة الحصار، و رأوا أن المسلمين لا يزدادون كل يوم إلا

قوة و كثرة بعثوا إلى أبى عبيدة يسألونه الصلح. و كان أبو عبيدة أحب إلى الروم و سكان الشام من خالد بن الوليد، و كان أن يكون كتاب الصلح من أبى عبيدة أحب إليهم، لأنه كان ألينهما و أشدهما منهم استماعا، و أقربهما منهم قربا، و كان قد بلغهم أنه أقدمهما هجرة و إسلاما، فكانت رسل صاحب دمشق: إنما تأتى أبا عبيدة و خالد ملح على الباب الذى يليه، فأرسل صاحب دمشق إلى أبى عبيدة فصالحه، و فتح له باب الجابية، و ألح خالد على باب الشرقى ففتحه عنوة، فقال لأبى عبيدة: اقتلهم و اسبهم، فإنى قد فتحتها عنوة، فقال أبو عبيدة: لا، إنى قد أمنتهم «۲».

---

(۱) انظر: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۴۲)، تاريخ الطبرى (۳/ ۴۳۴).

(۲) انظر: تاريخ اليعقوبى (۱/ ۱۴۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۱۹

و دخل المسلمون دمشق، و تم الصلح، و جاء الجيش من قبل أنطاكية مددا لأهل دمشق، فلما قدموا بعلبك أتاهم الخبر بأن دمشق قد افتتحت، و كان عليهم در نجاران عظيمان، كل درنجار على خمسة آلاف، فكانوا عشرة آلاف، فأقاموا و بعثوا إلى ملكهم يخبرونه بالمكان الذى هم فيه، و بالخبر الذى بلغهم عن دمشق.

و ذكر أبو جعفر الطبرى «۱» أن شداد بن أوس هو الذى قدم الشام بوفاة أبى بكر، و معه محمية بن جزء و يرفأ، فوجدوا المسلمين بالواقوصة يقاتلون عدوهم، فتكتموا الخبر حتى ظفر المسلمون، فعند ذلك أخبروا أبا عبيدة بوفاة أبى بكر، و بولايته حرب الشام، و عزل خالد.

و عن محمد بن إسحاق: أن المسلمين لما فرغوا من أجنادين ساروا إلى فحل من أرض الأردن، و قد اجتمعت به رافضة الروم، و المسلمين على أمرائهم، فاقتتلوا فهزمت الروم، و دخل المسلمون فحل، و لحقت رافضة الروم بدمشق، فسار المسلمون إلى دمشق، و على مقدمة الناس خالد بن الوليد، و قد اجتمعت الروم إلى رجل منهم يقال له باهان، فالتقى المسلمون و الروم حول دمشق فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم هزم الله الروم فدخلوا دمشق، و جثم المسلمون عليها فرابطوها حتى فتحت، و قد كان الكتاب قدم على أبى عبيدة بإمارته و عزل خالد، فاستحيا أبو عبيدة أن يعلم خالدا حتى فتحت دمشق و جرى الصلح على يدى خالد، و كتب الكتاب باسمه، فبعد ذلك أظهر أبو عبيدة إمارته. فلما صالحت دمشق لحق باهان صاحب الروم بهرقل «۲».

و خالف سيف بن عمرو ما تقدم من المساق و التاريخ فى أمر دمشق، فذكر على ما سيأتى أن وقعة اليرموك كانت فى سنة ثلاث عشرة، و أن المسلمين ورد عليهم البريد بوفاة أبى بكر باليرموك فى اليوم الذى هزمت الروم فى آخره، و أن عمر رحمه الله، أمرهم بعد الفراغ من اليرموك بالمسير إلى دمشق. و زعم أن فحلا كانت بعد دمشق، خلافا لما ذكره ابن إسحاق من أنها كانت قبلها، و أن رافضة فحل هم الذين صاروا إلى دمشق «۳».

و أما الواقدى فزعم أن فتح دمشق كان سنة أربع عشرة، و كذا قال ابن إسحاق،

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۳۴).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۳۴- ۴۳۵).

(۳) انظر: تاريخ الطبرى (۴/ ۴۳۵- ۴۳۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۲۰

و زعم أن حصار المسلمين لها كان ستة أشهر، و أن وقعة اليرموك كانت فى سنة خمس عشرة، و بعدها فى تلك السنة بعينها جلا هرقل عن أنطاكية إلى قسطنطينية، و أنه لم يكن بعد اليرموك وقعة. و سنورد إن شاء الله مما أوردوه على اختلافه ما نبلغ به المقصود

من الإمتاع و تذکیر الناس بأیام الله.

فأما خبر دمشق من روایة سیف فذکر أنه: لما هزم الله جند الیرموک، و تهافت أهل الواقوصة، و فرغ من المقاسم و الأنفال، و بعث بالأخماس، و سرحت الوفود، استخلف أبو عبیدة علی الیرموک بشیر بن کعب بن أبی الحمیری کیلا- تغتال بردة و لا- تقطع الروم مواده، و خرج أبو عبیدة حتی نزل بالصفرین و هو یرید اتباع الفل، و لا- یدری أ یجتمعون أو یفترقون، فأتاه الخبر بأنهم أرزوا إلی فحل، و بأن المدد قد أتی علی دمشق من حمص، فهو لا یدری أ بدمشق یبدأ أم بفحل من بلاد الأردن، فکتب فی ذلک إلی عمر، و أقام بالصفرین ینتظر جوابه، و کان عمر لما جاءه فتح الیرموک أقر الأمراء علی ما کان استعملهم علیه أبو بکر، إلا ما کان من عمرو بن العاص و خالد بن الولید، فإنه ضم خالد إلی أبی عبیدة، و أمر عمرا بمعونة الناس حتی تصیر الحرب إلی فلسطین، ثم یتولی حربها «۱».

فلما جاء عمر کتاب أبی عبیدة، کتب إلیه: أما بعد، فابدءوا بدمشق، و انهدوا لها، فإنها حصن الشام و بیت مملکتهم، و اشغلوا عنهم أهل فحل بخیل تکون بإزائهم فی نحورهم و نحور أهل فلسطین و أهل حمص، فإن فتحها الله قبل دمشق فذلک الذی نحب، و إن تأخر فتحها حتی یفتح الله دمشق فلینزل دمشق من تمسک بها، و دعوها، و انطلق أنت و سائر الأمراء حتی تغیروا علی فحل، فإن فتح الله علیکم فانصرف أنت و خالد إلی حمص، و دع شرحبیل و عمرا و أخلهما بالأردن و فلسطین، و أمیر کل بلد و جند علی الناس حتی یخرجوا من إمارته «۲».

فسرح أبو عبیدة إلی فحل عشرة فیهم أبو الأعور و عمارة بن مخش، و هو قائد الناس، و کانت الرؤساء تکون من الصحابة، فساروا من الصفرین حتی نزلوا قریبا من فحل، فلما رأت الروم أن الجنود تریدهم بثقوا المیاه حول فحل، فأردغت «۳» الأرض، ثم و حلت، و اغتنم المسلمون ذلک، فحبسوا عن المسلمین ثمانین ألف فارس. و بعث أبو

---

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۴۳۶).

(۲) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۴۳۷- ۴۳۸).

(۳) أردغت: الرداغ: الوحل الشدید.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۲۱

عبیدة ذا الکلاع حتی کان بین دمشق و حمص ردءا. و بعث علقمة بن حکیم و مسروقا فکانا بین دمشق و فلسطین، و الأمیر یزید.

و قدم خالد و أبو عبیدة و عمرو و شرحبیل علی دمشق فنزلوا حوالیها و حاصروا أهلها حصارا شدیدا نحوا من سبعین لیلة، و قاتلوهم قتالا- عظیما بالزحوف و الترامی و المجانیق، و هم معتصمون بالمدینة، یرجون الغیاث، و هرقل منهم قریب بحمص، و مدینة حمص بینه و بین المسلمین و ذو الکلاع بین المسلمین و بین حمص علی رأس لیلة من دمشق، کأنه یرید حمص.

و جاءت جنود هرقل مغیثة لأهل دمشق، فأشجتها الخیول التی مع ذی الکلاع و شغلتها، فلما أیقن أهل دمشق أن الأمداد لا تصل إلیهم فشلوا و وهنوا و أبلسوا، و ازداد المسلمون طمعا فیهم، و کانوا قبل یرون أنها کالغارات، و أنه إذا جاء البرد قفل الناس، فسقط النجم و المسلمون مقیمون، فعند ذلک انقطع رجاء الروم و ندموا علی دخول دمشق، و اتفق أن ولد للبطریق الذی دخل علی أهل دمشق مولود، فصنع علیه طعاما، فأکل القوم و شربوا، و غفلوا عن مواقفهم، و لا یشعر بذلک أحد من المسلمین إلا ما کان من خالد، فإنه کان لا ینام و لا ینیم، و لا یخفی علیه من أمرهم شیء، عیونه ذاکیة و هو معنی بما یلیه، قد اتخذ حبالا کهیئة السلالم و أوهاقا «۱»، فلما أمسی من ذلک الیوم نهد هو و من معه من جنوده الذین قدم بهم، و تقدمهم هو و القعقاع بن عمرو و مذعور بن عدی و أمثالهما.

و قالوا: إذا سمعتم تکبیرنا علی السور فارقوا إلینا و انهدوا للباب و ائتوا من الباب الذی کان خالد یلیه، فقطعوا الخندق سبحا علی

ظهورهم القرب، ثم رموا بالحبال الشرف. فلما ثبت لهم و هقان تسلق القعقاع و مذعور ثم لم يدعا أحبولة إلا أثبتاها و الأوهاق بالشرف، و كان المكان الذى اقتحموا منه خندقهم أحصن مكان يحيط بدمشق، أكثره ماء، و أشده مدخلا، و توافوا لذلك، فلم يبق ممن دخل معه أحد إلا رقى أو دنا من الباب، حتى إذا استووا على السور حدر عامة أصحابه، و انحدر معهم، فكبر الذين على رأس السور، فنهد المسلمون إلى الباب، و مال إلى الحبال بشر كثير، فوثبوا فيها، و انتهى خالد إلى أول من يليه فأنامهم، و انحدر إلى الباب فقتل البوابين، و ثار أهل المدينة، و فزع سائر الناس فأخذوا مواقفهم و لا يدرون من الشأن، و تشاغل أهل كل

---

(۱) الأوهاق: جمع وهق، و هو الحبل فى طرفيه أنشوطة يطرح فى عنق الدابة أو الإنسان حتى يؤخذ.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۲۲

ناحية مما يليهم و قطع خالد و من معه أغلاق الباب بالسيوف، و فتحوا للمسلمين، فأقبلوا عليهم من داخل حتى ما بقى مما يلى باب خالد مقاتل إلا أنيم.

و لما شد خالد على من يليه، و بلغ منهم الذى أراد عنوة أرز من أفلت إلى أهل الأبواب التى كان يليها غير خالد، و قد كان المسلمون دعوهم إلى المشاطرة فأبوا و أبعدوا، فلم يفجأهم إلا و هم يبوحون لهم بالصلح، فأجابهم المسلمون و قبلوا منهم، ففتحوا لهم الأبواب، و قالوا: ادخلوا و امنعونا من أهل ذلك الباب، فدخل أهل كل باب بصلح مما يليهم، و دخل خالد مما يليه عنوة، فالتقى خالد و القواد فى أوساطها، هذا استعراضا و انتهابا، و هذا صالحا و تسكينا، فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح، فصار كل ذلك صالحا، و كان صلح دمشق على مقاسمة الديار و العقار، و دينار على كل رأس، و على جريب من كل حرث أرض، و اقتسموا الأسلاب، فكان أصحاب خالد فيها كأصحاب سائر القواد، و وقف ما كان للملوك و من صوب معهم فيئا، و قسموا لذى الكلاع و من معه، و لأبى الأعور و من معه، و بعثوا بالبشارة إلى عمر.

و قدم على أبى عبيدة كتاب عمر: أن اصرف جند العراق إلى العراق، و أمرهم بالحث إلى سعد بن مالك. فأمر عليهم أبو عبيدة هاشم بن عتبة، و على مقدمته القعقاع بن عمرو، و على مجنبتيه عمرو بن مالك الزهرى، و ربعى بن عامر، و خرج هاشم نحو العراق فى جند العراق، و كانوا عشرة آلاف إلا من أصيب منهم فأتموهم بأناس ممن لم يكن منهم، كقيس و الأشطر، و خرج القواد نحو فحل، و خرج علقمة و مسروق إلى إيلياء، فنزلا على طريقها، و بقى بدمشق مع يزيد بن أبى سفيان من قواد أهل اليمن عدد، و بعث يزيد، دحية بن خليفة الكلبى فى خيل بعد فتح دمشق إلى تدمر، و أبا الزهراء القشيرى إلى البثنية و حوران، فصالحوهما على صلح دمشق، و وليا القيام على فتح ما بعثا إليه «۱».

و كان الذى سار على الناس نحو فحل شرحبيل بن حسنة، على ما ذكره سيف عن أشياخه، قالوا: و بعث خالدا على المقدمة، و أبا عبيدة و عمرا على مجنبتيه، و على الخيل ضرار بن الأزور، و على الرجال عياض، و كرهوا أن يصمدوا لهرقل، و خلفهم من الروم ثمانون ألفا بإزاء فحل ينظرون إليهم، فلما انتهوا إلى أبى الأعور قدموه إلى طبرية، فحاصرها و نزلوا هم على فحل من أرض الأردن، و قد كان أهلها حين نزل بهم أبو الأعور تركوها و أرزوا إلى بيسان و جعلوا بينهم و بين المسلمين تلك المياه و الأوحال،

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۳۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۲۳

و كتب المسلمون إلى عمر بالخبر، و أقاموا بفحل لا يريدون أن يريموها حتى يرجع جواب عمر، و لا يستطيعون الإقدام على العدو من مكانهم لما دونهم من الأوحال.

و أصاب المسلمون من ريف الأردن أفضل مما فيه المشركون، مادتهم متواصلة، و خصبهم رغد، و رجاء الروم أن يكون المسلمون

علی غرة، فقصدوهم لیلا، و المسلمون علی حذر لا یأمنون مجیئهم، و کان شرحبیل لا یبیت و لا یصبح إلا علی تعبئة، فلما هجموا علی المسلمین غافصوهم، و لم یناظروهم، فاقتتلوا بفحل کأشد قتال اقتتلوا قط لیلتهم و یومهم إلی اللیل، فأظلم اللیل علیهم و قد حاروا، فانهزموا، و قد أصیب رئیسهم سقلار بن مخراق، و الذی یلیه فیهم نسطورس، و ظفر المسلمون بهم کأحسن الظفر و أهنئه، و رکبوهم و هم یرون أنهم علی قصد، فوجدوهم حیاری لا یعرفون مأخذهم، فأسلمتهم هزیمتهم و حیرتهم إلی الوحل، فرکبوه، و لحق بهم أوائل المسلمین و قد وحلوا فیه، فوخزوهم بالرماح و هم لا یمنعون ید لامس، و قتلوا فی الرداغ، فما أفلت من أولئک الثمانین ألفا إلا الشرید، و کان الله یصنع للمسلمین و هم کارهون، کرهوا البثوق فکانت عونا لهم علی عدوهم، و آیة من الله لیزدادوا بصیرة وجدا، و اقتسموا ما أفاء الله علیهم، و انصرف أبو عبیدة بخالد من فحل إلی حمص، و صرفوا بشیر بن کعب معهم، و مضوا بذی الکلاع و من معه، و خلوا شرحبیل بن حسنة و من معه «۱».

ذکر بیسان «۲»

و لما فرغ شرحبیل من وقعة فحل نهد بالناس إلی بیسان و معه عمرو، فنزلوا علیها، و أبو الأعور و القواد معه علی طبریة، و قد بلغ أفناء أهل الأردن ما لقیت دمشق، و ما لقی سقلار و الروم بفحل و فی الردغة، و مسیر شرحبیل إلیهم، فتحصنوا بکل مکان، و حصر شرحبیل أهل بیسان أیاما. ثم خرجوا یقاتلونه، فقتل المسلمون من خرج إلیهم منهم، و صالح بقیة أهلها.

ذکر طبریة «۳»

و بلغ أهل طبریة، فصالحوا أبا الأعور علی أن یبلغهم شرحبیل، ففعل، و صالحهم

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۳۳۶- ۳۴۱).

(۲) انظر: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۱۴۴)، تاریخ الطبری (۳/ ۴۴۳).

(۳) انظر: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۱۴۴)، تاریخ الطبری (۳/ ۴۴۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۲۴

شرحبیل و أهل بیسان علی صلح دمشق، علی أن یشاطروا المسلمین المنال فی المدائن، و ما أحاط بها مما یصلها، فیدعوا لهم نصفا، و یأخذوا نصفا، و علی کل رأس دینار کل سنة، و من کل حرث أرض جریب بر أو شعیر، أی ذلک حرث، و أشیاء صالحوهم علیها. و نزلت القواد و خیولهم فیها.

و تم صلح الأردن، و تفرقت الأمداد فی مدائنها و قراها، و کتب إلی عمر بالفتح.

حدیث مرج الروم من روایة سیف أیضا

قال «۱»: خرج أبو عبیدة بخالد بن الولید من فحل إلی حمص، و بمن تضیف إلیهم من الیرموک، فنزلوا جمیعا علی ذی الکلاع، و قد بلغ الخبر هرقل، فبعث توذرا البطریق حتی نزل بمرج دمشق و غربها، فبدأ أبو عبیدة بمرج الروم و جمعهم هذا به، و قد هجم الشتاء علیهم و الجراح فیهم فاشیة، فلما نزل علی القوم بمرج الروم نازله، یوم نزل علیه شنس الرومی، فی مثل خیل توذرا، إمدادا لتوذرا و ردءا لأهل حمص، فنزل فی عسکره علی حدة.

فلما کان من اللیل فر توذرا، فأصبحت الأرض منه بلاقع، و کان خالد بإزائه و أبو عبیدة بإزاء شنس، و أتی خالدا الخبر برحیل توذرا إلی جهة دمشق، فأجمع رأیه و رأی أبی عبیدة أن یتبعه خالد، فأتبعه من لیلته فی جریدة، و بلغ یزید بن أبی سفیان ما فعل توذرا،

فاستقبله، فاقتتلوا، و لحق بهم خالد و هم يقتتلون، فأخذهم من خلفهم، فقتلوا من بين أيديهم و من خلفهم، فلم يفلت منهم إلا الشريد، و قتل يزيد توذرا، و أصاب المسلمون ما شاءوا من ظهر و أداة و ثياب، و قسم ذلك يزيد على أصحابه و أصحاب خالد، ثم انصرف يزيد إلى دمشق، و انصرف خالد إلى أبى عبيدة، و بعد خروج خالد فى أثر توذرا ناهد أبو عبيدة شنس، فاقتتلوا بمرج الروم، فقتلهم أبو عبيدة مقتلة عظيمة، حتى امتلأ المرج من قتلاهم، و أنتنت منهم الأرض. و قتل أبو عبيدة شنس، و هرب من هرب منهم، فلم يقلهم، و ركب أقفاءهم إلى حمص.

فهذا ما ذكر سيف من حديث دمشق، و فحل، و مرج الروم، و سائر ما ذكر معها أوردناه مهذبا مقربا، ثم نعود إلى تتمة ما وقع فى كتب فتوح الشام مما يخالف ما ذكره سيف من بعض الوجوه ليوقف على كل ما ذكروه مما اتفقوا عليه و اختلفوا فيه.

---

(١) انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٥٩٨- ٥٩٩).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۲۵

قالوا «١»: إن أبا عبيدة لما ظهر على دمشق أمر عمرو بن العاص بالمسير إلى أرض الأردن و فلسطين، فيكون فيما بينهما، و لا يقدم على المدينتين و جمع الروم بهما، و لكن ينزل أطراف الرساتيق، و يغير بالخيل عليهم من كل جانب، و يصالح من صالحه.

فخرج عمرو حتى واقع أرض الأردن، فلما بلغ أهل الأردن و فلسطين فتح دمشق و توجه الجيش إليهم هالهم ذلك و رعبهم، و أشفقوا على مدائنهم أن تفتح، فاجتمع من كان بها من الروم و نزلوا من حصونهم، و وافاهم أهل البلد، و كثير من نصارى العرب، فكثر جمعهم، و كتبوا إلى قيصر يستمدونه و هو بأنطاكية، فبعث إلى أولئك الذين كان وجههم مددا لأهل دمشق فأقاموا ببعلبك لما بلغهم خبر فتحها أن يسيروا إليهم.

و كتب عمرو إلى أبى عبيدة: أما بعد، فإن الروم قد أعظمت فتح دمشق، فاجتمعوا من نواحى الأردن و فلسطين، فعسكروا و قد تعاقدوا و تواثقوا و تحالفوا بالله: لا يرجعون إلى النساء و الأولاد أو يخرجون العرب من بلادهم، و الله مكذب أملهم، و مبطل قولهم، و لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا. فاكتب إلىّ برأيك فى هذا الحديث، أرشد الله رأيك و سددك و أدام رشدك، و السلام.

و قدم بهذا الكتاب رسول عمرو، و قد استشار أبو عبيدة أصحابه فى المسير بهم إلى حمص، و قال: إن الله تعالى، قد فتح هذه المدينة، يعنى دمشق، و هى من أعظم مدائن الشام، و قد رأيت أن أسير إلى حمص، لعل الله يفتحها علينا، و هذا عمرو بن العاص من ورائنا، فلسنا نتخوف أن نؤتى من هناك.

فقال له خالد بن الوليد، و يزيد بن أبى سفيان، و معاذ بن جبل و رءوس المسلمين:

فإنك قد أصبت و وفقت، فسر بنا إليهم.

فإنهم لكذلك فى هذا الرأى إذ قدم عليهم كتاب عمرو الذى تقدم، فلما قرأه أبو عبيدة ألقاه إلى خالد، و قال: قد حدث أمر غير ما كنا فيه، ثم قرءوا الكتاب على من حضرهم، فقال يزيد: امدد عمرا و مره بمواقعة القوم و أقم أنت بمكانك. فقال أبو عبيدة:

ما ذا ترى أنت يا خالد؟ قال: أرى أن تنظر ما يصنع هذا الجيش الذى ببعلبك، فإن هم ساروا منها إلى إخوانهم سرت إلى إخوانك فلقيتهم بجماعة المسلمين، و إن هم أقاموا أمددت عمرا، و بعثت إلى هؤلاء من يقاتلهم، و أقمت أنت بمكانك. فقال له: نعم ما رأيت، فسير أبو عبيدة شرحبيل بن حسنة إلى عمرو، و قال له: لا تخالفه. فخرج

---

(١) انظر: فتوح الشام للأزدى (ص ١٠٦).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۲۶

شرحبيل فى ألفين و ثمانمائة، فقدم على عمرو، و عمرو فى ألفين و خمسمائة.

و قال أبو عبيدة لخالد: ما لهذا الجيش النازل ببعلبك إلا أنا و أنت أو يزيد. فقال له خالد: لا، بل أنا أسير إليهم. فقال: أنت لهم. فبعثه أبو عبيدة فى خمسة آلاف فارس، و خرج معه يشيعه، فسار معه قليلا، فقال له خالد: ارجع رحمك الله، إلى عسكرك، فقال له: يا خالد، أوصيك بتقوى الله، و إذا أنت لقيت القوم فلا تناظرهم و لا تطاولهم فى حصونهم، و لا تذرهم يأكلون و يشربون و ينتظرون أن تأتيهم أمدادهم، و إذا لقيتهم فقاتلهم، فإنك إن هزمتهم انقطع رجاؤهم، و إن احتجت إلى مدد فأعلمنى حتى يأتيك من المدد حاجتك، و إن احتجت أن آتيك بنفسى أتيتك إن شاء الله. ثم أخذ بيده فودعه، ثم انصرف عنه.

و يجىء رسول قيصر إلى الذين ببعلبك، فأمرهم باللحاق بأولئك الذين اجتمعوا ببيسان، فخرجوا إليهم، و أخرجوا معهم ناسا كثيرا من أهل بعلبك، و أتاهم ناس كثير من أهل حمص غضبا لدينهم و شفقا من أن تفتح مدينتهم كما فتحت دمشق، فخرجوا و هم أكثر من عشرين ألفا متوجهين إلى الجمع الذى ببيسان منهم، و جاء خالد حتى انتهى إلى بعلبك، فأخبر الخبر، فأغاز على نواحى بعلبك، فقتل و سبى و استاق من المغانم شيئا كثيرا، و أقبل راجعا إلى أبى عبيدة فأخبره، و اجتمع رأيهم على أن يسير أبو عبيدة بجماعة الناس إلى ذلك الجمع من الروم، فقدم خالد فى ألف و خمسمائة، فارس أمامهم، و أمرهم، و أمره بالإسراع إلى عمرو و أصحابه ليشد الله بهم ظهورهم، و ليرى الروم أن المسلمين قد أتوهم، فأقبل خالد مسرعا فى آثار الروم فلحقهم و قد دخل أوائلهم عسكرهم، فحمل على أخرياتهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة، و أصاب كثيرا من أثقالهم، و أفلت من أفلت منهم منهزمين حتى دخلوا عسكرهم، و جاء خالد فى خيله حتى نزل قريبا من عمرو، ففرح المسلمون بهم، و كان عمرو يصلى بأصحابه الذين كانوا معه، و خالد يصلى بأصحاب الخيل التى أقبل فيها.

وقعة فحل حسبما فى كتب فتوح الشام

«۱» قالوا: فلما بلغ الروم أن أبا عبيدة قد أقبل إليهم تحولوا إلى فحل فنزلوا بها، و جاء المسلمون بأجمعهم حتى نزلوا بهم، و خرج علقمة بن الأرث فجمع من أطاعه من بنى

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۴۲)، تاريخ الطبرى (۳/ ۴۳۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۲۷

القين، و جاءت لخم و جذام و عاملة و غسان، و قبائل من قضاعة، فدخلوا مع المسلمين، و أخذ أهل البلد من النصارى يراسلون المسلمين، فيقدمون رجلا و يؤخرون أخرى، و يقولون: أنتم أحب إلينا من الروم و إن كنتم على غير ديننا، أنتم أوفى لنا و أرأف بنا و أكف عن ظلمنا، و لكنهم غلبونا على أمرنا، فيقول لهم المسلمون: إن هذا ليس بنافعكم عندنا ما لم تعتقدوا منا الذمة، و إنا إن ظهرنا عليكم كان لنا أن نسبيكم و نستعبدكم، و إن اعتقدتم منا الذمة سلمتم من ذلك، فكانوا يتربصون و ينتظرون ما يكون من أمر قيصر، و قد بلغهم أنه بعث إلى أقاصى بلاده، و إلى كل من كان دينه ممن حوله، و أنهم فى كل يوم يقدمون عليه و يسقطون إليه، فهم ينتظرون ما يكون منه، و هم مع ذلك بموضعهم بين الثلاثين ألفا و الأربعين ألفا «۱».

و كان المسلمون حيث نزلوا بهم ليس شىء أحب إليهم من معاجلتهم، و كانوا هم ليس شىء أحب إليهم من مطاولة المسلمين رجاء المدد من صاحبهم، و لأن المسلمين ليسوا فى مثل ما الروم فيه من الخصب و الكفاية.

و أقبلت الروم يبثقون المياه بينهم و بين المسلمين ليطاولوهم، و أقبل المسلمون يخوضون إليهم الماء و يمشون فى الوحل، فلما رأى ذلك الروم، و أنه لا يمنعهم منهم شىء خرجوا فعسكروا و تيسروا للقتال، و وطنوا أنفسهم عليه، و كانوا كل يوم فى زيادة من الأمداد الواصلة إليهم.

فأمر أبو عبيدة المسلمين حيث بلغه ذلك أن يغيروا عليهم و على ما حولهم من القرى و السواد و الرساتيق، ففعلوا، و قطعوا بذلك

المادة و الميرة.

فلما رأى ذلك ابن الجعد أتى أبا عبيدة فصالحه على سواد الأردن، و كتب له كتابا.

و كان صفوان بن المعطل، و معن بن يزيد بن الأخنس السليمان قد خرجا فى خيل لهما فأغارا، فغنما، فلما انصرفا عرضت لهم الروم فقاتلوهم، و إنما كان المسلمون فى نحو من مائة رجل و الروم فى خمسة آلاف مع درنجار عظيم منهم، فطاردوهم و صبروا لهم، و احتسبوا فى قتالهم، ثم إن الروم غلبوهم على غنيمتهم. و جاء حابس بن سعد الطائى فى نحو من مائة رجل، فحمل عليهم فزالوا غير بعيد، ثم حملوا عليه فردوه و أصحابه حتى ألحقوهم بالمسلمين، ثم انصرفوا و قد بغوا، و هم يعدون هذا ظفرا، و لم يقتلوا أحدا، و لم يهزموا جمعا، فلما انصرفوا إلى عسكرهم أرسلوا إلى أبى عبيدة: أن

---

(۱) انظر هذا الخبر و ما بعده فى: تاريخ فتوح الشام للأزدى (ص ۱۱۱- ۱۳۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۲۸

اخرج أنت و من معك من بلادنا التى تنبت الحنطة و الشعير و الفواكه و الأعناب، فلستم لها بأهل، و ارجعوا إلى بلادكم، بلاد البؤس و الشقاء، و إلا أتيناكم فيما لا قبل لكم به، ثم لم ننصرف عنكم و فيكم عين تطرف.

فرد عليهم أبو عبيدة: أما قولكم: أخرجوا من بلادنا فلستم لها بأهل، فلعمرى ما كنا لنخرج عنها و قد أورثناها الله و نزعها من أيديكم، و إنما البلاد بلاد الله، و العباد عباد الله، و الله ملك الملوك، يؤتى الملك من يشاء، و ينزع الملك ممن يشاء، و يعز من يشاء، و يذل من يشاء. و أما قولكم فى بلادنا أنها بلاد البؤس و الشقاء، فصدقتم، إنها لكذلك، و قد أبدلنا الله بها بلادكم، بلاد العيش الرفيع و السعر الرخيص و الجناب الخصيب، فلا تحسبونا تاركيها و لا منصرفين عنها حتى نفنيكم أو نخرجكم منها، و لكن أقيموا، فو الله لا نجشمكم أن تأتونا، و لنأتينكم إن أنتم أقمتم لنا، فلا نبرح حتى نبيد خضراءكم، و نستأصل شأفتكم إن شاء الله تعالى.

فلما جاءهم ذلك عنهم أيقنوا بجد القوم، فأرسلوا إليهم، أن ابعثوا إلينا رجلا- من صالحائكم نسأله عما تريدون و ما تسألون و ما تدعون إليه، و نخبره بذات أنفسنا، و ندعوكم إلى حظكم إن قبلتم.

فأرسل إليهم أبو عبيدة، معاذ بن جبل، فأتاهم على فرس له، فلما دنا منهم نزل عن فرسه، ثم أخذ بلجامه و أقبل إليهم يقوده، فقالوا لبعض غلمانهم: انطلق إليه فأمسك له فرسه، فجاء الغلام ليفعل، فقال له معاذ: أنا أمسك فرسى، لا أريد أن يمسكه أحد غيرى، و أقبل يمشى إليهم، فإذا هم على فرش و بسط و نمارق تكاد الأبصار تغشى منها، فلما دنا من تلك الثياب قام قائما، فقال له رجل منهم: أعطنى هذه الدابة أمسكها لك، و ادن أنت فاجلس مع هذه الملوك مجالسهم، فإنه ليس كل أحد يقدر أن يجلس معهم، و قد بلغهم عنك صلاح و فضل فيمن أنت منه، فهم يكرهون أن يكلموك جلوسا و أنت قائم.

فقال لهم معاذ، و الترجمان يفسر لهم ما يقول: إن نبينا صلى اللّه عليه و سلم أمرنا أن لا نقوم لأحد من خلق الله، و لا يكون قيامنا إلا الله فى الصلاة و العبادة و الرغبة إليه، فليس قيامى هذا لكم، و لكن قمت إعظاما للمشى على هذه البسط و الجلوس على هذه النمارق التى استأثرتم بها على ضعفائكم، و إنما هى من زينة الدنيا و غرورها، و قد زهد الله فى الدنيا و ذمها، و نهى عن البغى و السرف فيها، فأنا أجلس هاهنا على الأرض، و كلمونى أنتم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۲۹

بحاجتكم من ثم، و أقيموا الترجمان بينى و بينكم، يفهمنى ما تقولون، و يفهمكم ما أقول، ثم أمسك برأس فرسه و جلس على الأرض عند طرف البساط. فقالوا له: لو دنوت فجلست معنا كان أكرم لك، إن جلوسك مع هذه الملوك على هذه المجالس مكرمة لك، و إن جلوسك على الأرض متنحيا صنيع العبد بنفسه، فلا نراك إلا قد أزريت بنفسك.

فلما أخبره الترجمان بمقالتهم جثا على ركبتيه و استقبل القوم بوجهه، و قال للترجمان:

قل لهم: إن كانت هـذه المكرمة التى تدعوننى إليها استأثرتم بها على من هو مثلكم إنما هى للدنيا، فلا حاجة لنا فى شرف الدنيا و لا فى فخرها، و إن زعمتم أن هـذه المجالس و الدنيا التى فى أيدى عظمائكم و هم مستأثرون بها على ضعفائكم مكرمة لمن كانت فى يـده منكم عنـد الله، فهـذا خطأ من قولكم، و جور من فعلكم، و لا يدرك ما عند الله بالخطإ، و لا بخلاف ما جاء به الأنبياء عن الله من الزهادة فى الدنيا.

و أما قولكم إن جلوسى على الأرض متنحيا صنيع العبد بنفسه، ألا فصنيع العبد بنفسه صنعت، أنا عبد من عبيد الله جلست على بساط الله، و لا أستأثر من مال الله بشىء على إخوانى من أولياء الله، و أما قولكم أزريت بنفسى فى مجلسى، فإن كان ذلك إنما هو عندكم و ليس كـذلك عنـد الله، فلست أبالى كيف كانت منزلتى عنـدكم إذا كنت عنـد الله على غير ذلك، و إن قلتم أن ذلك عنـد الله فقد أخطأتم خطأ بينا، لأن أحب عباد الله إلى الله المتواضعون لله القريبون من عباد الله، الـذين لا يشغلون أنفسهم بالـدنيا، و لا يـدعون التماس نصيبهم من الآخرة.

فلما فسر لهم الترجمان هذا الكلام نظر بعضهم إلى بعض و تعجبوا مما سمعوا منه، و قالوا لترجمانهم: قل له: أنت أفضل أصحابك؟ فلما قال له، قال: معاذ الله أن أقول ذلك، و ليتنى لا أكون شرهم، فسكتوا عنه ساعة لا يكلمونه، و تكلموا فيما بينهم، فلما رأى ذلك قال لترجمانهم: إن كانت لهم حاجة فى كلامى و إلا انصرفت عنهم، فلما أخبرهم قالوا: قل له: أخبرونا ما تطلبون؟ و إلام تـدعون؟ و لما ذا دخلتم بلادنا و تركتم أرض الحبشة و ليسوا منكم ببعيد، و أهل فارس و قد هلك ملكهم و هلك ابنه، و إنما يملكهم اليوم النساء، و نحن ملكنا حى و جنودنا عظيمة، و إن أنتم افتتحتم من مدائننا مدينة أو من قرانا قرية أو من حصوننا حصنا أو هزمتم لنا جندا أظننتم أنكم ظفرتم بجماعتنا أو قطعتم عنكم حربنا و فرغتم مما وراءنا، و نحن عدد نجوم السماء و حصى الأرض؟ و أخبرونا بم تستحلون قتالنا و أنتم تؤمنون بنبينا و كتابنا؟.

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص: ۲۳۰

فلما قالوا هذا القول و فسره الترجمان لمعاذ، سكتوا، فقال معاذ للترجمان: أ قد فرغوا؟

قال: نعم، قال: فأفهم عنى، إن أول ما أنا ذاكر: حمدا لله الذى لا إله إلا هو، و الصلاة على محمد صلى اللّه عليه و سلم و أول ما أدعوكم إليه أن تؤمنوا بالله وحده، و بمحمد صلى اللّه عليه و سلم و أن تصلوا صلاتنا، و تستقبلوا قبلتنا، و أن تستسنوا بسنة نبينا، و تكسروا الصليب، و تجتنبوا شرب الخمر و أكل لحم الخنزير، ثم أنتم منا و نحن منكم، و أنتم إخواننا فى ديننا، لكم ما لنا و عليكم ما علينا، و إن أبيتم، فأدوا الجزية فى كل عام إلينا عن يد و أنتم صاغرون، فإن أنتم أبيتم هاتين الخصلتين فليس شىء مما خلق الله نحن قابلوه منكم، فابرزوا إلينا حتى يحكم الله بيننا، و هو خير الحاكمين، فهذا ما نأمركم به و ما ندعوكم إليه.

و أما قولكم: ما أدخلكم بلادنا و تركتم أرض الحبشة و ليسوا منكم ببعيد، و أهل فارس و قد هلك ملكهم، فإنى أخبركم عن ذلك، ما بدأنا بقتالكم أن يكونوا آثر عندنا منكم، إنكم جميعا لسواء، و ما حابيناهم بالكف عنهم إذ بدأنا بكم، و لكن الله تبارك و تعالى، أنزل فى كتابه على نبينا صلى اللّه عليه و سلم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً [التوبة: ۱۲۲]، فكنتم أقرب إلينا منهم، فبدأنا بكم لذلك، ثم لقد أتتهم طائفة منا بعدنا، فإنهم اليوم ليقاتلونهم، و إنا لنرجو أن يعزهم الله و يفتح عليهم، و أما قولكم: إن ملكنا حى، و إن جنودنا عظيمة، و إنا عدد نجوم السماء و حصى الأرض، و تؤيسونا من الظهور عليكم، فإن الأمر فى ذلك ليس إليكم، و إن الأمور كلها لله، و كل شىء فى قبضته و قدرته، و إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون، فإن يكن ملككم هرقل فإنما ملكنا نحن الله تبارك و تعالى، و أميرنا رجل منا، إن عمل فينا بكتاب ربنا و سنة نبينا أقررناه، و إن غير عزلناه، و لا يحتجب منا، و لا يتكبر علينا، و لا يستأثر علينا فى فيئنا الذى أفاء الله عز و جل، علينا، و هو فيه كرجل منا. و أما جنودنا، فإنها و إن عظمت و كثرت حتى تكون أكثر من نجوم السماء و حصى الأرض، فإنا لا نثق بها و لا نتكل عليها، و لكنا نتبرأ من الحول و القوة، و نتوكل على الله و نثق به، و كم من فئة قليلة قد أعزها الله و نصرها و أعانها، و كم من فئة كثيرة قد أذلها الله سبحانه، و أهانها قال الله

تبارک و تعالی: کَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِیلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً کَثِیرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِینَ [البقرة: ۲۴۹].

و أما قولکم: کیف تستحلون قتالنا و أنتم مؤمنون بنبینا و کتابنا، فأنا أخبرکم عن ذلک: نحن نؤمن بنبیکم، و نشهد أنه عبد من عباد الله و رسول من رسل الله، و أن مثله عند الله کمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له کن فیکون، و لا نقول: إنه الله، و لا أنه

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۳۱

ثانی اثنین و لا ثالث ثلاثة، و لا أن لله عز و جل، ولدا و لا صاحبة، و لا أن مع الله آلهة أخری، لا إله إلا هو، تعالی عما تقولون علوا کبیرا، و أنتم تقولون فی عیسی قولا عظیما، و لو أنکم قلتم فی عیسی کما نقول، و آمنتم بنبوة نبینا صلی اللّه علیه و سلم کما تجدونه فی کتابکم، و کما نؤمن نحن بنبیکم، و أقررتم بما جاء به من عند الله، و وحدتم الله، ما قاتلناکم، بل سالمناکم و والیناکم و قاتلنا عدوکم معکم.

فلما فرغ معاذ من مخاطبتهم قالوا له: ما نری ما بیننا و بینکم إلا متباعدا، و قد بقیت خصلة و نحن عارضوها علیکم، فإن قبلتموها منا فهو خیر لکم، و إن أبیتم فهو شر لکم:

نعطیکم البلقاء و ما و الی أرضکم من سواد الأردن، و تتحولون عن بقیة أرضنا، و عن مدائننا، و نکتب علیکم کتابا نسمی فیه خیارکم و صالحاءکم، و نأخذ فیه عهودکم و مواثیقکم أن لا تطلبوا من أرضنا غیر ما صالحناکم علیه، و علیکم بأهل فارس فقاتلوهم و نحن نعینکم علیهم حتی تقتلوهم أو تظهروا علیهم.

فقال لهم معاذ: هذا الذی تعطوننا هو کله فی أیدینا، و لو أعطیتمونا جمیع ما فی أیدیکم مما لم نظهر علیه و منعتمونا خصلة من الخصال الثلاث التی وصفت لکم ما فعلنا. فغضبوا، و قالوا: أ نتقرب منکم و تتباعد منا، اذهب إلی أصحابک، فو الله إنا لنرجو أن نقرنکم غدا فی الحبال. فقال معاذ: أما فی الحبال فلا، و لکن و الله لتقتلننا عن آخرنا أو لنخرجنکم منها أذلة و أنتم صاغرون.

ثم انصرف إلی أبی عبیدة فأخبره بما قالوا و ما رد علیهم. فإنهم لکذلک إذ بعثوا إلی أبی عبیدة: إنک بعثت إلینا رجلا لا یقبل النصف، و لا یرید الصلح، فلا نری أ عن رأیک ذلک أم لا، و إنا نرید أن نبعث إلیک رجلا منا یعرض علیک النصف، و یدعوک إلی الصلح، فإن قبلت ذلک منه فلعله یکون خیرا لنا و لک، و إن أبیت فلا نراه إلا شرا لک «۱».

فقال لهم أبو عبیدة: ابعثوا من شئتم. فبعثوا إلیه رجلا منهم، طویلا أحمر أزرق، فلما جاء المسلمین لم یعرف أبا عبیدة من القوم، و لم یدر أ فیهم هو أم لا، و لم یر هیئة مکان أمیر، فقال: یا معشر العرب، أین أمیرکم؟ قالوا له: هو ذا، فنظر فإذا هو بأبی عبیدة جالسا علی الأرض علیه الدرع، و هو متنکب القوس، و فی یده أسهم یقلبها، فقال له:

أنت أمیر هؤلاء الناس؟ قال: نعم، قال: فما جلوسک علی الأرض؟ أ رأیت لو کنت

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام للأزدی (۱۱۳) و ما بعدها.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۳۲

جالسا علی وسادة، أو کان تحتک بساط، أ کان ذلک واضعک عند الله أو مباعدک من الإحسان؟.

فقال أبو عبیدة: إن الله لا یستحی من الحق، لأصدقنک عما قلت، ما أصبحت أملک دینارا و لا درهما، و ما أملک إلا فرسی و سلاحی، و لقد احتجت أمس إلی نفقة فلم تکن عندی حتی استقرضت أخی هذا یعنی معاذا، نفقة کانت عنده، فأقرضنیها، و لو کان عندی أیضا، بساط أو وسادة ما کنت لأجلس علیه دون أصحابی و إخوانی، و أجلس علی الأرض أخی المسلم الذی لا أدری لعله عند الله خیر منی، و نحن عباد الله نمشی علی الأرض، و نأکل علی الأرض، و نجلس علیها، و نضطجع علیها، و لیس بناقصنا ذلک عند الله شیئا، بل یعظم الله به أجورنا، و یرفع به درجاتنا. هات حاجتک التی جئت لها.

فقال الرومی: إنه لیس شیء أحب إلی الله من الإصلاح، و لا أبغض إلیه من البغی و الفساد، و إنکم قد دخلتم بلادنا فظهر منکم فیها

الفساد و البغى، و قل ما بغى قوم و أفسدوا فى الأرض إلا عمهم الله بهلاك، و إنا نعرض عليكم أمرا فيه حظ إن قبلتموه: إن شئتم أعطيناكم دينارين دينارين، و ثوبا ثوبا، و أعطيناك أنت ألف دينار، و نعطى الأمير الذى فوقك يعنون عمر بن الخطاب، ألفى دينار، و تنصرفون عنا، و إن شئتم أعطيناكم البلقاء و ما إلى أرضكم من سواد الأردن، و خرجتم من مدائننا و أرضنا، و كتبنا فيما بيننا و بينكم كتابا يستوثق فيه بعضنا من بعض بالأيمان المغلظة لتقومن بما فيه و لنفين بما عاهدنا الله عليه.

فقال أبو عبيدة: إن الله تعالى، بعث فينا رسولا تنبأه، و أنزل عليه كتابا حكيما، و أمره أن يدعو الناس إلى عبادته رحمة منه للعالمين، فقال لهم: إن الله إله واحد عزيز حكيم، علىّ مجيد، و هو خالق كل شىء، و ليس كمثله شىء، فوحدوا الله الذى لا إله إلا هو، و لا تتخذوا معه إلها آخر، فإن كل شىء يعبده الناس دونه فهو خلقه، و إذا أتيتم المشركين فادعوهم إلى الإيمان بالله و رسوله و الإقرار بما جاء به من ربه، فمن آمن و صدق فهو أخوكم فى دينكم، له ما لكم و عليه ما عليكم، و من أبى فاعرضوا عليهم أن يؤدوا الجزية عن يد و هم صاغرون، فإن أبوا أن يؤمنوا أو يؤدوا الجزية فقاتلوهم، فإن قتيلكم المحتسب بنفسه شهيد عند الله فى جنات النعيم، و قتيل عدوكم فى النار، فإن قبلتم ما سمعتم فذاكم، و إن أبيتم فابرزوا إلينا حتى يحكم الله بيننا، و هو خير الحاكمين.

قال الرومى: فقد أبيتم إلا هذا. فقال أبو عبيدة: نعم. فقال: أما و الله على ذلك إنى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۳۳

لأراكم ستتمنون أنكم قبلتم منا دون ما عرضنا عليكم. فقال أبو عبيدة: لا و الله، لا نقبل هذا منك و لا من غيرك أبدا، فانصرف الرومى رافعا يديه إلى السماء يقول: اللهم إنا قد أنصفناهم فأبوا، اللهم فانصرنا عليهم. و وثب أبو عبيدة مكانه، فسار فى الناس، و قال: أصبحوا أيها الناس و أنتم تحت راياتكم و على مصافكم. فأصبح الناس و خرجوا على تعبئتهم و مصافهم «۱».

و كتب أبو عبيدة إلى عمر: لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من أبى عبيدة بن الجراح.

سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد. فإن الروم قد أقبلت، فنزلت طائفة منهم فحلا مع أهلها، و قد سارع إليهم أهل البلد، و من كان على دينهم من العرب، و قد أرسلوا إلىّ: أن اخرجوا من بلادنا، فإنكم لستم لهذه البلاد التى تنبت الحنطة و الشعير و الفواكه و الأعناب أهلا، و الحقوا ببلادكم، بلاد الشقاء و البؤس، فإن أنتم لم تفعلوا سرنا إليكم بما لا قبل لكم به، ثم أعطينا الله عهدا أن لا ننصرف عنكم و فيكم عين تطرف، فأرسلت إليهم:

أما قولكم: اخرجوا من بلادنا، فلستم لما تنبت أهلا، فلعمرى ما كنا لنخرج عنها و قد أورثناها الله تعالى، و نزعها من أيديكم، و إنما البلاد بلاد الله، و العباد عباد الله، و هو سبحانه ملك الملوك، يؤتى الملك من يشاء، و ينزع الملك ممن يشاء، و يعز من يشاء، و يذل من يشاء.

و أما ما ذكرتم من بلادنا، و زعمتم أنها بلاد البؤس و الشقاء، فقد صدقتم، و قد أبدلنا الله بها بلادكم، بلاد العيش الرفيع، و السعر الرخيص، و الجناب الخصيب، فلا تحسبونا تاركيها و لا منصرفين عنها، و لكن أقيموا لنا، فو الله لا نجشمكم إتياننا و لنأتينكم إن أقمتم لنا.

و كتبت إليك حين نهضت إليهم متوكلا على الله، راضيا بقضاء الله، واثقا بنصر الله، فكفانا الله و إياك كيد كل كائد، و حسد كل حاسد، و نصر الله أهل دينه نصرا عزيزا، و فتح لهم فتحا يسيرا، و جعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا، و السلام عليك.

و دفع أبو عبيدة هذا الكتاب إلى نبطى من أنباط الشام، و قال له: ائت به أمير المؤمنين، ثم نهض هو إلى الروم بجماعة المسلمين، فدنا منهم، و تعرضت خيل المسلمين لهم، فلم يخرجوا يومئذ، فانصرف المسلمون عنهم من غير قتال، و تأخر النبطى عن

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدى (۱۱۴) و ما بعدها.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۳۴

المسير حتى انصرف المسلمون، فذهب عند ذلك بالكتاب. و قد كان أبو عبيدة بعثه أول النهار، فلما قدم على عمر رحمه الله، و قرأ كتابه، قال له: ويحك، هل علمت أو بلغت ما كان من أمر المسلمين، فإن أبا عبيدة كتب إلىّ يخبرنى أنه كتب إلىّ حين نهض إلى المشركين؟ فقال له: أصلحك الله، فإنى لم أبرح يومئذ حتى رجع المسلمون عنهم، و كانوا زحفوا إليهم، و تعرضت خيلهم لهم، فلم يخرج النصارى إليهم، فانصرف المسلمون إلى عسكرهم، و هم أطيب شيء أنفسا و أحسن شيء حالا.

قال: فأنت ما حبسك يومئذ، إلى العشى لم تقبل بالكتاب و قد دفعه إليك أبو عبيدة أول النهار؟ قال: ظننت أنك ستسألنى عما سألتنى عنه الساعة، فأحببت أن يكون عندى علم ما تسألنى عنه. قال له عمر: ويحك، ما دينك؟ قال: نصرانى، قال: ويحك، أ فما يدلك عقلك هذا الذى أرى على أن تسلم، ويحك أسلم فهو خير لك. قال: فقد أسلمت. فقال عمر: الحمد لله الذى يهدى من يشاء إذا يشاء، ثم كتب معه إلى أبى عبيدة بن الجراح: سلاح عليك، فإنى أحمد إليك الله لا إله إلا هو. أما بعد، فإن كتابك جاءنى بنفير الروم إليك، و منزلهم الذى نزلوا به، و رسالتهم التى أرسلوها، و بالذى رجعت إليهم فيما سألوك، و قد سددت بحجتك، و أوتيت رشدك، فإن أتاكم كتابى هذا و أنتم الغالبون فكثيرا ما يكون من ربنا الإحسان، و إن أتاكم و قد أصابكم نكب أو قرح فلا تهنوا و لا تحزنوا و لا تستكينوا، و أنتم الأعلون، و إنها دار الله، و هو فاتحها عليكم فاصبروا إن الله مع الصابرين، و اعلم أنك متى لقيت عدوك فاستعنت بالله عليهم و علم منك الصدق نصرك عليهم، فقل إذا أنت لقيتهم: اللهم أنت الناصر لدينك، المعز لأوليائك، الناصر لهم قديما و حديثا، اللهم فتول نصرهم، و أظهر فلجهم، و لا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، و كن أنت الصانع لهم و المدافع عنهم برحمتك، إنك أنت الولى الحميد.

فأقبل الرسول بهذا إلى أبى عبيدة، و كان أبو عبيدة بعد ذلك اليوم الذى زحف فيه إلى الروم فلم يخرجوا إليه، سرح إليهم من الغد خالدا فى الخيل، و لم يخرج أبو عبيدة يومئذ فى الرجالة، فخرجت إلى خالد خيل لهم عظيمة، فأقبلت نحوه، فقال لقيس بن هبيرة، و كان من أشد الناس بأسا، و أشده نكاية فى العدو، و مباشرة لهم بعد خالد: يا قيس، اخرج إلى هذا الخيل. فخرج إليهم قيس، فحمل عليهم مرارا، و حملوا عليه، فقاتلهم قتالا شديدا، ثم أقبلت خيل أخرى عظيمة للروم، فقال خالد لميسرة بن مسروق: اخرج إليهم، فخرج ميسرة فقاتلهم قتالا شديدا، ثم خرجت إليهم من الروم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۳۵

خيل عظيمة، هى أعظم من الخيلين جميعا، عليها بطريق عظيم من بطارقتهم، فجاء حتى إذا دنا من خالد، أمر بشطر خيله، فحملت على خالد و أصحابه، فلم يتخلخل أحد منهم، ثم إنه جمعهم جميعا، فحمل بهم، فلم يبرح أحد من المسلمين، فلما رأى ذلك الرومى انصرف.

فقال خالد لأصحابه: إنه لم يبق من جد القوم و لا حدهم و لا قوتهم إلا ما قد رأيتم، فاحملوا معى يا أهل الإسلام حملة واحدة و اتبعوهم و لا تقلعوا عنهم رحمكم الله. ثم حمل عليهم خالد بمن معه، فكشف من يليه منهم، و حمل قيس بن هبيرة على الذين كانوا يلونه فهزمهم و كشفهم، و حمل ميسرة على الذين كانوا يلونه، فهزمهم، و اتبعهم المسلمون يقتلونهم و يقصفون بعضهم على بعض، حتى اضطروهم إلى عسكرهم و قد رأوا ما أصابهم، فانكسروا و وهنوا و هابوا المسلمين هيبة شديدة، و انصرف المسلمون إلى عسكرهم و قد قرت أعينهم، و اجتمعوا إلى أبى عبيدة و هم مسرورون بما أراهم الله فى عدوهم من عونه لهم عليهم فقال له خالد: إن هزيمتنا خيل المشركين قد دخل رعبها قلوب جماعتهم، فكلهم قلبه مرعوب متخوف لمثلها منا مرة أخرى، فناهض القوم غدا بالغداة ما دام رعب هذه الهزيمة فى قلوبهم، فإنك إن أخرت قتالهم أياما ذهب رعبها من قلوبهم و اجترؤوا علينا. قال أبو عبيدة: فانهضوا على بركة الله غدا بالغداة.

قال عمرو بن مالك القيسى: و لم يكن شيء أحب إلى الروم من التطويل و دفع الحرب، انتظارا لمدد، و لا شيء أحب إلى المسلمين من المناجزة و تعجيل الفراغ.

و قال عبد الله بن قرط: لما کانت اللیلة التی خرجنا فی صبیحتها إلی أهل فحل، خرج إلینا أبو عبیدة فی الثلث الباقی من اللیل، فلم یزل یعبئ الناس و یحرضهم حتی إذا أصبح صلی بالناس، فکان إلی التغلیس أقرب منه إلی التنویر، ثم إنه جعل علی میمنته معاذ بن جبل، و علی میسرته هاشم بن عتبة، و علی الرجالة سعید بن زید، و علی الخیل خالد بن الولید، ثم زحف أبو عبیدة بالناس، و أخذوا یزفون زفا رویدا علی رسلهم.

و رکب أبو عبیدة فاستعرض الصف من أوله إلی آخره، یقف علی کل رایة و کل قبیلة، و یقول: عباد الله، استوجبوا من الله النصر بالصبر، فإن الله مع الصابرین، عباد الله، لیبشر من قتل منکم بالشهادة، و من بقی بالنصر و الغنیمة، و لکن وطنوا أنفسکم علی القتال و الطعن بالرماح، و الضرب بالسیوف، و الرمی بالنبل، و معانقة الأقران، فإنه و الله ما یدرک ما عند الله إلا بطاعته و الصبر فی المواطن المکروهة التماس رضوانه.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۳۶

و تقدم خالد فی الخیل حتی أطل علی الروم، فلما رأوه خرجوا إلیه فی الخیل و الرجل جمیعا، و قالوا: إن العرب أفرس علی الخیل منا، و خیلنا لا تکاد تثبت لخیلهم، فاخرجوا إلیهم فی الخیل و الرجال، و کان خالد قد هزم خیلهم بالأمس، فکان ذلک أیضا، مما حملهم علی الخروج علی هذه التعبئة، خرجوا و هم خمسة صفوف، فأول صف من صفوفهم جعلوا فیه الفارس بین راجلین: رامح و ناشب، و جعلوا صفا من الخیل وراء هذا الصف، و جعلوا له مجنبتین.

ثم صفوا ثلاثة صفوف أخر رجالا کلهم، ثم أقبلوا نحو المسلمین، و هم نحو خمسین ألفا. فکان أول من لقیهم خالد بن الولید فی الخیل، فأخذ لا یجد علیهم مقدما، و أخذوا یزحفون إلیه و یرشقونه بالنشاب، و جعل ینکص هو و أصحابه وراءهم، و أخذت الروم تقدم علیهم و هم یتأخرون، حتی انتهوا إلی صفهم، و دافعت أعجاز کثیر من خیلهم صدور رجالهم، ثم إن خالدا بعث إلی قیس بن هبیرة: أن اخرج فی خیلک حتی تأتی میسرتهم فتحمل علیها، و قال لمیسرة بن مسروق: قف قبالة صفهم فی خیلک، و ضمها إلیک کتیبة واحدة، فإذا رأیتنا قد حملنا و انتقض صفهم فاحمل علی من یلیک منهم.

و کان خالد قسم خیله أثلاثا، فجعل للمرادی قیس بن هبیرة، ثلثها، و لمیسرة بن مسروق العبسی ثلثها، و کان هو فی ثلثها، فخرج خالد فی ثلث الخیل التی معه حتی انتهی إلی میمنتهم، فعلاها، حتی إذا ارتفع علیهم أخرجوا إلیه خیلا لهم، کما تشغله و أصحابه، فلما دنت منه، قال: الله أکبر، الله أخرجهم لکم من رجالتهم، شدوا علیهم، ثم استعرضهم فشد علیهم، و شد معه أصحابه بجماعة خیلهم، فهزمهم الله، و وضعوا السلاح و السیوف فیهم حیث شاءوا، فصرعوا منهم أکثر من سبعین قبل أن ینتهوا إلی میمنتهم، و ارتفع قیس بن هبیرة إلی میسرتهم، فأخرجوا إلیه خیلا کما صنعوا بخالد، فحمل علیهم قیس، فهزمهم و ضربهم حتی انتهی إلی میسرتهم، و قتل منهم بشر کثیر، و قتلی عظیمة، و کان واثلة بن الأسقع فی خیل قیس بن هبیرة، فخرج له بطریق من کبارهم، فبرز واثلة و هو یقول فی حملته:

لیث و لیث فی مجال ضنک کلاهما ذو أنف و معک

أجول جول صارم فی العرک أو یکشف الله قناع الشک

مع ظفری بحاجتی و درکی

ثم حمل علی البطریق فضربه ضربة قتله بها، و حملوا بأجمعهم حتی اضطروا الروم إلی عسکرهم، و وقفوا بإزائهم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۳۷

قال هاشم بن عتبة رحمه الله: و الله لقد کنا أشفقنا یومئذ، علی خیلنا أول النهار، ثم أحسن الله، فما هو إلا أن رأینا خیلنا قد نصرها الله علی خیلهم، فدعوت الناس إلیّ و أمرتهم بتقوی الله، ثم نزلت، فهززت رایتی، ثم قلت: و الله لا ـ أردها حتی أرکزها فی صفهم، فمن شاء فلیتبعنی، و من شاء فلیتخلف عنی، قال: فو الذی لا إله غیره، ما أعلم أن أحدا من أصحاب رایتی تخلف عنی، حتی انتهیت إلی صفهم، فنضحونا بالنشاب، فجثونا علی الرکب و اتقیناهم بالدرق.

ثم ثرت بلوائی و قلت لأصحابی: شدوا علیهم أنا فداؤکم، فإنها غنیمة الدنیا و الآخرة، فشددت و شدوا معی، فأستقبل عظیما منهم قد أقبل نحوی فأوجزه الرمح، فخر میتا، و ضاربناهم بالسیوف ساعة فی صفهم، و حمل علیهم خالد من قبل میسرتهم فقتلهم قتلا ذریعا، و انتقضت صفوفهم من قبل خالد و من قبلی، و نهد إلیهم أبو عبیدة بالناس، و أمر الخیل التی کانت تلیه من خیل خالد، فحملت علیهم، فکانت هزیمتهم «۱».

و قال عمرو بن مالک القینی عن أبیه: کان منا رجل له فینا منزلة و حال حسنة، قال:

فقلت فی نفسی: قد بلغنی أن صاحب العرب هذا، یعنی أبا عبیدة، رجل صدق، فو الله لآتینه فلأصحبنه و لأتعلمن منه. قال: فکنت آتیه و أخرج معه إذا خرج إلی عسکره، فلما کان ذلک الیوم أقبل حتی کان إلی جنب أبی عبیدة، فألظ به لا یفارقه، قال: فو الله لرأیته یقص علینا، و یقول: کونوا عباد الله أولیاء الله، و ارغبوا فیما عند الله أشد من رغبتکم فی الدنیا، و لا تواکلوا فتخاذلوا، و لیغن کل رجل منکم قرنه، و أقدموا إقدام من یرید بإقدامه ثواب الله، و لا یکن من لقیکم من عدوکم أصبر علی باطلهم منکم علی حقکم، ثم نهض یمشی إلیهم، و نهض المسلمون معه تحت رایاتهم ببصیرة و سکینة و دعة و حسن رعة، و حمل قیس بن هبیرة علی الروم من قبل میسرتهم، فقصف بعضهم علی بعض «۲».

و عن یحیی بن هانئ المرادی: أن قیسا قطع یومئذ ثلاثة أسیاف، و کسر بضعة عشر رمحا، و کان یقاتل و یقول:

لا یبعدن کل فتی کرارماضی الجنان شاحب صبار

حین تهم الخیل بالإدباریقدم إقدام الشجاع الضاری

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام للأزدی (۱۲۳- ۱۲۴).

(۲) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۳۴- ۱۳۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۳۸

و قال سالم بن ربیعة: حمل میسرة بن مسروق یومئذ، و نحن معه فی الخیل، فحملنا علی القلب و قد أخذ صف الروم ینتقض من قبل میسرتهم و میمنتهم، و لم ینته الانتقاض إلی القلب بعد، فثبتوا لنا، و قاتلونا قتالا شدیدا، فصرع میسرة عن فرسه، و صرعت معه، و جرح فرسی فعار، و یعتنق میسرة رجلا من الروم، فاعترکا ساعة، فقتله میسرة، ثم شد علیه آخر و قد أعیی میسرة، فاعترکا ساعة، فصرعه الرومی و جلس علی صدره، و أشد علیه، فأضرب وجه الرومی بالسیف، فأطرت قحفه، فوقع میتا، و وثب میسرة و انبری إلی رجل منهم، فضربنی ضربة دیر بی منها، و یضربه میسرة فیصرعه، و رکبنا منهم عدد کثیر، فأحاطوا بنا، و ظننا و الله أنه الهلاک، إذ نظرنا فإذا نحن نسمع نداء المسلمین و تکبیرهم، و إذا صفوفهم قد انتهت إلینا، و رایاتهم قد غشیتنا، فکبرنا، و اشتدت ظهورنا، فانقشع الروم عنا، و حمل علیهم خالد من قبل میمنتهم، فدق بعضهم علی بعض حتی دخلوا عسکرهم «۱».

و عن نوفل بن مساحق، عن أبیه: أن خالدا قاتل یومئذ، قتالا شدیدا ما قاتل مثله أحد من المسلمین، و ما کان إلا حدیثا و مثلا لمن حضره، و لقد کان یستعرض صفوفهم و جماعتهم، فیحمل علیهم حتی یخالطهم، ثم یجالدهم حتی یفرقهم، و یهزمهم، و یکثر القتل فیهم.

قال: و لقد سمعت من یزعم أنه قتل فی ذلک الیوم أحد عشر رجلا من الروم من بطارقتهم و أشدائهم و أهل الشجاعة منهم، و کان یقاتلهم و یقول «۲»:

أضربهم بصارم مهندضرب صلیب الدین هاد مهتد

لا واهن الحول و لا مفند

و عن سهل بن سعد قال: کان معاذ بن جبل یومئذ من أشد الناس بأسا، و کان یقول:

یا أهل الإسلام، إن هذا الیوم لما بعده من الأیام، غضوا أبصارکم رحمکم الله، و أقدموا إقدام الأسد علی عدوکم، و لا تفارقوا رایاتکم، و لا تزولوا عن مصافکم، و سوقوهم سوقا عنیفا، و لا تشاغلوا عنهم بغنائمهم، و لا بما فی عسکرهم، فإنی أخاف أن یکون لهم علیکم عطفة فلا تقوم لکم بعدها قائمة إن تفرقتم و شغلتکم غنائمهم، فاطلبوهم حتی لا تروا لهم جمعا و لا صفا.

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۳۵- ۱۳۶).

(۲) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۳۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۳۹

فمضی المسلمون کما وصف لهم علی رایاتهم و صفوفهم یقدمون علیهم، و جعلت صفوف الروم تنتقض و تدبر، و خیل المسلمین تکردهم و تقتلهم، و تحمل علیهم، و لا تقلع عنهم، فقتلوا منهم فی المعرکة نحوا من خمسة آلاف، و قتلوا فی عسکرهم حیث دخلوا نحوا من ألفین، و خرجوا عبادید منهزمین، و خیل المسلمین تتبعهم و تقتلهم حتی اقتحموا فی فحل، و فحل مطلة علی أهویة تحتها الماء، فتحصنوا فیها، و أصاب المسلمون منهم نحوا من ألفی أسیر، فقتلهم المسلمون، و أقبل أبو عبیدة حتی دخل عسکرهم و حوی ما فیه.

و قال عبد الله بن قرط الثمالیّ: مررت یومئذ بعمرو بن سعید بن العاص قبل هزیمة المشرکین، و معه رجال من المسلمین، سبعة أو ثمانیة، و إنه لأمامهم نحو العدو، و إنه لیقول: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا لَقِیتُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ وَ مَنْ یُوَلِّهِمْ یَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَیِّزاً إِلی فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ [الأنفال: ۱۵، ۱۶]، ثم یقول: لکن الجنة و الله نعم المصیر، و لمن؟ هی هی و الله لمن شری نفسه الیوم لله، و قاتل فی سبیل الله، ثم یقول: إلیّ یا أهل الإسلام، أنا عمرو بن سعید بن العاص، لا تفروا، فإن الله یراکم، و من یره الله یفر عن نصر دینه یمقته، فاستحیوا من الله ربکم أن یراکم تطیعون أبغض خلقه إلیه، و هو الشیطان الرجیم، و تعصونه و هو الرحمن الرحیم «۱».

قال عبد الله بن قرط: و قد کان العدو حمل علینا حملة منکرة، فرقت بینی و بین أصحابی، فانتهیت إلی عمرو و هو یقول هذا القول، فقلت فی نفسی: و الله ما أنا بواجد الیوم فی هذا العسکر رجلا أقدم صحبة و لا أقرب قرابة من رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من هذا الرجل، فدنوت منه و معی الرمح، و قد أحاطت به من الروم جماعة، فحملت علیهم، فأصرع أحدهم، ثم أقبلت إلیه، فوقفت معه، ثم قلت: یا ابن أبی أحیحة، أ تعرفنی؟ فقال لی: نعم یا أخا ثقیف، فقلت له: لم تبعد، هم الإخوان و الجیران و الحلفاء، و لکنی أخو ثمالة، عبد الله بن قرط. فقال لی: مرحبا بک أخی فی الإسلام، و هو أقرب النسب، أما و الله لئن استشهدت و کفی بالله شهیدا لأشهدن لک، و لئن شفعت لأشفعن لک. قال:

فنظرت إلی وجهه، فإذا هو مضروب علی حاجبه بالسیف، و إذا الدم قد ملأ عینیه، و إذا هو لا یستطیع أن یطرف و لا یفتح عینیه من الدم، فقلت له: أبشر بخیر، فإن الله معافیک من هذه الضربة، و منزل النصر علی الإسلام. قال: أما النصر لأهل الإسلام، فأنزل الله

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۳۷- ۱۳۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۴۰

فعجل، و أما أنا، فجعل الله لی هذه الضربة شهادة و أهدی إلیّ أخری مثلها، فو الله ما أحب أنها بعرض أبی قبیس، و و الله لو لا أن یقتل بعض من حولی لأقدمت علی هذا العدو حتی ألحق بربی، یا أخی إن ثواب الشهادة عظیم، و إن الدنیا قل ما یسلم منها أهلها.

قال: فما کان بأسرع من أن شد علینا منهم جماعة، فمشی إلیهم بسیفه، فضاربهم ساعة و هو أمام الناس، و ثار بینهم الغبار، فشددنا علیهم، فصرنا منهم عدة، و إذا نحن بعمرو بن سعید صریعا، و إذا هو قد بضع و به أکثر من ثلاثین ضربة، و کانوا حنقوا علیه و حردوا

لما رأوا من شدة قتاله، فقطعوه بأسيافهم يرحمه الله.

و قتل أيضا هناك من قريش من بنى سهم: سعيد بن عمرو، و سعيد بن الحارث بن قيس، و الحارث بن الحارث، و غلب المسلمون على الأرض و احتووها، و صار من بقى من العدو فى الحصن، و قد قتل الله منهم مقتلة عظيمة، فأقام المسلمون على الحصن و قد غلبوا على سواد الأردن و أرضها و كل ما فيها، و طلبوها بالنزول إليهم، على أن يؤمنوهم، فأبوا، و ذلك أنه بلغهم أن ملك الروم بعث إليهم رجلا من غسان يقال له:

المنذر بن عمرو، فجاء فى جمع عظيم من الروم يمد أهل فحل، فلم يبلغهم حتى هزمهم الله و أذلهم، فكان أراد أن يجىء حتى يدخل معهم حصنهم.

و كان طائفة قد جاءوا بعد وقعة فحل بيوم، فقال خالد: ما أظن هؤلاء ينبغى لنا أن نعطيهم قوم قاتلوا على هذا الفىء و غلبوا عليه. فقال علقمة بن الأرث القيسى: لم أصلحك الله لا تجعلهم شركاءنا و قد جاءوا بعيالهم يسيرون و يغدون و يروحون لينصروا الإسلام و يجاهدوا فى سبيل الله؟ أ فإن المسلمون سبقوهم بساعة من النهار لا يشركونهم و هم إخوانهم و أنصارهم؟ فقال خالد: ننظر، قال أبو عبيدة: ما نرى إلا أن نشركهم.

فلما بلغ قضاعة أن المنذر بن عمرو قد دخل بطن الأردن، جاء علقمة بن الأرث إلى أبى عبيدة، فقال: إن المنذر بن عمرو قد نزل بطن الأردن، أ فلا تبعث إليه المسلمين؟

فقال: دعه حتى يدنو. فقال: أصلحك الله، ابعث معى خيلا فأنا أكفيكه. فقال: لا، لا تقربنه، لست آذن لك، دعه حتى يدنو، فخرج إلى أصحابه فقال لمن لم يشهد الوقعة منهم، و لمن شهدها، و لهم خيل و قوة: اخرجوا بنا حتى نلقى المنذر بن عمرو، فإنى أرجو أن نصادمه مغترا فنقتله، فنذهب إن شاء الله بأجرها و شرف ذكرها، فتابعوه، فأقبل حتى إذا دنا من عسكر المنذر بن عمرو، حمل الخيل عليهم من جانب العسكر و هم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴۱

غازون، فهزمهم، و أتبعهم الخيل تثفنهم و تقتلهم فى كل جانب، و أغار رجالته فى العسكر فاحتووا ما فيه، و لحق علقمة بالمنذر فجاراه ساعة حتى دنا منه، فطعنه و قتله، و أخذ فرسه و رجع إلى أبى عبيدة و قد جاءه خبره، فقال له أبو عبيدة: إنى لأكره أن لا ألومك و قد عصيتنى، و إنى لأكره أن ألومك و قد فتح الله عليك، و رأى أبو عبيدة أن يسهم لهم مع المسلمين، فقاسموهم ما كان فى عسكر المنذر، فلم يصيبوا منها إلا اليسير. الاكتفاء، الكلاعى ج۲ ۲۴۱ وقعة فحل حسبما فى كتب فتوح الشام ..... ص : ۲۲۶

كتب أبو عبيدة إلى عمر رحمهما الله «۱»: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد: فالحمد لله الذى أنزل على المسلمين نصره، و على الكافرين رجزه، أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله، أنا لقينا الروم و قد جمعوا لنا الجموع العظام، فجاءونا من رءوس الجبال و أسياف البحار، يرون أن لا غالب لهم من الناس، فبرزوا إلينا، و بغوا علينا، و توكلنا على الله تعالى، و رفعنا رغبتنا إلى الله، و قلنا حسبنا الله و نعم الوكيل، فنهضنا إليهم بخيلنا و رجلنا، و كان القتال بين الفريقين مليا من النهار، أهدى الله فيه الشهادة لرجال من المسلمين رحمهم الله، منهم: عمرو بن سعيد بن العاص، و ضرب الله وجوه المشركين، و أتبعهم المسلمون يقتلونهم و يأسرونهم، حتى اعتصموا بحصنهم، و انتهب المسلمون عسكرهم، و غلبوا على بلادهم، و أنزلهم الله من صياصيهم، و قذف الرعب فى قلوبهم فاحمد الله يا أمير المؤمنين أنت و من قبلك من المسلمين على إعزاز الدين و إظهار الفلج على المشركين، و ادع الله لنا بتمام النعمة، و السلام عليك.

و لما رأى أهل فحل أن أرض الأردن قد غلب عليها المسلمون سألوا الصلح على أن يعفى لهم عن أنفسهم، و أن يؤدوا الجزية، و من كان فيهم من الروم إن أحب لحق بالروم و خلى بلاد الأردن، و إن أحب أن يقيم و يؤدى الجزية أقام، فصالحهم المسلمون و كتبوا لهم كتابا. و خرج منهم من كان أقبل من الروم فى تلك السنة، و تبقى معهم من كان تبنبك قبل ذلك بالبلد، و اتخذ الضياع، و تزوج

بها، و ولد له فیها، فأقاموا علی أن یؤدوا الجزیة هم و سائر من کان معهم فی الحصن.

و أما من عداهم من أهل الأردن أهل الأرض و القری، فاختلف فیهم المسلمون، لأخذهم ذلک عنوة، و غلبتهم علیه بغیر صلح، فقالت طائفة: نقتسمهم، و قالت طائفة:

نترکهم، فکتب أبو عبیدة إلی عمر:

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۳۹- ۱۴۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۴۲

بسم الله الرحمن الرحیم. أما بعد، فإن الله جل ثناؤه ذا المن و الفضل و النعم العظام فتح علی المسلمین أرض الأردن، فرأت طائفة من المسلمین أن یقروا أهلها، علی أن یؤدوا الجزیة إلیهم، و یکونوا عمار الأرض، و رأت طائفة أن یقتسموهم، فاکتب إلینا یا أمیر المؤمنین برأیک فی ذلک، أدام الله لک التوفیق فی جمیع الأمور، و السلام.

فکتب إلیه عمر: بسم الله الرحمن الرحیم، من عبد الله عمر أمیر المؤمنین، إلی أبی عبیدة بن الجراح، سلام علیک، فإنی أحمد إلیک الله الذی لا إله إلا هو. أما بعد: فقد بلغنی کتابک تذکر إعزاز الله أهل دینه، و خذلانه أهل عدوانه، و کفایته إیانا مئونة من عادانا، فالحمد لله علی إحسانه فیما مضی، و حسن صنیعه فیما غبر، الذی عافی جماعة المسلمین، و أکرم بالشهادة فریقا من المؤمنین، فهنیئا لهم رضا ربهم، و کرامته إیاهم، و نسأل الله أن لا یحرمنا أجرهم، و لا یفتنا بعدهم، فقد نصحوا الله و قضوا ما علیهم، و لربهم کانوا یحفدون، و لأنفسهم کانوا یمهدون، و قد فهمت ما ذکرت من أمر الأرض التی ظهر علیها و علی أهلها المسلمون، فقالت طائفة: نقر أهلها، علی أن یؤدوا الجزیة للمسلمین، و یکونوا للأرض عمارا.

و رأت طائفة أن یقتسموهم، و إنی نظرت فیما کتبت فیه، ففرق لی من الرأی فیما سألتنی عنه أنی رأیت أن تقرهم، و تجعل الجزیة علیهم، و تقسمها بین المسلمین، و یکونوا للأرض عمارا، فهم أعلم بها و أقوی علیها، أ رأیتم لو أنا أخذنا أهلها فاقتسمناهم، من کان یکون لمن یأتی بعدنا من المسلمین؟ و الله ما کانوا لیجدوا إنسانا یکلمونه، و لا ینتفعون بشیء من ذات یده، و إن هؤلاء یأکلهم المسلمون ما داموا أحیاء، فإذا هلکنا و هلکوا أکل أبناؤنا أبناءهم أبدا ما بقوا، و کانوا عبیدا لأهل الإسلام ما دام دین الإسلام ظاهرا، فضع علیهم الجزیة، و کف عنهم السباء، و امنع المسلمین من ظلمهم و الإضرار بهم و أکل أموالهم إلا بحقها، و السلام علیک.

فلما جاء أبا عبیدة هذا الرأی من عمر عمل به، و کان رأیه و رأی عمر فی ذلک واحدا «۱».

و قال علقمة بن الأرث القینی فی یوم فحل:

و نحن قتلنا کل واف سبالهمن الروم معروف النجار منطق

نطلق بالبیض الرقاق نساءهمو أبنا إلی أزواجنا لم تطلق

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۳۹- ۱۴۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۴۳ نصرعهم فی کل فج و غائطکأنهم بالقاع معزی المحلق

فکم من قتیل أوهطته سیوفناکفاحا و کف قد أطارت و أسوق

فتح حمص فیما حکاه أصحاب فتوح الشام «۱»

عن محرز بن أسد الباهلی قال: دعا أبو عبیدة رءوس المسلمین و فرسان العرب الذین معه، فجمعنا بعد ما ظهرنا علی فحل و فرغنا من الأردن و أرضها، و قد تحصن منا أهل إیلیاء، و اجتمعت بقیساریة جموع عظام مع أهلها، و أهلها لم یزالوا کثیرا، فقال أبو عبیدة: یا

أهل الإسلام، إن الله قد أحسن إلیکم و ألبسکم عافیة مجللة و أمنا واسعا، و أظهرکم علی بطارقة الروم، و فتح لکم الحصون و القلاع و القری و المدائن، و جعلکم لهذه الدار دار الملوک، أربابا، و جعلها لکم منزلا، و قد کنت أردت النهوض بکم إلی أهل إیلیاء و أهل قیساریة، فکرهت أن آتیهم و هم فی جوف مدینتهم متحرزون متحصنون، و لم آمن أن یأتیهم مدد من جندهم، و أنا نازل علیهم قد حبست نفسی لهم عن افتتاح الأرض، و لم أدر لعل من طاعتی إذا رأونی قد شغلت نفسی بهم أن یرجعوا إلیهم، و أن ینقضوا العهد الذی بینی و بینهم، فرأیت أن أسیر إلی دمشق، ثم أسیر فی أرضها إلی من لم یدخل طاعتی منهم، ثم أسیر إلی حمص، فإن قدرنا علیها، و إلا ترکناها و لا نقیم علیها أکثر من یوم الأربعاء و الخمیس و الجمعة، ثم ندنو من ملک الروم و ننظر ما یرید بمکانه الذی هو به، فإن الله نفاه عن مکانه ذلک لم تبق بالشام قریة و لا مدینة إلا سالمت و صالحت و أعطت الجزیة و دخلت فی الطاعة «۲».

فقال المسلمون جمیعا: فنعم الرأی رأیک، فأمضه و سر بنا إذا بدا لک، فدعا خالدا و کان لکل ملمة و لکل شدة، فقال له: سر رحمک الله، فی الخیل. فخرج فیها، و خلف عمرو بن العاص فی أرض الأردن، و فی طائفة من أرض فلسطین مما یلی أرض العرب، و جاء خالد حتی تولی أرض دمشق، فاستقبله الذین کانوا صالحوا المسلمین.

ثم إن أبا عبیدة جاء من الغد، فخرجوا أیضا، فاستقبلوه بما یحب، فلبث یومین أو ثلاثة، ثم أمر خالدا فسار حتی بلغ بعلبک و أرض البقاع، فغلب علی أرض البقاع، و أقبل قبل بعلبک حتی نزل علیها، فخرج إلیه منها رجل، فأرسل إلیهم فرسانا من المسلمین نحوا من خمسین، فیهم ملحان بن زیاد الطائی، و قنان بن دارم العبسی، فحملوا علیهم

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۱۹۰)، تاریخ الطبری (۳/ ۵۹۸).

(۲) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۴۳- ۱۴۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۴۴

حتی أقحموهم الحصن. فلما رأوا ذلک بعثوا فی طلب الصلح، فأعطاهم ذلک أبو عبیدة، و کتب لهم کتابا.

ثم إنه خرج نحو حمص، فجمع له أهلها جمعا عظیما، ثم استقبلوه بجوسیة «۱»، فرماهم بخالد بن الولید، فلما نظر إلیهم خالد قال: یا أهل الإسلام، الشدة، الشدة. ثم حمل علیهم خالد، و حمل المسلمون معه، فولوا منهزمین حتی دخلوا مدینتهم، و بعث خالد میسرة بن مسروق فاستقبل خیلا لهم عظیمة عند نهیر قریب من حمص، فطاردهم قلیلا ثم حمل علیهم، فهزمهم، و أقبل رجل من المسلمین من حمیر یقال له شرحبیل، فعرض له منهم فوارس، فحمل علیهم وحده، فقتل منهم سبعة، ثم جاء إلی نهر دون حمص مما یلی دیر مسحل فنزل عن فرسه فسقاه، و جاء نحو من ثلاثین فارسا من أهل حمص فنظروا إلی رجل واحد، فأقبلوا نحوه، فلما رأی ذلک أقحم فرسه و عبر الماء إلیهم، ثم ضرب فرسه فحمل علیهم، فقتل أول فارس، ثم الثانی، ثم الثالث، ثم الرابع، ثم الخامس، ثم انهزموا و تبعهم وحده، فلم یزل یقتل واحدا واحدا حتی انتهوا إلی دیر مسحل و قد صرع منهم أحد عشر رجلا، فاقتحموا جوف الدیر و اقتحم معهم، فرماه أهل الدیر بالحجارة حتی قتلوه، رحمه الله.

و جاء ملحان بن زیاد و عبد الله بن قرط و صفوان بن المعطل إلی المدینة، فأخذوا یطیفون بها یریدون أن یخرج إلیهم أهلها، فلم یخرجوا. و جاء المسلمون حتی نزلوا علی باب الرستن «۲»، فزعم النضر بن شفی أن رجلا من آل ذی الکلاع کان أول من دخل مدینة حمص، و ذلک أنه حمل من جهة باب الشرقی فلم یرد وجهه شیء، فإذا هو فی جوف المدینة، فلما رأی ذلک ضرب فرسه فخرج کما هو علی وجهه و لا یری إلا أنه قد هلک، حتی خرج من باب الرستن، فإذا هو فی عسکر المسلمین.

و حاصر المسلمون أهل حمص حصارا شدیدا، فأخذوا یقولون للمسلمین: اذهبوا نحو الملک، فإن ظفرتم به فنحن کلنا لکم عبید. فأقام أبو عبیدة علی باب الرستن بالناس، و بث الخیل فی نواحی أرضهم، فأصابوا غنائم کثیرة و قطعوا عنهم المادة و المیرة، و اشتد علیهم الحصار، و خشوا السباء فأرسلوا إلی المسلمین یطلبون الصلح، فصالحهم المسلمون

(۱) جوسية: بالضم ثم السكون و كسر السين المهملة و ياء خفيفة، قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق. انظر: معجم البلدان (۲/ ۱۵۸).

(۲) الرستن: بفتح أوله و سكون ثانيه، بليدة قديمة كانت على نهر الميماس، بين حماة و حمص، فى نصف الطريق. انظر: معجم البلدان (۳/ ۴۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴۵

و كتبوا لهم كتابا بالأمان على أنفسهم و أموالهم و كنائسهم، و على أن يضيفوا المسلمين يوما و ليلة، و على أن على أرض حمص مائة ألف دينار و سبعين ألف دينار، و فرغوا من الصلح، و فتحوا باب المدينة للمسلمين، فدخلوها و أمن بعضهم بعضا.

و كتب أبو عبيدة إلى عمر رضى الله عنهما: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فأحمد الله الذى أفاء علينا و عليك يا أمير المؤمنين أفضل كورة بالشام، أكثرها أهلا و قلاعا و جمعا و خراجا، و أكبتهم للمشركين كبتا، و أيسره على المسلمين فتحا. أخبرك يا أمير المؤمنين أصلحك الله، أنا قدمنا بلاد حمص و بها من المشركين عدد كثير، و المسلمون يزفون إليهم ببأس شديد، فلما دخلنا بلادهم ألقى الله الرعب فى قلوبهم، و وهن كيدهم، و قلم أظفارهم، فسألونا الصلح و أذعنوا بأداء الخراج، فقبلنا منهم و كففنا عنهم، ففتحوا لنا الحصون و اكتتبوا منا الأمان، و قد وجهنا الخيول إلى الناحية التى بها ملكهم و جنوده.

نسأل الله ملك الملوك و ناصر الجنود أن يعز المسلمين بنصره، و أن يسلم المشرك الخاطئ بذنبه، و السلام عليك.

فكتب إليه عمر: أما بعد، فقد بلغنى كتابك تأمرنى فيه بحمد الله على ما أفاء علينا من الأرض و فتح علينا من القلاع و مكن لنا فى البلاد و صنع لنا و لكم و أبلانا و إياكم من حسن البلاء، فالحمد لله على ذلك حمدا كثيرا ليس له نفاد و لا يحصى له تعداد، و ذكرت أنك وجهت الخيول نحو البلاد التى فيها ملك الروم و جموعهم، فلا تفعل، ابعث إلى خيلك فاضممها إليك و أقم حتى يمضى هذا الحول و نرى من رأينا. و نستعين الله ذا الجلال و الإكرام على جميع أمرنا، و السلام عليك.

فلما أتى أبا عبيدة الكتاب دعا رءوس المسلمين، فقال لهم: إنى قد كنت قدمت ميسرة بن مسروق إلى ناحية حلب و أنا أريد الإقدام و الغارة على ما دون الدرب من أرض الروم، و كتبت بذلك إلى أمير المؤمنين، فكتب إلىّ: أن أصرف إلى خيلى، و أن أتربص بهم الحول حتى يرى من رأيه. فقالوا: لم يألك أمير المؤمنين و المسلمين نظرا و خيرا. فسرح إلى ميسرة، و قد كان أشرف على حلب و دنا منها، فيجامعه كتاب إلى ميسرة: أما بعد، فإذا لقيت رسولى فأقبل معه ودع ما كنت وجهتك إليه حتى نرى من رأينا و ننظر ما يأمرنا به خليفتنا، و السلام.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴۶

فأقبل ميسرة فى أصحابه حتى انتهى إلى أبى عبيدة بحمص، فنزل معه، و خرج أبو عبيدة فعسكر بالناس، و دعا خالد بن الوليد، فقال له: اخرج إلى دمشق فانزلها فى ألف رجل من المسلمين و أقيم أنا هاهنا، و يقيم عمرو بن العاص فى مكانه الذى هو فيه، فيكون بكل جانب من الشام طائفة من المسلمين، فهو أقوى لنا عليها و أحرى أن نضبطها، فخرج خالد فى ألف رجل حتى أتى دمشق و بها سويد بن كلثوم بن قيس القرشى، من بنى محارب بن فهر، و كان أبو عبيدة خلفه بها فى خمسمائة رجل، فقدم خالد فعسكر على باب من أبوابها، و نزل سويد فى جوفها.

و عن أدهم بن محرز بن أسد الباهلى قال: أول راية دخلت أرض حمص و دارت حول مدينتها راية ميسرة بن مسروق، و لقد كانت لأبى أمامة راية و لأبى راية، و إن أول رجل من المسلمين قتل رجلا من المشركين لأبى، إلا أن يكون رجل من حمير، فإنه حل هو و أبى جميعا فكل واحد منهما قتل فى حملته رجلا، فكان أبى يقول: أنا أول رجل من المسلمين قتل رجلا من المشركين بحمص، لا

أدرى ما الحميرى، فإنى حملت أنا و هو فقتل كل رجل منا فى حملته رجلا، و لا أخال إلا أنى قتلت قتيلى قبل قتيله «۱».

و قال أدهم: إنى لأول مولود بحمص، و أول مولود فرض له بها، و أول من رئى فيها بيده كتف يختلف إلى الكتاب، و لقد شهدت صفين و قاتلت «۲».

و قال عبد الله بن قرط: عسكر أبو عبيدة و نحن معه حول حمص نحوا من ثمان عشرة ليلة، و بث عماله فى نواحى أرضها، و اطمأن فى عسكره، و ذهبت منهزمة الروم من فحل حتى قدمت على ملك الروم بأنطاكية، و خرجت فرسان من فرسان الروم و رجال من عظمائهم و ذوى الأموال و الغنى و القوة منهم ممن كان أوطن بالشام فدخلوا قيسارية، و تحصن أهل فلسطين بإيلياء.

و لما قدمت المنهزمة على هرقل دعا رجالا منهم، فقال لهم: أخبرونى ويلكم عن هؤلاء القوم الذين تلقونهم، أ ليسوا بشرا مثلكم؟ قالوا: بلى، قال: فأنتم أكثر أم هم؟

قالوا: نحن أكثر منهم أضعافا، و ما لقيناهم فى موطن إلا و نحن أكثر منهم. قال: ويلكم فما بالكم تنهزمون إذا لقيتموهم؟ فسكتوا. فقام شيخ منهم، فقال: أنا أخبرك أيها الملك من أين يؤتون، قال: فأخبرنى، قال: إنهم إذا حمل عليهم صبروا، و إذا حملوا لم يكذبوا،

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۴۸- ۱۴۹).

(۲) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۴۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴۷

و نحن نحمل فنكذب و يحمل علينا فلا نصبر. قال: و ما بالكم كما تصفون، و هم كما تزعمون؟ قال الشيخ: ما أرانى إلا قد علمت من أين هذا. قال له: و من أين هذا؟ قال:

من أجل أن القوم يقومون الليل و يصومون النهار و يوفون بالعهد و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، و إنا نشرب الخمر، و نرتكب المحارم، و ننقض العهد و نأمر بما يسخط الله و ننهى عما يرضيه و نفسد فى الأرض. قال: صدقتنى، لأخرجن من هذه القرية، و لأدعن هذه البلدة، و ما لى فى صحبتكم من خير و أنتم هكذا. قال: نشدتك الله أيها الملك أن تفعل، تدع سورية جنة الدنيا للعرب و تخرج منها و لما تقاتل و تجهد؟ قال: قد قاتلتموهم غير مرة بأجنادين، و فحل، و دمشق، و الأردن، و فلسطين، و حمص، و فى غير موطن، كل ذلك تنهزمون و تفرون و تغلبون. قال الشيخ: حولك من الروم عدد الحصى و الثرى و الذر، لم يلقهم منهم إنسان، ثم تريد أن تخرج منها و ترجع بهؤلاء جميعا من قبل أن يقاتلوا؟ «۱».

فإن هذا الشيخ ليكلمه إذ قدم عليه وفد قيسارية و إيلياء، و سيأتى خبرهم بعد إن شاء الله.

و ذكر الطبرى «۲» عن سيف: أن هرقل لما بلغه الخبر بمقتل أهل المرج أمر أمير حمص بالمضى إليها، و قال له: إنه بلغنى يعنى عن المسلمين، أن طعامهم لحوم الإبل، و شرابهم ألبانها، و هذا الشتاء، فلا تقاتلوهم إلا فى كل يوم بارد، فإنه لا يبقى إلى الصيف منهم أحد هذا جل طعامه، و شرابه، و ارتحل فى عسكره ذلك حتى أتى الرها.

و أقبل أبو عبيدة حتى نزل على حمص، و أقبل خالد بعده حتى ينزل عليها، فكان أهلها يغادون المسلمين و يراوحونهم فى كل يوم بارد، و لقى المسلمون بها بردا شديدا و الروم حصارا طويلا. فأما المسلمون فصبروا و رابطوا، و أفرغ الله عليهم الصبر و أعقبهم النصر، حتى انصرم الشتاء، و إنما تمسك الروم بالمدينة رجاء أن يهلكهم الشتاء. فكانوا يتواصون فيما بينهم و يقولون: تمسكوا فإنهم جفاة، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم مع ما يأكلون و يشربون، فكانت الروم ترجع و قد سقطت أقدام بعضهم فى خفافهم، و إن المسلمين لفى النعال ما أصيب إصبع أحد منهم، حتى إذا انخمس الشتاء، قام فيهم شيخ لهم يدعوهم إلى مصالحة المسلمين، قالوا: كيف و الملك فى عزه و ملكه ليس بيننا و بينهم شىء؟ فتركهم، و قام فيهم آخر و قال: ذهب الشتاء و انقطع الرجاء فما تنتظرون؟

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۴۹- ۱۵۱).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۵۹۹- ۶۰۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴۸

قالوا: البرسام، فإنما يسكن فى الشتاء و يثور فى الصيف، قال: إن هؤلاء قوم يعانون و لأن تأتوهم بعهد و ميثاق خير من أن تؤخذوا عنوة، أجيبونى محمودين قبل أن تجيبونى مذمومين. فقالوا: شيخ خرف و لا علم له بالحرب. و أثاب الله المسلمين على صبرهم أيام حمص. فيما حكى عن بعض أشياخ من غسان و بلقين «۱»: أن زلزل بأهل حمص، و ذلك أن المسلمين ناهدوهم، فكبروا تكبيرة زلزلت معها الروم فى المدينة، و تصدعت الحيطان، ففزعوا إلى رؤسائهم و ذوى رأيهم ممن كان يدعوهم إلى المسالمة فلم يجيبوهم و أذلوهم بذلك، ثم كبروا الثانية فتهافتت دور كثيرة و حيطان، و فزعوا إلى رؤسائهم و ذوى رأيهم، فقالوا: أ لا ترون إلى عذاب الله؟ فأجابوهم: لا يطلب الصلح غيركم، فأشرفوا ينادون، الصلح الصلح، و لا يشعر المسلمون بما حدث فيهم، فأجابوهم و قبلوا منهم على أنصاف دورهم، و على أن يترك المسلمون أموال ملوك الروم و بنيانهم لا ينزلونه عليهم، فتركوه لهم، فصالح بعضهم على صلح دمشق على دينار و طعام على كل جريب أبدا أيسروا أو أعسروا، و صالح بعضهم على قدر طاقته إن زاد ماله زيد عليه و إن نقص نقص، و على هذين الوجهين كان صلح دمشق و الأردن، و ولوا معاملة ما جلا ملوكهم عنه.

حديث حمص آخر

قالوا: و غزى هرقل أهل حمص فى البحر، و استمد أهل الجزيرة، و استثار أهل حمص، فأرسلوا إليه: بأنا قد عاهدنا، فنخاف أن لا ننصر.

و استمد أبو عبيدة خالدا، فأمده بمن معه جميعا، لم يخلف أحدا، فكفر أهل قنسرين بعده و تابعوا هرقل، و كان أكثر من هنالك تنوخ الحاضر.

و دنا هرقل من حمص و عسكر و بعث البعوث إلى حمص، فأجمع المسلمون على الخندقة و الكتاب إلى عمر، إلا ما كان من خالد، فإن المناجزة كانت رأيه، فخندقوا على حمص، و كتبوا إلى عمر و استصرخوه.

و جاء الروم و من أمدهم حتى نزلوا عليهم فحصروهم، و بلغت أمداد الجزيرة ثلاثين ألفا سوى أمداد قنسرين من تنوخ و غيرهم، فبلغوا من المسلمين كل مبلغ.

و جاء الكتاب إلى عمر و هو موجه إلى مكة للحج، فمضى لحجه، و كتب إلى سعد بن

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۰۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴۹

أبى وقاص: إن أبا عبيدة قد أحيط به و لزم حصنه، فبث المسلمين بالجزيرة، و اشغلهم بالخيول عن أهل حمص، و أمد أبا عبيدة بالقعقاع بن عمرو.

فخرج القعقاع ممدا لأبى عبيدة، و خرجت الخيول نحو الرقة و نصيبين و حران، فلما وصلوا الجزيرة و بلغ ذلك الروم الذين كانوا منها و هم بحمص تقوضوا إلى مدائنهم، و بادروا المسلمين إليها، فتحصنوا، و نزل عليهم المسلمون فيها، و لما دنا القعقاع من حمص راسلت طائفة من تنوخ خالدا و دلوه و أخبروه بما عندهم من الخبر، فأرسل إليهم خالد:

و الله لو لا أنى فى سلطان غيرى ما باليت قللتم أم كثرتم أو أقمتم أو ذهبتم، فإن كنتم صادقين فانفشوا كما انفش أهل الجزيرة، فساموا تنوخ ذلك، فأجابوهم، و راسلوا خالدا: إن ذلك إليك، فإن شئت فعلنا، و إن شئت أن تخرج علينا فننهزم بالروم، و أوثقوا له، فقال:

بل أقیموا، فإذا خرجنا فانهزموا بهم.

فقال المسلمون لأبی عبیدة: قد أنفش أهل الجزیرة، و قد ندم أهل قنسرین و واعدوا من أنفسهم، و هم العرب، فاخرج بنا و خالد ساکت، فقال: یا خالد، ما لک لا تتکلم؟

فقال: قد عرفت الذی کان من رأیی فلم تسمع من کلامی. قال: فتکلم فإنی أسمع منک و أطیعک، قال: فاخرج بالمسلمین، فإن الله تعالی قد نقص من عدتهم، و بالعدد یقاتلون، و نحن إنما نقاتل منذ أسلمنا بالنصر، فلا تجفلک کثرتهم.

قالوا: فجمع أبو عبیدة الناس، فحمد الله و أثنی علیه، و قال:

أیها الناس، إن هذا یوم له ما بعده، أما من حیی منکم فإنه یصفو له ملکه و قراره، و أما من مات منکم فإنها الشهادة، فأحسنوا بالله الظن و لا یکرهن إلیکم الموت أمر اقترفه أحدکم دون الشرک، توبوا إلی الله و تعرضوا للشهادة، فإنی أشهد و لیس أوان الکذب، أنی سمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول: من مات لا یشرک بالله شیئا دخل الجنة.

فکأنما کانت بالناس عقل تنشطت، فخرج بهم و خالد علی المیمنة، و قیس علی المیسرة، و أبو عبیدة فی القلب و علی باب المدینة معاذ بن جبل، فاجتلدوا بها، فإنهم کذلک إذ قدم القعقاع متعجلا فی مائة، فانهزم أهل قنسرین بالروم، فاجتمع القلب و المیمنة علی قلبهم و قد انکسر أحد جناحیه، فما أفلت منهم مخبر، و ذهبت المیسرة علی وجهها، و آخر من أصیب منهم بمرج الدیباج انتهوا إلیه فکسروا سلاحهم و ألقوا بلامهم تخففا، فأصیبوا و تغنموا.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۵۰

و لما ظفر المسلمون جمعهم أبو عبیدة فخطبهم، و قال لهم: لا تتکلوا و لا تزهدوا فی الدرجات.

فتح قنسرین «۱»

و بعث بعد فتح حمص خالد بن الولید إلی قنسرین، فلما نزل بالحاضر زحف إلیه الروم و علیهم میناس، و هو رأس الروم و أعظمهم فیهم بعد هرقل، فالتقوا بالحاضر، فقتل میناس و من معه مقتلة عظیمة لم یقتلوا مثلها. فأما الروم فماتوا علی دمه حتی لم یبق منهم أحد، و أما أهل الحاضر فأرسلوا إلی خالد أنهم عرب، و أنهم إنما حشدوا و لم یکن من رأیهم حربه، فقبل منهم و ترکهم.

و لما بلغ ذلک عمر بن الخطاب رضی الله عنه، قال: أمر خالد نفسه، یرحم الله أبا بکر هو کان أعلم بالرجال منی، و کان قد عزله و المثنی بن حارثة عند قیامه، بالأمر، و قال: إنی لم أعزلهما عن ریبة، و لکن الناس عظموهما، فخشیت أن یوکلوا إلیهما.

و یروی أنه قال حین ولی: و الله لأعزلن خالد بن الولید و المثنی بن حارثة لیعلما أن الله إنما ینصر دینه لا إیاهما. فلما کان من أمر خالد فی قنسرین ما کان، رجع عن رأیه.

و سار خالد حتی نزل علی قنسرین، فتحصنوا منه، فقال: إنکم لو کنتم فی السحاب لحملنا الله إلیکم أو لأنزلنکم إلینا. فنظروا فی أمرهم، و ذکروا ما لقی أهل حمص و قنسرین، فسألوه الصلح علی مثل صلحها، فأبی إلا علی إخراب المدینة، فأخربها.

و اتطأت حمص و قنسرین، فعند ذلک خنس هرقل و خرج نحو القسطنطینیة. و أفلت رجل من الروم کان أسیرا فی أیدی المسلمین فلحق بهرقل، فقال له: أخبرنی عن هؤلاء القوم. فقال: أحدثک کأنک تنظر إلیهم، فرسان بالنهار، و رهبان باللیل، ما یأکلون فی ذمتهم إلا بثمن، و لا یدخلون إلا بسلام، یقفون علی من حاربهم حتی یأتوا علیه. فقال:

لئن کنت صدقتنی لیرثن ما تحت قدمی هاتین «۲».

و کان هرقل کلما حج بیت المقدس فخلف سوریة، و ظعن فی أرض الروم التفت فقال: السلام علیک یا سوریة، تسلیم مودع لم یقض منک وطره، و هو عائد. فلما توجه

(١) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ١٩١)، تاريخ الطبرى (٣/ ۶٠١).

(٢) انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ۶٠٢- ۶٠٣).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٢٥١

المسلمون نحو حمص عبر الماء فنزل الرها، فلم يزل بها حتى إذا فتحت قنسرين، و قتل ميناس خنس عند ذلك إلى سميساط «١» حتى إذا فصل منها نحو أرض الروم على شرف، فالتفت نحو سورية و قال: عليك السلام يا سورية، سلاما لا اجتماع بعده، و لا يعود إليك رومى أبدا إلا خائفا، حتى يولد المولود المشئوم، و يا ليته لا يولد، ما أحلى فعله، و ما أمر عاقبته على الروم. ثم مضى حتى نزل قسطنطينية.

و هذا مقتضب من أحاديث متفرقة ذكرها سيف فى كتابه.

جمع الروم للمسلمين

ثم نعود إلى صلة ما قطعنا قبل من الحديث عن وفد أهل إيلياء و قيسارية القادم على هرقل، إذ قد وعدنا بذكره حسب ما ذكره من ذلك أصحاب فتوح الشام فى كتبهم.

و ذلك أن أهل قيسارية و أهل إيلياء تواطئوا بعد يوم فحل و تآمروا، أن يبعثوا وفدا منهم إلى هرقل بأنطاكية، فيخبروه بتمسكهم بأمره و إقامتهم على طاعته و خلافهم العرب، و يسألونه المدد و النصر. فلما جاءه وفدهم هذا رأى أن يبعث الجنود و يقيم هو بأنطاكية، فأرسل إلى رومية و القسطنطينية، و إلى من كان من جنوده و على دينه من أهل الجزيرة و أرمينية، و كتب إلى عماله أن يحشروا إليه كل من أدرك الحلم من أهل مملكته فما فوق ذلك إلى الشيخ الفانى، فأقبلوا إليه، و جاء منهم ما لا تحمله الأرض، و جاءه جرجير صاحب أرمينية فى ثلاثين ألفا، و آتاه أهل الجزيرة، و نزع إليه أهل دينه و جميع من كان فى طاعته، فدعا باهان، و كان من عظمائهم و أشرافهم، فعقد له على مائة ألف، و دعا ابن قماطر فعقد له على مائة ألف فيهم جرجير و من معه من أهل أرمينية، و دعا الدرنجار فعقد له على مائة ألف، ثم أعطى الأمراء مائة ألف، مائة ألف، و أعطى باهان مائتى ألف، و قال لهم: إذا اجتمعتم فأميركم باهان، ثم قال: يا معشر الروم، إن العرب قد ظهروا على سورية، و لم يرضوا بها حتى تعاطوا أقصى بلادكم، و هم لا يرضون بالبلاد و المدائن و البر و الشعير و الذهب و الفضة حتى يسبوا الأمهات و البنات و الأخوات و الأزواج، و يتخذوا الأحرار و أبناء الملوك عبيدا، فامنعوا حرمتكم و سلطانكم و دار ملككم «٢».

---

(١) سميساط: بلد من بلد العجم، منها السميساطى رجل من العجم كان موصوفا بالورع و الزهد.

انظر الروض المعطار (٣٢٣).

(٢) انظر هذا الخبر و ما بعده فى: تاريخ فتوح الشام (١۵١- ١۵٩).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٢۵٢

قال عبد الله بن قرط، و الحديث له: ثم وجههم إلينا، فقدمت عيوننا من قبلهم، فخبرونا بمقالة ملكهم و بمسيرهم إلينا و جمعهم لنا، و من أجلب معهم من غيرهم علينا ممن كان على دينهم و فى طاعتهم.

فلما جاء أبا عبيدة الخبر عن عددهم و كثرتهم، رأى أن لا يكتم ذلك المسلمين، و أن يستشيرهم فيه لينظر ما يؤول إليه رأى جماعتهم، فدعا رءوس المسلمين و أهل الصلاح منهم، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أما بعد. فإن الله عز و جل، قد أبلاكم أيها المؤمنون فأحسن البلاء، و صدقكم الوعد، و أعزكم بالنصر، و أراكم فى كل موطن ما تسرون به، و قد سار إليكم عدوكم من المشركين بعدد كثير، و نفروا إليكم فيما حدثنى عيونى نفير الروم الأعظم، فجاءوكم برا و بحرا حتى خرجوا إلى صاحبهم بأنطاكية،

ثم قد وجه إليكم ثلاثة عساكر فى كل عسكر منها ما لا يحصيه إلا الله من البشر، و قد أحببت أن لا أغركم من أنفسكم، و لا أطوى عنكم خبر عدوكم، ثم تشيرون علىّ برأيكم، و أشير عليكم برأيى، فإنما أنا كأحدكم.

فقام يزيد بن أبى سفيان، فقال: نعم ما رأيت رحمك الله، إذ لم تكتم عنا ما أتاك من عدونا، و أنا مشير عليكم، فإن كان صوابا فذاك ما نويت، و إن يكن الرأى غير ما أشير به، فإنى لا أتعمد غير ما يصلح المسلمين. أرى أن نعسكر على باب مدينة حمص بجماعة المسلمين، و ندخل النساء و الأبناء داخل المدينة، ثم نجعل المدينة فى ظهورنا، ثم نبعث إلى خالد فيقدم عليك من دمشق، و إلى عمرو بن العاص فيقدم عليك من الأردن، فتلقاهم بجماعة من معك من المسلمين.

و قام شرحبيل بن حسنة فقال: إن هذا مقام لا بد فيه من النصيحة للمسلمين و إن خالف الرجل منا أخاه، و إنما على كل رجل منا أن يجتهد رأيه، و أنا الآن فقد رأيت غير ما رأى يزيد، و هو و الله عندى من الناصحين لجماعة المسلمين، و لكن لا أجد بدا من أن أشير عليكم بما أظنه خيرا للمسلمين.

إنى لا أرى أن ندخل ذرارى المسلمين مع أهل حمص و هم على دين عدونا هذا الذى قد أقبل إلينا، و لا آمن إن وقع بيننا و بينهم من الحرب ما نتشاغل به أن ينقضوا عهدنا و أن يثبوا على ذرارينا فيتقربوا بهم إلى عدونا.

فقال له أبو عبيدة: إن الله قد أذلهم لكم، و سلطانكم أحب إليهم من سلطان عدوكم، و أما إذ ذكرت ما ذكرت، و خوفتنا ما خوفت، فإنى أخرج أهل المدينة منها

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۵۳

و أنزلها عيالنا، و أدخل رجالا من المسلمين يقومون على سورها و أبوابها، و نقيم نحن بمكاننا هذا حتى يقدم علينا إخواننا.

فقال له شرحبيل: إنه ليس لك و لا لنا معك أن نخرجهم من ديارهم و قد صالحناهم على ألا نخرجهم منها.

فأقبل أبو عبيدة على جماعة من عنده فقال: ما ذا ترون، رحمكم الله؟ فقالوا: نرى أن نقيم، و نكتب إلى أمير المؤمنين فنعلمه نفير الروم إلينا، و تبعث إلى من بالشام من إخوانك المسلمين فيقدموا عليك.

فقال أبو عبيدة: إن الأمر أجل و أعظم مما تحسبون، و لا أحسب القوم إلا سيعاجلونكم قبل وصول خبركم إلى أمير المؤمنين.

فقام إليه ميسرة بن مسروق، فقال: أصلحك الله، إنا لسنا بأصحاب القلاع و لا الحصون و لا المدائن، و إنما نحن أصحاب البر و البلد القفر، فأخرجنا من بلاد الروم و مدائنها إلى بلادنا أو إلى بلاد من بلادهم تشبه بلادنا إن كانوا قد جاشوا علينا كما ذكرت، ثم اضمم إليك قواصيك، و ابعث إلى أمير المؤمنين فليمددك.

فقال كل من حضر ذلك المجلس: الرأى ما رأى ميسرة، فقال لهم أبو عبيدة: فتهيئوا و تيسروا حتى أرى من رأى، و كان رأى أبى عبيدة أن يقيموا و لا يبرحوا، و لكنه كره خلافهم، و رجا أن يكون فى اجتماع رأيهم الخير و البركة.

ثم بعث إلى حبيب بن مسلمة، و كان استعمله على الخراج، فقال: انظر ما كنت جبيت من حمص فاحتفظ به حتى آمرك فيه، و لا تجبين أحدا ممن بقى حتى أحدث إليك فى ذلك، ففعل، فلما أراد أبو عبيدة أن يشخص دعا حبيبا فقال له: اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم، و قل لهم: نحن على ما كان بيننا و بينكم من الصلح، لا نرجع عنه إلا أن ترجعوا، و إنما رددنا عليكم أموالكم كراهية أن نأخذها و لا نمنع بلادكم، و لكنا نتنحى إلى بعض الأرض و نبعث إلى إخواننا فيقدموا علينا، ثم نلقى عدونا، فإن أظفرنا الله بهم وفينا لكم بعهدكم، إلا ألا تطلبوا ذلك.

ثم أخذ الناس فى الرحيل إلى دمشق، ورد حبيب بن مسلمة إلى أهل البلد ما كان أخذ منهم، و أخبرهم بما قال أبو عبيدة، فقالوا: ردكم الله إلينا، و لعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم، لكنهم و الله لو كانوا هم ما ردوا علينا، بل غصبونا و أخذوا مع هذا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۵۴

ما قدروا عليه من أموالنا. و أعلم أبو عبيدة عمر بن الخطاب بكل ما قبله.

قال سفيان بن عوف بن معقل: بعثنى أبو عبيدة ليلة غدا من حمص إلى دمشق، فقال:

ائت أمير المؤمنين فأبلغه منى السلام و أخبره بما قد رأيت و عاينت، و بما جاءتنا به العيون، و بما استقر من كثرة العدو، و بالذى رأى المسلمون من التنحى عنهم. و كتب إليه معه:

أما بعد، فإن عيونى قدمت علىّ من أرض قنسرين و من القرية التى فيها ملك الروم، فحدثونى بأن الروم قد توجهوا إلينا و جمعوا لنا من الجموع ما لم يجمعوه قط لأمه كانت قبلنا، و قد دعوت المسلمين فأخبرتهم الخبر و استشرتهم فى الرأى، فاجتمع رأيهم على أن يتنحوا عنهم حتى يأتينا رأيك، و قد بعثت إليك رجلا عنده علم ما قبلنا، فاسأله عما بدا لك، فإنه بذلك عليم، و هو عندنا أمين، و نستعين الله العزيز الحكيم، و هو حسبنا و نعم الوكيل. و السلام عليك.

قال سفيان: فلما قدمت على أمير المؤمنين سلمت عليه، فقال: أخبرنى عن الناس، فأخبرته بصلاحهم، و دفاع الله عنهم، ثم أخذ الكتاب فقرأه، فقال لى: ويحك ما فعل المسلمون؟ فقلت: أصلحك الله، خرجت من عندهم ليلا من حمص و تركتهم يقولون:

نصلى الغداة ثم نرحل إلى دمشق. قال: فكأنه كرهه حتى عرفت الكراهة فى وجهه، ثم قال: لله أبوك، ما رجوعهم عن عدوهم و قد أظفرهم الله بهم فى غير موطن؟ و ما تركهم أرضا قد فتحها الله عليهم و صارت فى أيديهم؟ إنى لأخاف أن يكونوا قد أساءوا الرأى و جاءوا بالعجز و جرءوا عدوهم عليهم. فقلت: أصلحك الله، إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، إن صاحب الروم قد جمع لنا جموعا لم يجمعها هو و لا أحد كان قبله لأحد كان قبلنا، و لقد أخبرنا بعض عيوننا أن عسكرا واحدا من عساكرهم أمر بالعسكرة فى أصل جبل، فهبطوا من الثنية نصف النهار إلى معسكرهم فما تكاملوا فيه حتى أمسوا، ثم ما تكاملوا فيه إلى نصف الليل، فهذا عسكر واحد من عساكرهم، فما ظنك أصلحك الله بما بقى؟.

فقال: لو لا أنى ربما كرهت الشىء من أمرهم يضيعونه، فأرى الله تعالى، يخير لهم فى عواقبه لكان هذا رأيا أنا له كاره. أخبرنى: اجتمع رأى جميعهم على التحول؟ قلت:

نعم. قال: فالحمد لله، إنى لأرجو إن شاء الله أن لا يكون جمع الله رأيهم إلا على ما هو خير لهم. فقلت: يا أمير المؤمنين، اشدد أعضاد المسلمين بمدد يأتيهم من قبلك قبل الوقعة، فإن هذه الوقعة هى الفيصل فيما بيننا و بينهم. فقال لى: أبشر بما يسرك و يسر المسلمين، و احمل كتابى هذا إلى أبى عبيدة و إلى المسلمين، و أعلمهم أن سعيد بن عامر بن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۵۵

حذيم قادم عليهم بالمدد، و كتب: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبى عبيدة بن الجراح و إلى الذين معه من المهاجرين و الأنصار، و التابعين بإحسان، و المجاهدين فى سبيل الله، سلام عليكم، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد فإنه قد بلغنى توجهكم من أرض حمص إلى أرض دمشق، و ترككم بلادا فتحها الله عليكم، و خليتموها لعدوكم و خرجتم منها طائعين، فكرهت هذا من رأيكم و فعلكم، ثم إنى سألت رسولكم عن رأى من جميعكم كان ذلك، فزعم أن ذلك كان رأيا من أماثلكم و أولى النهى منكم، فعلمت أن الله لم يكن يجمع رأيكم إلا على توفيق و صواب و رشد فى العاجلة و العاقبة، فهون ذلك علىّ ما كان داخلنى من الكراهية قبل ذلك لتحولكم، و قد سألنى رسولكم المدد، و أنا ممدكم، لن يقرأ عليكم كتابى حتى يشخص إليكم المدد من قبلى إن شاء الله، و اعلموا أنه ليس بالجمع الكثير تهزم الجموع و ينزل الله النصر، و لربما خذل الله الجموع الكثيرة فوهنت و قلت و فشلت، و لم تغن عنهم فئتهم شيئا، و لربما نصر الله العصابة القليل عددها على الكثير عددها من أعداء الله، فأنزل الله عليكم نصره، و بعدو المسلمين بأسه و رجزه، و السلام عليكم.

فجاء سفيان بالكتاب إلى أبى عبيدة فقرأه على الناس و سروا به.

و عن عبد الله بن قرط، فى حديثه المتقدم عما اجتمع عليه رأى المسلمين مع أبى عبيدة من الرحيل عن حمص، قال: فلما صلينا صلاة الغداة بحمص خرجنا مع أبى عبيدة نسير حتى قدمنا دمشق و بها خالد بن الوليد، و تركنا أرض حمص ليس فيها منا ديار بعد ما كنا

قد افتتحناها، و أمنا أهلها، و صالحناهم عليها، و خلا أبو عبيدة بخالد بن الوليد فأخبره الخبر، و ذكر له مشورة الناس عليه بالرحلة، و مقالة العبسى فى ذلك، فقال له خالد: أما أنه لم يكن الرأى إلا الإقامة بحمص حتى نناجزهم، فأما إذا اجتمع رأيكم على أمر واحد، فو الله إنى لأرجو أن لا يكون الله قد جمع رأيكم إلا على ما هو خير «۱».

فأقام أبو عبيدة بدمشق يومين، و أمر سويد بن كلثوم أن يرد على أهل دمشق الذين كانوا أمنوا و صولحوا ما كان جبى منهم، ففعل، و قال لهم المسلمون: نحن على العهد الذى كان بيننا و بينكم. ثم إن أبا عبيدة جمع أصحابه، فقال لهم: ما ذا ترون؟ أشيروا علىّ.

فقال يزيد بن أبى سفيان: أرى أن تخرج حتى تنزل الجابية، ثم تبعث إلى عمرو بن

---

(۱) انظر الخبر فى: تاريخ فتوح الشام (۱۶۰- ۱۶۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۵۶

العاص فيقدم عليك بمن معه من المسلمين، ثم نقيم للقوم حتى يقدموا علينا، فنقاتلهم و نستعين الله عليهم.

فقال شرحبيل بن حسنة: لكنى أرى إذ خلينا لهم ما خلينا من أرضهم أن ندعها كلها فى أيديهم و ننزل التخوم بين أرضنا و أرضهم فندنوا من خليفتنا و من مددنا، فإذا أتانا من المدد ما نرجو أن نكون لهم به مقرنين قاتلناهم إن أتونا، و إلا أقدمنا عليهم إن هم أقاموا عنا. فقال رجل من المسلمين لأبى عبيدة: هذا أصلحك الله رأى حسن، فاقبله و اعمل به.

فقال معاذ بن جبل: و هل يلتمس هؤلاء القوم من عدوهم أمرا أضر لهم و لا أشد عليهم مما تريدون أنتم بأنفسكم، تخلون لهم عن أرض قد فتحها الله عليكم و قتل فيها صناديدهم و أهلك جنودهم، فإذا خرج المسلمون منها و تركوها لهم فكانوا فيها على مثل حالهم الأول، فما أشد على المسلمين دخولها بعد الخروج منها، و هل يصلح لكم أن تدعوها و تدعوا البلقاء و الأردن و قد جبيتم خراجهم لتدفعوا عنهم؟ أما و الله لئن أردتم دخولها بعد الخروج منها لتكابدن من ذلك مشقة.

فقال أبو عبيدة: صدق و الله و بر، ما ينبغى أن نترك قوما قد جبينا خراجهم و عقدنا العهد لهم حتى نعذر إلى الله فى الدفع عنهم، فإن شئتم نزلنا الجابية و بعثنا إلى عمرو بن العاص يقدم علينا، ثم أقمنا للقوم حتى نلقاهم بها.

فقال له خالد: كأنك إذا كنت بالجابية كنت على أكثر مما أنت عليه فى مكانك الذى أنت فيه. فإنهم لكذلك يجيلون الرأى إذ قدم على أبى عبيدة عبد الله بن عمرو بن العاص بكتاب من أبيه يقول فيه: أما بعد، فإن أهل إيلياء و كثيرا ممن كنا صالحناهم من أهل الأردن قد نقضوا العهد فيما بيننا و بينهم، و ذكروا أن الروم قد أقبلت إلى الشام بقضها و قضيضها، و أنكم قد خليتم لهم عن الأرض و أقبلتم منصرفين عنها، و قد جرأهم ذلك علىّ و على من قبلى من المسلمين، و قد تراسلوا و تواثقوا و تعاهدوا ليسيرون إلىّ.

فاكتب إلىّ برأيك، فإن كنت تريد القدوم علىّ أقمت لك حتى تقدم علىّ، و إن كنت تريد أن تنزل منزلا من الشام أو من غيرها و أن أقدم عليك فأعلمنى برأيك، أوافك فيه، فإنى صائر إليك أينما كنت، و إلا فابعث إلىّ مددا أقوى به على عدوى و على ضبط ما قبلى، فإنهم قد أرجفوا بنا و اغتمزوا فينا و استعدوا لنا، و لو يجدون فينا ضعفا أو يرون فينا فرصة ما ناظرونا، و السلام عليك.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۵۷

فكتب إليه أبو عبيدة: أما بعد، فقد قدم علينا عبد الله بن عمرو بكتابك تذكر فيه إرجاف المرجفين و استعدادهم لك، و جرأتهم عليك للذى بلغهم من انصرافنا عن الروم و ما خلينا لهم من الأرض، و أن ذلك و الحمد لله لم يكن من المسلمين عن ضعف من بصائرهم، و لا وهن عن عدوهم، و لكنه كان رأيا من جماعتهم كادوا به عدوهم ليخرجوهم من مدائنهم و حصونهم و قلاعهم و ليجتمع بعض المسلمين إلى بعض و ينتظروا قدوم أمدادهم، ثم يناهضونهم إن شاء الله، و قد اجتمعت خيلهم و تتامت فرسانهم، فعند ذلك فارتقب نصر الله أولياءه، و إنجاز موعوده، و إعزاز دينه، و إذلاله المشركين حتى لا يمنع أحد منهم أمه و لا حليلته و لا نفسه، حتى يتوقلوا فى شعف الجبال، و يعجزوا عن منع الحصون و يجنحوا للسلم، و يلتمسوا الصلح، سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِی قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ

لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا [الأحزاب: ۶۲].

ثم أعلم من قبلك من المسلمين أنى قادم عليهم بجماعة أهل الإسلام إن شاء الله، فليحسنوا بالله الظن و لا يجدن عدوكم فيكم ضعفا و لا و هنا، و لا تؤبسوا منكم رعبا فيطمعوا فيكم و يجترئوا عليكم، أعزنا الله و إياكم بنصره، و عمنا بعافيته و عفوه، و السلام عليك.

و قال لعبد الله بن عمرو: اقرأ على أبيك السلام، و أخبره أنى فى أثرك، و أعلم بذلك المسلمين و كن يا عبد الله بن عمرو ممن يشد الله به ظهور المسلمين و يستأنسون به، فإنك رجل من الصحابة، و قد جعل الله للصحابة فضلا على غيرهم من المسلمين، بصحبتهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لا تتكل على أبيك، و كن أنت فى جانب تحرض المسلمين و تمنيهم النصر، و تأمرهم بالصبر، و يكون أبوك يفعل ذلك فى جانب آخر.

فقال: إنى أرجو أن يبلغك عنى إن شاء الله من ذلك ما تسر به، ثم خرج حتى قدم على أبيه بكتاب أبى عبيدة، فقرأه أبوه على الناس، ثم قال: أما بعد، فقد برئت ذمة الله من رجل من أهل عهدنا من أهل الأردن ثقف رجلا «۱» من أهل إيلياء «۲» فلم يأتنا به، ألا و لا يبقين رجل من أهل عهدنا إلا تهيأ و استعد ليسير معى إلى أهل إيلياء، فإنى أريد السير إليهم و النزول بساحتهم، ثم لا أزايلهم حتى أقتل مقالتهم و أسبى ذراريهم، أو يؤدوا الجزية عن يد و هم صاغرون.

---

(۱) ثقف رجل: أى صفر به.

(۲) إيلياء: و يقال أيليا بفتح الهمزة، مدينة بالشام و هى بيت المقدس، و هى مدينة قديمة جليلة على جبل يصعد إليها من كل جانب. انظر: الروض المعطار (۶۸)، نزهة المشتاق (۲۱۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۵۸

ثم نادى فى المسلمين: أن ارتحلوا إلى إيلياء، فسار نحوا من ميلين قبل أرض إيلياء، ثم نزل و عسكر، و قال لأهل الأردن: أخرجوا إلينا الأسواق، و نادى مناديه: برئت الذمة من رجل من أهل الصلح لم يخرج بسلاحه حتى يحضر معنا معسكرنا و ينتظر ما نأمر به من أمرنا، فاجتمع أهل الصلح كلهم إليه، و خرجوا بعدتهم و سلاحهم، فقدمهم مع ابنه عبد الله فى خمسمائة من المسلمين، و أمره أن يعسكر بهم، ففعل.

و إنما أراد أن يشغل أهل الأردن عن الإرجاف، و أن يبلغ أهل إيلياء أنه يريد المسير إليهم و النزول بهم، فيرعب قلوبهم و يشغلهم فى أنفسهم و حصونهم عن الغارة عليهم.

فخرج التجار من أهل الأردن و من كان فيها من أهل إيلياء عند حميم أو ذوى قرابة فلحقوا بإيلياء فقالوا لهم: هذا عمرو بن العاص قد أقبل نحوكم بالناس، فاجتمعوا من كل مكان، و تراسلوا، و جعلوا لا يجيئهم أحد من قبل الأردن إلا أخبرهم بمعسكره، فأيقنوا أنه يريدهم، فكانوا من ذلك فى هول شديد، و زادهم خوفا و وجلا كتاب كتبه إليهم عمرو بن العاص مضمنه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو بن العاص إلى بطارقة أهل إيلياء، سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله الذى لا إله إلا هو، و بنبوة محمد صلى اللّه عليه و سلم أما بعد: فإنا نثنى على ربنا خيرا، و نحمده حمدا كثيرا، كما رحمنا بنبيه و شرفنا برسالته و أكرمنا بدينه، و أعزنا بطاعته، و أيدنا بتوحيده، فلسنا و الحمد لله نجعل له ندا و لا نتخذ من دونه إلها، لقد قلنا إذا شططا، و الحمد لله الذى جعلكم شيعا و جعلكم فى دينكم أحزابا، كل حزب بما لديهم فرحون، فمنكم من يزعم أن لله ولدا، و منكم من يزعم أن الله ثانى اثنين، و منكم من يزعم أن الله ثالث ثلاثة، فبعدا لمن أشرك بالله و سحقا، و تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، و الحمد لله الذى قتل بطارقتكم، و سلب عزكم، و طرد من هذه البلاد ملوككم، و أورثنا أرضكم و دياركم و أموالكم، و أذلكم بكفركم بالله و شرككم به و ترككم ما دعوناكم إليه من الإيمان بالله و برسوله، فأعقبكم الله لباس الخوف و الجوع و نقصا فى الأموال و الأنفس، و ما الله بظلام للعبيد.

فإذا بلغكم كتابى هذا، فأسلموا تسلموا، و إلا فأقبلوا إلىّ حتى أكتب لكم أمانا على دمائكم و أموالكم، و أعقد لكم عقدا على أن

تؤدوا إلىّ الجزية عن يد و أنتم صاغرون، و إلا فو الله الذى لا إله إلا هو لأرمينكم بالخيل بعد الخيل و بالرجال بعد الرجال، ثم لا أقلع عنكم حتى أقتل المقاتلة و أسبى الذرية، و حتى تكونوا كأمة كانت فأصبحت كأنها لم تكن.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۵۹

و أرسل بالكتاب إليهم مع فيج، نصرانى على دينهم، و قال له: عجل علىّ، فإنى إنما أنتظرك، فلما قدم عليهم قالوا له: ويحك، ما وراءك؟ قال: لا أدرى إلا أن هذا الرجل بعثنى إليكم بهذا الكتاب، و قد وجه عسكره نحوكم، و قال لى: ما يمنعنى من المسير إليهم إلا انتظار رجوعك، فقالوا: انتظرنا ساعة من النهار، فإنا ننتظر عينا لنا يقدم علينا من قبل أمير العرب الذى بدمشق، و من قبل جند الملك الذى أقبل إلينا، فننظر ما يأتينا به، فإن ظننا أن لنا بالعرب قوة لم نصالحهم، و إن خشينا أ لا نقوى عليهم صنعنا ما صنع أهل الأردن و غيرهم، فما نحن إلا كغيرنا من أهل الشام، فأقام العلج حتى أمسى، ثم إن رسول أهل إيلياء الذى بعثوه عينا لهم أتاهم فأخبرهم أن باهان قد أقبل من عند ملك الروم فى ثلاثة عساكر، فى كل عسكر منها أكثر من مائة ألف مقاتل، و أن العرب لما بلغهم ما سار إليهم من تلك الجموع علموا أنه لا قبل لهم بما جاءهم، فانصرفوا راجعين، و قد كان أوائل العرب دخلوا أرض قنسرين «۱» فأخرجوهم منها، ثم أتوا أرض دمشق فأخرجوهم منها، ثم أقبلت العرب الآن نحو الأردن، نحو صاحبهم هذا الذى كتب إليكم، و الروم يسوقونهم سوقا عنيفا، فتباشروا بذلك و سروا به، و دعوا العلج الذى بعث به إليهم عمرو بن العاص، و قالوا: اذهب بكتابنا هذا إلى صاحبك، و كتبوا معه: أما بعد، فإنك كتبت إلينا تزكى نفسك و تعيبنا، و قول الباطل لا ينفع قائله نفسه و لا يضر عدوه، و قد فهمنا ما دعوتنا إليه، و هؤلاء ملوكنا و أهل ديننا قد جاءكم، فإن أظهرهم الله عليكم فذلك بلاؤه عندنا فى القديم، و إن ابتلانا بظهوركم، فلعمرى لنقرن، لكم بالصغار، و ما نحن إلا كمن ظهرتم عليه من إخواننا، ثم دانوا لكم و أعطوكم ما سألتم.

فقدم الرسول بهذا الكتاب على عمرو، فقال له: ما حبسك؟ فأخبره الخبر، فلم يكن إلا يومه ذلك حتى قدم خالد بن الوليد فى مقدمة أبى عبيدة، فجاء حتى نزل اليرموك، و أقبل عمرو حتى نزل معه.

وقعة اليرموك «۲» على نحو ما حكاه أصحاب كتب فتوح الشام

قالوا «۳»: و لما اجتمع جمع المسلمين باليرموك استشار أبو عبيدة أهل الرأى من

---

(۱) قنسرين: مدينة بالشام، و هى الجابية، بينها و بين حلب اثنا عشر ميلا. انظر: الروض المعطار (۴۷۳).

(۲) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۱۸- ۱۲۳)، تاريخ الطبرى (۳/ ۳۹۶).

(۳) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۶۹- ۱۷۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۶۰

المسلمين: أين ترون أن نعسكر حتى يقدم مددنا؟ فقال يزيد بن أبى سفيان: أرى أن نسير بمن معنا إلى أيلة، فنقيم بها حتى يقدم علينا المدد. فقال عمرو: ما أيلة إلا كبعض الشام، و لكن سر بنا حتى نزل الحجر فننتظر المدد، فقال قيس بن هبيرة: لا ردنا الله إذا إليها إن خرجنا لهم عن الشام أكثر مما خرجنا لهم عنه، أ تدعون هذه العيون المتفجرة، و الأنهار المطردة، و الزروع و الأعناب، و الذهب و الفضة و الحرير، و ترجعون إلى أكل الضباء و ليس العباء و البؤس و الشقاء و أنتم تعلمون أن من قتل منكم صار إلى الجنة و أصاب نعيما لا يشاكله نعيم، فأين تدعون الجنة و تهربون منها؟ و تزهدون فيها و تأتون الحجر. لا صحب الله من سار إلى الحجر و لا حفظه. فقال له خالد بن الوليد: جزاك الله خيرا يا قيس، فإن رأيك موافق لرأيى.

و فى حديث عن أبى معشر: أن الروم حين جاشت على المسلمين و دنوا منهم دعا أبو عبيدة رءوس المسلمين و استشارهم، فذكر من مشورة يزيد بن أبى سفيان عليه، و عمرو ابن العاص نحوا مما تقدم. قال: و خالد بن الوليد ساكت يسمع ما يقولون، و كان يرحمه الله

إذا کانت شدة فإلیه و إلی رأیه یفزعون، إذ کان لا یهوله من أمر الروم شیء، و لا یزداد بما یبلغه عنهم إلا جرأة علیهم، فقال له أبو عبیدة: ما ذا تری یا خالد؟ فقال: أری و الله أنا إن کنا إنما نقاتل بالکثرة و القوة فهم أکثر منا و أقوی علینا، و إن کنا إنما نقاتلهم بالله و لله فما أری أن جماعتهم و لو کانوا أهل الأرض جمیعا تغنی عنهم شیئا، ثم غضب، فقال لأبی عبیدة: أ تطیعنی أنت فیما آمرک به؟ قال: نعم. قال: فولنی ما وراء بابک، و خلنی و القوم، فإنی و الله لأرجو أن ینصرنا الله علیهم، قال: قد فعلت، فولاه ذلک، فکان خالد من أعظم الناس بلاء، و أحسنه غناء و أعظمه برکة، و أیمنه نقیبة، و کانوا أهون علیه من الکلاب.

و عن مالک بن قسامة بن زهیر، عن رجل من الروم یدعی جرجة، کان قد أسلم فحسن إسلامه، قال: کنت فی ذلک الجیش الذی بعث قیصر من أنطاکیة مع باهان، فأقبلنا و نحن لا یحصی عددنا إلا الله، و لا نری أن لنا غالبا من الناس، فأخرجنا أوائل العرب من أرض قنسرین ثم أقبلنا فی آثارهم حتی أخرجناهم من حمص، ثم أقبلنا فی آثارهم حتی أخرجناهم من دمشق. قال: و لحق بنا کل من کان علی دیننا من النصاری، حتی إن کان الراهب لینزل عن صومعته و قد کان فیها دهرا طویلا من دهره، فیترکها و ینزل إلینا لیقاتل معنا غضبا لدینه و محاماة علیه، و کان من کان من العرب بالشام ممن

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۶۱

کان علی طاعة قیصر ثلاثة أصناف، فأما صنف فکانوا علی دین العرب، و کانوا معهم، و أما صنف فکانوا نصاری، و کانت لهم فی النصرانیة نیة، فکانوا معنا، و أما صنف فکانوا نصاری لیس لهم فی النصرانیة تلک النیة، فقالوا: نکره أن نقاتل أهل دیننا و نکره أن ننصر العجم علی قومنا، و أقبلت الروم تتبع أهل الإسلام و قد کانوا هائبین لهم مرعوبین منهم، و لکنهم لما رأوهم قد خلوا لهم البلاد و ترکوا لهم ما کانوا افتتحوا جرأهم ذلک علیهم مع عددهم الذی لم یجتمع قط لأحد من قبلهم.

و عن عبد الله بن قرط قال: لما أقبلت الروم من عند ملکهم أخذوا لا یمرون بأرض قد کنا افتتحناها ثم أجلینا لهم عنها إلا أوقعوا بهم و لاموهم و شتموهم و خوفوهم، فیقولون لهم: أنتم أولی باللائمة منا، أنتم و هنتم و عجزتم و ترکتمونا و ذهبتم، و أتانا قوم لم تکن لنا بهم طاقة، فکانوا یعرفون صدقهم فیکفون عنهم، و أقبلوا یتبعون آثار المسلمین حتی نزلوا بمکان من الیرموک یدعی دیر الجبل مما یلی المسلمین، و المسلمون قد جعلوا نساءهم و أولادهم علی جبل خلف ظهورهم، فمر قیس بن هبیرة بنسوة من نساء المسلمین مجتمعات، فلما رأینه قامت إلیه أمیمة بنت أبی بشر بن زید بن الأطول الأزدیة، و کانت تحت عبد الله بن قرط، و کان أشبه خلق الله به فی الحرب، فرسه یشبه فرسه، و باده یشبه باده، و کل شیء منه کذلک، فظنت أنه زوجها، فقالت له: اسمع بنفسی أنت، فعلم قیس أنها شبهته بزوجها، فقال: أظنک شبهتنی بزوجک. فقالت: وا سوأتاه و انصرفت، فأقبل قیس علیها، و علی من کان معها من النساء، فقال لهن: قبح الله امرأة منکن تضطجع لزوجها و هذا عدوه قد نزل بساحته إن لم یقاتل عنها، و إذا أراد ذلک منها فلتمتنع علیه و لتحث فی وجهه التراب، ثم لتقل له: أخرج قاتل عنی، فلست لک بامرأة حتی تمنعنی، فلعمری ما تقرب النساء علی مثل هذه الحال إلا أهل الفسولة و النذالة، ثم مضی. فقالت المرأة: وا سوأتاه منه، و إنما ظننت أنه ابن قرط، فإنه لم یتعش البارحة إلا عشاء خفیفا، آثر بعشائه رجلین من إخوانه تعشیا عنده، فکنت هیأت له غداءه، فأردت أن ینزل فیتغذی «۱».

قال ابن قرط: و لما نزل الروم منزلهم الذی نزلوا فیه، دسسنا إلیهم رجالا من أهل البلد کانوا نصاری قد أسلموا، فأمرناهم أن یدخلوا عسکرهم فیکتموا إسلامهم و یأتونا بأخبارهم، فکانوا یفعلون ذلک، قال: فلبثوا أیاما مقابلینا ثلاثا أو أربعا لا یسألوننا عن شیء و لا نسألهم، و لا یتعرضون لنا و لا نتعرض لهم، فبینا نحن کذلک إذ سمعنا جلبة

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۷۲- ۱۷۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۶۲

شدیدة و أصواتا عالیة، فظننا أن القوم یریدون النهوض إلینا، فتهیأنا و تیسرنا، ثم دسسنا إلیهم عیونا لیأتونا بالخبر، فما لبثنا إلا قلیلا

حتی رجعوا إلینا فأخبرونا أن بریدا جاءهم من قبل ملک الروم فبشرهم بمال یقسم بینهم و بمدد یأتیهم، ففرحوا بذلک و رفعوا له أصواتهم، و اجتمعوا إلی باهان النائب فیهم عن ملکهم، فقام فیهم فقال: إن الله لم یزل لدینکم هذا معزا و ناصرا، و قد جاءکم قوم یریدون أن یفسدوا علیکم دینکم و یغلبوکم علی دنیاکم، و أنتم عدد الحصی و الثری و الذر، و الله إن فی هذا الوادی منکم لنحوا من أربعمائة ألف مقاتل سوی أتباعکم و أعوانکم، و من اجتمع إلیکم من سکان بلادکم و ممن هو معکم علی دینکم، فلا یهولنکم أمر هؤلاء القوم، فإن عددهم قلیل، و هم أهل الشقاء و البؤس و جلهم حاسر جائع، و أنتم الملوک، و أهل الحصون و القلاع و العدة و القوة، فلا تبرحوا العرصة حتی تهلکوهم أو تهلکوا أنتم. فقام إلیه بطارقتهم فقالوا له: مرنا بأمرک، ثم انظر ما نصنع. قال: فتیسروا حتی آمرکم «۱».

و عن أبی بشر، رجل من تنوخ کان مع باهان، قال: کنت نصرانیا، فنصرت النصاری علی العرب، فأقبلت مع الروم، فإذا من نمر به من أهل البلد أحسن شیء ثناء علی العرب فی سیرتهم و فی کل شیء من أمرهم، و أقبلت الروم فجعلوا یفسدون فی الأرض و یسیئون السیرة، و یعصون الأمراء، حتی ضج منهم الناس، و شکاهم أهل القری، فلا تزال جماعة تجیء معها بالجاریة قد افتضت، و جماعة یشکون أن أغنامهم ذبحت، و آخرون أنهم خربوا و سلبوا، فلما رأی ذلک باهان، قام فیهم خطیبا فقال: یا معشر أهل هذا الدین، إن حجة الله علیکم عظیمة، إذ بعث إلیکم رسولا و أنزل علیه کتابا، و کان رسولکم لا یرید الدنیا، و یزهدکم فیها، و أمرکم أن لا تظلموا أحدا، فإن الله لا یحب الظالمین، و أنتم الآن تظلمون، فما عذرکم غدا عند خالقکم و قد ترکتم أمره و أمر نبیکم و ما أتاکم به من کتاب ربکم؟ و هذا عدوکم قد نزل بکم، یقتل مقاتلیکم، و یسبی ذراریکم، و أنتم تعملون بالمعاصی، و لا ترعون منها خشیة العقاب، فإن نزع الله سلطانکم من أیدیکم و أظهر علیکم عدوکم فمن الظالم إلا أنتم، فاتقوا الله و انزعوا عن ظلم الناس «۲».

فقام إلیه رجل من أهل البلد من أهل الذمة یشکو مظلمة، فتکلم بلسانهم، و أنا أفقه کلامهم، فقال: أیها الملک، عشت الدهر و وقیناک بأنفسنا مکروه الأحداث، إنی امرؤ

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۷۴- ۱۷۵).

(۲) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۷۵- ۱۷۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۶۳

من أهل البلد من أهل الذمة و کانت لی غنم أظنها مائة شاة تنقص قلیلا و کان فیها ابن لی یرعاها، فمر به عظیم من عظماء أصحابک، فضرب بناءه إلی جنبها و أخذ حاجته منها، و انتهب بقیتها أصحابه، فجاءته امرأتی تشکو إلیه انتهاب أصحابه غنمی، و تقول له: أما ما أخذت أنت لنفسک فهو لک، و لکن ابعث إلی أصحابک یردوا علینا غنمنا، فلما رآها أمر بها فأدخلت بناءه، و طال مکثها عنده، فلما رأی ذلک ابنها دنا من باب البناء فاطلع فیه، فإذا هو بصاحبکم ینکح أمه و هی تبکی، فصاح الغلام، فأمر به فقتل، فأخبرونی ذلک، فأقبلت إلی ابنی، فأمر بعض أصحابه فشد علیّ بالسیف لیضربنی، فاتقیته بیدی فقطعها.

فقال له باهان: فهل تعرفه؟ قال: نعم، قال: و أین هو؟ قال: هو ذا، لعظیم حاضر عنده من عظمائهم، قال: فغضب ذلک العظیم، و غضب له ناس من أصحابه، و کان فیهم ذا شارة و شرف، فأقبل ناس من أصحابه أکثر من مائة، فشدوا علی المستعدی فضربوه بأسیافهم حتی مات، ثم رجعوا، و باهان ینظر إلی ما صنعوا، فقال بلسانه: العجب کل العجب، کیف لا تنهد الجبال، و تنفجر البحار، و تتزلزل الأرض، و ترعد السماء لهذه الخطیئة التی عملتموها و أنا أنظر، و لأعمالکم العظام التی تعملونها و أنا أری و أسمع، إن کنتم تؤمنون أن لهؤلاء المستضعفین المظلومین إلها ینصف المظلوم من الظالم فأیقنوا بالقصاص، و من الآن یعجل لکم الهلاک، و إن کنتم لا تؤمنون بذلک، فأنتم و الله عندی شر من الکلاب، و الحمر، و لعمری إنکم لتعملون أعمال قوم لا یؤمنون، و لقد سخط الله أعمالکم، و لیکلنکم إلی أنفسکم، فأما أنا فأشهد الله أنی بریء من أعمالکم، و سترون عاقبة الظلم إلی ما تؤدیکم، و إلی أی مصیر تصیرکم. ثم

نزل.

قال التنوخی «١»: و کنا نزلنا بالمسلمین و نحن لهم هائبون، و قد کان بلغنا أن نبیهم صلی اللّه علیه و سلم قال لهم: إنکم ستظهرون علی الروم، و قد کانوا واقعوا غیر مرة، کل ذلک یکون لهم الظفر علینا، غیر أنا إذا نظرنا إلی عددنا و جموعنا طابت أنفسنا و ظننا أن مثل جمعنا لا یفل، فأقام باهان أیاما یراسل من حوله من الروم و یأمرهم أن یحملوا إلی أصحابه الأسواق، فکانوا یفعلون، و لم یکن ذلک یضر المسلمین، لأن الأردن فی أیدیهم، فهم مخصبون بخیر، فلما رأی باهان أن ذلک لا یضرهم، و أنهم مکتفون بالأردن بعث خیلا عظیمة لتأتیهم من وراءهم و علیها بطریق من بطارقتهم، یرید أن یکبتهم بجنوده من کل جانب، فعلم المسلمون ما یرید، فدعا أبو عبیدة خالد بن الولید، فبعثه فی ألفی فارس

---

(١) انظر: تاریخ فتوح الشام (١٧٨- ١٧٩).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج٢،ص:٢۶۴

و ألفی راجل، فخرج حتی اعترض العلج، فلما استقبله نزل خالد فی الرجالة، و بعث قیس بن هبیرة فی الخیل، فحمل علیهم قیس، فاقتتلوا قتالا شدیدا حتی هزمهم الله، و مشی خالد فی الرجالة حتی إذا دنا شد برایته، و شد معه المسلمون، فضاربوهم بالسیوف حتی تبددوا، و قتلوا منهم مقتلة عظیمة.

و قال قیس لرجل من بنی نمیر، و قد مر به البطریق یرکض: یا أخا بنی نمیر، لا یفوتنک البطریق، فإنی و الله لقد کددت فرسی علی هذا العدو الیوم حتی ما عنده جری، فحمل علیه النمیری فرکض فی أثره ساعة ثم أدرکه فلما رآه البطریق قد غشیه و أحرجه عطف علیه، فاضطربا بسیفیهما، فلم یصنع السیفان شیئا، و اعتنق کل واحد منهما صاحبه، فوقعا إلی الأرض، فاعترکا ساعة، ثم صرعه النمیری، فوقع علی صدر البطریق، فی ساقیه، فضمه البطریق إلیه، و کان مثل الأسد، فلم یستطع النمیری یتحرک، و جاء قیس حتی وقف علیهما، فقال: یا أخا بنی نمیر، قتلت الرجل إن شاء الله، قال: لا و الله، ما أستطیع أن أتحرک و لا أضربه بشیء، و لقد ضمنی بفخذیه، و أمسک یدی بیدیه، فنزل إلیه قیس فضربه، فقطع إحدی یدیه، ثم ترکه و انطلق، و قال للنمیری: شأنک به، و قام النمیری فضربه بسیفه حتی قتله، و مر به خالد بن الولید، فقال: من قتل هذا؟ فقال له قیس: هذا النمیری قتله، و لم یخبره هو بما صنع.

و فی حدیث عبد الله بن قرط: أن معاذ بن جبل و رجالا معه من المسلمین قالوا لأبی عبیدة حین سار من دمشق إلی الیرموک: أ لا تکتب إلی أمیر المؤمنین تعلمه علم هذه الجیوش التی جاءتنا و تسأله المدد؟ قال: بلی، فکتب إلیه:

أما بعد، فإن الروم نفرت إلینا برا و بحرا، و لم یخلفوا وراءهم أحدا یطیق حمل السلاح إلا جاشوا به علینا، و خرجوا معهم بالقسیسین و الأساقفة و نزلت إلیهم الرهبان من الصوامع فاستجاشوا أهل أرمینیة و الجزیرة و جاءونا و هم نحو من أربعمائة ألف رجل، و إنه لما بلغنی ذلک من أمرهم کرهت أن أغر المسلمین من أنفسهم، فکشفت لهم عن الخبر، و صرحت لهم عن الأمر، و سألتهم عن الرأی، فرأی المسلمون أن یتنحوا إلی جانب من أرض الشام، ثم نضم إلینا قواصینا و ننتظر المدد، فالعجل العجل علینا یا أمیر المؤمنین بالمدد بعد المدد، و الرجال بعد الرجال، و إلا فاحتسب نفوس المسلمین إن هم أقاموا، أو دینهم إن هم هربوا، فقد جاءهم ما لا قبل لهم به، إلا أن یمدهم الله بملائکة أو یأتیهم بغیاث من عنده، و السلام علیک «١».

---

(١) انظر: تاریخ فتوح الشام (١٨٠).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج٢،ص:٢۶۵

قال عبد الله بن قرط «١»: و بعثنی بکتابه، فلما قدمت علی عمر دعا المهاجرین و الأنصار فقرأ علیهم کتاب أبی عبیدة، فبکی المسلمون بکاء شدیدا، و رفعوا أیدیهم و رغبتهم إلی الله عز و جل، أن ینصرهم، و أن یعافیهم و یدفع عنهم، و اشتدت شفقتهم علیهم، و قالوا: یا

أمير المؤمنين، ابعثنا إلى إخواننا، و أمر علينا أميرا ترضاه لنا، أو سر أنت بنا إليهم، فو الله إن أصيبوا فما فى العيش خير بعدهم، قال: و لم أر منهم أحدا كان أظهر جزعا و لا أكثر شفقا من عبد الرحمن بن عوف، و لا أكثر قولا لعمر: سر بنا يا أمير المؤمنين، فإنك لو قدمت الشام شد الله قلوب المسلمين، و رعب قلوب الكافرين.

قال: و اجتمع رأى أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على أن يقيم عمر و يبعث المدد، و يكون ردءا للمسلمين. قال: فقال لى عمر رحمه الله: كم كان بين الروم و بين المسلمين يوم خرج؟

فقلت: نحو من ثلاث ليال. فقال عمر: هيهات متى يأتى هؤلاء غياثنا.

ثم كتب معى إلى أبى عبيدة: أما بعد، فقد قدم علينا أخو ثمالة بكتابك، تخبر فيه بنفير الروم إلى المسلمين برا و بحرا، و بما جاشوا به عليكم من أساقفتهم و رهبانهم، و أن ربنا المحمود ذا الصنع العظيم و المن الدائم قد رأى مكان هؤلاء الأساقفة و الرهبان حين بعث محمدا صلى اللّه عليه و سلم بالحق فنصره بالرعب و أعزه بالنصر، و قال و هو لا يخلف الميعاد: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [الصف: ۹]، فلا يهولنك كثرة من جاءك منهم فإن الله منهم برىء، و من برئ الله منه كان قمنا أن لا تنفعه كثرته، و أن يكله الله إلى نفسه و يخذله، و لا يوحشنك قلة المسلمين فى المشركين، فإن الله معك، و ليس قليلا من كان الله معه، فأقم بمكانك الذى أنت فيه حتى تلقى عدوك و تناجزهم إن شاء الله، و ستظهر بالله عليهم، و كفى بالله ظهيرا و وليا و ناصرا.

و قد فهمت مقالتك: احتسب أنفس المسلمين إن أقاموا، أو دينهم إن هم هربوا، فقد جاءهم ما لا قبل لهم به إلا أن يمدهم الله بملائكته أو يأتيهم بغياث من قبله. و ايم الله، لو لا استثناؤك هذا لقد كنت أسأت لعمرى، لئن أقام المسلمون و صبروا فأصيبوا، لما عند الله خير للأبرار، و لقد قال الله تعالى فيهم: فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا [الأحزاب: ۲۳]، فطوبى للشهداء و لمن عقل عن الله ممن معك من المسلمين أسوة بالمصرعين حول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى مواطنه، فما عجز الذين قاتلوا فى سبيل الله و لا هابوا لقاء الموت فى جنب الله و لا وهن الذين بقوا من بعدهم و لا

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح دمشق (۱۸۱- ۱۸۴).

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۶۶

استكانوا لمصيبتهم، و لكن تأسوا بهم و جاهدوا فى سبيل الله من خالفهم و فارق دينهم، و لقد أثنى الله على قوم بصبرهم، فقال: وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ إِسْرافَنا فِي أَمْرِنا وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْيا وَ حُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران: ۱۴۶]، فأما ثواب الدنيا فالفتح و الغنيمة، و أما ثواب الآخرة، فالمغفرة و الجنة.

و اقرأ كتابى هذا على الناس، و مرهم فليقاتلوا فى سبيل الله و ليصبروا كيما يؤتيهم الله ثواب الدنيا و حسن ثواب الآخرة.

و أما قولك: إنه قد جاءهم ما لا قبل لهم به، فإلا يكن لهم به قبل، فإن لله تعالى بهم قبلا، و لم يزل ربنا عليهم مقتدرا، و لو كنا إنما نقاتل عدونا بحولنا و قوتنا و كثرتنا لهيهات ما قد بدنا و هلكنا، و لكنا نتوكل على الله ربنا، و نفوض إليه أمرنا، و نبرأ إليه من الحول و القوة، و نسأله النصر و الرحمة، و إنكم منصورون إن شاء الله على كل حال، فأخلصوا لله نياتكم، و ارفعوا إليه رغبتكم، و اصبروا و صابروا و رابطوا و اتقوا الله لعلكم تفلحون، و السلام.

قال عبد الله بن قرط: فدفع إلىّ عمر الكتاب و أمرنى أن أعجل السير، و قال لى: إذا قدمت على المسلمين فسر فى صفهم، وقف على كل صاحب راية منهم، و أخبرهم أنك رسولى إليهم، و قل لهم: إن عمر يقرئكم السلام و يقول: يا أهل الإسلام، اصدقوا و شدوا على أعدائكم شد الليوث، و أعضوا هامهم السيوف، و ليكونوا أهون عليكم من الذر، لا تهلكم كثرتهم و لا تستوحشوا لمن لم يلحق

بكم منكم.

قال: فركبت راحلتى و أقبلت مسرعا، أتخوف ألا آتى الناس حتى تكون الوقعة، فانتهيت إلى أبى عبيدة يوم قدم عليه سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى فى ألف رجل مددا من قبل عمر رضى الله عنه، فسر بمقدمه المسلمون، و شجعهم ذلك على عدوهم، و دفعت إلى أبى عبيدة كتاب عمر، فقرأه على الناس، فاشتد سرورهم برأيه لهم، و بما أمرهم به من الصبر، و ما رجا لهم فى ذلك من الأجر.

و كان أبو عبيدة بعث سفيان بن عوف من حمص إلى عمر يستمده حين بلغه أن الروم قد جاشوا و اختلفوا فى الاجتماع للمسلمين، فعند ذلك بعث عمر رحمه الله، سعيد بن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۶۷

عامر بالمدد، و قد كان أبو بكر رضى الله عنه، وجه سعيدا هذا إلى الشام فى جيش، فكان مع أبى عبيدة حتى شهد معه وقعة فحل، ثم أرسله أبو عبيدة إلى عمر بالفتح، فقدم به عليه، ثم حج بعد و رجع إلى المدينة، فلم يزل مقيما بها حتى بعثه عمر بهذا المدد.

قال حسان بن عطية «۱»: لما عقد له عمر على من وجهه معه، قال له: يا سعيد، إنى قد وليتك على هذا الجيش، و لست بخير رجل منهم إلا أن تكون أتقى لله منه، فلا تشتم أعراضهم، و لا تضرب أبشارهم، و لا تحقر ضعيفهم، و لا تؤثر قويهم، و كن للحق تابعا، و لا تتبع هواك سادرا، فإنه إن بلغنى عنك ما أحب لم يعدمك منى ما تحب! فقال له سعيد: يا أمير المؤمنين، إنك قد أوصيتنى، فاستمعت منك، فاستمع منى أوصك. قال:

هات، فقد آتاك الله علما يا سعيد، قال: يا أمير المؤمنين، خف الله فى الناس، و لا تخف الناس فى الله، و احبب لقريب الناس و بعيدهم ما تحب لنفسك و أهل بيتك، و اكره لهم ما تكره لنفسك و أهل بيتك، و الزم الأمر ذا الحجة يكفك الله ما أهمك و يعنك على ما أمرك و ما و لك، و لا تقضين فى أمر واحد بقضاءين فيختلف قولك و فعلك، و يلتبس الحق بالباطل، و يشتبه عليك الأمر، فتزيغ عن الحق، و خض الغمرات إلى الحق حيث علمته، و لا يأخذك فى الله لومة لائم.

قال: فأكب عمر طويلا و فى يده عصا له و هو واضع جبهته عليها، ثم رفع رأسه و دموعه تسيل، فقال: لله أبوك يا سعيد، و من يستطيع هذا الذى تذكر؟ قال: من طوق ما طوقت، و حمل ما حملت من هذا الأمر، و إنما عليك أن تأمر فتطاع، أو تعصى فتبوأ بالحجة، و يبوء بالمعصية.

و عن الحارث بن عبد الله الأزدى، قال «۲»: لما نزل أبو عبيدة اليرموك و ضم إليه قواصيه و جاءتنا جموع الروم يجرون الشوك و الشجر، و معهم القسيسون و الرهبان و الأساقفة، يقصون عليهم و يحرضونهم، خافهم المسلمون، فما كان شىء أحب إليهم من أن يخرجوا لهم و يتنحوا عن بلادهم حتى يأتيهم مدد، يرون أنهم يقوون به على من جاءهم من الروم، فاستشار أبو عبيدة الناس، فكلهم أشار عليه بالخروج من الشام، إلا خالد بن الوليد، فإنه أشار عليه بالمقام، و قال له: خلنى و الناس و دعنى و الأمر و ولنى ما وراء بابك فأنا أكفيك بإذن الله أمر هذا العدو، فقال له أبو عبيدة: شأنك بالناس،

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۸۶- ۱۸۷).

(۲) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۸۷- ۱۹۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۶۸

فخلاه و إياهم، قال: و كان قيس بن هبيرة على مثل رأى خالد، و لم يكن فى المسلمين أحد يعدلهما فى الحرب و شدة البأس. قال: فخرج خالد فى الناس و هم أحسن شىء دعة ورعة و هيئة، و أشدهم فى لقاء عدوهم بصيرة، و أطيبهم أنفسا، فصفهم خالد ثلاثة صفوف، و جعل ميمنة و ميسرة، ثم أتى أبا عبيدة. قال: من كنت تجعل على ميمنتك؟

قال: معاذ بن جبل، قال: أهل ذلك هو الرضى الثقة، فولها إياه، فأمر أبو عبيدة معاذا فوقف فى الميمنة، ثم قال: من كنت تول الميسرة؟

قال: غیر واحد، قال: فولها إن رأیت قباث بن أشیم، فأمره أبو عبیدة فوقف فی المیسرة، و کان فیها کنانة و قیس، و کان قباث کنانیا، و کان شجاعا بئسا. قال خالد: و أنا علی الخیل، و ول علی الرجالة من شئت، قال: أولیها إن شاء الله من لا یخاف نکوله و لا صدوده عند البأس، أولیها هاشم بن عتبة ابن أبی وقاص، قال: أصبت و وفقت و رشدت. قال أبو عبیدة: انزل یا هاشم، فأنت علی الرجالة و أنا معک، و قال خالد لأبی عبیدة: أرسل إلی أهل کل رایة فمرهم أن یطیعونی، فدعا أبو عبیدة الضحاک بن قیس، فأمره بذلک، فخرج الضحاک یسیر فی الناس و یقول لهم: إن أمیرکم أبا عبیدة یأمرکم بطاعة خالد بن الولید فیما أمرکم به.

فقال الناس: سمعنا و أطعنا، و قال ذلک أیضا معاذ بن جبل لما أنهی إلیه الضحاک أمر أبی عبیدة، ثم نظر معاذ إلی الناس فقال: أما إنکم إن أطعتموه لتطیعن مبارک الأمر میمون النقیبة عظیم الغناء حسن الحسبة و النیة، قال الضحاک: فحدثت خالدا بذلک، فقال: رحم الله أخی معاذا، أما و الله إن أحبنی إنی لأحبه فی الله، لقد سبقت له و لأصحابه بسوابق لا ندرکها فهنیئا ما خصهم الله به من ذلک. قال الضحاک: فأخبرت معاذا بما رد علیّ خالد، فقال: إنی لأرجو أن یکون الله قد أعطاه بصیرة علی جهاد المشرکین، و شدة علیهم مع بصیرته و حسن نیته فی إعزاز دینه أحسن الثواب، و أن یکون من أفضلنا بذلک عملا، فقال خالد، و قد لقیته بذلک: ما شیء علی الله بعزیز.

قال: ثم إن خالدا سار فی الصفوف، یقف علی أهل کل رایة، و یقول: یا أهل الإسلام، إن الصبر عز و إن الفشل عجز، و إن مع الصبر تنصرون، و الصابرون هم الأعلون، و ما زال یقف علی أهل کل رایة یعظهم و یحضهم، و یرغبهم حتی مر بجماعة الناس، ثم إنه جمع إلیه خیل المسلمین، و دعا قیس بن هبیرة، و کان یساعده و یوافقه و یشبهه فی جلده و شدته و شجاعته و إقدامه علی المشرکین، فقال له خالد: أنت فارس العرب، و لقل من حضر الیوم یعدلک عندی، فاخرج معی فی هذه الخیل، و بعث إلی میسرة بن مسروق العبسی، و کان من أشراف العرب و فرسانهم، و إلی عمرو بن الطفیل

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۶۹

ذی النور بن عمرو الدوسی، فخرجوا معه، ثم قسموا الخیل أرباعا، فبعث کل رجل منهم علی ربع، و خرج خالد فی ربع منها حتی دنوا من عسکر الروم الأعظم الذی فیه باهان، فلما رأتهم الروم فزعوا لمجیئهم، و قد کانوا أخبروا أن العرب ترید الانصراف عن أرض الشام و یخلونهم و إیاها، فکان ذلک قد وقع فی نفوسهم و طمعوا به، و رجوا أن لا یکون بینهم قتال، و صدق ذلک عندهم خروجهم من بین أیدیهم یسوقونهم، و هم یدعون لهم الأرض و المدائن التی کانوا قد غلبوا علیها، فلما رأوا خالدا قد أقبل إلیهم فی الخیل فزعهم ذلک و خرجوا علی رایاتهم بصلبهم، و القسیسون و الرهبان و البطارقة معهم، فصفوا عشرین صفا لا تری أطرافها، ثم أخرجوا إلی المسلمین خیلا عظیمة تکون أضعاف المسلمین مضاعفة، فلما دنت خیلهم من خیل المسلمین خرج بطریق من بطارقتهم یسأل المبارزة، و یتعرض لخیل المسلمین، فقال خالد: أ ما لهذا رجل یخرج إلیه، لیخرجن إلیه بعضکم أو لأخرجن إلیه، فنفلت إلیه عدة من المسلمین لیخرجوا إلیه، و أراد میسرة بن مسروق ذلک، فقال له خالد: أنت شیخ کبیر و هذا الرومی شاب و لا أحب أن تخرج إلیه، فإنه لا یکاد الشیخ الکبیر یقوی علی الشاب الحدیث السن، فقف لنا یرحمک الله فی کتیبتک، فإنک ما علمت حسن البلاء عظیم الغناء، و أراد عمرو بن الطفیل الخروج إلیه، فقال له خالد: یا ابن أخی أنت غلام حدث، و أخاف أن لا تقوی علیه، قال الحارث بن عبد الله: و کنت فی خیل خالد التی خرجت معه، فقلت: أنا أخرج إلیه، فقال: ما شئت، قال:، فلما ذهبت لأخرج قال لی: هل بارزت رجلا قط قبله؟ قلت: لا، قال: فلا تخرج إلیه، فقال قیس بن هبیرة: کأنک یا خالد علیّ تحوم؟

قال: أجل، و إنی أرجو إن خرجت إلیه أن تقتله، و إن أنت لم تخرج إلیه لأخرجن إلیه أنا، قال قیس: بل أنا أخرج إلیه، فخرج و هو یقول:

سائل نساء الحی فی حجلاتها لست یوم الحرب من أبطالها

و مقعص «۱» الأقران من رجالها

فخرج إلیه، فلما دنا منه ضرب فرسه، ثم حمل علیه فما هلل أن ضربه بالسیف علی هامته فقطع ما علیها من السلاح، و فلق هامته، فإذا الرومی بین یدی فرسه قتیلا، و کبر المسلمون فقال خالد: ما بعد ما ترون إلا الفتح، احمل علیهم یا قیس، ثم أقبل خالد علی أصحابه فقال: احملوا علیهم، فو الله لا یفلحون و أولهم فارسا متعفّرا فی التراب، قال:

فحملنا علیهم و علی من یلینا منهم و من خیلهم، و هی مستقدمة أمام صفوفهم و صفوفهم

---

(۱) مقعص: القعص هو القتل المعجل، و ضربه فأقعصه: أماته مکانه. انظر: اللسان (۳۶۹۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۷۰

کأنها أعراض الجبال، فکشفنا خیلهم حتی لحقت بالصفوف، و حمل خالد و أصحابه علی من یلیه منهم، فکشفوهم حتی ألحقوهم بالصفوف، و حمل عمرو بن الطفیل و میسرة بن مسروق فی أصحابهما حتی ألحقوهم بالصفوف، ثم إن خالدا أمر خیله فانصرفت عنهم ثم أقبل بها حتی لحق بجماعة المسلمین و قد أراهم الله السرور فی المشرکین.

قال: و تلاومت بطارقة الروم، و قال بعضهم لبعض: جاءتکم خیل لعدوکم لیست بالکثیرة فکشفت خیولکم من کل جانب، فأقبلت منهم کتائب فی أثر کتائب، فطیفوا الأرض مثل اللیل و السیل، کأنها الجراد السود، و ظن المسلمون أنهم یخالطونهم، و المسلمون جراء علیهم سراع إلیهم، فأقبلوا حتی إذا دنوا من جماعة المسلمین وقفوا ساعة و قد هابوا المسلمین و امتلأت صدورهم خوفا منهم، فقال خالد للناس: قد رجعنا عنهم و لنا الظفر علیهم، فاثبتوا لهم ساعة، فإن أقدموا علینا قاتلناهم، و إن رجعوا عنا کان لنا الظفر و الفضل علیهم، فأخذوا یقتربون ثم یرجعون، و المسلمون فی مصافهم و تحت رایاتهم سکوت لا یتکلم رجل منهم کلمة إلا أن یدعو الله فی نفسه و یستنصره علی عدوه، فلما نظرت الروم إلی خیل المسلمین و رجالتهم و مصافهم و حدهم و جدهم و صبرهم و سکونهم ألقی الله عز و جل، الرعب فی قلوبهم منهم، فواقفوهم ساعة ثم انصرفوا راجعین عنهم إلی عسکرهم، فاجتمعت بطارقتهم و عظماؤهم إلی باهان و هو أصبر جماعتهم.

فقال لهم باهان: إنی قد رأیت رأیا و أنا ذاکره لکم، إن هؤلاء القوم قد نزلوا بلادکم و رکبوا من مراکبکم و طعموا من طعامکم و لبسوا من ثیابکم، فعدل الموت عندهم أن یفارقوا ما تطعموه من عیشکم الرفیع و دنیاکم التی لم یروا مثلها قط، و قد رأیت أن أسألهم إن رأیتم ذلک أن یبعثوا إلینا رجلا منهم له عقل فنناطقه و نشافهه و نطمعهم فی شیء یرجعون به إلی أهالیهم، لعل ذلک یسخی بأنفسهم عن بلادنا، فإن هم فعلوا ذلک کان الذی یریدون منا قلیلا فیما نخاف و ندفع به خطر الوقعة التی لا ندری أ علینا تکون أم لنا، فقالوا له: قد أصبت و أحسنت النظر لجماعتنا، فاعمل برأیک.

فبعث رجلا من خیارهم و عظمائهم یقال له جرجة إلی أبی عبیدة، فقال له: إنی رسول باهان عامل ملک الروم علی الشام، و علی هذه الجنود، و هو یقول لک: أرسل إلیّ الرجل الذی کان قبلک أمیرا فإنه ذکر لی أنه رجل ذو عقل و له فیکم حسب، و قد سمعنا أن عقول ذوی الأحساب أفضل من عقول غیرهم، فنخبره بما نرید و نسأله عما تریدون، فإن وقع فیما بیننا و بینکم أمر لنا و لکم فیه صلاح أو رضی أخذنا به و حمدنا الله علیه، و إن لم یتفق ذلک کان القتال من ورائنا هنالک.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۷۱

فدعا أبو عبیدة خالدا فأخبره بالذی جاء فیه الرومی، و قال لخالد: القهم فادعهم إلی الإسلام، فإن قبلوا فهو حظهم، و کانوا قوما لهم ما لنا و علیهم ما علینا، و إن أبوا فاعرض علیهم الجزیة، أن یؤدوها عن ید و هم صاغرون، فإن أبوا فأعلمهم أنا نناجزهم و نستعین الله علیهم، حتی یحکم الله بیننا و هو خیر الحاکمین.

قال: و جاء رسولهم هذا الرومی، عند غروب الشمس فلم یمکث إلا یسیرا حتی حضرت الصلاة فقام المسلمون یصلون صلاتهم، فلما قضوها قال ذلک الرومی: هذا اللیل قد غشینا، و لکن إذا أصبحت غدوت إلی صاحبنا إن شاء الله، و جعل ینظر إلی رجال من

المسلمين يصلون و هم يدعون الله و يتضرعون إليه، و جعل ما يفيق و ما يصرف بصره عنهم، فقال عمرو: إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون، فقال أبو عبيدة: كلا و الله، إنى لأرجو أن يكون الله قد قذف فى قلبه الإيمان و حببه إليه، و عرفه فضله، أو ما تنظر إلى نظره إلى المصلين؟ و لبث الرومى بذلك قليلا ثم أقبل على أبى عبيدة، فقال: أيها الرجل، أخبرنى متى دخلتم فى هذا الدين؟ و متى دعوتم الناس إليه؟.

فقال أبو عبيدة: دعينا إليه منذ بضع و عشرين سنة، فمنا من أسلم حين أتاه الرسول، و منا من أسلم بعد ذلك، فقال: هل كان رسولكم أخبركم أنه يأتى من بعده رسول؟

قال: لا، و لكنه أخبرنا أنه لا نبىّ بعده، و أخبرنا أن عيسى ابن مريم قد بشر به قومه، قال الرومى: و أنا على ذلك من الشاهدين، إن عيسى ابن مريم قد بشرنا براكب الجمل، و ما أظنه إلا صاحبكم. ثم قال: أخبرنى عن قول صاحبكم فى عيسى، فقال له أبو عبيدة: قول صاحبنا فيه قول الله تعالى فيه، و هو أصدق القائلين و أبرهم، قال الله تعالى:

إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [آل عمران: ۵۹]، و قال تعالى: يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ إلى قوله: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَ لَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ [النساء: ۱۷۱، ۱۷۲].

فلما فسر له الترجمان ذلك و بلغ هذا المكان قال: أشهد أن هذه صفة عيسى، و أشهد أن نبيكم صادق، و أنه الذى بشر به عيسى، و أنكم قوم صدق، و قال لأبى عبيدة: ادع لى رجلين من أول أصحابك إسلاما، و هما فيما ترى أفضل من معك، فدعا أبو عبيدة، معاذ بن جبل و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فقال له: هذان من أفضل المسلمين فضلا، و من أولهم إسلاما، فقال لهما الرومى و لأبى عبيدة: أ تضمنون لى الجنة إن أنا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۷۲

أسلمت و جاهدت معكم؟ فقالوا له: نعم، إن أنت أسلمت و استقمت و لم تغير حتى تموت و أنت على ذلك فإنك من أهل الجنة، قال: فإنى أشهدكم أنى من المسلمين، فأسلم و فرح المسلمون بإسلامه، و صافحوه و دعوا له بخير، و قالوا له: إنا إن أرسلنا رسولنا إلى صاحبكم و أنت عندنا ظنوا أنا حبسناك عنهم، فنتخوف أن يحبسوا صاحبنا، فإن شئت أن تأتيهم الليلة و تكتم إسلامك حتى نبعث إليهم رسولنا غدا و ننظر علام ينصرم الأمر بيننا و بينهم، فإذا رجع رسولنا إلينا أتيتنا عند ذلك، فما أعزك علينا و أرغبنا فيك و أكرمك علينا، و ما أنت الآن عند كل امرئ منا إلا بمنزلة أخيه لأبيه و أمه. قال: فإنكم نعم ما رأيتم، فخرج فبات فى أصحابه، و قال لباهان: غدا يجيئكم رسول القوم الذى سألتم، و انصرف إلى المسلمين لما رجع إليهم خالد، فأسلم و حسن إسلامه.

و لما أصبح المسلمون من تلك الليلة بعث خالد بن الوليد بقبة له حمراء من أدم كان اشتراها بثلاثمائة دينار، فضربت له فى عسكر الروم، ثم خرج حتى أتاها، فأقام فيها ساعة، و كان خالد رجلا طويلا جميلا جليدا مهيبا لا ينظر إليه رجل إلا ملأ صدره و عرف أنه من جلداء الرجال و شجعانهم، و أشدائهم، و بعث باهان إلى خالد و هو فى قبته: أن القنى، و صف له فى طريقه عشرة صفوف عن يمينه، و عشرة صفوف عن شماله، مقنعين فى الحديد، عليهم الدروع و البيض و السواعد و الجواشن و السيوف، لا يرى منهم إلا الحدق، و صف من وراء تلك الصفوف خيلا عظيمة، و إنما أراد أن يريه عدد الروم و عدتهم ليرعبه بذلك، و ليكون أسرع له إلى ما يريد أن يعرض عليه، فأقبل خالد غير مكترث لما رأى من هيئاتهم و جماعتهم، و لكانوا أهون عليه من الكلاب، فلما دنا من باهان رحب به، ثم قال بلسانه: هاهنا عندى، اجلس معى فإنك من ذوى أحساب العرب فيما ذكر لى، و من شجعانهم، و نحن نحب الشجاع ذا الحسب، و قد ذكر لى أن لك عقلا و وفاء، و العاقل ينفعك كلامه، و الوفى يصدق قوله و يوثق بعهده، و أجلس فيما بينه و بين خالد ترجمانا له يفسر لخالد ما يقول، و خالد جالس إلى جنبه.

قال الحارث بن عبد الله الأزدى: قال لى خالد يوم غدا إلى عسكر الروم: اخرج معى، و كنت صديقا له قل ما أفارقه و كان يستشيرنى فى الأمر إذا نزل به، فكنت أشير عليه بمبلغ رأيى، فكان يقول لى: إنك ما علمت لميمون الرأى و لقل ما أشرت علىّ بمشورة إلا وجدت عاقبتها تؤدى إلى سلامة، فخرجت يومئذ معه، حتى إذا دخلنا عسكرهم و ضربت قبته و بعث إليه باهان ليلقاه قال لى: انطلق معى، فقلت له: إن القوم إنما أرادوك و لا أراهم يدعوننى أدنو إليهم معك، فقال لى: امضه، فمضيت معه، فلما

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۷۳

دنونا من باهان و على رأسه ألوف رجال بعضهم خلف بعض و حوله، لا يرى منهم إلا أعينهم، و فى أيديهم العمد، جاءنا الترجمان فقال: أيكما خالد؟ فقال خالد: أنا، فقال:

أقبل أنت و ليرجع هذا، فقام خالد و قال: هذا رجل من أصحابى و لست استغنى عن رأيه، فرجع إلى باهان فأخبره، فقال: دعوه فليأت معه، فأقبلنا نحوه، فلم يمش إلا خطا خمسا أو ستا حتى جاء نحو من عشرة، فقالوا لى: ضع سيفك، و لم يقولوا لخالد شيئا، فنظرت ما يقول لى خالد، فقال لهم: ما كان ليضع عزه من عنقه أبدا، و قد بعثتم إلينا فأتيناكم، فإن تكرمونا جلسنا إليكم و سمعنا منكم، و إن أبيتم فخلوا سبيلنا فننصرف عنكم، فرجع الترجمان إلى باهان فأخبره، فقال: دعوهما، فأقبلنا إليه، فرحب بخالد و أجلسه معه، و جلست أنا على نمارق مطروحة للناس قريبا منهما، و حيث أسمع كلامهما، فقال باهان لخالد: إنك من ذوى أحساب العرب، فيما ذكر لى، و من شجعانهم، و قد ذكر لى أن لك عقلا و وفاء، و العاقل ينفعك كلامه، و الوفى يصدق قوله يوثق بعهده.

فلما فسر له الترجمان ذلك قال خالد: إن نبينا صلى اللّه عليه و سلم قال لنا: إن حسب المرء دينه، و من لم يكن له دين فلا حسب له، و قال لنا: إن أفضل الشجاعة و خيرها فى العاجلة و العاقبة ما كان منها فى طاعة الله، و أما ما ذكرت أنى أوتيت عقلا و وفاء، فإن أكن أوتيت ذلك فلله المن و الفضل علينا، و هو المحمود عندنا، و قد قال لنا نبينا صلى اللّه عليه و سلم: إن الله لما خلق العقل و فرغ من خلقه، قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال له: و عزتى ما خلقت من خلقى شيئا هو أحب إلىّ منك، بك أحمد، و بك أعبد، و بك أعرف، و بك تنال طاعتى، و بك تدخل جنتى، ثم قال خالد: و الوفاء لا يكون إلا من العقل، فمن لم يكن له عقل فلا وفاء له، و من لا وفاء له لا عقل له. فقال له باهان: أنت أعقل أهل الأرض، ما يتكلم بكلامك و لا يبصره و لا يفطن له إلا الفائق من الرجال، ثم قال لخالد:

أخبرنى عنك، و أنت هكذا تحتاج إلى مشورة هذا الرجل؟ فقال له خالد: و أعجب من ذلك أن فى عسكرنا أكثر من ألف رجل كلهم لا يستغنى عن رأيه و لا عن مشورته، فقال باهان: ما كنا نظن ذلك عندكم، و لا نراكم به، فقال له خالد: ما كل ما تظنون و نظن يكون صوابا، فقال باهان: صدقت، ثم قال له: إن أول ما أكلمك به أنى أدعوك إلى خلتى و مصافاتى، فقال له خالد: كيف لى و لك أن يتم هذا فيما بينى و بينك و قد جمعتنى و إياك بلدة لا أريد أنا و لا تريد أنت أن نفترق حتى تصير البلدة لأحدنا، فقال له باهان: فلعل الله أن يصلح بيننا و بينك فلا يهراق دم و لا يقتل قتيل، قال خالد: إن شاء

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۷۴

الله فعل، قال باهان: فإنى أريد أن ألقى الحشمة فيما بينى و بينك و أكلمك كلام الأخ أخاه، إن قبتك هذه الحمراء قد أعجبتنى فأنا أحب أن تهبها لى، فإنى لم أر قبة من القباب أحسن منها، فخذ ما بدا لك فيها و سلنى ما أحببت فهو فى يدك، فقال له خالد:

خذها فهى لك، و لست أريد من متاعك شيئا، قال: و الله ما ظننته سألها إلا لينظر إليها، فإذا هو قد أخذها، ثم قال لخالد: إن شئت بدأتك فتكلمت، و إن شئت أنت فتكلم، فقال له خالد: ما أبالى أى ذلك كان، أما أنا فلا أخالك إلا و قد بلغك و علمت ما أسأل و أطلب، و ما أدعو إليه، و قد جاءك بذلك أصحابك و من لقينا منهم بأجنادين و مرج الصفر و فحل و مدائنكم و حصونكم، و أما أنت فلست أدرى ما تريد أن تقول، فإن شئت فتكلم، و إن شئت بدأتك فتكلمت، فقال باهان:

الحمد لله الذى جعل نبينا أفضل الأنبياء، و ملكنا أفضل الملوك، و أمتنا أفضل الأمم، فلما بلغ هذا المكان، قال خالد و قطع على باهان

منطقه: و الحمد لله الذى جعلنا نؤمن بنبينا و نبيكم، و بجميع الأنبياء، و جعل الأمير الذى وليناه أمورنا رجلا كبعضنا، فلو زعم أنه ملك علينا لعزلناه عنا، و لسنا نرى أن له على رجل من المسلمين فضلا إلا أن يكون أتقى منه عند الله، و أبر، و الحمد لله الذى جعل أمتنا تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر، و تقر بالذنب و تستغفر منه، و تعبد الله وحده لا تشرك به شيئا، قل الآن ما بدا لك.

فاصفر وجه باهان و سكت قليلا، ثم قال: الحمد لله الذى أبلانا فأحسن البلاء عندنا فأغنانا من الفقر، و نصرنا على الأمم، و أعزنا فلا نذل، و منعنا من الضيم فلا تباح حرمتنا، و لسنا فيما أعزنا الله به و أعطانا من ديننا ببطرين و لا مرحين، و لا باغين على الناس، و قد كانت لنا منكم يا معشر العرب جيران كنا نحسن جوارهم، و نعظم رفدهم، و نفضل عليهم، و نفى لهم بالعهد، و خيرناهم بلادنا، ينزلون منها حيث شاءوا، فينزلون آمنين، و يرحلون آمنين، و كنا نرى أن جميع العرب ممن لا يجاورنا سيشكرون لنا ذلك الذى آتينا إلى إخوانهم، و ما اصطنعنا عندهم فلم يرعنا منهم إلا و قد فاجأتمونا بالخيل و الرجال، تقاتلوننا على حصوننا، و تريدون أن تغلبونا على بلادنا، و قد طلب هذا منا قبلكم من كان أكثر منكم عددا و أعظم مكيدة و أقوى جدا، فلم يرجعوا عنا إلا و هم بين أسير و قتيل، و أرادت ذلك منا فارس، فقد بلغكم كيف صنع الله بهم، و أراد ذلك منا الترك فلقيناهم بأشد مما لقينا به فارس، و أرادنا غيرهم من أهل المشرق و المغرب، من ذوى المنعة و العز و الجنود العظيمة، فكلهم أظفرنا الله بهم، و صنع لنا عليهم، و لم تكن أمة من الأمم بأدق عندنا منكم شأنا و لا أصغر أخطارا، إنما جلكم رعاء الشاء و الإبل

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۷۵

و أهل الصحراء و الحجر و البؤس و الشقاء، أ فأنتم تطمعون أن نتخلى لكم عن بلادنا، بئس ما طمعتم فيه منا، و قد ظننا أنه لم يأت بكم إلى بلادنا و نحن ننفى كل من حولنا من الأمم العظيمة الشأن الكثيرة العدد إلا جهد نزل بكم من جدوبة الأرض و قحط المطر، فعثتم فى بلادنا و أفسدتم كل الفساد، و قد ركبتم مراكبنا، و ليست كمراكبكم، و لبستم ثيابنا، و ليست كثيابكم، و طعمتم من طعامنا و ليس كطعامكم، و أصبتم منا و ملأتم أيديكم من الذهب الأحمر و الفضة البيضاء، و المتاع الفاخر، و لقد لقيناكم الآن و ذلك كله لنا، و هو فى أيديكم، فنحن نسلمه لكم، فاخرجوا به و انصرفوا عن بلادنا، فإن أبت أنفسكم إلا أن تخرجوا و تشرهوا و أردتم أن نزيدكم من بيوت أموالنا ما نقوى به الضعيف منكم، و يرى الغائب أن قد رجع إلى أهله بخير فعلنا، و نأمر للأمير منكم بعشرة آلاف دينار و نأمر لك بمثلها، و نأمر لرؤسائكم بألف دينار ألف دينار، و نأمر لجميع أصحابك لكل واحد منهم بمائة دينار، على أن تحلفوا لنا بالأيمان المغلظة أن لا تعودوا إلى بلادنا، ثم سكت.

فقال خالد: الحمد لله الذى لا إله إلا هو، فلما فسر ذلك الترجمان، رفع باهان يديه إلى السماء، ثم أشار إليه بيده، و قال لخالد: نعم ما قلت، قال خالد: و أشهد أن محمدا رسول الله، فلما فسرها الترجمان قال باهان: الله أعلم، ما أدرى لعله كما تقول، ثم قال خالد: أما بعد، فإن كل ما ذكرت به قومك من الغنى و العز و منع الحريم و الظفر على الأعداء و التمكن فى البلاد نحن به عارفون، و كل ما ذكرت من إنعامكم على جيرانكم منا فقد عرفناه، و ذلك لأمر كنتم تصلحون به دنياكم زيادة فى ملككم و عزا لكم أ لا ترون أن ثلثيهم أو شطرهم قد دخلوا فى دينكم و هم يقاتلوننا معكم، و أما ما ذكرتنا به من رعى الإبل و الغنم، فما أقل ما رأيت واحدا منا يكرهه، و ما لمن يكرهه منا فضل على من يفعله، و أما قولك: إنا أهل الصحراء و الحجر و البؤس و الشقاء، فحالنا و الله كما وصفته و ما ننتفى من ذلك و لا نتبرأ منه، و كنا على أسوأ و أشد مما ذكرت، و سأقص عليك قصتنا و أعرض عليك أمرنا و أدعوك إلى حظك إن قبلت، ألا إنا كنا معشر العرب أمة من هذه الأمم، أنزلنا الله و له الحمد منزلا من الأرض ليست به أنهار جارية و لا يكون فيه من الزرع إلا القليل، و جل أرضنا المهامة و القفار، و كنا أهل الحجر و مدر و شاة و بعير و عيش شديد و بلاء دائم لازم، نقطع أرحامنا، و نقتل خشية الإملاق أولادنا، و يأكل قوينا ضعيفنا، و كثيرنا قليلنا، و لا تأمن قبيلة منا قبيلة إلا أربعة أشهر من السنة، نعبد من دون الله أوثانا و أصناما ننحتها بأيدينا من الحجارة التى نختارها على أعيننا،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۷۶

و هی لا تضر و لا تنفع، و نحن علیها مکبون، فبینا نحن کذلک علی شفا حفرة من النار، من مات منا مات مشرکا و سار إلی النار، و من بقی منا بقی مشرکا کافرا بربه قاطعا لرحمه، إذ بعث الله فینا رسولا من صمیمنا و خیارنا دعانا إلی الله وحده أن نعبده و لا نشرک به شیئا، و أن نخلع الأنداد التی یعبدها المشرکون.

و قال لنا: لا تتخذوا من دون ربکم إلها، و لا ولیا، و لا نصیرا، و لا تجعلوا معه صاحبة و لا ولدا، و لا تعبدوا من دونه نارا و لا حجرا و لا شمسا و لا قمرا، و اکتفوا به ربا و إلها من کل شیء دونه، و کونوا أولیاءه، و إلیه فارغبوا، و إیاه فادعوا، و قال لنا: قاتلوا من اتخذ مع الله آلهة أخری، و کل من زعم أن لله ولدا، و أنه ثانی اثنین أو ثالث ثلاثة حتی یقولوا: لا إله إلا الله وحده لا شریک له، و یدخلوا فی الإسلام، فإن فعلوا حرمت علیکم دماؤهم و أموالهم و أعراضهم إلا بحقها، و هم إخوانکم فی الدین، لهم ما لکم و علیهم ما علیکم، فإن هم أبوا أن یدخلوا فی دینکم و أقاموا علی دینهم فاعرضوا علیهم الجزیة أن یؤدوها عن ید و هم صاغرون، فإن فعلوا فاقبلوا منهم و کفوا عنهم، فإن أبوا فقاتلوهم، فإنه من قتل منکم کان شهیدا حیا عند الله، مرزوقا، و أدخله الله الجنة، و من قتل من عدوکم قتل کافرا و صار إلی النار مخلدا فیها أبدا.

ثم قال خالد: و هذا و الله الذی لا إله إلا هو هو الذی أمر الله به نبیه صلی اللّه علیه و سلم فعلمناه، و أمرنا به، و أمرنا أن ندعو الناس إلیه، و نحن ندعوکم إلی الإسلام و إلی أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له، و أن محمدا عبده و رسوله، و إلی أن تقیموا الصلاة و تؤتوا الزکاة و تقروا بما جاء به من عند الله، فإن فعلتم فأنتم إخواننا فی الدین، لکم ما لنا و علیکم ما علینا، فإن أبیتم فإنا نعرض علیکم أن تعطوا الجزیة عن ید و أنتم صاغرون، فإن فعلتم قبلنا منکم و کففنا عنکم، و إن أبیتم أن تفعلوا فقد و الله جاءکم قوم هم أحرص علی الموت منکم علی الحیاة، فاخرجوا بنا علی اسم الله حتی نحاکمکم إلی الله، فإنما الأرض لله یورثها من یشاء من عباده، و العاقبة للمتقین، ثم سکت خالد، فقال باهان: أما أن ندخل فی دینکم فما أبعد من تری من الناس أن یترک دینه و یدخل فی دینکم، و إما أن نؤدی الجزیة، ثم تنفس الصعداء، و ثقلت علیه و عظمت عنده، فسیموت من تری جمیعا قبل أن یؤدوا الجزیة إلی أحد من الناس، و هم یأخذون الجزیة و لا یعطونها، و أما قولک: فاخرجوا حتی یحکم الله بیننا، فلعمری ما جاءک هؤلاء القوم و هذه الجموع إلا لیحاکموک إلی الله، و أما قولک: إن الأرض لله یورثها من یشاء من عباده، فصدقت و الله، ما کانت هذه الأرض التی نقاتلکم علیها و تقاتلوننا إلا لأمة من

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۷۷

الأمم کانوا قبلنا فیها، فقاتلناهم علیها فأخرجناهم منها، و قد کانت قبل ذلک لقوم آخرین فأخرجهم منها هؤلاء الذین کنا قاتلناهم علیها، فابرزوا علی اسم الله، فإنا خارجون إلیکم.

قال الحارث: فلما فرغ باهان من کلامه وثب خالد فقام، و قمت معه، فمر بقبته فترکها، و بعث معنا صاحب الروم رجالا حتی أخرجونا من عسکرهم و أمنا، فرجعنا إلی أبی عبیدة، فقص علیهم خالد الخبر، و أخبرهم بأن القتال سیقع بینهم، و قال للناس:

استعدوا أیها الناس استعداد قوم یرون أنهم عن ساعة مقاتلون.

و حدث «۱» أبو جهضم الأزدی، عن رجل من الروم کان مع باهان فی عسکرهم ذلک و أسلم بعد فحسن إسلامه، قال: کتب باهان إلی قیصر کتابا یخبره فیه بخالد و حال أصحابه و حال المسلمین، و کان قد جمع أصحابه یوم انصرف عنهم خالد، فقال: أشیروا علیّ برأیکم فی أمر هؤلاء القوم فإنی قد هیبتهم فما أراهم یهابون، و أطمعتهم فلیس یطمعون، و أردتهم علی الرجوع و الخروج عن بلادنا بکل وجه فلیسوا براجعین، و القوم لیس یریدون إلا هلاککم و استئصالکم و سلب سلطانکم، و أکل بلادکم، و سبی أولادکم و نسائکم، و أخذ أموالکم، فإن کنتم أحرارا فقاتلوا عن سلطانکم، و امنعوا حریمکم و نساءکم و أموالکم و بلادکم و أولادکم، فقامت البطارقة رجلا بعد رجل فکلهم یخبره أنه طیب النفس بالموت دون بلاده و سلطانه، و قالوا له: إذا شئت فانهض بنا فقال لهم: فکیف ترون، نقاتلهم فإنا أکثر من عشرة أضعافهم، نحن نحو من أربعمائة ألف، و هم نحو من ثلاثین ألفا أو أقل أو أکثر.

فقال بعضهم: أخرج إلیهم فی کل یوم مائة ألف یقاتلونهم و تسریح البقیة، و تسرح عیالنا و أثقالنا إلی البحر، فلا یکون معنا شیء یهمنا و لا یشغلنا، و یقاتلهم کل یوم منا مائة ألف، فهم فی کل یوم فی قتل و جراحة و عناء و مشقة و شدة، و نحن لا نقاتل إلا فی کل أربعة أیام یوما فإن هم هزموا منا فی کل یوم مائة ألف بقی لهم أکثر من مائتی ألف لم ینهزموا، فقال آخرون: لا، و لکنا نری إذا هم خرجوا إلینا أن نبعث إلی کل رجل منهم عشرة من أصحابک، فلا و الله لا یجتمع عشرة علی واحد إلا غلبوه، فقال باهان: هذا ما لا یکون، و کیف أقدر علی عددهم حتی أبعث إلی کل رجل منهم عشرة من أصحابی، و کیف أقدر أن ینفرد الرجل منهم عن صاحبه حتی أبعث إلیه عشرة من قبلی، هذا ما لا یکون.

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۲۰۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۷۸

قال: فأجمعوا رأیهم جمیعا علی أن یخرجوا بأجمعهم خرجة واحدة فیناجزوهم فیها و لا یرجعوا عنهم حتی یحکم الله بینهم.

و کتب باهان إلی قیصر: أما بعد، نسأل الله لک أیها الملک و لجندک و أهل مملکتک النصر و لدینک و سلطانک العز، فإنک بعثتنی فیما لا یحصیه من العدد إلا الله، فقدمت علی القوم، فأرسلت إلیهم فهیبتهم فلم یهابوا، و أطمعتهم فلم یطمعوا، و خوفتهم فلم یخافوا، و سألتهم الصلح فلم یقبلوا، و جعلت لهم الجعل علی أن ینصرفوا فلم یفعلوا، و قد ذعر منهم جند الملک ذعرا شدیدا، و خشیت أن یکون الفشل قد عمهم، و الرعب قد دخل قلوبهم، إلا أن منهم رجالا قد عرفتهم لیسوا بفرارین عن عدوهم، و لا شکاک فی دینهم، و لو قد لقوهم لم یفروا حتی یظهروا أو یقتلوا، و قد جمعت أهل الرأی من أصحابی، و أهل النصیحة لملکنا و دیننا، فاجتمع رأیهم علی النهوض إلیهم جمیعا، فی یوم واحد، و لا نزایلهم حتی یحکم الله بیننا و بینهم.

قال: و کان باهان قد رأی رؤیا، فذکرها لملک الروم فی کتابه هذا، فقال له: و قد أتانی آت فی منامی، فقال لی: لا تقاتل هؤلاء القوم، فإنهم یهلکونک و یهزمونک، فلما انتبهت عبرت أنه من الشیطان، أراد أن یحزننی، فخسأته «۱»، فإن یکن الشیطان فقد خسأته، و إن لم یکن فقد بین لی الأمر، فابعث أنت أیها الملک بثقلک و حرمک و مالک فألحقهم بأقصی بلادک، و انتظر وقعتنا هذه، فإن أظهرنا الله علیهم حمدت الله الذی أعز دینک و منع سلطانک، و إن هم ظفروا علینا، فارض بقضاء الله، و اعلم أن الدنیا زائلة عنک کما زالت عمن کان قبلک، فلا تأسف منها علی ما فاتک و لا تغتبط منها بشیء مما فی یدیک، و الحق بمعاقلک و دار مملکتک، و أحسن إلی رعیتک و إلی الناس یحسن الله إلیک، و ارحم الضعفاء و المساکین ترحم، و تواضع لله یرفعک، فإن الله لا ـ یحب المتکبرین، و السلام.

قال: ثم إن باهان خرج إلی المسلمین فی یوم ذی ضباب و رذاذ، و صف لهم عشرین صفا لا تری أطرافها، ثم جعل علی میمنته ابن قماطر، و معه جرجیر فی أهل أرمینیة، و جعل الدرنجار فی میسرته، و کان من خیارهم و نساکهم، فأقبلوا نحو المسلمین کأنهم أعراض الجبال و قد ملأوا الأرض، فلما نظر إلیهم المسلمون و قد أقبلوا کلهم، نهضوا إلی رایاتهم، و جاء خالد بن الولید و یزید بن أبی سفیان و عمرو بن العاص و شرحبیل بن حسنة، و هم الأمراء الذین کان أبو بکر رضی الله عنه، أمرهم إلی أبی عبیدة بن الجراح،

---

(۱) خسأ: طرد و أبعد و دحر. انظر: اللسان (۱۱۵۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۷۹

و معه معاذ بن جبل لا ـ یفارقه، فقالوا له: إن هؤلاء قد زحفوا لنا هذا الیوم المطیر، و إنا لا نری أن نخرج إلیهم فیه حتی یطلوا «۱» بعسکرنا و یضطرونا إلی ذلک، قال: أصبتم، ثم خرج هو و معاذ فصفوا الناس و هیئوهم و وقفوهم علی مراکزهم، و أقبلت الروم فی المطر، فوقفوا ساعة و تصبروا علیه، فلما رأوا أن المطر لا یقلع انصرفوا إلی عسکرهم، و دعا الدرنجار رجلا من العرب ممن کان علی

دين النصرانية فقال له: ادخل فى عسكر هؤلاء القوم فانظر ما حالهم و ما هديهم، و ما يصنعون، و كيف سيرتهم، ثم القنى بها، فخرج ذلك الرجل حتى دخل عسكر المسلمين فلم يستنكروه لأنه كان رجلا من العرب لسانه و وجهه، فمكث فى عسكرهم ليلة حتى أصبح، فوجد المسلمين يصلون الليل كله كأنهم فى النهار، ثم أصبح فأقام عامة يومه، ثم خرج إليه، فقال: جئتك من عند قوم يصومون النهار، و يقومون الليل، و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، رهبان بالليل، و أسد بالنهار، لو سرق ملكهم فيهم لقطعوه، و لو زنى لرجموه، لا يثأرهم الحق و اتباعهم إياه على الهوى، فقال: لئن كان هؤلاء القوم هكذا لبطن الأرض خير من ظهرها لمن يريد قتالهم.

فلما كان من الغد خرجوا أيضا، فى يوم ذى ضباب، و أتى المسلمين رجال من العرب كانوا نصارى فأسلموا، فقال لهم أبو عبيدة و خالد: ادخلوا فى عسكر الروم و اكتموهم إسلامكم و القونا بأخبارهم، فإن لكم فى هذا أجرا، و الله حاسبه لكم جهادا، فإنكم تدفعون بذلك عن حرمة الإسلام و تدلون على عورة أهل الشرك، فانطلقوا فدخلوا عسكر الروم، ثم جاءوا بعد ما مضى من الليل نصفه، فأتوا أبا عبيدة فقالوا له: إن القوم قد أوقدوا النيران، و هم يتبعون لكم و يتهيّئون للقائكم، و هم مصبحوكم بالغداة، فما كنتم صانعين فاصنعوه الآن، فخرج أبو عبيدة و معاذ بن جبل و خالد بن الوليد و يزيد بن أبى سفيان و عمرو بن العاص، فعبئوا الناس وصفوهم، فلم يزالوا فى ذلك حتى أصبحوا.

و عن راشد بن عبد الرحمن الأزدى، قال «۲»: صلى بنا أبو عبيدة يومئذ صلاة الغداة فى عسكره فى الغداة التى لقينا فيها الروم باليرموك، فقرأ فى أول ركعة بالفجر و ليال عشر، فلما مر بقول الله تعالى: أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ إِنَّ رَبَّكَ

---

(۱) يلطوا: لط الشىء يلطه لطا: ألزقه و لزمه. انظر: اللسان (۴۰۳۴).

(۲) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۱۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۸۰

لَبِالْمِرْصادِ [الفجر: ۴، ۱۴] قلت فى نفسى: ظهرنا و الله على القوم للذى أجرى الله على لسانه، و سررت بذلك سرورا شديدا، و قلت: عدونا هذا و الله نظير لهذه الأمم، فى الكفر و الكثرة و المعاصى، قال: ثم قرأ فى الركعة الثانية: وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها، فلما مر بقول الله تعالى: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْواها إلى آخر السورة، قلت فى نفسى:

هذه و الله أخرى، إن صدق الفأل ليصبن الله عليهم سوط عذاب، و ليدمدمن الله عليهم كما دمدم على هذه القرون من قبلهم، فلما قضى أبو عبيدة صلاته، أقبل على الناس بوجهه، و قال:

أيها الناس أبشروا، فإنى رأيت فى ليلتى هذه فيما يرى النائم كأن رجالا أتونى فحفوا بى و عليهم ثياب بيض، ثم دعوا إلىّ رجالا منكم أعرفهم، ثم قالوا لنا: أقدموا على عدوكم و لا تهابوهم، فإنكم الأعلون، و كأنا مضينا إلى عسكر عدونا، فلما رأونا قاصدين إليهم انفرجوا لنا، و جئنا حتى دخلنا عسكرهم، و ولوا مدبرين.

فقال له الناس: أصلحك الله، نامت عينك، هذه بشرى من الله، بشرك الله بخير.

و قال أبو مرثد الخولانى: و أنا أصلحك الله قد رأيت رؤيا، إنها لبشرى من الله، رأيت فى هذه الليلة كأنا خرجنا إلى عدونا، فلما تواقعنا صب الله عليهم من السماء طيرا بيضا عظاما لها مخالب كمخالب الأسد، و هى تنقض من السماء انقضاض العقبان، فإذا حاذت بالرجل من المشركين ضربته ضربة يخر منها متقطعا.

و كان الناس يقولون: أبشروا معاشر المسلمين، فقد أيدكم الله عليهم بالملائكة. قال:

فتباشر الناس بهذه الرؤیا و سروا بها، فقال أبو عبیدة: و هذه و الله بشری من الله، فحدثوا بهذه الرؤیا الناس، فإن مثلها من الرؤیا ما یشجع المسلم و یحسن ظنه و ینشطه للقاء عدوه.

قال: و انتشرت هذه الرؤیا و رؤیا أبی عبیدة فی المسلمین، و استبشروا بهما.

و عن أبی جهضم أیضا «۱»: أن رجلا من الروم حدثه فی خلافة عبد الملک بن مروان أن رجلا من عظمائهم أتی باهان فی صبیحة اللیلة التی خرج إلی المسلمین بالیرموک، فقال له: إنی رأیت رؤیا أرید أن أحدثک بها، قال: هاتها، قال: رأیت کأن رجالا نزلوا من السماء طول أحدهم أبعد من مد بصره، فنزعوا سیوفنا من أغمادها و أسنة رماحنا من أطرافها، ثم لم یدعوا منا رجلا إلا کتفوه، ثم قالوا لنا: اهربوا و أکثرکم هالک،

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۲۱۴- ۲۱۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۸۱

فأخذنا نهرب، فمنا من یسقط علی وجهه و منا من یتبلد لا یستطیع أن یبرح من مکانه، و منا من یحل کتافه ثم یسعی حتی لا نراه.

فقال له باهان: أما من رأیت یسقط علی وجهه، و من رأیته یتبلد لا یطیق أن یسعی و لا یتنحی من مکانه فهم الذی یهلکون، و أما الذین رأیت یحلون کتافهم و یسعون حتی لا- نراهم، فأولئک الذین ینجون، ثم قال له باهان: أما أنت فو الله لا- تسلم منی أبدا، فوجهک الذی بشر بالشر و قنط من الخیر، أ لست الذی کنت أشد الناس علیّ فی أمر الرجل الذی قتل رجلا من أهل الذمة، فأردت أن أقتله، فکنت أنت من أشد الناس علیّ فی أمره حتی عطلت حدا من حدود الله و ترکته، و کان علیّ من الحق أن أقیمه، فحلت بینی و بینه فی جماعة من السفهاء، و ترکته کراهیة أن أفرق جماعتکم أو أن یضرب بعضکم بعضا، فأما الآن، فقد حدثت نفسی بالموت، و إنما ألقی القوم عن ساعة، فإن شئتم الآن فتفرقوا، و إن شئتم فاجتمعوا و أنا أتوب إلی الله من ترک ذلک الحد یومئذ، فإنه لم یک یسعنی و لا ینبغی لی إلا قتله، و لو قتلتمونی معه، ثم أمر به فضربت عنقه. قال:

و طلب الرومی الذی کان قتل الذمی فهرب منه فلم یقدر علیه، و قد تقدمت قصة هذا الرومی المقتول تعدیا فیما أخرجناه قبل من الحدیث عن أبی بشر التنوخی، فأغنی ذلک عن إعادتها.

و عن راشد بن عبد الرحمن الأزدی «۱»: أن باهان زحف یوم الیرموک إلی المسلمین فی عشرین صفا تضم نحوا من أربعمائة ألف مقاتل، و أصبح المسلمون طیبة أنفسهم لقتال المشرکین، قد شرح الله صدورهم و شجع قلوبهم علی لقاء عدوهم، فأخرجهم أبو عبیدة و جعل علی میمنته معاذ بن جبل، و علی میسرته قباث بن أشیم، و علی الرجالة هاشم بن عتبة، و علی الخیل خالد بن الولید، و خرج الناس علی رایاتهم و فیهم أشراف العرب و فرسانهم من رجالهم و قبائلهم، و فیهم الأزد و هم ثلث الناس، و حمیر، و هم عظم الناس، و فیهم همدان و خولان و مذحج و خثعم و قضاعة و لخم و جذام و عاملة و غسان و کندة و حضرموت، و معهم جماعة من کنانة، و لکن عظم الناس أهل الیمن، و لم یحضرها یومئذ أسد و لا- تمیم و لا- ربیعة، و لم تکن دارهم هنالک، إنما کانت دارهم عراقیة، فقاتلوا أهل فارس بالعراق، فلما برز المسلمون إلی عدوهم، سار أبو عبیدة فیهم، ثم قال: یا عباد الله، انصروا الله ینصرکم و یثبت أقدامکم فإن وعد الله حق، یا معشر المسلمین، اصبروا فإن الصبر منجاة من الکفر و مرضاة للرب و مدحضة للعار، فلا تبرحوا

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۲۱۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۸۲

مصافکم و لا- تخطوا إلیهم بخطوة و لا- تبدءوهم بقتال، و اشرعوا الرماح و استتروا بالدرق، و الزموا الصمت إلا من ذکر الله حتی آمرکم إن شاء الله.

و خرج معاذ یقص علی الناس، و یقول: یا قراء القرآن و مستحفظی الکتاب و أنصار الهدی و أولیاء الحق، إن رحمة الله لا ـ تنال بالتوانی، و جنته لا تدخل بالأمانی، و لا یؤتی الله المغفرة و الرحمة الواسعة إلا الصادقین المصدقین بما وعدهم الله، أ لم تسمعوا لقول الله تعالی: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً [النور: ۵۵] إلی رأس الآیة، أنتم إن شاء الله منصورون، فأطیعوا الله و رسوله: وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [الأنفال: ۴۶]، و استحیوا من ربکم أن یراکم فرارا من عدوکم، و أنتم فی قبضته و رحمته، و لیس لأحد منکم ملجأ و لا منجی من دونه، و لا متعزز بغیر الله، و جعل یمشی فی الصفوف یحرضهم و یقص علیهم، ثم انصرف إلی موضعه.

قال سهل بن سعد «۱»: و مر عمرو بن العاص یومئذ علی الناس، فجعل یعظهم و یحرضهم و یقول: أیها الناس، غضوا أبصارکم، و اجثوا علی الرکب، و أشرعوا الرماح، و الزموا مراکزکم و مصافکم، فإذا حمل علیکم عدوکم فأمهلوهم حتی إذا رکبوا أطراف الأسنة فثبوا فی وجوههم وثوب الأسد فو الذی یرضی الصدق و یثیب علیه، و یمقت الکذب و یعاقب علیه، و یجزی الإحسان، لقد بلغنی أن المسلمین سیفتحونها کفرا کفرا و قصرا قصرا، فلا یهولنکم جموعهم و لا عددهم، فلو قد صدقتموهم الشدة لقد ابذعروا ابذعرار أولاد الحجل.

قال: و کان أبو سفیان بن حرب استأذن عمر بن الخطاب فی جهاد الروم بالشام، فقال له: إنی أحب أن تأذن لی فأخرج إلی الشام متطوعا بمالی فأنصر المسلمین، و أقاتل المشرکین و أحض جماعة من هناک من المسلمین، فلا آلوهم نصیحة و لا خیرا، فقال له عمر: قد أذنت لک یا أبا سفیان، تقبل الله جهادک و بارک لک فی رأیک، و أعظم أجرک فیما نویت من ذلک، فتجهز أبو سفیان بأحسن الجهاز، و فی أحسن هیئة، ثم خرج و صحبته أناس من المسلمین کثیر، خرجوا متطوعین، فأحسن أبو سفیان صحبتهم حتی قدموا علی جماعة المسلمین، و لما خرج المسلمون إلی عدوهم بالیرموک کان أبو سفیان یومئذ یسیر فی الناس، و یقف علی أهل کل رایة، و علی کل جماعة فیحض الناس

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۲۱۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۸۳

و یعظهم و یقول: إنکم یا معشر المسلمین أصبحتم فی دار العجم منقطعین عن الأهل، نائین عن أمیر المؤمنین، و أمداد المسلمین، و قد و الله أصبحتم بإزاء عدو کثیر عددهم شدید علیکم حنقهم، و قد وترتموهم فی أنفسهم و نسائهم و أولادهم و بلادهم و أموالهم، فلا ـ و الله لا ـ ینجیکم منهم الیوم و لا ـ تبلغون رضوان الله إلا ـ بصدق اللقاء و الصبر فی مواطن المکروه، فتقربوا إلی خالقکم، و امتنعوا بسیوفکم، و لتکن هی الحصون التی إلیها تلجون، و بها تمتنعون.

و قاتل أبو سفیان یومئذ، قتالا شدیدا، و أبلی بلاء حسنا.

قال: و زحف الروم إلی المسلمین و هم یزفون زفا، و معهم الصلبان، و أقبلوا بالأساقفة و القسیسین و الرهبان و البطارقة و الفرسان، و لهم دوی کدوی الرعد، و قد تبایع عظمهم علی الموت، و دخل منهم ثلاثون ألفا فی السلاسل، کل عشرة فی سلسلة لئلا یفروا، فلما نظر إلیهم خالد بن الولید مقبلین، أقبل علی نساء المسلمین و هن علی تل مرتفع فی العسکر، فقال: یا نساء المسلمین، أیما رجل أدرکته منهزما فاقتلنه، فأخذن العناهر، و هی عمد البیوت، ثم أقبلن نحو المسلمین فقلن: لستم ببعولتنا إن لم تمنعونا الیوم، و أقبل خالد إلی أبی عبیدة، فقال: إن هؤلاء قد أقبلوا فی عدد وحد وجد، و إن لهم لشدة لا یردها شیء، و لیست خیل المسلمین بکثیرة، و لا و الله لأقامت خیلی لشدة حملتهم و خیلهم و رجالهم أبدا، و خیل خالد یومئذ أمام صفوف المسلمین، و المسلمون ثلاثة صفوف.

قال خالد: فقد رأیت أن أفرق خیلی، فأکون أنا فی إحدی الخیلین، و یکون قیس بن هبیرة فی الخیل الأخری، ثم تقف خیلنا من وراء

المیمنة و المیسرة، فإذا حملوا علی الناس فإن ثبت المسلمون فالله ثبتهم و ثبت أقدامهم، و إن کانت الأخری حملت علیهم خیولنا و هی جامة علی میمنتهم و میسرتهم، و قد انتهت شدة خیلهم و قوتها، و تفرقت جماعتهم و نقضوا صفوفهم، و صاروا نشرا «۱»، ثم تحمل علیهم و هی بتلک الحال، فأرجو عندها أن یظفر الله بهم و یجعل دائرة السوء علیهم، و قال لأبی عبیدة: قد رأیت لک أن توقف سعید بن زید موقفک هذا و تقف أنت بحذائه من ورائه فی جماعة حسنة، فتکون ردءا للمسلمین، فقبل أبو عبیدة مشورته، و قال: أفعل ما أراک الله و أنا فاعل ما ذکرت، فأمر أبو عبیدة سعید بن زید فوقف فی مکانه، و رکب هو فسار فی الناس فحرضهم و أوصاهم بتقوی الله و الصبر، ثم انصرف فوقف من وراء الناس ردءا لهم، و أقبلت الروم کقطع اللیل حتی إذا حاذوا المیمنة نادی معاذ بن جبل الناس فقال: یا عباد الله المسلمین،

---

(۱) صاروا نشرا: أی منتشرین متفرقین متطایرین.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۸۴

إن هؤلاء قد تیسروا للشدة علیکم، و لا و الله لا یردهم إلا صدق اللقاء و الصبر فی البأساء، ثم نزل عن فرسه و قال: من أراد أن یأخذ فرسی و یقاتل علیه فلیأخذه، فوثب إلیه ابنه عبد الرحمن بن معاذ، و هو غلام حین احتلم، فقال: یا أبة، إنی لأرجو أن أکون فارسا أعظم غناء عن المسلمین منی راجلا، و أنت یا أبة راجلا أعظم غناء منک فارسا، و عظم المسلمین رجالة، و إذا رأوک صابرا محتسبا صبروا إن شاء الله و حافظوا، فقال له معاذ: وفقنی الله و إیاک یا بنی لما یحب و یرضی، فقاتل معاذ و ابنه قتالا شدیدا ما قاتل مثله کثیر من المسلمین، ثم إن الروم تحاضوا و تداعوا و قصت علیهم الأساقفة و الرهبان و قد دنوا من المسلمین، فإذا سمع ذلک معاذ منهم قال: اللهم زلزل أقدامهم و أرعب قلوبهم و أنزل علینا السکینة و ألزمنا کلمة التقوی و حبب إلینا اللقاء و رضنا بالقضاء.

قال: و خرج باهان صاحب الروم فجال فی أصحابه و أمرهم بالصبر و القتال دون ذراریهم و أموالهم و سلطانهم و بلادهم، ثم بعث إلی صاحب المیسرة: أن احمل علیهم، و کان علی المیسرة الدرنجار، و کان متنسکا، فقال البطارقة و الروم الذین معه: قد أمرکم أمیرکم أن تحملوا، و تهیأت البطارقة ثم شدوا علی المیمنة و فیها الأزد و مذحج و حمیر و حضرموت و خولان، فثبتوا حین صدموا و اقتتلوا قتالا شدیدا، ثم رکبهم من الروم أمثال الجبال، فأزالوا المسلمین عن المیمنة إلی ناحیة القلب، و انکشفت طائفة من المسلمین إلی العسکر، و ثبت عظم الناس فلم یزولوا، و قاتلوا تحت رایاتهم فلم ینکشفوا، و لم تنکشف زبید یومئذ، و هی فی المیمنة، و فیهم الحجاج بن عبد یغوث، والد عمرو بن الحجاج، فنادی: یا خیفان یا خیفان، فاجتمعوا إلیه، ثم شدوا علی الروم و هم فی نحو خمسمائة رجل شدة، فلم یتنهنهوا «۱» حتی خالطوا الروم، فقاتلوهم قتالا شدیدا، و شغلوهم عن اتباع من انکشف من المسلمین، و شدت علیهم حضرموت و حمیر و خولان بعد ما کانوا زالوا، ثم رجعوا إلی مواقفهم حتی وقفوا فی الصف حیث کانوا، و استقبل النساء منهزمة المسلمین بالعناهر یضربن بها وجوههم، و ثبتت الأزد و قاتلت قتالا لم یقاتل مثله أحد من تلک القبائل، و قتل منهم مقتلة لم یقتل مثلها من قبیلة من القبائل، و قتل یومئذ عمرو بن الطفیل، ذو النور، و هو یقول: یا معشر الأزد، لا یؤتین المسلمون من قبلکم، و قاتل قتالا شدیدا، قتل من أشدائهم تسعة، ثم قتل هو، یرحمه الله.

و قال جندب بن عمرو بن حممة و رفع رایته: یا معشر الأزد، إنه لا یبقی منکم و لا ینجو من الإثم و العار إلا من قاتل، ألا و إن المقتول شهید، و الخائب من هرب الیوم،

---

(۱) النهنهة: الکف، تقول: نهنهت فلانا فتنهنه، أی کففته فکف.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۸۵

و قاتل حتی قتل رحمه الله، و نادی أبو هریرة: یا مبرور یا مبرور، فأطافت به الأزد، قال عبد الله بن سراقة: انتهیت إلی أبی هریرة یومئذ،

و هو يقول: تزينوا للحور العين و ارغبوا فى جوار ربكم، فى جنات النعيم، فما أنتم فى موطن من مواطن الخير أحب فيه منكم فى هذا الموطن، ألا ـ و إن للصابرين فضلهم. قال: فأطافت به الأزد، ثم اضطربوا هم و الروم، فو الذى لا إله إلا هو لرأيت و إنها لتدور بهم الأرض و هم فى مجال واحد كما تدور الرحاء، و ما برحوا يعنى المسلمين، و لا زالوا و ركبهم من الروم أمثال الجبال، فما رأيت موطنا قط أكثر قحفا ساقطا و معصما نادرا و كفا طائحة من ذلك الموطن، و قد و الله أوحلناهم شرا و أوحلونا.

و كان جل القتال فى الميمنة، و أن القلب ليلقون مثل ما نلقى، و لكن حمة القوم وجدهم و حردهم و حنقهم علينا، و كنا فى آخر الميمنة، فلقد لقينا من قتالهم ما لم يلق أحد مثله، فو الله إنا لكذلك نقاتلهم و قد دخل عسكرنا منهم نحو من عشرين ألفا من ورائنا، فعصمنا الله من أن نزول، حمل عليهم خالد بن الوليد فقصف بعضهم على بعض، و شدخ منهم فى العسكر نحوا من عشرة آلاف، و دخل سائرهم بيوت المسلمين فى العسكر مجرجين و غير مجرجين، ثم خرج خالد يكرد و يقتل كل من كان قريبا منا من الروم حتى إذا حاذانا ألف خيله بعضها إلى بعض، ثم قال: يا أهل الإسلام، إنه لم يبق عند القوم من الجد و القتال إلا ما قد رأيتم، فالشدة، فو الذى نفسى بيده ليعطينكم الله الظفر الساعة عليهم، فجعل لا يسمع هذا القول من خالد أحد من المسلمين إلا شجعه عليهم، ثم إن خالدا اعترض الروم و إلى جنبه منهم أكثر من مائة ألف، فحمل عليهم، و ما هو إلا فى نحو من ألف فارس، فو الله ما بلغتهم الحملة حتى فض الله جمعهم.

قال: و شددنا على من يلينا من رجالتهم، فانكشفوا و اتبعناهم نقتلهم كيف شئنا، ما يمتنعون من قتل ميمنتنا لميسرتهم، قال: ثم إن خالدا انتهى إلى الدرنجار و قد قال لأصحابه: لفونى بالثياب، فليت أنى لم أقاتل هؤلاء القوم اليوم، فلفوه بالثياب، و قال:

لوددت أن الله عافانى من حرب هؤلاء القوم فلم أرهم و لم يرونى، و لم أنصر عليهم و لم ينصروا علىّ، و هذا يوم سوء، فما شعر حتى غشيه المسلمون فقتلوه.

و قال ابن قماطر و هو فى ميمنة الروم لجرجير، صاحب أرمينية: احمل عليهم، فقال له: أنت تأمرنى أن أحمل عليهم و أنا أمير مثلك؟ فقال له ابن قماطر: أنت أمير و أنا أمير فوقك، و قد أمرت بطاعتى، فاختلفا، ثم إن ابن قماطر حمل على المسلمين حملة شديدة على الميسرة و فيها كنانة و قيس و لخم و جذام و عاملة و غسان و خثعم و قضاعة، فانكشف

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۸۶

المسلمون و زالت الميسرة عن مصافها، و ثبت أهل الرايات و أهل الحفاظ، فقاتلوا قتالا شديدا، و ركبت الروم أكتاف من انهزم من المسلمين حتى دخلوا معهم العسكر، فاستقبلهم نساء المسلمين بالعناهر يضربن بها وجوههم.

و عن حنظلة بن جويه قال «۱»: و الله إنى لفى الميسرة إذ مر بنا رجال من الروم على خيل من خيل العرب لا يشبهون الروم و هم أشبه شيء بنا، فلا أنسى قول قائل منهم: يا معشر العرب، الحقوا بوادى القرى و يثرب، و هو يقول:

فى كل يوم خيلنا تغيرنحن لنا البلقاء و السدير

هيهات يأبى ذلك الأميرو الملك المتوج المحبور قال: فحملت عليه و حمل علىّ، فاضطربنا بسيفينا فلم يغنينا شيئا ثم اعتنقنا، فخررنا جميعا فاعتركنا ساعة، ثم إننا تحاجزنا، فنظرت إلى عنقه و قد بدا منها مثل شراك النعل، فمشيت إليه فاعتمدت ذلك الموضع بسيفى، فو الله ما أخطأته، فقطعته فصرع، فضربته حتى قتلته، و أقبلت إلى فرسى و قد كان عار، و إذا فرسى قد حبسوه علىّ، فأقبلت حتى ركبته، قال: و قاتل قباث بن أشيم يومئذ، قتالا شديدا، و أخذ يقول:

إن تفقدونى تفقدوا خير فارس‌لدى الغمرات و الرئيس المحاميا

و ذا فخر لا يملأ الهول صدره‌ضروبا بنصل السيف أروع ماضيا و كسر فى الروم يومئذ ثلاثة أرماح، و قطع سيفين، و يقول كلما قطع سيفا أو كسر رمحا: من يعين بسيف أو برمح فى سبيل الله رجلا قد حبس نفسه مع أولياء الله و قد عاهد الله ألا يفر و لا يبرح يقاتل المشركين حتى يظهر المسلمون أو يموت. و كان من أحسن الناس بلاء يومئذ.

و نزل أبو الأعور السلمى، فقال: يا معشر قريش، خذوا بحظكم من الصبر و الأجر، فإن الصبر فى الدنيا عز و مكرمة، و فى الآخرة رحمة و فضيلة، فاصبروا و صابروا.

و عن حبيب بن مسلمة قال «۲»: اضطررنا يوم اليرموك إلى سعيد بن زيد، فلله سعيد ما سعيد يومئذ إلا مثل الأسد، جثا و الله على ركبتيه حتى إذا دنوا وثب فى وجوههم مثل الليث، فطعن برايته أول رجل من القوم فقتله، و أخذ و الله يقاتل راجلا قتال الرجل البئيس الشجاع فارسا، قال: و كان يزيد بن أبى سفيان من أعظم الناس غناء

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۲۷).

(۲) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۲۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۸۷

و أحسنه بلاء هو و أبوه جميعا، و قد كان أبوه مر به و هو يحرض الناس و يعظمهم، فقال:

يا بنى، إنك تلى من أمر المسلمين طرفا، و يزيد يومئذ على ربع الناس، و إنه ليس بهذا الوادى رجل من المسلمين إلا و هو محقوق بالقتال، فكيف بأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين، أولئك أحق الناس بالجهاد و الصبر و النصيحة، فاتق الله يا بنى، و اكرم فى أمرك، و لا يكونن أحد من أصحابك أرغب فى الآخرة و لا فى الصبر فى الحرب و لا أشد نكاية فى المشركين، و لا أجهد على عدو الإسلام و لا أحسن بلاء منك. فقال يزيد:

أفعل و الله يا أبة، فقاتل فى الجانب الذى كان فيه قتالا شديدا.

قال: و شد على عمرو بن العاص جماعة من الروم فانكشف عنه أصحابه و ثبت عمرو فجالدهم طويلا، و قاتل شديدا، ثم تراجع إليه أصحابه، قال: فسمعت أم حبيبة بنت العاص تقول: قبح الله رجلا يفر عن حليلته، و قبح الله رجلا يفر عن كريمته، و سمعت نسوة من المسلمين يقلن: قاتلوا أيها المسلمون فلستم بعولتنا إن لم تمنعونا، و أخذن العناهر، فكلما مر بهن منهزم من المسلمين حملن عليه حتى يضربن وجهه و يرددنه إلى جماعة المسلمين.

و قاتل شرحبيل بن حسنة فى ربعه الذى كان فيه قتالا شديدا، و كان إلى جنبه سعيد ابن زيد، وسطا من الناس، و جعل ينادى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ إلى آخر الآية [التوبة: ۱۱۱] ثم جعل يقول: أين الشارون أنفسهم من الله بابتغاء مرضات الله؟ أين المشاءون إلى جوار الله غدا فى داره، فاجتمع إليه ناس كثير و بقى القلب لم ينكشف، و فيه أهله الذين كانوا مع سعيد بن زيد، و كان أبو عبيدة من وراء ظهور المسلمين ردءا لهم.

فلما رأى قيس بن هبيرة أن خيل المسلمين مما يلى الميسرة قد شد عليهم الروم اعترض الروم بخيله و هى الشطر من خيل خالد، فقصف بعضهم على بعض، و حمل خالد من ميمنة المسلمين على ما يليه من الروم حتى اضطرهم إلى صفوفهم، فقصف بعضهم على بعض، و زحف إليه المسلمون جماعتهم رويدا رويدا حتى إذا دنوا منهم حملوا عليهم، فجعلت الروم ينقضون صفوفهم و ينهزمون، و بعث أبو عبيدة إلى سعيد بن زيد: أن احمل عليهم، فحمل عليهم، و شد المسلمون بأجمعهم، فضرب الله وجوه الروم، و منح المسلمين أكتافهم، يقتلونهم كيف شاءوا، لا- يمتنعون من أحد من المسلمين، و انتهى خالد بن الوليد إلى الدرنجار، و كان كارها لقتال المسلمين، لما كان يجد من صفتهم فى الكتب،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۸۸

و كان يقرأها، فقال خالد: إن كنت لأحب أن أراه، فضربه المسلمون حتى قتلوه، و إنه لملفف رأسه بكساء، و اتبعهم المسلمون يقتلونهم كل قتلة، و ركب بعضهم بعضا حتى انتهوا إلى مكان مشرف على أهوية تحتهم، فجعلوا يتساقطون فيها و لا يبصرون، و هو

يوم ذو ضباب، و هم يرتكسون فيها، لا يعلم آخرهم ما يلقى أولهم، حتى سقط فيها نحو من مائة ألف رجل، ما أحصوا إلا بالقصب. و بعث أبو عبيدة شداد بن أوس بن ثابت فعدهم بها من الغد، فوجد من سقط أكثر من ثمانين ألفا، فسميت تلك الأهوية الواقوصة حتى اليوم، لأنهم و قصوا فيها و ما فطنوا لتساقطهم حتى انكشف الضباب فأخذوا فى وجه آخر، و قتل المسلمون منهم فى المعركة بعد ما أدبروا نحوا من خمسين ألفا.

و اتبعهم خالد فى الخيل، فلم يزل يقتلهم فى كل واد و كل شعب و فى كل جبل، حتى انتهى إلى دمشق، فخرج إليه أهلها، و قالوا له: نحن على عهدنا الذى كان بيننا و بينكم، فقال لهم خالد: نعم، و مضى فى اتباعهم يقتلهم فى القرى و الأودية و الجبال حتى انتهى إلى حمص، فخرج إليه أهلها، فقالوا له مثل ما قال أهل دمشق فى العهد، فقال لهم: نعم.

و أقبل أبو عبيدة على قتلى المسلمين، رحمهم الله و جزاهم عن الإسلام و أهله خيرا، فدفنهم، فلما فرغ من ذلك جاءه النعمان بن محمية ذو الأنف الخثعمى يسأله أن يعقد له على قومه، فعقد له عليهم، و كانت خثعم قد رأست رجلا آخر منهم من بنى عمرو يدعى ابن ذى السهم، فاختصم هو و ذو الأنف إلى أبى عبيدة فى الرئاسة قبل الوقعة، فأخرهم أبو عبيدة إلى أن يفرغوا من حربهم و يناجزوا عدوهم، ثم ينظر فى أمرهم، فلما التقى الناس استشهد هنالك ابن ذى السهم الخثعمى، فعقد أبو عبيدة للنعمان ذى الأنف على خثعم.

قال: و جاء الأشتر مالك بن الحارث النخعى، فقال لأبى عبيدة: اعقد لى على قومى، فعقد له، و كانت قصته مثل قصة الخثعمى، و ذلك أنه أتى قومه و عليهم رجل منهم فخاصمهم الأشتر فى الرئاسة إلى أبى عبيدة، فدعا أبو عبيدة النخع، فقال: أى هذين أرضى فيكم و أعجب إليكم أن يرأس عليكم؟ فقالوا: كلاهما شريف و فينا رضى و عندنا ثقة، فقال أبو عبيدة: كيف أصنع بكما؟ ثم قال للأشتر: أين كنت حين عقدت لهذا الراية؟ قال: كنت عند أمير المدينة، ثم أقبلت إليكم، قال: فقدمت على هذا و هو رأس

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٢٨٩

أصحابك؟ قال: نعم، قال: فإنه لا ينبغى لك أن تخاصم ابن عمك و قد رضيت به جماعة قومك قبل قدومك عليهم، قال الأشتر: فإنه رضى شريف و أهل ذلك هو، و أنا أهل الرئاسة، فلتعقبنى من رئاسة قومى فأليهم كما وليهم هذا، فقال أبو عبيدة: تأخروا ذلك حتى تكون هذه الوقعة، فإن استشهدتما جميعا فما عند الله خير لكما، و إن هلك أحدكما و بقى الآخر كان الباقى منكما الرأس على قومه، و إن تبقيا جميعا أعقبناك منه إن شاء الله، قال الأشتر: فقد رضيت، فلما كانت الواقعة استشهد فيها رأس النخع الأول، فعقد أبو عبيدة للأشتر عند ذلك.

و فى حديث آخر أن الأشتر كان من جلداء الرجال و أشدائهم و أهل القوة و النجدة منهم، و أنه قتل يوم اليرموك، قبل أن ينهزموا أحد عشر رجلا من بطارقتهم، و قتل منهم ثلاثة مبارزة و توجه مع خالد فى طلب الروم حين انهزموا، فلما بلغوا ثنية العقاب من أرض دمشق و عليها جماعة من الروم عظيمة، أقبلوا يرمون المسلمين من فوقهم بالصخر، فتقدم إليهم الأشتر فى رجال من المسلمين، و إذا أمام الروم رجل جسيم من عظمائهم و أشدائهم، فوثب إليه الأشتر لما دنا منه، فاستويا على صخرة مستوية، فاضطربا بسيفيهما، فضرب الأشتر كتف الرومى فأطارها، و ضربه الرومى بسيفه فلم يضره شيئا، و اعتنق كل واحد منهما صاحبه، ثم دفعه الأشتر من فوق الصخرة فوقعا منها، ثم تدحرجا، و الأشتر يقول و هما يتدحرجان: إِنَّ صَلاتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيايَ وَ مَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَ بِذلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فلم يزل يقول هذا و هو فى ذلك ملازم العلج لا يتركه، حتى انتهيا إلى موضع مستو من الجبل، فلما استقرا فيه وثب الأشتر على الرومى فقتله، ثم صاح فى الناس: أن جوزوا، فلما رأت الروم أن صاحبهم قد قتله الأشتر خلوا سبيل العقبة للناس، ثم انهزموا.

و أقبل أبو عبيدة فى أثر خالد حتى انتهى إلى حمص، فأمر خالدا أن يتقدم إلى قنسرين، و لما انتهت الهزيمة إلى ملك الروم و هو بأنطاكية، قال: قد كنت أعلم أنهم سيهزمونكم، فقال له بعض جلسائه: و من أين علمت ذلك أيها الملك، قال من حيث أنهم تحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة، و يرغبون فى الآخرة أشد من رغبتكم فى الدنيا، و لا يزالون ظاهرين ما كانوا هكذا، و ليغين كما

غيرتم، و لينقضن كما نقضتم.

و فى حديث عن عبد الله بن قرط «۱»: أن أول من جاء ملكهم بالهزيمة رجل منهم، فقال له: ما وراءك؟ قال: خير، أيها الملك، هزمهم الله و أهلكهم، يعنى المسلمين، قال:

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۳۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۹۰

ففرح بذلك من حوله و سروا و رفعوا أصواتهم، فقال لهم ملكهم: ويحكم، هذا كاذب، و هل ترون هيئة هذا إلا هيئة منهزم، سلوه ما جاء به، فلعمرى ما هو ببريد، و لو لم يكن هذا منهزما ما كان ينبغى له أن يكون إلا مع أميره مقيما، فما كان بأسرع من أن جاء آخر، فقال له: ويحك، ما وراءك؟ فقال: هزم الله العدو و أهلكهم، قال له هرقل: فإن كان الله أهلكهم فما جاء بك؟.

و فرح أصحابه و قالوا: صدقك أيها الملك، فقال لهم: ويحكم، أ تخادعون أنفسكم، إن هؤلاء و الله لو كانوا ظهروا أو ظفروا ما جاؤكم على متون خيولهم يركضون، و لسبقهم البريد و البشرى، قال: فإنهم لكذلك إذ طلع عليهم رجل من العرب من تنوخ على فرس له عربية، يقال له حذيفة بن عمرو، و كان نصرانيا، فقال قيصر: ما أظن خبر السؤال إلا عند هذا، فلما دنا منه قال له: ما عندك؟ قال: الشر، قال: وجهك الذى بشرنا بالشر، ثم نظر إلى أصحابه، فقال: خبر سوء جاء به رجل سوء من قوم سوء، فإنهم لكذلك إذ جاءه رجل من عظماء الروم، فقال له الملك: ما وراءك؟ قال: الشر، هزمنا. قال: فما فعل أميركم باهان؟ قال: قتل، قال: فما فعل فلان و فلان، يسمى له عددا من أمرائه و بطارقته و فرسانه، فقال: قتلوا، فقال له: لكنك و الله أنت أخبث و ألأم و أكفر من أن تذب عن دين أو تقاتل على دنيا.

ثم قال لشرطه: أنزلوه، فأنزلوه، فجاءوا به، فقال له: أ لست كنت أشد الناس علىّ فى أمر محمد نبى العرب حين جاءنى كتابه و رسوله، و كنت قد أردت أن أجيبه إلى ما دعانى إليه و أدخل فى دينه، فكنت أنت من أشد الناس علىّ حتى تركت ما أردت من ذلك؟ فهلا قاتلت الآن قوم محمد و أصحابه دون سلطانى، و على قدر ما كنت لقيت منك إذ منعتنى من الدخول فى دينه؟ اضربوا عنقه، فقدموه فضربوا عنقه، ثم نادى فى أصحابه بالرحيل راجعا إلى القسطنطينية، فلما خرج من الشام و أشرف على أرض الروم استقبل الشام، فقال: السلام عليك يا سورية، سلام مودع لا- يرى أنه يرجع إليك أبدا، ثم قال: ويحك أرضا، ما أنفعك لعدوك، لكثرة ما فيك من العشب و الخصب و الخير.

و عن عمرو بن عبد الرحمن «۱»: أن هرقل حين خرج من أنطاكية، أقبل حتى نزل الرها، ثم منها كان خروجه إلى القسطنطينية، و أقبل خالد فى طلب الروم حتى دخل أرض قنسرين، فلما انتهى إلى حلب تحصن منه أهلها، و جاء أبو عبيدة حتى نزل عليهم، فطلبوا الصلح و الأمان، فقبل منهم أبو عبيدة فصالحهم، و كتب لهم أمانا.

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۳۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۹۱

و عن الحسن بن عبد الله «۱»: أن الأشتر قال لأبى عبيدة: ابعث معى خيلا أتبع آثار القوم، فإن عندى جزاء و غناء، فقال له أبو عبيدة: و الله إنك لخليق بكل خير، فبعثه فى ثلاثمائة فارس، و قال له: لا تتباعد فى الطلب، و كن منى قريبا، فكان يغير على مسيرة اليوم منه و اليومين، و نحو ذلك.

ثم إن أبا عبيدة دعا ميسرة بن مسروق فسرحه فى ألفى فارس، فمضى فى آثار الروم حتى قطع الدروب، و بلغ ذلك الأشتر، فمضى حتى لحقه، فإذا ميسرة مواقف جمعا من الروم أكثر من ثلاثين ألفا، و كان ميسرة قد أشفق على من معه، و خاف على نفسه و على

أصحابه، فإنهم لكذلك إذ طلع عليه الأشتر فى ثلاثمائة فارس من النخع، فلما رآهم أصحاب ميسرة كبروا و كبر الأشتر و أصحابه، و حمل عليهم من مكانه ذلك، و حمل ميسرة فهزموهم، و ركبوا رءوسهم، و اتبعتهم خيل المسلمين يقتلونهم، حتى انتهوا إلى موضع مرتفع من الأرض، فعلوا فوقه، و أقبل عظيم من عظمائهم معه رجالة كثيرة من رجالتهم، فجعلوا يرمون خيل المسلمين من مكانهم المشرف، فإن خيل المسلمين لمواقفتهم إذ نزل رجل من الروم أحمر عظيم جسيم، فتعرض للمسلمين ليخرج إليه أحدهم، قال: فو الله ما خرج إليه رجل منهم، فقال لهم الأشتر: أما منكم من أحد يخرج لهذا العلج؟ فلم يتكلم أحد.

قال: فنزل الأشتر، ثم خرج إليه، فمشى كل واحد منهما إلى صاحبه و على الأشتر الدرع و المغفر، و على الرومى مثل ذلك، فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه شد الأشتر عليه فاضطربا بسيفيهما، فوقع سيف الرومى على هامة الأشتر، فقطع المغفر و أسرع السيف فى رأسه، حتى كاد ينشب فى العظم، و وقعت ضربة الأشتر على عاتق الرومى، فلم تقطع شيئا من الرومى، إلا أنه ضربه ضربة شديدة أو هنت الرومى و أثقلت عاتقه، ثم تحاجزا.

فلما رأى الأشتر أن سيفه لم يصنع شيئا، انصرف فمشى على هيئته حتى أتى الصف، و قد سال الدم على لحيته و وجهه، فقال: أخزى الله هذا سيفا، و جاءه أصحابه، فقال: علىّ بشيء من حناء، فأتوه به من ساعته، فوضعه على جرحه، ثم عصبه بالخرق، ثم حرك لحيته و ضرب أضراسه بعضها ببعض، ثم قال: ما أشد لحيتى و رأسى و أضراسى، و قال لابن عم له: امسك سيفى هذا و أعطنى سيفك، فقال: دع لى سيفى، رحمك الله، فإنى لا أدرى لعلى احتاج إليه، فقال: أعطنيه و لك أم النعمان يعنى ابنته، فأعطاه إياه،

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۳۷، ۲۳۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۹۲

فذهب ليعود إلى الرومى، فقال له قومه، ننشدك الله أ لا تتعرض لهذا العلج، فقال: و الله لأخرجن إليه فليقتلنى أو لأقتلنه، فتركوه، فخرج إليه.

فلما دنا منه شد عليه و هو شديد الحنق، فاضطربا بسيفيهما، فضربه الأشتر على عاتقه، فقطع ما عليه حتى خالط السيف رئته، و وقعت ضربة الرومى على عاتق الأشتر، فقطعت الدرع ثم انتهت و لم تضره شيئا، و وقع الرومى ميتا، و كبر المسلمون، ثم حملوا على صف رجالة الروم، فجعلوا يتنقضون و يرمون المسلمين و هم من فوق، فما زالوا كذلك حتى أمسوا و حال بينهم الليل، و باتوا ليلتهم يتحارسون.

فلما أصبحوا أصبحت الأرض من الروم بلاقع، فارتحل الأشتر منصرفا بأصحابه، و مضى ميسرة فى أثر القوم حتى بلغ مرج القبائل بناحية أنطاكية، و المصيصة، ثم انصرف راجعا، و كان أبو عبيدة حين بلغه أنهم قد أدبروا أشفق عليهم و جزع و ندم على إرساله إياهم، قال: فإنه لجالس فى أصحابه مستبطئا لقدومهم متأسفا على تسريحهم، إذ أتى فبشر بقدوم الأشتر، و جاء فحدثه بما كان من أمرهم و لقائهم ذلك الجيش، و هزيمتهم إياه، و ما صنع الله لهم، و لم يذكر مبارزة الرومى و قتله إياه حتى أخبره غيره، و سأله عن ميسرة و أصحابه، فأخبروه بالوجه الذى توجه فيه، و أخبره أنه لم يمنعه من التوجه إلا الشفقة على أصحابه، و ألا يصابوا بعد ما ظفروا، فقال: قد أحسنت، و ما أحب الآن أنك معهم، و لوددت أنهم كانوا معكم.

قال: فدعا ناسا من أهل حلب، فقال: اطلبوا إلىّ إنسانا دليلا عالما بالطريق أجعل له جعلا عن أن يتبع آثار هذه الخيل التى بعثتها فى طلب الروم حتى يلحقها، ثم يأمرها بالانصراف إلىّ ساعة يلقاها، فجاءوه بثلاثة رجال، فقالوا: هؤلاء علماء بالطريق جراء عليها أدلاء بها، و هم يخرجون فى آثار خيلك حتى يأتوها بأمرك، فكتب أبو عبيدة إلى ميسرة:

أما بعد، فإذا أتاك رسولى هذا فأقبل إلىّ حين تنظر فى كتابى، و لا تعرجن على شيء، فإن سلامة رجل واحد من المسلمين أحب إلىّ من جميع أموال المشركين، و السلام عليك.

فأخذوا كتابه، ثم خرجوا به، فاستقبلوا ميسرة حين هبط من الدروب راجعا، و قد عافاه الله و أصحابه و غنمهم و سلمهم، فدفعوا إليه كتاب أبى عبيدة، فلما قرأه قال:

جزاه الله من وال على المسلمين خيرا، ما أشفقه و أنصحه، ثم أقبل الرسل فبشروا أبا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۹۳

عبيدة بسلامتهم و انصرافهم، فحمد الله على ذلك، و أقام حتى قدم عليه ميسرة، و كتب أمانا على الناس من أهل قنسرين، ثم أمر مناديه بالرحيل إلى إيلياء، و قدم خالدا على مقدمته بين يديه، و بعث على حمص حين انتهى إليها حبيب بن سلمة، و أرض قنسرين إذ ذاك مجموعة إلى صاحب حمص، و إنما فتحت قنسرين بعد ذلك فى خلافة يزيد بن معاوية، ثم خرج من حمص و مر بدمشق، فولاها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، ثم خرج حتى مر بالأردن، فنزلها، فعسكر بها، و بعث الرسل إلى أهل إيلياء، و قال:

اخرجوا إلىّ أكتب لكم أمانا على أنفسكم و أموالكم، و نفى لكم كما وفينا لغيركم، فتثاقلوا و أبوا، فكتب إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، من أبى عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء و سكانها، سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله العظيم و رسله، أما بعد، فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، و أن الساعة آتية لا ريب فيها، و أن الله يبعث من فى القبور، فإذا شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم و أموالكم و كنتم إخواننا فى ديننا، و إن أبيتم فأقروا لنا بإعطاء الجزية و أنتم صاغرون، فإن أبيتم سرت إليكم بقوم، هم أشد للموت حبا منكم لشرب الخمر و أكل لحم الخنزير، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله حتى أقتل مقاتلتكم و أسبى ذراريكم.

قال: و كتب إلى عمر بن الخطاب حين أظهره الله على أهل اليرموك و خرج يطلبهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك، أما بعد، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، و الحمد لله الذى أهلك المشركين، و نصر المسلمين، و قديما تولى الله نصرهم، و أظهر فلجهم، و أعز دعوتهم، فتبارك الله رب العالمين.

أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله، أنا لقينا الروم فى جموع لم تلق العرب جموعا قط مثلها، فأتوا و هم يرون أن لا غالب لهم من الناس، فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا، ما قوتل المسلمون مثله فى موطن قط، و رزق الله المؤمنين الصبر، و أنزل عليهم النصر، فقتلوهم فى كل قرية و كل شعب و واد و سهل و جبل، و غنم المسلمون عسكرهم، و ما كان فيه من أموالهم، و متاعهم، ثم إنى اتبعتهم بالمسلمين حتى بلغنا أقصى بلادهم، و قد بعثت إلى أهل الشام عمالا، و بعثت إلى أهل إيلياء أدعوهم إلى الإسلام، فإن قبلوا و إلا فليؤدوا الجزية عن يد و هم صاغرون، فإن أبوا سيرت إليهم حتى أنزل بهم، ثم لا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۹۴

أزايلهم حتى يفتح الله على المسلمين إن شاء الله، و السلام عليك.

فكتب إليه عمر رضى الله عنه: من عبد الله بن عمر أمير المؤمنين، إلى أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فقد أتانى كتابك، و فهمت ما ذكرت فيه من إهلاك الله المشركين و نصره المؤمنين، و ما صنع لأوليائه و أهل طاعته، فالحمد لله على صنيعه إلينا، و نستتم من الله ذلك بشكره، ثم اعلموا أنكم لم تنصروا على عدوكم بعدد و لا عدة و لا حول و لا قوة، و لكنه بعون الله و نصره و منه تعالى و فضله، فلله المن و الطول و الفضل العظيم، فتبارك الله أحسن الخالقين، و الحمد لله رب العالمين.

فهذه الأحاديث التى أوردها أصحاب فتوح الشام فى كتبهم عن وقعة اليرموك، و قد أوردها غيرهم على صفة تخالف أكثر ما تقدم مساقا و تاريخا، حسب ما يظهر لمن يقف على جميعها، و اختلاف الأخبار من جهة النقل أمر مألوف، و إعادة أمثال هذه الآثار التى هى كيف ما وقعت من آيات الإسلام شيء غير مملول. و نحن نذكر من ذلك ما يحسن فى هذا المجموع ذكره، و يليق بالمقصود

إيراده إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك أن ابن إسحاق ذكر أن التقاء المسلمين مع الروم باليرموك كان فى رجب سنة خمس عشرة، و أن الذى لقيهم من الروم هو الصقلار خصى لهرقل، بعثه فى مائة ألف مقاتل أكثرهم من الروم، و سائرهم من أهل أرمينية، و من المستعربة من غسان و قضاعة، و المسلمون مع أبى عبيدة أربعة و عشرون ألفا، فاقتتل الناس اقتتالا ـ شديدا حتى دخل عسكر المسلمين، و قاتل نساء من قريش بالسيوف حين دخل العسكر حتى سابقن الرجال، و قد كان انضم إلى المسلمين ناس من لخم و جذام، فلما رأوا جد القتال فروا و خذلوا المسلمين، فقال قائل من المسلمين حين رأى ذلك منهم:

القوم لخم و جذام فى الهرب و نحن و الروم بمرج نضطرب

و إن يعودوا بعدها لا نصطحب

ثم إن الله أنزل نصره، فهزمت الروم و جموع هرقل التى جمع، فأصيب منهم سبعون ألفا، و قتل الله الصقلار و باهان، و كان هرقل قدمه مع الصقلار حين لحق به.

و فيما حكاه الطبرى «۱» بسنده عن سيف عن شيوخه قالوا: أوعب القواد بالناس نحو الشام، و عكرمة ردء لهم، و بلغ الروم ذلك فكتبوا إلى هرقل، فخرج حتى نزل بحمص،

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۹۲- ۳۹۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۹۵

فأعد لهم الجنود و عبأ العسكر، و أراد أن يشغل بعضهم ببعض لكثرة جنده و فضول رجاله، فأرسل أخاه تذارق إلى عمرو بن العاص فى تسعين ألفا، و بعث جرجة بن توذورا نحو يزيد بن أبى سفيان فعسكر بإزائه، و بعث الدراقص، فاستقبل شرحبيل بن حسنة، و بعث القيقار بن نسطوس فى ستين ألفا نحو أبى عبيدة، فهابهم المسلمون، و جميع فرق المسلمين أحد و عشرون ألفا، سوى ستة آلاف مع عكرمة، ففزعوا جميعا بالكتب و الرسل إلى عمر بن الخطاب، يستدعون رأيه، فراسلهم أن الرأى الاجتماع، و ذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة، و إذا نحن تفرقنا لم يكن الرجل منا فى عدد يقرن به لأحد ممن استقبله، فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا فيه، و قد كتبوا إلى أبى بكر بمثل ما كاتبوا به عمر، فطلع عليهم كتابه بمثل ما كاتبهم به عمر سواء، بأن اجتمعوا و القوا زحوف المشركين بزحف المسلمين، فإنكم أعوان الله، و الله ناصر من نصره و خاذل من كفره، و لن يؤتى مثلكم من قلة، و إنما يؤتى العشرة آلاف و الزيادة عليها، إذا أتوا من قبل الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، و اجتمعوا باليرموك متساندين، و ليتصل كل رجل منكم بأصحابه.

و بلغ ذلك هرقل، فكتب إلى بطارقته، أن اجتمعوا لهم و انزلوا بالروم منزلا واسع العطن، واسع المطرد، ضيق المهرب، و على الناس التذارق، و على المقدمة جرجة، و على مجنبتيه باهان و الدراقص، و على الحرب القيقار، و أبشروا فإن باهان فى الأثر مدد لكم، ففعلوا، فنزلوا الواقوصة، و هى على ضفة اليرموك، و صار الوادى خندقا لهم، و هو لهب «۱» لا يدرك، و إنما أراد باهان أن يستبقى الروم و يأنسوا بالمسلمين، و ترجع إليهم أفئدتهم، و انتقل المسلمون من معسكرهم الذى اجتمعوا به، فنزلوا عليهم بحذائهم على طريقهم، و ليس للروم طريق إلا ـ عليهم. فقال عمرو: أيها الناس، ألا أبشروا، حصرت و الله الروم، و قل ما جاء محصور بخير، فأقاموا بإزائهم، و على طريقهم و مخرجهم، لا ـ يقدرون من الروم على شىء، و لا ـ يخلصون إليهم اللهب، و هو الواقوصة من ورائهم، و الخندق من أمامهم، و لا يخرجون خرجة إلا أذيل المسلمون منهم، و قد استمدوا أبا بكر رحمه الله، و أعلموه الشأن فى صفر، يريد من سنة ثلاث عشرة.

و فى حديث آخر لسيف عن أشياخه «۲»: أنهم لما استمدوه، قال أبو بكر: خالد لها، و بعث إليه و هو بالعراق فعزم عليه و استحثه فى السير، فنفذ خالد لذلك، و طلع عليهم

(۱) لهب: اللهب بالكسر، هو الفرجة بين الجبلين.

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۹۳- ۳۹۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۹۶

ففرح به المسلمون، و طلع باهان على الروم فتيمنوا به، و وافق قدوم أحدهما قدوم الآخر، فولى خالد قتاله، و قاتل الأمراء من بإزائهم، فهزم خالد باهان، و تتابع الروم على الهزيمة، فاقتحموا خندقهم. و قال راجز من المسلمين فى ذلك:

دعوا هرقلا و دعونا الرحمن و الله قد أخزى جنود باهان

بخالد اللج أبى سليمان

و حرد المسلمون و حرد المشركون و هم أربعون و مائتا ألف، منهم ثمانون ألف مقيد، و منهم أربعون ألفا مسلسلون للموت، و أربعون ألفا مربوطون بالعمائم، و ثمانون ألف فارس، و المسلمون سبعة و عشرون ألفا ممن كان مقيما إلى أن قدم عليهم خالد فى تسعة آلاف، فصاروا ستة و ثلاثين ألفا، و كان قتالهم على تساند كل جند و أميره، لا يجمعهم أحد، حتى قدم عليهم خالد بن الوليد من العراق.

و كان عسكر أبى عبيدة باليرموك مجاورا لعسكر عمرو بن العاص، و عسكر شرحبيل ابن حسنة مجاوزا لعسكر يزيد بن أبى سفيان، فكان أبو عبيدة ربما صلى مع عمرو، و شرحبيل مع يزيد، و أما عمرو و يزيد فكانا لا يصليان مع أبى عبيدة و شرحبيل، و قدم خالد بن الوليد و هم على حالهم هذه، فعسكر على حدة، فصلى بأهل العراق.

و وافق خالد بن الوليد المسلمين و هم متضايقون بمدد الروم، و عليهم باهان، و وافق الروم و فيهم نشاط بمددهم، فالتقوا فهزمهم الله حتى ألجأهم و أمدادهم إلى الخندق و الواقوصة أحد حدوده، فلزموا خندقهم عامة شهر، يحضضهم القسيسون و الشمامسة و الرهبان، و ينعون لهم النصرانية، حتى استنصروا، فخرجوا للقتال الذى لم يكن بعده قتال، فلما أحس المسلمون خروجهم، و أرادوا الخروج متساندين، سار فيهم خالد بن الوليد، فحمد الله و أثنى عليه، و قال:

إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغى فيه العجز و لا البغى. أخلصوا جهادكم، و أريدوا بعملكم الله، فإن هذا يوم له ما بعده، و لا تقاتلوا قوما على نظام و تعبئة و أنتم على تساند «۱» و انتشار، فإن ذلك لا يحل و لا ينبغى، و إن من ورائكم لو يعلم علمكم حال بينكم و بين هذا، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون أنه يوافق رأى و إليكم. قالوا:

فما الرأى؟ قال: إن أبا بكر لم يبعثنا إلا و هو يرى أنا سنتياسر، و لو علم بالذى كان و يكون، لقد جمعكم. إن الذى أنتم فيه أشد على المسلمين مما غشيهم، و أنفع للمشركين

(۱) على تساند: أى على رايات شتى متعاونين كأن كل واحد منهم يسند على الآخر و يستعين به.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۹۷

من أمدادهم، و لقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فالله، قد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان، لا ينقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود، و لا يزيده عليه أن دانوا له، و أن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله و لا عند خليفة رسول الله، تهيئوا فإن هؤلاء قوم قد تهيئوا، و هذا يوم له ما بعده، فإن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم، و إن هزمونا لم نفلح بعدها، فهلموا فلنتعاور الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم و الآخر غدا و الآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم، و دعونى إليكم اليوم.

فأمروه، و هم يرون أنها كخرجاتهم، و أن الأمر أطول مما ساروا إليه، فخرجت الروم فى تعبئة لم ير الراءون مثلها قط، و خرج خالد فى تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك، خرج فى نحو ستة و ثلاثين كردوسا، و قال: إن عدوكم قد كثر و طغى و ليس من التعبئة أكثر فى

رأى العين من الكراديس، فجعل القلب كراديس و أقام فيه أبا عبيدة، و جعل الميمنة كراديس، و عليها عمرو بن العاص، و فيها شرحبيل بن حسنة، و جعل الميسرة كراديس و عليها يزيد بن أبى سفيان، و كان خالد على كردوس، و القعقاع بن عمرو و مذعور بن عدى و عياض بن غنم و هاشم بن عتبة و زياد بن حنظلة و عكرمة بن أبى جهل و سهيل بن عمرو و عبد الرحمن بن خالد و هو يومئذ ابن ثمان عشرة سنة، و حبيب ابن مسلمة، و آخرون غيرهم من جلة الصحابة و أشراف الناس و فرسان العرب، كل واحد منهم على كردوس كردوس.

و فى حديث آخر «۱» أنه شهد اليرموك ألف رجل من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيهم نحو من مائة رجل من أهل بدر، و كان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس، فيقول:

الله الله، إنكم ذادة العرب و أنصار الإسلام، و إنهم ذادة الروم و أنصار المشركين، اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك.

و عن عبد الرحمن بن غنم، و كان شهدها، قال: كان أبو سفيان و أشياخ المسلمين محامية لا يجولون و لا يقاتلون، يفىء إليهم الناس، فإذا كانت على الروم قال، و قالوا:

هلك بنو الأصفر، اللهم اجعله وجههم، و إذا كانت على المسلمين قال و قالوا: يا بنى الإخوان، أين أين اللهم اردد لهم الكرة. فإذا كروا قالوا: إيه يا بنى الإخوان، و إذا حملوا قالوا: اللهم أعنهم و انصرهم.

و فى غير حديث عبد الرحمن «۲»: أن رجلا قال يومئذ لخالد: ما أكثر الروم و أقل

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۹۷).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۹۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۹۸

المسلمين فقال خالد: ما أقل الروم و أكثر المسلمين، إنما تكثر الجنود بالنصر، و تقل بالخذلان لا بعدد الرجال، و الله لوددت أن الأشقر برىء من توجيه، و إنهم أضعفوا فى العدد، و كان فرسه قد حفى فى مسيره، و جعل خالد يوم اليرموك على الطلائع قباث بن أشيم، و كان القارئ يومذاك المقداد.

قالوا: و من السنة التى سن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء، و هى سورة الأنفال، و لم يزل الناس بعد على ذلك.

و لما فرغ خالد من تعبئتهم و زحف إليه المشركون، أمر عكرمة و القعقاع و كانا على مجنبتى القلب، فأنشبا القتال، فنشب، و التحم الناس، و تطارد الفرسان، فإنهم لعلى ذلك إذ قدم البريد من المدينة، و هو محمية بن زنيم، فأخذته الخيول و سألوه الخبر، فلم يخبرهم إلا بسلامه، و أخبرهم عن أمداد تأتيهم، و إنما جاء بموت أبى بكر و تأمير أبى عبيدة، فأبلغوا خالدا، فأسر إليه الخبر، و أخبره بما قال للجند، فقال له: أحسنت، فقف، و أخذ الكتاب فجعله فى كنانته، و خاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر أمر الجند، فوقف الرسول مع خالد، و خرج جرجة أحد أمراء الروم يومئذ، حتى إذا كان بين الصفين نادى:

ليخرج إلى خالد، فخرج إليه خالد و أقام أبا عبيدة مكانه، فواقفه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما، و قد أمن أحدهما صاحبه، فقال له جرجة: يا خالد، اصدقنى و لا تكذبنى، فإن الحر لا يكذب، و لا تخادعنى فإن الكريم لا يخادع، بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمته؟ قال: لا، قال: فبم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه صلى اللّه عليه و سلم فدعانا، فنفرنا منه و نأينا عنه جميعا، ثم إن بعضنا صدقه و تابعه و بعضنا باعده و كذبه، فكنت فيمن كذبه و باعده، و قاتله، ثم أخذ الله تعالى بقلوبنا و نواصينا فهدانا به و تابعناه، فقال: أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين، و دعا لى بالنصر، فسميت

سیف الله بذلک، فأنا من أشد الناس علی المشرکین، قال: صدقتنی.

ثم أعاد علیه جرجة: یا خالد، أخبرنی إلام تدعون؟ قال: إلی شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله، و الإقرار بما جاء به من عند الله، قال: فمن لم یجبکم؟ قال:

الجزیة، و نمنعهم قال: فإن لم یعطها؟ قال: نؤذنه بحرب، ثم نقاتله، قال: فما منزلة الذی یدخل فی دینکم و یجیبکم إلی هذا الأمر الیوم؟ قال: منزلتنا واحدة فیما افترض الله علینا شریفنا و وضیعنا، و أولنا و آخرنا، ثم أعاد علیه جرجة: هل لمن دخل فیکم الیوم یا خالد، مثل ما لکم من الأجر و الذخر؟ قال: نعم، و أفضل. قال: و کیف یساویکم و قد

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۹۹

سبقتموه؟ قال: إنا دخلنا فی هذا الأمر و تابعنا نبینا صلی اللّه علیه و سلم و هو حی بین أظهرنا، تأتیه أخبار السماء و یخبرنا بالغیب و یرینا الآیات، و حق لمن رأی ما رأینا و سمع ما سمعنا أن یسلم و یتابع، و إنکم أنتم لم تروا ما رأینا، و لم تسمعوا ما سمعنا من العجائب و الحجج، فمن دخل فی هذا الأمر منکم بحقیقة و نیة کان أفضل منا، قال جرجة: صدقتنی بالله و لم تخادعنی و لم تألنی، قال: بالله لقد صدقتک و ما لی إلیک و لا إلی أحد منکم حاجة، و إن الله لولی ما سألت عنه، قال: صدقتنی، و قلب الترس، و مال مع خالد، و قال: علمنی الإسلام، فمال به خالد إلی فسطاطه، فشن علیه قربة ثم صلی به رکعتین، و حملت الروم مع انقلابه إلی خالد و هم یرون أنها حیلة، فأزالوا المسلمین عن مواقفهم، فرکب خالد و معه جرجة، و الروم خلال المسلمین، فتنادی المسلمون، فثابوا، و تزاحفت الروم إلی مواقفهم فزحف بهم خالد حتی تصافحوا بالسیوف، فضرب فیهم خالد و جرجة من لدن ارتفاع النهار إلی جنوح الشمس للغروب، ثم أصیب جرجة، و لم یصل صلاة یسجد فیها إلا الرکعتین اللتین أسلم علیهما، و صلی مع الناس: الأولی و العصر إیماء، و تضعضع الروم، و نهد خالد بالقلب، حتی کان بین خیلهم و رجلهم، و کان مقاتلهم واسع المطرد، ضیق المهب، فلما وجدت خیلهم مذهبا ذهبت و ترکوا رحلهم فی مصافهم، و خرجت خیلهم تشتد بهم فی الصحراء و أخر الناس الصلاة حتی صلوا بعد الفتح.

و لما رأی المسلمون خیل الروم توجهت للهرب، أفرجوا لها و لم یحرجوها، فذهبت فتفرقت فی البلاد، و أقبل خالد و المسلمون علی الرحل فقضوهم، فکأنما هدم بهم حائط، فاقتحموا فی خندقهم، فاقتحموه علیهم، فعمدوا إلی الواقوصة، فهوی فیها المقترنون و غیرهم، و من صبر من المقترنین هوی به من جشأت نفسه، فهوی الواحد بالعشرة لا یطیقونه، کلما هوی اثنان کان البقیة أضعف، حتی تهافت فی الواقوصة عشرون و مائة ألف: من المقترنین ثمانون ألفا، و من المطلقین أربعون ألفا، سوی من قتل فی المعرکة من الخیل و الرجل، و تجلل القیقار و أشراف من أشراف الروم برانسهم، ثم جلسوا و قالوا: لا نحب أن نری یوم السوء إذ لم نستطع أن نری یوم السرور، و إذ لم نستطع أن نمنع النصرانیة، فأصیبوا فی تزملهم.

و لما دخل خالد الخندق، نزله و أحاطت به خیله، و قاتل الناس حتی أصبحوا، قال بعضهم: و أصبح خالد من تلک اللیلة و هو فی رواق تذارق.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۰۰

و قال عکرمة بن أبی جهل یومئذ «۱»: قاتلت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی کل موطن، و أفر منکم الیوم، ثم نادی: من یبایع علی الموت؟ فبایعه الحارث بن هشام، و ضرار بن الأزور فی أربعمائة من وجوه المسلمین و فرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتی أثبتوا جمیعا جراحا و ماتوا، إلا من برأ، منهم ضرار بن الأزور، و أتی خالد بعد ما أصبحوا بعکرمة جریحا، فوضع رأسه علی فخذه، و بعمرو بن عکرمة، فوضع رأسه علی ساقیه، و جعل یمسح عن وجوههما و یقطر الماء فی حلوقهما، و یقول: کلا زعم ابن حنتمة أنا لا نستشهد.

و أصیبت یومئذ عین أبی سفیان بن حرب، و کان الأشتر قد شهد الیرموک و لم یشهد القادسیة، فخرج یومئذ، رجل من الروم، فقال: من یبارز، فخرج إلیه الأشتر، فاختلفا ضربتین، فقال للرومی: خذها و أنا الغلام النخعی، فقال الرومی: أکثر الله فی قومی مثلک، أما و

الله لو لا أنك من قومى لذدت عن الروم، فأما الآن فلا أعينهم.

و فى حديث عبد الرحمن بن غنم، و ذكر قتال المسلمين تلك الليلة، قال: حتى إذا فتح الله على المسلمين من آخر الليل، و قتلوهم حتى الصباح، أصبحوا فاقتسموا الغنائم، و دفنوا قتلى المسلمين، و بلغوا ثلاثة آلاف، و صلى كل أمير على قتلى أصحابه، و دفع خالد بن الوليد العهد إلى أبى عبيدة بعد ما فرغ من القسم، و دفن الشهداء، و تراجع الطلب، فولى أبو عبيدة، رحمه الله النفل من الأخماس، فنفل و أكثر. و كتب بالفتح.

قالوا «۲»: و كان فى الثلاثة آلاف الذين أصيبوا: عكرمة و ابنه عمرو، و سلمة بن هشام، و عمرو بن سعيد، و أثبت خالد بن سعيد، فلا يدرى أين مات بعد، و قد تقدم ذكر موت خالد فى غير هذه الوقعة، و هذا مما يقع بين الناقلين من الاختلاف الذى تقدم التنبيه عليه، فالله تعالى أعلم.

و عن عمرو بن ميمون و غيره، ذكروا: أن هرقل كان حج بيت المقدس، قال: فبينا هو يقيم به أتاه الخبر بقرب الجنود منه، فجمع الروم و قال: أرى من الرأى أن لا تقاتلوا هؤلاء القوم و أن تصالحوهم، فو الله لئن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام و تأخذوا نصفا و تقر لكم جبال الروم خير لكم من أن يغلبوكم على الشام و يشاركوكم فى جبال الروم، فنخر أخوه و ختنه، و تصدع عنه من كان حوله، فلما رآهم يعصونه و يردون عليه

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۰۱).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۰۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۱

بعث أخاه، و أمر الأمراء، و وجه إلى كل حيز جندا، فلما اجتمع المسلمون أمرهم، يعنى الروم، بمنزل جامع حصين، فنزلوا الواقوصة، و خرج هو فنزل حمص، فلما بلغه أن خالدا قد طلع على سوى و انتسف أهله و أموالهم و عمد إلى بصرى و افتتحها، قال لجلسائه: أ لم أقل لكم لا تقاتلوهم، فإنه لا يقوم لهم أحد، فقالوا: قاتل عن دينك و اقض الذى عليك و لا تجبن الناس، قال: و أى شىء أطلب إلا توقير دينكم.

و لما نزلت جنود المسلمين اليرموك، بعثوا إلى الروم: إنا نريد كلام أميركم و ملاقاته، فدعونا نأته و نكلمه، فأبلغوه، فأذن لهم. فأتاه أبو عبيدة و يزيد بن أبى سفيان كالرسل، و الحارث بن هشام، و ضرار بن الأزور، و أبو جندل بن سهيل، و مع أخى هرقل يومئذ ثلاثون سرادقا كلها من ديباج، فلما انتهوا إليها أبوا أن يدخلوا عليه فيها، و قالوا: لا نستحل الحرير، فابرز لنا، فبرز إلى فرش ممهدة، و بلغ ذلك هرقل، فقال: أ لم أقل لكم، هذا أول الذل، أما الشام فلا شام، ويل للروم من الولد المشئوم، و لم يتأت بينهم و بين المسلمين صلح، فرجع أبو عبيدة و أصحابه، و اتعدوا، فكان القتال حتى جاء الفتح «۱».

قصة صلح إيلياء و قدوم عمر رضى الله عنه الشام

و كان أبو عبيدة رحمه الله، بعد انقضاء اليرموك، على ما وقع فى كتب فتوح الشام من ذلك «۲»، قد بعث الرسل إلى أهل إيلياء يطلبهم بالخروج إليه ليكتب لهم أمانا على أنفسهم و أموالهم، فتثاقلوا عليه، فكتب إليهم يعرض عليهم الإسلام أو الجزية، أو ينزل بهم حتى يحكم الله له عليهم، و قد أوردنا هذا الكتاب بنصه قبل، فلما أبوا أن يأتوه و أن يصالحوه، أقبل إليهم حتى نزل بهم، فحاصرهم حصارا شديدا، و ضيق عليهم من كل جانب، فخرجوا إليه ذات يوم، فقاتلوهم ساعة، ثم شد عليهم المسلمون فانهزموا و دخلوا حصنهم، و كان الذى ولى قتالهم خالد بن الوليد و يزيد بن أبى سفيان، كل واحد منهما فى جانب فبلغ ذلك سعيد بن زيد و هو على دمشق، فكتب إلى أبى عبيدة:

أما بعد، فإنى لعمرى ما كنت لأوثرك و أصحابك بالجهاد فى سبيل الله على نفسى، و على ما يقربنى من مرضاة ربى، فإذا أتاك كتابى هذا فابعث إلى عملك من هو أرغب فيه منى، فليعمل لك عليه ما بدا لك، فإنى قادم عليك وشيكا إن شاء الله، و السلام عليك.

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۰۳).

(۲) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۴۲- ۲۵۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۲

فلما وصل كتابه إلى أبى عبيدة، قال: أشهد ليفعلنها، فقال ليزيد بن أبى سفيان:

اكفنى دمشق، فسار إليها يزيد فوليها.

و كان فى المسلمين رجل من بنى نمير يقال له مخيمس بن حابس بن معاوية، و كان شجاعا، و كان الناس يذكرون منه صلاحا، ففقده أصحابه أياما، فكانوا يطلبونه و يسألون عنه فلا يخبرون عنه بشىء، فلما يئسوا منه ظنوا أن قد هلك، و أنه اغتيل، فبينا هم جلوس ذات يوم إذ طلع عليهم مقبلا فى يده ورقتان لم ينظر الناس إلى مثلهما قط أنضر، و لا أعرض عرضا، و لا أطول طولا، و لا أحسن منظرا، و لا أطيب رائحة، ففرح به أصحابه فرحا شديدا، و قالوا له: أين كنت؟ قال: وقعت فى جب فمضيت فيه حتى انتهيت إلى جنة معروشة، فيها من كل شىء، و لم تر عينى مثل ما فيها قط فى مكان، و لم أظن أن الله خلق مثلها، فلبثت فيها هذه الأيام التى فقدتمونى، فى نعيم ليس مثله نعيم، و فى منظر ليس مثله منظر، و فى رائحة لم يجد أحد من الناس قط، أطيب منها، فبينا أنا كذلك، أتانى آت فأخذ بيدى فأخرجنى منها إليكم، و قد كنت أخذت هاتين الورقتين من شجرة كنت تحتها جالسا، فبقيتا فى يدى، فأخذ الناس يشمونهما فيجدون لهما ريحا لم يجدوا لشىء قط أطيب منها، فأهل الشام يزعمون أنه أدخل الجنة و أن تينك الورقتين من ورقها، و يقولون: إن الخلفاء رفعتهما فى الخزانة.

و لما رأى أهل إيلياء أن أبا عبيدة غير مقلع عنهم، و ظنوا أن لا طاقة لهم بحربه، قالوا:

نحن نصالحك، قال: فإنى أقبل منكم الصلح، قالوا: فأرسل إلى خليفتكم عمر، فيكون هو الذى يعطينا العهد، و يكتب لنا الأمان، فقبل ذلك أبو عبيدة، و هم بالكتاب، و كان لا يقطع أمرا دون رأى معاذ، و كان معاذ لا يكاد يفارقه، لرغبته فى الجهاد، فأرسل إليه أبو عبيدة، و كان بعثه إلى الأردن، فلما قدم عليه أخبره، فقال له معاذ: تكتب إلى أمير المؤمنين فتسأله القدوم عليك، فلعله أن يستقدم، ثم يأبى هؤلاء الصلح فيكون سيره عناء و فضلا، فلا تكتب إليه حتى تستحلفهم بأيمانهم المغلظة: لئن: أنت سألته القدوم فقدم عليهم فأعطاهم الأمان و كتب لهم الصلح ليقبلن ذلك و ليصالحن عليه، فأخذ عليهم أبو عبيدة الأيمان المغلظة لئن عمر قدم فأعطاهم الأمان على أنفسهم و أموالهم و كتب لهم على ذلك كتابا ليقبلن و ليؤدن الجزية و ليدخلن فيما دخل فيه أهل الشام، فلما فعلوا ذلك كتب إليه أبو عبيدة:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد: فإنا أقمنا على إيلياء، و ظنوا أن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۳

لهم فى المطاولة فرجا و رجاء، فلم يزدهم الله بها إلا ضيقا و نقصا و هزلا و أزلا، فلما رأوا ذلك سألونا أن نعطيهم ما كانوا قبل منه ممتنعين، و له كارهين، و سألونا الصلح على أن يقدم عليهم أمير المؤمنين، فيكون هو المؤمن لهم و الكاتب لهم كتابا، و إنا خشينا أن يقدم أمير المؤمنين ثم يغدر القوم و يرجعوا، فيكون مسيرك، أصلحك الله، عناء و فضلا، فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيمانهم، لئن أنت قدمت عليهم فامنتهم على أنفسهم و أموالهم ليقبلن ذلك و ليؤدن الجزية، و ليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة، ففعلوا، فإن

رأيت يا أمير المؤمنين أن تقدم علينا فافعل، فإن فى مسيرك أجرا و صلاحا و عافية للمسلمين، آتاك الله رشدك، و يسر أمرك، و السلام عليك.

فلما أتى عمر رحمه الله، كتاب أبى عبيدة، جمع رءوس المسلمين، فقرأه عليهم و استشارهم فقال له عثمان: إن الله قد أذلهم و حصرهم و ضيق عليهم، و أراهم ما صنع بجموعهم و ملوكهم، و ما قتل من صناديدهم، و فتح على المسلمين من بلادهم، فهم فى كل يوم يزدادون هزلا و أزلا و ذلا و نقصا و ضيقا و رغما، فإن أنت أقمت و لم تسر إليهم علموا أنك بأمرهم مستخف، و لشأنهم محتقر، فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى ينزلوا على الحكم، و يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون، و إلا حاصرهم المسلمون و ضيقوا عليهم حتى يعطوا بأيديهم. فقال عمر: ما ذا ترون؟ هل عند أحد منكم غير هذا الرأى؟. فقال على بن أبى طالب: نعم، يا أمير المؤمنين، عندى غير هذا. فقال: ما هو؟.

قال: إنهم يا أمير المؤمنين قد سألوك المنزلة التى لهم فيها الذل و الصغار، و هى على المسلمين فتح و لهم عز، و هم يعطونكها الآن عاجلا فى عافية، ليس بينك و بين ذلك إلا أن تقدم عليهم، و لك يا أمير المؤمنين فى القدوم عليهم الأجر فى كل ظمأ و كل مخمصة و فى قطع كل واد و فى كل فج و شعب و فى كل نفقة تنفقها حتى تقدم عليهم، فإن قدمت عليهم كان فى قدومك عليهم الأمن و العافية و الصلح، و الفتح، و لست آمن لو أنهم يئسوا من قبولك الصلح و من قدومك عليهم أن يتمسكوا بحصنهم، و لعلهم أن يأتيهم من عدونا مدد لهم فيدخلوا معهم فى حصنهم، فيدخل على المسلمين من حربهم و جهادهم بلاء و مشقة، و يطول بهم الحصار، و يقيم المسلمون عليهم، فيصيب المسلمين من الجهد و الجوع نحو ما يصيبهم، و لعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرمونهم بالنشاب و يقذفونهم بالحجارة، فإن قتل رجل من المسلمين تمنيتم أنكم فديتموه بمسيركم إلى منقطع الترب، و لكان المسلم بذلك من إخوانه أهلا.

فقال عمر: قد أحسن عثمان فى مكيدة العدو، و قد أحسن على النظر لأهل الإسلام.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۴

ثم قال: سيروا على اسم الله، فإنى معسكر و سائر. ثم خرج و معه أشراف الناس و بيوتات العرب و المهاجرون و الأنصار، و أخرج معه العباس بن عبد المطلب.

و عن أبى سعيد المقبرى «۱» أن عمر رحمه الله، كان فى مسيره ذلك يجلس لأصحابه إذا صلى الغداة، فيقبل عليهم بوجهه، ثم يقول: الحمد لله الذى أعزنا بالإسلام و الإيمان، و أكرمنا بمحمد صلى اللّه عليه و سلم فهدانا به من الضلالة، و جمعنا من الفرقة، و ألف بين قلوبنا، و نصرنا به على الأعداء، و مكن لنا فى البلاد، و جعلنا به إخوانا متحابين، فاحمدوا الله على هذه النعم و سلوه المزيد فيها، و الشكر عليها، و تمام ما أصبحتم تتقلبون فيه منها، فإن الله عز و جل، يريد الرغبة إليه، و يتم نعمته على الشاكرين.

قال: فكان عمر رضى الله عنه، لا يدع هذا القول كل غداة، فى مبتدئه و مرجعه.

و عن أبى سعيد الخدرى أن عمر رحمه الله، مضى فى وجهه ذلك حتى انتهى إلى الجابية، فقام فى الناس فقال:

الحمد لله الحميد، المستحمد الدفاع المجيد، الغفور الودود، الذى من أراد أن يهديه من عباده اهتدى، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً [الكهف: ۱۷].

قال: و إذا رجل من القسيسين من النصارى عندهم، و عليه جبة صوف، فلما قال عمر رضى الله عنه: مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ قال النصرانى: و أنا أشهد، فقال عمر:

وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً، فنفض النصرانى جبته عن صدره، ثم قال:

معاذ الله، لا يضل الله أحدا يريد الهدى، فقال عمر: ما ذا يقول عدوه الله، هذا النصرانى؟ فأخبروه، فرفع عمر صوته، و عاد فى خطبته بمثل مقالته الأولى، ففعل النصرانى كفعله الأول، فغضب عمر رضى الله عنه، و قال: و الله لئن أعادها لأضربن عنقه، ففهمها العلج

فسکت، إذ عاد عمر فی خطبته و قال: من یهده الله فلا مضل له، و من یضلل فلا هادی له، ثم قال: أما بعد، فإنی سمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول: إن خیار أمتی الذین یلونکم، ثم الذین تلونهم، ثم یفشو الکذب حتی یشهد الرجل علی الشهادهٔ و لم یستشهد علیها، و حتی یحلف علی الیمین و لم یسألها، فمن أراد بحبوحهٔ الجنهٔ فلیلزم الجماعهٔ، و لا یبالی بشذوذ من شذ، و ذکر بقیهٔ الحدیث «۲».

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۲۵۰- ۲۵۱).

(۲) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۵۱) و ما بعدها.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۰۵

قال: ثم خرج عمر رحمه الله، من الجابیهٔ إلی إیلیاء، فخرج إلیه المسلمون یستقبلونه، و خرج أبو عبیدهٔ بالناس أجمعین، و أقبل هو علی جمل له، و علیه رحله، و علیه صفهٔ من جلد کبش حولی، فانتهی إلی مخاضهٔ، فأقبلوا یبتدرونه، فقال للمسلمین: مکانکم، ثم نزل عن بعیره، فأخذ بزمانه و هو من لیف، ثم دخل الماء بین یدی جمله، حتی جاز الماء إلی أصحاب أبی عبیدهٔ، فإذا معهم برذون یجنبونه، فقال له: یا أمیر المؤمنین، ارکب هذا البرذون، فإنه أجمل بک و أهون علیک فی رکوبک، و لا نحب أن یراک أهل الذمهٔ فی مثل هذه الهیئهٔ التی نراک فیها، و استقبلوه بثیاب بیض، فنزل عمر عن جمله و رکب البرذون، و ترک الثیاب، فلما هملج به البرذون، نزل عنه، و قال: خذوا هذا عنی، فإنه شیطان، و أخاف أن یغیر علی قلبی، فقالوا: یا أمیر المؤمنین، لو لبست هذه الثیاب البیض، و رکبت هذا البرذون لکان أجمل فی المروءهٔ و أحسن فی الذکر و خیرا فی الجهاد. فقال عمر رضی الله عنه: ویحکم، لا تعتزوا بغیر ما أعزکم الله به فتذلوا، ثم مضی و مضی المسلمون معه حتی أتی إیلیاء، فنزل بها، فأتاه رجال من المسلمین فیهم أبو الأعور السلمی، و قد لبسوا لباس الروم، و تشبهوا بهم فی هیئتهم، فقال عمر: احثوا فی وجوههم التراب، حتی یرجعوا إلی هیئتنا و سنتنا و لباسنا، و کانوا قد أظهروا شیئا من الدیباج، فأمر بهم فحرق علیهم.

و فی غیر هذا الحدیث مما ذکره سیف «۱»: أن خالد بن الولید لقی عمر عند مقدمهٔ الجابیهٔ فی الخیل، علیهم الدیباج و الحریر، فنزل، و أخذ الحجارهٔ فرماهم بها، و قال:

سرعان ما لفتم عن رأیکم، إیای تستقبلون فی هذا الزی، و إنما شبعتم منذ سنتین، سرعان ما نزت بکم البطنهٔ، و تالله لو فعلتموها علی رأس المائتین لاستبدلت بکم غیرکم، فقالوا: یا أمیر المؤمنین، إنها یلامقهٔ، و إن علینا السلاح، قال: فنعم إذا.

و فی حدیث أبی سعید الخدری «۲»، فقال یزید بن أبی سفیان: یا أمیر المؤمنین، إن الثیاب و الدواب عندنا کثیرهٔ، و العیش عندنا رفیع، و السعر رخیص، و حال المسلمین کما تحب، فلو أنک لبست من هذه الثیاب البیض و رکبت من هذه الدواب الفرهٔ، و أطعمت المسلمین من هذا الطعام الکثیر، کان أبعد الصوت، و أزین لک فی هذا الأمر، و أعظم لک فی الأعاجم. فقال له: یا یزید لا و الله لا أدع الهیئهٔ التی فارقت علیها صاحبی، و لا أتزین للناس بما أخاف أن یشیننی عند ربی، و لا أرید أن یعظم أمری عند الناس و یصغر عند الله.

---

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۶۰۷).

(۲) انظر: تاریخ فتوح الشام (۲۵۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۰۶

فلم یزل عمر رحمه الله، علی الأمر الأول الذی کان علیه فی حیاهٔ رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و حیاهٔ أبی بکر، رضی الله عنه، حتی خرج من الدنیا.

قال: فلما نزل عمر بإيلياء و اطمأن الناس، بعث أبو عبيدة إلى أهل إيلياء، أن انزلوا إلى أمير المؤمنين، و استوثقوا لأنفسكم، فنزل إليه ابن الجعيد فى ناس من عظمائهم، فكتب لهم عمر كتاب الأمان و الصلح، فلما قبضوا كتابهم و أمنوا، دخل الناس بعضهم فى بعض، و لم يبق أمير من أمراء الأجناد إلا استزار عمر، فيصنع له و يسأله أن يزوره فى رحله، فيفعل ذلك عمر، إكراما لهم، غير أبى عبيدة، فإنه لم يستزره، فقال له عمر: إنه لم يبق أمير من أمراء الأجناد إلا استزارنى غيرك، فقال: أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، إنى أخاف إن استزرتك أن تعصر عينيك، فأتاه عمر فى بيته، فإذا ليس فى بيته إلا لبد فرسه، و إذا هو فراشه و سرجه و إذا هو وسادته، و إذا كسر يابسة فى كوة بيته، فجاء بها، فوضعها على الأرض بين يديه، و أتى بملح جريش، و كوز خزف فيه ماء.

فلما نظر عمر إلى ذلك بكى، ثم التزمه و قال: أنت أخى، و ما من أحد من أصحابى إلا و قد نال من الدنيا و نالت منه، غيرك؟ فقال له أبو عبيدة: أ لم أخبرك أنك ستعصر فى بيتى عينيك.

قال: ثم إن عمر قام فى الناس، فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله، و صلى على النبيّ صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: يا أهل الإسلام، إن الله قد صدقكم الوعد، و نصركم على الأعداء، و أورثكم البلاد، و مكن لكم فى الأرض، فلا يكن جزاء ربكم إلا الشكر، و إياكم و العمل بالمعاصى، فإن العمل بالمعاصى كفر للنعم، و قل ما كفر قوم بما أنعم الله عليهم، ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم و سلط عليهم عدوهم.

ثم نزل، و حضرت الصلاة، فقال عمر رضى الله عنه: يا بلال، أ لا تؤذن لنا رحمك الله، فقال بلال: يا أمير المؤمنين، أما و الله ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لكن سأطيعك اليوم إذ أمرتنى فى هذه الصلاة وحدها. فلما أذن بلال و سمعت الصحابة صوته، ذكروا نبيهم صلى اللّه عليه و سلم فبكوا بكاء شديدا، و لم يكن يومئذ أحد أطول بكاء من أبى عبيدة و معاذ بن جبل، حتى قال لهما عمر: حسبكما رحمكما الله، فلما قضى عمر صلاته، قام إليه بلال فقال: يا أمير المؤمنين، إن أمراء أجنادك بالشام و الله ما يأكلون إلا لحوم الطير، و الخبز النقى، و ما يجد ذلك عامة المسلمين.

فقال لهم عمر: ما يقول بلال؟ فقال يزيد بن أبى سفيان: يا أمير المؤمنين، إن سعر

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۷

بلادنا رخيص، و إنا نصيب هذا الذى ذكر بلال هاهنا بمثل ما كنا نقوت به عيالنا بالحجاز، فقال عمر: و الله لا أبرح العرصة أبدا حتى تضمنوا لى أرزاق المسلمين فى كل شهر، ثم قال: انظروا، كم يكفى الرجل و يسعه فى كل يوم، فقالوا: كذا و كذا، فقال: كم يكون ذلك فى الشهر، قالوا: جريبين من قمح مع ما يصلحه من الزيت و الخل عند رأس كل هلال، فضمنوا له ذلك، ثم قال: يا معشر المسلمين، هذا لكم سوى أعطياتكم، فإن وفا لكم أمراؤكم بهذا الذى فرضته لكم و أعطوكموه فى كل شهر، فذلك ما أحب، و إن هم لم يفعلوا، فأعلمونى حتى أعزلهم عنكم، و أولى أمركم غيرهم، فلم يزل ذلك جاريا دهرا حتى قطع بعد ذلك.

و عن شهر بن حوشب «۱»: أن إسلام كعب الحبر و هو من اليمن من حمير، كان فى قدوم عمر الشام، و أن كعبا أخبره بأمره، و كيف كان ذلك.

قال: و كان أبوه من مؤمنى أهل التوراة برسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كان من عظمائهم و خيارهم.

قال كعب: و كان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى من التوراة، و بكتب الأنبياء، و لم يكن يدخر عنى شيئا مما كان يعلم، فلما حضرته الوفاة دعانى فقال: يا بنى قد علمت أنى لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم، إلا أنى حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبى يبعث، و قد أظل زمانه، فكرهت أن أخبرك بذلك، فلا آمن عليك بعد وفاتى أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه، و قد قطعتهما من كتابك و جعلتهما فى هذه الكوة التى ترى، و طينت عليهما، فلا تعرضن لهما و لا تنظر فيهما زمانك هذا، و أقرهما فى موضعهما حتى يخرج ذلك النبيّ، فإذا خرج فاتبعه، و انظر فيهما، فإن الله يزيدك بذلك خيرا.

فلما مات والدى لم يكن شيء أحب إلىّ من أن ينقضى المأتم حتى أنظر فى الورقتين، فلما انقضى المأتم فتحت الكوة، ثم استخرجت

الورقتين، فإذا فيهما: محمد رسول الله، خاتم النبيين، لا نبى بعده، مولده بمكة، و مهاجره بطيبة، ليس بفظ و لا غليظ و لا صخاب فى الأسواق، و لا يجزى بالسيئة السيئة، و لكن يجزى بالسيئة الحسنة، و يعفو و يغفر و يصفح، أمته الحمادون، الذين يحمدون الله على كل شرف و على كل حال، و تذلل ألسنتهم بالتكبير، و ينصر الله نبيهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجهم بالماء،

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۵۹- ۲۶۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۸

و يأتزرون على أوساطهم، و أناجيلهم فى صدورهم، و يأكلون قربانهم فى بطونهم، و يؤخرون عليها، و تراحمهم بينهم تراحم بنى الأم و الأب، و هم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم، و هم السابقون المقربون المشفعون المشفع لهم، فلما قرأت هذا قلت فى نفسى: و الله ما علمنى أبى شيئا هو خير لى من هذا، فمكثت بذلك ما شاء الله، حتى بعث النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و بينى و بينه بلاد بعيدة، منقطعة، لا أقدر على إتيانه، و بلغنى أنه خرج فى مكة، و هو يظهر مرة و يستخفى مرة، فقلت: هو هذا، و تخوفت ما كان والدى حذرنى و خوفنى من الكذابين، و جعلت أحب أتبين و أ تثبت، فلم أزل بذلك حتى بلغنى أنه قد أتى المدينة، فقلت فى نفسى: إنى لأرجو أن يكون إياه، و جعلت ألتمس السبيل إليه، فلم يقدر لى حتى بلغنى أنه قد توفى صلوات الله عليه و سلامه.

فقلت فى نفسى: لعله لم يكن الذى كنت أظن، ثم بلغنى أن خليفته قام مقامه، ثم لم ألبث إلا ـ قليلا ـ حتى جاءتنا جنوده، فقلت فى نفسى: لا أدخل فى هذا الدين حتى أعلم أ هم الذين كنت أرجو و أنتظر و أنظر كيف سيرتهم و أعمالهم و إلى ما تكون عاقبتهم، فلم أزل أدفع ذلك و أؤخر لأـتبين و أ تثبت حتى قدم علينا عمر بن الخطاب، فلما رأيت صلاة المسلمين و صيامهم و برهم و وفاءهم بالعهد، و ما صنع الله لهم على الأعداء، علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر، فحدثت نفسى بالدخول فى الإسلام، فو الله إنى ذات ليلة فوق سطح لى، إذا رجل من المسلمين يتلو كتاب الله تعالى، حتى أتى على هذه الآية: يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا [النساء: ۴۷].

قال: فلما سمعت هذه الآية خشيت و الله ألا أصبح حتى يحول وجهى فى قفاى، فما كان شىء أحب إلىّ من الصباح، فغدوت على عمر، فأسلمت حين أصبحت.

و قال كعب لعمر عند انصرافه عن الشام: يا أمير المؤمنين، إنه مكتوب فى كتاب الله: إن هذه البلاد التى كان فيها بنو إسرائيل، و كانوا أهلها، مفتوحة على رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، سره مثل علانيته، و علانيته مثل سره، و قوله لا يخالف فعله، و القريب و البعيد عنده فى الحق سواء، و أتباعه رهبان بالليل و أسد بالنهار، متراحمون متواصلون متباذلون.

فقال له عمر: ثكلتك أمك، أحق ما تقول؟ قال: أى و الذى أنزل التوراة على موسى، و الذى يسمع ما نقول، إنه لحق.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۹

فقال عمر رضى الله عنه: فالحمد لله الذى أعزنا و شرفنا و أكرمنا فرحمنا بمحمد صلى اللّه عليه و سلم، و برحمته التى وسعت كل شىء.

و من حديث زيد بن أسلم عن أبيه، و هو عندنا بالإسناد: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، خرج زمان الجاهلية مع أناس من قريش فى تجارة إلى الشام، قال: فإنى لفى سوق من أسواقها، إذا ببطريق قد قبض على عنقى، فذهبت أنازعه، فقيل لى: لا تفعل، فإنه لا نصف لك منه، فأدخلنى كنيسة، فإذا تراب عظيم ملقى، فجاءنى بزنبيل و مجرفة، فقال: انقل ما هاهنا، فجعلت أنظر كيف أصنع، فلما كان فى الهاجرة وافانى و عليه ثوب أرى سائر جسده منه، فقال: أ إنك على ما أرى ما نقلت شيئا، ثم جمع يديه فضرب بهما دماغى، فقلت: وا ثكل أمك يا عمر، أبلغت ما أرى، ثم و ثبت إلى المجرفة، فضربت بها هامته، فنثرت دماغه، ثم واريته فى التراب، و خرجت على وجهى، لا أدرى أين أسير، فسرت بقية يومى و ليلتى و من الغد إلى الهاجرة، فانتهيت إلى دير، فاستظللت بفنائه، فخرج إلىّ منه

رجل، فقال لى: يا عبد الله، ما يقعدك هنا؟ فقلت:

أضللت أصحابى، فقال لى: ما أنت على طريق، و إنك لتنظر بعينى خائف، فادخل و أصب من الطعام، و استرح، فدخلت فأتانى بطعام و شراب، و ألطفنى، ثم صعد فى النظر و صوبه، فقال: قد علم أهل الكتاب أو الكتب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب أو الكتب منى، و إنى لأرى صفتك، الصفة التى تخرجنا من هذا الدير، و تغلبنا عليه، فقلت له: يا هذا، لقد ذهبت فى غير مذهب. فقال لى: ما اسمك؟ فقلت: عمر بن الخطاب، قال: أنت و الله صاحبنا، فاكتب لى على ديرى هذا و ما فيه، فقلت: يا هذا، إنك قد صنعت إلىّ صنيعة فلا تكدرها، فقال: إنما هو كتاب فى رق، فإن كنت صاحبنا فذاك، و إلا لم يضرك شيء، فكتبت له على ديره و ما فيه، فأتانى بثياب و دراهم، فدفعها إلىّ، ثم أوكف أتانا، فقال: أ تراها؟ قلت: نعم، قال: سر عليها، فإنك لا تمر بقوم إلا سقوها و علفوها و أضافوك، فإذا بلغت مأمنك فاضرب وجهها مدبرة، فإنهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إلىّ، قال: فركبتها، فكان كما قال، حتى لحقت أصحابى و هم متوجهون إلى الحجاز، فضربتها مدبرة و انطلقت معهم، فلما وافى عمر الشام فى خلافته، جاءه ذلك الراهب بالكتاب، و هو صاحب دير العدس، فلما رآه عرفه، ثم قال: قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه، ثم أقبل على أصحابه فحدثهم بحديثه، فلما فرغ منه، أقبل على الراهب، فقال: هل عندكم من نفع للمسلمين؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فوفى له عمر رضى الله عنه.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۱۰

و عن سيف يرفعه إلى سالم بن عبد الله «۱»، قال: لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق، فقال: السلام عليك يا فاروق، أنت صاحب إيلياء، و الله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء.

و عند سيف فى أمر إيلياء أحاديث ربما خالفت بعض ما تقدم، و نحن نورد منها ما يطيل الإمتاع مضموما إلى ذلك ما ذكره من أمر قيسارية و غيره.

فمن ذلك «۲»: أن عمر رحمه الله، كتب إلى يزيد بن أبى سفيان بعد مصالحة أهل الأردن، و اجتماع عسكر الروم بأجنادين و بيسان و غزة: أن يسرح معاوية إلى قيسارية.

و كتب عمر إلى معاوية: أما بعد، فإنى قد وليتك قيسارية، فسر إليها و استنصر الله عليهم، و أكثر من قول: لا حول و لا قوة إلا بالله، الله ربنا و ثقتنا و رجاؤنا و مولانا، نعم المولى و نعم النصير.

فسار معاوية فى جنده حتى نزل على أهل قيسارية، فهزمهم و حصرهم، ثم إنهم جعلوا يزاحفونه فلا يزاحفونه فى مرة إلا هزمهم و ردهم إلى حصنهم، ثم زاحفوه آخر ذلك و خرجوا من صياصيهم، فاقتتلوا فى حفيظة و استماتة، فبلغ قتلاهم فى المعركة ثمانين ألفا، و كملها فى هزيمتهم مائة ألف، و بعث بالفتح مع رجلين من بنى الضبيب، ثم خاف منهما الضعف، فبعث آخرين بعدهما، فلحقاهما، فطوياهما و هما نائمان، و انتهى بريد معاوية إلى عمر بالخبر ليلا، فجمع الناس و أباتهم على الفرح، و جعل معاوية قبل الفتح و بعده يجلس الأسرى عنده و يقول: ما صنعوا بأسرانا صنعنا بأسراهم مثله، فمنع بذلك من العبث بأسرى المسلمين، حتى افتتح قيسارية.

و كان عمر لما أمر معاوية بالتوجه إلى قيسارية، أمر عمرو بن العاص بصدم الأرطبون و كان على جمع الروم بأجنادين، و أمر علقمة بن مجزز بصدم القيقار، و كان على الروم بغزة، فلما توجه معاوية إلى قيسارية صدم عمرو بن العاص، إلى الأرطبون و من بإزائه، و خرج معه شرحبيل بن حسنة على مقدمته، و ولى مجنبتيه ابنه عبد الله بن عمرو و جنادة ابن تميم من بنى مالك بن كنانة، و استخلف أبا الأعور على الأردن، و خرج حتى نزل على الروم بأجنادين، و هم فى حصونهم و خنادقهم، و عليهم الأرطبون، و كان أدهى الروم، و أبعدها غورا و أنكاها فعلا، و كان وضع بالرملة جندا عظيما، و بإيلياء جندا

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۰۸).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۰۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۱۱

عظيما، و كتب عمرو بالخبر إلى عمر، فلما جاءه كتابه قال: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عم تنفرج.

و أقام عمرو على أجنادين، لا يقدر من الأرطبون على سقطة و لا تشفيه الرسل، فولى ذلك بنفسه، و توجه فدخل عليه، كأنه رسول، فأبلغه ما يريد، و سمع كلامه حتى عرف ما أراد، و تأمل حصونه، فقال أرطبون فى نفسه: و الله إن هذا لعمرو، أو إنه للذى يأخذ عمرو برأيه، و ما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله، ثم دعا حرسيا فساره، فقال: اخرج فقم بمكان كذا فإذا مر بك فاقتله، و فطن له عمرو، فقال له: قد سمعت منى و سمعت منك، و قد وقع ما قلت منى موقعا، و أنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالى لنكانفه و يشهدنا أموره، فأرجع فآتيك بهم الآن، فإن رأوا مثل الذى أرى فقد رآه أهل العسكر و رآه الأمير، و إن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم، و كنت على رأس أمرك. قال: نعم، و دعا فلانا فساره، و قال: اذهب إلى فلان، يعنى ذلك الحرسى، فرده إلىّ، فرجع إليه الرجل، و قال لعمرو: انطلق فجئ بأصحابك، فخرج عمرو و رأى أن لا ـ يعود لمثلها، و علم الرومى أنه خدعه فقال: هذا أدهى الخلق، و بلغت عمر فقال: غلبه عمرو «۱».

ثم ناهده عمرو و قد عرف مأخذه، فالتقوا بأجنادين، فاقتتلوا قتالا شديدا كقتال اليرموك، حتى كثرت القتلى بينهم، ثم انهزم أرطبون فى الناس، فأوى إلى إيلياء، و نزل عمرو أجنادين و انطلق علقمة بن مجزز فحصر القيقار بغزة، و جعل يراسله فلم يشفه أحد مما يريد، فأتاه كأنه رسول علقمة، فأمر القيقار رجلاـ أن يقعد له بالطريق، فإذا مر قتله، ففطن علقمة، فقال: إن معى نفرا شركائى فى الرأى، فأنطلق فآتيك بهم، فبعث إلى ذلك الرجل أن لا يعرض لعلقمة، فخرج من عنده و لم يعد، كما فعل عمرو بالأرطبون.

و لما أتى أرطبون إيلياء، أفرج له المسلمون حتى دخلها، ثم أزالهم إلى أجنادين، و كتب إلى عمرو: بأنك صديقى و نظيرى، أنت فى قومك مثلى فى قومى، و الله لا تفتتح من فلسطين شيئا بعد أجنادين، فارجع فلا تغر فتلقى ما لقى الذين قبلك من الهزيمة، فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية، فأرسله إلى أرطبون، و أمره أن يتنكر و يقرب و يستمع ما يقول، حتى يخبره به إذا رجع، و كتب إلى أرطبون: جاءنى كتابك، و أنت نظيرى، و مثلى فى قومك، لو أخطأتك خصلة تجاهلت

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۰۴- ۶۰۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۱۲

فضيلتى، و قد علمت أنى صاحب فتح هذه البلاد، و أستعدى عليك فلانا و فلانا و فلانا لوزرائه، فأقرئهم كتابى، و لينظروا فيما بينى و بينك.

فخرج الرسول على ما أمره به حتى أتى أرطبون، فدفع إليه الكتاب، بمشهد من أولئك النفر، فاقترأه، فضحكوا و تعجبوا، و أقبلوا على أرطبون، فقالوا: من أين علمت أنه ليس بصاحبها؟ قال: صاحبها رجل اسمه عمر، ثلاثة أحرف، فرجع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر. و كتب إلى عمر يستمده، و يقول: إنى أعالج حربا كئودا، و بلادا ادخرت لك، فرأيك. فلما جاء عمر الكتاب، علم أن عمرا لم يقل إلا بعلم، فنادى فى الناس، ثم خرج بهم حتى نزل الجابية.

و عن عدى بن سهل قال «۱»: لما استمد أهل الشام عمر على أهل فلسطين، استخلف عليا، و خرج ممدا لهم، فقال على: أين تخرج بنفسك؟ إنك تريد عدوا كلبا، فقال: إنى أبادر بجهاد العدو موت العباس، إنكم لو فقدتم العباس لانتقض لكم الشر انتقاض الجبل.

قالوا: و جميع ما خرج عمر إلى الشام أربع مرات، أما الأولى فعلى فرس، و أما الثانية فعلى بعير، و أما الثالثة فقصر به عنها استعار الطاعون، و أما الرابعة فدخلها على حمار، فاستخلف عليها و خرج، و فتحت إيلياء و أرضها كلها فى ربيع الآخر سنة ست عشرة على يدى عمر بن الخطاب ما خلا أجنادين، على يدى عمرو، و قيسارية على يدى معاوية.

و عن سالم بن عبد الله: أن أهل إيلياء أشجوا عمر و أشجاهم، و لم يقدر عليها و لا على الرملة، قال: فبينا عمر معسكرا بالجابية، فزع

الناس إلى السلاح، فقال: ما شأنكم؟

فقالوا: أ لا ترى الخيل و السيوف؟ فنظر، فإذا كردوس يلمعون بالسيوف، فقال عمر:

مستأمنة فلا تراعوا و أمنوهم، و إذا هم أهل إيلياء، فصالحوه على الجزية، و فتحوا له إيلياء، و اكتتبوا منه عليها، و على حيزها، و الرملة و حيزها فصارت فلسطين نصفين، نصفا مع أهل إيلياء و نصفا مع أهل الرملة، و فلسطين تعدل الشام كله، و هى عشر كور من غير هذا الحديث المتقدم.

و هو مما ذكره سيف أيضا «۲» أن عمر رضى الله عنه، فرق فلسطين على رجلين فجعل علقمة بن حكيم على نصفها و أنزله الرملة، و علقمة بن مجزز على نصفها و أنزله إيلياء،

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۰۸).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۱۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۱۳

و نزل كل واحد منهما فى عمله فى الجنود التى كانت معه، و كان سالم بن عبد الله فى الجنود التى كانت مع عمرو، و ضم عمرا و شرحبيل إليه بالجابية، فلما انتهيا إليها وافقا عمر رضى الله عنه، راكبا، فقبلا ركبته، و ضم عمر كل واحد منهما و احتضنه.

و عن غير سالم «۱»: أن عمر رضى الله عنه، لما بعث بأمان أهل إيلياء، و أسكنها الجند شخص إلى بيت المقدس من الجابية فرأى فرسه يتوجى فنزل عنه و أتى ببرذون فركبه فهزه، فنزل فضرب وجهه بردائه، ثم قال: قبح الله من علمك هذا، ثم دعا بفرسه بعد ما أجمه أياما يوقحه، فركب، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس، و فى رواية أنه قال للبرذون: لا علم الله من علمك هذا من الخيلاء، و لم يركب برذونا قبله و لا بعده.

و عن أبى مريم مولى سلامة قال: شهدت فتح إيلياء مع عمر رضى الله عنه، فسار من الجابية فاصلا حتى يقدم إيلياء، ثم مضى حتى يدخل المسجد، ثم مضى نحو محراب داود، و نحن معه، فدخله، ثم قرأ سجدة داود فسجد و سجدنا معه.

و قال يزيد بن حنظلة يذكر بعض ما تقدم «۲»:

تذكرت حرب الروم لما تطاولتو إذ نحن فى عام كثير نوازله

و إذ نحن فى أرض الحجاز و بينناميسرة شهر بينهن بلابله

و إذ أرطبون الروم يحمى بلادهيحاوله قرم هناك يساجله

فلما رأى الفاروق أزمان فتحهاسما بجنود الله كيما يصاوله

فلما أحسوه و خافوا صياله‌أتوه و قالوا أنت ممن نواصله

و ألقت إليه الشأم أفلاذ بطنهاو عيشا خصيبا ما تعد مآكله

أباح لنا ما بين شرق و مغرب‌مواريث أعقاب بنتها قرامله

و كم مثقل لم يضطلع باحتماله‌تحمل عبئا حين شالت شوائله و قال أيضا:

و قد عضلت بالشأم أرض بأهلهاتريد من الأقوام ما كان ألحدا

سما عمر لما أتته رسائل‌كأصيد يحمى صرمة الحى أغيدا

فلما أتاه ما أتاه أجابهم‌بجيش ترى منه السنابك سجدا

و أقبلت الشام العريضة بالذى‌أراد أبو حفص و أزكى و أزيدا

---

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۶۱۰).

(۲) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۶۱۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۱۴ فقسط فیما بینهم کل جزیةو کل رفاد کان أهنی و أحمد قال صاحب فتوح الشام «۱»: ثم إن عمر رضی الله عنه، خرج من الشام مقبلا إلی المدینة، فلما دنا منها استقبله الناس یهنئونه بالنصر و الفتح، فجاء حتی دخل مسجد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فصلی رکعتین عند المنبر، ثم صعد المنبر، و اجتمع الناس إلیه، فقام، فحمد الله و أثنی علیه، و صلی علی النبیّ محمد صلی اللّه علیه و سلم و قال: یا أیها الناس، إن الله قد اصطنع عند هذه الأمة أن یحمدوه و یشکروه، و قد أعز دعوتها و جمع کلمتها، و أظهر فلجها، و نصرها علی الأعداء، و شرفها و مکن لها فی الأرض، و أورثها بلاد المشرکین و دیارهم و أموالهم، فأحدثوا لله عز و جل شکرا یزدکم، و احمدوه علی نعمه علیکم یدمها لکم، جعلنا الله و إیاکم من الشاکرین. ثم نزل.

قال: فمکث المسلمون بالشام علیها أبو عبیدة بن الجراح، و مکث فیها بعد خروج عمر منها ثلاث سنین، ثم توفی رحمه الله، فی طاعون عمواس، و کان طاعونا عم أهل الشام، و مات فیه بشر کثیر، و کانت وفاة أبی عبیدة بالأردن، و بها قبره، و لما طعن رحمه الله، دعا المسلمین، فدخلوا علیه، فقال لهم: إنی موصیکم بوصیة، فإن قبلتموها لم تزالوا بخیر ما بقیتم، و بعد ما تهلکون: أقیموا الصلاة، و آتوا الزکاة، و صوموا، و تصدقوا، و حجوا و اعتمروا، و تواصلوا و تحابوا، و اصدقوا أمراءکم، و لا تغشوهم، و لا تلهکم الدنیا، فإن امرأ لو عمر ألف حول ما کان له بد من أن یصیر إلی مثل مصرعی هذا الذی ترون، إن الله قد کتب الموت علی بنی آدم، فهم میتون، فأکیسهم أطوعهم لربه، و أعملهم لیوم معاده.

ثم قال لمعاذ بن جبل: یا معاذ، صل بالناس، فصلی معاذ بهم، و مات أبو عبیدة، رحمة الله علیه و مغفرته و رضوانه، فقام معاذ فی الناس فقال: یا أیها الناس، توبوا إلی الله توبة نصوحا، فإن عبدا إن یلق الله تائبا من ذنبه کان حقا علی الله أن یغفر له ذنوبه، و من کان علیه دین فلیقضه، فإن العبد مرتهن بدینه، و من أصبح منکم مصارما مسلما فلیلقه فیصالحه، إذا لقیه، و لیصافحه، فإنه لا ینبغی لمسلم أن یهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أیام، و الذنب فی ذلک عظیم عند الله، و إنکم أیها المسلمون قد فجعتم برجل، و الله ما أزعم أنی رأیت منکم عبدا من عباد الله قط أقل غمرا، و لا أبرأ صدرا، و لا أبعد من الغائلة، و لا أنصح للعامة، و لا أشد علیهم تحننا و شفقة منه، فترحموا علیه، ثم احضروا الصلاة علیه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، و الله لا یلی علیکم مثله أبدا.

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۲۶۶- ۲۶۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۱۵

فاجتمع الناس، و أخرج أبو عبیدة، فتقدم معاذ فصلی علیه، حتی إذا أتی به قبره، دخل قبره معاذ و عمرو بن العاص و الضحاک بن قیس، فلما سفوا علیه التراب، قال معاذ: رحمک الله أبا عبیدة، فو الله لأثنین علیه بما علمت، و الله لا أقولها باطلا، و أخاف أن یلحقنی من الله مقت، کنت و الله ما علمت من الذاکرین الله کثیرا، و من الذین یمشون علی الأرض هونا، و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، و من الذین یبیتون لربهم سجدا و قیاما، و من الذین إذا أنفقوا لم یسرفوا و لم یقتروا و کان بین ذلک قواما، و کنت و الله ما علمت من المخبتین المتواضعین، و من الذین یرحمون الیتیم و المسکین، و یبغضون الجفاة المتکبرین.

و لم یکن أحد من الناس أشد جزعا علی فقد أبی عبیدة من معاذ، و لا أطول حزنا علیه من معاذ.

قال: ثم صلی معاذ بالناس أیاما، و اشتد الطاعون، و کثر الموت فی الناس، فلما رأی ذلک عمرو بن العاص قال: یا أیها الناس، إن هذا الطاعون هو الرجز الذی عذب الله به بنی إسرائیل مع الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم، و أمر الناس بالفرار منه.

فأخبر معاذ بقول عمرو، فقال: ما أراد إلی أن یقول ما لا علم له به، ثم جاء معاذ حتی صعد المنبر، فحمد الله و أثنی علیه بما هو أهله، و صلی علی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم ثم ذکر الوباء، فقال: لیس کما قال عمرو، و لکنه رحمة ربکم، و دعوة نبیکم، و موت

الصالحین قبلکم، اللهم أعط معاذا و آل معاذ منه النصیب الأوفر، ثم صلی و رجع إلی منزله، فإذا هو بابنه عبد الرحمن قد طعن، فلما رآه قال: یا أبت، الحق من ربک فلا تکونن من الممترین، قال: یا بنی، ستجدنی إن شاء الله من الصابرین، فلم یلبث إلا قلیلا حتی مات یرحمه الله، و صلی علیه معاذ، و دفنه.

فلما رجع معاذ إلی منزله طعن، فاشتد به وجعه، و جعل أصحابه یختلفون إلیه فإذا أتوه أقبل علیهم فقال لهم: اعملوا و أنتم فی مهلة و حیاة و فی بقیة من آجالکم، من قبل أن تمنوا العمل فلا تجدوا إلیه سبیلا، و أنفقوا مما عندکم من قبل أن تهلکوا و تدعوا ذلک میراثا لمن بعدکم، و اعلموا أنه لیس لکم من أموالکم إلا ما أکلتم و شربتم و لبستم و أنفقتم فأعطیتم فأمضیتم، و ما سوی ذلک فللوارثین، فلما اشتد به وجعه جعل یقول:

رب اخنقنی خنقک، فأشهد أنک تعلم أنی أحبک.

قال: و أتاه رجل فی مرضه، فقال له: یا معاذ، علمنی شیئا، ینفعنی الله به قبل أن

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۱۶

أفارقک، فلا أراک و لا ترانی، و لا أجد منک خلفا، ثم لعلی أحتاج إلی سؤال الناس عما ینفعنی بعدک فلا أجد فیهم مثلک، فقال له معاذ: کلاء إن صالحاء المسلمین و الحمد لله کثیر، و لن یضیع الله أهل هذا الدین، ثم قال له: خذ عنی ما آمرک به، کن من الصائمین بالنهار، و من المصلین فی جوف اللیل، و من المستغفرین بالأسحار، و من الذاکرین الله کثیرا علی کل حال، و لا تشرب الخمر، و لا تزنی، و لا تعق والدیک، و لا تأکل مال الیتیم و لا تفر من الزحف، و لا تأکل الربا، و لا تدع الصلاة المکتوبة، و لا تضیع الزکاة المفروضة، و صل رحمک، و کن بالمؤمنین رحیما، و لا تظلم مسلما، و حج و اعتمر، و جاهد، ثم أنا لک زعیم بالجنة.

و لما حضر معاذا الموت قال لجاریته: ویحک، انظری، هل أصبحنا؟ فنظرت، فقالت:

لا، ثم ترکها ساعة، ثم قال لها: انظری، فنظرت فقالت: نعم، فقال: أعوذ بالله من لیلة صباحها إلی النار، ثم قال: مرحبا بالموت، مرحبا بزائر جاء علی فاقة لا أفلح من ندم، اللهم إنک تعلم أنی لم أکن أحب البقاء فی الدنیا لجری الأنهار، و لا لغرس الأشجار، و لکننی کنت أحب البقاء لمکابدة اللیل الطویل، و طول الساعات فی النهار، و لظمأ الهواجر، فی الحر الشدید، و لمزاحمة العلماء بالرکب فی حلق الذکر.

فلما اقترب أمره جاء عبد الله بن الدیلمی، فقال له: یرحمک الله یا معاذ، لعلنا لا نلتقی نحن و لا أنت أبدا، فقال معاذ: أجلسونی، فأجلسوه، و جلس رجل خلف ظهره، و وضع معاذ ظهره فی صدر الرجل، ثم قال: بئس ساعة الکذب هذه، حدثنی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حدیثا، فکنت أکتمکموه مخافة أن تتکلوا، فأما الآن فإنی لا أکتمکموه، سمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول: إنه لا یموت عبد من عباد الله و هو یشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له، و أن محمدا عبده و رسوله، و أن الساعة آتیة لا ریب فیها، و أن الله یبعث من القبور، و یؤمن بالرسل و ما جاءت به أنه حق، و یؤمن بالجنة و النار، إلا أدخله الله الجنة و حرمه علی النار.

ثم مات معاذ من ساعته یرحمه الله، و استخلف عمرو بن العاص، فصلی علیه عمرو، و دخل قبره، فوضعه فی لحده، و دخل معه رجال من المسلمین، فلما خرج عمرو من قبره، قال: رحمک الله یا معاذ، فقد کنت ما علمناک من نصحاء المسلمین و من خیارهم، و کنت مؤدبا للجاهل، شدیدا علی الفاجر، رحیما بالمؤمنین، و ایم الله لا یستخلف من بعدک مثلک، عمرو بن العاص.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۱۷

و کان مهلکه و مهلک أبی عبیدة رحمهما الله، سنة ثمان عشرة، و قد کان معاذ لما هلک أبو عبیدة کتب إلی عمر ینعاه: أما بعد، فاحتسب امرأ کان لله أمینا، و کان الله فی نفسه عظیما، و کان علینا و علیک یا أمیر المؤمنین عزیزا، أبا عبیدة بن الجراح، غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، فإنا لله و إنا إلیه راجعون، و عند الله نحتسبه، و بالله نثق له، کتبت إلیک و قد فشا الموت، و هذا الوباء فی الناس، و لن یخطئ أحد أجله، و من لم یمت فسیموت، جعل الله ما عنده خیرا لنا من الدنیا و إن أبقانا أو هلکنا فجزاک الله عن

جماعة المسلمين و عن خاصتنا و عامتنا رحمته و مغفرته و رضوانه و جنته، و السلام عليك و رحمة الله.

قال: فو الله ما هو إلا- أن أتى عمر الكتاب فقرأه حتى بكى بكاء شديدا، و نعى أبا عبيدة إلى جلسائه، فما رأيت جماعة المسلمين جزعوا على رجل منهم جزعهم على أبى عبيدة، ثم ما مضى لذلك إلا أيام حتى جاء كتاب عمرو بن العاص ينعى فيه معاذ بن جبل يرحمه الله، فلما أتت عمر وفاة هذا على أثر أبى عبيدة جزع عليه جزعا شديدا، و بكى عمر و المسلمون، و حزنوا عليه حزنا عظيما، و قال عمر رضى الله عنه: رحم الله معاذا، و الله لقد رفع الله بهلاكه من هذه الأمة علما جما، و لرب مشورة له صالحة قد قبلناها منه، و رأيناها أدت إلى خير و بركة، و رب علم أفادناه، و خير دلنا عليه، جزاه الله جزاء الصالحين.

و فرق عمر عند ذلك كور الشام، فبعث عبد الله بن قرط الثمالىّ على حمص، و عزل عنها حبيب بن مسلمة، و استعمل على دمشق أبا الدرداء الأنصارى، و استعمل يزيد بن أبى سفيان على الجنود التى كانت بالشام، ثم وجد عمر على عبد الله بن قرط بعد أن عمل له على حمص سنة فعزله عنها، و بعث حين عزله عبادة بن الصامت أميرا عليها، و قد كان بدريا عقبيا نقيبا، ثم رضى بعد ذلك عن عبد الله بن قرط، فرده على حمص.

و لما قدم عبادة بن الصامت على أهل حمص، قام فى الناس خطيبا، فحمد الله و أثنى عليه، و صلى على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: أما بعد، ألا- إن الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البر و الفاجر، ألا و إن الآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قادر، ألا و إنكم معروضون على أعمالكم، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة: ۷]، ألا و إن للدنيا بنين، و إن للآخرة بنين، فكونوا من أبناء الآخرة، و لا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل أم يتبعها بنوها يوم القيامة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۱۸

ثم قال لشداد بن أوس: قم يا شداد، فعظ الناس، و كان شداد مفوها قد أعطى لسانا و حكمة و فضلا و بيانا، فقام شداد، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، راجعوا كتاب الله و إن تركه كثير من الناس، فإنكم لم تروا من الخير إلا أسبابه، و لا من الشر إلا أسبابه، و إن الله جمع الخير كله بحذافيره، فجعله فى الجنة، و جمع الشر كله بحذافيره، فجعله فى النار، ألا و إن الجنة حفت بالكره و الصبر، ألا و إن النار حفت بالهوى و الشهوة، ألا فمن كشف حجاب الكره و الصبر أشفى على الجنة، و من أشفى على الجنة كان من أهلها، ألا و من كشف حجاب الهوى و الشهوة أشفى على النار، و من أفى على النار كان من أهلها، ألا فاعملوا بالحق تنزلوا منازل أهل الحق، يوم لا يقضى إلا بالحق.

و قام أبو الدرداء فى أهل دمشق خطيبا، فحمد الله و أثنى عليه، و صلى على نبيه صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: أما بعد، يا أهل دمشق، فاسمعوا مقالة أخ لكم ناصح، ما بالكم تجمعون ما لا تأكلون، و تبنون ما لا تسكنون، و تأملون ما لا تدركون، و قد كان من قبلكم جمعوا كثيرا، و بنوا مشيدا، و أملوا بعيدا، و ماتوا قريبا، فأصبحت أموالهم بورا، و مساكنهم قبورا و آمالهم غرورا، ألا و إن عادا و ثمود و قد كانوا ملأوا ما بين بصرى و عدن أموالا و أولادا و نعما، فمن يشترى منى ما تركوا بدرهمين.

ذكر ما وعدنا به قبل من سياقة فتح قيسارية حيث ذكرها أصحاب فتوح الشام خلافا لما أوردناه قبل ذلك عن سيف بن عمر، مما لا يوافق هذا مساقا و لا زمانا، حسب ما يوقف عليه فى الموضعين إن شاء الله تعالى

ذكروا «۱» أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، كتب إلى يزيد بن أبى سفيان بعد مهلك أبى عبيدة و معاذ بن جبل رحمهما الله: أما بعد، فقد وليتك أجناد الشام كله، و كتبت إليهم أن يسمعوا لك و يطيعوا، و أن لا يخالفوا لك أمرا، فاخرج، فعسكر بالمسلمين، ثم سر بهم إلى قيسارية، فانزل عليها، ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك، فإنه لا ينفعنى افتتاح ما افتتحتم من أرض الشام مع

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۷۶- ۲۸۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۱۹

مقام أهل قیساریة فیها، و هم عدو لکم، إلی جانبکم، و إنه لا یزال قیصر طامعا فی الشام ما بقی فیها أحد من أهل طاعته ممتنعا، و لو قد افتتحتموها قطع الله رجاءه من جمیع الشام، و الله فاعل ذلک و صانع به للمسلمین، إن شاء الله تعالی.

فخرج یزید، فعسکر بالمسلمین، و جاءه کتاب من عمر بنسخة واحدة إلی أمراء الأجناد:

أما بعد، فقد ولیت یزید بن أبی سفیان أجناد الشام کله، و أمرته أن یسیر إلی قیساریة، فلا تعصوا له أمرا، و لا تخالفوا له رأیا، و السلام.

و کتب یزید إلی أمراء الأجناد نسخة واحدة: أما بعد، فإنی قد ضربت علی الناس بعثا، أرید أن أسیر بهم إلی قیساریة، فاخرجوا من کل ثلاثة رجلا، و عجلوا إشخاصهم إلی إن شاء الله، و السلام.

فلم یمکث إلا قلیلا حتی توافت عنده عساکر الأجناد کلها، فلما اجتمعوا عنده قام یزید، فحمد الله و أثنی علیه، ثم قال:

أما بعد، فإن کتاب أمیر المؤمنین عمر المبارک الفاروق، أتانی یحثنی علی المسیر إلی قیساریة، و أن أدعوهم إلی الإسلام، أو یدخلوا فیما دخل فیه أهل الکور من أهل الشام، فیؤدوا الجزیة عن ید و هم صاغرون، فإن أبوا نزلت علیهم، فلم أزایلهم حتی أقتل مقاتلتهم، و أسبی ذراریهم، فسیروا رحمکم الله إلیهم، فإنی أرجو أن یجمع الله لکم الغنیمة فی الدنیا و الأجر فی الآخرة.

ثم قال للناس: ارتحلوا، و وجه إلی حبیب بن مسلمة أن سر فی المقدمة، فقد جعلتک علیها، ثم امض حتی تنزل بأهل قیساریة، فإنی أسرع شیء فی أثرک لحاق بک.

فمضی حبیب فی جماعة عظیمة من المسلمین إلی قیساریة، و بها جموع من بطارقة الروم و فرسانهم و أشدائهم، و کل من کان کره الدخول فی دین الإسلام من النصاری، و من کان کره الجزیة، و من بقی من أهل تلک المواطن التی کانوا یقاتلون المسلمین من الروم، فکانت بها جموع کثیرة، وحد وجد شدید، فلما أقبل حبیب فی المقدمة و دنا من الحصن، خرج إلیه من قیساریة فرسان و رجال، فنضحوهم بالنشاب، و حملت خیلهم علی المسلمین، فانحاز حبیب و خیله، حتی انتهی إلی یزید، فنزل یزید و جعل علی میمنته عبادة بن الصامت، و علی المیسرة الضحاک بن قیس، و رد حبیبا علی الخیل، و مشی یزید

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۲۰

فی الرجال، فحمل علیهم، فاقتتلوا طویلا قتالا شدیدا، ثم بعث إلی الضحاک: أن احمل علی میمنتهم، فحمل علیهم، فهزمهم، و قتل منهم مقتلة عظیمة، و بعث إلی عبادة بن الصامت، أن أحمل علی میسرتهم، فحمل علیهم، فثبتوا له، فقاتلهم طویلا، و قتل منهم مقتلة عظیمة، ثم تحاجزوا، و انصرف عبادة إلی موقفه، فحرض أصحابه و وعظهم، ثم قال: یا أهل الإسلام، إنی کنت أحدث النقباء سنا، و أبعدهم أجلا، و قد قضی الله أن أبقانی حتی قاتلت هذا العدو معکم، و إنی أسأل الله أن یرینی و إیاکم أحسن ثواب المجاهدین، و الله الذی نفسی بیده ما حملت قط فی عصابة من المؤمنین علی جماعة من المشرکین إلا خلوا لنا العرصة، و أعطانا الله علیهم الظفر غیرکم، فما بالکم حملتم علی هؤلاء فلم تزیلوهم.

و إن عمر لما بلغه شدة قتال أهل الیرموک لکم قال: سبحان الله، أو قد واقفوهم، ما أظن المسلمین إلا قد غلوا، و لو لم یغلوا ما واقفوهم، و لظفروا بغیر مؤنة، و الله إنی خائف علیکم خصلتین: أن تکونوا قد غللتم، أو لم تناصحوا الله فی حملتکم علیهم، فشدوا علیهم یرحمکم الله معی إذا شددت، فلا و الله لا أرجع إلی موقفی هذا إن شاء الله و لا أزایلهم حتی یهزمهم الله أو أموت دونهم، ثم حمل علیهم، و حملت معه المیمنة علی میسرة الروم، فصبروا لهم حتی تطاعنوا بالرماح، و اضطربوا بالسیوف، و اختلفت أعناق الخیل، فلما رأی ذلک عبادة ترجل، ثم نادی عمیر بن سعد الأنصاری فی المسلمین: یا أهل الإسلام إن عبادة بن الصامت سید المسلمین، و صاحب رایة رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم قد نزل و ترجل، فالکرة الکرة إلی رحمة الله و الجنة، و اتقوا عواقب الفرار، فإنها تقود إلی النار.

و أقبل المسلمون إلی عبادة و هو یجالدهم، و قد کانوا أحاطوا به، فحمل علیهم، فقصف بعضهم علی بعض، فأزالوهم عن موقفهم، ثم شدوا علیهم، و حمل حبیب بن مسلمة علی من یلیه منهم، ثم حمل یزید بن أبی سفیان بجماعة المسلمین علیهم، فانهزموا انهزاما شدیدا، و وضع المسلمون سلاحهم و سیوفهم حیث أحبوا منهم، و أتبعوهم یقتلونهم کیف شاءوا، حتی حجزوهم فی حصنهم، و قد قتلوا من رؤسائهم و بطارقتهم و فرسانهم مقتلة عظیمة، ثم أقاموا علیهم فحصروهم و قطعوا عنهم المادة، و ضیقوا علیهم، و حاصروهم أشد الحصار، فلما طال علیهم البلاء تلاوموا، و قال بعضهم لبعض:

اخرجوا بنا إلیهم نقاتلهم حتی نظفر بهم أو نموت کراما، فاستعدوا فی مدینتهم، و خرجوا علی تعبئتهم، و المسلمون غارون لا یشعرون و لا یعلمون أنه یخرجون إلیهم،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۲۱

و قد کانوا أذلوهم و أجحروهم و ضیقوا علیهم حتی جهدوا، و ظنوا أنهم أوهن أمرا، و أضعف من أن یخرجوا علیهم، فما راع المسلمین إلا و أهل قیساریة یضاربونهم بالسیوف بأجمعهم إلی جانب عسکرهم، فجال المسلمون جولة منکرة.

ثم إن یزید خرج مسرعا یمشی إلیهم، حتی إذا دنا منهم جالدهم طویلا، و تتامت إلیه خیل المسلمین و رجالتهم، و خرج المسلمون علی رایاتهم و صفوفهم، فلما کثروا عنده أمر الخیل فحملت علیهم، و نهض بالرجال فی وجوههم، ثم حمل هو علیهم فانهزموا انهزاما قبیحا شدیدا، و قتلهم المسلمون قتلا ذریعا، و رکب بعضهم بعضا، فبعض دخل المدینة، و بعض ذهبوا علی وجوههم فلم یدخلوها، و قتل الله منهم فی المعرکة نحوا من خمسة آلاف، فلما رأی یزید ما أنزل الله بهم من الخزی و القتل، و ما صیرهم إلیهم من الذل، قال لمعاویة: أقم علیها حتی یفتحها الله، و انصرف یزید عنها.

فلم یلبث معاویة علیها إلا یسیرا حتی فتحها الله علی یدیه، و ذلک سنة تسع عشرة، و کانت هی و جلولاء فی سنة واحدة، و فرح المسلمون بذلک فرحا شدیدا، لأنه لم یبق بالشام فی أقصاها و أدناها عدو حینئذ، و قد نفی الله المشرکین عنها، و صار الشام کله فی أیدی المسلمین.

و کتب یزید إلی عمر: أما بعد، فإن رأی أمیر المؤمنین لأهل الشام کان رأیا أرشده الله و أرشد به من أخذ به، و بارک له و لأهل طاعته فیه، و إنی أخبر أمیر المؤمنین أنا التقینا نحن و أهل قیساریة غیر مرة، و کل ذلک یجعل الله جدهم الأسفل، و کدهم الأخسر، و یجعل لنا علیهم الظفر، فلما رأوا أن الله قد أذهب ریحهم، و أذلهم و أنزل علیهم الصغار و الهوان، و قتل صنادیدهم و فرسانهم و ملوکهم لزموا حصنهم، و انحجزوا فی مدینتهم، فأطلنا حصارهم، و قطعنا موادهم، و میرتهم، و ضیقنا أشد التضییق علیهم، فلما جهدوا هزلا و أزلا، فتحها الله علینا، و الحمد لله رب العالمین.

فکتب إلیه عمر، رحمه الله: أما بعد، فقد أتانی کتابک، و سمعت ما ذکرت فیه من الفتح علی المسلمین، و الحمد لله رب العالمین، فاشکروا الله یزدکم و یتم نعمته علیکم، و إن الله قد کفاکم مئونة عدوکم، و بسط لکم فی الرزق، و مکن لکم فی البلاد، وَ آتاکُمْ مِنْ کُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ کَفَّارٌ، و السلام علیک.

فلما أتی یزید هذا الکتاب، قرأه علی المسلمین، فحمدوا الله علی ما أنعم علیهم،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۲۲

و اصطنع عندهم، و أقبل یزید حتی نزل دمشق، فلم یلبث إلا سنة حتی هلک رضی الله عنه، و ذلک فی سنة تسع عشرة، و الشام کله مستقیم أمره، لیس به عدو للمسلمین.

و کان یزید رحمه الله، شریفا فاضلا حلیما عاقلا رقیقا، حسن السیرة، محببا فی المسلمین، و لما ثقل رحمه الله و أشرف علی الموت استخلف أخاه معاویة علی الشام، و کتب إلی عمر، رضی الله عنه: أما بعد، فإنی کتبت إلیک کتابی هذا و إنی أظن أنی فی أول یوم من الآخرة، و آخر یوم من الدنیا، فجزاک الله عنا، و عن جمیع المسلمین خیرا، و جعل جناته لنا و لک مآبا و مصیرا، فابعث إلی

عملک بالشام من أحببت، فأما أنا فقد استخلفت علیهم معاویة بن أبی سفیان.

فلما أتی عمر کتابه مع خبر موته، جزع علیه جزعا شدیدا، و کتب إلى معاویة بولایته على الشام، و یقال: إنه لما ورد البرید بموت یزید على عمر کان أبوه أبو سفیان عنده، فقال له عمر لما قرأ الکتاب بموت یزید: أحسن الله عزاءک فی یزید، و رحمه، فقال له أبو سفیان: من ولیت مکانه یا أمیر المؤمنین؟ قال: أخاه معاویة، قال: وصلتک رحم یا أمیر المؤمنین.

فأقام معاویة على الشام أربع سنین، بقیة خلافة عمر، ثم أقره علیها عثمان اثنتی عشرة سنة، مدة خلافته، ثم کان منه بعد وفاة عثمان رضی الله عنه، ما هو معلوم «۱».

ذکر فتح مصر

«۲» ذکر ابن عبد الحکم «۳» عمن سمی من شیوخه أنه لما قدم عمر، رضی الله عنه، الجابیة «۴» خلا به عمرو بن العاص، فاستأذنه فی المسیر إلى مصر، و کان عمرو قد دخلها فی الجاهلیة و عرف طرقها و رأى کثرة من فیها.

و کان سبب دخوله إیاها أنه کان قدم بیت المقدس لتجارة فی نفر من قریش، و کانت رعیة إبلهم نوبا بینهم، فبینا عمرو یرعاها فی نوبته إذ مر به شماس من شمامسة

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۲۷۶- ۲۸۳).

(۲) انظر: تاریخ الطبری (۴/ ۱۰۴- ۱۱۲)، البدایة و النهایة (۷/ ۱۰۷- ۱۱۰)، الکامل (۲/ ۴۰۵- ۴۰۸).

(۳) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحکم (ص ۵۳- ۱۹۲).

(۴) کان ذلک سنة ثمانی عشرة من الهجرة.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۲۳

الروم، من أهل الإسکندریة، کان قدم للصلاة فی بیت المقدس و للسیاحة فی جبالها، فوقف على عمرو فاستسقاه و قد أصابه عطش شدید فی یوم شدید الحر، فسقاه عمرو من قربة له، فشرب حتى روی، و نام الشماس مکانه، و کانت إلى جنبه حیث نام حفرة، فخرجت منها حیة عظیمة، فبصر بها عمرو، فنزع لها بسهم فقتلها، فلما استیقظ الشماس و نظر إلى الحیة سأل عمرا عنها، فأخبره أنه رماها فقتلها، فأقبل الشماس فقبل رأسه، و قال: قد أحیانی الله بک مرتین، مرة من شدة العطش، و مرة من هذه الحیة، فما أقدمک هذه البلاد؟ قال: قدمت مع أصحاب لی نطلب الفضل فی تجارتنا، فقال له الشماس: و کم تراک ترجو أن تصیب فی تجارتک؟ قال: رجائی أن أصیب ما اشتری به بعیرا، فإنی لا أملک إلا بعیرین، فأملی أن أصیب بعیرا ثالثا، فقال له الشماس: کم الدیة فیکم؟ قال: مائة من الإبل، قال الشماس لسنا أصحاب إبل، إنما نحن أصحاب دنانیر.

قال: تکون ألف دینار، فقال له الشماس: إنی رجل غریب فی هذه البلاد، و إنما قدمت أصلی فی کنیسة بیت المقدس، و أسیح فی هذه الجبال شهرا، جعلت ذلک نذرا على نفسی، و قد قضیت ذلک، و أنا أرید الرجوع إلى بلادی، فهل لک أن تتبعنی إلى بلادی، و لک عهد الله و میثاقه أن أعطیک دیتین لأن الله عز و جل، أحیانی بک مرتین؟

فقال له عمرو: و أین بلادک؟ قال: مصر، فی مدینة یقال لها: الإسکندریة، فقال له عمرو: لا أعرفها، و لم أدخلها قط، فقال له الشماس: لو دخلتها لعلمت أنک لم تدخل قط مثلها، فقال عمرو: و تفی لی بما تقول؟ فقال له الشماس: نعم، لک علیّ العهد و المیثاق أن أفی لک، و أن أردک إلى أصحابک، فقال عمرو: کم یکون مکثی فی ذلک؟

قال: شهرا تنطلق معی ذاهبا عشرا، و تقیم عندنا عشرا و ترجع فی عشر، و لک علیّ أن أحفظک ذاهبا، و أن أبعث معک من یحفظک راجعا، فقال له عمرو: أنظرنی حتى أشاور أصحابی.

فانطلق عمرو إلى أصحابه، فأخبرهم بما عاهده عليه الشماس، و قال لهم: أقيموا علىّ حتى أرجع إليكم و لكم علىّ العهد أن أعطيكم شطر ذلك، على أن يصحبنى رجل منكم آنس به، فقالوا: نعم، و بعثوا معه رجلا منهم.

فانطلق عمرو و صاحبه مع الشماس إلى مصر، حتى انتهى إلى الإسكندرية، فرأى عمرو من عمارتها و كثرة أهلها و ما بها من الأموال ما أعجبه، و نظر إلى الإسكندرية و عمارتها و جودة بنائها، و كثرة أهلها، و ما بها من الأموال، فازداد عجبا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۲۴

و وافق دخول الإسكندرية عيدا فيها عظيما، يجتمع فيه ملوكهم و أشرافهم، و لهم أكرة من ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم و يتلقونها بأكمامهم، و فيما اختبروا منها على ما وضعها من مضى منهم أنه من وقعت فى كمه و استقرت فيه لم يمت حتى يملكهم.

و أكرم الشماس عمرا الإكرام كله، و كساه ثوب ديباج ألبسه إياه، و جلس معه فى ذلك المجلس مع الناس حيث يترامون بالأكرة و هم يتلقونها بأكمامهم، فرمى بها رجل منهم، فأقبلت تهوى حتى وقعت فى كم عمرو، فعجبوا من ذلك، و قالوا: ما كذبتنا هذه الأكرة قط إلا هذه المرة، أ ترى هذا الأعرابى يملكنا؟ هذا ما لا يكون أبدا. الاكتفاء، الكلاعى ج ۲ ۳۲۴ ذكر فتح مصر ..... ص : ۳۲۲

إن ذلك الشماس مشى فى أهل الإسكندرية، و أعلمهم بأن عمرا أحياه مرتين، و أنه ضمن له ألفى دينار، و سألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم، ففعلوا و دفعوها إلى عمرو، فانطلق هو و صاحبه، و بعث معهما الشماس دليلا و رسولا، و زودهما و أكرمهما، حتى رجعا إلى أصحابهما، فدفع إليهم عمرو فيما بينهم ألف دينار، و أمسك لنفسه ألفا.

قال: فكان أول مال اعتقده و تأثله.

فبذلك ما عرف عمرو مدخل مصر و مخرجها، و رأى فيها ما علم به أنها أفضل البلاد و أكثره مالا.

فلما قدم عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، الجابية خلا به عمرو، و قال: يا أمير المؤمنين ائذن لى فأسير إلى أرض مصر، فإنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين و عونا لهم، و هى أكثر الأرضين أموالا، و أعجزه عن القتال، فتخوف عمر و كره ذلك، فلم يزل عمرو بن العاص يعظم أمرها فى نفسه و يخبره بحالها، و يهون عليه فتحها، حتى ركن لذلك عمر، فعقد له على أربعة آلاف رجل، كلهم من عك، و قال: سيروا و أنا مستخير الله فى مسيرك، و سيأتيك كتابى سريعا، فإن لحقك كتابى آمرك فيه بالانصراف فانصرف، و إن دخلتها قبل أن يأتيك كتابى ثم جاءك فامض لوجهتك، و استعن بالله فاستنصره.

فمضى عمرو من جوف الليل، و لم يشعر به أحد من الناس، و استخار عمر ربه، فكأنه تخوف على المسلمين فى وجههم ذلك، فكتب إلى عمرو بن العاص: أن انصرف بمن معك من المسلمين إن أدركك كتابى قبل أن تدخل مصر، فأدرك الكتاب عمرا و هو برفح، فتخوف إن هو أخذه فقرأه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر، فلم يأخذ الكتاب من الرسول، و سار كما هو حتى مر بقرية صغيرة فيما بين رفح و العريش، فسأل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۲۵

عنها، فقيل: إنها من مصر، فدعا بالكتاب فقرأه، فإذا فيه: أن انصرف بمن معك من المسلمين، فقال لمن حوله: أ لستم تعلمون أن هذه من مصر؟ قالوا: بلى، قال: فإن أمير المؤمنين عهد إلىّ و أمرنى إن لحقنى كتابه و لم أدخل أرض مصر أن أرجع، و لم يلحقنى كتابه حتى دخلت أرض مصر، فسيروا على بركة الله.

و يقال: بل كان عمرو بن العاص بفلسطين، فتقدم فى أصحابه إلى مصر بغير إذن، فكتب إليه عمر ينكر ذلك عليه، فجاءه كتابه و هو دون العريش، عريش مصر، فلم يقرأ الكتاب حتى بلغ العريش فقرأه، فإذا فيه:

من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، أما بعد، فإنك سرت إلى مصر بمن معك، و بها جموع الروم، و إنما معك نفر يسير، و لعمرى لو كانوا ثكل أمك ما سرت بهم، فإن لم تكن بلغت مصر فارجع.

فقال عمرو: الحمد لله، أية أرض هذه؟ قالوا: من مصر، فتقدم كما هو.

و يقال: بل كان عمرو فى جنده على قيسارية مع كل من كان بها من أجناد المسلمين، و عمر بن الخطاب إذ ذاك بالجابية، فكتب سرا و استأذن إلى مصر، و أمر أصحابه فتنحوا كالقوم الذين يريدون أن يتجولوا من منزل إلى منزل قريب، ثم سار بهم ليلا، فلما فقده أمراء الأجناد استنكروا الذى فعل، و رأوا أنه قد غرر، فرفعوا ذلك إلى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فكتب إليه عمر:

«أما بعد، فإنك قد غررت بمن معك، فإن أدركك كتابى و لم تدخل مصر فارجع، و إن أدركك كتابى و قد دخلت فامض، و اعلم أنى ممدك».

و يقال: إن عمر كتب إلى عمرو بعد ما فتح الشام: أن اندب الناس إلى المسير معك إلى مصر، فمن خف معك فسر به. و بعث به مع شريك بن عبدة، فندبهم عمرو، فأسرعوا إلى الخروج معه، ثم إن عثمان بن عفان دخل على عمر، فذكر له عمر ما كتب به إلى عمرو، فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، إن عمرا له جرأة، و فيه إقدام و حب للإمارة، فأخشى أن يخرج فى غير ثقة و لا جماعة، فيعرض المسلمين للهلكة، رجاء فرصة لا يدرى أ تكون أم لا. فندم عمر على كتابه إشفاقا مما قال عثمان، فكتب إلى عمرو يأمره بنحو ما تقدم من الرجوع إن لم يكن دخل مصر، و المضى لوجهه إن كان دخلها.

فسار عمرو فى طريقه قاصدا مصر، فلما بلغ المقوقس ذلك توجه نحو الفسطاط يجهز

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۲۶

الجيوش على عمرو، فأقبل عمرو حتى إذا كان بجبال الحلال نفرت معه راشدة و قبائل من لخم، و أدركه النحر و هو بالعريش، فضحى يومئذ عن أصحابه بكبش.

و كان رجل ممن خرج معه قد أصيب بجمله، فأتاه الرجل يستحمله، فقال له عمرو:

تحمل مع أصحابك حتى نبلغ أوائل العامر، فلما بلغوا العريش جاءه، فأمر له بجملين، ثم قال: لن تزالوا بخير ما رحمتكم أئمتكم، فإذا لم يرحموكم هلكتم و هلكوا.

فتقدم عمرو، فكان أول موضع قوتل فيه الفرما، قاتلته الروم قتالا شديدا، نحوا من شهر، ثم فتح الله على يديه.

و كان بالإسكندرية أسقف للقبط يقال له: «أبو ميامين»، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا تكون للروم دولة، و أن ملكهم قد انقطع، و يأمرهم بتلقى عمرو، فيقال: إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا.

ثم توجه عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى نزل القواصر، ثم تقدم لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بلبيس، فقاتلوه بها نحوا من شهر حتى فتح الله عليه، ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف، حتى أتى أم دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا، و أبطأ عليه الفتح، فكتب إلى عمر يستمده، فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف، فقاتلهم.

و جاء رجل من لخم إلى عمرو بن العاص فقال: اندب معى خيلا حتى آتى من ورائهم عند القتال، فأخرج معه خمسمائة فارس، فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بنى وائل قبل الصبح.

و يقال: كان على هذا البعث خارجة بن حذافة «۱»، فلما كان فى وجه الصبح نهض القوم، فصلوا الصبح، ثم ركبوا خيلهم، و غدا عمرو بن العاص على القتال، فقاتلوهم من وجههم، و حملت الخيل التى كان وجه من ورائهم و اقتحمت عليهم فانهزموا. و كانوا قد خندقوا حول الحصن، و جعلوا للخندق أبوابا، فسار عمرو بمن معه حتى نزل على

---

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۲۱۳۷)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۳۲۷)، الثقات (۳/ ۱۱۱)، تلقيح فهوم أهل الأثر (۳۷۴)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۴۶)، الكاشف (۱/ ۲۶۵)، تهذيب التهذيب (۳/ ۷۴)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۱۰)، التحفة اللطيفة (۱/ ۴۹)، النجوم الزاهرة (۱/ ۲۰)، أزمنة التاريخ الإسلامى (۱/ ۶۰۰)، الطبقات (۲۳/ ۲۹۱)، التاريخ الكبير (۳/ ۲۰۳)، التاريخ الصغير (۱/ ۹۳)، الإكمال (۶/ ۱۸۲)، تراجم الأخبار (۱/ ۳۹۰)، الكامل (۳/ ۹۲۰)، مشاهير علماء الأمصار (۳۸۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۲۷

الحصن، فحاصرهم حتى سألوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت و يفتحوا له الحصن، ففعل ذلك، و فرض عليهم لكل رجل من أصحابه دينارا و جبة و برنسا و عمامة و خفين.

فجاء النفر من القبط يستأذنونه إلى قراهم و أهليهم، و قد كان نفر منهم تحدثوا قبل ذلك و رجل من لخم يسمعهم، فقال بعضهم لبعض: أ لا تعجبون من هؤلاء القوم، يعنون المسلمين، يقدمون على جموع الروم، و إنما هم فى قلة من الناس. فجاءهم رجل منهم، فقال: إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه، حتى يقتلوا خيرهم. فأنكر عليه اللخمى قوله و أراد حمله إلى عمرو، فرغب إليه أصحابه و غيرهم حتى خلصوه، فلما استأذن أولئك النفر عمرا قال لهم: كيف رأيتم أمرنا؟ قالوا: لم نر إلا حسنا. فقال ذلك الرجل لعمرو مثل مقالته تلك: إنكم لن تزالوا تظهرون على كل من لقيتم حتى تقتلوا خيركم رجلا. فغضب عمرو و أمر به، فطلب إليه أصحابه و أخبروه أنه لا يدرى ما يقول، حتى خلصوه، فلما بلغ عمرا عمر بن الخطاب عجب من قول ذلك القبطى، و أرسل فى طلبه، فوجدوه قد هلك.

و فى حديث غيره: قال عمرو بن العاص: فلما طعن عمر بن الخطاب قلت: هو ما قال القبطى، فلما حدثت أنه إنما قتله رجل نصرانى «۱» قلت: لم يعن هذا، إنما عنى من قتله المسلمون، فلما قتل عثمان، رضى الله عنه، عرفت أن ما قال الرجل حق.

قال ابن عبد الحكم: و قد سمعت فى فتح القصر وجها غير هذا، ثم ذكر عن نفر سمى منهم قال: و بعضهم يزيد على بعض فى الحديث أن عمرو بن العاص حصرهم فى القصر الذى يقال له: باب اليون حينا، و قاتلهم قتالا شديدا، يصبحهم و يمسيهم، فلما أبطأ عليه الفتح كتب إلى عمر بن الخطاب يستمده، فأمده عمر بأربعة آلاف رجل، على كل ألف منهم رجل يقوم مقام ألف: الزبير بن العوام «۲»، و المقداد بن عمرو «۳»، و عبادة

---

(۱) هو: أبو لؤلؤة، غلام المغيرة بن شعبة. راجع مقتل عمر بن الخطاب، رحمه الله، من هذا الجزء.

(۲) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۲۷۹۴)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۷۳۱).

(۳) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد (۳/ ۱/ ۱۴۴)، طبقات خليفة (۶۱، ۶۷، ۱۶۸)، التاريخ الكبير (۸/ ۵۴)، التاريخ الصغير (۶۰، ۶۱)، المعارف (۲۶۳)، الجرح و التعديل (۸/ ۴۲۶)، حلية الأولياء (۱/ ۱۷۲، ۱۷۶)، ابن عساكر (۱۷، ۶۶، ۱)، تهذيب الأسماء و اللغات (۲/ ۱۱۱، ۱۱۲)، معالم الإيمان (۱/ ۷۱، ۷۶)، دول الإسلام (۱/ ۹۲۷، العقد الثمين (۷/ ۲۶۸)، تهذيب التهذيب (۱۰/ ۲۸۵)، شذرات الذهب (۱/ ۳۹)، الإصابة ترجمة رقم (۸۲۰۱)، أسد الغابة ترجمة رقم (۵۰۷۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۲۸

ابن الصامت «۱»، و مسلمة بن مخلد «۲». و قيل: بل خارجة بن حذافة مكان مسلمة. و قال عمر بن الخطاب: «اعلم أن معك اثنى عشر ألفا، و لا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة».

و ذكر الليث عن يزيد بن أبى حبيب: أن عمر، رحمه الله، إنما أمد عمرا حين استمده بالزبير بن العوام، و بالمقداد بن عمرو، و بخارجة بن حذافة.

قال الليث بن سعد: و بلغنى عن كسرى أنه كان له رجال إذا بعث أحدهم فى جيش وضع من عدة الجيش الذى كان سمى ألفا مكانه، و إذا احتاج إلى أحدهم و كان فى جيش فجيشه زادهم ألف رجل، فأنزلت الذى صنع عمر بن الخطاب حين أمد عمرا بالزبير و المقداد و خارجة نحو الذى صنع كسرى.

و قيل: إن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، أشفق على عمرو حين بعثه، فأرسل الزبير فى أثره فى اثنى عشر ألفا، فشهد معه الفتح. و كان عمرو قدم من الشام فى عدة قليلة، و كانت الروم قد خندقوا حول حصنهم، و جعلوا للخندق أبوابا، و رموا فى أفنيتها حسك

الحديد، فكان عمرو يفرق أصحابه ليرى العدو أنهم أكثر مما هم، فلما انتهى إلى الخندق نادوه: أن قد رأينا ما صنعت، و إنما معك من أصحابك كذا و كذا، فلم يخطئوا برجل واحد. فبينا هو على ذلك إذ جاءه خبر الزبير، فلما قدم المدد مع الزبير على عمرو ابن العاص ألح على القصر و وضع عليه المنجنيق. و قد كان عمرو دخل إلى صاحب القصر فتناظرا فى شىء مما هم فيه، فقال له عمرو: أخرج و أستشير أصحابى، فدس صاحب الحصن الوصية إلى الذى على الباب إذا مر به عمرو أن يلقى عليه صخرة فيقتله.

فأشعر بذلك عمرا رجل من العرب و هو يريد الخروج، فرجع عمرو إلى صاحب الحصن،

---

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۴۵۱۵)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۷۹۱).

(۲) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۸۰۰۷)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۹۴۳)، تاريخ اليعقوبى (۲/ ۱۴۸)، تاريخ خليفة (۱۹۵)، فتوح البلدان (۲۷۰)، أنساب الأشراف (۱/ ۱۴۶)، المعرفة و التاريخ (۲/ ۴۹۴)، تاريخ الطبرى (۴/ ۴۳۰)، أخبار القضاة (۳/ ۲۲۳)، تاريخ أبى زرعة (۱/ ۱۸۹)، مروج الذهب (۱۶۲۱)، فتوح مصر (۶۷)، جمهرة أنساب العرب (۳۶۶)، وفيات الأعيان (۷/ ۲۱۵)، المراسيل (۱۹۷)، الجرح و التعديل (۸/ ۲۶۵)، مشاهير علماء الأمصار (۵۶)، الكامل فى التاريخ (۳/ ۱۹۱)، تهذيب الكمال (۳/ ۱۳۳۰)، مختصر التاريخ (۸۲)، تجريد أسماء الصحابة (۲/ ۷۷)، سير أعلام النبلاء (۳/ ۴۲۴)، العبر (۱/ ۶۶)، الكاشف (۳/ ۱۲۸)، المعين فى طبقات المحدثين (۲۶)، تقريب التهذيب (۲/ ۲۴۹)، النجوم الزاهرة (۱/ ۱۳۲)، خلاصة تذهيب التهذيب (۳۷۷)، الولاة و القضاء (۱۵)، تاريخ الإسلام (۲/ ۲۴۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۲۹

فقال له: إنى أريد أن آتيك بنفر من أصحابى حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت، فقال العلج فى نفسه: قتل جماعة أحب إلىّ من قتل واحد، فأرسل إلى الذى كان على الباب يأمره بالكف عن عمرو رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم، فخرج عمرو و لم يعد.

و فى حصار المسلمين هذا الحصن كان عبادة بن الصامت يوما فى ناحية يصلى و فرسه عنده، فرآه قوم من الروم، فخرجوا إليه و عليهم حلية و بزة، فلما دنوا منه سلم من صلاته، و وثب على فرسه، ثم حمل عليهم، فلما رأوه غير مكذب عنهم و لوا راجعين، و اتبعهم، فجعلوا يلقون مناطقهم و متاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم، و لا يلتفت إليه حتى دخلوا الحصن، و رمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة، فرجع و لم يعرض لشىء مما كانوا طرحوا من متاعهم، حتى أتى موضعه الذى كان به، فاستقبل الصلاة، و خرج الروم إلى متاعهم يجمعونه.

و لما أبطأ الفتح على عمرو بن العاص قال الزبير: إنى أهب نفسى لله و أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سلما إلى جانب الحصن ثم صعد، و أمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا، فما شعروا إلا و الزبير على رأس الحصن يكبر معه السيف، و تحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا من أن ينكسر. و لما اقتحم الزبير و تبعه من تبعه و كبر، و كبر من معه و أجابهم المسلمون من خارج، لم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموه جميعا، فهربوا، و عمد الزبير و أصحابه إلى باب الحصن ففتحوه، و اقتحمه المسلمون، فلما خاف المقوقس على نفسه و من معه سأل عمرو بن العاص الصلح و دعاه إليه، على أن يفرض للعرب على القبط دينارين دينارين على كل رجل منهم، فأجابه عمرو إلى ذلك.

و كان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر فيما روى عن الليث.

قال ابن عبد الحكم: و قد سمعت فى فتح القصر وجها آخر مخالفا للحديثين المتقدمين، فالله أعلم.

ثم أورد بإسناد يرفعه إلى جماعة من التابعين، يزيد بعضهم على بعض، أن المسلمين لما حاصروا باب اليون و كان به جماعة من الروم و أكابر القبط و رؤسائهم و عليهم المقوقس فقاتلوهم بها شهرا، فلما رأى القوم الجد منهم على فتحه و الحرص و رأوا من صبرهم على القتال و رغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم، فتنحى المقوقس و جماعة من أكابر القبط، و خرجوا من باب القصر القبلى و دونهم

جماعة یقاتلون العرب، فلحقوا بالجزیرة، موضع الصناعة الیوم، و أمروا بقطع الجسر، و ذلک فی جری النیل.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۳۰

و زعم بعض مشایخ أهل مصر أن الأعیرج تخلف فی الحصن بعد المقوقس، و هو رجل من الروم کان والیا علی الحصن تحت یدی المقوقس، و کانت سفنهم ملصقة بالحصن، فلما خاف الأعیرج فتح الحصن رکبها هو و أهل القوة و الشرف ثم لحقوا بالمقوقس بالجزیرة.

قال أصحاب الحدیث من التابعین: فأرسل المقوقس إلی عمرو: إنکم قوم قد ولجتم فی بلادنا و ألححتم علی قتالنا، و طال مکثکم فی أرضنا، و إنما أنتم عصبة یسیرة و قد أظلتکم الروم معهم العدة و السلاح، و أحاط بکم هذا النیل، و إنما أنتم أساری فی أیدینا، فابعثوا إلینا رجالا منکم نسمع من کلامهم، فلعله أن یأتی الأمر فیما بیننا و بینکم علی ما تحبون و نحب، و ینقطع عنا و عنکم هذا القتال قبل أن تغشاکم جموع الروم فلا ینفعنا الکلام و لا نقدر علیه، و لعلکم أن تندموا إن کان الأمر مخالفا لطلبتکم و رجائکم.

فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس بهذا حبسهم عنده یومین و لیلتین حتی خاف علیهم المقوقس، فقال لأصحابه: أ ترون أنهم یقتلون الرسل و یحبسونهم و یستحلون ذلک فی دینهم؟ و إنما أراد عمرو أن یروا حال المسلمین، ثم رد عمرو إلی المقوقس رسله، و قال لهم: إنه لیس بینی و بینکم إلا إحدی ثلاث خصال: إما دخلتم فی الإسلام فکنتم إخواننا، و کان لکم ما لنا، و إما أبیتم فأعطیتم الجزیة عن ید و أنتم صاغرون، و إما جاهدناکم بالصبر و القتال حتی یحکم الله بیننا و بینکم و هو خیر الحاکمین.

فلما جاءوا إلی المقوقس قال لهم: کیف رأیتم؟ قالوا: رأینا قوما الموت أحب إلی أحدهم من الحیاة، و التواضع أحب إلیه من الرفعة، لیس لأحدهم فی الدنیا رغبة و لا نهمة، إنما جلوسهم علی التراب، و أکلهم علی رکبهم، و أمیرهم کواحد منهم، ما یعرف رفیعهم من وضیعهم و لا السید فیهم من العبد، و إذا حضرت الصلاة لم یتخلف عنها أحد منهم، یغسلون بالماء أطرافهم، و یخشعون فی صلاتهم.

فقال عند ذلک المقوقس: و الذی یحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها و ما یقوی علی قتال هؤلاء أحد، و لئن لم نغتنم صلحهم الیوم و هم محصورون بهذا النیل لم یجیبونا بعد الیوم إذا أمکنتهم الأرض و قووا علی الخروج من موضعهم.

فرد إلیهم المقوقس رسله: أن ابعثوا إلینا رسلا منکم نعاملهم و نتداعی نحن و هم إلی ما عساه أن یکون فیه صلاح لنا و لکم.

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت، و أمره عمرو أن یکون

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۳۱

مکلم القوم و أن لا یجیبهم إلی شیء دعوه إلیه إلا إلی إحدی هذه الخصال الثلاث.

و کان عبادة أسود طویلا. یقول ابن غفیر: أدرک الإسلام من العرب عشرة، طول کل رجل منهم عشرة أشبار، أحدهم عبادة بن الصامت. فلما رکبوا السفن إلی المقوقس و دخلوا علیه تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده، فقال: نحّوا عنی هذا الأسود، و قدموا غیره یکلمنی. فقالوا جمیعا: إن هذا الأسود أفضلنا رأیا و علما، و هو سیدنا و خیرنا و المقدم علینا، و إنما نرجع جمیعا إلی قوله و رأیه، و قد أمره الأمیر دوننا بما أمره به، و أمرنا أن لا نخالفه.

قال: و کیف رضیتم أن یکون هذا الأسود أفضلکم، و إنما ینبغی أن یکون دونکم؟.

قالوا: کلا، إنه و إن کان أسود کما تری، فإنه من أفضلنا موضعا، و أفضلنا سابقة و عقلا و رأیا، و لیس ینکر السواد فینا.

فقال له المقوقس: تقدم یا أسود و کلمنی برفق فإنی أهاب سوادک، و إن اشتد کلامک علیّ ازددت لذلک هیبة.

فتقدم إلیه عبادة فقال: قد سمعت مقالتک، و إن فیمن خلفت من أصحابی ألف رجل کلهم أشد سوادا منی و أفظع منظرا، و لو رأیتهم لکنت أهیب لهم منک لی، و أنا قد ولیت و أدبر شبابی، و إنی مع ذلک، بحمد الله، ما أهاب مائة رجل من عدوی و لو استقبلونی جمیعا، و کذلک أصحابی، و ذلک أنا إنما رغبتنا و همتنا الجهاد فی الله و اتباع رضوانه، و لیس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة فی دنیا، و لا طلبا للاستکثار منها، إلا أن الله، عز و جل، قد أحل لنا ذلک، و جعل ما غنمنا منه حلالا، و ما یبالی أحدنا أ کان له قنطار من

الذهب أم كان لا يملك إلا درهما؛ لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته لليله و نهاره، و شملة يلتحفها، فإن كان أحدنا لا ـ يملك إلا ـ ذلك كفاه، و إن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله تعالى و اقتصر على هذا الذى يتبلغ به ما كان فى الدنيا؛ لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم و رخاءها ليس برخاء، إنما النعيم و الرخاء فى الآخرة، و بذلك أمرنا ربنا، و أمرنا به نبينا، و عهد إلينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته، و يستر عورته، و تكون همته و شغله فى رضى ربه و جهاده عدوه.

فلما سمع المقوقس كلامه قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط؟ لقد هبت منظره، و إن قوله لأهيب عندى من منظره، و إن هذا و أصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض، ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها. ثم أقبل على عبادة فقال: أيها

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۳۲

الرجل قد سمعت مقالتك و ما ذكرت عنك و عن أصحابك، و لعمرى ما بلغتم إلا بما ذكرت، و ما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا بحبهم الدنيا و رغبتهم فيها، و قد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده، قوم يعرفون بالنجدة و الشدة، لا يبالى أحدهم من لقى و لا ـ من قاتل، و إنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم، و لن تطيقونهم لضعفكم و قلتكم و قد أقمتم بين أظهرنا أشهرا و أنتم فى ضيق و شدة من معاشكم و حالكم، و نحن نرق عليكم لضعفكم و قلتكم و قلة ما بأيديكم، و نحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين، و لأميركم مائة دينار، و لخليفتكم ألف دينار، فتقبضوها و تنصرفوا إلى بلادكم، قبل أن يغشاكم ما لا قبل لكم به.

فقال عبادة بن الصامت: يا هذا لا تغرن نفسك و لا أصحابك، أما ما تخوفنا به من جمع الروم و عددهم و كثرتهم، و أنا لا نقوى عليهم، فلعمرى ما هذا بالذى يخوفنا، و لا بالذى يكسرنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقا فذلك و الله أرغب ما يكون فى قتالكم، و أشد لحرصنا عليكم؛ لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه، و إن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا فى رضوانه و جنته، و ما من شىء أقر لأعيننا و لا أحب إلينا من ذلك، و إنا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين: إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، و إنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا، و إن الله عز و جل قال لنا فى كتابه: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة: ۲۴۹]، و ما منا من رجل إلا و هو يدعو ربه صباحا و مساء أن يرزقه الله الشهادة و ألا يرده إلى بلاده و لا إلى أرضه و لا إلى أهله و ولده، و ليس لأحد منا همّ فيما خلفه، و قد استودع كل واحد منا ربه فى أهله و ولده، و إنما همنا ما أمامنا، و أما قولك: إنا فى ضيق و شدة من معاشنا و حالنا، فنحن فى أوسع السعة، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه، فانظر الذى تريد فبينه لنا، فليس بيننا و بينك خصلة نقبلها منك و لا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث، فاختر أيها شئت و لا تطمع نفسك بالباطل، بذلك أمرنى الأمير، و به أمره أمير المؤمنين، و هو عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من قبل إلينا: إما أجبتم إلى الإسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل الله غيره، و هو دين أنبيائه و رسله و ملائكته، أمرنا أن نقاتل من خالفه و رغب عنه حتى يدخل فيه، فإن فعل كان له ما لنا و عليه ما علينا، و كان أخانا فى دين الله، فإن قبلت ذلك أنت و أصحابك فقد سعدتم فى الدنيا و الآخرة، و رجعنا عن قتالكم، و لم نستحل أذاكم و لا التعرض لكم، و إن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد و أنتم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۳۳

صاغرون، نعاملكم على شىء نرضى به نحن و أنتم فى كل عام أبدا ما بقينا و بقيتم، و نقاتل عنكم من ناوأكم و عرض لكم فى شىء من أرضكم و دمائكم و أموالكم، و نقوم بذلك عنكم إذ كنتم فى ذمتنا، و كان لكم به عهد علينا، و إن أبيتم فليس بيننا و بينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم. هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به، و لا يجوز لنا فيما بيننا و بينكم غيره، فانظروا لأنفسكم.

فقال له المقوقس: هذا ما لا يكون أبدا، ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيدا ما كانت الدنيا!

فقال له عبادة: هو ذلک فاختر ما شئت!.

فقال له المقوقس: أ فلا تجیبوننا إلی خصلة غیر هذه الخصال الثلاث؟.

فرفع عبادة یدیه فقال: لا- و رب هذه السماء، و رب هذه الأرض، و ربنا، و رب کل شیء، ما لکم عندنا خصلة غیرها، فاختاروا لأنفسکم.

فالتفت المقوقس عند ذلک إلی أصحابه، فقال: قد فرغ القوم، فما ذا ترون؟.

فقالوا: أو یرضی أحد بهذا الذل؟ أما ما أرادوا من دخولنا فی دینهم فهذا ما لا یکون أبدا، أن نترک دین المسیح ابن مریم و ندخل فی دین غیره لا- نعرفه، و أما ما أرادوا أن یسبونا و یجعلونا عبیدا فالموت أیسر من ذلک، لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطیناهم مرارا کان أهون علینا.

فقال المقوقس لعبادة: قد أتی القوم «۱» فما تری؟ فراجع أصحابک «۲» علی أن نعطیکم فی مرتکم هذه ما تمنیتم و تنصرفوا.

فقام عبادة و أصحابه، فقال المقوقس عند ذلک لمن حوله: أطیعونی و أجیبوا القوم إلی خصلة من هذه الثلاث، فو الله ما لکم بهم طاقة، و لئن لم تجیبوا إلیها طائعین لتجیبنهم إلی ما هو أعظم کارهین.

فقالوا: و أی خصلة نجیبهم إلیها؟.

قال: أنا أخبرکم، أما دخولکم فی غیر دینکم فلا آمرکم به، و أما قتالکم فأنا أعلم أنکم لن تقووا علیهم، و لن تصبروا صبرهم، و لا بد من الثالثة.

---

(۱) فی ابن عبد الحکم: قد أبی القوم.

(۲) فی ابن عبد الحکم: صاحبک.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۳۴

قالوا: فنکون لهم عبیدا أبدا؟.

قال: نعم، أن تکونوا عبیدا منبسطین «۱» فی بلادکم، آمنین علی أنفسکم و أموالکم و ذراریکم، خیر لکم من أن تموتوا من آخرکم، أو تکونوا عبیدا تباعون و تمزقون فی البلاد مستعبدین أبدا أنتم و أهلکم و ذراریکم.

قالوا: فالموت أهون علینا، و أمروا بقطع الجسر من الفسطاط و الجزیرة، و بالقصر من القبط و الروم جمع کثیر.

فألح المسلمون عند ذلک بالقتال علی من فی القصر، حتی ظفروا بهم و أمکن الله منهم، فقتل منهم خلق کثیر، و أسر من أسر، و انحازت السفن کلها إلی الجزیرة، و صار المسلمون قد أحدق بهم الماء من کل جهة لا یقدرون علی أن یتقدموا نحو الصعید و لا إلی غیر ذلک من المدائن و القری، و المقوقس یقول لأصحابه: أ لم أعلمکم هذا و أخفه علیکم؟ ما تنتظرون، فو الله لتجیبن إلی ما أرادوا طوعا أو لتجیبنهم إلی ما هو أعظم کرها، فأطیعونی من قبل أن تندموا.

فلما رأوا منهم ما رأوا، و قال لهم المقوقس ما قال، أذعنوا بالجزیة، و رضوا بها علی صلح یکون بینهم یعرفونه.

فأرسل المقوقس إلی عمرو بن العاص: أنی لم أزل حریصا علی إجابتک إلی خصلة من الخصال التی أرسلت إلیّ بها فأبی ذلک علیّ من حضرنی من الروم و القبط، فلم یکن لی أن أفتات علیهم فی أموالهم، و قد عرفوا نصحی لهم و حبی صلاحهم فرجعوا إلی قولی، فأعطنی أمانا أجتمع أنا و أنت، أنا فی نفر من أصحابی، و أنت فی نفر من أصحابک، فإن استقام الأمر بیننا تم ذلک لنا جمیعا، و إن لم یتم رجعنا إلی ما کنا علیه.

فاستشار عمرو أصحابه فی ذلک، فقالوا: لا نجیبهم إلی شیء من الصلح و لا الجزیة حتی یفتح الله علینا، و تصیر کلها لنا فیئا و غنیمة کما صار لنا القصر و ما فیه.

فقال عمرو: قد علمتم ما عهد إلىّ أمير المؤمنين فى عهده، فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التى عهد إلىّ فيها أجبتم إليها و قبلت منهم، مع ما قد حال هذا الماء بيننا و بين ما نريد من قتالهم.

فاجتمعوا على عهد بينهم، و اصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها

---

(۱) فى ابن عبد الحكم: مسلطين.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۳۵

و أسفلها من القبط دينارين دينارين، على كل نفس، شريفهم و وضيعهم، و من بلغ الحلم منهم، و ليس على الشيخ الفانى، و لا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم، و لا على النساء شىء. و على أن للمسلمين عليهم النزل بجماعتهم حيث نزلوا، و من نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم، و أن لهم أرضهم و أموالهم لا يعرض لهم فى شىء منها، فشرط هذا كله على القبط خاصة.

و أحصوا عدد القبط من بلغ منهم الجزية و من فرض عليهم الديناران. رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة، فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها و أسفلها من جميع القبط أكثر من ستة آلاف ألف نفس، فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار فى كل سنة.

و عن يحيى بن ميمون الحضرمى قال: لما فتح عمرو بن العاص مصر صالح عن جميع ما فيها من رجال القبط، ممن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك، ليس فيهم امرأة و لا شيخ و لا صبى، فأحصوا بذلك على دينارين دينارين، فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف.

و فى الحديث المتقدم الطويل: أن المقوقس شرط للروم أن يخيروا، فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام لازما له ذلك مفترضا عليه، مما أقام بالإسكندرية و ما حولها من أرض مصر كلها، و من أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج، و على أن للمقوقس الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل، فإن قبل ذلك و رضيه جاز عليهم و إلا كانوا جميعا على ما كانوا عليه.

و كتب المقوقس إلى ملك الروم يعلمه بالأمر على وجهه، فكتب إليه ملك الروم يقبح رأيه و يعجزه، و يرد عليه ما فعل و يقول فى كتابه:

إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفا، و بمصر من عدد القبط ما لا يحصى، فإن كان القبط كرهوا القتال و أحبوا أداء الجزية إلى العرب و اختاروهم علينا فإن عندك بمصر من الروم و بالإسكندرية و من معك أكثر من مائة ألف، معهم العدة و القوة، و العرب و حالهم و ضعفهم على ما قد رأيت، فعجزت عن قتالهم، و رضيت أن تكون أنت و من معك من الروم أذلاء فى حال القبط، ألا قاتلتهم أنت و من معك من الروم حتى تموت أو تظفر عليهم، فإنهم فيكم على قدر كثرتكم و قوتكم و على قدر قلتهم و ضعفهم كأكلة، فناهضهم القتال و لا يكن لك رأى غير ذلك.

و كتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا إلى جماعة الروم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۳۶

فقال المقوقس لما أتاه كتابه: و الله إنهم على قلتهم و ضعفهم أقوى و أشد منا على كثرتنا و قوتنا، إن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا، و ذلك أنهم قوم الموت أحب إليهم من الحياة، يقاتل الرجل منهم و هو مستقتل، يتمنى أن لا يرجع إلى أهله و لا بلده، و لا ولده، و يرون أن لهم أجرا عظيما فيمن قتلوا منا، و يقولون إنهم إن قتلوا دخلوا الجنة، و ليس لهم رغبة فى الدنيا و لا لذة إلا قدر بلغة العيش من الطعام و اللباس، و نحن قوم نكره الموت و نحب الحياة و لذتها، فكيف نستقيم نحن و هؤلاء، و كيف صبرنا معهم، و اعلموا معشر الروم أنى و الله لا أخرج مما دخلت فيه و صالحت العرب عليه، و أنى لأعلم أنكم سترجعون غدا إلى قولى و رأيى، و

تتمنون أن لو كنتم أطعمتونى، و ذلك أنى قد عانيت و رأيت و عرفت ما لم يعاين الملك و لم يره و لم يعرفه، ويحكم أ ما يرضى أحدكم أن يكون آمنا فى دهره على نفسه و ماله و ولده بدينارين فى السنة؟.

ثم أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاص فقال له: إن الملك قد كره ما فعلت و عجزنى، و كتب إلىّ و إلى جماعة الروم أن لا نرضى بمصالحتك، أمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم، و لم أكن لأخرج مما دخلت فيه و عاقدتك عليه، و إنما سلطانى على نفسى و من أطاعنى، و قد تم صلح القبط فيما بينك و بينهم، و لم يأت من قبلهم نقض و أنا متم لك على نفسى، و القبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه و عاهدتهم، و أما الروم فأنا منهم برىء، و أنا أطلب إليك أن تعطينى ثلاث خصال.

قال عمرو: و ما هن؟.

قال: لا ـ تنقض بالقبط، و أدخلنى معهم و ألزمنى ما لزمهم، فقد اجتمعت كلمتى و كلمتهم على ما عاهدتك عليه و هم متمون لك على ما تحب. و أما الثانية: إن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئا و عبيدا، فإنهم أهل لذلك؛ لأنى نصحتهم فاستغشونى، و نظرت لهم فاتهمونى. و أما الثالثة: أطلب إليك أن إذا مت أن تأمرهم يدفنونى فى أبى يحنس بالإسكندرية.

فأنعم له عمرو بن العاص بذلك و أجابه إلى ما طلب، على أن يضمنوا له الجسرين جميعا، و يقيموا لهم الأنزال و الضيافة و الأسواق و الجسور ما بين الفسطاط إلى الإسكندرية، ففعلوا.

و يقال: إن المقوقس إنما صالح عمرو بن العاص على الروم و هو محاصر الإسكندرية، و بعد أن حصر أهلها ثلاثة أشهر و ألح عليهم و خافوه، فسأله المقوقس الصلح عنهم، كما

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۳۷

صالحه على القبط، على أن يستنظر رأى الملك و على أن يسير من الروم من أراد المسير، و يقر من أراد الإقامة، فأنكر ذلك هرقل لما بلغه أشد الإنكار، و تسخط أشد التسخط، و بعث الجيوش، فأغلقوا الإسكندرية و آذنوا عمرو بن العاص بالحرب، فخرج إليه المقوقس فقال: أسألك ثلاثا، و ذكر نحو ما تقدم، و زاد أن عمرا قال فى الثالثة التى هى أن يدفن فى أبى يحنس: هذه أهونهن علينا.

ثم رجع إلى الحديث الأول، قال: فخرج عمرو بن العاص بالمسلمين حين أمكنهم الخروج، و خرج معه جماعة من رؤساء القبط قد أصلحوا لهم الطريق و أقاموا لهم الجسور و الأسواق، و صارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم، و سمعت بذلك الروم فاستعدت و استجاشت، و قدمت عليهم مراكب كثيرة من أرض الروم، فيها جمع من الروم كثير بالعدة و السلاح، فخرج إليهم عمرو بن العاص من الفسطاط متوجها نحو الإسكندرية، فلم يلق منهم أحدا حتى بلغ ترنوط «۱»، فلقى فيها طائفة من الروم فقاتلوه قتالا خفيفا فهزمهم الله، و مضى عمرو بمن معه حتى لقى جمع الروم بكوم شريك، فاقتتلوا به ثلاثة أيام ثم فتح الله للمسلمين و ولى الروم أكتافهم.

و يقال: بل أرسل عمرو بن العاص، شريك بن سمى فى آثارهم، فأدركهم عند الكوم الذى يقال له كوم شريك، فقاتلهم شريك فهزمهم.

و يقال: بل لقيهم فألجئوه إلى الكوم فاعتصم به، و أحاطت به الروم، فلما رأى ذلك شريك أمر أبا ناعمة الصدفى «۲»، و هو صاحب الفرس الأشقر الذى يقال له: أشقر صدف، و كان لا ـ يجارى، فانحط عليهم من الكوم، و طلبته الروم فلم تدركه، حتى أتى عمرا فأخبره، فأقبل عمرو نحوه. و سمعت به الروم فانصرفت، و بهذا الفرس سميت خوخة الأشقر التى بمصر، و ذلك أنه نفق فدفنه صاحبه هناك، فسمى المكان به.

قال: ثم التقوا بسلطيس «۳» فاقتتلوا بها قتالا شديدا، فهزمهم الله، ثم التقوا بالكريون «۴» فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما.

---

(۱) ترنوط: قرية كانت بين مصر و الإسكندرية، أشار ياقوت إلى أنها قرية كبيرة جامعة على النيل، فيها أسواق و معاصر للسكر و

بساتین، و أکثر فواکه الإسکندریة منها. انظر: معجم البلدان (۲/ ۲۷).

(۲) هو: أبو ناعمة مالک بن ناعمة الصدفی.

(۳) سلطیس: قریة من قری مصر القدیمة، کان أهلها أعانوا علی عمرو بن العاص فسباهم. انظر: معجم البلدان (۳/ ۲۳۶).

(۴) کریون: موضع قرب الإسکندریة. انظر: معجم البلدان (۴/ ۴۵۸، ۴۵۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۳۸

و کـان عبـد الله بن عمرو علی المقدمـة، و حامل اللواء یومئـذ وردان مولی عمرو، فأصابت عبـد الله بن عمرو جراحات کثیرة، فقال: یا وردان لو تقهقرت قلیلاـ لنصیب الروح. فقـال وردان: الروح أمامـک و لیس هو خلفـک. فتقـدم عبـد الله، و جاء رسول أبیه یسأله عن جراحه، فأنشأ یقول:

أقول إذا ما النفس جاشت ألا أصبری‌علیک قلیلا تحمدی أو تلامی فرجع الرسول فأخبره بما قال. فقال عمرو: هو ابنی حقا.

و صلی یومئذ عمرو صلاة الخوف، فحدث شیخ صلاها معه بالإسکندریة: أنه صلی بکل طائفة رکعة و سجدتین.

قال: ثم فتح الله علی المسـلمین، و قتلوا من الروم مقتلة عظیمة، و اتبعوهم حتی بلغوا الإسـکندریة فتحصـنوا بها، و کانت علیهم حصون لا ترام، حصن دون حصن، فنزل المسلمون ما بین حلوة إلی قصر فارس إلی ما وراء ذلک، و معهم رؤساء القبط یمدونهم بما احتاجوا إلیه من الأطعمة و العلوفة، و رسل ملک الروم تختلف إلی الإسکندریة فی المراکب بمادة الروم.

و یروی أن عمرا أقام بحلوة شهرین ثم تحول إلی المقس، فخرجت علیه الخیل من ناحیة البحیرة حیث کانت مستترة بالحصن فواقعوه، فقتل من المسلمین یومئذ بکنیسة الذهب اثنا عشر رجلا، و لم یکن للروم کنائس أعظم من کنائس الإسکندریة، و إنما کان عید الروم حین غلبت العرب علی الشام بالإسـکندریة، فکان ملک الروم یعظم ظهور العرب علیها و یقول: لئن غلبوا علی الإسکندریة لقد هلکت الروم، و انقطع ملکها، و تجهز للخروج إلیها لیباشر قتالها بنفسه إعظاما لها، و أمر أن لا یتخلف عنه أحد من الروم، و قال: ما بقاء الروم بعد الإسـکندریة؟ فلما فرغ من جهازه صـرعه الله فأماته و کفی المسـلمین مئونته. و کان موته فی سـنة تسع عشرة، و قیل: سنة عشرین، فکسر الله بموته شوکة الروم.

و رجع جمع کبیر ممن کان قد توجه إلی الإسکندریة، و استأسدت العرب عند ذلک و ألحت بالقتال علی أهل الإسکندریة، فقاتلوهم قتالاـ شدیـدا، و خرج طرف من الروم من بـاب حصـنها فحملـوا علی النـاس و قتلـوا رجلاـ من مهرة فـاحتزوا رأسه و انطلقوا به، فجعل المهریون یتغضـبون و یقولون: لاـ نـدفنه أبـدا إلاـ برأسه. فقـال عمرو بن العاص: تتغضـبون کأنکم تتغضبون علی من یبالی بغضـبکم، احملوا علی القوم إذا خرجوا فاقتلوا رجلا منهم

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۳۹

و ارموا برأسه یرموا برأس صـاحبکم، فخرجت الروم علیهم فـاقتتلوا، فقتـل رجـل من بطارقـة الروم، فـاحتزوا رأسه، فرموا به إلی الروم، فرمت الروم برأس المهری إلیهم، فقال:

دونکم الآن فادفنوا صاحبکم.

و کـان عمرو بن العاص یقول: ثلاث قبائل فی مصـر: أما مهرة فقوم یقتلون و لا یقتلون، و أما غافق فقوم یقتلون و لا یقتلون، و أما بلی فأکثرها رجلا صحب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و أفضلها فارسا.

و قاتل عمر بن العاص الروم بالإسـکندریة یوما من الأیام قتالا شدیدا، فلما اسـتحر القتال بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد فصرعه الرومی، و ألقاه عن فرسه، و أهوی إلیه بسیفه لیقتله حتی حماه رجل من أصحابه. و کان مسلمة لا یقام بسبیله و لکنها مقادیر، ففرحت بذلک الروم و شق ذلک علی المسلمین، و غضب عمرو بن العاص فقال:

و كان مسلمة كثير اللحم ثقيل البدن: ما بال الرجل المسبّه «١» الذى يشبه النساء يتعرض فيداخل الرجال و يتشبه بهم؟ فغضب مسلمة و لم يراجعه، ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الإسكندرية فقاتلهم العرب فى الحصن، ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعا من الحصن إلا أربعة نفر فيهم عمرو بن العاص و مسلمة بن مخلد، أغلق الروم عليهم باب الحصن و حالوا بينهم و بين أصحابهم و لا يدرون من هم.

فلما رأى ذلك عمرو و أصحابه لجئوا إلى ديماس من حماماتهم فتحرزوا به فأمرت الروم روميا فكلمهم بالعربية فقال لهم: إنكم قد صرتم بأيدينا أسارى فاستأسروا و لا تقتلوا أنفسكم فامتنعوا ثم قال لهم: إن فى أيدى أصحابكم منا رجالا أسروهم و نحن نعطيكم العهود أن نفادى بكم أصحابنا و لا نقتلكم، فأبوا عليهم.

فلما رأى الرومى ذلك منهم قال لهم: هل لكم إلى خصلة و هى نصف فيما بيننا و بينكم: أن تعطونا العهد و نعطيكم مثله على أن يبرز منكم رجل و منا رجل، فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا، و أمكنتمونا من أنفسكم، و إن غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم إلى أصحابكم. فرضوا بذلك و تعاهدوا عليه، فبرز رجل من الروم قد وثقت الروم بنجدته و شدته، و قالوا لعمرو و أصحابه و هم فى الديماس ليبرز رجل منكم لصاحبنا فأراد عمرو أن يبرز فمنعه مسلمة و قال: يا هذا تخطئ مرتين، تشذ من

---

(١) السبه: محركه، ذهاب العقل من الهرم. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادىّ (۴/ ٢٨۴). لسان العرب لابن منظور (٣/ ١٩٣٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج٢، ص: ٣۴٠

أصحابك و أنت أميرهم و إنما قوامهم بك و قلوبهم معلقة نحوك لا يدرون ما أمرك، ثم لا ترضى حتى تبارز و تتعرض للقتل، فإن قتلت كان ذلك بلاء على أصحابك؟ مكانك و أنا أكفيك إن شاء الله! قال عمرو: دونك فربما فرجها الله بك، فبرز مسلمة و الرومى فتجاولا ساعة ثم أعانه الله عليه فقتله، فكبر مسلمة و أصحابه، و وفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه، ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا و لا تدرى الروم أن أمير القوم فيهم، حتى بلغهم ذلك فأسفوا و أكلوا أيديهم تغيظا على ما فاتهم، فلما خرجوا استحيا عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب، و سأله أن يستغفر له، ففعل مسلمة و قال عمرو: و الله ما أفحشت قط إلا ثلاث مرات، مرتين فى الجاهلية و هذه الثالثة، و ما منها مرة إلا و قد ندمت و استحييت و ما استحييت من واحدة منهن أشد مما استحييت مما قلت لك و الله إنى لأرجو أن لا أعود إلى الرابعة ما بقيت.

قال ابن لهيعة: و أخبرنى بعض أشياخنا أن عبد العزيز بن مروان لما قدم الإسكندرية سنة ثمانين سأل: هل بقى بالإسكندرية أحد ممن أدرك فتحها؟ فأتوه بشيخ من الروم من أكابر أهل الإسكندرية يومئذ فأعلموه أنه أدرك فتحها و هو رجل، فسأله عن أعجب ما رأى يومئذ من المسلمين. فقال: أخبرك أيها الأمير أنه كان لى صديق من أبناء بطارقة الروم يومئذ منقطع إلىّ، و أنه أتانى فسألنى أن أركب معه حتى ننظر إلى المسلمين و إلى حالهم و هيئتهم، و هم إذ ذاك محاصرون الإسكندرية، فخرجت معه و هو على برذون له كثير اللحم و أنا على برذون خفيف، فلما خرجنا من الحصن الثالث وقفنا على كوم مشرف ننظر إلى العرب، و إذا هم فى خيام لهم و على باب كل خيمة فرس واقف و رمح مركوز، و رأينا قوما ضعفاء فعجبنا من ضعفهم، و قلنا: كيف بلغ هؤلاء القوم ما بلغوا؟

فبينا نحن وقوف ننظر إليهم و نعجب إذ خرج رجل منهم من بعض تلك الخيام، فلما نظر إلينا اختلع رمحه و وثب على ظهر فرسه ثم أقبل نحونا، فقلت لصاحبى: و الله إنه ليريدنا! فلما رأيناه مقبلا إلينا لا يريد غيرنا ولينا هاربين، فما كان بأوشك من أن أدرك صاحبى فطعنه بالرمح فصرعه، ثم تركه صريعا و أقبل فى أثرى و أنا خائف أن لا أفلت منه حتى دخلت الحصن الأول فنجوت منه، ثم صعدت الحصن لأبصر ما يفعل، فرجع و هو يتكلم بكلام يرفع به صوته، فظننت أنه يقرأ، ثم مضى حتى اعترض برذون صاحبى فأخذه و رجع إلى صاحبى و هو صريع فأخذ سيفه و ترك سلبه فلم يأخذه تهاونا به، و كانت ثيابه ديباجا كلها، فلم يأخذها و لم ينزعها عنه.

فقال عبد العزيز بن مروان للشيخ الرومى: صف لى ذلك الرجل و شبهه ببعض من

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۴۱

عندى. فأشار إلى رجل مخفف كوسج «۱» فقال: هو يشبه هذا. قال عبد العزيز: نخبرك أنه يمان «۲».

و أقام عمرو يحاصر الإسكندرية أشهرا، فقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، لما بلغه ذلك: ما أبطئوا بفتحها إلا لما أحدثوا.

و قال أسلم مولى عمر: لما أبطأ على عمر فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص:

أما بعد، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، أنكم تقاتلونها منذ سنين، و ما ذاك إلا لما أحدثتم و أحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، و إن الله، تبارك و تعالى، لا ينصر قوما إلا بصدق نياتهم، و قد كنت وجهت إليك أربعة نفر، و أعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف، إلا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم، فإذا أتاك كتابى هذا فاخطب الناس و حضهم على قتال عدوهم، و رغبهم فى الصبر و النية، و قدم أولئك النفر الأربعة فى صدور الناس، و مر الناس جميعا أن تكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد، و ليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فإنها ساعة تنزل الرحمة و وقت الإجابة، و ليضج الناس إلى الله و يسألوه النصر على عدوهم.

فلما أتى عمرا الكتاب جمع الناس و قرأه عليهم، ثم دعا أولئك النفر فقدمهم أمام الناس، و أمر الناس أن يتطهروا و يصلوا ركعتين، ثم يرغبوا إلى الله و يسألوه النصر، ففعلوا، ففتح الله عليهم.

و يقال إن عمرو بن العاص استشار مسلمة بن مخلد فقال له: أشر علىّ فى قتال هؤلاء. فقال له مسلمة: أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة و تجارب من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فتعقد له على الناس، فيكون هو الذى يباشر القتال و يكفيكه. قال عمرو: و من ذلك؟ قال: عبادة بن الصامت. فدعا عمرو عبادة، فأتاه و هو راكب على فرسه، فلما دنا منه أراد النزول، فقال له عمرو: عزمت عليك أن لا ـ تنزل، ناولنى سنام رمحك، فناوله إياه، فنزع عمرو عمامته عن رأسه و عقد له و ولاه القتال، فتقدم عبادة مكانه فصاف الروم و قاتلهم، ففتح الله على يديه الإسكندرية فى يومه ذلك.

و يروى أن عمرو بن العاص قال و قد أبطأ عليه الفتح، فاستلقى على ظهره ثم جلس

(۱) الكوسج: أى الناقص الأسنان، و البطىء من البراذين. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادىّ (۱/ ۲۰۴).

(۲) فى ابن عبد الحكم: «... قال عبد العزيز عند ذلك: إنه ليصف صفة رجل يمانى».

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۴۲

فقال: إنى فكرت فى هذا الأمر فإذا هو لا يصلح آخره إلا من أصلح أوله، يريد الأنصار، فدعا عبادة بن الصامت فعقد له، ففتح الله الإسكندرية على يديه من يومه ذلك.

و قال جنادة بن أبى أمية «۱»: دعانى عبادة بن الصامت يوم الإسكندرية و كان على قتالها، فأغار العدو على طائفة من الناس و لم يأذن بقتالهم، فبعثنى أحجز بينهم، فأتيتهم فحجزت بينهم ثم رجعت إليه، فقال: أقتل أحد من الناس؟ قلت: لا. قال: الحمد لله الذى لم يقتل أحد منهم عاصيا.

قالوا: و كان فتح الإسكندرية يوم الجمعة مستهل شهر المحرم من سنة عشرين.

و لما هزم الله الروم و فتحت الإسكندرية و هرب الروم فى البحر و البر، خلف عمرو ابن العاص بالإسكندرية من أصحابه ألف رجل، و مضى فى طلب من هرب فى البر من الروم، فرجع من كان هرب منهم فى البحر إلى الإسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من هرب.

و بلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعا ففتحها، و أقام بها، و كتب إلى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، أن الله قد فتح علينا الإسكندرية عنوة بغير عقد و لا عهد، فكتب إليه عمر يقبح رأيه و يأمره ألا يجاوزها.

قال ابن لهيعة: و هذا هو فتح الإسكندرية الثانى، و كان سبب فتحها أن بوابا يقال له: ابن بسامة سأل عمرا الأمان على نفسه و أرضه و

أهل بيته و يفتح له الباب، فأجابه عمرو إلى ذلك و فتح له ابن بسامة الباب، فدخل عمرو من ناحية قنطرة سليمان، و كان مدخله الأول من الباب الذى من ناحية كنيسة الذهب.

و قد روى ابن لهيعة، أيضا، عن يزيد بن أبى حبيب أن فتحها الأول كان سنة إحدى و عشرين ثم انتقضوا سنة خمس و عشرين.

و جاءت الروم عليهم منويل الخصى، بعثه هرقل فى المراكب حتى أرسوا بالإسكندرية

---

(١) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (١٢٠٤)، أسد الغابة ترجمة رقم (٧٨٩)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٣٩)، طبقات خليفة ترجمة رقم (٢٩٠٥)، تاريخ البخارى (٢/ ١٣٢)، تاريخ خليفة (١٨٠)، مقدمة مسند بقى بن مخلد (١١٢)، التاريخ الكبير (٢/ ٢٣٢)، التاريخ الصغير (٧٢)، الجرح و التعديل (٢/ ٥١٥)، فتوح البلدان (٢٧٨)، تاريخ الثقات للعجلى (٩٩)، الثقات لابن حبان (٤/ ١٠٣)، مشتبه النسبة لعبد الغنى بن سعيد (٢٠٨).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٣٤٣

فأجابهم من بها من الروم، فخرج إليهم عمرو بن العاص فى البر و البحر، فقاتلهم قتالا شديدا، فهزمهم الله و قتل منويل، و لم يكن المقوقس تحرك و لا نكث.

و يقال: أن هذا انتقاض ثان للإسكندرية بعد انتقاضها الذى ذكره ابن لهيعة أولا و كان ذلك فى زمان عمر، و هذا الذى ذكر يزيد بن أبى حبيب فى خلافة عثمان، رضى الله عنهما، و سيأتى ذكره فى موضعه مستوفى إن شاء الله.

و قيل: إن جميع من قتل من المسلمين من حين كان من أمر الإسكندرية ما كان إلى أن فتحت اثنان و عشرون رجلا.

و بعث عمرو بن العاص، معاوية بن حديج «١» وافدا إلى عمر بن الخطاب يبشره بالفتح، فقال له معاوية: أ لا تكتب معى؟ فقال له عمرو: ما أصنع بالكتاب، أ لست رجلا عربيا تبلغ الرسالة و ما رأيت و حضرته؟.

فلما قدم على عمر أخبره بفتح الإسكندرية، فخر عمر ساجدا و قال: الحمد لله.

و يروى عن معاوية بن حديج أنه قال: قدمت المدينة فى الظهيرة فأنخت راحلتى بباب المسجد، ثم دخلت المسجد، فبينا أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب فرأتنى شاحبا علىّ ثياب السفر، فأتتنى فقالت: من أنت؟ فقلت: أنا معاوية بن حديج رسول عمرو بن العاص. فانصرفت عنى، ثم أقبلت تشتد، فقالت: قم فأجب أمير المؤمنين. فتبعتها، فلما دخلت إذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه فقال: ما عندك؟ فقلت:

خير يا أمير المؤمنين، فتح الله الإسكندرية، فخرج معى إلى المسجد فقال للمؤذن: أذن فى الناس الصلاة جامعة، فاجتمع الناس ثم قال لى: قم فأخبر أصحابك. فقمت فأخبرتهم، ثم صلى و دخل منزله و استقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال: يا جارية، هل من طعام؟ فأتت بخبز و زيت، فقال: كل، فأكلت على حياء، ثم قال: كل فإن المسافر يحب الطعام، فلو كنت آكلا لأكلت معك. فأصبت على حياء، ثم قال: يا جارية، هل من تمر؟ فأتت بتمر فى طبق، فقال: كل، فأكلت على حياء، ثم قال: ما ذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟ قال: قلت: أمير المؤمنين قائل «٢». قال: بئس ما قلت، أو بئس ما ظننت. لئن نمت بالنهار لأضيعن الرعية، و لئن نمت الليل لأضيعن نفسى، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟.

---

(١) انظر ترجمته فى: أسد الغابة ترجمة رقم (٤٩٨٠).

(٢) القائل: هو النائم فى وسط النهار. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادىّ (٤/ ٤٢).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٣٤٤

ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك إلى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه: أما بعد، فإنى فتحت مدينة لا أصف ما فيها، غير أنى أصبت

فیها أربعة آلاف منیة بأربعة آلاف حمام، و أربعین ألف یهودی علیهم الجزیة، و أربعمائة ملهی للملوک.

و عن أبی قبیل أن عمرو بن العاص لما فتح الإسکندریة وجد فیها اثنی عشر ألف بقال یبیعون البقل الأخضر.

و عن غیره «۱» أنه کان فیما أحصی من الحمامات اثنا عشر دیماسا أصغر دیماس منها یسع ألف مجلس، کل مجلس منها یسع جماعة نفر.

قال: و ترحل من الإسکندریة فی اللیلة التی دخلها عمرو بن العاص أو اللیلة التی خافوا دخوله سبعون ألف یهودی، و کان عدة من بالإسکندریة من الروم مائتی ألف من الرجال، فلحق بأرض الروم أهل القوة و رکبوا السفن، و کان بها مائة مرکب من المراکب الکبار یحمل فیها ثلاثون ألف بما قدروا علیه من المال و المتاع و الأهل، و بقی من بقی ممن یؤدی الخراج، فأحصوا یومئذ ستمائة ألف سوی النساء و الصبیان.

و اختلف الناس علی عمرو فی قسمهم، و کان أکثرهم یریدون القسم، فقال عمرو:

لا- أقدر علی ذلک حتی أکتب إلی أمیر المؤمنین، فکتب إلیه فی ذلک، فکتب إلیه عمر، رضی الله عنه: لا تقسمها، و ذرهم یکون خراجهم فیئا للمسلمین و قوة لهم علی جهاد عدوهم.

فأقرها عمرو و أحصی أهلها و فرض علیهم الخراج، فکانت مصر صالحا کلها بفریضة دینارین دینارین علی کل رجل، لا یزاد علی أحد منهم فی جزیة رأسه علی دینارین، غیر أنه یلزم بقدر ما یتوسع فیه من الأرض و الزرع، إلا الإسکندریة فإنهم کانوا یؤدون الخراج و الجزیة علی قدر ما یری من ولیهم؛ لأن الإسکندریة فتحت عنوة لغیر عهد و لا عقد، و لم یکن لهم صلح و لا ذمة.

و یقال: إن مصر کلها فتحت عنوة بغیر عهد و لا عقد.

قال سفیان بن وهب الخولانی «۲»: لما فتحنا مصر بغیر عهد قام الزبیر بن العوام فقال:

اقسمها یا عمرو. فقال: لا أقسمها. فقال الزبیر: و الله لتقسمنها کما قسم رسول الله

---

(۱) هو: حسین بن شفی بن عبید.

(۲) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۳۳۴۳)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۱۲۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۴۵

صلی اللّه علیه و سلم خیبر. فقال عمرو: و الله لا أقسمها حتی أکتب إلی أمیر المؤمنین. فکتب إلیه فأجابه:

أقرها حتی یغدو «۱» منها حبل الحبلة.

و فی حدیث آخر: أن الزبیر صولح علی شیء أرضی به.

و حدث أبو قنان «۲»، عن أبیه أنه سمع عمرو بن العاص یقول، یعنی بمصر: لقد قعدت مقعدی هذا و ما لأحد من قبط مصر علیّ عهد و لا عقد، إن شئت قتلت، و إن شئت حبست، و إن شئت بعت.

و یروی عن ربیعة نحو ما تقدم من فتح مصر بغیر عهد، و أن عمر بن الخطاب حبس درها و صرها أن یخرج منه شیء نظیرا للإسلام و أهله.

و قال زید بن أسلم «۳»: کان لعمر بن الخطاب، رضی الله عنه، تابوت فیه کل عهد کان بینه و بین أحد ممن عاهده، فلم یوجد فیه لأهل مصر عهد.

و یروی أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال للقبط: إن من کتمنی کنزا عنده فقدرت علیه قتلته. فذکر لعمرو أن قبطیا «۴» من أهل الصعید یقال له: بطرس عنده کنز، فأرسل إلیه فسأله، فأنکر، فحبسه عمرو، و سأل: هل تسمعونه یسأل عن أحد؟ فقالوا:

سمعناه یسأل عن راهب بالطور، فأخذ خاتم بطرس و کتب علی لسانه بالرومیة إلی ذلک الراهب: أن ابعث إلیّ بما عندک، و ختم

بخاتمه، فجاء الرسول من عند الراهب بقلة شامية مختومة بالرصاص، فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها: يا بنى، إن أردتم ما لكم فافتحوا تحت الفسقية الكبيرة. فأرسل عمرو إلى الفسقية فحبس عنها الماء، و قلع البلاط الذى تحتها، فوجد فيها اثنين و خمسين أردبا ذهبا مضروبة، فضرب عمرو رأس القبطى عند باب المسجد، فأخرج القبط كنوزهم خشية أن يقتلوا.

و روى يزيد بن أبى حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبطى كان يظهر الروم على عورات المسلمين و يكتب إليهم بذلك، فاستخرج منه بضعة و خمسين أردبا دنانير.

و قال ابن شهاب: كان فتح مصر بعضها بعهد و ذمة و بعضها عنوة. فجعل عمر بن

---

(١) فى ابن عبد الحكم: يغزو.

(٢) هو: أيوب بن أبى العالية.

(٣) انظر ترجمته فى: الجرح و التعديل (٣/ ٢٥٠٩)، الإصابة ترجمة رقم (٢٨٨٣)، أسد الغابة ترجمة رقم (١٨٢١).

(۴) فى ابن عبد الحكم: نبطيا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٣۴۶

الخطاب جميعها ذمة، و حملهم على ذلك، فجرى ذلك فيهم إلى اليوم.

و فى كتاب سيف عمن سمى من أشياخه «١» فى فتح مصر مساق آخر غير ما تقدم، و ذلك أن عمرو بن العاص خرج إلى مصر بعد ما رجع عمر إلى المدينة، يعنى رجوعه من الشام، فانتهى عمرو إلى باب مصر، و أتبعه الزبير فاجتمعا، فلقيهم هناك أبو مريم جاثليق «٢» مصر و معه الأسقف فى أهل النيات، بعثهم المقوقس لمنع بلادهم.

فلما نزل بهم عمرو قاتلوه، فأرسل إليهم عمرو: لا تعجلونا لنعذر إليكم، و تروا رأيكم بعد، فكفوا أصحابهم، فأرسل إليهم عمرو: إنى بارز فليبرز لى أبو مريم و أبو مريام، فأجابوه إلى ذلك و آمن بعضهم بعضا. فقال لهما عمرو: أنتما راهبا أهل هذه البلدة فاسمعا: إن الله بعث محمدا بالحق و أمره به، و أمرنا به محمد، و أدى إلينا كل الذى أمر به، ثم مضى، صلوات الله عليه، و قد قضى الذى عليه و تركنا على الواضحة، و كان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه قبلنا منه و كان مثلنا، و من لم يجبنا إليه عرضنا عليه الجزية، و بذلنا له المنعة، و قد أعلمنا أنا مفتتحوكم، و أوصانا بكم حفظا لرحمنا فيكم، و إن لكم إن أجبتمونا إلى ذلك ذمة إلى ذمة، و مما عهد إلينا أميرنا: استوصوا بالقبطيين خيرا، فإن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أوصى بالقبطيين خيرا؛ لأن لهم رحما و ذمة، يعنى بالرحم أن هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام منهم، فقالا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء و أتباع الأنبياء، و ذكرا أن هاجر معروفة عندهم شريفة.

قالا: كانت ابنة ملكنا، و كان من أهل منف و الملك فيهم، فأذيل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم و سلبوا ملكهم و اغتربوا، فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام. مرحبا بكم و أهلا أمنا حتى نرجع إليك.

فقال عمرو: إن مثلى لا يخدع و لكننى أؤجلكما ثلاثا و لتناظرا قومكما، و إلا ناجرناكم.

قالا: زدنا، فزادهم يوما، فقالا: زدنا، فزادهم يوما، فرجعوا إلى المقوقس، فهم، يعنى بالإنابة إلى الجزية، فأبى أرطبون أن يجيبهما، و أمر بمناهدتهم، فقالا لأهل مصر: أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم، لا نرجع إليهم و قد بقيت أربعة أيام، فلا تصابون فيها بشىء

---

(١) انظر: تاريخ الرسل و الملوك للطبرى (۴/ ١٠٧، ١٠٨).

(٢) الجاثليق: رئيس النصارى فى ديار الإسلام.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٣۴٧

إلا رجونا أن يكون له أمان، فلم يفجأ عمرا و الزبير إلا البيات من فرقب، و عمرو و الزبير بعين شمس و بها جمعهم. و بعث إلى الفرما أبرهة بن الصباح، فنزل عليها، و بعث عوف ابن مالك إلى الإسكندرية فنزل عليها، فقال كل واحد منهما لأهل مدينته: إن شئتم أن تنزلوا فلكم الأمان. فقالوا: نعم، فراسلوها، و تربصوا بهم أهل عين شمس، و سبى المسلمون من بين ذلك.

و قال عوف بن مالك «۱»: ما أحسن مدينتكم يا أهل الإسكندرية فقالوا: إن الإسكندر قال: إنى أبنى مدينة إلى الله فقيرة، و عن الناس غنية، فبقيت بهجتها.

و قال أبرهة لأهل الفرما: ما أخلق مدينتكم يا أهل الفرما؟ قالوا: إن الفرما قال: إنى أبنى مدينة عن الله غنية، و إلى الناس فقيرة، فذهبت بهجتها.

قال الكلبى: كان الإسكندر و الفرما أخوين، ثم حدث بمثل ذلك، قال: فنسبتا إليهما، فالفرما يتهدم كل يوم فيها شىء، و أخلقت مرآتها، و بقيت جدة الإسكندرية.

قالوا: و لما نزل عمرو على القوم بعين شمس، و كان الملك بين القبط و النوب، و نزل معه الزبير عليها قال أهل مصر لملكهم: ما تريد إلى قوم فلوا كسرى و قيصر و غلبوهم على بلادهم، صالح القوم و اعتقد منهم، و لا تعرضنا لهم، و ذلك فى اليوم الرابع، فأبى، و ناهدوهم فقاتلوهم، و ارتقى الزبير سورها، فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو، و خرجوا إليه مصالحين، فقبل منهم، و نزل الزبير عليهم عنوة، حتى خرج على عمرو من الباب معهم، فاعتقدوا بعد ما أشرفوا على الهلكة فأجروا ما أخذوا عنوة مجرى ما صالحوا عليه، فصاروا ذمة:

و كان صلحهم:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم، و ملتهم، و أموالهم، و كنائسهم، و صلبهم، و بحرهم، و برهم، لا يدخل عليهم فى شىء من ذلك، و لا ينتقض، و لا يساكنهم النوب. و على أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح، و انتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف. و عليهم ما جنى لصوصهم، فإن أبى أحد أن يجيب رفع عنهم من الجزى بقدرهم، و ذمتنا من أبى بريئة.

---

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۶۱۱۶)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۱۳۰)، المعارف (۳۱۵)، الجرح و التعديل (۷/ ۱۳، ۱۴)، العبر (۱/ ۸۱)، تهذيب التهذيب (۸/ ۱۶۸)، شذرات الذهب (۱/ ۷۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۴۸

و إن نقص نهرهم من عادته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك، و من دخل فى صلحهم من الروم و النوب فله مثل ما لهم، و عليه مثل ما عليهم، و من أبى فاختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، أو يخرج من سلطاننا، عليهم ما عليهم أثلاثا فى كل ثلث، يريد من السنة، جباية ثلث ما عليهم، لهم على ما فى هذا الكتاب عهد الله و ذمة رسوله صلى اللّه عليه و سلم و ذمة الخليفة أمير المؤمنين و ذمم المؤمنين.

و على النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا و كذا رأسا، و كذا و كذا فرسا معونة، على أن لا يغزوا و لا يمنعوا من تجارة صادرة و لا واردة.

شهد الزبير، و عبد الله و محمد ابنا عمرو، و كتب وردان، و حضر فدخل فى ذلك أهل مصر كلهم، و قبلوا الصلح «۱».

فمصر عمرو الفسطاط، و نزله المسلمون، و ظهر أبو مريم و أبو مريام، فكلموا عمرا فى السبايا التى أصيبت بعد المعركة، فقال عمرو: أولهم عهد و عقد؟ أ لم نخالفكما و يغر علينا من يومكما؟ فطردهما، فرجعا و هما يقولان: كل شىء أصبتموه إلى أن نرجع إليكم ففى ذمة. فقال لهما عمرو: يغيرون علينا و هم فى ذمة؟ قالا: نعم. و قسم عمرو ذلك السبى على الناس، و توزعوه و وقع فى بلاد

العرب، و قدم البشیر إلی عمر بعد بالأخماس، و قدم الوفود، فسألهم عمر، فما زالوا یخبرونه حتی مروا بحدیث الجاثلیق و صاحبه، فقال عمر: أ لا- أراهما یبصران و أنتم تجاهلون و لا تبصرون من قاتلکم فلا أمان له، و من لم یقاتلکم و أصابه منکم سبی من أهل القری فی الأیام الخمسة فله الأمان، و کتب بذلک إلی عمرو بن العاص، فجعل یجاء بهم من الیمن و مکة حتی ردوا.

و عن عمرو بن شعیب «۲» قال: لما التقی عمرو و المقوقس بعین شمس، و اقتتلت خیلاهما، جعل المسلمون یجولون بعد البعد، فزمرهم عمرو، فقال رجل من أهل الیمن:

إنا لم نخلق من حجارة و لا حدید. فأسکته عمرو، ثم لما تمادی ذلک نادی عمرو: أین أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم؟ فحضر من شهدها منهم، فقال: تقدموا فبکم ینصر المسلمون.

فتقدموا و فیهم یومئذ أبو بردة و أبو برزة، و ناهدهم الناس یتبعون الصحابة، ففتح الله علی المسلمین، و ظفروا أحسن الظفر، و افتتحت مصر، و قام فیها ملک الإسلام علی رجل، و جعل یفیض علی الأمم و الملوک.

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۰۹).

(۲) انظر: الطبری (۴/ ۱۱۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۴۹

و عن محمد بن إسحاق «۱» عن رجل من أهل مصر اسمه القاسم بن قزمان: أن زیاد ابن جزء الزبیدی حدثه و کان فی جند عمرو بن العاص، قال: افتتحنا الإسکندریة فی خلافة عمر، فلما افتتحنا باب الیون تدنینا قری الریف فیما بیننا و بین الإسکندریة قریة قریة، حتی انتهینا إلی بلهیب و قد بلغت سبایانا مکة و المدینة و الیمن، فلما انتهینا إلی بلهیب «۲» أرسل صاحب الإسکندریة إلی عمرو بن العاص: إنی قد کنت أخرج الجزیة إلی من هو أبغض إلیّ منکم یا معشر العرب، لفارس و الروم، فإن أحببت أن أعطیک الجزیة علی أن ترد علیّ ما أصبتم من سبایا أرضی فعلت، فبعث إلیه عمرو: إن ورائی أمیرا لا أستطیع أن أصنع أمرا دونه، فإن شئت أن أمسک عنک و تمسک عنی حتی أکتب إلیه بالذی عرضت علیّ، فإن قبل ذلک منک قبلت، و إن أمرنی بغیر ذلک مضیت لأمره.

قال: فقال: نعم. فکتب عمرو بن العاص إلی عمر بن الخطاب یذکر له الذی عرض علیه صاحب الإسکندریة. قال: و کانوا لا یخفون علینا کتابا کتبوا به، ثم وقفنا ببلهیب و فی أیدینا بقایا من سبیهم، و أقمنا ننتظر کتاب عمر حتی جاءه، و قرأه علینا عمرو و فیه:

«أما بعد: فإنه جاء فی کتابک تذکر أن صاحب الإسکندریة عرض علیک أن یعطیک الجزیة علی أن ترد علیه ما أصبت من سبایا أرضه، و لعمری لجزیة قائمة تکون لنا و لمن بعدنا من المسلمین أحب إلیّ من فیء یقسم، ثم کأنه لم یکن، فاعرض علی صاحب الإسکندریة أن یعطیک الجزیة، علی أن تخیروا من فی أیدیکم من سبیهم بین الإسلام و بین دین قومه، فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمین، له ما لهم و علیه ما علیهم، و من اختار دین قومه وضع علیه من الجزیة ما یوضع علی أهل ذمته، فأما من تفرق من سبیهم بأرض العرب و بلغ مکة و المدینة و الیمن فإنّا لا نقدر علی ردهم، و لا نحب أن نصالحه علی أمر لا نفی له به».

قال: فبعث عمرو بن العاص إلی صاحب الإسکندریة یعلمه الذی کتب به أمیر المؤمنین، فقال: قد فعلت، فجمعنا ما فی أیدینا من السبایا، و اجتمعت النصاری، فجعلنا نأتی بالرجل ممن فی أیدینا، ثم نخیره بین الإسلام و بین النصرانیة، فإذا اختار الإسلام کبرنا تکبیرة لهی أشد من تکبیرتنا حین تقتحم القریة، ثم نحوزه إلینا، و إذا اختار النصرانیة نخرت النصاری و حازوه إلیهم، و وضعنا علیه الجزیة، و جزعنا من ذلک جزعا

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۰۵، ۱۰۶).

(۲) بلهیب: قریة من قری الریف، یقال لها: الریش. انظر: الطبری (۴/ ۱۰۵)، معجم البلدان (۱/ ۴۹۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص: ۳۵۰

شديدا، حتى كأنه رجل خرج منا إليهم، فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم.

و فيمن أتينا به أبو مريم عبد الله بن عبد الرحمن، قال القاسم: و قد أدركته و هو عريف بنى زبيد، قال ابن جزء الزبيدى: فعرضنا عليه الإسلام و النصرانية، و أبوه و أمه و إخوته فى النصارى، فاختار الإسلام، فحزناه إلينا، و وثب عليه أبوه و أمه و إخوته يجاذبوننا عليه، حتى شققوا ثيابه، ثم هو اليوم عريفنا كما ترى.

ثم فتحت لنا الإسكندرية فدخلناها، فمن زعم غير ذلك أن الإسكندرية و ما حولها من القرى لم تكن لها جزية و لا لأهلها عهد فقد كذب.

قال القاسم: و إنما أهاج هذا الحديث أن ملوك بنى أمية كانوا يكتبون إلى أمراء مصر أنها إنما دخلت عنوة، و إنما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا، و نضع ما شئنا، و قد تقدم بعض ما وقع فى هذا المعنى من الاختلاف.

و كذلك اختلفوا فى وقت فتح مصر، فذكر ابن إسحاق أنها فتحت سنة عشرين، و كذلك قال أبو معشر و الواقدى.

و قد روى عن أبى معشر أن الإسكندرية فتحت سنة خمس و عشرين، و لعل ذلك فتحها الأخير، إذ قد تقدم ذكر انتقاضها مرتين.

و أما سيف «۱» فزعم أن مصر و الإسكندرية فتحتا فى سنة ست عشرة. قال: و لما كان ذو القعدة من سنة ست عشرة وضع عمر، رحمه الله، مسالح مصر على السواحل و غيرها.

و قال سعيد بن عفير و غيره «۲»: لما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاص جرائد الخيل إلى القرى التى حول الفسطاط، فأقامت الفيوم سنة لم يعلم المسلمون مكانها، حتى أتاهم رجل فذكرها لهم، فأرسل عمرو معه ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدفى، فلما سلكوا فى المجابة لم يروا شيئا، فهموا بالانصراف، فقالوا: لا تعجلوا، سيروا فإن كان كذبا فما أقدركم على ما أردتم. فلم يسيروا إلا قليلا حتى طلع لهم سواد الفيوم فهجموا عليها، فلم يكن عندهم قتال و ألقوا بأيديهم.

قال: و يقال: بل خرج مالك بن ناعمة الصدفى، و هو صاحب الأشقر، ينفض المجابة

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۱۱، ۱۱۲).

(۲) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۱۶۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص: ۳۵۱

على فرسه، و لا علم له بما خلفها من الفيوم، فهجم على الفيوم فلما رأى سوادها رجع إلى عمرو فأخبره.

و قيل غير ذلك فى وجه الانتهاء إلى الفيوم مما لا كبير فائدة فى ذكره، و الله تعالى أعلم «۱».

و عن يزيد بن أبى حبيب أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية و رأى بيوتها و بناءها مفروغا منها همّ بسكناها، و قال: مساكن قد كفينا بناءها، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى ذلك، فسأل عمر الرسول: هل يحول بينى و بين المسلمين ماء؟ قال: نعم، إذا جرى النيل. فكتب إلى عمرو:

إنى لا أحب أن ينزل المسلمون منزلا يحول الماء بينى و بينهم لا فى شتاء و لا فى صيف.

فتحول عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط. و إن ناسا من المسلمين حين افتتحوا مصر مع عمرو بن العاص اختطوا بالجيزة و سكنوا بها، فكتب عمرو بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر يقول: ما كنت أحب أن ينزلوا منزلا- يكون الماء دونهم، فإذا فعلوا فابن عليهم حصنا. فبنى الحصن الذى خلف الجسرين.

و بنى عمرو بن العاص المسجد، و كان ما حوله حدائق و أعنابا، فنصبوا الحبال حتى استقام لهم، و وضعوا أيديهم، فلم يزل عمرو قائما حتى وضعوا القبلة، وضعها هو و من حضر معه من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و اتخذ فيه منبرا. فكتب إليه عمر بن

الخطاب:

«أما بعد. فإنه بلغنی أنک اتخذت منبرا ترقی به علی رقاب المسلمین، أو ما بحسبک أن تقوم قائما و المسلمون تحت عقبیک، فعزمت علیک لما کسرته».

و لما اختط الناس المنازل بالفسطاط کتب عمرو بن العاص إلی عمر، رضی الله عنه:

إنا قد اختططنا لک دارا عند المسجد الجامع.

فکتب إلیه عمر: أنی لرجل بالحجاز تکون له دار بمصر؟ و أمره أن یجعلها سوقا للمسلمین.

و ذکر الطبری «۲» أن القبط حضروا باب عمرو، فبلغه أنهم یقولون: ما أرثّ العرب

---

(۱) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحکم (ص ۹۱).

(۲) انظر: تاریخ الرسل و الملوک للطبری (۴/ ۱۱۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۵۲

و أهون أنفسهم و ما رأینا مثلنا دان لهم فخاف أن یستثیرهم ذلک، فأمر بجزر فنحرت، فطبحت فی الماء و الملح، و أمر أمراء الأجناد أن یحضروا هم و أصحابهم، و جلس و أذن لأهل مصر، و جیء باللحم و المرق فطافوا به علی المسلمین، فأکلوا أکلا عربیا، انتشلوا و حسوا و هم فی العباء و لا سلاح، فافترق أهل مصر و قد ازدادوا طمعا و جرأة، و تقدم إلی أمراء الأجناد فی الحضور بأصحابهم من الغد، و أمرهم أن یجیئوا فی ثیاب أهل مصر و أحذیتهم، و أمرهم أن یأخذوا أصحابهم بذلک، ففعلوا، و أذن لأهل مصر، فرأوا غیر ما رأوا بالأمس، و قام علیهم القوم بألوان مصر، فأکلوا أکل أهل مصر، و نحوا نحوهم، فافترقوا و قد ارتابوا.

و بعث إلیهم: أن یتسلحوا غدا للعرض، و غدا علی العرض، و أذن لأهل مصر فعرضهم علیهم، ثم قال: إنی قد علمت أنکم رأیتم فی أنفسکم أنکم فی شیء حین رأیتم اقتصاد العرب و هون تزجیتهم، فخشیت أن تهلکوا، فأحببت أن أریکم حالهم، کیف کانت فی أرضهم، ثم حالهم فی أرضکم، ثم حالهم فی الحرب فظفروا بکم، و ذلک عیشهم، و قد کلبوا علی بلادکم قبل أن ینالوا منها ما رأیتم فی الیوم الثانی، فأحببت أن تعلموا أن من رأیتم فی الیوم الثالث غیر تارک عیش الیوم الثانی و راجع إلی عیش الیوم الأول.

فتفرقوا و هم یقولون: لقد رمتکم العرب برجلهم.

و بلغ عمر، رحمه الله، ذلک، فقال لجلسائه، یعنی عمرا: و الله إن حربه للینة ما لها سطوة و لا سورة کسورات الحروب من غیره، إن عمرا لعض، ثم أمّره علیها و أقام بها.

و ذکر ابن عبد الحکم أن عمر، رضی الله عنه، کتب أن یختم فی رقاب أهل الذمة بالرصاص، و یظهروا مناطقهم، و یجزوا نواصیهم، و یرکبوا علی الأکف عرضا، و لا یضربوا الجزیة إلا علی من جرت علیه الموسی، و لا یضربوا علی النساء، و لا علی الولدان، و لا یدعوهم یتشبهون «۱» بالمسلمین فی لبوسهم «۲».

قال: ثم إن عمر بن الخطاب أمر أمراء الأجناد أن یتقدموا إلی الرعیة بأن عطاءهم قائم، و أرزاق عیالهم جاریة، فلا یزرعون، یعنی الأجناد، و لا یزارعون.

فأتی شریک بن سمی الغطیفی إلی عمرو بن العاص فقال: إنکم لا تعطوننا ما یحبسنا أ فتأذن لی بالزرع؟ فقال له عمرو: ما أقدر علی ذلک، فزرع شریک بغیر إذنه، فکتب

---

(۱) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحکم (ص ۱۵۱).

(۲) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحکم (ص ۱۶۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۵۳

عمرو بذلك إلى عمر بن الخطاب، فأمره أن يبعث إليه شريكا، فأقرأ عمرو شريكا الكتاب، فقال له شريك: قتلتنى يا عمرو قال: ما أنا قتلتك قال: أنت صنعت هذا بنفسك قال: فإذا كان هذا من رأيك فأذن لى فى الخروج إليه من غير كتاب، و لك علىّ عهد الله أن أجعل يدى فى يده، فأذن له، فلما وقف على عمر قال: تؤمننى يا أمير المؤمنين؟ قال: و من أى الأجناد أنت؟ قال: من جند مصر، قال: فلعلك شريك بن سمى الغطيفى؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: لأجعلنك نكالا لمن خلفك، قال: أو تقبل منى ما قبل الله من العباد؟ قال: و تفعل؟ قال: نعم، فكتب إلى عمرو بن العاص: إن شريك ابن سمى جاءنى تائبا فقبلت منه.

و عن الليث بن سعد «۱» قال: سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار، فعجب عمرو من ذلك و قال: أكتب فى ذلك إلى أمير المؤمنين، فأجابه عمر عن كتابه إليه فى ذلك: سله لم أعطاك به ما أعطاك، و هى لا تزدرع و لا يستنبط بها ماء و لا ينتفع بها. فسأله عمرو، فقال: إنا لنجد صفتها فى الكتب أن فيها غراس الجنة، فكتب بذلك إلى عمر، فأجابه: إنا لا نعلم غراس الجنة إلا المؤمنين، فأقبر فيها من مات قبلك من المسلمين و لا تبعه بشىء. فكان أول من دفن فيها رجل من المعافر يقال له: عامر، فقيل: عمرت.

قالوا «۲»: و لما استقامت البلاد و فتح الله على المسلمين، فرض عمرو بن العاص لرباط الإسكندرية ربع الناس، يقيمون ستة أشهر ثم يعقب بعدهم ربعا آخر ستة أشهر، و ربعا فى السواحل، و النصف الثانى مقيمون معه.

و قيل: كان عمر بن الخطاب يبعث كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالإسكندرية و كانت الولاة لا تغفلها، و يكثفون رابطتها، و لا يأمنون الروم عليها.

و كتب عثمان بن عفان، رضى الله عنه، و هو خليفة إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح بعد أن استعمله على مصر:

قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالإسكندرية، و قد نقضت مرتين، فألزم الإسكندرية رابطتها، و أجر عليهم أرزاقهم، و أعقب بينهم فى كل ستة أشهر.

و كان عمرو بن العاص يقول: ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة، و قال: نيل مصر سيد

---

(۱) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۱۵۷).

(۲) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۱۹۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۵۴

الأنهار، سخر الله له كل نهر من المشرق و المغرب، فإذا أراد الله أن يجريه أمر الأنهار فأمدته بمائها، و فجر له الأرض عيونا، فإذا انتهت جريته إلى ما أراد سبحانه أوحى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره.

و لما فتح عمرو مصر أتاه أهلها حين دخل بؤنة من أشهر العجم، فقالوا له: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها. فقال: و ما ذاك؟ قالوا: إنه إذا كان لاثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عهدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أبويها، و جعلنا عليها من الحلى و الثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فى هذا النهر. فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون فى الإسلام، و إن الإسلام يهدم ما قبله. فأقاموا ذلك الشهر و الشهرين اللذين بعده لا يجرى قليلا و لا كثيرا حتى هموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب به إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليه عمر، رضى الله عنه:

قد أصبت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، و قد بعثت إليك ببطاقة فألقها فى داخل النيل.

فلما قدم الكتاب على عمرو و فتح البطاقة فإذا فيها:

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر: أما بعد، فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر، و إن كان الله الواحد القهار هو

الذی یجریک فنسأل الله الواحد القهار أن یجریک.

فألقى عمرو البطاقة فی النیل قبل یوم الصلیب بیوم، و قد تهیأ أهل مصر للجلاء و الخروج منها؛ لأنه لا یقوم بمصلحتهم فیها إلا النیل، فأصبحوا یوم الصلیب و قد أجراه الله، عز و جل، ستة عشر ذراعا فی لیلة. و قطع تلک السنة السوء عن أهل مصر.

ذکر فتح أنطابلس

قال ابن عبد الحکم «۱»: کان البربر بفلسطین، یعنی فی زمان داود علیه السلام، فخرجوا منها متوجهین إلى الغرب حتى انتهوا إلى لوبیة و مراقیة، و هما کورتان من کور مصر الغربیة، مما یشرب من ماء السماء و لا ینالهما النیل، فتفرقوا هنالک، فتقدمت زناتة و مغیلة إلى الغرب و سکنوا الجبال و تقدمت لواتة فسکنت أرض أنطابلس و هی برقة، و تفرقت فی هذا الغرب و انتشروا فیه حتى بلغوا السوس، و نزلت هوارة مدینة لبدة،

---

(۱) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحکم (ص ۱۷۰، ۱۷۱).

و نزلت نفوسة مدینة صبرة، و جلا من کان فیها من الروم من أجل ذلک، و أقام الأفارق و کانوا خدما للروم على صلح یؤدونه إلى من غلب على بلادهم، و هم بنو أفارق بن قیصر بن حام.

فسار عمرو بن العاص فی الخیل حتى قدم برقة، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دینار یؤدونها إلیه جزیة، على أن یبیعوا من أبنائهم فی جزیتهم، و لم یکن یدخل برقة یومئذ جابی خراج، و إنما کانوا یبعثون بالجزیة إذا جاء وقتها.

و وجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زویلة. قال الطبرى: فافتتحها بصلح، و صار ما بین برقة و زویلة سلما للمسلمین. و قال أبو العالیة الحضرمی: سمعت عمرو بن العاص على المنبر یقول: لأهل أنطابلس عهد یوفى لهم به.

فتح أطرابلس

قال ابن عبد الحکم «۱»: ثم سار عمرو حتى نزل أطرابلس فی سنة اثنتین و عشرین، فنزل القبة التی على الشرف من شرقیها، فحاصرها شهرا لا یقدر منهم على شیء، فخرج رجل من بنی مدلج ذات یوم من عسکر عمرو متصیدا فی سبعة نفر، فمضوا غربی المدینة حتى أمنعوا عن العسکر، ثم رجعوا فأصابهم الحر، فأخذوا على ضفة البحر، و کان البحر لاصقا بسور المدینة، و لم یکن فیما بین المدینة و البحر سور، و کانت سفن الروم شارعة فی مرساها إلى بیوتهم، فنظر المدلجی و أصحابه، فإذا البحر قد غاض من ناحیة المدینة، و وجدوا مسلکا إلیها من الموضع الذی حسر عنه البحر، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحیة الکنیسة و کبروا، فلم یکن للروم مفزع إلا سفنهم، و أبصر عمرو و أصحابه السلمة فی جوف المدینة، فأقبل بجیشه حتى دخل علیهم، فلم یفلت الروم إلا بما خف لهم من مراکبهم، و غنم عمرو ما کان فی المدینة.

و کان من بصبرة متحصنین، و هی المدینة العظمى و سوقها السوق القدیم، فلما بلغهم محاصرة عمرو مدینة أطرابلس، و أنه لم یصنع فیهم شیئا و لا طاقة له بهم أمنوا.

فلما ظفر عمرو بمدینة أطرابلس جرد خیلا کثیفة من لیلته، و أمرهم بسرعة السیر، فصبحت خیله مدینة صبرة و هم غافلون و قد فتحوا أبوابها لتسرح ماشیتهم، فدخلوها فلم ینج منهم أحد، و احتوى أصحاب عمرو على ما فیها و رجعوا إلى عمرو.

---

(۱) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحکم (ص ۱۷۱- ۱۷۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۵۶

قال: ثم أراد عمرو أن يوجه إلى المغرب، فكتب إلى عمر بن الخطاب: إن الله، عز و جل، قد فتح علينا أطرابلس، و ليس بينها و بين إفريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن نغزوها و يفتحها الله على يديه فعل.

فكتب إليه عمر: لا، إنها ليست بإفريقية، و لكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت.

قال: و أتى عمرو بن العاص كتاب المقوقس، يذكر له أن الروم يريدون نكث العهد و نقض ما كان بينهم و بينه، و كان عمرو قد عاهد المقوقس على أن لا يكتمه أمرا يحدث، فانصرف عمرو راجعا مبادرا لما أتاه.

قال: و قد كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل فيصيبون الغنائم ثم يرجعون، يعنى من أطراف إفريقية.

ذكر انتقاض الإسكندرية فى خلافة عثمان رضى الله عنه

«۱» قال عبد الرحمن بن عبد الحكم: و فى سنة خمس و عشرين عزل عثمان بن عفان عمرو ابن العاص عن مصر، و ولى عبد الله بن سعد «۲». و قد كانت الإسكندرية انتقضت، و جاءت الروم عليهم منويل الخصى فى المراكب حتى أرسوا بالإسكندرية، فأجابهم من بها من الروم، و لم يكن المقوقس تحرك و لا نكث، فلما نزلت الروم بالإسكندرية سأل أهل مصر عثمان، رضى الله عنه، أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم، فإن له معرفة فى الحرب و هيبة فى العدو، ففعل.

فخرج إليهم عمرو فى البر و البحر، و ضوى إلى المقوقس من أطاعه من القبط. فأما الروم فلم يطعه منهم أحد. فقال خارجة بن حذافة لعمرو: ناهضهم قبل أن يكثر مددهم و لا آمن أن تنتقض مصر كلها. قال عمرو: لا، و لكن دعهم حتى يسيروا إلىّ، فإنهم يصيبون من مروا به فيجزى الله بعضهم ببعض، فخرجوا من الإسكندرية و معهم من نقض من أهل القرى، فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورها، و يأكلون أطعمتها،

---

(۱) الخبر منقول عن ابن عبد الحكم فى فتوح مصر و أخبارها (ص ۱۷۴- ۱۹۱).

(۲) هو: عبد الله بن سعد العامرى. انظر ترجمته فى: الثقات (۳/ ۲۱۳)، التاريخ الصغير (۱/ ۸۴)، البداية و النهاية (۵/ ۳۵۰)، الإصابة ترجمة رقم (۴۷۲۹)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۹۷۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۵۷

و ينتهبون ما مروا به، فلم يعرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس «۱»، فلقوهم فى البر و البحر، فبدأت الروم و القبط فرموا بالنشاب فى الماء رميا شديدا، حتى أصاب النشاب يومئذ فرس عمرو فى لبته و هو فى البر، فعقر فنزل عنه، ثم خرجوا من البحر، فاجتمعوا هم و الذين فى البر فنضحوا المسلمين بالنشاب، فاستأخر المسلمون عنهم شيئا، و حملوا حملة ولى المسلمون منها، و انهزم شريك بن سمى فى خيله.

و كانت الروم قد جعلت صفوفا خلف صفوف، و برز يومئذ بطريق ممن جاء من أرض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب، فدعا إلى البراز، فبرز إليه رجل من زبيد يقال له: حومل و يكنى أبا مذحج، فاقتتلا طويلا برمحين يتطاردان، ثم ألقى البطريق الرمح و أخذ السيف، و ألقى حومل رمحه و أخذ سيفه و كان يعرف بالنجدة، و جعل عمرو يصيح: أبا مذحج فيجيبه: لبيك، و الناس على شاطئ النيل فى البر على تعبئتهم و صفوفهم، فتجاولا ساعة بالسيفين، ثم حمل عليه البطريق فاحتمله و كان نحيفا، و يخترط حومل خنجرا كان فى منطقته أو فى ذراعه فيضرب به نحر العلج أو ترقوته، فأثبته و وقع عليه فأخذ سلبه، ثم مات حومل بعد ذلك بأيام، رحمة الله عليه، فرئى عمرو يحمل سريره بين عمودى نعشه حتى دفنه بالمقطم.

قال: ثم شد المسلمون عليهم فكانت هزيمتهم، و طلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالإسكندرية، ففتح الله عليهم و قتل منويل الخصى.

قال الهيثم بن زياد: و قتلهم عمرو بن العاص حتى أمعن فى مدينتهم، فكلم فى ذلك فأمر برفع السيف عنهم، و بنى فى ذلك الموضع مسجد، و هو الذى يقال له بالإسكندرية مسجد الرحمة، سمى بذلك لرفع عمرو السيف هنالك.

و كان عمرو حلف: لئن أظفره الله عليهم ليهدمن سورها حتى تكون مثل بيت الزانية يؤتى من كل مكان، فلما أظفره الله هدم سورها كله.

و جمع عمرو ما أصاب منهم، فجاءه من أهل تلك القرى من لم يكن نقض، فقالوا:

قد كنا على صلحنا، و مرّ علينا هؤلاء اللصوص فأخذوا متاعنا و دوابنا و هو قائم فى يديك، فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه و أقاموا عليه البينة.

و قال بعضهم لعمرو: ما حل لك ما صنعت بنا، و كان لنا عليك أن تقاتل عنا لأنا فى ذمتك و لم ننقض، فأما من نقض فأبعده الله.

فندم عمرو و قال: يا ليتنى كنت لقيتهم حين خرجوا من الإسكندرية.

---

(۱) نقيوس: قرية كانت بين الفسطاط و الإسكندرية. انظر: معجم البلدان (۵/ ۳۰۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۵۸

و كان سبب نقض الإسكندرية، فيما ذكر ابن عبد الحكم، أن صاحب أخناء قدم على عمرو بن العاص فقال: أخبرنا ما علينا من الجزية فنصبر لها، فقال له عمرو و هو يشير إلى ركن كنيسة: لو أعطيتنى من الركن إلى السقف ما أخبرتك، إنما أنتم خزانة لنا، إن كثر علينا كثرنا عليكم و إن خفف عنا خففنا عنكم، فغضب صاحب أخناء، فخرج إلى الروم فقدم بهم، فهزمهم الله،، و أسر ذلك النبطى، فأتى به إلى عمرو، فقال له الناس: اقتله، فقال: لا، بل انطلق فجئنا بجيش آخر.

و قيل: إنه لما أتى به سوره و توجه و كساه برنسين أرجوان، و قال له: ايتنا بمثل هؤلاء، فرضى بأداء الجزية.

فقيل له: لو أتيت ملك الروم؟ فقال: لو أتيته لقتلنى و قال: قتلت أصحابى.

و ذكر ابن عبد الحكم، أيضا، أن الروم مشت إلى قسطنطين بن هرقل فى سنة خمس و ثلاثين فقالوا: تترك الإسكندرية فى أيدى العرب و هى مدينتنا الكبرى؟ فقال: ما أصنع بكم و ما تقدرون أن تتماسكوا ساعة إذا لقيتم العرب؟ قالوا: فاخرج على أن نموت، فتبايعوا على ذلك، و خرج فى ألف مركب يريد الإسكندرية، فبعث الله عليهم ريحا عاتية فأغرقتهم، إلا قسطنطين نجا بمركبه فألقته الريح بصقلية، فسألوه عن أمره فأخبرهم، فقالوا: شأمت النصرانية و أفنيت رجالها، فلو دخل العرب علينا لم نجد من يردهم، ثم صنعوا له الحمام و دخلوا عليه ليقتلوه، فقال: ويلكم تذهب رجالكم و تقتلون ملككم؟

قالوا: كأنه غرق معهم، ثم قتلوه و خلوا من كان معه فى المركب.

ذكر غزو إفريقية و فتحها

«۱» قال ابن عبد الحكم «۲»: و لما عزل عثمان، عمرو بن العاص عن مصر و أمّر عبد الله بن سعد بن أبى سرح، كان يبعث المسلمين فى جرائد الخيل كما كانوا يفعلون فى إمرة عمرو بن العاص، فيصيبون من أطراف إفريقية و يغنمون، فكتب عبد الله بن سعد فى ذلك إلى عثمان، و أخبره بقربها من حوز المسلمين، و استأذنه فى غزوها، فندب عثمان الناس إلى ذلك بعد المشورة فيه، فلما اجتمع الناس أمّر عليهم الحارث بن الحكم إلى أن يقدموا مصر على عبد الله بن سعد، فيكون إليه الأمر، فخرج عبد الله إليها، و كان

---

(۱) انظر: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۳۴۳- ۳۴۵).

(۲) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۱۸۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۵۹

علیها ملک یقال له: جرجیر، کان هرقل استخلفه فخلعه، و کان سلطانه ما بین أطرابلس إلی طنجة، و مستقر سلطانه یومئذ بمدینة یقال لها قرطاجنة، فلقی عبد الله جرجیر، فقاتله فقتله الله، و ولی قتله عبد الله بن الزبیر، فیما یزعمون، و هرب جیش جرجیر، فبعث عبد الله السرایا و فرقها، فأصابوا غنائم کثیرة، فلما رأی ذلک رؤساء أهل إفریقیة سألوه أن یأخذ منهم مالا علی أن یخرج من بلادهم، فقبل منهم ذلک و رجع إلی مصر، و لم یول علی إفریقیة أحدا، و لا اتخذ بها قیروانا.

و یروی أن جرجیرا لما نازله المسلمون القتال أبرز ابنته و کانت من أجمل النساء، فقال: من یقتل عبد الله بن سعد و له نصف ملکی و أزوجه ابنتی؟ فبلغ ذلک عبد الله فقال: أنا أصدق من العلج، و أوفی بالعهد! من یقتل جرجیرا فله ابنته، فقتله عبد الله بن الزبیر، فدفع إلیه عبد الله ابنته.

و ذکر ابن عبد الحکم «۱»، عن أبیه و ابن عفیر: أن ابنة جرجیر صارت لرجل من الأنصار فی سهمه، فأقبل بها منصرفا قد حملها علی بعیر له، فجعل یرتجز:

یا ابنة جرجیر تمشی عقبتکإن علیک بالحجاز ربّتک

لتحملنّ من قباء قربتک

فقالت: ما تقول؟ و سبته فأخبرت بذلک، فألقت بنفسها عن البعیر الذی کانت علیه، فاندقت عنقها فماتت. فالله أعلم أی ذلک کان.

و کانت غنائم المسلمین یومئذ أنه بلغ سهم الفارس بعد إخراج الخمس ثلاثة آلاف دینار: للفرس ألفا دینار، و لفارسه ألف دینار، و للراجل ألف، و قسم لرجل من الجیش توفی بذات الحمام، فدفع إلی أهله بعد موته ألف دینار.

و کان جیش عبد الله بن سعد ذلک الذی وقع له القسم عشرین ألفا.

و بعث عبد الله بالفتح إلی عثمان، رضی الله عنه، عقبة بن نافع، و یقال: بل عبد الله ابن الزبیر، و هو أصح.

و سار، زعموا، عبد الله بن الزبیر علی راحلته من إفریقیة إلی المدینة عشرین لیلة، و لما دخل علی عثمان أخبره بلقائهم العدو، و بما کان فی تلک الغزوة، فأعجب عثمان فقال له: هل تستطیع أن تخبر الناس بهذا؟ قال: نعم، فأخذ بیده حتی انتهی به إلی المنبر ثم

---

(۱) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحکم (ص ۱۸۴، ۱۸۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۶۰

قال: اقصص علیهم ما أخبرتنی به، فتلکأ عبد الله بدأ، ثم تکلم بکلام أعجبهم.

و یروی عن ابن شهاب «۱» أن عثمان لما قال لابن الزبیر أتکلم الناس بهذا؟ قال: نعم یا أمیر المؤمنین، أنا أهیب لک منی لهم، فأمر عثمان فجمع الناس، ثم صعد المنبر فحمد الله و أثنی علیه، و کان أکره شیء إلیه الخطب، و أحب الأشیاء إلیه ما کفی، ثم قال:

أیها الناس، إن الله قد فتح علیکم إفریقیة، و هذا عبد الله بن الزبیر یخبرکم بخبرها إن شاء الله، ثم جلس علی المنبر.

و قام ابن الزبیر إلی جانب المنبر، و کان أول من قام إلی جانبه، فقال: الحمد لله الذی ألف بیننا بعد الفرقة، و جعلنا متحابین بعد البغضة، و الحمد لله الذی لا تجحد نعماؤه، و لا یزول ملکه، له الحمد کما حمد نفسه، و کما هو أهله. ابتعث محمدا صلی اللّه علیه و سلم فاختاره بعلمه، و ائتمنه علی وحیه، فاختار له من الناس أعوانا قذف فی قلوبهم تصدیقه، فآمنوا به و عزروه و وقروه و نصروه، و جاهدوا فی الله حق جهاده، فاستشهد الله منهم من استشهد علی المنهاج الواضح و البیع الرابح، و بقی منهم من بقی، لا یأخذهم فی الله لومة لائم.

أیها الناس، رحمکم الله، إنا خرجنا للوجه الذی قد علمتم، فکنا مع خیر وال ولی فحمد، و قسم فعدل، لم یفقد من بر أمیر المؤمنین شیئا، کان یسیر بنا البردین یخفض بنا فی الظهائر، و یتخذ اللیل حملا، یعجل الترحل من المنزل الفقیر، و یطیل اللباث فی المنزل

المخصب الرحب، فلم نزل على أحسن حالة يتعرفها قوم من ربهم، حتى انتهى إلى إفريقية، فنزل منها بحيث يسمع صهيل الخيل و رغاء الإبل و قعقعة السلاح، فأقام أياما يجم كراعه، و يصلح سلاحه، ثم دعاهم إلى الإسلام و الدخول فيه فبعدوا منه، و سألهم الجزية عن صغار و الصلح فكانت هذه أبعد، فأقام فيها ثلاث عشرة ليلة يتأتى بهم و تختلف رسله إليهم، فلما يئس منهم قام خطيبا، فحمد الله و أثنى عليه، ثم ذكر النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و أكثر الصلاة عليه، ثم ذكر فضل الجهاد، و ما لصاحبه إذا صبر و احتسب، ثم نهد لعدوه فقاتلهم أشد القتال يومه ذلك، و صبر الفريقان جميعا، و كانت بيننا و بينهم قتلى كثيرة، و استشهد الله رجلا من المسلمين فبتنا و باتوا، للمسلمين بالقرآن دوى كدوى النحل، و بات المشركون فى ملاهيهم و خمورهم.

فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التى كنا عليها بالأمس، و زحف بعضنا إلى بعض، فأفرغ

---

(۱) هو: محمد بن مسلم بن عبد الله الزهرى.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۱

الله علينا الصبر، ثم أنزل علينا النصر، ففتحناها من آخر النهار، فأصبنا غنائم كثيرة، فبلغ فيها الخمس خمسمائة ألف دينار، و تركت المسلمين قد قرت أعينهم، و قد أغناهم النفل، و وسعهم الحق، و أنا رسولهم إلى أمير المؤمنين و إلى المسلمين، أبشره و إياهم بما فتح الله من البلاد و أذل من المشركين. فأحمد الله على آلائه، و ما أحل بأعدائه من بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين «۱».

ثم صمت، و نهض إليه الزبير فقبل بين عينيه و قال: يا بنى، إذا نكحت المرأة فانكحها على شبه أبيها أو أخيها تأتك بأحدهما، و الله ما زلت تنطق بلسان أبى بكر الصديق حتى صمت.

و يروى عن الزبير لما أمر عثمان، رحمه الله، ابنه عبد الله بالقيام ليخبر الناس بما شهد من فتح إفريقية أنه قال: وجدت فى نفسى على عثمان و قلت: يقيم غلاما من الغلمان لا يبلغ الذى يحق عليه و الذى يجمل به! فقام فتكلم فأبلغ و أصاب، فما فرغ حتى ملأهم عجبا.

و فى كتاب سيف «۲»: أن عثمان لما وجه عبد الله بن سعد إلى إفريقية قال له: إن فتح الله عليك إفريقية فلك مما أفاء الله عليك خمس الخمس، فلما انتهى إلى إفريقية فيمن معه لقيهم صاحبها، فقاتلهم فقتله الله، قتله عبد الله بن سعد، و فتح الله إفريقية سهلها و جبلها، و اجتمعوا على الإسلام و حسنت طاعتهم، و قسم عبد الله على الجند ما أفاء الله عليهم بعد أن أخرج الخمس، فعزل منه لنفسه خمسه، و بعث بأربعة أخماسه إلى عثمان، و ضرب فسطاطا فى موضع القيروان.

و وفد وفد إلى عثمان فشكوه فيما أخذ من الخمس، فقال عثمان: أنا نفلته، و إنما النفل تبصرة و تدريب للرجال. ثم كتب إلى عبد الله بن سعد باستصلاحهم.

قال: و كان عثمان قد أرسل معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس، و عبد الله بن نافع ابن الحصين الفهريين، و أمرهما بالمسير إلى الأندلس فيمن ندبه معهما من الرجال، و أمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب إفريقية، و بعد ذلك يسيران إلى الأندلس، فلما كان الاستيلاء على صاحب إفريقية سارا من فورهما إلى الأندلس، و أتياها من قبل البحر.

---

(۱) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (۴۲۰، ۴۲۱).

(۲) انظر: تاريخ الرسل و الملوك للطبرى (۴/ ۲۵۴، ۲۵۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۲

و كان عثمان، رحمه الله قد كتب إلى من انتدب إلى الأندلس: «أما بعد: فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، و إنكم إن لم تفتحوها كنتم شركاء من يفتحها فى الأجر، و السلام».

و قال كعب: يعبر البحر إلى الأندلس أقوام يفتحونها، يعرفون بنورهم يوم القيامة.

ذكر صلح النوبة

«۱» قال ابن عبد الحكم «۲»: ثم غزا عبد الله بن سعد بن أبى سرح الأساود و هم النوبة سنة إحدى و ثلاثين، فقاتلته النوبة قتالا شديدا، و أصيبت يومئذ عين معاوية بن حديج، و أبى شمر بن أبرهة، و حيويل بن ناشرة، فيومئذ سموا رماة الحدق، فهادنهم عبد الله بن سعد إذ لم يطقهم. و فى ذلك اليوم يقول بعض من حضره:

لم تر عينى مثل يوم دمقلهو الخيل تغدو بالدروع مثقله قال: و كان الذى صولح عليه النوبة، فيما ذكر بعض المشايخ المصريين، ثلاثمائة رأس و ستين رأسا فى كل سنة. و يقال: بل على أربعمائة فى كل سنة، منها لفىء المسلمين ثلاثمائة و ستون، و لوالى البلد أربعون، منها، فيما زعم بعض المشايخ، سبعة عشر مرضعا. ثم انصرف عبد الله بن سعد عنهم.

قال: و ذكر بعض المتقدمين أنه وقف بالفسطاط فى بعض الدواوين، يعنى على عهد لهم قرأه قبل أن يحرق، فإذا هو يحفظ منه: إنا عاهدناكم و عاقدناكم أو توفونا فى كل سنة ثلاثمائة رأس و ستين رأسا، و تدخلون بلادنا مجتازين غير مقيمين، و كذلك ندخل بلادكم، على أنكم إن قتلتم من المسلمين قتيلا فقد برئت منكم الهدنة، و إن آويتم للمسلمين عبدا فقد برئت منكم الهدنة، و عليكم رد أباق المسلمين و من لجأ إليكم من أهل الذمة.

و قال يزيد بن أبى حبيب: و ليس بينهم و بين أهل مصر عهد و لا ميثاق، و إنما هى هدنة أمان بعضنا من بعض.

قال ابن لهيعة: و أبو حبيب والد يزيد و اسمه سويد منهم.

---

(۱) انظر: مراصد الاطلاع (۲/ ۵۳۴)، تهذيب التهذيب لابن حجر (۱۰/ ۲۰۳).

(۲) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۱۸۸، ۱۸۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۳

و قال الليث بن سعد و ذكر له قول مالك بن أنس: لا يشترى رقيق النوبة و لا يباعون.

فقال الليث: لا علم لمالك بهذا، نحن أعلم به منه، إنما صولحوا على أن نكف عنهم حربنا فقط، و على أنهم يعطونا منهم رقيقا فى كل سنة، و على أنا لا نمنع غزو غيرنا، فبذلك نشتريهم، إنما علينا الوفاء بأن لا نحاربهم فقط.

قال ابن عبد الحكم: و لم أر أحدا من أصحاب مالك يقول بقوله فى النوبة، و كلهم كان يشتريهم.

قال: و اجتمعت لعبد الله بن سعد البجة فى انصرافه من بلاد النوبة على شاطئ النيل، فسأل عنهم، فأخبر بشأنهم، فهان عليه أمرهم، فنفذ و تركهم، و لم يكن لهم عقد و لا صلح، و أول من صالحهم عبيد الله بن أبى الحبحاب.

ذكر البحر و الغزو فيه

ذكر الطبرى «۱» عن سيف عن أشياخه قالوا: ألح معاوية على عمر بن الخطاب فى غزو البحر و قرب الروم من حمص، و قال: إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم و صياح دجاجهم، حتى إذا كاد ذلك يأخذ بقلب عمر أحب أن يزود عنه، فكتب إلى عمرو بن العاص: صف لى البحر و راكبه، فإن نفسى تنازعنى إليه، و إنى أشتهى خلافها، فكتب إليه عمرو بن العاص: إنى رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير، إن سكن خوف القلوب و إن تحرك راع العقول، يزداد فيه اليقين قلة، و الشك كثرة، هم فيه كدود على عود، إن مال غرق و إن نجا فرق.

فلما جاءه كتاب عمرو كتب إلى معاوية: لا و الذى بعث محمدا بالحق بشيرا و نذيرا لا أحمل فيه مسلما أبدا.

و فى رواية أنه كتب إليه:

إنا قد سمعنا أن بحر الشام يشرف على أطول شىء فى الأرض، يستأذن الله فى كل يوم و ليلة أن يفيض على الأرض فيغرقها، فكيف أحمل الجنود فى هذا البحر الكافر المستصعب؟ و الله لمسلم واحد أحب إلىّ مما حوت الروم فإياك أن تتعرض لى، و قد تقدمت إليك.

(۱) انظر: تاريخ الرسل و الملوك للطبرى (۴/ ۲۵۸– ۲۶۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۴

فلما ولى عثمان بن عفان لم يزل به معاوية، حتى عزم على ذلك، و قال له: لا تنتخب الناس، و لا تقرع بينهم، خيرهم، فمن اختار الغزو طائعا فاحمله و أعنه.

ففعل ذلك معاوية، و استعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسى حليف بنى فزارة، فغزا خمسين غزاة من بين صائفة و شاتية فى البر و البحر، و لم يغرق معه أحد فى البحر و لا نكب، و كان يدعو الله أن يرزقه العافية فى جنده، و لا يبتليه بمصاب أحد منهم، ففعل الله ذلك له، حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده، خرج فى قارب طليعة، فانتهى إلى البر من أرض الروم، و عليه سؤال يعبرون ذلك المكان، فتصدق عليهم، فرجعت امرأة من السؤال إلى قريتها، فقالت للرجال: هل لكم فى عبد الله بن قيس؟ قالوا: و أين هو؟

قالت: فى المرفأ، قالوا: أى عدوة الله، و من أين تعرفين عبد الله بن قيس؟ فوبختهم، و قالت: أنتم أعجز منى! أو يخفى عبد الله على أحد؟ فبادروا فهجموا عليه، فقاتلوه و قاتلهم، فأصيب وحده، و أفلت الملاح حتى أتى أصحابه، فجاءوا حتى أرفوا، و الخليفة فيهم سفيان بن عوف الأودى، فخرج فقاتلهم، فضجر و جعل يعبث بأصحابه و يشتمهم، فقالت جارية عبد الله: و اعبد الله، ما هكذا كان يقول حين تقاتل! فقال سفيان: و كيف كان يقول؟ قالت: «الغمرات ثم ينجلين»؛ فجعل سفيان يقول ذلك و ترك ما كان يقول، و أصيب فى المسلمين يومئذ. و قيل لتلك المرأة: بأى شىء عرفته؟

فقالت: بصدقته، أعطى كما يعطى الملوك، و لم يقبض قبض التجار.

غزو معاوية بن أبى سفيان قبرس

و غزا معاوية بن أبى سفيان قبرس سنة ثمان و عشرين فيما ذكر الواقدى.

قال: و هو أول من غزا الروم، و غزاها أهل مصر و عليهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح، حتى لقوا معاوية فكان على الناس.

قال ابن عفير: و مع معاوية امرأته فاختة بنت قرظة، و كان معه، أيضا، فى غزاته أبو الدرداء، و شداد بن أوس، و أبو ذر، و عبد الله بن عمرو بن العاص، فى عدة من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أم حرام الأنصارية فتوفيت هناك، فقبرها يستسقى به أهل قبرس و يسمونه قبر المرأة الصالحة.

و أم حرام «۱» هذه هى خالة أنس بن مالك، رضى الله، و حديثها مشهور فى نوم النبىّ

(۱) انظر ترجمتها فى: الإصابة ترجمة رقم (۱۱۹۷۱)، الثقات (۳/ ۴۶۲)، تجريد أسماء الصحابة (۲/ ۳۱۶)، تقريب التهذيب (۱۲/ ۶۲۰)، تهذيب التهذيب (۱۲/ ۴۶۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۵

صلى اللّه عليه و سلم فى بيتها ثم استيقظ و هو يضحك، فسألته: ما يضحكه؟ فقال: «ناس من أمتى عرضوا علىّ غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة»، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم! فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ يضحك، فسألته فقال: «ناس من أمتى عرضوا علىّ» «۱»، مثل مقالته الأولى. فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن

يجعلنى منهم. قال: «أنت من الأولين» «۲»، فكانت هذه الغزوة هى التى عرضت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أولا. و خرجت أم حرام فيها، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت.

قال ابن عمير: و ذلك العام بالشام عام قبرس الأول.

و قيل: إن معاوية توجه إليها من حصن عكا فى مائتى مركب، قال: و ظفر معاوية فى هذه الغزاة، و أخذ من الأموال و الحلى ما لا يحصى.

و قال جبير بن نفير «۳»: لما سبيناهم، يعنى أهل قبرس، نظرت إلى أبى الدرداء يبكى، فقلت: ما يبكيك فى يوم أعز الله فيه الإسلام و أهله، و أذل الكفر و أهله؟ فضرب بيده على منكبى، و قال: ثكلتك أمك يا جبير، ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره! بينا هى أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك، إذ تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى، فسلط عليهم السباء، و إذا سلط السباء على قوم فليس لله، عز و جل، بهم حاجة.

و ذكر الطبرى «۴» أن معاوية لما غزا قبرس صالح أهلها على جزية سبعة آلاف دينار، يؤدونها إلى المسلمين فى كل سنة، و يؤدون إلى الروم مثلها، ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم و بين ذلك، على أن لا يغزوهم المسلمون، و لا يقاتلوا هم من غزا من خلفهم يريد

---

(۱) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (۱۶۴۵)، سنن ابن ماجه (۲۷۷۶)، التمهيد لابن عبد البر (۱/ ۲۲۵)، الترغيب و الترهيب للمنذرى (۲/ ۳۰۵)، موطأ مالك (۴۶۴)، فتح البارى لابن حجر (۱۱/ ۷۱، ۱۲/ ۳۹۱)، الأذكار النووية (۱۸۵).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۴/ ۱۹، ۲۲، ۴۰، ۴۴، ۸/ ۷۸، ۹/ ۴۴)، صحيح مسلم فى كتاب الإمارة (۱۶۰، ۱۶۱)، سنن النسائى فى كتاب الجهاد، باب (۳۷)، سنن أبى داود فى كتاب الجهاد، باب (۱۰)، سنن ابن ماجه (۲۷۷۶)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۳۶۱- ۴۲۳)، فتح البارى لابن حجر (۱۱/ ۷۱)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۷/ ۱۸۴)، موطأ مالك (۴۶۵)، التمهيد لابن عبد البر (۱/ ۲۲۵، ۲۴۱).

(۳) انظر: تاريخ الرسل و الملوك للطبرى (۴/ ۲۶۲، ۲۶۳).

(۴) انظر: تاريخ الرسل و الملوك للطبرى (۴/ ۲۶۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۶

الخروج إلى أرض المسلمين، و عليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم، و على أن يطرق إمام المسلمين عليهم منهم.

و ذكر الواقدى «۱»، أيضا، مصالحة معاوية أهل قبرس فى ولاية عثمان، رحمه الله، و أن فى العهد الذى بيننا و بينهم ألا يتزوجوا فى عدونا من الروم إلا بإذننا.

قال: و فى هذه السنة، يعنى سنة ثمان و عشرين، غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم.

غزوة ذات الصوارى

«۲» ذكر الواقدى «۳» أن أهل الشام خرجوا، و عليهم معاوية بن أبى سفيان، و على أهل البحر عبد الله بن سعد بن أبى سرح، و خرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بإفريقية، فخرجوا فى جمع لم ير الروم مثله قط منذ كان الإسلام، فخرجوا فى خمسمائة مركب، فالتقوا هم و عبد الله بن سعد، فأمن بعضهم بعضا حتى قرنوا بين سفن المسلمين و أهل الشرك.

قال مالك بن أوس بن الحدثان «۴»: كنت معهم، فالتقينا فى البحر، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط، و كانت الريح علينا، فأرسينا ساعة، و أرسوا قريبا منا و سكنت الريح عنا، فقلنا: الأمن بيننا و بينكم. قالوا: ذلك لكم منا و لنا منكم. قلنا: إن أحببتم فالساحل حتى

یموت الأعجل، و إن شئتم فالبحر، فنخروا نخرة واحدة، و قالوا: الماء فدنونا منهم، فربطنا السفن بعضها ببعض، حتی کنا بحیث یضرب بعضنا بعضا، فقاتلنا أشد القتال، و وثب الرجال علی الرجال یضطربون بالسیوف و یتواجئون بالخناجر، حتی رجعت الدماء إلی الساحل تضربها الأمواج، و طرحت الأمواج جثث الرجال رکاما.

و قال بعض من حضر ذلک الیوم، أیضا: رأیت الساحل و إن علیه لمثل الظرب العظیم من جثث الرجال، و إن الدم للغالب علی الماء.

---

(۱) انظر: تاریخ الرسل و الملوک للطبری (۴/ ۲۶۳).

(۲) انظر: تاریخ الطبری (۴/ ۲۸۸)، المنتظم لابن الجوزی (۵/ ۱۲).

(۳) انظر: تاریخ الرسل و الملوک للطبری (۴/ ۲۹۰).

(۴) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۷۶۱۱)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۵۶۵)، طبقات ابن سعد (۵/ ۵۶)، المعارف (۴۲۷)، الجرح و التعدیل (۴/ ۲۰۳)، تاریخ ابن عساکر (۸۴۱۶)، تهذیب الأسماء و اللغات (۱/ ۲/ ۷۹)، تهذیب التهذیب (۱۰/ ۱۰)، شذرات الذهب (۱/ ۹۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۶۷

و لقد قتل یومئذ من المسلمین بشر کثیر، و قتل من الکفار ما لا یحصی، و صبروا یومئذ صبرا لم یصبروا فی موطن قط مثله، ثم أنزل الله نصره علی أهل الإسلام، و انهزم القسطنطین مدبرا، و أصابته یومئذ جراحات مکث فیها حینا جریحا.

و عن حنش الصنعانی «۱» قال «۲»: رکب الناس البحر سنة إحدی و ثلاثین مع عبد الله ابن سعد، فلما بلغوا ذات الصواری «۳» لقوا جموع الروم فی خمسمائة مرکب أو ستمائة، فیها القسطنطین بن هرقل، فقال: أشیروا علیّ، قالوا: انتظر اللیلة فباتوا یضربون بالنواقیس، و بات المسلمون یصلون و یدعون الله، ثم أصبحوا و قد أجمع القسطنطین فقربوا سفنهم، و قرب المسلمون فربطوا بعضها إلی بعض، و صف عبد الله المسلمین علی نواحی السفن، و أمرهم بقراءة القرآن و بالصبر، و و ثبت الروم فی سفن المسلمین علی صفوفهم حتی نقضوها، و اقتتلوا علی غیر صفوف قتالا شدیدا، ثم إن الله نصر المؤمنین، فقتلوا منهم مقتلة عظیمة لم ینج من الروم إلا الشرید، و أقام عبد الله بذات الصواری أیاما بعد هزیمة القوم، ثم أقبل راجعا.

و ذکر ابن عبد الحکم «۴» أن عبد الله بن سعد لما نزل ذات الصواری أنزل نصف الناس مع بسر بن أبی أرطأة سریة فی البر، فلما مضوا أتی آت إلی عبد الله فقال: ما کنت فاعلا حین ینزل بک ابن هرقل فی ألف مرکب فافعله الساعة.

قال: و إنما مراکب المسلمین مائتا مرکب و نیف. فقام فقال: أشیروا علیّ، فما کلمه رجل من المسلمین، فجلس قلیلا لترجع إلیهم أفئدتهم، ثم استشارهم فما کلمه أحد ثم قال الثالثة: إنه لم یبق شیء فأشیروا علیّ، فقال رجل من أهل المدینة کان متطوعا: أیها الأمیر، إن الله تعالی یقول: کَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِیلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً کَثِیرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِینَ [البقرة: ۲۴۹]، فقال عبد الله: ارکبوا باسم الله، فرکبوا، و إنما فی کل مرکب نصف شحنته، قد خرج النصف الآخر مع بسر فی البر، فلقوهم فاقتتلوا بالنبل و النشاب، و تأخر ابن هرقل لئلا تصیبه الهزیمة، و جعل تختلف القوارب إلیه بالأخبار.

فقال: ما فعلوا؟.

---

(۱) هو: حنش بن عبد الله الصنعانی.

(۲) انظر: تاریخ الرسل و الملوک للطبری (۴/ ۲۹۲).

(۳) الصواری: جمع صار، و هو الخشبة المعترضة وسط السفینة. انظر: القاموس المحیط للفیروزآبادیّ (۴/ ۳۵۲).

(۴) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحکم (۱۹۰، ۱۹۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۸

قالوا: اقتتلوا بالنبل و النشاب، قال: غلبت الروم. ثم أتوه فقال: ما فعلوا؟ قالوا: قد نفدت النبل و النشاب فهم يرتمون بالحجارة، قال: غلبت الروم: ثم أتوه فقال: ما فعلوا؟

قالوا: نفدت الحجارة و ربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف. قال: غلبت الروم.

قال يزيد بن أبى حبيب: و كانت السفن إذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال، فقرن مركب عبد الله يومئذ و هو الأمير بمركب من مراكب العدو، فكاد مركب العدو يجر مركب عبد الله إليهم، فقام علقمة بن يزيد العطيفى و كان فى المركب مع عبد الله فضرب السلسلة بسيفه فقطعها، فسأل عبد الله بعد ذلك امرأته بسيسة ابنة جمرة بن ليشرح بن عبد كلال، و كانت معه يومئذ، و كان الناس فيما خلا يغزون بنسائهم: من رأيت أشد الناس قتالا؟ قالت علقمة صاحب السلسلة. و كان عبد الله حين خطبها إلى أبيها قال: إن علقمة قد خطبها و له علىّ فيها رأى فإن يتركها أفعل. فكلم عبد الله علقمة فتركها، فتزوجها عبد الله ثم هلك عنها، فتزوجها بعده علقمة، ثم هلك عنها، فتزوجها كريب بن أبرهة.

و قال محمد بن الربيع: إنما سميت غزوة ذات الصوارى لكثرة المراكب التى اجتمعت فيها: ابن هرقل فى ألف مركب، و المسلمون فى مائتى مركب و نيف فكثرت الصوارى فى البحر فسميت ذات الصوارى.

و فى بعض ما تقدم من الأخبار ما يقتضى أن ذات الصوارى موضع يسمى هكذا، فالله تعالى أعلم.

ذكر فتح العراق و ما والاه على ما ذكره سيف بن عمر و أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى عنه و عن غيره

ذكروا عن على بن أبى طالب و عبد الله بن عباس، رضى الله عنهما، قالا: حض الله المسلمين على عهد نبيه صلى اللّه عليه و سلم على الاستقامة على الدين و ندبهم إلى فارس، و وعدهم، فتقدم إليهم فى ذلك من قبل غزوهم، ليحثهم و ليدربهم، فبدأ بالردة فقال: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۹

يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [آل عمران: ۱۴۴]، فسمى من ثبت على دينه بعد موت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الشاكرين. ثم عاد فى وصف من ناهض منهم أهل الردة، و المنافقون حشر فى المؤمنين، و إنما يكلم الله عز و جل، المؤمنين بما يعنى به المنافقين، فقال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ [المائدة:

۵۴]، فسماهم أحباء و أثابهم، حيث كانوا أذلة أرقة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون، يعنى جهادا بعد جهادهم أهل الردة، يقاتلون من بعدهم أهل فارس، و لا يخافون تخويف من يخوفهم، هذا فضل الله يخص به من يشاء، وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ عالم بهذا، فهم الشاكرون، و هم الفاضلون، و هم المقربون، و هم أحباء الله.

و عن على و ابن عباس، رضى الله عنهما، فى قوله عز و جل: وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ الآيتين إلى قوله: وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً [الفتح: ۲۰، ۲۱]، «مغانم» فتوحا من لدن خيبر، تلونها و تضمون ما فيها «فعجل لكم هذه» أى عجل لكم من ذلك خيبر «و كف أيدى الناس عنكم» أيدى قريش بالصلح يوم الحديبية «و لتكون آية للمؤمنين» شاهدا على ما بعدها و دليلا على إنجازها «و أخرى لم تقدروا عليها» أى على علم وقتها، أفيئها عليكم: فارس و الروم «قد أحاط الله بها» قضى الله بها أنها لكم، منها: الأيام، و القوادس، و الواقوصة، و المدائن الحمر بالشام، و مصر، و الضواحى، فاجتمعت هذه الصفات فيمن قاتل فارس و الروم و سائر الأعاجم ذلك الزمان.

ذكر سيف قال: كان أول ملوك فارس قاتله المسلمون شيرى بن كسرى، و ذلك أن أبا بكر الصديق، رضى الله عنه، حيث فرغ من أهل الردة، و أقامت جنود المسلمين فى بلدان من ارتد، كتب إلى خالد بن الوليد و هو باليمامة: أن ائذن للمسلمين فى القفل إلا من أحب المقام معك، و لا تكرهن أحدا على القيام، و لا تستعن فى شىء من حربك بمتكاره، و ادع من يليك من تميم و قيس و بكر إلى موتان اليمامة، فإن موات ما أفاء الله على رسوله لله و لرسوله، فمن أحيا شيئا من ذلك فهو له، لا يدخل ذلك فى شىء من موات كل بلد أسلم عليه أهله.

ففعل خالد، فأنزل اليمامة من هؤلاء الأحياء من أقرن ببنى حنيفة، و لما أذن خالد فى القفل قفل الناس، أهل المدينة و من حولها، و سائر من كان معه من أهل القبائل، و بقى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٣٧٠

خالد فى ألفين من القبائل التى حول المدينة، من مزينة، و جهينة، و أسلم، و غفار، و ضمرة، و أناس من غوث طيئ، و نبذ من عبد القيس.

و لما قفل من قفل، وجه المثنى بن حارثة الشيبانى، و مذعور بن عدى العجلى، و حرملة ابن مريطة، و سلمى بن القين الحنظليين و هما من المهاجرين، و المثنى و مذعور ممن وفد على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فقدموا على أبى بكر، رحمه الله، فقال له حرملة و سلمى: إنا معاشر بنى تميم و بكر بن وائل قد دربنا بقتال فارس، و أشجيناهم حتى اتخذوا الخنادق، و غبقوا المياه، و اتخذوا المسالح فى القصور المشيدة و تحصنوا بها، فأذن لنا فى حربهم، فأذن لهما فولاهما على من تابعهما، و استعملهما على ما غلبا عليه، و كانا أول من قدم أرض فارس لقتال أهل فارس، و كانا من المهاجرين و من صالحى الصحابة، فنزلا أطد «١» و نعمان و الجعرانة فى أربعة آلاف من تميم و الرباب، و كان بإزائهما النوشجان و الفيرمان بالوركاء «٢» فزحفوا إليهما فغلبوهما على الوركاء، و غلبا على هرمزجرد إلى فرات بادقلى «٣».

و ذكر سيف من طريق آخر أن المثنى و مذعورا لما قدما على أبى بكر استأذناه فى غزو أهل فارس و قالا: إنا و إخواننا من بنى تميم قد دربنا بقتالهم، و أخذنا النصف من أحد و ثنى كل موسم، فأذن لهما، و ولاهما على من تابعهما، و استعملهما على ما غلبا عليه، فجمعا جموعهما ثم سارا بهم حتى قدما بلاد فارس، و كانا أول من قدمها لقتالهم هما و حرملة و سلمى، و قدم المثنى و مذعور فى أربعة آلاف من بكر بن وائل و عنزة و ضبيعة، فنزل أحدهما بخفان «۴»، و نزل الآخر بالمهارق، و على فرج الفرس مما يليهما شهربراز بن بندا، فنفياه و غلبا على فرات بادقلى إلى السيلحين «۵» و اتصل ما غلبا عليه و ما غلب عليه سلمى و حرملة، و فى ذلك يقول مذعور بن عدى:

غلبنا على خفان بندا وشيحةإلى النخلات السحق فوق المهارق

و إنا لنرجو أن تجول خيولنابشاطى الفرات بالسيوف البوارق و قال المثنى فى ذلك:

---

(١) أطد: أرض قرب الكوفة من جهة البر. انظر: معجم البلدان (١/ ٢١۶).

(٢) انظر: معجم البلدان (۵/ ٣٧٢، ٣٧٣).

(٣) الخبر عن سيف بن عمر فى معجم البلدان (۵/ ٣٧٢، ٣٧٣).

(۴) خفان: موضع قرب الكوفة. انظر: معجم البلدان (٢/ ٣٧٩).

(۵) موضع بين الكوفة و القادسية. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٩٨، ٢٩٩).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٣٧١ ألا أبلغا شهرا و شهر مهاجربأنا سنلقاه على الحدثان

فنحن سللنا شيحة يوم بارقإلى شرّ دار تنتوى و مكان و يروى أن أبا بكر، رحمه الله، لما بلغه ما كان من فتح حرملة و سلمى و مثنى و

مذعور ما بين السيلحين إلى أسفل الفرات تمثل بقول الآخر:

و متى تسلف فى قبيل خطةتلق المنال مضاعفا أو موعبا

و إذا عقدت بحبل قوم مرؤذربوا عليك فلم تجد لك مقضبا

حيان لا خطما بحبل هضيمةأنفا الزمام فلم يقرأ مركبا و حكى عمر بن شبة عن شيوخه من أهل الأخبار: أن المثنى بن حارثة كان يغير على أهل فارس بالسواد، فبلغ أبا بكر و المسلمين خبره، فقال عمر: من هذا الذى تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه، فقال له قيس بن عاصم: أما إنه غير خامل الذكر، و لا مجهول النسب، و لا قليل العدد، و لا ذليل العمارة، ذلك المثنى بن حارثة الشيبانى «۱».

ثم إن المثنى قدم على أبى بكر فقال له: يا خليفة رسول الله، ابعثنى فى قومى، فإن فيهم إسلاما، أقاتل بهم أهل فارس، و أكفك أهل ناحيتى من العدو. ففعل ذلك أبو بكر، فقدم المثنى العراق، فقاتل و أغار على أهل فارس و نواحى السواد حولا مجرما، ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبى بكر يسأله المدد، و يقول: إنك إن أمددتنى و سمعت بذلك العرب أسرعوا إلىّ و أذل الله المشركين، مع أنى أخبرك يا خليفة رسول الله، أن الأعاجم تخافنا و تتقينا. فقال له عمر: يا خليفة رسول الله أبعث خالد بن الوليد مددا للمثنى بن حارثة، يكون قريبا من أهل الشام، فإن استغنى عنه أهل الشام ألح على أهل العراق حتى يفتح الله عليه. قال: فهذا الذى هاج أبا بكر، رحمه الله، على أن يبعث خالد بن الوليد إلى العراق «۲».

و فى حديث آخر: أنه ولاه حرب العراق لما قضى ما أراد قضاءه من اليمامة، و كتب إلى المثنى و مذعور و سلمى و حرملة بأن يسمعوا له و يطيعوا.

---

(۱) انظر: الفتوح لابن أعثم الكوفى (۱/ ۸۹)، الاستيعاب لابن عبد البر (ص ۱۴۵۷)، نهاية الأرب للنويرى (۱۹/ ۱۰۶).

(۲) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدى (ص ۵۳، ۵۴)، الاستيعاب لابن عبد البر (ص ۱۴۵۷)، نهاية الأرب للنويرى (۱۹/ ۱۰۶، ۱۰۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۷۲

أخبار الأيام فى زمان خالد بن الوليد رضى الله عنه «۱»

و كانت لمن وليها الفضيلة و السابقة و القدمة؛ لأنهم شركوا أهل القادسية و البويب و فضلوهم بولايتهم هذه.

و هذا كما اجتمعت للمهاجرين النصرة مع الهجرة، و فضلوا الأنصار بالهجرة، فروى الشعبى و هشام بن عروة قالا: لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة كتب إليه أبو بكر: إنى قد وليتك حرب العراق، فاحشد من ثبت على الإسلام، و قاتل أهل الردة ممن بينك و بين العراق، من تميم و قيس و أسد و بكر بن وائل و عبد القيس، ثم سر نحو فارس، و استنصر الله عز و جل، و ادخل العراق من أسفل العراق، فابدأ بفرج الهند، و هو يومئذ الأبلة «۲»، و كان صاحبها يساجل أهل الهند و السند فى البحر، و يساجل العرب فى البر.

و قال له: تألف أهل فارس، و من كان فى مملكتهم من الأمم، و أنصفوا من أنفسكم فإنكم كنتم خير أمة أخرجت للناس. نسأل الله أن يجعل من ألحقه بنا و صيره منا خير متبع بإحسان. و إن فتح الله عليك فعارق حتى تلقى عياضا.

و كتب إلى عياض بن غنم و هو بين الحجاز و النباج «۳»: أن سر حتى تأتى المصيخ فاحشد من بينك و بينها على إسلامه، و قاتل أهل الردة فابدأ بهم، ثم ادخل العراق من أعلاها فعارق حتى تلقى خالدا.

فاستمد خالد أبا بكر قبل خروجه من اليمامة، فأمده بالقعقاع بن عمرو التميمى، و استمده عياض قبل تحركه، فأمده أبو بكر بعبد بن عوف الحميرى، و قيل لأبى بكر:

أ تمد خالدا برجل قد أرفض عنه الناس؟ فقال: لا يهزم جيش فيه مثل القعقاع، و سيحشر من بينه و بين أهل العراق.

و كتب خالد إلى حرملة و سلمى و المثنى و مذعور ليلحقوا به، و أمرهم أن يغزوا جنودهم الأبلة ليوم سماه، ثم حشد من بينه و بين

العراق، فحشد ثمانية آلاف من مصر

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۳۴۳- ۳۵۰)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۲۶۱، ۲۶۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۴۲، ۳۴۳)، تاريخ ابن خلدون (۲/ ۷۸).

(۲) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة. انظر: معجم البلدان (۱/ ۷۷).

(۳) النباح: موضع بين البصرة و مكة. انظر: معجم البلدان: (۵/ ۲۵۵، ۲۵۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۷۳

و ربيعة إلى ألفين كانا معه، فقدم فى عشرة آلاف إلى ثمانية آلاف ممن كان مع الأمراء الأربعة، فلقى هرمز فى ثمانية عشر ألفا.

و فيما ذكره سيف من مسير خالد و عياض إلى العراق: أن أبا بكر أمرهما أن يستبقا إلى الحيرة، فأيهما سبق إليها فهو أمير على صاحبه. و قال: فإذا اجتمعتما بالحيرة، و فضضتما مسالح فارس، و أمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم، فليكن أحد كما ردءا لصاحبه و للمسلمين بالحيرة، و ليقتحم الآخر على عدو الله و عدوكم من أهل فارس دارهم و مستقر عزهم بالمدائن.

و كتب إليهما: استعينوا بالله و اتقوه، و آثروا أمر الآخرة على الدنيا، يجمع الله لكم بطاعته الدنيا إلى الآخرة، و لا تؤثروا الدنيا فتعجزكم، و يسلبكم الله بمعصيته الدنيا و الآخرة، فما أهون العباد على الله إذا عصوه.

قال: و لما عزم خالد على المسير من اليمامة إلى العراق سأل عن الأدلة، فأتى بنفر، فسأل عن أسمائهم، فتفاءل منهم إلى ثلاثة بأسمائهم: ظفر بن عمرو السعدى و رافع بن عميرة الطائى، و مالك بن عباد الأسدى.

و جدد خالد التعبئة، فعبأ الناس تعبئة مستأنفة غير التى دخل بها اليمامة، و نصب لجنده أعلاما غير الذين كانوا أعلامهم، و ذلك أن أعلامهم الذين دخل بهم اليمامة قفلوا. فوضع رجالا مكانهم، و توخى الصحابة، ثم توخى منهم الكماة، فاستعمل على مضر القعقاع بن عمرو «۱»، و على ربيعة فرات بن حيان «۲»، و على قضاعة و ضم إليهم أهل اليمن جرير بن عبد الله الحميرى أخا الأقرع بن عبد الله رسول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى اليمن، و جعل على القبائل دون ذلك، على نصف خندق، فارس أطلال بكير بن عبد الله الليثى، و على النصف الآخر معقل بن مقرن المزنى، و على قيس عيلان و على غطفان و من يلاقيهم إلى سعد بن قيس، سعد بن عمارة التغلبى، و على هوازن و من يلاقيهم إلى خصفة أبا حنش بن ذى اللحية العامرى، و ضم جديلة إليهم، و هم عمرو بن قيس بن عيلان و على اللهازم من بكر بن وائل عتيبة بن النهاس، و اللهازم عجل، و تيم اللات، و قيس بن ثعلبة، و عنزة، و على الدعائم و هم: شيبان بن ثعلبة، و ذهل بن ثعلبة، و ضبيعة

---

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۷۱۴۲)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۳۱۵).

(۲) انظر ترجمته فى: الثقات (۳/ ۳۳۳)، تقريب التهذيب (۲/ ۱۰۷)، الكاشف (۲/ ۳۷۹)، الجرح و التعديل (۷/ ۴۴۹، ۴۵۰)، تهذيب التهذيب (۸/ ۲۵۹)، الطبقات (۶۵، ۱۳۲)، الإصابة ترجمة رقم (۶۹۸۹)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۲۱۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۷۴

ابن ربيعة، و يشكر بن ربيعة، يشكر بن بكر بن مطر بن عامر الشيبانى، و على قضاعة الحارث بن مرة الجهنى، و على اليمن مالك بن مرة الرهاوى، و ابن زيد الخيل بن مهلهل، و هؤلاء تحت أيدى أولئك الثلاثة.

و استعمل على المقدمات: المثنى بن حارثة، و على المجنبات: عدى بن حاتم و عاصم ابن عمرو أخا القعقاع، و على الساقة: بسر بن أبى رهم الجهنى صاحب جبانة بسر، و استخلف على اليمامة و هوافى قيس و تميم سبرة بن عمرو العنزى، و كل من أمر له صحبة و قدمة. و خرج قاصدا الهرمز و الأبلة.

و قال المغيرة بن عتبة قاضى الكوفة: فرق خالد مخرجه من اليمامة جنده ثلاث فرق، و لم يحملهم على طريقة واحدة، فسرح المثنى قبله بيومين و دليله ظفر، و سرح عديا و عاصما و دليلاهما مالك بن عباد و سالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم، و خرج خالد و دليله رافع، فواعدهم جميعا الحفير ليجتمعوا فيه و ليصادموا به عدوهم.

و كان فرج الهند أعظم فروج فارس شأنا و أشده شوكة، و كان صاحبه يحارب العرب فى البر و الهند فى البحر.

و عن الشعبى قال: كتب خالد إلى هرمز قبل خروجه، و هرمز صاحب الثغر يومئذ:

أما بعد، أسلم تسلم، أو اعقد لنفسك و قومك الذمة و أقر بالجزية، و إلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

و لما قدم كتاب خالد على هرمز كتب بالخبر إلى شيرى بن كسرى، و إلى أردشير بن شيرى، و جمع جموعه ثم تعجل إلى الكواظم فى سرعان أصحابه ليتلقى خالدا، و سبق حلبته فلم يجد طريق خالد، و بلغه أنهم تواعدوا الحفير، فاعج يبادر خالدا إليه، فنزله فعبأ به، و جعل على مجنبتيه أخوين يلاقيان أردشير و شيرى آل أردشير الأكبر، يقال لهما:

قباذ و أنوشجان، فاقترنوا فى السلاسل، فقال من لم ير ذلك لمن رآه: قيدتم أنفسكم لعدوكم، فلا تفعلوا فإن هذا طائر سوء. فأجابوهم: أما أنتم فتحدثوننا أنكم تريدون الهرب. فلما أتى الخبر خالدا بمنزل هرمز أمال الناس إلى كاظمة، و بلغ ذلك هرمز، فبادره إليها فنزلها و هو حسير.

و كان من أسوإ أمراء ذلك الفرج جوارا للعرب، فكل العرب عليه مغيظ، و قد كانوا يضربونه مثلا فى الخبث و المكر حتى قالوا: «أخبث من هرمز، و أمكر من هرمز». و تعبأ هو و أصحابه و الماء فى أيديهم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۷۵

و قدم خالد فنزل على غير ماء، فقالوا له فى ذلك، فأمر مناديه فنادى: ألا انزلوا و حطوا أثقالكم، ثم جالدوهم على الماء، فلعمرى ليصيرن الماء لأصبر الفريقين و أكرم الجندين. فحطت الأثقال و الخيل وقوف، و تقدم الرجل ثم زحف إليهم حتى لاقاهم، فاقتتلوا، و أرسل الله سبحانه سحابة فأغدرت ماء وراء صف المسلمين فقواهم بها، و ما ارتفع النهار و فى الغائط مقترن.

و أرسل هرمز أصحابه ليغدروا بخالد، ثم خرج فنادى رجل: أين خالد؟ و قد عهد إلى فرسانه عهده. فلما برز خالد نزل هرمز و دعاه إلى البراز، فبرز خالد يمشى إليه، فالتقيا فاختلفا ضربتين و احتضنه خالد، و حملت حامية هرمز و غدرت، فاستلحموا خالدا فما شغله ذلك عن قتله.

و حمل القعقاع بن عمرو، و استلحم حماة هرمز، فأناهم و خالد يماصعهم، فانهزم أهل فارس، و ركب المسلمون أكتافهم إلى الليل، و جمع خالد الرثاث و السلاسل، فكان وقر بعير، ألف رطل، فسميت ذات السلاسل.

قال: و كان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم فى عشائرهم، فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف، و تمام شرف أحدهم أن يكون من البيوتات السبعة، فكان هرمز ممن تم شرفه، فكانت قيمة قلنسوته مائة ألف، فنفلها أبو بكر، رحمه الله، خالدا، و كانت مفصلة بالجوهر.

و قال حنظلة بن زياد بن حنظلة: فلما تراجع الطلب من ذلك اليوم، نادى منادى خالد بالرحيل، و سار بالناس، و اتبعته الأثقال حتى نزل موضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم، و قد أفلت قباذ و أنوشجان، و بعث خالد بالفتح و ما بقى من الأخماس و بالفيل، و قرئ الفتح على الناس، فلما قرئ فيه: «خرجت من اليمامة فى ألفين، و حشرت من ربيعة و مضر ثمانية آلاف، فقدمت فى عشرة آلاف على ثمانية آلاف مع الأمراء الأربعة: المثنى و مذعور و حرملة و سلمى» تمثل أبو بكر، رضى الله عنه:

تمنانا ليلقانا بقوم تخال بياض لامهم السرابا

فقد لاقيتنا فأريت يوما عماسا يمنع الشيخ الشرابا

تبدل علقما منا بحلوينسيک الغنيمة و الإيابا

إذا خرجت سوالفهن زوراكأن على حوارکهن غابا

عليها كل متصل بمجدمن الجهتين يلتهب التهابا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۷۶

و لما قدم زر بن كليب بالفيل مع الأخماس فطيف به فى المدينة ليراه الناس، جعلت ضعيفات النساء يقلن: أمن خلق الله ما نرى؟ و رأينه مصنوعا، فرده أبو بكر، رضى الله عنه، مع زر.

و عن زياد بن حنظلة قال: إنى لبالمدينة و قد قدمتها وافدا من البحرين، إذ أرسل إلىّ أبو بكر و قد قدم عليه الخبر بوقعة ذات السلاسل، فقال لى: أ لم تعلم أنه كان من الشأن ذيت و ذيت، و أن خالدا ألقى هرمز فاستلحم، و أن القعقاع استلحم فقتلهم و تنفل؟.

قال زياد: فأقبلت على نفسى أحدثها فقلت: الخليفة و فراسته، و ذكرت قوله:

«و لا يهزم جيش فيهم مثل هذا»، فما راعنى إلا و أبو بكر يقول: أين أنت يا زياد؟ أما إن خالدا سيتغير له و يتنكر، ثم يراجع و يعرف الحق. فاستنكره القعقاع بعد ذلك، و وقع بينهما ما يقع بين الناس حتى قال القعقاع يعاتبه و لم يكن إلا ذلك:

منعتک من قرنى قباذ و ليتنى تركتک فاستذكت عليک المعاتب

عطفت عليک المهر حتى تفرجتو ملت من الطعن الدراک الرواجب

أجالدهم و الخيل تنحط فى القناو أنت وحيد قد حوتک الكتائب

و كائن هزمنا من كتيبة قاهرو كم عجمتنا فى الحروب العجائب و لما نزل خالد موضع الجسر الأعظم اليوم بالبصرة بعث المثنى بن حارثة فى آثار القوم، فمضى حتى انتهى إلى نهر المرأة و إلى الحصن الذى فيه المرأة، فخلف المثنى بن حارثة عليها من حاصرها فى قصرها، و مضى المثنى، و أسلمت فتزوجها المثنى، و لم يحرک خالد و أمراؤه الفلاحين فى شىء من فتوحهم لتقدم أبى بكر فيهم، و سبى أولاد المقاتلة الذين كانوا يقومون بأمور الأعاجم، و أقر من لم ينهض من الفلاحين و جعل لهم الذمة.

و بلغ سهم الفارس يوم ذات السلاسل و الثنى ألف درهم، و الراجل على الثلث من ذلک.

حديث الثّنى و المذار «۱»

و كانت وقعة المذار فى صفر سنة اثنتى عشرة، و يومئذ قال الناس: صفر الأصفار، فيه يقتل كل جبار، على مجمع الأنهار.

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۳۵۱، ۳۵۲)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۲۶۳)، نهاية الأرب للنويرى (۱۹/ ۱۰۸، ۱۰۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۷۷

و لما كتب هرمز إلى ملكهم بكتاب خالد إليه بمسيره من اليمامة نحوه، أمده بقارن بن قربانس، فخرج من المدائن ممدّا لهرمز؛ حتى إذا انتهى إلى المذار بلغته الهزيمة؛ و انتهى إليه الفلال فتذامروا، و قال فلال الأهواز و فارس لفلال السواد و الجبل: إن افترقتم لم تجتمعوا بعدها أبدا؛ فاجتمعوا على العدو مرة واحدة، فهذا مدد الملک و هذا قارن، لعل الله يديلنا و يشفينا من عدونا و ندرک بعض ما أصابوا منّا. ففعلوا و عسكروا بالمذار، و استعمل قارن على مجنبتيه قباذ و أنوشجان، فأرسل المثنى إلى خالد بالخبر؛ فعند ذلک قسم خالد الفىء على من أفاء الله عليه، و نفل من الخمس ما شاء الله، و بعث مع الوليد ابن عقبة ببقيته، و بالفتح إلى أبى بكر، و بالخبر عن القوم، و باجتماع المغيث منهم و المغاث إلى الثنى، و هو النهر، و خرج خالدا سائرا إليهم حتى ينزل المذار، فالتقوا و خالد على تعبئته، فاقتتلوا على حنق و حفيظة، و خرج قارن يدعو للبراز، فبرز له خالد و أبيض الركبان معقل بن الأعشى بن النباش، فابتدراه، فسبقه إليه معقل فقتله، و قتل عاصم أنوشجان، و قتل عدى قباذ. و كان شرف قارن قد انتهى؛ ثم لم يقاتل المسلمون بعده أحدا انتهى شرفه فى

الأعاجم.

و قتلت فارس مقتلة عظيمة؛ فضموا السفن و منعت المياه المسلمين من طلبهم. و أقام خالد بالمذار، و سلم الأسلاب لمن سلبها بالغة ما بلغت و قسم الفىء و نفل من الأخماس ما نفل فى أهل البلاء، و بعث ببقيتها إلى أبى بكر، رضى الله عنه.

و عن الشعبى قال: دفع خالد إلى أبيض الركبان سلب قارن و قيمته مائة ألف، و إلى عاصم و عدى سلب أنوشجان و قباذ، و قيمة سلب كل واحد منهما ثلاثة أرباع الشرف.

و عن أبى عثمان قال: قتل ليلة المذار ثلاثون ألفا سوى من غرق، و لو لا المياه لأتى على آخرهم، و لم يفلت منهم من أفلت إلا عراة أو أشباه العراة.

قال الشعبى: لم يلق خالد أحدا بعد هرمز إلا كانت الوقعة الآخرة أعظم من التى قبلها.

و أقام خالد بالثنى يسبى عيالات المقاتلة و من أعانهم، و أقر الفلاحين و من أجاب إلى الخراج من جميع الناس بعد ما دعوا، و كل ذلك أخذ عنوة، و لكن دعوا إلى الجزاء فأجابوا و تراجعوا، و صاروا ذمة، و صارت أرضهم خراجا؛ و كذلك جرى ما لم يقسم، فإذا اقتسم فلا، و من ذلك السبى كان حبيب أبو الحسن البصرى، و كان نصرانيا.

و قال عزيز بن مكنف: لم يدع خالد بعد هرمز أحدا من الأعاجم حتى هلك أردشير

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۷۸

إلا أن يدعو قوما بعد ما يغلبهم على أرضهم و يجليهم عنها إلى الجزاء و الذمة فيرد عليهم أرضهم فيصيروا ذمة ما لم تقتسم، و بذلك جرت السنة.

و أمر خالد على الجزاء سويد بن مقرن المزنى، و أمره بنزول الحفير، و أمره ببث عماله، و وضع يديه فى الجبايهٔ، و أقام لعدوه يتحسس الأخبار.

و قال عاصم بن عمرو فى ذلك من أبيات:

فلم أر مثل يوم السيب حتى رأيت الثنى تخضبه الدماء

و ألوت خيلنا لما التقينابقارن و الأمور لها انتهاء

حديث الولجة «۱» و هى مما يلى كسكر من البر

و كانت فى صفر سنة اثنتى عشرة.

قالوا: لما وقع الخبر إلى أردشير بمصاب قارن و أهل المذار، أرسل الأندرزغر، و كان فارسيا من مولدى السواد و تنائهم؛ و لم يكن ممن ولد فى المدائن و لا نشأ بها، و أرسل بهمن جاذويه فى أثره، و كان رافد فارس فى يوم من أيام شهرهم، و ذلك أنهم بنوا شهورهم كل شهر على ثلاثين يوما؛ فكان لأهل فارس فى كل يوم رافد نصب لذلك يرفدهم عند الملك؛ فكان بهمن أحدهم، فخرج الأندرزغر سائرا من المدائن حتى أتى كسكر «۲»، ثم جازها إلى الوالجة «۳»، و خرج بهمن جاذويه فى أثره، فأخذ غير طريقه فسلك أوسط السواد، و قد حشد الأندرزغر من بين الحيرة و كسكر من عرب الضاحية و الدهاقين فعسكروا إلى جنب عسكره بالولجة؛ فلما اجتمع له ما أراد و استتم له أعجبه ما هو فيه، و أجمع السير إلى خالد.

و لما بلغ خالدا خبره و نزوله الولجة، نادى بالرحيل، و خلف سويد بن مقرن، و أمره بلزوم الحفير، و تقدم إلى من خلف بأسفل دجلة، و أمرهم بالحذر و قلة الغفلة، و ترك

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۳۵۳، ۳۵۴)، الكامل لابن الأثير (۲۶۳، ۲۶۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۴۵)، نهاية الأرب للنويرى (۱۹/

۱۰۹).

(۲) كسكر: أى عامل الزرع، و هو بلد بالعراق بين الكوفة و البصرة. انظر: معجم البلدان (۴/ ۴۶۱).

(۳) الولجة و الوالج: موضع يلى كسكر من البر. انظر: تاريخ الرسل و الملوك للطبرى (۳/ ۳۵۳)، معجم البلدان (۵/ ۳۸۳).

الاغترار، و خرج سائرا فى الجنود نحو الولجة، حتى نزل على الأنذرزعر و جنوده و من تأشب إليه، فاقتتلوا قتالا شديدا؛ هو أعظم من قتال الثنى، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ، و استبطأ خالد كمينه؛ و كان قد وضع لهم كمينا فى ناحيتين، عليهم بسر بن أبى رهم و سعيد بن مرة العجلى، فخرج الكمين من وجهين، فانهزمت صفوف العاجم و ولوا؛ و أخذهم خالد من بين أيديهم و الكمين من خلفهم، فلم ير رجل منهم مقتل صاحبه؛ و مضى الأنذرزعر فى هزيمته، فمات عطشا. و قام خالد فى الناس خطيبا يرغبهم فى بلاد العجم، و يزهدهم فى بلاد العرب، و قال: أ لا ترون إلى الطعام كالتراب، و الله لو لم يلزمنا الجهاد فى الله، و الدعاء إليه، و لم يكن إلا المعاش لكان الرأى أن نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به، و نولى الجوع و الإقلال من تولاه ممن تثاقل عما أنتم عليه.

و سار خالد فى الفلاحين سيرته فلم يقتلهم، و سبى ذرارى المقاتلة و من أعانهم، و دعا أهل الأرض إلى الجزاء و الذمة فتراجعوا.

و بارز خالد يوم الولجة رجلا من أهل فارس يعدل بألف رجل فقتله، فلما فرغ اتكأ عليه، و دعا بغذائه.

و قال خالد يذكر ذلك اليوم:

نهكناهم بها حتى استجاروا و لو لا الله لم يرزوا قبالا

فولوا الله نعمته و قولواألا بالله نحتضر القتالا و قال القعقاع فى ذلك و أثنى على المسلمين:

و لم أر قوما مثل قوم رأيتهمعلى ولجات البر أحمى و أنجبا

و أقتل للرواس فى كل مجمعإذا صعصع الدهر الجموع و كبكبا

فنحن حبسنا بالزمازم بعد ماأقاموا لنا فى عرصة الدار ترقبا

قتلناهم ما بين قلع مطلقإلى القيعة الغبراء يوما مطنبا

حديث أليس، و هى على صلب الفرات «۱»

و لما أصاب خالد من أصاب يوم الولجة من بكر بن وائل من نصاراهم الذين أعانوا

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۳۵۵- ۳۵۸)، الروض المعطار (ص ۲۹، ۳۰)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۲۶۴، ۲۶۵)، نهاية الأرب للنويرى (۱۹/ ۱۰۹، ۱۱۰)، البداية و النهاية لابن كثير (ص ۳۴۶، ۳۴۷).

أهل فارس غضب لهم نصارى قومهم؛ فكاتبوا الأعاجم و كاتبتهم الأعاجم؛ فاجتمعوا إلى أ ليس، و عليهم عبد الأسود العجلى، و كان أشد الناس على أولئك النصارى مسلموا بنى عجل عتيبة بن النهاس و سعيد بن مرة و فرات بن حيان و المثنى بن لاحق و مذعور بن عدى.

و كتب أردشير إلى بهمن جاذويه: أن سر حتى تقدم أ ليس بجيشك إلى من اجتمع بها من فارس و نصارى العرب. فقدم بهمن أمامه جابان و أمره بالحث و قال له: كفكف نفسك و جندك عن قتال القوم حتى ألحق بك إلا أن يعجلوك. فسار جابان نحو أ ليس، و انطلق بهمهن إلى أردشير ليحدث به عهدا، و يستأمره فيما يريد أن يشير به، فوجده مريضا؛ فعرج عليه، و أخلى جابان بذلك الوجه، و مضى جابان حتى انتهى إلى أ ليس فنزل بها، و اجتمعت إليه المسالح التى كانت بإزاء العرب، و عبد الأسود فى نصارى بنى عجل و

تیم اللات و ضبیعة و عرب الضاحیة من أهل الحیرة، و کان أبجر بن بجیر نصرانیا فساند عبد الأسود؛ و کان خالد بلغه بجمع عبد الأسود و أبجر و زهیر فیمن تأشب إلیهم، فنهد إلیهم و لا یشعر بدنو جابان، و لیست لخالد همة إلا من تجمع له من عرب الضاحیة و نصاراهم.

و لما طلع خالد علی أ لیس قالت الأعاجم لجابان: أ نعاجلهم أو نغدی الناس و لا نریهم أنا نحفل بهم، ثم نقاتلهم بعد الفراغ؟ فقال جابان: إن ترکوکم و التهاون بهم فتهاونوا، و لکن ظنی أن سیعاجلوکم و یعجلوکم عن طعامکم، فعصوه و بسطوا البسط و وضعوا الأطعمة، و تداعوا إلیها، و توافوا علیها.

فلما انتهی خالد إلیهم أمر بحط الأثقال، فلما وضعت توجه إلیهم، و وکل خالد بنفسه حوامی یحمون ظهره، ثم برز أمام الصف فنادی: أین أبجر؟ أین مالک بن قیس؟

رجل من خدرة، فنکلوا عنه جمیعا إلا مالکا، فبرز له، فقال له خالد: یا ابن الخبیثة، ما جرأک علیّ من بینهم، و لیس فیک وفاء!.

و قال:

أنا ابن ذات الحسب الممذوقإنک فی ضیق أشد الضیق و ضربه فقتله، و أجهض الأعاجم عن طعامهم قبل أن یأکلوه، فقال لهم جابان: أ لم أقل لکم یا قوم؟ لا- و الله ما دخلتنی من رئیس وحشة قط حتی کان الیوم، فقالوا: تجلدا، حیث لم یقدروا علی الأکل: ندعها حتی نفرغ منهم؛ ثم نعود إلیها. فقال جابان:

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۸۱

و أیضا أظنکم و الله لهم وضعتموها و أنتم لا تشعرون، فالآن فأطیعونی و سموها؛ فإن کانت لنا فأهون هالک، و إن کانت علینا کنا قد صنعنا شیئا، و أبلینا عذرا. فقالوا: لا، إلا اقتدارا علیهم.

و جعل جابان علی مجنبتیه عبد الأسود و أبجر، و خالد علی تعبئته فی الأیام التی قبلها، فاقتتلوا قتالا شدیدا، و المشرکون یزیدهم کلبا و شدة ما یتوقعون من قدوم بهمن، فصابروا المسلمین للذی کان فی علم الله أن یصیرهم إلیه، و حرب المسلمون علیهم، و قال خالد: اللهم لک علیّ إن منحتنا أکتافهم أن لا استبقی منهم أحدا قدرنا علیه حتی أجری نهرهم بدمائهم! ثم إن الله، عز و جل، کشفهم للمسلمین، و منحهم أکتافهم، فأمر خالد منادیه، فنادی فی الناس: الأسر الأسر! لا- تقتلوا إلا- من امتنع، فأقبلت الخیول بهم أفواجا مستأسرین یساقون سوقا، و قد و کل بهم رجالا یضربون أعناقهم فی النهر، ففعل ذلک بهم یوما و لیلة و طلبوهم الغد و بعد الغد؛ حتی انتهوا إلی النهرین، و مقدار ذلک من کل جوانب أ لیس. فضرب أعناقهم، و کانت علی النهر أرحاء فطحنت بالماء و هو أحمر قوت العسکر ثلاثة أیام و هم ثمانیة عشر ألفا أو یزیدون.

و لما رجع المسلمون من طلبهم، و دخلوا عسکرهم، وقف خالد علی الطعام الذی کان المشرکون قدموه لغدائهم فأعجلوا عنه، فقال للمسلمین: قد نفلتکموه فهو لکم، و قد کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إذا أتی علی طعام مصنوع نفله، فقعد الناس علی ذلک لعشائهم باللیل، و جعل من لا یرد الأریاف و لا یعرف الرقاق یقول: ما هذه الرقاع البیض! و جعل من قد عرفها یجیبهم، و یقول لهم مازحا: هل سمعتم برقیق العیش؟ فیقولون: نعم، فیقول: هو هذا؛ فسمی الرقاق.

و عن خالد بن الولید أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم نفل الناس یوم خیبر الخبز و الطبیخ و الشواء و ما أکلوا غیر ذلک فی بطونهم غیر متأثلیه.

و بعث خالد بالخبر مع رجل یدعی جندلا من بنی عجل، و کان دلیلا صارما، فقدم علی أبی بکر، رضی الله عنه، بالخبر، و بفتح أ لیس، و بقدر الفیء، و بعدة السبی، و بما حصل من الأخماس، و بأهل البلاء من الناس، فلما رأی أبو بکر صرامته و ثبات خبره، قال: ما اسمک؟ قال: جندل. فقال أبو بکر: ویها جندل:

نفس عصام سودت عصاماو علمته الکرّ و الإقداما و أمر له بجاریة من السبی فولدت له.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۸۲

و کان خالد و جنده هم جند المسلمین، و کتیبة الإسلام، بهم فض الله أهل فارس و رعبهم، و ما زالت بعدها مرعوبة منتشرة لم یأتوا فی وقعة بمثل ذلک الجد و الصبر إلی أن فارقهم خالد إلی الشام.

و بلغت قتلاهم یوم أ لیس سبعین ألفا جلهم من أمغیشیا، و فی ذلک یقول الأسود بن قطبة:

قتلنا منهم سبعین ألفابقیة خربهم غبّ الإسار

سوی من لیس یحصی من قتیلو من قد غال جولان الغبار و قال خالد بن الولید لما افتتح الحیرة: لقد قاتلت یوم مؤتة فانقطع فی یدی تسعة أسیاف، و ما لقیت قوما کقوم لقیتهم من أهل فارس، و ما لقیت من أهل فارس قوما کأهل أ لیس.

حدیث أمغیشیا و کیف أفاءها الله بغیر قتال «۱»

و لما فرغ خالد من وقعة أ لیس، نهض فأتی علی أمغیشیا و قد أعجلهم عما فیها، و قد جلا أهلها، و تفرقوا فی السواد، فأمر خالد بهدمها و هدم کل شیء کان فی حیزها و کانت مصرا کالحیرة؛ و کان فرات بادقلی ینتهی إلیها، و کان أ لیس من مسالحها، فأصابوا فیها ما لم یصیبوا قط قبله مثله.

و بلغ سهم الفارس ألفا و خمسمائة، سوی الأنفال التی نفلها أهل البلاء.

و لما بلغ ذلک أبا بکر قال: یا معشر قریش، عدا أسدکم علی الأسد فغلبه علی خراذیله، أعجز النساء أن ینسأن بمثل خالد.

حدیث یوم المقر و فم فرات بادقلی مع ما یتصل به من حدیث الحیرة «۲»

ذکر أن الآزادبه کان مرزبان الحیرة من زمان کسری إلی ذلک الیوم، و کانوا لا یمد

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۳۵۸، ۳۵۹)، الروض المعطار (ص ۳۱).

(۲) انظر: الطبری (۳/ ۳۵۹- ۳۷۳)، الکامل لابن الأثیر (۳/ ۲۶۵- ۲۶۸)، نهایة الأرب للنویری (۱۹/ ۱۱۱، ۱۱۲)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۶/ ۳۴۷، ۳۴۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۸۳

بعضهم بعضا إلا بإذن الملک، فلما أخرب خالد أمغیشیا علم أنه غیر متروک، فتهیأ لحرب خالد، و قدم ابنه، ثم خرج فی أثره، فعسکر خارجا من الحیرة، و أمر ابنه بسد الفرات.

و لما استقبل خالد من أمر أمغیشیا و حمل الرجل فی السفن مع الأثقال و الأنفال، لم یفجأ خالدا إلا و السفن جوانح فارتاعوا لذلک، فقال الملاحون: إن أهل فارس فجروا النهار، فسلک الماء علی غیر طریقه، فلا یأتینا الماء إلا بسد الأنهار، فتعجل خالد فی خیل نحو الآزادبه، فلقی علی فم العتیق خیلا من خیلهم، فجأهم و هم آمنون غارته تلک الساعة، فأنامهم بالمقر، ثم سار من فوره، و سبق الأخبار إلی ابن الآزادبه حتی یلقاه و جنوده بفم فرات بادقلی، فاقتتلوا، فأنامهم خالد، و فجر الفرات و سد الأنهار فسلک الماء سبیله.

ثم قصد خالد للحیرة، و استلحق أصحابه، و سار حتی ینزل بین الخورنق و النجف، فقدم خالد الخورنق، و قد قطع الآزادبه الفرات هربا من غیر قتال، و إنما جرأه علی الهرب أن الخبر وقع إلیه بموت أردشیر و بمصاب ابنه، و کان عسکره بین الغریین و القصر الأبیض. و لما تتام أصحاب خالد إلیه بالخورنق خرج منه حتی یعسکر فی موضع عسکر الآزادبه بین الغریین و القصر الأبیض، و أهل الحیرة متحصنون، فأدخل خالد الحیرة الخیل من عسکره، و أمر بکل قصر رجلا من قواده یحاصر أهله و یقاتلهم، فکان ضرار بن الأزور محاصرا للقصر الأبیض، و فیه إیاس بن قبیصة الطائی، و کان ضرار بن الخطاب محاصرا قصر الغریین و فیه عدی بن عدی المقتول، و

كان ضرار بن مقرن المزنى، عاشر عشرة إخوة له، محاصرا قصر بنى مازن و فيه ابن أكال، و كان المثنى محاصرا قصر بنى بقيلة و فيه عمرو بن عبد المسيح، فدعوهم جميعا، و أجلوهم يوما، فأبى أهل الحيرة و لجوا، فناوشهم المسلمون. الاكتفاء، الكلاعى ج ۲ ۳۸۳ حديث يوم المقر و فم فرات بادقلى مع ما يتصل به من حديث الحيرة ..... ص : ۳۸۲

عهد خالد إلى أمرائه أن يبدءوا بالدعاء، فإن قبلوا قبلوا منهم، و إن أبوا أجلوهم يوما، و قال: لا تمكنوا عدوكم من آذانكم فيتربصوا بكم الدوائر، و لكن ناجزوهم و لا ترددوا المسلمين عن قتال عدوهم.

فكان أول القواد أنشب القتال بعد يوم أجلوهم فيه ضرار بن الأزور، و كان على قتال القصر الأبيض، فأصبحوا و هم مشرفون، فدعاهم إلى إحدى ثلاث: الإسلام، أو الجزاء، أو المنابذة، فاختاروا المنابذة، فقال ضرار: ارشقوهم، فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل، فأعروا رءوس الحيطان، ثم بثوا غارتهم فيمن يليهم، و صبح أمير كل قوم أصحابه

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۸۴

بمثل ذلك، فافتتحوا الدور و الديران، و أكثروا القتل، فنادى القسيسون و الرهبان: يا أهل القصور، ما يقتلنا غيركم. فنادى أهل القصور: يا معشر العرب، قد قبلنا واحدة من ثلاث فدعونا و كفوا عنا حتى تبلغونا خالدا.

و كان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن الحارث و هو بقيلة، و إنما سمى بقيلة لأنه خرج على قومه فى بردين أخضرين، فقالوا له: يا حار ما أنت إلا بقيلة خضراء، ثم تتابعوا على ذلك. فخرج وجوه كل قصر إلى من كان عليه من أمراء خالد، فأرسلوهم إليه مع كل رجل منهم ثقة من قبل مرسله، فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين، و بدأ بأصحاب عدى بن عدى و قال: ويحكم ما أنتم؟

أعرب؟ فما تنقمون من العرب؟ أو عجم؟ فما تنقمون من الإنصاف و العدل؟ فقال له عدى: بل عرب عاربة و أخرى متعربة، فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادونا و تكرهوا أمرنا؟! فقال له عدى: ليدلك على ما تقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية، فقال:

صدقت. اختاروا واحدة من ثلاث: إما أن تدخلوا فى ديننا فلكم ما لنا و عليكم ما علينا إن نهضتم و هاجرتم أو أقمتم فى دياركم، أو الجزية، أو المنابذة و المناجزة، فقد و الله أتيتكم بقوم هم أحرى على الموت منكم على الحياة. فقال: بل نعطيكم الجزية، فقال خالد: تبا لكم، ويحكم إن الكفر فلاة مضلة، فأحمق العرب من سلكها فلقيه دليلان:

أحدهما عربى فتركه و استدل الأعجمى. فصالحوه على مائة ألف و تسعين ألفا، و تتابعوا على ذلك، و أهدوا له الهدايا، و بعث بالفتح و الهدايا إلى أبى بكر الصديق، فقبلها أبو بكر، رضى الله عنه، من الجزاء، و كتب إلى خالد: أن احسب لهم هديتهم من الجزاء، إلا أن تكون من الجزاء و خذ بقية ما عليهم فقو بها أصحابك.

و فى حديث مثله أو نحوه عن رجل من كنانة و غيره: أن أهل الحيرة لما انتهوا إلى خالد كانوا يختلفون إليه و يقدمون فى حوائجهم عمرو بن عبد المسيح، فقال له خالد:

كم أتت عليك؟ قال: مئو سنين، قال: فما أعجب ما رأيت؟ قال: رأيت القرى منظومة ما بين دمشق و الحيرة، و تخرج المرأة من الحيرة فلا تزود إلا رغيفا، فتبسم خالد، قال:

هل لك من شيخك إلا عقله خرفت و الله يا عمرو ثم أقبل على أهل الحيرة و قال: أ لم يبلغنى أنكم خبثة خدعة مكرة؟ فما لكم تتناولون حوائجكم بخرف لا يدرى من أين جاء؟ فتجاهل له عمرو، و أحب أن يريه من نفسه ما يعرف به عقله، و يستدل به على صحة ما حدثه به، فقال: و حقك أيها الأمير، إنى لأعرف من أين جئت؟ قال: فمن أين جئت؟ قال: أقرب أم أباعد؟ قال: ما شئت، قال:

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۸۵

من بطن أمى، قال: فأين تريد؟ قال: ما أمامى، قال: و ما هو؟ قال: الآخرة. قال: فمن أين أقصى أثرك؟ قال: صلب أبى، قال: ففيم

أنت؟ قال: فى ثيابى، فقال خالد: إنه ليعقل! قال: أى و الله و أفيد، فوجده حين فره عضا و كان أهل قريته أعلم به.

و قال خالد: قتلت أرض جاهلها، و قتل أرضا عالمها، القوم أعلم بما فيهم! فقال عمرو: و النملة أعلم بما فى بيتها من الجمل بما فى بيت النملة!.

قالوا: و كان مع ابن بقيلة منصف له متعلقا كيسا فى حقوه، فتناول خالد الكيس و نثر ما فيه فى راحته، و قال: ما هذا يا عمرو؟ قال: هذا و أمنة الله سمّ ساعة، قال: و لم تحتقبه؟ قال: خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت، و قد أتيت على أجلى، و الموت أحب إلىّ من مكروه أدخله على قومى. فقال خالد: إنه لن تموت نفس حتى تأتى على أجلها، و قال: بسم الله خير الأسماء، و رب الأرض و السماء، الذى ليس يضر مع اسمه داء، فأهووا إليه ليمنعوه، فبادرهم و ابتلع السم، فقال عمرو: و الله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد أيها القرن.

و أقبل على أهل الحيرة، و قال: لم أر كاليوم أمرا أوضح إقبالا.

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد ذكر الحيرة و أنه أريها و رفعت له، و كأن شرف قصورها أضراس الكلاب، و أنها ستفتح على المسلمين. فسأله رجل يقال له: شويل، كرامة بنت عبد المسيح، فقال له: «هى لك إذا فتحت عنوة»، يعنى الحيرة، فلما راوض أهل الحيرة خالدا على الصلح و أداء الجزية قام إليه شويل فذكر له ذلك و شهد له به، فأبى خالد أن يكاتبهم إلا على إسلام كرامة إلى شويل، فثقل ذلك عليهم، فقالت: هونوا عليكم و أسلمونى، فإنى سأفتدى، ففعلوا، و كتب خالد بينه و بينهم كتابا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عديا و عمرا ابنى عدى، و عمرو بن عبد المسيح، و إياس بن قبيصة، و حيرى بن أكال، و هم نقباء أهل الحيرة، و رضى بذلك أهل الحيرة و أمروهم به، و عاهدوهم على تسعين و مائة ألف درهم، تقبل فى كل سنة جزاء عن أيديهم فى الدنيا، رهبانهم و قسيسيهم، و جماعتهم، إلا من كان غير ذى يد، حبيسا عن الدنيا، تاركا لها، و سائحا تاركا للدنيا، و على المنعة، فإن لم يمنعهم فلا شىء عليهم حتى يمنعهم، و إن غدروا بقول أو فعل فالذمة منهم بريئة. و كتب فى شهر ربيع الأول سنة اثنتى عشرة».

فاستخف أهل الحيرة بهذا الكتاب و ضيعوه، فلما نقض أهل السواد بعد موت أبى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۸۶

بكر و كفروا فيمن كفر، و غلب عليهم أهل فارس، ثم افتتحها المثنى بن حارثة ثانية، أدلوا بمقتضى ذلك الكتاب، فلم يجبهم إليه، و دعا بشرط آخر، فلما غلب المثنى على البلاد كفروا فيمن كفر، و أعانوا، و استخفوا و أضاعوا الكتاب، فلما افتتحها سعد، أدلوا بذلك فسألهم واحدا من الشرطين، فلم يجيبوا به، فوضع عليهم و تحرى ما يرى أنهم يطيقون، فوضع عليهم أربعمائة ألف سوى الخرزة، و هو رسم كان عليهم لكسرى فى كل سنة أربعة دراهم على كل رأس.

و فيما حكاه ابن الكلبى من حديث الحيرة أن الذى خرج منهم إلى خالد هو عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة و هانئ بن قبيصة الطائى، مع من خرج إليه من أشرافهم، و أن خالدا سأل عبد المسيح فذكر نحوا مما تقدم عن عمرو بن عبد المسيح إلى أن قال له:

ويحك تعقل قال: نعم، و أفيد. قال خالد: و أنا أسألك، قال عبد المسيح: و أنا أجيبك.

قال: أسلم أنت أم حرب؟ قال: بل سلم. قال: فما هذه الحصون التى أرى؟ قال: بنيناها للسفيه تمنعه حتى يأتى الحليم فينهاه. ثم ذكر من مصالحته إياهم على الجزية نحوا مما تقدم.

قال: فكانت أول جزية حملت إلى المدينة، من العراق، ثم نزل على بانقيا فصالحهم بصهير بن صلوبا على ألف درهم و طيلسان، و كتب لهم كتابا.

و عن ابن إسحاق أن أول شىء صالح عليه خالد حين سار يريد العراق قريات من السواد، يقال لها: بانقيا، و باروسما، و ألّيس، نزل عليها خالد فصالحه عليها ابن صلوبا، فقبل منهم خالد الجزية، و كتب لهم كتابا.

قال: ثم أقبل خالد بمن معه حتى نزل الحيرة فجعل ابن إسحاق شأن تلك القريات مقدما على أمر الحيرة، و الأكثرون يقولون إنها كانت بعدها، و إن أهلها و سائر دهاقين الملطاطين إنما كانوا يتربصون و ينظرون ما يصنع أهل الحيرة. فلما استقام ما بين أهل الحيرة و بين خالد على الصلح طلب جميعهم الصلح و سمحوا بالجزية و اكتتبوا بها من خالد كتبا.

و بين الرواة خلاف كثير فى أسماء الرجال و الأماكن و مقادير الجزاء، فرأيت اختصار ذلك أولى.

و عن الشعبى فى حديث كرامة بنت عبد المسيح لما اشتد على قومها دفعها إلى شويل و أعظم الخطر، قالت لهم: لا تخطروه، و لكن اصبروا، ما تخافون على امرأة بلغت ثمانين

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۸۷

سنة؟ إنما هذا رجل أحمق رآنى فى شبيبتى فظن أن الشباب يدوم. فدفعوها إلى خالد، فدفعها خالد إليه، فقالت: ما أربك إلى عجوز كما قد ترى؟ فأدنى قال: لا، إلا على حكمى، قالت: فلك حكمك مرسلا، فقال: لست لأم شويل إن نقصتك من ألف درهم! فاستكثرت ذلك لتخدعه، ثم أتته بها. فرجعت إلى أهلها، فتسامع الناس بذلك، فعنفوه، فقال: ما كنت أرى أن عددا يزيد على ألف، و خاصمهم إلى خالد، و قال:

كانت نيتى غاية العدد، و قد ذكروا أن العدد يزيد على ألف، فقال خالد: أردت أمرا و أراد الله غيره، و نأخذ بما ظهر و ندعك و نيتك، كاذبا كنت أو صادقا.

و مما يروى من شعر ابن بقيلة:

أبعد المنذرين أرى سواماتروح بالخورنق و السدير

و بعد فوارس النعمان أرعىقلوصا بين مرة و الحفير

فصرنا بعد ملك أبى قبيس كجرب المعز فى اليوم المطير

تقسمنا القبائل من معدعلانية كأيسار الجزور

و كنا لا يرام لنا حريمفنحن كضرة الضرع الفجور

نودى الخرج بعد خراج كسرىو خرج من قريظة و النضير

كذاك الدهر دولته سجالفيوم فى مساءة أو سرور و قال القعقاع بن عمرو فى أيام الحيرة «۱»:

سقى الله قتلى بالفرات مقيمةو أخرى بأثباج النجاف الكوانف

فنحن وطئنا بالكواظم هرمزاو بالثنى قرنى قارن بالجوارف

و يوم أحطنا بالقصور تتابعتعلى الحيرة الروحاء إحدى المصارف

حططناهم منها و قد كاد عرشهميميل به فعل الجبان المخالف

مننا عليهم بالقبول و قد رأواعيون المنايا حول تلك المحارف

صبيحة قالوا نحن قوم تنزلواإلى الريف من أرض العريب النفانف و قال أخوه عاصم بن عمرو فى ذلك:

صبحنا الحيرة الروحاء خيلاو رجلا فوق أثباج الركاب

حصرنا فى نواحيها قصورامشرفة كأضراس الكلاب

فبادوا بالعريب و لم يحاموافقلنا دونكم فعل العراب

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۳۶۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۴۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۸۸ فقالوا بل نؤدى الخرج حتىتزل الراسيات من الضراب

صدفنا عنهم لما اتقوناو أبنا حیث أبنا بالنهاب و بعث خالد بن الولید عماله و مسالحه، لجبایة الخراج و حمایة البلاد، و أمر أمراءه علی الثغور بالغارة و الإلحاح، فنزلوا علی السیب فی عرض سلطانه، و هناک کانت الثغور فی زمانه، فمهدوا له ما وراء ذلک إلی شاطئ دجلة، و لیس لأهل فارس فیما بین الحیرة و دجلة أمر، و لیس لأحدهم ذمة إلا الذین کاتبوا خالدا و اکتتبوا منه، و سائر أهل السواد جلاء و متحصنون و محاربون، و جنی الخراج إلی خالد فی خمسین لیلة، و کان الذین ضمنوه رءوس الرساتیق رهنا فی یدیه، فأعطی ذلک کله المسلمین، فقووا به علی أمرهم.

و قال أبو مفزر الأسود بن قطبة فیما فتح بعد الحیرة:

ألا أبلغا عنا الخلیفة أنناغلبنا علی نصف السواد الأکاسرا

غلبنا علی ماء الفرات و أرضهعشیة حزنا بالسیوف الأکابرا

فدرت علینا جزیة القوم بعد ماضربناهم ضربا یقط البواترا و لما غلب خالد علی أحد جانبی السواد، دعا برجلین، أحدهما حیری و الآخر نبطی، و کتب معهما کتابین إلی أهل فارس، أحدهما إلی الخاصة و الآخر إلی العامة. و هذا أحدهما:

«بسم الله الرحمن الرحیم، من خالد بن الولید إلی ملوک فارس، أما بعد، فالحمد لله الذی حل نظامکم، و وهن کیدکم، و فرق کلمتکم، و لو لم یفعل ذلک بکم لکان شرا لکم، فادخلوا فی أمرنا ندعکم و أرضکم، و نجزکم إلی غیرکم، و إلا کان ذلک علی غلب و أنتم کارهون، علی أیدی قوم یحبون الموت کحبکم الحیاة».

و الکتاب الآخر:

«بسم الله الرحمن الرحیم، من خالد بن الولید إلی مرازبة فارس، أما بعد، فالحمد لله الذی فض حرمتکم، و فرق کلمتکم، و فل حدکم، و کسر شوکتکم، فأسلموا تسلموا، و إلا فاعتقدوا منی الذمة، و أدوا الجزیة، و إلا فقد جئتکم بقوم یحبون الموت کما تحبون الحیاة».

و دعا خالد الرجل الحیری فقال له: ما اسمک؟ قال: مرة. قال: خذ الکتاب، لأحد الکتابین، فأت به أهل فارس لعل الله یمر علیهم عیشهم، أو یسلموا، و ینیبوا. و قال للنبطی: ما اسمک؟ قال: هزقیل. قال: خذ الکتاب، اللهم ازهق نفوسهم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۸۹

و کان أهل فارس إذ ذاک لموت أردشیر مختلفین فی الملک مجتمعین علی قتال خالد متساندین، إلا أنهم قد أنزلوا بهمن جاذویه ببهرسیر، و معه الآزادبه، فی أشباه له.

و لما وقعت کتب خالد إلی أهل المدائن تکلم نساء آل کسری، فولی الفرخزاد بن البندوان إلی أن یجتمع آل کسری علی رجل إن وجدوه، و أقام خالد فی عمله سنة و منزله الحیرة، یصعد و یصوب قبل خروجه إلی الشام، و أهل فارس یخلعون و یملکون، لیس إلا للدفع عن بهرسیر، و کان شیری بن کسری قد قتل کل من یناسب إلی کسری ابن قباذ، و وثب أهل فارس بعده و بعد أردشیر ابنه، و قتلوا کل من بین کسری بن قباذ و بین بهرام جور، فبقوا لا یقدرون علی من یملکونه ممن یجتمعون علیه.

و عن الشعبی قال: أقام خالد فیما بین فتح الحیرة إلی خروجه إلی الشام أکثر من سنة، یعالج عمل عیاض الذی سمی له، فقال خالد للمسلمین: لو لا ما عهد إلی الخلیفة ما کان دون فتح فارس شیء، و کان عهد إلیه و إلی عیاض إذ وجههما أن یستبقا إلی الحیرة فأیهما سبق إلیها فهو أمیر علی صاحبه، و قال: فإذا اجتمعتما بالحیرة و فضضتما مسالح فارس، و أمنتما أن یؤتی المسلمون من خلفهم فلیکن أحدکما ردءا للمسلمین و لصاحبه بالحیرة و لیقتحم الآخر علی عدو الله و عدوکم من أهل فارس دارهم و مستقر عزهم المدائن، حسب ما تقدم من کتاب أبی بکر إلیهما بذلک قبل هذا.

فکان خالد لا یستطیع أن یفارق مکانه للاقتحام علی فارس و لا لإغاثة عیاض و کان بدومة قد شجی و أشجی؟، لأجل ما عهد إلیه أبو بکر أن لا یقتحم علیهم، و خلفه نظام لهم. و کان بالعین عسکر لفارس و بالأنبار آخر و بالفراض آخر، ثم إن خالدا لما استقام له ما

بین الفلالیج إلی أسفل السواد فرق سواد الحیرة علی رجال ممن کان معه، و فعل فی سواد الأبلة مثل ذلک، و أقر أمر المسالح علی ثغورهم، و استخلف علی الحیرة القعقاع بن عمرو. و خرج خالد فی عمل عیاض لیقضی ما بینه و بینه و لإغاثته، فسار حتی نزل بکربلاء، و أقام علیها أیاما، و شکا إلیه عبد الله بن وثیمة الذباب، فقال له: اصبر فإنی إنما أرید أن أستفرغ المسالح التی أمر بها عیاض فتسکنها العرب، فتأمن جنود المسلمین أن یؤتوا من خلفهم، و تجیئنا العرب آمنة و غیر متعتعة، و بذلک أمرنا الخلیفة، و رأیه یعدل نجدة الأمة.

و قال رجل من أشجع فی مثل ما شکاه ابن وثیمة النضری من أمر الذباب:

لقد حبست بکربلاء مطیتیو بالعین حتی عاد غثّا سمینها

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۹۰ إذا رحلت من منزل رجعت لهلعمر أبیها إننی لا أهینها

و یمنعها من ماء کل شریعةرفاق من الذبان زرق عیونها

حدیث الأنبار «۱» و هی ذات العیون «۲»

و خرج خالد فی تعبیته التی خرج فیها من الحیرة، علی مقدمته الأقرع بن حابس.

فلما نزل الأقرع المنزل الذی یسلمه إلی الأنبار نتج قوم من المسلمین إبلهم، فلم یستطیعوا العرجة، و لم یجدوا بدا من الإقدام، و معهم بنات مخاض تتبعهم. فلما نودی بالرحیل صروا الأمهات، و احتقبوا المنتوجات؛ لأنها لم تطق السیر، فانتهوا رکبانا إلی الأنبار، و قد تحصن أهلها، و خندقوا علیها، فأشرفوا من حصنهم، و علی الجنود التی قبلهم شیرزاد صاحب ساباط «۳»، و کان أعقل أعجمی یومئذ و أسوده، فتصایح عرب الأنبار و قالوا:

صبح الأنبار شر، جمل یحمل جمیلة و جمل تربه عوذ. فقال شیرزاد، و قد سأل عن ما یقولون، فأخبر به: أما هؤلاء فقد قضوا علی أنفسهم، و الله لئن لم یکن خالد مجتازا لأصالحنه، فبینما هم کذلک قدم خالد علی المقدمة، فأطاف بالخندق، و أنشب القتال، و کان قلیل الصبر عنه إذا رآه أو سمع به، و تقدم إلی رماته، فأوصاهم و قال: إنی أری أقواما لا علم لهم بالحرب، فارموا عیونهم و لا توخوا غیرها، فرموا رشقا واحدا، ففقئت ألف عین یومئذ، فسمیت تلک الوقعة ذات العیون، و تصایح القوم: عیون أهل الأنبار فراسل شیرزاد خالدا فی الصلح علی أمر لم یرضه خالد، فرد رسله، و أتی خالد أضیق مکان فی الخندق فنحر رذایا الجیش ثم رمی فیه فأفعمه، ثم اقتحموا الخندق و الرذایا جسورهم، فاجتمع المسلمون و المشرکون فی الخندق، و أرز القوم إلی حصنهم، و راسل شیرزاد فی الصلح علی مراد خالد، فقبل منه خالد علی أن یخلیه و یلحقه بمأمنه فی جریدة خیل، لیس معهم من المتاع و المال شیء، فخرج شیرزاد، فلما قدم علی بهمن جاذویه و أخبره الخبر لامه، فقال له شیرزاد: إنی کنت فی قوم لیست لهم عقول، و أصلهم من العرب، فسمعتهم مقدمهم علینا یقضون علی أنفسهم، و قلما قضی قوم علی أنفسهم قضاء إلا وجب علیهم. ثم قاتلهم الجند، ففقئوا فیهم و فی أهل الأرض ألف عین، فعرفت أن المسألة أسلم، و أن قرة العین لهم، و أن العیون لا تقر منهم بشیء.

---

(۱) الأنبار: مدینة بالقرب من بلخ. انظر: معجم البلدان (۱/ ۲۵۷، ۲۵۸).

(۲) انظر: الطبری (۳/ ۳۷۳- ۳۷۵)، الکامل لابن الأثیر (۲/ ۲۶۹)، نهایة الأرب للنویری (۱۹/ ۱۱۲، ۱۱۳)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۶/ ۳۴۹)، تاریخ ابن خلدون (۲/ ۸۱).

(۳) ساباط: هی ساباط کسری، موضع بالمدائن. انظر: معجم البلدان (۳/ ۱۶۶، ۱۶۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۹۱

و لما اطمأن خالد بالأنبار و المسلمون، و أمن أهل الأنبار و ظهروا، رآهم یکتبون بالعربیة و یتعلمونها، فسألهم: ما أنتم؟ فقالوا: قوم من

العرب، نزلنا إلى قوم من العرب كانت أوائلهم نزلوا أيام بختنصر حين أباح العرب، فلم نزل عنها. فقال: ممن تعلمتم الكتابة؟ فقالوا: تعلمنا الخط من إياد، و أنشدوا قول الشاعر:

قوم إياد لو أنهم أمم أو لو أقاموا فتهزل النعم

قوم لهم باحة العراق إذا ساروا جميعا و الخط و القلم «۱» فصالح خالد من حولهم، و بدأ بأهل البوازيج، فبعث إليه أهل كلواذة «۲» ليعقد لهم، و كاتبهم عيبته من وراء دجلة.

ثم إن الأنبار و ما حولها نقضوا فيما كان يكون بين المسلمين و المشركين الدول ما خلا أهل البوازيج فإنهم ثبتوا كما ثبت أهل بانقيا.

حديث عين التمر «۳»

و لما فرغ خالد من الأنبار، و استحكمت له، استخلف عليها الزبرقان بن بدر، و قصد لعين التمر، و بها يومئذ مهران بن سوسن فى جمع عظيم من العجم، و عقة بن أبى عقة فى جمع عظيم من العرب من النمر و تغلب و إياد و من لاقاهم. فلما سمعوا بخالد قال عقة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا و خالدا. قال: صدقت، لعمرى لأنتم أعلم بقتال العرب، و إنكم لمثلنا فى قتال العجم. فخدعه و اتقى به، و قال: دونكموهم و إن احتجتم إلينا جئناكم.

فلما مضى عقة نحو خالد قالت الأعاجم لمهران: ما حملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب فقال: دعونى فإنى لم أرد إلا ما هو خير لكم و شر له، إنه قد جاءكم من قتل ملوككم، و فل حدكم، ما اتقيته بهم، فإن كانت لهم على خالد فهى لكم، و إن كانت الأخرى لم يبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم و نحن أقوياء و هم ضعفاء، فاعترفوا له بفضل الرأى، فلزم مهران العين و نزل عقة لخالد على الطريق، و بينه و بين مهران روحة أو غدوة، فقدم عليه خالد و هو فى تعبئة جنده، فعبأ خالد جنده و قال لمجنبتيه: اكفونا ما

---

(۱) انظر الأبيات فى: الطبرى (۳/ ۳۷۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۴۹).

(۲) كلواذة: موضع بين الكوفة و واسط. انظر معجم البلدان (۴/ ۴۷۷).

(۳) انظر: الطبرى (۳/ ۳۷۶، ۳۷۷)، الأخبار الطوال للدينورى (ص ۱۱۲)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۲۶۹، ۲۷۰)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۴۹، ۳۵۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۹۲

عندكم فإنى حامل، و وكل بنفسه حوامى، ثم حمل و عقة يقيم صفوفه، فاحتضنه فأخذه أسيرا، و انهزم صفه من غير قتال، فاتبعهم المسلمون و أكثروا فيهم القتل و الأسر.

و لما جاء الخبر مهران هرب فى جنده، و تركوا الحصن. فلما انتهى فلال عقة من العرب و العجم إلى الحصن اقتحموه و اعتصموا به، و أقبل خالد فى الناس حتى نزل عليه و معه عقة أسيرا و عمرو بن الصعق، و هم يرجون أن يكون خالد كمن كان يغير عليهم من العرب، فلما رأوه يحاولهم سألوه الأمان. فأبى إلا حكمه، فسكنوا إليه.

فلما فتحوا دفعهم إلى المسلمين أسارى، و أمر بعنقه فضربت عنقه ليؤيس الأسرى من الحياة، فلما رأوه مطروحا على الجسر يئسوا ثم دعا بعمرو بن الصعق فضربت عنقه، و ضرب أعناق أهل الحصن أجمعين، و سبى كل من حوى حصنهم، و غنم ما فيه، و وجد فى بيعتهم أربعين غلاما يتعلمون الإنجيل، عليهم باب مغلق، فكسره عنهم، و قال: ما أنتم؟ قالوا: رهن، فقسمهم فى أهل البلاء، فمن أولئك الغلمان أبو زياد مولى ثقيف، و حمران مولى عثمان، و نصير أبو موسى بن نصير، و سيرين والد محمد بن سيرين، و أبو عمرة جد عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر.

و قال عاصم بن عمرو فى ذلك يعير عقة:

ألا أبلغا الوركاء أن عميدهارهينة جيش من جيوش الزعافر

فبهلا لمن غرت كفالة عتقهبنى عامر أخرى الليالى الغوابر

أتيح له ضرغامة لا يفلهقراع الكماة و الليوث المساعر

أتيحت له نار تسيح و تلتوىو ترمى بأمثال النجوم العناهر

حديث دومة الجندل و ما بعدها من الأيام بحصيد و الخنافس و مصيخ و البشر و الفراض «۱»

قالوا: و لما قدم الوليد بن عقبة من عند خالد إلى أبى بكر، رضى الله عنه، بما بعثه به إليه من الأخماس، وجهه أبو بكر إلى عياض و أمده به، فقدم عليه الوليد و هو يحاصر أهل دومة، و هم محاصروه، و قد أخذوا عليه الطريق، فقال له الوليد: الرأى فى بعض الحالات

---

(۱) انظر: المغازى للواقدى (۱/ ۴۰۲)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۶۲، ۶۳)، معجم البلدان (۲/ ۴۸۷)، الطبرى (۳/ ۳۷۸- ۳۸۵)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۲۷۰- ۲۷۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۵۰- ۳۵۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۹۳

خير من جند كثيف، ابعث إلى خالد و استمده، ففعل، فقدم رسوله على خالد غب وقعة العين مستغيثا، فعجل به خالد إلى عياض و كتب إليه معه: إياك أريد.

لبث قليلا تأتك الجلائبيحملن آسادا عليها القاشب

كتائب يتبعها كتائب

و لما فرغ خالد من عين التمر خلف فيها عويمر بن الكاهل الأسلمى، و خرج فى تعبئته التى دخل فيها العين يريد عياضا، و لما بلغ أهل دومة مسير خالد إليهم بعثوا إلى أحزابهم من بهراء و كلب و غسان و تنوخ و الضجاعم، و قبل ما أتتهم منهم طوائف فيهم وديعة الكلبى، و ابن الأيهم التنوخى، و ابن الحدرجان، فأشجوا عياضا و أشجوا به، فلما بلغهم دنو خالد و هم على رئيسين: أكيدر بن عبد الملك، و الجودى بن ربيعة، اختلفوا، فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد، لا أحد أيمن طائرا منه، و لا أحد فى حرب، و لا يرى وجه خالد قوم قلوا أو كثروا إلا انهزموا عنه، فأطيعونى و صالحوا القوم، فأبوا عليه، فقال: لن أمالئكم على حرب خالد، فشأنكم.

فخرج لطيته، و بلغ ذلك خالدا فبعث عاصم بن عمرو معارضا له، فأخذه و قال: إنما تلقيت الأمير خالدا، فلما أتى به خالدا أمر به فضربت عنقه، و أخذ ما كان معه من شيء، و مضى خالد حتى ينزل على أهل دومة، و عليهم الجودى بن ربيعة، فجعل خالد دموة بين عسكره و عسكر عياض، و كان النصارى الذين أمدوا أهل دومة من العرب محيطين بحصن دومة لم يحملهم الحصن، فلما اطمأن خالد خرج الجودى فنهض بوديعة فرحفا لخالد، و خرج ابن الحدرجان و ابن الأيهم إلى عياض، فاقتتلوا فهزم الله الجودى و وديعة على يدى خالد، و هزم عياض من يليه، و ركبهم المسلمون، فأما خالد فإنه أخذ الجودى أخذا، و أخذ الأقرع بن حابس وديعة، و أرز بقية الناس إلى الحصن، فلم يحملهم، فلما امتلأ الحصن، أغلق من فى الحصن الحصن دون أصحابهم، فبقوا حوله، و قال عاصم ابن عمرو: يا بنى تميم، حلفاؤكم كلب آسوهم و أجيروهم، فإنكم لا تقدرون لهم على مثلها، ففعلوا، و كان سبب نجاتهم يومئذ وصية عاصم بهم، و أقبل خالد إلى الذين أرزوا إلى الحصن فقتلهم حتى سد بهم باب الحصن، و دعا بالجودى فضرب عنقه، و ضرب أعناق الأسرى إلا أسير كلب، فإن عاصما و الأقرع و بنى تميم قالوا: قد أمناهم، فأطلقهم لهم خالد، و قال: ما لى و لكم أ تحوطون أمر الجاهلية و تضيعون أمر الإسلام؟ فقال له عاصم: لا تحسدهم العافية، و لا تحرزهم الشيطان. ثم أطاف خالد بباب الحصن، فلم يزل عنه حتى اقتلعه، و اقتحموا عليهم، فقتلوا المقاتلة و سبوا الشرخ فأقاموهم فيمن يزيد،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۹۴

فاشترى خالد ابنة الجودى، و كانت موصوفة بالجمال، ثم إن خالدا رد الأقرع إلى الأنبار، و ثبت بدومة قليلا، ثم ارتحل منها إلى الحيرة، فلما كان قريبا منها حيث يصحبها أخذ القعقاع أهلها بالتغليس فخرجوا يتلقونه و هم مغلسون، و جعل بعضهم يقول لبعض: مروا بنا فهذا فرج الشر.

قالوا: و قد كان خالد عند ما أقام بدومة كاتب عرب الجزيرة الأعاجم غضبا لعقة، فخرج زرمهر من بغداد و معه روزبه يريدان الأنبار، و اتعدا حصيدا و الخنافس، فكتب بذلك الزبرقان و هو على الأنبار إلى القعقاع بن عمرو و هو يومئذ خليفة خالد على الحيرة، فبعث القعقاع أبا ليلى بن فدكى السعدى و أمره بحصيد، و بعث عروة بن الجعد البارقى و أمره بالخنافس، و قال لهما: إن رأيتما مقدما فأقدما. فخرجا فحالا بينهما و بين الريف، و انتظر روزبه و زرمهر بالمسلمين اجتماع من كاتبهما من ربيعة، و قد كانوا تكاتبوا و اتعدوا. فلما رجع خالد من دومة إلى الحيرة على الظهر و بلغه ذلك و قد عزم على مصادمة أهل المدائن كره خلاف أبى بكر، و أن يتعلق عليه بشىء، فعجل القعقاع و ابن عمرو، و أبا ليلى بن فدكى إلى روزبه و زرمهر، فسبقاه إلى عين التمر، و قدم على خالد كتاب امرئ القيس الكلبى، أن الهذيل بن عمران قد عسكر بالمصيخ، و نزل ربيعة بن بجير بالثنى فى عسكر غضبا لعقة، يريدان زرمهر و روزبه. فخرج خالد و على مقدمته الأقرع ابن حابس، و استخلف على الحيرة عياض بن غنم، و أخذ خالد طريق القعقاع و أبى ليلى حتى قدم عليهما بالعين، فبعث القعقاع إلى حصيد، و أمره على الناس، و بعث أبا ليلى إلى الخنافس، و أمره على الناس، و قال: زجياهم ليجتمعوا و من استشارهم، و إلا فواقعاهم، فأبى روزبه و زرمهر إلا المقام.

فلما رآهما القعقاع لا يتحركان سار نحو حصيد، و على من به من العرب و العجم روزبه. و لما رأى روزبه أن القعقاع قد قصد له استمد زرمهر، فأمده بنفسه، و استخلف على عسكره المهبوذان، فالتقوا حينئذ فاقتتلوا، فقتل الله العجم مقتلة عظيمة، و قتل القعقاع زرمهر و قتل، أيضا، روزبه، قتله عصمة بن عبد الله، أحد بنى الحارث بن طريف، من بنى ضبة، و كان عصمة من البررة، و كل فخذ هاجرت بأسرها تدعى البررة، و كل قوم هاجروا من بطن يدعون الخيرة، فكان المسلمون خيرة بررة، و غنم المسلمون يوم حصيد غنائم كثيرة، و أرز فلّال حصيد إلى الخنافس فاجتمعوا بها.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۹۵

و قال القعقاع فى ذلك اليوم:

أ لم ينه عنا غى فارس أننامنعناهم من ريفهم بالصوارم

و أنا أناس قد تعود خيلنالقاء العادى بالحتوف القواصم

و روزا قتلنا حيث أرهف حدهو كل رئيس زاريا بالعظائم

تركنا حصيدا لا أنيس بجوهو قد شقيت أربابه بالأعاجم

و إنى لراج أن تلاقى جموعهمغديّا بإحدى المنكرات الصوادم

ألا ـ أبلغا أسماء أن خليلهاقضى وطرا من روزمهر الأعاجم و سار أبو ليلى ابن فدكى بمن معه و من قدم عليه نحو الخنافس و بها المهبوذان، فلما أحس بهم هرب هو و من معه إلى المصيخ «۱» و به الهذيل بن عمران، فلما انتهى الخبر إلى خالد بمصاب أهل الحصيد «۲» و هرب أهل الخنافس كتب إلى القعقاع و أبى ليلى و عروة و واعدهم ليلة و ساعة يجتمعون فيها على المصيخ، و هو بين حوران و القلت، و خرج خالد من العين قاصدا للمصيخ على الإبل يجنب الخيل، فلما كان فى تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعا معه بالمصيخ، فأغاروا على الهذيل و من معه و من أوى إليهم، و هم نائمون، أتوهم بالغارة من ثلاثة أوجه، فقتلوهم، و امتلأ الفضاء قتلى، فما شبهوا إلا غنما مصرعة، و أفلت الهذيل فى أناس قليل، و قد كان حرقوص بن النعمان بن النمر بن قاسط محضهم النصح، و أجاد الرأى، فلم ينتفعوا بتحذيره، و ذلك أن حرقوصا قال قبل الغارة:

ألا فاسقيانى قبل خيل أبى بكرلعل منايانا قريب و لا ندرى

ألا فاسقیانی بالزجاج و کرراعلینا کمیت اللون صافیة تجری

أظن خیول المسلمین و خالداستطرقکم عند الصباح إلی البشر

فهل لکم فی السیر قبل قتالهمو قبل خروج المعصرات من الخدر

أرینی سلاحی یا أمیمة إننی أخاف بیات القوم مطلع الفجر «۳» و کان حرقوص معرسا بامرأة من بنی هلال تدعی أم تغلب، فقتلت تلک اللیلة، و قد تقدم من حدیث عدی بن حاتم فیما مضی من هذا الکتاب، قال: أغرنا علی المصیخ، و إذا رجل یدعی حرقوص بن النعمان بن النمر، و إذا حوله بنوه و امرأته، و بینهم جفنة من

---

(۱) المصیخ: موضع بین حوران و القلت. انظر: معجم البلدان (۲/ ۳۹۱).

(۲) حصید: واد بین الکوفة و الشام. انظر: معجم البلدان (۲/ ۲۲۶).

(۳) انظر الأبیات فی: الطبری (۳/ ۴۱۶، ۴۱۷)، الکامل لابن الأثیر (۲/ ۲۸۰)، معجم البلدان لیاقوت (۱/ ۴۲۷، ۵/ ۱۴۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۹۶

خمر، و هم علیها عکوف، فقال: اشربوا شرب وداع، فما أری أن تشربوا خمرا بعدها، خالد بالعین و جنوده بحصید، و قد بلغه جمعنا و لیس بتارکنا.

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهربعید انتفاخ القوم بالعکر الدثر

و قبل منایانا المصیبة بالقدرلحین لعمری لا یزید و لا یحری فسبق إلیه و هو فی ذلک بعض الخیل، فضرب رأسه، فإذا هو فی جفنته، و أخذنا بناته و قتلنا بنیه.

و أصاب جریر بن عبد الله بالمصیخ عبد العزی بن أبی رهم من النمر، و إنما حضر جریر مما کان بالعراق ما کان بعد الحیرة، و ذلک أنه کان ممن خرج مع خالد بن سعید ابن العاص إلی الشام، فاستأذن جریر فی القدوم علی أبی بکر لیکلمه فی قومه بجیلة، و کانوا أوزاعا فی العرب، لیجمعهم و یتخلصهم، فأذن له، فقدم علی أبی بکر فذکر له عدة من النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و أتاه علیها بشهود، و سأله إنجازها، فغضب أبو بکر و قال: تری شغلنا و ما نحن فیه، من بعوث المسلمین لمن بإزائهم من الأشدین: فارس و الروم ثم أنت تکلفنی التشاغل بما لا- یغنی عنی عما هو أرضی لله و لرسوله، دعنی و سر نحو خالد بن الولید حتی أنظر ما یحکم الله فی هذین الوجهین. فسار جریر حتی قدم علی خالد و هو بالحیرة، فشهد معه ما کان بعدها من الأیام، و أصاب یوم المصیخ، کما ذکرنا، عبد العزی بن أبی رهم، و کان معه و مع رجل آخر من قومه یقال له لبید بن جریر کتاب من أبی بکر، رضی الله عنه، بإسلامهم، و سمی عبد العزی عبد الله، و بلغ أبا بکر مع ذلک أن عبد العزی قال لیلة الغارة:

و أقول إذ طرق الصباح بغارةسبحانک اللهم رب محمد

سبحان ربی لا إله غیره‌رب العباد و رب من یتودد فوداه أبو بکر لما بلغه هذا، و ودی لبیدا، و قال: أما إن ذلک لیس علی إذ نازلا أهل حرب. و أوصی بأولادهما.

و کان عمر، رضی الله عنه، یعتد علی خالد بقتلهما إلی قتل مالک بن نویرة، فیقول أبو بکر، رضی الله عنه: کذلک یلقی من ساکن أهل الحرب فی دیارهم.

و قد کان ربیعة بن بجیر التغلبی نزل الثنی و البشر غضبا لعقة، و واعد لذلک روزبه و زرمهر و الهذیل قبل أن یصیبهم ما أصابهم بالمصیخ، فلما أصاب خالد أهل المصیخ بما أصابهم به، تقدم إلی القعقاع و إلی أبی لیلی، بأن یرتحلا أمامه، و واعدهما لیلة لیفترقوا

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۹۷

فیها للغارة علی ربیعة و من معه من ثلاثة أوجه، کما فعل بأهل المصیخ، ثم خرج خالد من المصیخ فنزل حوران «۱»، ثم الرنق، ثم

الحماة «۲»، ثم الزمیل «۳»، و هو البشر «۴» و الثنی معه، و هما شرقی الرصافة، فبدأ بالثنی، و اجتمع هو و أصحابه، فبیت من ثلاثة أوجه ربیعة بن بجیر و من اجتمع له و إلیه، و من ناشب لذلک من الشبان لذلک من الشبان، فجرد خالد فیهم السیوف بیاتا، فلم یفلت من ذلک الجیش مخبر، و استبقی الشیوخ، و بعث بخمس الله، عز و جل، إلی أبی بکر، رضی الله عنه، مع النعمان بن عوف الشیبانی، و قسم النهب و السبایا، فاشتری علی بن أبی طالب، رضی الله، من ذلک السبی ابنة ربیعة التغلبی، فاتخذها، فولدت له عمر و رقیة.

و قال أبو مقرز فی ذلک:

لعمر بنی بجیر حیث صاروا من آذاهم یوم الثنی

لقد لاقت سراتهم فضاحاو فینا بالنساء علی المطی و کان الهذیل حیث نجا من المصیخ أوی إلی الزمیل، إلی عتاب بن فلان، و هو بالبشر فی عسکر ضخم، فبیتهم خالد بمثلها غارة شعواء من ثلاثة أوجه، سبقت إلیهم الخبر عن ربیعة، و کانت علی خالد یمین: لیبغتن تغلب فی دارها، فقتل فیهم مقتلة لم یقتلوا قبلها مثلها، و أصابوا منهم ما شاءوا، و قسم خالد فی الناس فیئهم، و بعث الأخماس إلی أبی بکر، رضی الله عنه، مع الصباح بن فلان المزنی، ثم عطف خالد من البشر إلی الرضاب «۵» و بها هلال بن عقة و قد أرفض عنه أصحابه حین سمعوا بدنو خالد، فانقشع عنها هلال و لم یلق کیدا، ثم قصد خالد بعدها إلی الفراض، و الفراض تخوم الشام و العراق و الجزیرة، فأفطر فیها فی رمضان فی تلک السفرة التی اتصلت له فیها هذه الغزوات و الأیام، و نظمن نظما إلی ما کان قبل ذلک منه.

---

(۱) حوران: کانت کورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة و مزارع و حرار. انظر: معجم البلدان (۲/ ۳۱۷).

(۲) من المدن المشهورة بالشام، کانت مدینة عظیمة و کبیرة. انظر: معجم البلدان (۲/ ۳۱۷، ۳۱۸).

(۳) الزمیل: موضع شرقی الرصافة. انظر معجم البلدان (۳/ ۱۵۱).

(۴) البشر: اسم جبل یمتد من عرض إلی الفرات من أرض الشام من جهة البادیة. انظر: معجم البلدان (۱/ ۴۲۶- ۴۲۸).

(۵) الرضاب: موضع الرصافة قبل بناء هاشم إیاه. انظر: معجم البلدان (۳/ ۵۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۹۸

قالوا: و لما اجتمع المسلمون بالفراض حمیت الروم و اغتاظت، و استعانوا بمن یلیهم من مسالح أهل فارس، و قد حموا و اغتاظوا و استمدوا تغلب و إیاد و النمر، فأمدوهم بأجمعهم، و اجتمعوا کلهم علی کلمة واحدة، ثم ناهدوا خالدا حتی إذا صار الفرات بینه و بینهم قالوا: إما أن تعبروا إلینا، و إما أن نعبر إلیکم قال خالد: اعبروا إلینا، قالوا: فتنحوا حتی نعبر، قال خالد: لا نفعل، و لکن اعبروا أسفل منا. فقال الروم و فارس بعضهم لبعض:

احتسبوا ملککم، هذا رجل یقاتل عن دین، و له عقل و علم، و و الله لینصرن و لتخذلن، ثم لم ینتفعوا بذلک، فعبروا أسفل من خالد، فلما تتاموا قالت الروم: امتازوا حتی یعرف الیوم ما کان من حسن أو قبح، من أینا یجیء ففعلوا، ثم اقتتلوا قتالا شدیدا طویلا، ثم هزمهم الله تعالی.

و قال خالد للمسلمین: ألحوا علیهم، فجعل صاحب الخیل یحشر منهم الزمرة برماح أصحابه، فإذا جمعوهم قتلوهم، فقتل یوم الفراض فی المعرکة و فی الطلب مائة ألف، و أقام خالد علی الفراض بعد الوقعة عشرا، ثم أذن فی القفل إلی الحیرة، و أمر عاصم بن عمرو أن یسیر بهم، و أمر شجرة بن الأعز أن یسوقهم.

و أظهر خالد أنه فی الساقة، و خرج من الفراض حاجا لخمس بقین من ذی القعدة مکتتما بحجه، و معه عدة من أصحابه، یعتسف البلاد حتی أتی مکة بالسمت، فقضی حجه، ثم أتی الحیرة، فوافاه بها کتاب أبی بکر، رضی الله عنه، یأمره فیه بالمسیر إلی الشام و یعاتبه علی ما فعل، إذ لم یعلم أبو بکر بحجته هذه إلا بعد انصرافه إلی الحیرة.

و قد تقدم هذا کله فیما رسم قبل من فتوح الشام مستوفی فی بیانه، و کیف کان مسیره إلی الشام و ترکه المثنی بن حارثة بعده علی

العراق، و مشاطرته إياه فى الناس، كل ذلك بأمر أبى بكر، رضى الله عنه، حسب ما تقدم ذكره.

حديث المثنى بعد خالد «۱»

و لما انفصل خالد، رحمه الله، إلى الشام شيعه المثنى إلى قراقر، و رجع من تشييعه إلى الحيرة، فأقام بها فى سلطانه، و وضع فى المسلحة التى كان فيها على السيب أخاه، و سد أماكن كل من خرج مع خالد من الأمراء برجال أمثالهم من أهل الغناء، و وضع مذعور ابن عدى فى بعض تلك الأماكن.

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۴۱۱- ۴۱۵)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۲۸۴- ۲۸۶)، تاريخ ابن خلدون (۲/ ۸۷- ۹۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۹۹

و استقام أهل فارس على رأس سنة من مقدم خالد على الحيرة، بعد خروجه إلى الشام بقليل، و ذلك سنة ثلاث عشرة، على شهربراز بن أردشير بن شهريار ممن يناسب إلى كسرى، ثم إلى سابور. فوجه إلى المثنى جندا عظيما عليهم هرمز جاذويه فى عشرة آلاف، و معه فيل، و كتبت المسالح إلى المثنى بإقباله، فخرج المثنى من الحيرة نحوه، و ضم إليه أصحاب المسالح، و جعل على مجنبتيه أخويه: المعنّى و مسعودا، و أقام له ببابل، و أقبل هرمز جاذويه، و قد كتب شهر براز إلى المثنى بن حارثة: «من شهربراز إلى المثنى: إنى قد بعثت إليك جندا من وخش أهل فارس، إنما رعاة الدجاج و الخنازير، و لست أقاتلك إلا بهم».

فكتب إليه المثنى: «من المثنى إلى شهربراز، إنما أنت أحد رجلين. إما صادق، فذلك شر لك و خير لنا، و إما كاذب، فأعظم الكذابين عقوبة و فضيحة عند الله و فى الناس الملوك، و أما الذى يدلنا عليه الرأى، فإنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد لله الذى رد كيدكم إلى رعاة الدجاج و الخنازير».

فجزع أهل فارس من كتابه، و قالوا: إنما أتى شهربراز من شؤم مولده و لؤم منشئه، و كان يسكن ميسان «۱»، و أن بعض البلدان شين على من يسكنه. و قالوا له: جرأت عدونا بالذى كتبت إليهم، فإذا كاتبت أحدا فاستشر. ثم التقوا ببابل، فاقتتلوا بعدوة الصراة الدنيا، على الطريق الأول، قتالا شديدا.

ثم إن المثنى و فرسان من المسلمين اعتمدوا الفيل، و كان يفرق بين الصفوف و الكراديس، فأصابوا مقتله، فقتلوه و هزموا أهل فارس، و اتبعهم المسلمون يقتلونهم، حتى جازوا بهم مسالحهم، فأقاموا فيها، و تتبع الطلب الفالة، حتى انتهوا إلى المدائن، و مات شهربراز منهزم هرمز جاذويه، و اختلف أهل فارس، و بقى ما دون دجلة و برس من السواد فى يد المثنى و أيدى المسلمين.

ثم إن أهل فارس اجتمعوا بعد شهربراز على دخت زنان ابنة كسرى، فلم ينفذ لها أمر، و خلعت، و ملك سابور بن شهربراز، و قام بأمره الفرخزاد بن البندوان، فقاتلا جميعا، و ملكت آزرميدخت، و تشاغلوا بذلك، و أبطأ خبر أبى بكر، رضى الله عنه، على المسلمين، فخلف المثنى على المسلمين بشير بن الخصاصية، و وضع مكانه فى المسالح سعيد بن مرة العجلى، و خرج المثنى نحو أبى بكر ليخبره خبر المسلمين و المشركين،

---

(۱) ميسان: كورة واسعة كثيرة القرى و النخيل بين البصرة و واسط. انظر: معجم البلدان (۵/ ۲۴۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۰

و لكى يستأذنه فى الاستعانة بمن قد ظهرت توبته من أهل الردة ممن يستطعمه الغزو، و ليخبره أنه لم يخلف أحدا أنشط إلى قتال فارس و حربها و معونة المهاجرين منهم، إذ كان أبو بكر، رضى الله عنه، قد منع من الاستعانة بهم رأسا، و قال لأمرائه: لا تستعينوا فى حربكم بأحد ممن ارتد، فإنى لم أكن لأستنصر بجيش فيهم أحد ممن ارتد، و بالجزاء إن فعلت أن لا تنصروا.

و قال عروة بن الزبير: أمران يعرف بهما حال من شهد الفتوح، من ذكر أن أبا بكر، رضى الله عنه، استعان فى حربه بأحد ممن ارتد فقد كذب، و ذكر من قول أبى بكر فى ذلك ما بدأنا به.

قال: و من زعم أن عمر، رضى الله عنه، حين أذن لمن ارتد فى الجهاد أمر أحدا منهم فقد كذب، و إنما تألف من تألف بالإمارة منهم عثمان بن عفان، رضى الله عنه، رجاء ما رجاه منهم عمر حين استعان بهم، فمن قبلهم ابتدأت الفتنة، و علق عثمان، رضى الله عنه، عند الذى بدا منهم يتمثل بقول الأول:

و كنت و عمرا كالمسمّن كلبهفخدشه أنيابه و أظافره فقدم المثنى بن حارثة المدينة، و أبو بكر مريض مرضه الذى توفاه الله تعالى، منه، و ذلك بعد مخرج خالد إلى الشام، و قد تقدم ذكر وفاة أبى بكر و استخلافه عمر، رضى الله عنهما، فى أول موضع احتيج إلى ذكر ذلك فيه من فتح الشام، و توفى أبو بكر و أحد شقى السواد فى سلطانه، و الجمهور من جند أهل العراق بالحيرة، و المسالح بالسيب، و الغارات تنتهى بهم إلى شاطئ دجلة، و دجلة حجاز بين العرب و العجم.

فهذا حديث العراق فى خلافة أبى بكر، رضى الله عنه، من مبتدئه إلى منتهاه.

ذكر ما كان من خبر العراق فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و ما كان من أمر المثنى بن حارثة معه، و ذكر أبى عبيد بن مسعود، على ما فى ذلك كله من الاختلاف بين رواة الآثار «۱»

ذكر سيف عن شيوخه قالوا: أول ما عمل به عمر، رحمه الله، أن ندب الناس مع

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۴۴۴- ۴۵۴)، الأخبار الطوال للدينورى (ص ۱۱۳)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۲۹۷- ۳۰۱)، كنز الدرر للدوادارى (۳/ ۱۹۳، ۱۹۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۲۶، ۲۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۱

المثنى بن حارثة الشيبانى إلى أهل فارس قبل صلاة الصبح، من الليلة التى مات فيها أبو بكر، رضى الله عنه، ثم أصبح فبايع الناس، و عاد فندب الناس إلى فارس، و تتابع الناس على البيعة ففزعوا فى ثلاث، كل يوم يندبهم فلا ينتدب أحد، و كان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم، و أثقلها عليهم، لشدة سلطانهم و شوكتهم و عزهم و قهرهم الأمم.

قالوا: فلما كان فى اليوم الرابع عاد ينتدب الناس إلى العراق، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود، و سعد بن عبيد القارى، حليف الأنصار، و تتابع الناس.

قال القاسم بن محمد: و تكلم المثنى بن حارثة، فقال: يا أيها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه، فإنا قد تبجحنا ريف فارس، و غلبناهم على خير شقى السواد، و شاطرناهم و نلنا منهم، و اجترأ من قبلنا عليهم، و لها إن شاء الله ما بعدها.

و قام عمر، رضى الله عنه، فى الناس، و قال: إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة، و لا يقوى عليه أهله إلا بذلك، أين المهاجرين عن موعود الله، عز و جل، سيروا فى الأرض التى وعدكم الله فى كتاب بأن يورثكموها، فإنه قال: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، و الله مظهر دينه، و معز ناصره، و مولى أهله مواريث الأمم. أين عابد الله الصالحون!.

فلما اجتمع ذلك البعث، و كان أولهم، كما تقدم أبو عبيد، ثم ثنى سعد بن عبيد أو سليط بن قيس، قيل لعمر، رحمه الله: أمر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين و الأنصار. فقال: لا و الله لا أفعل، إن الله تعالى إنما رفعكم بسبقكم و سرعتكم إلى العدو، فإذا جبنتم و كرهتم اللقاء، فأولوا الرئاسة منكم من سبق إلى الدفع و أجاب الدعاء، لا و الله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتدابا.

ثم دعا أبا عبيد، و دعا سليطا و سعدا، فقال لهما: أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما و لأدركتكما بها إلى ما لكما من القدمة. فأمر أبا عبيد على الجيش، و قال له: اسمع من أصحاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و أشركهم فى الأمر، و لا تجبين مسرعا حتى تتبين، فإنها

الحرب، لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة و الكف، ثم قال له: إنه لم يمنعنى أن أؤمر سليطا إلا تسرعه إلى الحرب، و فى التسرع إليها إلا عن بيان ضياع، و الله لو لا ذلك لأمرته، و لكن الحرب لا يصلحها إلا المكيث.

و يروى أن عمر انتخب من أهل المدينة و من حولها ألف رجل، أمر عليهم أبا عبيد، فقيل له: استعمل من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: لا ها الله ذا يا أصحاب النبىّ، لا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۲

أندبكم فتبطئون، و ينتدب غيركم فأؤمركم عليهم إنما فضلتم بتسرعكم، فإن نكلتم فضلوكم.

و عجل عمر، رضى الله عنه، المثنى، و قال: النجاء حتى يقدم عليك أصحابك. فخرج المثنى، و قدم الحيرة فى عشر، و لحقه أبو عبيد بعد شهر.

و فى كتاب المدائنى أن تحرك عمر لهذا البعث إنما كان بكتاب المثنى إليه، يستمده و يحرضه على أرض فارس، فذكر بإسناد له إلى جماعة من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض: أن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، قال حين ولى: و الله لأعزلن خالد بن الوليد و المثنى بن حارثة ليعلما أن الله إنما ينصر دينه و ليس ينصر إياهما، فكتب إليه المثنى و هو بالحيرة: أنا بأرض فارس، و قد عرفناهم و غازيناهم و غلبناهم على بعض ما فى أيديهم، و معى رجال من قومى لهم صلاح و نجدة و صدق بلاء عند الناس و جرأة على البلاد، فإن رميتنا بجماعة من قبلك رجوت أن يفتح الله عليهم، قالوا: و لم تكن لعمر، رحمه الله، همة حين قام بأمر المسلمين إلا الروم و فارس، فلما أتاه كتاب المثنى بن حارثة خطب الناس، فحمد الله و أثنى عليه، و حثهم على الجهاد، و رغبهم فيه، و أنبأهم بما أعد الله للمجاهدين فى سبيله، و قال: أنتم بين فتح عاجل و ذخر آجل، و قد أصبحتم بالحجاز بغير دار مقام، و قد وعدكم الله كنوز كسرى و قيصر، و أنزل على نبيه صلى اللّه عليه و سلم هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [الفتح: ۲۸]، و قال: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ [التوبة: ۳۳]، فانهضوا لجهاد عدوكم من أهل فارس، فإن لكم بها إخوانا ليسوا مثلكم فى السابقة، و قد لقوهم و قاتلوهم فاستعدوا للمسير إليهم رحمكم الله وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ [الأنفال:

۶۰]، و لا تركنوا إلى الدنيا، و استعينوا بالله و اصبروا.

فتثاقل الناس حين ذكر فارس. فقال عمر: ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ [التوبة: ۳۸]، فقام أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة الثقفى، فقال: أنا أول من انتدب، ثم قام سليط بن قيس بن عمرو فقال: يا أمير المؤمنين، أنا ثان، ثم قام رهط من الأنصار، فسمى منهم نفرا. قال:

ثم تتابع الناس و كثروا و قالوا: يا أمير المؤمنين، أمر علينا رجلا، فقال: أؤمر عليكم أول من انتدب، فاستعمل عليهم أبا عبيد، و قال: لم يمنعنى من استعمال سليط بن قيس، و هو من أهل بدر إلا عجلة فيه، فخشيت أن يلقى المسلمين ملقى يهلكون فيه، و كان فيمن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۳

انتدب سعد بن عبيد القارى، ففر يوم الجسر، فكان بعد ذلك يقول: إن الله اعتد علىّ بغرة فى أرض فارس، فعسى أن يعيد لى فيها كرة.

و فى حديث غير المدائنى: فكانت الوجوه تعرض عليه بعد ذلك فيأبى إلا العراق، و يقول: إن الله اعتد علىّ فيها بغرة، و ذكر نحو ما تقدم.

و اختلف ما ذكره سيف فيمن كان إليه أمر فارس عند قدوم أبى عبيد بحسب اختلاف أهل الأخبار عليه فى ذلك.

فمما ذكره أن بوران بنت كسرى كانت، كلما اختلف الناس بالمدائن، عدلا بينهم حتى يصطلحوا، فلما قتل الفرخزاد و قدم رستم فقتل آزرميدخت، كانت بوران عدلا إلى أن استخرجوا يزدجرد.

قال: فقدم أبو عبيد و العدل بوران، و صاحب الحرب رستم.

و ذكر من طريق آخر: أن بوران هى التى استحثت رستم فى السير، و كان على فرج خراسان، لما قتل الفرخزاد، فأقبل رستم فى الناس حتى نزل المدائن، لا يلقى جيشا لأرزميدخت إلا هزمه، و اقتتلوا بالمدائن، فهزمهم سياوخش و هو قاتل الفرخزاد، و حصر آزرميدخت ثم افتتح المدائن، فقتل سياوخش، و فقأ عين آزرميدخت، و نصب بوران، فدعته إلى القيام بأمر فارس، و شكت إليه تضعضعهم و إدبار أمرهم، على أن تملكه عشر حجج، ثم يكون الملك فى آل كسرى إن وجدوا من غلمانهم أحدا، و إلا ففى نسائهم.

فقال رستم: أما أنا فسامع مطيع، غير طالب عوضا و لا ثوابا، فإن شرفتمونى و صنعتم إلىّ شيئا فأنتم أولياء ما صنعتم، إنما أنا سهمكم و طوع أيديكم. فقالت بوران: اغد علىّ، فغدا عليها، و دعت مرازبة فارس، فكتبت له: بأنك على حرب فارس، ليس عليك إلا الله عن رضا منا و تسليم لحكمك، و حكمك جائز فيهم ما كان حكمك فى منع أرضهم و جمعهم عن فرقتهم، و توجته و أمرت أهل فارس أن يسمعوا له و يطيعوا، و دانت له فارس بعد قدوم أبى عبيد.

فهذا ما ذكره سيف فى شأن مملكة فارس إذ ذاك.

قال: و كتب رستم إلى دهاقنة السواد أن يثوروا بالمسلمين، و دس إلى كل رستاق رجلا ليثور بأهله، فبعث جابان إلى البهقباذ الأسفل، و بعث نرسى إلى كسكر، و بعث المصادمة إلى المثنى، و بلغ المثنى ذلك، فضم إليه مسالحه و حذر، و عجل جابان فنزل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۴

النمارق، و توالوا على الخروج، فخرج نرسى، فنزل زندورد، و ثار أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله، و خرج المثنى بن حارثة فى جماعة حتى ينزل خفان، لئلا يؤتى من خلفه بشىء يكرهه، فأقام حتى قدم عليه أبو عبيد.

و أما المدائنى فلم يعرض لما عرض له سيف فى شأن مملكة فارس، بل بنى على أن يزدجرد هو كان الملك عليهم حينئذ، فإنه قال بعقب ما نسب إليه قبل: و بلغ يزدجرد أن ملك العرب يسير إليه، فشاور أهل بيته و مرازبته، فقالوا له: وجه إلى أطرافك فحصنها و أخرج من فيها من العرب، فوجه جالينوس و رستم و ليس بالأزدى و مردانشاه و نرسى ابن خال أبرويز، و كل واحد فى خمسة آلاف، و أمرهم أن ينزلوا متفرقين، و يكون بعضهم قريبا من بعض كل رجل فى أصحابه، و يمد بعضهم بعضا إن احتاجوا إلى ذلك، و أمرهم أن يقتلوا من قدروا عليه من العرب، فخرجوا و المثنى بالحيرة، فبلغه مسيرهم، فخرج لينزل على البلاد، فلقى على قنطرة النهرين خرزاذبه فقتله.

و مضى المثنى فنزل من وراء أ ليس، و نزل العجم متفرقين، فنزل نرسى كسكر، و نزل مردان شاه فيما بين سورا و قبين، و نزل رستم بابل، و نزل جالينوس بارسمى، و وجه جالينوس جابان فى ألف إلى أ ليس، و وجه أزاذبه إلى الحيرة فى ألف، و فصل أبو عبيد بن مسعود من المدينة فى ألف و ثمانمائة من المهاجرين و الأنصار و غيرهم، فيهم من ثقيف أربعمائة معهم أبو محجن، كان مع خالد بن الوليد بالشام فلما

أتتهم وفاة أبى بكر رجع إلى المدينة، فخرج مع أبى عبيد، و انضم إلى أبى عبيد فى الطريق مائة من بنى أسد، و مائتان من طيء، و مائة من بنى ذبيان بن بغيض، و مائة من بنى عبس، معهم خمسة و عشرون فرسا، و خرج المثنى بن حارثة فى ثلاثمائة و سبعين من بكر بن وائل، و ثلاثمائة من بنى تميم حنظلة و عمرو و سعد و الرباب، فتلقى أبا عبيد ثم أقبل معه حتى نزل عسكره الذى كان فيه، و وضع عيونا على المسلحة التى بأليس فأتوه فأعلموه فأخبر أبا عبيد، فقال له: إن أذنت لى سرت إليهم، فأذن له و ضم إليه ابنه جبر بن أبى عبيد، و قال لابنه جبر: لا تخالفه، فسار المثنى فصبح أ ليس و هم آمنون فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزموا، فأصاب المسلمون سلاحا و متاعا ليس بالكثير، و رجع إلى أبى عبيد، و نزل جابان فيما بين الحيرة و القادسية، و كتب أبو عبيد إلى عمر، رضى الله عنه، بخبر أ ليس، فسر المسلمون و نشطوا، و خرج قوم من المدينة إلى أبى عبيد، و تقدم أبو عبيد فلقى جابان فيما بين الحيرة و القادسية، و جابان فى ألفين معه ازاذبه، فلم يطل القتال بينهم حتى انهزم المشركون.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۰۵

و فیما ذکره سیف من الأحادیث أن أبا عبید لما نزل خفان مع المثنى أقام بها أیاما لیستجم أصحابه، و قد اجتمع إلى جابان بشر کثیر، و خرج أبو عبید بعد ما جم الناس و ظهرهم، و جعل المثنى على الخیل، فنزلوا على جابان بالنمارق فاقتتلوا قتالا شدیدا، فهزم الله أهل فارس، و أسر جابان، أسره مطر بن فضة أحد بنی تیم الله، و أسر مردان شاه، أسره أکتل بن شماخ العکلی، فأما أکتل فإنه ضرب عنق مردان شاه، و ذلک أنه سأله: ما اسمک؟، فیما ذکره المدائنی، فقال له: مردان شاه. قال: و ما مردان شاه؟ قال:

ملک الرجال. قال: لا جرم و الله لأقتلنک، فقتله. و أما مطر بن فضة فإن جابان خدعه و هو لا یعرفه، و کان جابان شیخا کبیرا، فقال لمطر: إنکم معشر العرب أهل وفاء، فهل لک أن تؤمننی و أعطیک غلامین أمردین خفیفین فی عملک و کذا و کذا، قال: نعم، قال: فأدخلنی على ملککم حتى یکون ذلک بمشهد منه، فأدخله على أبی عبید، فتم له على ذلک و أجاز ذلک أبو عبید، فعرفه ناس فقالوا لأبی عبید: هذا الملک جابان، و هو الذی لقینا بهذا الجمع، فقال أبو عبید: فما تأمروننی، أ یؤمنه صاحبکم و أقتله أنا، معاذ الله من ذلک.

و فی روایة: إنی أخاف الله إن قتلته، و قد أمنه رجل من المسلمین فی الذمة و التود و التناصر کالجسد، ما لزم بعضهم لزم کلهم. فقالوا: إنه الملک، قال: و إن کان لا أعذر به، فترکه، و قال له: اذهب حیث شئت.

و هرب أصحاب جابان حین أسر إلى کسکر و نرسى بأسفلها. و کانت کسکر قطیعة له، و کان النرسیان له، یحمیه لا یأکله بشر، إلا ملک فارس، أو من أکرموه فیه بشیء، و لا یغرسه غیرهم، فکان ذلک مذکورا من فعلهم فی الناس، و أن ثمرهم هذا حمى، فقال رستم و بوران لنرسى: أشخص إلیّ قطیعتک فأحمها من عدوک و عدونا و کونن رجلا، فلما انهزم الناس یوم النمارق، و وجهت الفالة نحو نرسى، و نرسى فی عسکره، نادى أبو عبید بالرحیل، و قال للمجردة: اتبعوهم حتى تدخلوهم عسکر نرسى، أو تبیدوهم فیما بین النمارق إلى بارق درونى «۱».

و مضى أبو عبید حین ارتحل من النمارق حتى ینزل على نرسى بکسکر، و المثنى فی تعبئته التی قاتل فیها جابان، و قد أتى الخبر رستم و بوران بهزیمة جابان، فبعثوا إلیه الجالینوس، و بلغ ذلک نرسى و أهل کسکر و باروسما و نهر جوبر و الزوابی، فرجوا أن یلحق قبل الوقعة، و عالجهم أبو عبید، فالتقوا أسفل من کسکر بمکان یدعى السقاطیة،

---

(۱) بارق: ماء بالعراق من أعمال الکوفة. انظر: معجم البلدان (۱/ ۳۱۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۰۶

فاقتتلوا فی صحار ملس هناک قتالا شدیدا، ثم إن الله، عز و جل، هزم فارس، و هرب نرسى، و غلب المسلمون على عسکره و أرضه، و أخذ أبو عبید ما حوى معسکرهم، و جمع الغنائم، فرأى من الأطعمة شیئا عظیما، فبعث فیمن یلیه من العرب فانتفلوا ما شاءوا، لا یؤثرون فیه، و أخذت خزائن نرسى، فلم یکونوا بشیء مما خزن أفرح منهم بالنرسیان؛ لأنه کان یحمیه و یمالئه علیه ملوکهم، فاقتسمه المسلمون، فجعلوا یطعمونه الفلاحین.

قال المدائنی: و سار أبو عبید إلى الجالینوس فلقیه بباروسما فهزمه، فلحق بالمدائن، و بلغ الذین کانوا ببابل هزیمة نرسى و جالینوس، فرجعوا إلى المدائن، و دخل أبو عبید باروسما، فصالحه ابن الأندرزغر عن کل رأس بأربعة دراهم، و هیئوا له طعاما فأتوه به، فقال: لا آکل إلا ما یأکل مثله المسلمون. فقالوا: کل، فکل أصحابک یأکل مثل ما تؤتون به، فأکل، فلما راح المسلمون سألهم عن طعامهم فأخبروه، فإذا الذی أکلوا مثل طعامه.

و فی بعض ما أورده سیف من الأخبار أن ابن الأندرزغر لما أعلم أبا عبید بالطعام الذی صنعوا له، و أتوا به قال لهم: هل أکرمتم الجند بمثله و قریتموهم؟ قالوا: لا، قال:

فردوه فلا- حاجة لنا فیه، بئس المرء أبو عبید إن صحب قوما من بلادهم اهراقوا دماءهم دونه، أو لم یهریقوها فاستأثر علیهم بشیء یصیبه! لا و الله لا یأکل مما أفاء الله علیهم إلا مثل ما یأکل أوساطهم!.

قال المدائنی: و بعث أبو عبید من باروسما المثنی بن حارثة إلی زندورد، و عاصم بن عمرو الأسدی إلی نهر جویر، و عروة بن زید الخیل إلی الزوابی، فأما المثنی فإن أهل زندورد حاربوه فظفر بهم فقتل و سبی، و أما أهل الزوابی و نهر جوبر فصالحوا علی صلح باروسما، فبعث أبو عبید بخمس ما أصاب من أ لیس و خفان و کسکر و زندورد، و ما صالح علیه إلی عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، و نزل أبو عبید و المسلمون الحیرة.

و ذکر سیف، أیضا، أنهم بعثوا بخمس ما أصابوا من النرسیان إلی عمر، رحمه الله، و کتبوا إلیه: إن الله، عز و جل، أطعمنا مطاعم کانت الأکاسرة یحمونها الناس، فأحببنا أن تروها لتذکروا أنعم الله و أفضاله.

و قال فی ذلک عاصم بن عمرو:

ضربنا حماة النرسیان بکسکرغداة لقیناهم ببیض بواتر

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۰۷ و فزنا علی الأیام و الحرب لاقحبجرد حسان أو ببرود غرائر

و ظلت فلال النرسیان و تمرهمباحا لمن بین الدبا و الأصافر

أبحنا حمی قوم و کان حماهمحراما علی من رامه بالعساکر و قال، أیضا، یذکر ملتقی القوم بالنمارق:

لعمری و ما عمری علیّ بهینلقد صبحت بالخزی أهل النمارق

نجوسهم ما بین أ لیس غدوةو بین قدیس فی طریق البراق

بأیدی رجال هاجروا نحو ربهمیجوسونهم ما بین درتا و بارق و بین الرواة فیما تقدم من الأخبار الاختلاف فی أسماء الأعاجم و الأماکن، و فی التقدیم و التأخیر لم أر لذکر أکثر ذلک وجها إلا ما کان منه زائدا فی الإمتاع و محسنا انتظام الحدیث.

و مما ذکروا أن عمرا، رضی الله عنه، تقدم به إلی أبی عبید حین بعثه فی هذا الوجه و أوصاه بجنده، أن قال له: إنک تقدم علی أرض المکر و الخدیعة و الخیانة و الجبریة، و تقدم علی قوم جرءوا علی الشر فعلموه، و تناسوا الخیر فجهلوه، فانظر کیف تکون! و اخزن لسانک، و لا یفشون لک سر؛ فإن صاحب السر ما ضبطه متحصن لا یؤتی من وجه یکرهه، و إذا ضیعه کان بمضیعة.

حدیث وقعة الجسر «۱»

و یقال لها: وقعة القس، قس الناطف، و یقال لها: المروحة.

و قد جمعت الذی أوردت هنا من الحدیث عن هذه الوقعة من أحادیث متفرقة أوردها الخطیب أبو القاسم، رحمه الله، فی کتابه عن سیف بن عمر و غیره، یزید بعضها علی بعض و مما وقع إلیّ، أیضا، عن أبی الحسن المدائنی فی فتوح العراق، و حدیثه أطول اقتضاضا و أشد اتصالا، و قد جعلت هذه الأحادیث کلها علی اختلافها حدیثا واحدا، إلا أن یعرض فیها ما یتناقض، فإما أن أسقط، حینئذ، أحد النقیضین بعد الاجتهاد فیه و فی الذی أوثر إثباته منهما، و إما أن أذکرهما معا و أبین ذلک، و أنسبه إلی من وقع ذکره فی حدیثه، و کثیرا ما مضی عملی فی هذا الکتاب علی هذا النحو، و علیه یستمر، إن

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۴۵۴- ۴۵۹)، الکامل لابن الأثیر (۲/ ۳۰۱- ۳۰۳)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۷/ ۲۷- ۲۹)، نهایة الأرب للنویری (۱۹/ ۱۸۲- ۱۸۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۰۸

شاء الله، قصدا للتهذیب و حرصا علی الجمع بین الإمتاع و الإیجاز بحول الله سبحانه.

و أفتتح بما افتتح به المدائنى هذه القصة للذى ذكرته من حسن اتصال حديثه.

قال: و لما فتح أبو عبيد ما فتح، و هزم تلك الجنود، و نزل الحيرة، و رجعت المرازبة إلى يزدجرد منهزمين، شمتهم، و أقصاهم، و دعا بهمن ذا الحاجب فعقد له على اثنى عشر ألفا، و قال له: قدم هؤلاء الذين انهزموا، فإن انهزموا فاضرب أعناقهم، و دفع إليه درفش كابيان، راية كانت لكسرى فكانوا يتيمنون بها، و كانت من جلود النمور، عرضها ثمانية أذرع فى طول اثنى عشر ذراعا، و أعطاه سلاحا كثيرا، و حمل معه من أداة القتال و آله الحرب أوقارا من الإبل، و دفع إليه الفيل الأبيض، فخرج فى عدة لم ير مثلها.

و فى كتاب سيف أن رستم هو صاحب ذلك، و أنه الذى رجع إليه الجالينوس و من أفلت من جنده بناء على ما قدمنا من الاختلاف فى ملك فارس إلى من كان حينئذ.

قال: فقال رستم: أى العجم أشد على العرب فيما ترون؟ قالوا: بهمن جاذويه، و هو ذو الحاجب، فوجهه و معه الفيلة، ورد جالينوس معه. و ذكر بعض ما تقدم.

و بلغ المسلمون مسيرهم، فقال المثنى لأبى عبيد: إنك لم تلق مثل هذا الجمع و لا مثل هذه العدة، و لمثل ما أتوك به روعة لا تثبت لها القلوب، فارتحل من منزلك هذا حتى نعبر الفرات و نقطع الجسر و تصير الفرات بينك و بينهم فتراهم، فإن عبروا إليك قاتلتهم، و استعنت الله، قال: إنى لأرى هذا و هنا، ثم أخذ برأى المثنى فعبر الفرات و نزل المروحة و قطع الجسر، و أقبل بهمن فنزل قس الناطف، بينه و بين أبى عبيد الفرات، و أرسل إلى أبى عبيد: إما أن تعبر إلينا، و إما أن نعبر إليك. فقال أبو عبيد: نعبر إليكم. فقال المثنى أذكرك الله و الإسلام أن لا ـ تعبر إليهم، فحلف ليعبرن إليهم، و دعا ابن صلوبا فعقد له الجسر فقال سليط بن قيس الأنصارى: يا أبا عبيد أذكرك الله أن لا ـ تركت للمسلمين مجالا، فإن العرب من شأنها أن تفر ثم تكر، فاقطع هذا الجسر و تحول عن منزلك و انزل أدنى منزل من البر و تكتب إلى أمير المؤمنين فتعلمه ما قد أجلبوا به علينا، و نقيم فإذا كثر عددنا و جاء مددنا رجعنا إليهم و بنا قوة، و أرجو أن يظهرنا الله عليهم. قال: جبنت و الله يا سليط. قال: و الله إنى لأشد منك بأسا، و أشجع منك قلبا، ثم تقدم فعبر، فقال المثنى لأبى عبيد: و الله ما جبن، و لكن أشار بالرأى، و أنا أعلم بقتال هؤلاء منك، لئن عبرت إليهم فى ضيق هذا المطرد ليجزرن المسلمين هذا العدو. و قال: و الله لأعبرن إليهم، و كان رسول بهمن قد قال: إن أهل فارس قد عيروهم، يعنى المسلمين، بالجبن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۹

عن العبور إليهم، فازداد أبو عبيد محكا، فقال المثنى للناس: اجعلوا جبنها بى و لا تعبروا فقالوا: كيف نصنع و قد عبر أميرنا و سليط فى الأنصار و عبر الناس فقال المثنى: إنى لأرى ما تصنعون و لو لا أن خذلانكم يقبح و لا أراه يحل ما صحبتكم، ثم عبر، فالتقى الناس فى موضع ضيق المطرد.

قال: و كانت دومة امرأة أبى عبيد رأت و هى بالطائف كأن رجلا نزل من السماء معه إناء فيه شراب، فشرب منه أبو عبيد و رجال من أهل بيته يأتى ذكرهم، فقصتها على أبى عبيد، فقال: هذه الشهادة إن شاء الله.

فلما التقوا قال أبو عبيد: إن قتلت فأميركم عبد الله بن مسعود بن عمرو، يعنى أخاه، فإن قتل فأميركم جبر بن أبى عبيد، يعنى ولده، فإن قتل فأميركم حبيب بن ربيعة ابن عمرو بن عمير، فإن قتل فأميركم أبو الحكم بن حبيب بن ربيعة بن عمرو بن عمير، فإن قتل فأميركم أبو قيس بن حبيب، و هؤلاء الإخوة الثلاثة بنو عمه، حتى عدّ كل من شرب الإناء، ثم قال: فإن قتل فأميركم المثنى بن حارثة، و سير على ميمنته سليط بن قيس، و على ميسرته المثنى.

و قدم ذو الحاجب جالينوس معه الفيل الأبيض و راية كسرى و قد أطافت به حماة المشركين، معلمين أمامهم رجال يمشون على العمد، فكانت بين الناس مشاولة، يخرج العشرة و العشرون فيقتتلون مليا من النهار، ثم حمل المشركون على المسلمين فنضحوهم بالنبل، و جثت رجالهم فاستقبلوا بالرماح، و لم يقدروا من المسلمين على شىء فانصرفوا عنهم، ثم حملوا عليهم الثانية ففعلوا مثلها، ثم انصرفوا، و حملوا عليهم الثالثة فصبروا، فلما رأوا أنهم لا يقدرون على ما يريدون من المسلمين جاءوا بالنشاب فوضعوه كأنه آكام و

تفرقوا ثلاث فرق، فقصدت فرقة لأبی عبید فی القلب، و فرقة لسلیط فی المیمنة، و فرقة للمثنی فی المیسرة، ثم صاروا کرادیس، فجعل الکردوس یمر بهم معرضا بالمسلمین و یرمیهم حتی کثرت الجراحات فیهم، و عضلت الأرض بأهلها.

و أقبلت الفیلة علیها النخل، و الخیول علیها التجافیف، و الفرسان علیهم الشعر، فلما نظرت إلی ذلک خیول المسلمین رأت شیئا منکرا لم تکن تری مثله، فجعل المسلمون إذا حملوا علیهم لم تقدم خیولهم، و إذا حملوا علی المسلمین بالفیلة و الجلاجل فرقت بین کرادیسهم، لا تقوی لهم الخیل إلا علی نفار، و خزقهم الفرس بالنشاب، و عض المسلمین الألم، و جعلوا لا یصلون إلیهم، فنادی سلیط بن قیس: یا أبا عبید أ رأیی أم رأیک أما

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۱۰

و الله لتعلمن أنک قد أضررت برأیک نفسک و المسلمین، ثم قال: یا معشر المسلمین علام نستهدف لهؤلاء المشرکین من أراد الجنة فلیحمل معی، فحمل فی جماعة أکثرهم من الأنصار، فقتل و قتلوا، و ترجل أبو عبید و ترجل الناس و مشوا إلیهم، فتکافحوا و صافحوهم بالسیوف و حمی البأس حتی کثرت القتلی من الطائفتین جمیعا، و جعلت الفیلة لا تحمل علی جماعة إلا دفعتهم، فنادی أبو عبید: احتوشوا الفیلة فقطعوا بطنها و اقلبوا عنها أهلها؛ و واثب هو الفیل الأبیض، فتعلق ببطانه فقطعه، و وقع الذین علیه، و فعل القوم مثل ذلک؛ فما ترکوا فیلا إلا حطوا رحله و قتلوا أصحابه، و قال أبو عبید: ما لهذه الدابة من مقتل؟ قالوا: بلی، مشفرها إن قطع، فضرب مشفره فقطعه و برک علیه فاستدبره أبو محجن فضرب عرقوبیه فاستدار و سقط لجنبه، و تعاور أبا عبید المشرکون فقتلوه، و قیل: بل اتقاه الفیل بیده لم نفح مشفره بالسیف فأصابه بیده فوقع فخبطه الفیل و قام علیه.

فلما بصر الناس بأبی عبید تحت الفیل خشعت أنفس بعضهم، و أخذ اللواء الذی کان أمره من بعده فقاتل الفیل حتی تنحی عن أبی عبید فاجتره إلی المسلمین و أخذوا شلوه، ثم تجر ثم الفیل فاتقاه الفیل بیده دأب أبی عبید، و خبطه الفیل، و قام علیه، و تتابع أمراء أبی عبید الذین عهد إلیهم بأخذ اللواء، فیقاتل حتی یموت، و صبر الناس حتی قتلوا، و صارت الرایة إلی المثنی بن حارثة، فجاش بها ساعة ثم انهزم الناس و رکبهم المشرکون و اقتطعوا زر بن خطم أو ابن حصن بن جوین الطائی فجماعة من المسلمین، فنادی زر:

یا معشر المسلمین، أنا زر، إنه لیس بعار أن یقتل الرجل و هو مقبل علی عدوه معه سیف یضرب به سبالهم و أنفهم، و إنما العار أن یقتل الرجل و هو غیر مقبل علی عدوه، فاثبتوا فرب قوم قد فروا ثم کروا ففتح الله علیهم، فثاب إلیه ناس من أهل الحفاظ حتی صاروا نحوا من ثلاثمائة، و أحاط بهم المشرکون حتی خافوا الهلاک، و نظر إلیهم المثنی بن حارثة، فقال لناس من بکر بن وائل: أی إخوانکم قد أحسنوا القتال و صبروا لعدوهم، فإن أمسکتم عنهم هلکوا، و إن کررتم رجوت أن تفرجوا عنهم و أن یکشف الله لهم السبیل إلی الجسر، فحمل علی المشرکین فی سبعین من بکر بن وائل أصحاب خیل مقدحة، کان یعدها للطلب و الغارة فی بلاد العدو فقاتلهم حتی ارتفع عنهم المشرکون و انضموا إلی إخوانهم من المسلمین.

و نظر عروة بن زید الخیل و قد أحیط به و هو فی عشرین فرسا، إلی خیل المسلمین تطارد المشرکین فقال لمن معه: أری فی المسلمین بقیة، فاحملوا علی من بیننا و بین

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۱۱

أصحابنا، فحملوا و أفرجوا لهم حتی وصلوا إلی المسلمین، و کان عروة یومئذ علی فرس کمیت أغر الذنوب، فأبلی أحسن بلاء، کان یشد علیه المنسر من مناسر العجم و هو وحده فإذا غشوه کر علیهم فیتصدعون حتی عرف مکانه، و تعجب الناس یومئذ من عروة لما رأوا من بلائه، فقال المثنی: إن البأس لیس له بمستنکر، و مضی الناس نحو الجسر، و حماهم المثنی و عروة بن زید الخیل و الکلح الضبی و عاصم بن عمرو الأسدی و عامر بن الصلت السلمی و نادی المثنی: أیها الناس، أنا دونکم فاعبروا علی هیئتکم و لا تدهشوا فإنا لن نزول حتی نراکم من ذلک الجانب، و لا تفرقوا أنفسکم. فانتهی الناس إلی الجسر و قد سبق إلیه عبد الله بن مرثد الثقفی أو غیره فقطعه و قال: قاتلوا عن دینکم، فخشع الناس و اقتحموا الفرات فغرق من لم یصبروا، و أسرع المشرکون فیمن صبروا، و أتاهم

المثنى بن حارثة فأمر بالسفينة التى قطعت فوصلت بالجسر و عبر الناس، و قال المثنى للرجل الذى قطع الجسر: ما حملك على ما صنعت؟ قال: أردت أن يصبر الناس، و يقال إن سليط بن قيس كان من آخر من قتل عند الجسر.

و أصيب يومئذ من المسلمين ألف و ثمانمائة منهم ثلاثمائة من ثقيف فيهم ثمانون خاضبا، و استحر القتل يومئذ ببنى عوف بن عقدة رهط أبى عبيد فابيد منهم: أبو عبيد و أمراؤه الذين أمر، و غيرهم. و يقال: قتل يومئذ معه اثنان و عشرون رجلا ممن هاجر، و قتل من المشركين ألفان.

و قتل أكثر من ذلك فيما ذكره سيف، قال: خبط الفيل أبا عبيد، و قد أسرعت السيوف فى أهل فارس، و أصيب منهم ستة آلاف فى المعركة، و لم يبق إلا الهزيمة، فلما خبط أبو عبيد، و قام عليه الفيل جال المسلمون جولة، ثم تموا عليها، و ركبهم أهل فارس.

و قال عثمان النهدى: هلك يومئذ، يعنى من المسلمين، أربعة آلاف بين قتيل و غريق، و هرب ألفان، و بقى ثلاثة آلاف.

و لما فرغ الناس بالعبور عبر المثنى و حمى جانبه، و اضطرب عسكره و رماهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم، و قطع المسلمون الجسر بعد عبورهم، فعبره المشركون.

قالوا «۱»: و خرج جابان، و مردانشاه فى ألف من الأساورة منتخبين ليسبقوا المسلمين إلى الطريق، و بلغ ذلك المثنى، فاستخلف على الناس عاصم بن عمرو، و خرج يريدهما

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۴۵۸، ۴۵۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۱۲

فى جريدة خيل، فاعترضاه يظنانه هاربا، فأخذهما أسيرين فضرب أعناقهما، و قال: أنتما كذبتما أميرنا و استفززتماه.

و خرج أهل أ ليس على أصحابها، فأخذوهم فجاءوا بهم إلى المثنى، فضرب أعناقهم، و عقد بذلك لأهل أ ليس ذمة ثم رجع إلى عسكره.

و قيل: بل لقيهم المثنى فقتل مردانشاه فى المعركة و أسر جابان فضرب المثنى رقبته، و قد تقدم فى ذكر ملتقى أبى عبيد بجابان بين الحيرة و القادسية أن أكتل بن شماخ العكلى أسر مردانشاه ثم ضرب عنقه، و أسر مطر بن فضة جابان فخدعه و افتدى منه، و أحد الأمرين هو الصحيح فى قتل مردانشاه، فالله أعلم.

و انهزم المشركون، و مضى المثنى إلى أ ليس، و تفرق بنو تميم إلى بواديهم، و مضى أهل المدينة و أسد غطفان فنزلوا الثعلبية. و كان لعروة بن زيد الخيل من حسن الغناء فى يوم الجسر ما تقدم ذكره، فقال له المثنى: يا عروة، أما و الله لو أن معى مثلك ألف فارس من العرب ما تهيبت أن أصبح ابن كسرى فى مدائنه و ما كنت أكره أن ألقى مثل هذا الجمع الذى فل المسلمين مصحرا و لرجوت أن يظفرنى الله بهم، فهل لك فى المقام معى لا أوثر عليك نفسى و لا أحدا من قومى؟ قال: لا، إنى كنت مع هذا الرجل، يعنى أبا عبيد، و قد أصيب، فأرجع إلى عمر فيرى رأيه.

فلما نزل الناس الثعلبية سألوا عروة أن يأتى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، بكتابهم، فكتبوا إليه: إنا لقينا عدو الإسلام من أهل فارس بمكان يقال له قس الناطف فقتل أميرنا أبو عبيد و أمراء أمرهم أبو عبيد، و سليط بن قيس و رجال من المسلمين منهم من تعرف، و منهم من تنكر، و تولى أمر الناس المثنى بن حارثة أخو بنى شيبان فحماهم فى فوارس، جزاهم الله عن الإسلام خيرا، فكتبنا إليك و قد نزلنا الثعلبية فرارا من الزحف لا نرى إلا إنّا قد هلكنا، و قد بعثنا إليك فارس المسلمين عروة يخبرك عنا و يأتينا بأمرك.

فلما قرأ عمر الكتاب فانتهى إلى قوله: منهم من تعرف و منهم من تنكر بكى و قال:

ما ضر قوما عرفهم الله أن ينكرهم عمر، لكن الله لا يخفى عليه من عباده المحسنون، يا عروة ارجع إليهم فأعلمهم أنهم ليسوا بفرار، و إنما انحازوا إلىّ، و أنا لهم فئة، و سيفتح الله عليهم تلك البلاد إن شاء الله، يرحم الله أبا عبيد لو انحاز إلينا و اعتصم بالحيف لكنا له

فئة.

الاکتفاء، الکلاعى ،ج۲،ص:۴۱۳

و کتب عمر مع عروة إلى المثنى بن حارثة: أما بعد، فإن الله کتب القتل على قوم فلم یکن مماتهم لیکون إلا قتلا، و کتب على قوم الموت فهم یموتون موتا، فطوبى لمن قتل فى سبیل الله محتسبا نفسه صابرا، و قد بلغنى عنک ما کنت أحب أن تکون علیه، فالزم مکانک الذى أنت به، و ادع من حولک من العرب، و لا تعجل إلى قتال إلا أن تقاتل، أو ترى فرصة حتى تأتیک أمداد المسلمین، و کأن قد أتتک على الصعبة و الذلول.

فقدم عروة بن زید على المثنى بکتاب عمر، و رجع أهل الحجاز و أسد و غطفان إلى بلادهم، و أقام المثنى حتى قدمت الأمداد.

و یقال: إن أول خبر تحدث به عن أهل الجسر بالمدینة أن رجلا ـ قدمها من الطائف فجلس إلى حذاء فقال: ما لى لا أسمع أهل المدینة یبکون قتلاهم؟ فقال له الحذاء: و من قتل؟ قال:

قتل أبو عبید بن مسعود، و سلیط بن قیس، فأخذ الحذاء بتلابیبه حتى أتى به عمر فأخبره بما قال، فقال له عمر: ما تقول ویلک! قال: یا أمیر المؤمنین إنّا منذ لیال بفناء من أفنیة الطائف إذ سمعنا أصوات نساء من ناحیة باب شهار یقلن: یا أبا عبیداه، و یا سلیطاه، و سمعنا قائلا یقول:

إن بالجسر فتیة سعداءصبروا صادقین یوم اللقاء

کم تقى مجاهد کان فیهمخاشع القلب مستجاب الدعاء

یجأر اللیل کله بعویلو نجیب و زفرة و بکاء قال: فما انقضى حدیثه حتى قدم عبد الله بن زید الخطمى، و کان أول من قدم بخبر الجسر ممن شهده فمر بباب حجر عائشة، و یقال: أتى عمر و هو على المنبر فلما دخل المسجد و رآه عمر قال: ما عندک یا ابن زید؟ قال: أتاک الخبر یا أمیر المؤمنین، ثم صعد إلیه فأخبره، فقالت عائشة: ما رأینا رجلا حضر أمرا فحدث عنه کان أثبت حدیثا من عبد الله بن زید و لا أخفى فزعا.

و لما قدم أهل المدینة المدینة و أخبروا عمن سار منهم إلى البادیة استحیاء من الهزیمة، اشتد ذلک على عمر، رحمه الله، فرق للناس و رحمهم، و قال: اللهم إن کل مسلم فى حل منى، أنا فئة کل مسلم، من لقى العدو ففزع بشىء من أمره فأنا له فئة؛ یرحم الله أبا عبید، لو کان انحاز إلیّ لکنت له فئة.

و کان معاذ القارئ ممن شهدها و فر یومئذ، و کان یصلى بالناس فى شهر رمضان على

الاکتفاء، الکلاعى ،ج۲،ص:۴۱۴

عهد عمر، فکان بعد إذا قرأ: وَ مَنْ یُوَلِّهِمْ یَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَیِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ [الأنفال: ۱۶]، خنقته العبرة و بکى، فکان عمر یقول: أنا لکم فئة.

و کان عمر، رضى الله عنه، قد رأى فى النوم أن أبا عبید و أصحابه انتهوا إلى ضرس من الحیرة فتحیروا و لم یجدوا مخرجا، فرجعوا فلم یجدوا طریقا، فرفعوا إلى السماء، فقال عمر: هذه شهادة، فلیت شعرى ما فعل عدوهم؟ فکان یتوقع الخبر حتى قدم عبد الله بن زید الخطمى فأخبره، فبکى و قال: ما وجهت أحدا وجها أکره إلیّ من الوجه الذى توجه إلیه أبو عبید.

و قال أبو محجن بن حبیب بن عمرو بن عبید یرثى أبا عبید و من أصیب معه، و هو ابن عم أبى عبید و أخو بنى حبیب الثلاثة المقتولین معه من أمرائه:

أنى تهدت نحونا أم یوسفو من دون مسراها فیاف مجاهل

إلى فتیة بالطف نیلت سراتهمو غرى أفراس بها و رواحل

و أضحى بنو عمرو لدى الجسر منهمإلى جانب الأبیات حزم و نابل

و أضحى أبو جبر خلا ببيوتهبما كان تعدوه الضعاف الأرامل

ألا قد علت قلب الهموم الشواغلو راجعت النفس الأمور القواتل

سيعلم أهل الغىّ كيف عزيمتىو يعلم ودادى الذين أواكل

غناى و أخذى بالذى أنا أهلهإذا نزلت بى المعضلات العضائل

فما رمت حتى خرقوا برماحهمثيابى و جادت بالدماء الأباجل

و ما رمت حتى كنت آخر راجعو صرع حولى الصالحون الأماثل

و قد غادرونى فى مكر جيادهمكأنى غادتنى من الراح شامل

و أمسى على سيفى نزيف و مهرتىلدى الفيل تدمى نحرها و الشواكل

فما لمت نفسى فيهم غير أنهاإلى أجل لم يأتها و هو عاجل

مررت على الأنصار وسط رحالهمفقلت لهم هل منكم اليوم قافل

ألا لعن الله الذين يسرهمرداى و ما يدرون ما الله فاعل و قال أبو محجن أيضا:

يا عين جودى على جبر و والدهإذا تحطمت الرايات و الحلق

يوم بيوم أتى جبر و إخوتهو النفس نفسان منها الهول و الشفق

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۱۵ يا خل سل المنايا ما تركن لناعزا ننوء به ما هدهد الورق و قال حسان بن ثابت يرثى سليط بن قيس و من أصيب من قومه:

لقد عظمت فينا الرزية أنناجلاد على ريب الحوادث و الدهر

لدى الجسر يوم الجسر لهفى عليهمغداة إذا ما قد لقينا على الجسر

يقول رجال ما لحسان باكياو حق لى التبكاء بالنحب و الغزر

أبعد أبى قيس سليط تلومنىسفاها أبى الأيتام فى العسر و اليسر

فقل للألى أمسوا أسروا شماتةبه كنتم يوم النزال على بدر و قالت امرأة من ثقيف:

أضحت منازل آل عمرو قفرةبعد الجزيل و نائل مبذول

و كأنما كانوا لموقف ساعةقردا زفته الريح كل سبيل

حديث البويب و وقعة مهران «۱»

و لما بلغ عمر، رضى الله عنه، أمر الجسر، و أتاه كتاب المسلمين بالخبر استخلف على المدينة على بن أبى طالب و خرج فنزل بصرار يريد أرض فارس، و قدم طلحة بن عبيد الله فنزل الأعوص، فدخل عليه العباس بن عبد المطلب و عثمان بن عفان و عبد الرحمن بن عوف فأشاروا عليه بالمقام، و قالوا: شاور الناس، فكتب إلى على و طلحة فقدما عليه، فجمع الناس فقال: إنى نزلت منزلى هذا و أنا أريد العراق فصرفنى عن ذلك قوم من ذوى الرأى منكم، و قد أحضرت هذا الأمر من خلفت و من قدمت، فأشيروا علىّ، فقال على بن أبى طالب، رضى الله عنه، أرى أن ترجع إلى المدينة و تكتب إلى من هناك من المسلمين أن يدعوا من حولهم و يحذروا على أنفسهم، و قد قدم قوم من العرب يريدون الهجرة فوجههم إليهم فتكون دار هجرة حتى إذا كثروا وليت أمرهم رجلا- من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من أهل السابقة و القدم فى الإسلام، فانصرف عمر إلى المدينة و كتب إلى المثنى بأن يدعو من حوله و لا يقاتل أحدا حتى يأتيه المدد، و قدم من الأسد و بارق و غامد و كنانة سبعمائة أهل بيت، فقال لهم عمر: أين تريدون؟ فقالوا: سلفنا بالشام. قال: أو غير ذلك، أرضا تبتذونها إن شاء الله و يغنمكم الله كنوزها، أخوار فارس. فقال مخنف بن سليم الغامدى: مرنا

بأحب الوجهين إليك. قال: العراق. قال:

(١) انظر: فتوح البلدان للبلاذرى (ص ٣١٠- ٣١٢)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (٢/ ٣٠٣- ٣٠۶)، الطبرى (٣/ ۴۶٠- ۴٧٢)، البداية و النهاية لابن كثير (٧/ ٢٩، ٣٠).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۴١۶

فامضوا على بركة الله، فأمر عمر على الأزد رجلا منهم، و على كنانة غالب بن عبد الله الليثى فشخصوا إلى أرض الكوفة، فقدموا على المثنى بن حارثة، فأقبل بهم حتى نزلوا العذيب.

و فيما ذكره سيف «١» أن الأزد و كنانة لما سألوا الشام قال لهم عمر: ذلك وجه قد كفيتموه، العراق العراق اذروا بلدة قد فل الله شوكتها و عدوها، و استقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش، لعل الله أن يرث بكم قسطكم من ذلك فتعيشوا مع من عاش من الناس، فقال غالب الليثى و عرفطة البارقى، كل واحد منهما لقومه: يا عشيرتاه أجيبوا أمير المؤمنين إلى ما أراد، فقال كل فريق لصاحبهم: إنا قد أطعناك و أجبنا أمير المؤمنين إلى ما أراد، فدعا لهم عمر بخير، و أمر على كنانة غالبا و سرحه فيهم، و أمر على الأزد عرفجة بن هرثمة البارقى و عامتهم من بارق، و فرحوا برجوع عرفجة إليهم. فخرج هذا فى قومه و هذا فى قومه حتى قدما على المثنى، و كان عرفجة هذا حليفا فى بجيلة لأمر عرض له فى قومه أخرجه عنهم، و من قدمته هذه رجع إلى قومه و نسبه حسب ما يذكر بعد إن شاء الله تعالى.

و قدم بعدهم أربعمائة أهل بيت من كندة و السكون، فيهم الأشعث بن قيس و معاوية بن حديج و شرحبيل بن السمط، فقالوا: يا أمير المؤمنين قدمنا نريد سلفنا بالشام، فنظر إليهم و عليهم الحلل فأعرض عنهم، فكلموه، أيضا، فلم يأمرهم بشىء، فقيل له: ما يمنعك؟ قال: إنى لمتردد فيهم منقبض عنهم، لا ينزل هؤلاء بلدا إلا فتنوا أهله، و ما قدم أحد المدينة أكره إلىّ منهم، فأمضى نصفهم إلى الشام، عليهم معاوية بن حديج، و نصفهم إلى العراق عليهم شرحبيل بن السمط.

و قدم من مذحج المدينة ألف بيت فيهم ثلاثمائة أهل بيت من النخع، فقال عمر:

سيروا إلى أرض فارس، قالوا: لا، و لكنا نسير إلى الشام، فقال يزيد بن كعب النخعى:

أنا أخرج فيمن أطاعنى، فخرج فى ثلاثمائة أهل بيت من النخع، و قال هند الجملى: أنا أخرج فيمن أطاعنى، فخرج فى خمسمائة أهل بيت من مراد، فكان عمر يقول بعد ذلك: سيد أهل الكوفة سمى المرأة هند الجملى.

ثم قدم المدينة أهل ألف بيت من همدان، فقالوا لعمر: خر لنا. قال: أرض العراق.

قالوا: بل الشام، قال: بل العراق، فصرفوا ركابهم إلى العراق.

(١) انظر: الطبرى (٣/ ۴۶٣).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۴١٧

و قد كانت قدمت بجيلة فيهم جرير بن عبد الله، و سيدهم عرفجة بن هرثمة البارقى، حليف لهم، فقال عمر: اخرجوا إلى العراق، و أمر عليهم عرفجة، فقال جرير لبجيلة:

أخبروا عمر أنه ولى عليكم رجلا ليس منكم، و كانت بجيلة قد غضبت على عرفجة فى أمر عرض بينهم و بينه، فكلموا عمر فى ذلك و استعفوه منه، فقال: لا أعفيكم من أقدمكم هجرة و إسلاما، و أعظمكم بلاء و إحسانا، فلما أعلموه أنه ليس منهم، قال لعرفجة: إن هؤلاء استعفونى منك، و زعموا أنك لست منهم، فما عندك؟ قال: صدقوا، لست منهم و ما يسرنى أننى منهم، أنا امرؤ من الأزد من بارق فى كثف لا يحصى عدده، و حسب غير مؤتشب. فقال عمر: نعم الحى الأزد، يأخذون نصيبهم من الخير و الشر.

و قال عرفجة: إنه كان من شأنى أن الشر تفاقم فينا، و دارنا واحدة، و أصبنا الدماء، و وتر بعضنا بعضا فاعتزلتهم لما خفتهم، فكنت فى هؤلاء أسودهم و أقودهم، فحفظوا علىّ لأمر دار بينى و بين دهاقنتهم، فحسدونى و كفرونى، فقال: لا يضرك فاعتزلهم إذ كرهوك.

و قيل: إن عمر قال: اثبت على منزلتك و دافعهم، قال: لست فاعلا، و لا سائرا، فأمر عليهم جرير بن عبد الله، و قيل: إن جريرا كان إليه من بجيلة بعضها، فجمعها إليه عمر، و قال له جرير: يا أمير المؤمنين إن قومى متفرقون فى العرب، فأخرجهم و أنا أغزو بهم أرض فارس، و كانوا متفرقين فى هوزان و غطفان و تميم و فى أزد شنوءة و الطائف و جرش، فكتب عمر إلى القبائل التى فيها بجيلة: أى نسب تواصل عليه الناس قبل الإسلام فهو النسب ليس لأحد أن يدعه، و ليس له أن ينتقل إلى غير ما كان يعرف به، فمن كان من بجيلة لم ينتسب إلى غيرهم حتى جاء الإسلام فلا تحولوا بينهم و بين الرجوع إلى قومهم، فخرج قيس كبة و شحمة و عرينة من هوازن و غيرها من القبائل، و خرج العتيل و الفتيان من بنى الحارث و خرج على و ذبيان من الأزد بالسراة، و لما أعطى عمر، رضى الله عنه، جريرا حاجته فى استخراج بجيلة من الناس فأخرجهم، أمرهم بالموعد بين مكة و المدينة، و لما تتاموا قال لجرير: اخرج حتى تلحق بالمثنى، فكره ذلك جرير و مال إلى الشام، فقال له عمر: قد علمتم ما لقى إخوانكم بأرض فارس، فاخرجوا فإنى أرجو أن يورثكم الله أرضهم و ديارهم، و لك الربع من كل شىء بعد الخمس، و قيل: بل جعل له و لقومه ربع الخمس مما أفاء الله عليه فى غزاتهم هذه، له و لمن اجتمع إليه و من أخرج له من القبائل، استصلحهم عمر، رضى الله عنه، بذلك، إذ كان هواهم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۱۸

الشام، فأبى هو عليهم إلا العراق، و قال لهم: اتخذونا طريقا، فقدموا المدينة و هم أربعة آلاف، و قيل: ألفان، ثم فصلوا منها إلى العراق ممدين للمثنى، فقال عمر: لو ضممت إلى هؤلاء من الجبين من ابنى نزار، يعنى تميما و بكرا فوجه معهم قوما منهم، ثم تتابعت الأمداد.

و كان أول من نزل العذيب بالعيال من قبائل اليمن و الحجاز الأزد ثم حضرموت و كندة ثم النخع و مراد ثم همدان ثم بجيلة، ثم جاءت قبائل الحجاز و أهل البوادى من تميم و بكر، و جاءت طيئ عليها عدى بن حاتم، و جاءت أسد، و جاءت قيس عليهم عبد الله بن المعتم العبسى، و جاءت الرباب و على تيم و عدى هلال بن علفة، و على ضبة المنذر بن حسان، و جاءت حنظلة و عمرو، و طوائف من سعد، و جاءت النمر بن قاسط عليهم أنس بن هلال بن عقة، و بعث عمر أيضا، عصمة بن عبد الله الضبى فيمن تبعه من بنى ضبة، و كان قد كتب إلى أهل الردة يأذن لهم فى الجهاد و يستنفرهم إليه، فلم يوافقه أحد منهم إلا رمى به المثنى.

و ذكر المدائنى أن يزدجرد وجه مهران بعد وقعة الجسر و أمره أن يبث المسالح إلى أدانى أرض العرب، و يقتل كل عربى قدر عليه.

و فيما ذكره الطبرى عن سيف أن رستم و الفيرزان هما اللذان رأيا إنفاذ مهران بعد أن طالعا برأيهما فى ذلك بوران ابنة كسرى، و ذلك عند ما علما بتوافى أمداد العرب إلى المثنى، فخرج مهران فى الخيول و جاء يريد الحيرة، و بلغ المثنى الخبر و هو معسكر بمرج السباخ، ما بين القادسية و خفان، فاستبطن فرات بادقلى، و أرسل إلى جرير و من معه: أنه جاءنا أمر لن نستطيع معه المقام حتى تقدموا علينا، فعجلوا اللحاق بنا، و موعدكم البويب.

و كتب إلى عصمة و إلى كل قائد أظله بمثل ذلك، و قال: خذوا على الجوف، فسلكوا القادسية و سلك المثنى وسط السواد، فطلع على النهرين ثم على الخورنق، و طلع عصمة و من سلك معه طريقه على النجف، و طلع جرير و من سلك معه على الجوف، فانتهوا إلى المثنى و هو البويب، و مهران من وراء الفرات بإزائه، فاجتمع عسكر المسلمين على البويب مما يلى موضع الكوفة اليوم، و عليهم المثنى، و هم بإزاء مهران و عسكره، فقال المثنى لرجل من أهل السواد: ما يقال لهذه الرقعة التى فيها مهران و عسكره؟ فقال: بسوسا، فقال: أكدى مهران و هلك، و نزل منزلا هو البسوس، و أقام بمكانه حتى كاتبه

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۱۹

مهران: إما أن تعبروا إلينا، و إما أن نعبر إليكم، فقال المثنى: اعبروا فعبر مهران، فنزل على شاطئ الفرات معهم فى الملطاط، فقال

المثنى لذلك السوادى: ما يقال لهذه الرقعة التى نزلها مهران و عسكره؟ فقال: شوميا، و ذلك فى رمضان، فنادى المثنى فى الناس: انهدوا لعدوكم، فتناهدوا، و مهران فى ثلاثة عشر ألفا معه ثلاثة فيلة، فقدموا فيلتهم و استعدوا للحرب، فأقبلوا إلى المسلمين فى ثلاثة صفوف، مع كل صف فيل، و رجلهم أما فيلهم، و جاءوا و لهم زجل. فقال المثنى للمسلمين: إن الذى تسمعون فشل، فالزموا الصمت و ائتمروا همسا، و المسلمون أربعة آلاف، ألفان و ثمانمائة من اليمن، و ألف و مائتان من سائر الناس، و يقال: كانوا ستة آلاف، و ألف و مائتان من تميم و قيس و بكر، و سائرهم من اليمن.

و تنازع جرير و المثنى الإمارة يومئذ، فقال له المثنى: إنما بعثك أمير المؤمنين مددا لى، و قال جرير: بل استعملنى، فقيل: صار الأمر بينهما إلى ما قال المثنى، فكان هو الأمير، و قيل: صار جرير أميرا على من قدم معه و المثنى أميرا على من قدم قبل ذلك، و من قال هذا زعم أن المثنى قال لجرير عند ما نهدوا للعدو: خلنى و تعبئة الناس، ففعل جرير و عبأ المثنى الجيش فصير مضر و ربيعة فى القلب، و صير اليمن ميمنة، و ميسرة، و قال المثنى: يا معشر المسلمين، إنى قد قاتلت العرب و العجم، فمائة من العرب كانوا أشد علىّ من ألف من العجم، و يقال: إنه قال لهم: قاتلت العرب و العجم فى الجاهلية و الإسلام و الله لمائة من العجم فى الجاهلية كانوا أشد علىّ من ألف من العرب، و لمائة من العرب اليوم أشد علىّ من ألف من العجم، إن الله قد أذهب مصدوقتهم، و وهن كيدهم، فلا يهولنكم سوادهم، إن للعجم قسيّا لجا، و سهاما طوالا هى أغنى سلاحهم عندهم فلو قد لقوكم رموكم بها، و إذا أعجلوا عنها أو فقدوها، فهم كالبهائم أينما وجهتموها توجهت، فترسوا و الزموا مصافكم و اصبروا لشدة أو شدتين، ثم أنتم الظاهرون إن شاء الله تعالى.

و ركب يومئذ فرسا ذنوبا أدهم يدعى الشموس للين عريكته و طهارته، و كان لا يركبه إلا لقتال و يدعه ما لم يكن قتال، و مر على الرايات يحض القبائل، فقال له شرحبيل بن السمط: ما أنصفتنا يا مثنى، جعلت معدك وسطا و جعلتنا ميمنة و ميسرة، قال: إذا أنصفكم، الله ما أريد لهم شيئا من الخير إلا و أنا أريد لكم مثله، و ما عهدى بمعد يدرى بالناس من البأس، ثم صير تميما مع الأزد فى الميمنة، و صير ربيعة مع كندة فى الميسرة، و صفوا صفوفهم، و قال: الزموا الصمت فإنى مكبر ثلاث تكبيرات، فإذا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۲۰

كبرت الثالثة فاحملوا، فنظر إلى سعد بن عبيد الأنصارى قد نصل من الصف، فقال: من أنت؟ قال: سعد بن عبيد، فررت يوم الجسر من الزحف، فأردت أن أجعل توبتى من فرتى أن أشرى نفسى لله. فقال له: إن خيرا مما تريد أن تقف مع المسلمين فتناضل عن دينك.

و قال جرير: يا معشر بجيلة، إن لكم فى هذه البلاد إن فتحها الله لكم حظا ليس لغيركم، فاصبروا التماس إحدى الحسنيين: الشهادة فثوابها الجنة أو النصر ففيه الغنى من العيلة، و لا تقاتلوا رياء و لا سمعة، بحسب امرئ من خساسته حظا أن يريد بجهاده و عدوه حمد أحد من الخلق.

و مر المثنى على الرايات راية راية يحرضهم و يهزهم بأحسن ما فيهم، و لكلهم يقول:

إنى لأرجو أن لا تؤتى العرب اليوم من قبلكم، و الله، ما يسرنى اليوم لنفسى شىء إلا و هو يسرنى لعامتكم، فيجيبونه بمثل ذلك، و أنصفهم المثنى فى القول و الفعل، و خالط الناس فى المكروه و المحبوب، فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولا و لا عملا، و وقف على أهل الميمنة فنظر إلى رجل من العنبر على فرس عتيق رائع، فقال: يا أخا بنى العنبر، إنك لمن قوم صدق فى اللقاء، أما و الله يا بنى تميم إنكم لميامين فى الحرب، صبر عند البأس، إنى لأرجو أن يعز الله بكم دينه.

و قال للأزد: اللهم صبحهم برضوانك، و ادفع عنهم عين الحاسد، أنتم و الله الأنجاد الأمجاد الحسان الوجوه، و إنى لأرجو أن يأتى العرب اليوم منكم ما تقر به أعينهم، و نظر إلى فوارس من قيس فى القلب فقال: نعم فتيان الصباح أنتم، اللهم جللهم عافيتك و افرغ عليهم الصبر، يوما كبعض أيامكم، و نظر إلى ناس من طيئ فى القلب، فقال:

جزاكم الله خيرا، فنعم الحى أنتم فى اللقاء و عند العطاء، فإنه ليحضهم إذ شدت كتيبة من العجم على الميسرة و فيها بكر و كندة فصبروا لهم، ثم شدت عليهم الثانية فانكشفت بكر و كندة، فقال المثنى: إن الخيل تنكشف ثم تكر، يا معشر طيئ الزموا مصافكم و

أغنوا ما یلیکم، و اعترض الکتیبة التی کشفتهم بخیل کانت معه فمنعهم من اتباعهم و قاتلهم، فثارت عجاجة بینهم و رجع أهل المیسرة، و أقبلت المیمنة نحو المثنی و قد انکشف العدو عنه، و سیفه بیده و قد جرح جراحات و هو یقول: اللهم علیک تمام النصر، هذا منک، فلک الحمد، فقال له مخنف بن سلیم الغامدی: الحمد لله الذی عافاک، فقد کنت أشفقت علیک. قال: کم من کربة قد فرجها الله، هل منعم علیه یکافئ ربه بنعمة من نعمه!!.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۲۱

و کانت هزیمة المشرکون، فاتبعهم المسلمون حتی انتهوا إلی نهر بنی سلیم، ثم کروا علی المسلمین و رکدت الحرب بینهم ملیا، فلا یسمع إلا هریر الرجال، و قد کان أنس بن هلال النمری قدم ممدا للمثنی فی أناس من النمر نصاری، و ابن مردی الفهری الثعلبی فی ناس من قومه کذلک، و قالوا حین رأوا نزول العجم بالعرب: نقاتل مع قومنا، فلما طال القتال یومئذ و اشتد عمد المثنی إلی أنس بن هلال، فقال: یا أنس، إنک امرؤ عربی، و إن لم تکن علی دیننا، فإذا رأیتنی قد حملت علی مهران فاحمل معی، و قال لابن مردی الفهری مثل ذلک، فأجاباه، فحمل المثنی علی مهران فأزاله حتی دخل فی میمنته، ثم خالطوهم، و اجتمع القلبان، و ارتفع الغبار و المجنبات تقتتل، لا یستطیعون أن یفزعوا لنصر أمیرهم، لا المسلمون و لا المشرکون، و قد کان المثنی قال لهم: إذا رأیتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فیه، فإن الجیش ینکشف ثم ینصرف، فالزموا مصافکم و أغنوا عنا من یلیکم، و أوجع قلب المسلمین قلب المشرکون، و وقف المثنی حتی أسفر الغبار و قد فنی قلب المشرکین، و المجنبات قد هز بعضها بعضا، فلما رآه المسلمون و قد أزال القلب و أفنی أهله قویت مجنبات المسلمین علی المشرکین و جعلوا یردون الأعاجم علی أدبارهم، و جعل المسلمون و المثنی فی القلب یدعون لهم بالنصر، و یرسل إلیهم من یذمرهم و یقول لهم: إن المثنی یقول لکم عادتکم فی أمثالهم، انصروا الله ینصرکم، حتی هزم القوم.

و کانت رایة الأزد مع عبد الله بن سلیم، فجعل بتقدم بها، فقال له رجل: لو تأخرت قلیلا، فقال:

أقسمت بالرحمن أن لا أبرحاأو یصنع الله لنا فیفتحا و قاتل حتی قتل، و تقدم أبو أمیة عبد الله بن کعب الأزدی و هو یقول: اللهم إلیک أسعی لترضی، و إیاک أرجو فاغفر ذنبی، ثم تقدم فقاتل حتی قتل، رحمه الله، فحمل أبو رملة بن عبد الله بن سلیم، و کانت عنده الرباب ابنة عبد الله بن کعب، فقتل قاتل عبد الله بن کعب و احتز رأسه، فأتی به ابنه، و هو غلام مراهق، فقال: دونک رأس قاتل أبیک، فعض الفتی بأنفه، و مر به رجل من بکر بن وائل یقال له عجل، فقال: یا فتی ما أشجعک علی الأموات فحمی الفتی و اعترض العدو، فاتبعه عمه جندب و هو یقول: یا عجل، قتلت ابن أخی، فلحقه و قد قتل رجلا، فرده، و قتل حصین بن القعقاع بن معبد ابن زرارة، فأخذ الرایة مولی لهم أو مولی للأزد یقال له خصفة، فقاتل حتی قتل، و دارت بینهم رحی الحرب، و أخذت جریر الرماح فنادی: وا قوماه، أنا جریر، فقاتلت عنه جماعة من قیس لیس معهم غیرهم حتی خلص، و شدت جماعة علی مسعود بن

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۲۲

حارثة و هو معلم بعصابة خضراء و هو یفری فریا، فطعن رجلا فقتله، و طعن آخر فانکسر رمحه فاختلفا بسیفیهما ضربتین فقتل کل واحد منهما صاحبه، فوقف علیه أخوه المثنی فقال: هکذا مصارع خیارکم، و قیل: إنه ارتث یومئذ فمات بعد فی أناس من الجرحی من أعلام المسلمین ماتوا کذلک، منهم خالد بن هلال، فصلی علیهم المثنی و قدمهم علی الأسنان و القرآن، و قال: و الله إنه لیهون علیّ و جدی أن شهدوا البویب، أقدموا و صبروا، و لم یجزعوا و لم یتکلموا، و إن کان فی الشهادة لکفارة لبحور الذنوب، و لما ارتث مسعود بن حارثة یومئذ فتضعضع من معه رأی ذلک و هو دنف فقال: یا معشر کعب بن وائل، ارفعوا رایتکم رفعکم الله، لا یهولنکم مصرعی، و قتل جریر و غالب بن عبد الله اللیثی و حنظلة بن ربیعة الأسدی و عروة بن زید الخیل کل واحد منهم عشرة.

و قال ربعی بن عامر، و شهدها یومئذ مع أبیه: احصی مائة رجل من المسلمین قتل کل واحد منهم عشرة فی المعرکة. و ذکر أن غالبا و عروة و عرفجة فی الأزد کانوا من أصحاب التسعة، فالله أعلم.

و قال یومئذ لعروة رجل من قومه، و رآه یقدم: أهلکت قومک یا عروة، فقال:

یا قوم لا تعنفونی قومی لا تکثروا عدلی و لا من لومی

لا تعدونی النصر بعد الیوم

و سمع رجل یومئذ من مهران یرتجز و هو یقول:

إن تسألوا عنی فإنی مهرانأنا لمن أنکرنی ابن باذان فعجب من أن یتکلم بالعربیة، فقیل له: إنه ولد بالیمن، و یقال: إنه عربی نشأ مع أبیه بالیمن، و کان أبوه عاملا لکسری.

و أبصر جریر بن عبد الله، مهران یقاتل، فحمل علیه جریر و المنذر بن حسان فقاتلاه، طعنه المنذر فأداره عن دابته و قد و قذه فنزل إلیه جریر فاحتز رأسه و تنازعا سلبه ثم أخذ جریر سلاحه، و أخذ المنذر حلیته و ثیابه و برذونه، و قیل فی قتله غیر هذا، و هو مما حدثت به أم ولد لزید بن صوحان أن زیدا أخرجها معه إلی العسکر حتی لقوا مهران صاحب کسری، فجعل الناس یحیدون عن مهران، فقال زید: ما شأن الناس یحیدون عن هذا؟

قیل: کرهوه، فنزل زید فمشی إلیه فاختلفا ضربتین، فأطن مهران یده، فرجع فأخذ عمامتی فشقها ثم لفها علی یده ثم عاوده فنسف ساقیه بالسیف فقتله، فابتدر المسلمون

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۲۳

سلبه، فلم یأخذ زید من سلبه إلا السیف، نفله إیاه الأمیر، فکان زید یقول: من یشتری سیفا و هذا أثره، و یخرج یده الجذماء فیریها، و قد قیل إن غلاما نصرانیا من بنی تغلب هو الذی قتل مهران، فالله أعلم.

و هزم المشرکون فأتوا الفرات، و اتبعهم المسلمون، فانتهوا إلی الجسر، و قد عبرت طائفة من المشرکین الجسر، فحالوا بین الباقین و بینه، فأخذوا یمینا و شمالا، فقاتلهم المسلمون حتی أمسوا، و اقتحم طائفة الفرات فغرق بعضهم و نجا بعض، و رجع المسلمون عنهم حین أمسوا، فعبر من بقی منهم الجسر، ثم قطعوه فأصبح المسلمون فعقدوه و اتبعوهم حتی بلغوا بیوت ساباط، ثم انصرفوا و صلبوا مهران علی الجسر.

و یقال: إن المثنی قطع الجسر أولا لیمنع أهل فارس العبور، ثم ندم علی ذلک و قال:

لقد عجزت عجزة وقی الله شرها بمسابقتی إیاهم إلی الجسر و قطعه حتی أحرجتهم، فإنی غیر عائد فلا تعودوا و لا تعتدوا بی أیها الناس، فإنما کانت زلة، لا ینبغی إخراج أحد إلا من لا یقوی علی الامتناع.

و لما افترق الأعاجم علی شاطئ الفرات مصعدین و مصوبین و اعتورتهم خیول المسلمین أکثروا القتل فیهم حتی جعلوهم جثاء، فما کانت بین العرب و العجم وقعة کانت أقوی رمة منها.

حدث أبو روق قال: و الله إن کنا لنأتی البویب، یعنی بعد ذلک بزمان، فنری ما بین السکون و بنی سلیم عظاما بیضاء تلولا تلوح من هامهم و أوصالهم نعتبر بها. قال:

و حدثنی بعض من شهدها أنهم کانوا یحرزونها مائة ألف.

و اقتسم المسلمون ما أفاء الله علیهم، و نفلت بجیلة و جریر ما جعل لهم عمر بن الخطاب و حمل الخمس أو باقی الخمس، و جلس المثنی للناس یحدثهم و یحدثونه لما فرغوا، و کلما جاء رجل فتحدث قال له المثنی: أخبرنی عنک، فقال قرط بن جماح العبدی:

قتلت رجلا فوجدت منه رائحة المسک فقلت: مهران، و رجوت أن یکون إیاه، فإذا هو شهریرار صاحب الخیل فو الله ما رأیته إذ لم یکن مهران شیئا. و کان قرط قد قاتل یومئذ حتی دق قنی و قطع أسیافا.

و قال ربعی و هو یحدث المثنی: لما رأیت رکود الحرب و احتدامها قلت: تترسوا بالمجان فإنهم شادّون علیکم فاصبروا لشدتین و أنا زعیم لکم بالظفر فی الثالثة، فأجابونی فولی الله کفالتی.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۲۴

و قال ابن ذى السهمين محدثا: قلت لأصحابى إنى سمعت الأمير يقرأ و يذكر فى قراءته الزحف، فما ذكره إلا لفضل فيه، فاقتدوا برايتكم و لتحمى خيلكم رجلكم، و ازحفوا فما لقول الله من خلف، فأنجز الله لهم وعده كما رجوت.

و قال عرفجة محدثا: حزنا كتيبة منهم إلى الفرات، و رجوت أن يكون الله قد أذن فى غرقهم و أن يسلينا بها عن مصيبة الجسر، فلما حصلوا فى حد الإحراج كروا علينا فقتلناهم قتالا شديدا حتى قال بعض قومى: لو أخذت رايتك، فقلت علىّ إقدامها، و حملت بها على حاميتهم فقتلته فولوا نحو الفرات فما بلغوه و منهم أحد فيه الروح.

و قد كان المثنى قال يومئذ: من يتبع آثار المنهزمة حتى يبلغ السيب؟ فقام جرير فى قومه فقال: يا معشر بجيلة إنكم و جميع المسلمين ممن شهد هذا اليوم فى السابقة و الفضيلة سواء، و ليس لأحد منهم فى هذا الخمس غدا من النفل مثل الذى لكم منه، نفلا من أمير المؤمنين، فلا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو و لا أشد عليه منكم للذى لكم منه إلى ما ترجون، فإنما تنتظرون إحدى الحسنيين الشهادة و الجنة أو الظفر و الغنيمة و الجنة.

و مال المثنى على الذين أرادوا أن يستنتلوا بالأمس من منهزمة يوم الجسر فقال: أين المستنتل بالأمس و أصحابه؟ انتدبوا فى آثار هؤلاء القوم إلى السيب و أبلغوا من عدوكم ما تغيظونهم به فهو خير لكم و أعظم أجرا، و استغفروا الله إن الله غفور رحيم.

و كان هذا المستنتل، أو هو إن شاء الله سعد بن عبيد الأنصارى، قد أراد الخروج بالأمس من صف المسلمين إلى العدو، فقيل للمثنى: أ لا ترى إلى هذا الرجل الذى يريد أن يستنتل، فركض إليه، فقال: يا أبا عبد الله، ما تريد أن تصنع؟ قال: فررت يوم أبى عبيد، فأردت أن تكون توبتى و انتصارى أن أمشى إليهم فأقاتل حتى أقتل، قال: إذن لا تضر عدوك و لا تنفع وليك، و لكن أدلك على ما هو خير لك، تثبت على صفك و تجزى قرنك و تواسى أخاك بنفسك و تنصره و ينصرك فتكون قد نفعت المسلم و ضررت العدو، فأطاعه و ثبت مكانه، فكان يومئذ أول منتدب.

فأمر المثنى أن يعقد لهم الجسر ثم أخرجهم فى أثر القوم، و اتبعتهم بجيلة و خيول المسلمين بعد من كل فارس، و لم يبق فى العسكر جسرى إلا خرج فى الخيل، فانطلقوا فى طلب العدو حتى بلغوا السيب، فأصابوا من البقر و السبى و سائر الغنائم شيئا كثيرا فقسمه المثنى عليهم، و فضل أهل البلاء من جميع القبائل، و نفل بجيلة يومئذ ربع الخمس بينهم بالسوية و بعث بثلاثة أرباعه إلى عمر، رضى الله عنه، و ألقى الله الرعب فى قلوب

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۲۵

أهل فارس، و كتب القواد الذين قادوا الناس فى الطلب إلى المثنى، و كتب إليه عاصم و عصمة و جرير: إن الله قد كفى رستم و وجه لنا ما رأيت، و ليس دون القوم شىء، فأذن لنا فى الإقدام، فأذن لهم فأغاروا حتى بلغوا ساباط، و تحصن أهلها منهم، و استباحوا القريات دونها و راماهم أهل الحصن عن حصنهم بساباط ثم انطفئوا راجعين إلى المثنى.

قالوا: و كان المثنى و عصمة و جرير أصابوا فى أيام البويب على الظهر نزل مهران غنما و دقيقا و بقرا، فبعثوا بها إلى عيالات من قدم من المدينة و قد خلفوهن بالقوادس، و إلى عيالات أهل الأيام قبلهم و هن بالحيرة، و كان دليل الذين ذهبوا بنصيب العيالات اللواتى بالقوادس عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة، فلما رفعوا للنسوة فرأين الخيل تصايحن و حسبنها غارة فقمن دون الصبيان بالحجارة و العمد، فقال عمرو: هكذا ينبغى لنساء هذا الجيش، و بشروهن بالفتح.

و لما أهلك الله، عز و جل، مهران استكمن المسلمون من الغارة على السواد فيما بينهم و بين دجلة، فمخروها لا يخافون كيدا و لا يلقون فيها مانعا، و انتفضت مسالح العجم فرجعت إليهم و اعتصموا بالساباط، و سرهم أن يتركوا ما وراء دجلة، و نزل جرير و المثنى الحيرة و بثا المسالح فيما بين الأنبار و عين التمر إلى الطف، فمن كان أقام على صلحه قبلوا ذلك منه، و من نقض أغاروا عليه، فكان أهل الحيرة و بانيقيا و غيرهم على صلحهم.

و كانت وقعة البويب فى رمضان من سنة ثلاث عشرة.

و تنازع، أيضا، المثنى و جرير الإمارة، و كان المثنى أحب إلى نزار، و جرير أحب إلى اليمانية، فكتب إلى عمر، رحمه الله، فى ذلك، فكان من مشورته فيه و عمله ما سيأتى بعد ذكره.

و شخص المثنى عند ذلك فنزل أ ليس، و يقال شراف، و هو وجع من جراحات به، و ارتحل معه عامة النزارية، فلما رأى ذلك جرير تحول فنزل العذيب مع العيال، و معه أخلاط الناس و هو الأمير عليهم فى قول بعضهم، و فى هذه الإمارات كلها اضطراب من نقلة الأخبار و اختلاف بين القبائل، فبنو شيبان تقول: كان جرير الأمير يوم قتل مهران المثنى، و بجيلة تقول: كان الأمير يوم ذلك و قبل و بعد، و الأظهر مما تقدم من الأخبار أن المثنى كان الأمير فى تلك الحرب، إلا أن يكون جرير على من معه كما قد قيل، فالله تعالى أعلم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۲۶

و قد قال الأعور الشنى فلم يذكر لغير المثنى يومئذ إمارة:

هاجت عليك ديار الحرب أحزاناو استبدلت بعد عبد القيس همذانا

و قد أرانا بها و الشمل مجتمع أدنى النخيلة قتلى جند مهرانا

كأن الأمير المثنى يوم راجفةمهران أشجع من ليث بخفانا

أزمان سار المثنى بالخيول لهمفقتل الزحف من رجلى و ركبانا

سما لمهران و الجيش الذى معهحتى أبادهم مثنى و وحدانا

إذ لا أمير أراه بالعراق لنامثل المثنى الذى من آل شيبانا

حديث غارة المثنى على سوقى الخنافس و بغداد «۱»

ذكر سيف عن شيوخه أن المثنى لما نزل أ ليس، قرية من قرى الأنبار، و هذه الغزاة تدعى غزاة الأنبار الآخرة، و غزاة أ ليس الآخرة، و قد مخر السواد و خلف بالحيرة بشير بن الخصاصية، و أرسل جريرا إلى ميسان، و هلال بن علقمة إلى دست ميسان و أذكى المسالح بعصمة بن فلان الضبى، و بالكلح الضبى، و بعرفجة البارقى و أمثالهم من قواد المسلمين، ألزّ به رجلان: أحدهما أنبارى و الآخر حيرى، يدله كل واحد منهما على سوق، فأما الأنبارى فدله على سوق الخنافس، و أما الحيرى فدله على بغداد. فقال المثنى:

أيتهما قبل صاحبتها؟ فقالوا: بينهما أيام، فقال: أيهما أعجل؟ قالوا: سوق الخنافس يتوافى إليها الناس، و يجتمع إليها ربيعة و قضاعة يخفرونهم. فاستعد لها المثنى، حتى إذا ظن أنه يوافيهم يوم سوقها ركب نحوهم، فأغار على الخنافس يوم سوقها، و بها خيلان من ربيعة و قضاعة و هم الخفراء، فانتسف السوق و ما فيها، و سلب الخفراء، ثم رجع عوده على دبئه حتى تطرق دهاقين الأنبار طروقا فى أول يومه فتحصنوا منه، فلما عرفوه نزلوا إليه فأتوه بالأعلاف و الزاد، و أتوا بالأدلاء على بغداد، و كان وجهه إلى سوق بغداد فصبحهم.

و قال المثنى فى غارته على خنافس:

صبحنا فى الخنافس جمع بكرو حيا من قضاعة غير ميل

بفتيان الوغى من كل حى تبارى فى الحوادث كل جيل

نسفنا سوقهم و الخيل زورمن التطواف و الشد البجيل

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۴۷۲- ۴۷۶)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (۱/ ۲۵- ۲۷)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۲/ ۳۰۶، ۳۰۷)، نهاية الأرب للنويرى (۱۹/ ۱۸۷- ۱۸۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۲۷

و ذکر الخطیب أبو بکر بن ثابت البغدادی فی تاریخه «۱» أن بغداد کانت فی أیام مملکة العجم قریة یجتمع فیها رأس کل سنة التجار، و یقوم بها للفرس سوق عظیمة، فلما توجه المسلمون إلی العراق و فتحوا أول السواد، ذکر للمثنی بن حارثة أمر سوق بغداد، ثم أورد بإسناد له عن ابن إسحاق أن أهل الحیرة قالوا للمثنی، و ذکره سیف من طریق آخر أن رجلا من أهل الحیرة قال للمثنی، و اللفظ فی الحدیثین متقارب، و قد دخل حدیث أحدهما فی حدیث الآخر، قالوا: أ لا ندلک علی قریة یأتیها تجار مدائن کسری و تجار السواد و یجتمع بها فی کل سنة من الناس مثل خراج العراق، و هذه أیام سوقهم التی یجتمعون فیها، فإن أنت قدرت علی أن تعبر إلیهم و هم لا یشعرون أصبت بها ما لا یکون غناء للمسلمین و قوة علی عدوهم، و بینها و بین مدائن کسری عامة یوم، فقال لهم: فکیف لی بها؟ قالوا: إن أردتها فخذ طریق البر، حتی تنتهی إلی الأنبار، ثم تأخذ رءوس الدهاقین، فیبعثون معک الأدلاء، فتسیر سواد لیلة من الأنبار حتی تأتیهم ضحی.

قال: فخرج من النخیلة و معه أدلاء الحیرة، حتی دخل الأنبار، فنزل بصاحبها فتحصن منه، فأرسل إلیه: ما یمنعک من النزول؟ فأرسل إلیه: إنی أخاف، فأرسل إلیه: انزل فإنک آمن علی دمک و قریتک، و ترجع سالما إلی حصنک، فتوثق علیه ثم نزل، فأطعمه المثنی، و خوفه و استکتمه، و قال: إنی أرید أن أعبر فابعث معی الأدلاء إلی بغداد، حتی أغیر منها إلی المدائن، قال: أنا أجئ معک، قال المثنی: لا أرید أن تجیء معی، و لکن ابعث معی من یعرف الطریق، ففعل و أمر لهم بزاد و طعام و علف، و بعث معهم دلیلا، فأقبل حتی إذا بلغ المنصف قال له المثنی: کم بیننا و بین هذه القریة؟ قال: أربعة فراسخ أو خمسة، و قد بقی علیک لیل، فقال لأصحابه: من ینتدب للحرس، فانتدب له قوم، فقال لهم: اذکروا حرسکم، ثم نزل و قال للناس: أنزلوا فاقضوا و اطعموا و توضئوا و تهیئوا و ابعثوا الطلائع فلا یلقون أحدا إلا حبسوه، ثم سار بهم فصبحهم فی أسواقهم، فوضع فیهم السیف، فقتل و أخذ الأموال، و قال لأصحابه: لا تأخذوا إلا الذهب و الفضة، و من المتاع ما یقدر الرجل منکم علی حمله علی دابته، و هرب الناس، و ترکوا أمتعتهم و أموالهم، و ملأ المسلمون أیدیهم من الصفراء و البیضاء و الحرّ من کل شیء.

ثم کر راجعا، ثم نزل بنهر السیلحیین من الأنبار، فقال للمسلمین: احمدوا الله الذی سلمکم و غنمکم، و انزلوا فاعلفوا خیلکم من هذا القصب، و علقوا علیها، و أصیبوا من

---

(۱) انظر: تاریخ بغداد (۱/ ۲۵- ۲۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۲۸

أزوادکم، فسمع القوم یهمس بعضهم إلی بعض أن القوم سراع الآن فی طلبنا، فقال:

تناجوا بالبر و التقوی و لا تتناجوا بالإثم و العدوان، قبح الله من یتناجون به، انظروا فی الأمور و قدروها ثم تکلموا، تحسبونهم الآن فی طلبکم، فو الله لو کان الصریخ قد بلغهم الآن إنه لکبیر، و لو کان الصریخ عندهم لبلغهم من رعب غارتنا علیهم إلی جنب مدائنهم ما یشغلهم عن طلبنا حتی نلحق معسکرنا و جماعتنا، إن للغارات روعات تنتشر علیها یوما إلی اللیل، و لو کان بهم من القوة ما یحملهم علی طلبنا ثم جهدوا و جهدهم ما أدرکونا، نحن علی الجیاد العراب و هم علی المقارف البطاء، و لو أنهم طلبونا فأدرکونا لم نقاتلهم إلا التماس الثواب و رجاء النصر، فثقوا بالله و أحسنوا به الظن، فقد نصرکم الله علیهم و هم أکثر منکم و أعز، و سأخبرکم عنی و عن انکماشی و الذی أرید من ذلک، إن خلیفة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، أبا بکر أوصانا أن نقل العرجة و نسرع الکرة فی الغارات، و نسرع فی غیر ذلک الأوبة، فأقبلوا و معهم دلیلهم حتی انتهوا إلی الأنبار، فاستقبلهم صاحبها بالکرامة، فوعده المثنی بالإحسان إلیه لو استقام أمرهم، و رجع المثنی إلی عسکره.

حدیث السرایا من الأنبار «۱»

قالوا: لما رجع المثنى من بغداد إلى الأنبار، سرح المضارب العجلى و زيدا إلى الكباث، ثم خرج فى أثرهم، فقدم الرجلان الكباث، و قد ارفض عنه أهله و أخلوه، و كانوا كلهم من بنى تغلب، و كان عليهم فارس العناب التغلبى يحميهم، فركب المسلمون آثارهم يتبعونهم، فأدركوا أخرياتهم، فحماهم فارس العناب ساعة ثم هرب، و قتلوا فى أخرياتهم فأكثروا، و رجع المثنى إلى عسكره بالأنبار، فسرح فرات بن حيان، و كان خلفه فى عسكره، و سرح معه عتبة بن النهاس، و أمرهما بالغارة على أحياء من تغلب و النمر بصفين، ثم اتبعهما و خلف على الناس عمرو بن أبى سلمى الهجيمى.

فلما دنوا من صفين، فر أهلها فعبروا الفرات إلى الجزيرة و تحصنوا، و فارق المثنى فراتا و عتبة، فأرمل المثنى و أصحابه من الزاد، حتى نحروا رحلهم إلا ما لا بد لهم منه فأكلوها حتى أخفافها و عظامها و جلودها، ثم أدركوا عيرا من أهل دياف و حوران، فقتلوا العلوج و أصابوا ثلاثة نفر من بنى تغلب خفراء، فأخذوا العير، و كان ظهرا فاضلا، و قال

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۴۷۵، ۴۷۶)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۳۰۷)، نهاية الأرب للنويرى (۱۹/ ۱۸۸، ۱۸۹).

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۲۹

لهم: دلونى، فقال له أحدهم: أمنونى على أهلى و مالى، و أدلكم على حى من بنى تغلب غدوت من عندهم اليوم، فآمنه المثنى و سار معه يومه، حتى إذا كان العشى هجم عليهم، فإذا النعم صادرة عن الماء، و القوم جلوس بأفنية البيوت، فبعث غارته فقتلوا المقاتلة، و سبوا الذرية، و انتسفوا الأموال، و إذا هم بنو ذى الرويحلة، فاشترى من كان من ربيعة السبايا بنصيبهم من الفىء، فأعتقوا سبيهم، و كانت ربيعة لا تسبى، إذا العرب يتسابون فى جاهليتهم.

و أخبر المثنى أن جمهور من سلك البلاد قد انتجعوا شاطئ دجلة، فسرح فى آثارهم حذيفة بن محصن، و كان على مقدمته فى غزواته كلها بعد البويب، ثم اتبعه فأدركوهم دون تكريت يخوضون الماء، فأصابوا ما شاءوا من النعم، حتى أصاب الرجل خمسا من السبى و خمسا من النعم، و جاء المثنى بذلك حتى نزل على الناس بالأنبار، و مضى فرات و عتيبة فى وجههما، حتى أغارا على صفين و بها النمر و تغلب متساندين، فأغاروا عليهم و نقبوهم، فرموا بطائفة فى الماء، فناشدوهم و جعلوا ينادون: الغرق الغرق، فلم يقلعوا عنهم، و جعل عتيبة و الفرات يذمرون الناس و ينادونهم: تغريق بتحريق، يذكرونهم يوما من أيام الجاهلية أحرقوا فيه قوما من بكر بن وائل فى غيضة من الغياض، ثم انطلق المسلمون راجعين إلى المثنى و قد غرقوهم.

فلما تراجع الناس إلى عسكرهم بالأنبار و توافت بها البعوث و السرايا، انحدر بهم المثنى إلى الحيرة فنزل بها، و كانت لعمر، رحمه الله، فى كل جيش عيون يتعرفون الأخبار من قبلهم، فكتب إليه بما كان فى تلك الغزاة، و أبلغ الذى قال عتيبة و الفرات، يوم بنى تغلب و الماء، فبعث إليهما فسألهما، فأخبراه أنهما قالا ذلك على وجه المثل، و أنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب بذحل فى الجاهلية، فاستحلفهما، فحلفا ما أرادا بذلك إلا المثل، و إعزاز الإسلام، فصدقهم و ردهما إلى المثنى.

ذكر ما هيج حرب القادسية على ما ذكره سيف عن أشياخه «۱»

قالوا: قال أهل فارس لرستم و الفيزران، و هما عميدا أهل فارس: أين يذهب بكما لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس، و أطمعتما فيهم عدوهم و إن لم يبلغ من خطركما أن تقركما فارس على هذا الرأى، و أن تعرضاها للهلكة، ما تنتظرون، و الله ما

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۴۷۷- ۴۷۹)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۳۰۸، ۳۰۹).

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۳۰

تنتظرون إلا ـ أن ينزل بنا و نهلك، ما بعد ساباط و بغداد و تكريت إلا المدائن، و الله ما جرأ علينا هذا غيركم، و لو لا أن فى قتلكم هلاكنا لعجلنا لكم القتل الساعة، و لئن لم تنتهوا لنهلكنكم ثم نهلك و قد اشتفينا منكم.

قالوا: فقال الفيرزان و رستم لبوران ابنة كسرى: اكتبى لنا نساء كسرى و سراريه و نساء آل كسرى و سراريهم، ففعلت، و أخرجت ذلك إليهم فى كتاب، فأرسلوا فى طلبهن فلم تبق امرأة منهن إلا أتوا بها، فوضعوا عليهن العذاب يستدلونهن على ذكر من آل كسرى، فلم يوجد عند واحدة منهن أحد منهم، و قلن، أو من قال منهن:

لم يبق منهم إلا غلام يدعى يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى، و أمه من أهل داريا، فأرسلوا إليها فأخذوها به، فدلتهم عليه، و كانت قد دفعته إلى أخواله فى أيام شيرى حين جمعهن فى القصر الأبيض، فقتل الذكور، و اعدتهم ثم دلته إليهم فى زبيل، فأرسلوا إليه، فجاءوا به و هو ابن إحدى و عشرين سنة فملكوه، و اجتمعوا عليه، و اطمأنت فارس و استوثقوا، و تبارى الرؤساء فى طاعته و مناصحته، فسمى الجنود لكل مسلحة كانت لكسرى، أو موضع ثغر، و بلغ ذلك من أمرهم و اجتماعهم على يزدجرد المثنى و المسلمين، فكتبوا بذلك إلى عمر، رحمه الله، بما ينتظرون ممن بين ظهرانيهم، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد، من كان له منهم عهد و من لم يكن له، فخرج المثنى على حاميته حتى ينزل بذى قار، و ينزل الناس بذى الطف فى عسكر واحد، فكتب إليهم عمر:

أما بعد، فاخرجوا من بين ظهرانى الأعاجم، و تفرقوا فى المياه التى تليهم على حدود أرضكم و أرضهم، و لا تدعوا فى ربيعة و مضر أحدا من أهل النجدات، و لا فارسا إلا أجلبتموه، فإن جاء طائعا و إلا حشدتموه، احملوا العرب على الجد إذا جد العجم، لتلقوا جدهم بجدكم.

فنزل المثنى بذى قار، و نزل الناس بالجل و شراف إلى غضى، و غضى جبال البصرة، و كان جرير بن عبد الله بغضى و سبرة بن عمرو العنبرى و من أخذ أخذهم فيمن معهم إلى سلمى، فكنوا فى أمواه العراق من أولها إلى آخرها مسالح ينظر بعضهم إلى بعض، و يغيث بعضهم بعضا إن كان كون، و ذلك فى ذى القعدة سنة ثلاث عشرة.

و عادت مسالح كسرى و ثغوره و هم فى ملك فارس هائبون مشفقون، و المسلمون يتدفقون قد ضروا بهم كالأسد يثأر عن فريسته، ثم يعاود الكر و أمراؤهم يكفكفونهم؛

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۳۱

لأن عمر، رحمه الله، كان أمرهم أن لا يقاتلوا إلا أن يقاتلوا حتى يأتيهم أمره و تصلهم أمداد المسلمين.

تأمير عمر، رضى الله عنه، سعد بن أبى وقاص على العراق و ذكر الخبر عن حرب القادسية «۱»

ذكر المدائنى بإسناده إلى رجال من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض أن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، كان يخير من قدم عليه من العرب بين الشام و بين العراق، فكانت مضر تختار العراق و تختار أهل اليمن الشام، فقال عمر: اليمن أشد تعاطفا يحنون إلى سلفهم، و نزار كلهم سلف نفسه، و مضر لا تحن إلا سلفها، و لم يكن أحد من العرب أشد إقداما على أرض فارس من ربيعة، فبلغ عمر اختلاف المثنى بن حارثة و جرير ابن عبد الله فى الإمارة، فاستشار الناس، فقال المغيرة بن شعبة: يا أمير المؤمنين، تداركهم برجل من المهاجرين و اجعله بدريا، فقال: أشيروا علىّ برجل، فقال عبد الرحمن ابن عوف: قد وجدته، قال: من هو؟ قال: سعد بن أبى وقاص، قال: هو لها، فكتب عمر إلى المثنى: لم أكن لأستعملك على رجل من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كتب إلى جرير و المثنى: إنى موجه سعدا إليكما، فاسمعا له و أطيعا.

و ذكر الطبرى و غيره فى هذا الموضع من تحرك عمر، رضى الله عنه، للخروج إلى العراق بنفسه و استدعائه وجوه المهاجرين و الأنصار للمشورة عليه فيه، بعد أن خرج بذلك الرسم فنزل صرارا، و قدم بين يديه طلحة بن عبيد الله فنزل الأعوص، و خلف بالمدينة على بن أبى طالب واليا عليها، و إشارة أولى الرأى عليه بالرجوع إلى المدينة، و الاستخلاف على ذلك الوجه، و استنفار العرب له، ما

قد فرغنا من ذکره فی صدر وقعة البویب من خبر الجسر، حیث ذکره المدائنی، و لعل ذلک الموضع أولی به، فإن یکن کذلک فقد ذکرناه حیث ینبغی، و إن یکن موضعه هذا، فقد نبهنا علیه لیعرف ما وقع من الاختلاف بین المؤلفین فی هذا الشأن بحسب ما تأذی إلیهم من جهة النقل، و الأمر فی ذلک قریب، و الاختلاف فی المنقولات غیر مستنکر، و الله تعالی أعلم.

و قد کان أبو بکر الصدیق، رضی الله عنه، استعمل سعد بن أبی وقاص علی

---

(۱) انظر: فتوح البلدان (ص ۳۰۳- ۳۲۰)، الکامل فی التاریخ لابن الأثیر (۲/ ۳۰۹- ۳۳۸)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۷/ ۳۷- ۴۷)، تاریخ ابن خلدون (۳/ ۳۱۳- ۳۲۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۳۲

صدقات هوازن بنجد، فأقره عمر علیها، فلما أتاه اجتماع فارس، و قیام یزدجرد فی قول من جعل قیامه بعد وقعة البویب، خلافا لما ذکره المدائنی و آخرون معه، من قیامه قبل ذلک حسب ما قدمناه، کتب عمر إلی المسلمین بما عملوا به قبل انتهاء کتابه إلیهم من الوقوف علی حدود أرضهم، و أن یستخرجوا کل ذی سلاح و فرس ممن له رأی و نجدة فیضموه إلیهم حتی یأتیهم أمره، و کتب إلی عمال العرب علی الکور و القبائل، و ذلک فی ذی الحجة سنة ثلاث عشرة مخرجه إلی الحج یأمرهم أیضا بانتخاب الناس أولی الخیل و السلاح و النجدة و الرأی، و یستعجلهم فی توجیههم إلیه، و کتب بمثل ذلک إلی سعد بن أبی وقاص، فجاءه کتاب سعد:

إنی قد انتخبت لک ألف فارس مرد، کلهم له نجدة و رأی، یحوط حریم قومه، و یمنع زمارهم، إلیهم انتهت أحسابهم و آراؤهم، فشأنک بهم.

فوافق وصول کتاب سعد بهذا مشاورة عمر الناس فی رجل یوجهه إلی العراق، فقالوا: قد وجدته، قال: من؟ قالوا: الأسد عادیا، سعد بن مالک، فانتهی إلی رأیهم، و أرسل إلیه، فقدم علیه، فأمّره علی حرب العراق و أوصاه، فقال: یا سعد، سعد بنی وهیب، علیک بتقوی الله، فإن الله لا یمحو السیئ بالسیئ، و لکن یمحو السیئ بالحسن، و لا یغرنک أن یقال: صاحب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و خال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فإن الله عز و جل لیس بینه و بین أحد سبب إلا طاعته، فالناس شریفهم و وضیعهم فی ذات الله سواء، الله ربهم و هم عباده، یتفاضلون بالعاقبة، و یدرکون ما عنده بالطاعة، أ لم تسمع لقول الله تبارک و تعالی: مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَیْرٌ مِنْها [القصص: ۸۴]، و: مَنْ جاءَ بِالسَّیِّئَةِ فَکُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِی النَّارِ [النمل: ۹۰]، و قد رأیت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مذ بعثه الله حتی قبض إلیه، فالزم ما رأیته علیه، و إنی موجهک إلی أرض فارس، فسر علی برکة الله، فقد استعملتک علی من مررت به من القبائل ممن سقط إلیکم من العرب، فاندبهم إلی الجهاد و رغبهم فیه، و أعلمهم ما أعد الله لأهله، فمن تبعک منهم فأحسن إلیه و ارفق بهم، و اجعل کل قبیلة علی منزلها، و من لم یبلغ أن تستنفره بمن معه من قبیلة، فاجعله مع من أحب، و انزل فیدا حتی یأتیک أمری.

و فی روایة أنه قال لما أراد أن یسرحه:

إنی قد ولیتک حرب العراق فاحفظ وصیتی، فإنک تقدم علی أمر شدید کریه لا یخلص منه إلا الحق، فعود نفسک و من معک الخیر، و استفتح به، و اعلم أن لکل عادة

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۳۳

عتادا، و عتاد الخیر الصبر، فالصبر الصبر تجتمع لک به خشیة الله، و اعلم أن خشیة الله تجتمع لک فی أمرین: فی طاعته و اجتناب معصیته، و إنما أطاعه من أطاعه بحب الآخرة و بغض الدنیا، و عصاه من عصاه بحب الدنیا و بغض الآخرة، و للقلوب حقائق ینشئها الله عز و جل إنشاء، منها السر و العلانیة، فأما العلانیة فأن یکون حامده و ذامه فی الحق سواء، و أما السر فیعرف بظهور الحکمة من قبله علی لسانه، و بمحبة الناس إلیه، فلا تزهد فی التحبب فإن النبیین قد سألوا محبتهم، و إن الله تعالی إذا أحب عبدا حببه إلی خلقه، و إذا أبغض عبدا بغضه إلیهم، فاعتبر منزلتک عند الله عز و جل بمنزلتک عند الناس، ممن یسرع معک فی أمرک.

و ذكر المدائنى أن عمر، رضى الله عنه، كتب لسعد مع ما أوصاه به عهدا يقول له فيه:

أوصيك بتقوى الله و الرغبة فيما عنده، فادع الناس إلى الله، فمن أجابك فهو أولى بماله و أهله و ولده، و ليس لك منه إلا زاد بلاغ إن احتجت، و عظ نفسك و أصحابك و لا تكثر عليهم فيملوا، و اجعلهم رفقاء إخوانا، و ألن لهم جناحك، و حطهم بنفسك كنفسك، و اعلم أن المسلمين فى جوار الله، و أن المسلم أعظم الخلق عند الله حرمة، و لا يطلبنك الله بخفرته فى أحد منهم، و احذر عليهم و احفظ قاصيتهم، وعد مريضهم، و انصف مظلومهم، و خذ لضعيفهم من قويهم، و اصلح بينهم، و ألزمهم القرآن و خوفهم بالله، و امنعهم من ذكر الجاهلية و ما كان فيها، فإنها تورث الضغينة و تذكرهم الذحول، و اعلم أن الله قد توكل من هذا الأمر بما لا خلف فيه، فاحذر أن يصرف الله ذلك عنك بذنب و يستبدل بكم غيركم، و احذر من الله ما حذركم من نفسه، فإنك تجد ما قدمت يداك من خير محضرا و ما عملت من سوء تود لو أن بينها و بينه أمدا بعيدا.

ثم سرحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفير المسلمين، فخرج سعد بن أبى وقاص من المدينة قاصدا للعراق فى أربعة آلاف، ثلاثة آلاف من أهل اليمن و السراة، و ألف من سائر الناس.

قالوا: و شيعهم عمر، رحمه الله، من صرار إلى الأعواص، ثم قام فى الناس خطيبا، فقال:

إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال، و صرف لكم القول ليحيى بذلك القلوب، فإن القلوب ميتة فى صدورها حتى يحييها الله تعالى، من علم شيئا فلينتفع به، و إن للعدل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۳۴

أمارات و تباشير، فأما الأمارات: فالحياء و السخاء و الهين و اللين، و أما التباشير: فالرحمة، و قد جعل الله لكل أمر بابا، و يسر لكل باب مفتاحا، فباب العدل الاعتبار و مفتاحه الزهد، و الاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات، و الاستعداد له بتقديم الأعمال، و الزهد أخذ الحق إلى كل أحد له حق، و لا يصانع فى ذلك أحدا، و يكتفى بما يكفيه من الكفاف، فإن لم يكفه الكفاف لم يغنه شىء، إنى بينكم و بين الله، و ليس بينى و بين الله أحد، و إن الله عز و جل قد ألزمنى دفع الدعاء عنه، فأنهوا شكاتكم إلينا، فمن لم يستطع فإلى من يبلغناها نأخذ له الحق غير متعتع.

فسار سعد فى عام غيداق خصيب، حتى نزل فيدا فأقام بها أشهرا، و جعل عمر لا يأتيه أحد من العرب إلا وجهه إليه، ثم كتب إليه أن يرتفع بالناس إلى زرود، فأتاها و أقام بها، و أتاه من حولها من بنى تميم من حنظلة، و أتته سعد و الرباب و عمرو، فكان ممن أتاه عطارد و لبيد بن عطارد و الزبرقان بن بدر و حنظلة بن ربيعة الأسدى و ربعى الرياحى و هلال بن علقمة التميمى و المنذر بن حسان الضبى، فقالت رؤساء حنظلة: يا بنى تميم، قد نزل بكم الناس، و هم قبائل الحجاز و اليمن و أهل العالية، و قد لزمكم قراهم، فشاطروهم الرسل، ففعلوا، فمن كان له منحتان قصر إحداهما عليهم، و من كان له أكثر، فعلى حساب ذلك، فقروهم شتوة بزرود.

و كان عمر أمد سعدا بعد خروجه، فيما ذكر سيف، عن أشياخه، بألفى يمانى و ألفى نجدى مرد من غطفان و سائر الناس، فنزلوا معه زرود فى أول الشتاء، و تفرقوا فيما حولها، و أقام سعد ينتظر اجتماع الناس و أمر عمر، و انتخب من بنى تميم و الرباب أربعة آلاف، منهم ألف من الرباب، و انتخب من بنى أسد ثلاثة آلاف، و أمرهم أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن و البسيطة، فأقاموا هنالك بين سعد بن أبى وقاص و بين المثنى بن حارثة، و المثنى بذى قار، و يقال: بأليس، و قال بعضهم: بشراف، و جرير و من معه من أخلاط الناس متفرقون فيما بين العذيب إلى خصى، و يقال: غضى.

و كان المثنى فى ثمانية آلاف من ربيعة، منهم ستة آلاف من بكر بن وائل، و ألفان من سائر ربيعة، منهم أربعة آلاف ممن كان المثنى انتخبه بعد فصول خالد عنه إلى الشام، و أربعة آلاف كانوا معه ممن بقى يوم الجسر، و كان معه من أهل اليمن ألفان من بجيلة، و ألفان من قضاعة و طيئ ممن انتخب إلى ما كان قبل ذلك، على طيئ عدى بن حاتم، و على قضاعة عمرو بن وبرة، و على بجيلة جرير بن عبد الله، فبينا الناس كذلك، سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى، و المثنى أن يقدم عليه سعد، انتقضت بالمثنى جراحاته

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۳۵

التی کان أصیب بها یوم الجسر، فمات رحمه الله، و لما أحس بالموت استخلف علی الناس بشیر بن الخصاصیة، و کتب إلی سعد: کتبت إلیک و أنا لا أرانی إلا لما بی، فإن أهلکک أو أسلم فإنی أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و أن الجنة مأوی المتقین، و أن النار مثوی الکافرین، و لا أخال العجم إلا سیجمعون علی حربک، فهم لاقوک بجمع لم یلقونا بمثله، و قد أرانی الله إن کان قضی بینک و بینهم حربا أن تقاتلهم علی أدنی حجر من بلادک، علی حد أرضهم، فإن ظفرتم فلکم ما وراءهم، و إن کانت الأخری، و لا أراها الله المسلمین، کنتم أعلم بسبیلکم و أجرأ علی طریقکم و أجرأ علی أرضکم، و انحزتم إلی فئتکم إلی أن یرد الله لکم الکرة علیهم.

و کان مع بشیر بن الخصاصیة عند ما استخلفه المثنی وجوه أهل العراق، و مع سعد وجوه أهل العراق الذین قدموا علی عمر، رحمه الله، فیهم فرات بن حیان العجلی و عتیبة ابن النهاس، فردهم مع سعد.

فمن أجل ذلک اختلف الناس فی عدد أهل القادسیة، فمن قال: هم أربعة آلاف، فلمخرجهم مع سعد من المدینة، و من قال: ثمانیة آلاف، فلاجتماعهم بزرود، و من قال:

تسعة آلاف، فللحاق القیسیین، و من قال: اثنا عشر ألفا، فلدفوف بنی أسد من فروع الحزن بثلاثة آلاف، و قدم علیه بعد ذاک ناس کثیر مع الأشعث بن قیس و غیره.

قالوا: فجمیع من شهد القادسیة بضعة و ثلاثون ألفا.

و کتب سعد إلی عمر، رحمه الله، بموت المثنی، فکتب إلیه: أن سر حتی تنزل بشراف، و احذر علی من معک من المسلمین، و علیک بالإصلاح ما استطعت.

فارتحل سعد عن زرود و معه تمیم و قیس و الیمن و غیرهم، و فیهم رجالة فحمل بنو تمیم ضعفاءهم حتی قدموا شراف فنزلها، فأتاهم بشیر بن الخصاصیة و جریر و من کان معه بفروع الحزن، و قدم علیه المعنی بن حارثة، أخو المثنی، و قدمت معه زوج المثنی، سلمی بنت خصفة من بنی تمیم اللات بوصیته إلی سعد، و کان قد أوصی بها و أمرهم أن یعجلوها علیه بزرود، فلم یفرغوا لذلک، و شغلهم عنه قابوس بن قابوس بن المنذر إلی أن انقضی ذلک، کما نذکره بعد ذکر مقتل قابوس علی ما ذکره المدائنی، فقدم حینئذ المعنی و سلمی علی سعد بوصیة المثنی و رأیه، فترحم علیه سعد عند ما انتهی ذلک إلیه، و أمّر أخاه المعنی علی عمله، و أوصی بأهل بیته خیرا، و خطب سلمی فتزوجها و بنی بها،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۳۶

و بنی مسجدا بشراف، فقال بعض التمیمیین یذکر نفیرهم إلی سعد و قراهم له و حملانهم:

فنفرنا إلیهم باحتساب لم نعرج و لم نذق تغمیضا

و قریناهم ربیعا من الرسل حقینا مثملا و غریضا

و حملنا رجالهم من زرود إذ تعایوا فلم یطیقوا النهوضا و کتب سعد إلی عمر حین نزل شراف یخبره بمکانه، فقال: لأرمین فارس و أبناءها بالمهاجرین و أبناء المهاجرین، فوجه ألفا و مائة منهم ممن شهد بدرا نیف و أربعون رجلا و سائرهم ممن شهد بیعة الرضوان إلی الفتح، و حضهم عمر، رحمه الله، فقال: إن أحب عباد الله إلی الله و أعظمهم عنده منزلة أتقاهم له و أشدهم منه رجلا، فعلیکم بتقوی الله و الإصلاح ما استطعتم، و ما التوفیق إلا بالله، الزموا الطاعة یجمع الله لکم ما تحبون من دینکم و دنیاکم، و أوفوا بالعهد لمن عاهدتم، و إیاکم و الغدر و الغلول، فإنه من یغلل یأت بما غل یوم القیامة، و من غدر أدال الله منه عدوه، و وهن کیده، فافهموا ما توعظون به، و اعقلوا علی الله أمره، و لا تکونوا کالجفاة الجاهلیة.

و عن سیف «۱»: أن عمر، رحمه الله، قال: و الله لأضربن ملوک العجم بملوک العرب، فلم یدع رئیسا، و لا ذا رأی، و لا ذا شرف، و لا

ذا سلطة، و لا خطيبا و لا شاعرا إلا رماهم به، فرماهم بوجوه الناس و غررهم.

و كتب عمر، رضى الله عنه، إلى عبيدة و هو بالشام أن يمد سعدا بمن كان عنده من أهل العراق، و كانوا ستة آلاف، و من اشتهى أن يلحق بهم، و كتب إلى المغيرة بن شعبة أن يسير إلى سعد من البصرة، و كتب إلى سعد بمثل رأى المثنى الذى أشار به على سعد:

أما بعد، فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين، و توكل على الله، و استعن به على أمرك كله، و اعلم أنك تقدم على أمة عددهم كثير، و عدتهم فاضلة، و بأسهم شديد، و على بلد و إن كان سهلا كئود لبحوره و فيوضه و دآدئه، فإذا لقيتم القوم أو أحدا منهم فابدءوهم الضرب و الشد، و إياكم و المناظرة لجموعهم، و لا يخدعنكم، فإنهم خدعة مكرة، أمركم غير أمرهم، إلا أن تجادوهم، فإذا انتهيت إلى القادسية، و القادسية باب فارس فى الجاهلية، و هى أجمع تلك الأبواب لما تريد و يريدون، و هو منزل رحيب خصيب حصين دونه قناطر و أنهار ممتنعة، فتكون مسالحك على

---

(١) انظر: الطبرى (٣/ ٤٨٧).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٤٣٧

أنقابها، و يكون الناس بين الحجر و المدر على أقصى حجر من أرض العرب، و أدنى مدرة من أرض العجم، ثم الزم مكانك فلا تبرحه، فإنهم إذا أحسوك أنقضتهم و رموك بجمعهم الذى يأتى على خيلهم و رجلهم و حدهم و جدهم، فإن أنتم صبرتم لعدوكم و احتسبتم بقتالهم، رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لا يجمع لكم مثلهم أبدا إلا أن يجتمعوا، و ليست معهم قلوبهم، و أن تكن الأخرى كان الحجر فى أدباركم، فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم، ثم كنتم عليها أجرأ و بها أعلم، و كانوا عنها أجبن و بها أجهل، حتى يأتيكم الله بالفتح، و يرد لكم الكرة، و ليكن منزلك الذى تنزله رحيبا خصيبا، و إذا نزلت منزلا فلا تستأخر عنه، فإن ذلك وهن عليك و جرأة لعدوك، و أذك العيون و اتبع الغرض و لا ـ تأمنن قريبا و لا بعيدا، و صف لى منزلك الذى تنزله، و كم بينك و بين أول عدوك و آخره، و كيف مأتاهم، و سم لى المنزل، فإنه ألقى فى روعى أنكم ستفتحون فارس، و أنكم الأعلون.

و فى رواية أنه كتب إليه باليوم الذى يرتحل فيه من شراف، و أين ينزل بالناس فيما بين عذيب و الهجانات، و عذيب و القوادس، و أن يشرف بالناس و يغرب بهم. فارتحل سعد عن شراف يريد أن ينزل منزلا على ما كتب به إليه عمر، فانتهى إلى المغيثة، فأقام و بنى مسجدا بين الفرعاء و المغيثة، و قدم بين يديه زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الجوية يرتاد له منزلا، فأقبل زهرة حتى انتهى إلى العذيب، و كتب إلى سعد فأقبل فى أثره، فنزل المسلمون ما بين العذيب إلى القادسية، و هى أحساء، فقال فى ذلك النعمان بن مقرن المزنى، و تروى لغيره:

نزلنا بأحساء العذيب و لم تكن لنا همة إلا اختيار المنازل

لنحوى أرضا أو نناهب غارةيضج لها ما بين بصرى و بابل و نزل زهرة القادسية بين العتيق و الخندق بحيال القنطرة و قديس، و هى يومئذ أسفل منها بميل، و كتب سعد إلى عمر: إنا نزلنا من القادسية و العذيب منزلا خصيبا رحيبا على أقصى حجر من أرضنا و أدنى مدرة من أرض عدونا، فأما عن يسار القادسية فبحر أخضر لا ـ ج إلى الحيرة بين طرفين، أما أحدهما فعلى الظهر، و أما الآخر فعلى شاطئ نهر يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق و الحيرة، و أما عن يمين القادسية ففيض من فيوض مياههم، و بيننا و بين أدنى عدونا منا خمسة عشر ميلا، و لم يبلغنى من الذى أسندوا إليه أمرهم إلى أن كتبت إليك، و متى يبلغنى ذلك أكتب به إليك إن شاء الله، و نحن متوكلون على الله راجعون له.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٤٣٨

و لما بلغ أهل فارس اجتماع العرب لهم، و كثرة من انثال على سعد من رؤسائهم و وجوههم، عظم ذلك عليهم، و رعبهم و زادهم

نزولهم القادسیة رعبا و ضیقا، فعج أهل السواد إلی یزدجرد بن شهریار، و أرسلوا إلیه: إن العرب قد نزلوا القادسیة بأمر لیس یشبه إلا الحرب، و أن فعلهم منذ نزلوها لا یبقی علیه شیء، و قد أخربوا ما بینهم و بین الفرات، فلیس هنالک أنیس إلا فی الحصون، و قد ذهبت الدواب و کل شیء لم تحمله الحصون من الأطعمة، و لم یبق إلا أن یستنزلونا، فإن أبطأ عنا الغیاث أعطیناهم بأیدینا.

و کتب إلیه بذلک الملوک الذین لهم الضیاع بالطّفّ، و أعانوهم علیه.

و لما کثرت الاستغاثة من أهل السواد علی یزدجرد، خشعت نفسه و اتقی الحرب برستم فأرسل إلیه، فدخل علیه، فقال: إنی أرید أن أوجهک فی هذا الوجه، و إنما یعد للأمور علی قدرها، و أنت رجل أهل فارس الیوم، و أنت لها، و قد تری ما جاء أهل فارس من أمر لم یأتهم منذ ولی آل أردشیر.

فأراه رستم أن قد قبل منه و أثنی علیه، فقال له الملک: قد أحببت أن أنظر فیما لدیک لأعلم ما عندک، فصف لی العرب و فعلهم، و صف لی العجم و ما یلقون منهم، فقال رستم: صفة ذئاب صادفت غرة من رعاء فأفسدت، فقال: لیس کذلک، إنما سألتک رجاء أن تعرف صفتهم فأقویک لتعمل علی قدر ذلک فلم تصب، فافهم عنی، إنما مثلهم و مثل أهل فارس کمثل عقاب أوفت علی مرقب عند جبل تأوی فی ذراة الطیر تبیت فی أوکارها، فإذا أصبحت الطیر تجلت، فأبصرت العقاب ترقبها، فخافتها فلم تنهض، و طمعت العقاب، فلم ترم، و جعلت کلما شذ منها طائر انقضت علیه فاختطفته حتی أفنتها، فلو نهضت بأجمعها نهضة واحدة لنجت، و أشد شیء یکون فی ذلک أن تنجو کلها إلا واحدا، فهذا مثلهم و مثل الأعاجم، فاعمل علی قدر ذلک، فإنی أرید أن أوجه إلی هؤلاء القوم جمعا أستأصلهم به.

فسجد له رستم، و قال: الملک أفضل رأیا، و أیمن أمرا، و أسعد جدا، و إن أذن لی تکلمت.

قال: قل، قال: هزیمة جیش بعد جیش أمثل و أبقی من هزیمة الجماعة التی لیس بعدها مثلها، فأبی علیه یزدجرد إلا أن یجمع له الناس و یوجهه بهم إلی العرب، فقال له رستم:

أیها الملک، دعنی فإن العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضربهم بی، و لعل دولة تکون فیکون الله قد کفی، و نکون قد أصبنا المکیدة و رأی الحرب، فإن الرأی فیها و المکیدة

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۳۹

أنفع من بعض الظفر، فألح یزدجرد و ترک الرأی، و کان ضیقا لجوجا، و قال لرستم:

امض حتی یأتیک أمری، فخرج حتی ضرب عسکره بساباط و وجه إلیه الملک المرازبة و القواد و الأساورة و استحثه فی المسیر، فأعاد علیه رستم کلامه، و قال: أیها الملک، إن هزیمتی لهم دونها ما بعدها و علیکم دونها ما بعدها، و لقد اضطرنی تضییع الرأی إلی إعظام نفسی و تزکیتها، و لو أجد من ذلک بدا لم أتکلم به، فأنشدک الله فی أهلک و نفسک و ملکک، دعنی أقم بعسکری و أسرح الجالینوس، فإن تکن لنا فذاک، و إلا فأنا علی رجل و أبعث غیره، حتی إذا لم نجد بدا و لا حیلة صبرنا لهم، و قد وهناهم و حسرناهم و نحن جامون، موفورون، فأبی إلا أن یسیر.

و لما نزل رستم بساباط و جمع أداة الحرب و آلاتها، بعث علی مقدمته الجالینوس فی أربعین ألفا، و خرج هو فی ستین ألفا، و ساقته فی عشرین ألفا، و علیها الفیرزان، و علی میمنته الهرمزان، و علی المیسرة مهران بن بهرام الرازی، و قال رستم: لیشجع الملک إن فتح الله علینا هؤلاء القوم فهو وجهنا إلی ملکهم فی داره حتی نشغلهم فی أهلهم و بلادهم، إلا أن یقبلوا المسالمة و یرضوا بما کانوا یرضون به.

و قال سیف عن أشیاخه «۱»: خرج رستم فی عشرین و مائة ألف کلهم متبوع، فکانوا بأتباعهم أکثر من مائتی ألف، ثم إن رستم رأی رؤیا فکرهها، و أحس لها الشر، و کره لها الخروج و لقاء القوم، و اختلف علیه رأیه و اضطرب، و سأل الملک أن یمضی الجالینوس، و یقیم حتی ینظر ما یصنعون، و قال: إن غناء الجالینوس کغنائی، و إن کان اسمی أشد علیهم من اسمه، فإن ظفر فهو الذی نرید، و إن

تکن الأخری وجهنا مثله، و دافعنا هؤلاء القوم إلی یوم ما، فإنی لا أزال مرجوا فی أهل فارس ما لم أهزم، و لا أزال مهیبا فی صدور العرب، و لا یزالون یهابون الإقدام ما لم أباشرهم، و إن باشرتهم اجترءوا آخر دهرهم، و انکسر أهل فارس آخر دهرهم.

قالوا: و لما أبی الملک إلا مسیر رستم، کتب رستم إلی أخیه و إلی رءوس بلاده: من رستم بن البندوان إلی مرزبان الباب و سهم أهل فارس، الذی کان یعد لکل عظیمة، فیفض الله به الجموع، و یفتح به الحصون، و من قبله من عظماء أهل فارس و المرازبة و الأساورة، فرموا حصونکم، و أعدوا و استعدوا، فکأنکم بالعرب هذه الأمة الذلیلة کانت عندکم الخسیسة المنزلة الضیقة المعیشة قد وردوا بلادکم، و قارعوکم علی

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۰۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۴۰

أرضکم و أبنائکم، و انتزعوا ما فی أیدیکم، و کان من رأیی مدافعتهم و مطاولتهم حتی تعود نجومنا فأبی الملک.

و یقال: إن رستم عند ما أمر یزدجرد بالنهوض إلی ساباط کتب إلی أخیه بنحو الکتاب الأول، و زاد فیه: أن السمکة قد کدرت الماء، و أن النعائم قد حبست، و حسنت الزهرة، و اعتدل المیزان، و ذهب بهرام، و لا أری هؤلاء القوم إلا سیظهرون علینا، و یستولون علی ما قبلنا، و إن أشد ما رأیت أن الملک قال: لتسیرن إلیهم أو لأسیرن إلیهم بنفسی، و أنا سائر إلیهم.

و کان الذی جرأ یزدجرد علی إرسال رستم غلام جابان منجم کسری، و کان من أهل فرات بادقلی، فأرسل إلیه و قال: ما تری فی مسیر رستم و حرب العرب الیوم؟

فخافه علی الصدق فکذبه، و کان رستم یعلم نحوا من عمله، فثقل علیه مسیره لأجل ذلک، و خف علی الملک لما غره منه، و قال الملک للغلام: إنی أحب أن تخبرنی بشیء أراه أطمئن به إلی قولک، فقال الغلام لزرنا الهندی: أخبره، فقال: سلنی، فسأله، فقال: أیها الملک، یقبل طائر فیقع علی إیوانک، فیقع منه شیء فی فیه هاهنا، و خط دائرة، فقال الغلام: صدق، و الطائر غراب، و الذی فی فیه درهم، فیقع منه علی هذا المکان.

و بلغ جابان أن الملک طلبه، فأقبل حتی دخل علیه، فسأله عما قال غلامه، فحسب، فقال: صدق و لم یصب، إنما الطائر عقعق، و الذی فی فیه درهم، فیقع منه علی هذا المکان، و کذب زرنا، ینـدر الدرهم من هاهنا فیستقر هاهنا، و دور دائرة أخری، فما قاموا حتی وقع علی الشرفات عقعق، فسقط منه درهم فی الخط الأول، فنزا فسقط فی الخط الآخر، و نافر الهندی جابان حیث خطأه، فأتیا ببقرة نتوج، فقال الهندی: سخلتها غراء سوداء، فقال جابان: کذبت، بل سوداء صبغاء، فنحرت البقرة فاستخرجت سخلتها، فإذا ذنبها أبیض، و هو بین عینیها، فقال جابان: من هاهنا أتی، و شجعاه علی إخراج رستم، فأمضاه.

و لما فصل رستم من ساباط، لقیه جابان علی القنطرة، فشکا إلیه، و قال: أ لا تری ما أری؟ فقال رستم: أما أنا فأقاد بخشاش و زمام، و لا بد من الانقیاد و أمر الجالینوس بالتقدم إلی الحیرة، فمضی نحوها حتی اضطرب عسکره بالنجف، و خرج رستم بعده حیث ینزل بکوثی، و أمر الجالینوس عند ما قدمه أن یصیب له رجلا من العرب من جند سعد، فخرج هو و الآزاذمرد، مرزبان الحیرة، فی سریة حتی انتهیا إلی القادسیة فأصابا دون قنطرتها

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۴۱

رجلا فاختطفاه، و نفر الناس فأعجزوهم إلا ما أصاب المسلمون فی أخریاتهم، فلما انتهیا إلی النجف سرحا به إلی رستم، و هو بکوثی، فقال له رستم: ما جاء بکم؟ و ما ذا تطلبون؟ قال: جئنا نطلب موعود الله عز و جل، قال: و ما موعود الله عز و جل؟ قال: أرضکم و أبناؤکم و دماؤکم إن أنتم أبیتم أن تسلموا، قال رستم: فإن قتلتم قبل ذلک؟

قال: فی موعود الله عز و جل من قتل منا قبل ذلک أدخله الله الجنة، و أنجز لمن بقی منا ما قلت لک، فنحن من ذلک علی الیقین،

فقال له رستم: قد وضعنا إذا فى أيديكم، فقال: ويحك يا رستم، إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها، فلا يغرنك ما ترى حولك، فإنك لست تحاول الإنس، إنما تحاول القضاء و القدر، فاستشاط، فأمر به فضربت عنقه، رحمه الله.

و ارتحل رستم من كوثى و كأنه يقاد بزمام، حتى إذا كان ببرس أفسد أصحابه و غصبوا الناس أموالهم و وقعوا على نسائهم، فضج العلوج إلى رستم، و شكوا إليه ما يلقون من أصحابه، فجمع المرازبة و الرؤساء فقام فيهم، فقال: يا معشر أهل فارس، و الله لقد صدق العربى، و الله ما أسلمتنا إلا أعمالنا، و الله للعرب فى هؤلاء و هم لهم و لنا حرب أحسن سيرة منكم، إن الله عز و جل إنما كان ينصركم على العدو، و يمكن لكم فى البلاد بالعدل و حسن السيرة، فأما إذ تحولتم عن ذلك، فأظهرتم البغى، و سارعتم فى الفساد، فلا أرى الله عز و جل إلا مغيرا ما بكم، و ما أنا بآمن أن ينزع الله سلطانه منكم، فإنه لم يفعل هذا قوم إلا نزع عنهم النصر، و سلط عليهم العدو.

ثم بعث الرجال، فلقطوا بعض الذين شكوا، فضربت أعناقهم، ثم نادى فى الناس بالرحيل، فسار حتى نزل بجبال دير الأعور، و دعا أهل الحيرة و سرادقه إلى جنب الدير، فأوعدهم و هم بهم، و قال: يا أعداء الله، فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا، و كنتم عيونا لهم علينا، و أعنتموهم بالأموال فاتقوا بابن بقيلة، و قالوا له: كن أنت الذى تكلمه، فتقدم إليه ابن بقيلة، فقال له: لا تجمع علينا أمرين: العجز عن نصرنا و اللائمة لنا فى الدفع عن أنفسنا و بلادنا، أما قولك: أنا فرحنا بمجيئهم، و بأى ذلك من أمرهم نفرح؟

إنهم يزعمون أنا عبيد لهم، و ما هم على ديننا، و أنهم ليشهدون علينا أنا من أهل النار، و أما قولك: أنا كنا لهم عيونا فما احتاجوا إلى العيون، لقد ترك أصحابك لهم البلاد حتى كانت خيولهم تذهب حيث شاءت، و أما إعانتهم بالأموال، فإنا صانعناهم بها إذ لم تمنعونا مخافة أن نسبى و نخرب، و تقتل مقاتلتنا و قد عجز عنهم من لقيهم منكم، فكنا نحن أعجز منهم، و لعمرى لأنتم أحب إلينا منهم، فامنعونا نكن لكم، فإنا نحن بمنزلة علج

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۴۲

السواد، عبيد من غلبنا، فقال لهم رستم: صدقكم الرجل. قال الرفيل: و رأى رستم بالدير أن ملكا هبط من السماء حتى دخل عسكر فارس، فأخذ سلاحهم فختم عليها، ثم رفعها، فأصبح كئيبا، و قد أيقن أن ملكهم قد ذهب، ثم ارتحل حتى نزل النجف فعادت عليه الرؤيا، فرأى ذلك الملك و معه النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه، ثم دفعه إلى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فدفعه النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى عمر، فأصبح رستم و قد ازداد جزعا، فلما رأى الرفيل ذلك رغبه فى الإسلام فأسلم، و ما كان داعيته إليه إلا ذلك.

و كان رستم قد أرسل إلى قابوس بن المنذر، و قال بعضهم: ابن النعمان بن المنذر:

اكفنا ما كانت آباؤك تكفينا من العرب، و عقد له على أربعة آلاف و قدمه إلى العذيب، فلما قدم سعد بن أبى وقاص بين يديه زهرة بن الجوية يرتاد له منزلا، قدم زهرة أمامه بكر بن عبد الله الكنانى، و قال بعضهم: عبد الله بن بكير، فانتهى إلى العذيب، و وافاه زهرة هنالك، فطرقوا قابوس بياتا فى حصن العذيب فقتلوه و تفرق أصحابه منهزمين، حتى وصلوا إلى رستم، هكذا ذكر المدائنى.

و فى كتاب سيف «۱»: أن الآزاذمرد بن الأزاذبه هو الذى بعث قابوس إلى القادسية، و قال له: ادع العرب، فأنت على من أجابك، و كن كما كان آباؤك، فلما نزل القادسية كاتب بكر بن وائل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به مقاربة و وعدا، فلما انتهى خبره إلى المعنى بن حارثة أسرى من ذى قار حتى بيته فأنامه و من معه، ثم رجع، فخرج إلى سعد ابن أبى وقاص بزوجة المثنى و وصيته، و هذا الوجه الذى خرج إليه هو الذى شغله عن تعجيل القدوم على سعد بوصية أخيه، حسب ما ذكرناه قبل.

و عن كريب بن أبى كرب العكلى، و كان فى المقدمات أيام القادسية، قال: قدمنا سعد من شراف، فنزلنا فى عذيب الهجانات ثم ارتحل، فلما نزل علينا، و ذلك فى وجه الصبح، خرج زهرة بن الجوية فى المقدمات، فلما رفع لنا العذيب، و كانت من مسالحهم، استبنى على بروجه ناسا، فما نشاء أن نرى على برج من بروجه رجلا أو بين شرفتين إلا رأيناه، و كنا فى سرعان الخيل، فأمسكنا حتى تلاحق بنا كثف، و نحن نرى أن فيها خيلا، ثم أقدمنا على العذيب، فلما دنونا منه، خرج منه رجل يركض نحو القادسية، فانتهينا إليه،

فدخلنا فإذا ليس فيه أحد، و إذا ذلک الرجل هو الذى تراءى لنا على البروج و بين الشرف مكيدة، ثم انطلق بخبرنا، فطلبناه فأعجزنا، و سمع بذلک زهرة

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۴۸۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۴۳

فلحق فجد له فيه، و كان أهل القادسية يعجبون من شجاعة ذلک الرجل، و علمه بالحرب، و لم تر عين قط أثبت منه و لا أربط جأشا لو لا بعد غايته لم يلحق به زهرة، و وجد المسلمون رماحا و نشابا و أسفاطا من جلود و غيرها، انتفع المسلمون بها.

و لما أمسى زهرة بن الجوية بعث سرية فى جوف الليل، و أمر عليهم بكير بن عبد الله الليثى، و كانوا ثلاثين معروفين بالنجدة و البأس و فيهم الشماخ القيسى الشاعر، و أمرهم بالغارة على الحيرة، فساروا حتى جازوا السيلحين، و قطعوا جسرها يريدون الحيرة، فسمعوا جلبة، فأحجموا عن الإقدام، و أقاموا كمينا حتى يتبينوا، فما زالوا كذلک حتى جازت بهم خيول، تقدم تلک الغوغاء، فتركوها فنفذت لطريق الصين، و إذا هم لم يشعروا بهم، و إنما ينتظرون ذلک العين الذى قتله زهرة، و إذا أخت الآزاذمرد، مرزبان الحيرة، تزف إلى صاحب الصين، و كان من أشراف العجم، و تلک الخيل تبلغها مخافة ما هو دون الذى لقوا، فلما انقطعت الخيل عن الزواف، و المسلمون كمين فى النخل و حاذت بهم الأثقال، حمل بكير على شيراز بن الأزاذبه أخى الآزاذمرد، و هو بين أخته و بين الخيل، فقصم بكير صلبه، و طارت الخيل على وجوهها، و أخذوا الأثقال و ابنة الآزاذبه فى ثلاثين امرأة من الدهاقين و مائة امرأة من التوابع، و معهم ما لا يدرى قيمته، ثم عاج و استاق ذلک كله، فصبح سعدا بعذيب الهجانات بما أفاء الله، عز و جل، على المسلمين، فكبروا تكبيرة شديدة. فقال سعد: أقسم بالله لقد كبروا تكبيرة عرفت فيها العز، فقسم ذلک سعد على المسلمين، و نفل من الخمس، و أعطى المجاهدين بقيته، فوقع منهم موقعا، و وضع سعد بالعذيب خيلا تحوط الحريم، و انضم إليها حاطة كل حريم، و أمر عليهم غالب بن عبد الله الليثى، و نزل سعد القادسية، و كتب سعد إلى عمر، رحمه الله، يعلمه بقتل الآزاذبه على يدى بكير بن عبد الله، و قال فيما كتب به إليه: و أنا مقيم بالقادسية على أمرک، و منزلنا خصيب الجناب، و نحن ننتصف فيه من عدوان نزل بنا فى الخصب ننال من ذلک أفضل الذى نريد، و هو يوم كتبت لک مباح لنا لا يدفعوننا عنه إلا بالاعتصام بمعاقلهم، و لن يزال عندک منا كتاب بما يحدث إن شاء الله.

فأقام سعد شهرا، ثم كتب بمثلها إلى عمر، رحمهما الله: نحن و عدونا على ما كتبت إليک، لم يوجهوا إلينا أحدا، و لا أسندوا حربا إلى أحد علمناه، و متى يبلغنا ذلک نكتب به، فاستنصروا الله لنا، فإنا بمنحاة دنيا عريضة، دونها بأس شديد، و قد تقدم الله إلينا فى الدعاء إليهم، فقال تعالى: سَتُدْعَوْنَ إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ [الفتح: ۱۶].

فكتب إليه عمر: أما بعد، فإن أبا بكر، رحمه الله، كان رشيدا موفقا، محفوظا معانا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۴۴

أكرمه الله و أعانه حتى قبضه إليه راضيا مرضيا عنه، و قد ابتلينا بالذى ولينا مما لا طاقة لنا بحفظه و القيام عليه إلا بتحنن القوى ذى العزة و العظمة، و قد علمت أن فارس ستقبل إليک بمرازبتها و بأسها و عددها، فإياک و المناظرة لجموعهم، و القادسية على ما وصفت لى منزل جامع، و الجد الجد على الذى أنت عليه، و اكتب إلىّ بجمعهم الذى زحفوا إليک به، و من رأسهم الذى يسندون إليه أمرهم، و كم بين أدنى عدوک منک و بين ملكهم، و اجعلنى من أمرهم على الجلية، فإنک بحمد الله على أمر وليه و ناصره، و الله ناصر من نصره، و قد توكل لهذا الأمر بما لا خلف له، و الله متم أمره، و من يرد الله به صلاحا يلهمه رشده فيما أعطاه، و يبصره الشكر لنعمته، و العمل بطاعته، و العرفان لأداء حقوقه، و من يكن بتلک المنزلة يعنه الله على حسن نيته، و يعطه أفضل رغبته، و إنما يستوجب كرامة الله بتمام نعمته من عصم له دينه، و إنما يصلح الله النية لمن رغب فيما عنده و أذعن لطاعة ربه، و إن منازل عباد الله

عنده على نياتهم، فأكثر ذكر الله، و كن منه على الذى رغبك إليه و فيه، فإن فى ذلك رواحا للمستريح و نجاحا تجد فيه غدا نفع ما قدمت، فإنك ممن أرغب له فى الخير و يعنينى أمره للمكان الذى أنت فيه من عدو الإسلام، نسأل الله لنا و لك إيمانا صادقا، و عملا زاكيا.

فكتب إليه سعد و قد علم بأن رستم هو الذى تعين لحرب العرب وقود جيوش فارس، و أنه قد زحف إلى المسلمين و دنا منهم، إذ كان سعد وجه عيونا إلى الحيرة فرجعوا إليه بالخبر. فكتب به فيما أجاب به عمر، رضى الله عنهما:

أتانى كتابك بما ذكرت من أبى بكر، رحمة الله عليه، و لم يكن أحد يذكر من أبى بكر شيئا إلا و قد كان أفضل من ذلك، فبوأه الله غرف الجنة، و عرف بيننا و بينه، و إنك عامل من عمال الله، فاستعن بالله و شمر، و ليس شىء أهم عندى و لا أنا أكثر ذكرا لما نحب أن نكون عليه من الذى أمرتنا به، و الله ولى العون على ذلك، و قد قدم علينا عظيم من عظمائهم يقال له رستم بالخيل و الفيول و العدد و العدة و القوة، فيما يرى الناس، و لا حول و لا قوة إلا بالله، و بيننا و بينه خمسة عشر ميلا، و بينه و بين ابن كسرى بأبيض المدائن نيف على ثلاثين فرسخا، و لنا من عدونا النصف إن شاء الله، و لن يزال منا عندك كتاب يخبرنا إن شاء الله، فاستنصروا الله لنا بالدعاء و التضرع خفية و جهرا، فإن الله يعطى من سعة و يأخذ بقدرة و يفعل ما يشاء.

و كان عمر، رحمه الله، قد أمر بموالاة الكتب إليه بكل شىء، فكان سعد يكتب إليه فى كل يوم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۴۵

و كتب إليه عمر: أتانى كتابك تذكر مكان عدوك و نزولك حيث نزلت، و مسافة ما بينك و بين ابن كسرى، و أنه من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، فأرسل إلى ابن كسرى من يدعوه إلى الإيمان أو إعطاء الجزية أو الحرب، فإن أسلم فله ما لكم و عليه ما عليكم، و إن اختار إعطاء الجزية و لم يسلم فله ما كسب و عليه ما اكتسب و قد حقن دمه و أحرز أرضه، و لا سبيل عليه إلا فى حق عليه، فإن أبى الإسلام و إعطاء الجزية فلا يعظم عندك حربه و لا يكربنك ما يأتيك عنهم، و لا ما يأتوك به، فاستعن بالله و استنصره و توكل عليه، و إذا لقيت عدوك فقدم أهل البأس و النجدة فى غير إهانة لهم و لا تغرير بهم، و عليكم بالصبر فإنه ينزل النصر، فإذا ظهرت فأكثر القتل فى دبر المشركين، و اقتل المقاتلة، و استبق النساء و الصبيان، ثم لا تتركن أحدا من العدو وراءك، و إن أعطوك الصلح فلا تصالح إلا على الجلاء، إلا أن تترك فيها من لا كيد له و لا نكاية، و أحط بأمرى، و خذ بعهدى.

و فى رواية أنه قال له، فيما كتب به إليه: و ابعث إليهم رجالا من أهل المنظر و الرأى و الجلد يدعونهم، فإن الله عز و جل جاعل دعاءهم توهينا لهم، و فلجا عليهم.

و لما انتهى إلى سعد أمر عمر، رضى الله عنه، بالتوجه إلى يزدجرد، جمع نفرا لهم نجار، و لهم آراء، و نفرا لهم منظر و عليهم مهابة.

فأما الذين لهم نجار و لهم آراء و اجتهاد: فالنعمان بن مقرن، و بسر بن أبى رهم، و جبلة بن جوية الكنانى، و حنظلة بن الربيع الأسدى، و فرات بن حيان العجلى، و عدى ابن سهيل، و المغيرة بن زرارة بن النباش بن حبيب.

و أما الذين لهم منظر لأجسامهم، و عليهم مهابة، و لهم آراء: فعطارد بن حاجب، و الأشعث بن قيس، و الحارث بن حسان، و عاصم بن عمرو، و عمرو بن معدى كرب، و غيرهم ممن سماه سيف فى كتابه.

و خالفه المدائنى فى بعضهم، فلم يذكرهم، و ذكر معهم ممن لم يذكره سيف: طليحة ابن خويلد، و زهرة بن جوية، و لبيد بن عطارد، و شرحبيل بن السمط.

قال المدائنى: فأتوا الحيرة، فأرسل إليهم رستم: أين تريدون؟ قالوا: نريد ابن كسرى.

فأرسل معهم أساورة فجوزوهم إلى المدائن، فوقفوا ببابه.

و قال سيف: إنهم طووا رستم، حتى انتهوا إلى باب يزدجرد، فوقفوا على خيول

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۴۶

عراب معهم جنائب، و كلها صهال، فاستأذنوا فحبسوا، و بعث يزدجرد إلى وزرائه و وجوه أرضه ليستشيرهم فيما يصنع بهم، و يقول لهم، و سمع بهم الناس فحضروهم ينظرون إليهم، و عليهم المقطعات و البرود، و فى أيديهم سياط رقاق، و فى أرجلهم النعال. فلما اجتمع رأيهم أذن لهم فدخلوا عليه.

قال بعض من حضر هذا اليوم ممن سبى فى القادسية ثم حسن إسلامه: لما كان هذا اليوم الذى قدم فيه وفود العرب على يزدجرد ثاب إليهم الناس ينظرون إليهم، فلم أر عشرة قط يعدلون فى الهيئة بألف غيرهم، و خيلهم تخبط و يوغر بعضها بعضا. و جعل أهل فارس يسوؤهم ما يرون من حالهم و حال خيلهم، فلما دخلوا على يزدجرد أمرهم بالجلوس، و كان سيئ الأدب، فكان أول شيء دار بينه و بينهم أن قال لترجمانه: سلهم ما يسمون هذه الأردية؟ فسأل النعمان بن مقرن، و كان على الوفد: ما تسمى رداءك؟ قال: البرد. قال: فتطير لموافقة هذا الاسم اسم شيء متطير به عندهم، و تغيرت ألوان فارس، و شق ذلك عليهم. ثم قال: سلهم عن أحذيتهم، فسأله. فقال: النعال، فتطير، أيضا، لمثل ذلك، ثم سأله عن الذى فى يده، فقال: سوط، و السوط بالفارسية الحريق، فقال: أحرقوا فارس أحرقهم الله، و كان تطيره على أهل فارس، ثم قال لترجمانه: سلهم ما جاء بكم، و ما دعاكم إلى غزونا و الولوغ ببلادنا؟ أمن أجل أنا أجممناكم، و تشاغلنا عنكم، اجترأتم علينا؟ فقال لهم النعمان بن مقرن: إن شئتم أجبت عنكم، و من شاء آثرته.

قالوا: بل تكلم، و قالوا للملك: كلام هذا الرجل كلامنا. فتكلم النعمان. فقال إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير و يأمرنا به، و يعرفنا الشر و ينهانا عنه، و وعدنا على إجابته خير الدنيا و الآخرة، فلم يدع لذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين: فرقة تقاربه، و فرقة تباعده، و لا يدخل معه فى دينه إلا الخواص. فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب، و يبدأ بهم ففعل، فدخلوا معه جميعا على وجهين: مكره عليه فاغتبط، و طائع أتاه فازداد، فعرفنا جميعا فضل ما جاءنا به على ما كنا عليه من العداوة و الضيق، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوهم إلى ديننا، و هو دين حسن الحسن و قبح القبيح، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون ما آخر شر منه الجزاء، فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله، و أقمناكم عليه، و على أن تحكموا بأحكامه، و نرجع عنكم و شأنكم و بلادكم، فإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا منكم و منعناكم، و إلا قاتلناكم.

قال: فتكلم يزدجرد، فقال: إنى لا أعلم فى الأرض أمة كانت أشقى و لا أقل عددا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۴۷

و لا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى فيكفوناكم لا نغزوكم فارس و لا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عدد لحق فلا يغرنكم منا، و إن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا و أكرمنا وجوهكم و كسوناكم، و ملكنا عليكم ملكا يرفق بكم.

فأسكت القوم.

فقام المغيرة بن زرارة النباش الأسدى، فقال: أيها الملك، إن هؤلاء رءوس العرب و وجوههم، و هم أشراف يستحيون من الأشراف، و إنما يكرم الأشراف الأشراف، و يعظم حقوق الأشراف الأشراف، و تفخم الأشراف الأشراف، و ليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك، و لا كل ما تكلمت به أجابوك عليه، و قد أحسنوا و لا يحسن بمثلهم إلا ذلك، فجاوبنى لأكون الذى أبلغك، و يشهدون على ذلك، أنك قد وصفتنا، فأما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أحد أسوأ حالا منا، و أما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس و الجعلان و العقارب و الحيات، فنرى ذلك طعاما. و أما المنازل فإنما هى ظهر الأرض، و لا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل و أشعار الغنم، ديننا أن يقتل بعضنا بعضا، و يغير بعضنا على بعض، فإن كان أحدنا ليدفن ابنته و هى حية كراهية أن تأكل من طعامنا، فكانت حالتنا قبل اليوم على ما ذكرت لك، و بعث الله إلينا رجلا معروفا، نعرف نسبه، و نعرف وجهه و مولده، فأرضه خير أرضنا، و حسبه خير أحسابنا، و بيته أعظم بيوتنا، و قبيلته خير قبائلنا، و هو بنفسه كان خيرنا فى الحال التى كان فيها أصدقنا و أجملنا، فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد، أول من ترب له كان الخليفة من بعده، فقال و قلنا، و صدق و كذبنا، و زاد و نقصنا، فلم يقل شيئا إلا كان، فقذف الله

فى قلوبنا اتباعه و التصديق له، فصار فيما بيننا و بين رب العالمين، فما قال لنا فهو قول الله، و ما أمرنا به فهو أمر الله، فقال لنا: إن ربكم يقول: إنى أنا الله وحدى لا شريك لى، فكنت إذ لم يكن شيء و كل شيء هالك إلا وجهى، و أنا خلقت كل شيء و إلىّ مصير كل شيء، و أن رحمتى أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التى بها أنجيكم بعد الموت من عذابى، و لأحلكم دارى، دار السلام، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الله، و قال: من تابعكم على هذا فله ما لكم و عليه ما عليكم، و من أبى فاعرضوا عليه الجزية، ثم أمنعوهم مما تمنعون منه أنفسكم، و من أبى فقاتلوه، فأنا الحكم بينكم. فمن قتل منكم أدخلته الجنة، و من بقى منكم أعقبته النصر على من ناوأه، فاختر إن شئت الجزية عن يد و أنت صاغر، و إن شئت فالسيف، أو تسلم فتنجو بنفسك. فقال: أ تستقبلنى بمثل هذا؟

فقال: ما استقبلت إلا من كلمنى، و لو كلمنى غيرك لم أستقبلك به. فقال: لو لا أن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۴۴۸

الرسل لا تقتل لقتلتكم، لا شيء لكم عندى، و قال: ائتونى بوقر من تراب، و احملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات المدائن، ارجعوا إلى صاحبكم و أعلموه أنى مرسل إليهم رستم حتى يدفنه و جنده فى خندق القادسية، و منكل به و بكم من بعده، ثم أورده بلادكم، حتى أشغلكم فى أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور.

ثم قال: من شد فكم؟ فسكت القوم، فقال: عاصم بن عمرو: أراد لنأخذ التراب، أنا أشرفهم، أنا سيد هؤلاء فحملنيه، قال: أ كذلك؟ قالوا: نعم، فحمله على عنقه، فخرج به من الإيوان و الدار حتى أتى راحلته فحمله عليها، فقال له أصحابه: حملت ترابا؟ قال: نعم، الفأل، قد أمكنكم الله من أرضهم، فلم يزل معه حتى قدم به على سعد فأخبره الخبر. فقال سعد: أبشروا، فقد و الله أعطانا الله أقاليد ملكهم، و جعل المسلمون يزدادون فى كل يوم قوة، و يزداد عدوهم فى كل يوم و هنا، و اشتد على جلساء الملك ما صنع، و ما صنع المسلمون من قبول التراب، و راح رستم من ساباط إلى الملك يسأله عما كان من أمره و أمرهم، و كيف رآهم، فقال الملك: ما كنت أرى أن فى العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا علىّ، و الله ما أنتم بأعقل منهم، و لا أحسن جوابا، و أخبره بكلام متكلمهم، و قال: لقد صدقنى القوم، لقد وعدوا أمرا ليدركنه أو ليموتن عليه، على أنى وجدت أفضلهم أحمقهم، لما ذكروا الجزية أعطيته ترابا يحمله على رأسه فخرج به، و لو شاء اتقى بغيره، و أنا لا أعلم.

قال: أيها الملك، أخذ التراب أعقلهم، و ما أخذه إلا تطيرا، و أبصرها دون أصحابه و خرج رستم من عنده كئيبا غضبان، فبعث فى أثر الوفد، و قال لبعثه: إن أدركتموهم تلافينا أرضنا، و إن أعجزوكم سلبكم الله أرضكم، فرجع إليه من كان وجه أثرهم من الحيرة فأعلمه بفواتهم، فقال: ذهب القوم بأرضكم غير ذى شك، ما كان من شأن ابن الحجامة الملك ذهب القوم بمفاتيح أرضنا، فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظا، و أغار بعد ما خرج الوفد إلى يزدجرد إلى أن جاءوا صيادين قد اصطادوا سمكا، و سار سواد بن مالك التميمى إلى النجاد و الفراض إلى جنبها، فاستاق ثلاثمائة دابة من بين بغل و حمار و ثور، فأوقروها سمكا، و استاقوها، فصبحوا بها العسكر، فقسم سعد السمك بين الناس، و قسم الدواب، و نفل الخمس إلا ما رد منه على المجاهدين، و أسهم على السبى، و هذا يوم الحيتان، و كان الآزاذمرد الآزاذبه قد خرج فى الطلب، فعطف عليه سواد و فوارس معه، فقاتلهم على قنطرة السيلحين، حتى عرفوا أن قد نجت الغنيمة، ثم اتبعوها حتى أبلغوها المسلمين، و كانوا إنما يقرمون إلى اللحم، و أما الحنطة و الشعير و التمر،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۴۴۹

فكانوا قد اكتسبوا منه ما اكتفوا به لو أقاموا زمانا، فكانت السرايا إنما تسرى للحوم، و يسمون أيامها بها، كيوم الأباقر و يوم الحيتان. و خرج، أيضا، مالك بن ربيعة بن خالد، من تيم الرباب، و معه المسافر بن النعمان التميمى فى سرية أخرى، فأغاروا على الفيوم فأصابوا إبلا لبنى تغلب و النمر فشلوها و من فيها، فغدوا بها على سعد، فنحرت الإبل فى الناس، و أخصبوا.

و لما كتب سعد إلى عمر، رحمه الله، يخبره بأمر ابن كسرى، و إعداده للمصادمة، و أن من كان صالح المسلمين من أهل السواد قد

صاروا إلبا علیهم لأهل فارس، قال: و أمر الله بعد ماض، و قضاؤه مسلم إلى ما قدر لنا و علینا، فنسأل الله خیر القضاء، و خیر القدر فی عافیة. کتب إلیه عند ذلک عمر، رحمه الله:

قد جاءنی کتابک و فهمته، فأقم مکانک حتى ینغض الله لک عدوک، و اعلم أن لها ما بعدها، فإن منحک الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم علیهم المدائن، فإنه خرابها إن شاء الله.

و جعل عمر یدعو لسعد خاصة، و للمسلمین عامة، و یدعون له معهم.

و فیما ذکر سیف عن رجاله «۱» قالوا: کان بین خروج رستم من المدائن و عسکرته بساباط و زحفه عنها إلى أن لقی سعدا أربعة أشهر، لا یقدم و لا یقاتل، رجاء أن یضجروا بمکانهم، و أن یجهدوا فینصرفوا، و کان یکره القتال مخافة أن یلقى ما لقی من قبله، و یحب المطاولة له لو لا أن الملک جعل یستعجله و ینهضه و یقدمه حتى أقحمه.

و کتب عمر، رضی الله عنه، إلى سعد:

إنه قد ألقى فی روعی أنکم إذا لقیتم العدو و هزمتموهم، فاطرحوا الشک، و آثروا علیه الیقین، فمن لاحن منکم أحدا من العجم بأمان بإشارة أو بلسان و لا یدری الأعجمی ما کلمتموه به، و کان عندهم أمانا، فأجروا ذلک مجرى الأمان، و آثروا الیقین و النیة على الشک، و إیاکم و المحک، و علیکم بالوفاء، فإن الخطأ مع الوفاء له بقیة، و الخطأ بالغدر هلکة، و فیها وهنکم و قوة عدوکم و ذهاب ریحکم و إقبال ریحهم، و إیاکم أن تکونوا شینا على المسلمین، و سببا لتوهینهم.

و کتب إلیه سعد یستمده، فکتب إلیه عمر:

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۰۹).

الاکتفاء، الکلاعی، ج۲، ص: ۴۵۰

أ تستمدنی و أنت فی عشرة آلاف، و معک مالک بن عوف و حنظلة بن ربیعة و طلیحة ابن خویلد و عمرو بن معدی کرب فی أمثالهم من فرسان العرب، و من معک من أهل الحسبة و الرغبة فی الجهاد، فتوکل على الله و استعنه و ناهض عدوک، و لا تهیب الناس، و استفتحوا بحسن النیة و الحسبة و الزهد فی الدنیا و الإنصاف، و الصبر الصبر، و الصدق الصدق، فإن النصر ینزل مع الصبر، و الأجر على قدر الحسبة، و احذر على المسلمین، و تحرز من البیات، و أکثر من قول: لا حول و لا قوة إلا بالله، و اندب الناس إلى القتال، و نفل أهل البلاء، و من قتل قتیلا فنفله سلبه، و نکل على المعصیة. و اجعل الناس أسباعا، و استعمل على کل سبع رجلا، و قال بعضهم: أعشارا، و قد کتبت إلى المغیرة بن شعبة أن یشخص إلیک فی طائفة ممن قبله بالبصرة، و کتبت إلى أبی عبیدة أن یمدک بجمع من الشام، فإذا قدموا علیک فناهض عدوک، و إن رأیت فرصة قبل ذلک فاغتنمها، و لا تؤخر ذلک إن شاء الله، و لا تستوحش لقلة من معک، و لا تهن لکثرة عدوک، فکثیرا ما ینصر القلیل و یخذل الکثیر، و قبلک طلیحة بن خویلد، و عمرو بن معدی کرب، و حنظلة بن ربیعة، و أوس بن معدان، و ابن زید الخیل، فلا تؤمرن أحدا منهم على أکثر من مائة، و شاور عمرا و طلیحة فی الحرب، و لا تولهما جمعا.

فانتهى سعد، رحمه الله، إلى کل ما أمره به عمر، رضی الله عنه، من تهیئة الناس أسباعا أو أعشارا، و قدم علیهم المغیرة فی ثمانمائة، و یقال فی ألف و خمسمائة، و المسلمون فی ضیق، فقال المغیرة، رحمه الله: من آسى إخوانه بطعامه و زاد هو بناقته و جمله، فنحروا لهم و أخرجوا أطعماتهم فأصابوا منها و وقوا، و أشار المغیرة على سعد أن یوجه السرایا فیصیبوا الطعام و العلف، فقبل سعد مشورته، و بث السرایا، فأصابوا من الأطعمة ما کانوا یکتفون به زمانا.

و قد روى عن الشعبی أن عمر، رحمه الله، کتب إلى سعد مرتحله من زرود: أن ابعث إلى فرج الهند رجلا ترضاه یکون بحیاله، ردءا لک من شیء إن أتاک من تلک التخوم، فبعث إلیه المغیرة بن شعبة فی خمسمائة، فکان بحیال الأبلة من أرض العرب، فأتى غضبا، و

نزل على جرير، و هو يومئذ هنالك، فلما نتزل سعد بشراف كتب إلى عمر بمنزله و منزل الناس، فكتب إليه عمر:

إذا جاءك كتابى هذا فعشر الناس و عرف عليهم، و أمر على أجنادهم، و عبئهم، و مر رؤساء المسلمين أن يشهدوا، و قدرهم و هم شهود، ثم وجههم إلى أصحابهم، و واعدهم القادسية، و اضمم إليك المغيرة فى خيله، و اكتب إلىّ بالذى يستقر عليه أمرهم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۵۱

فبعث سعد إلى المغيرة، فانضم إليه و إلى رؤساء القبائل، فأتوه، فقدر الناس، و عبأهم بشراف، فأمر أمراء الأجناد، و عرف العرفاء، على كل عشرة رجلا، كما كانت العرافات أزمان النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و كذلك كانت إلى أن فرض العطاء، و أمر على الرايات رجالا- من أهل النباهة، و أمر على الأعشار رجالا- من الناس لهم وسائل فى الإسلام، و ولى الحرب رجالا، فولى على مقدماتها و مجنباتها و ساقتها و مجرداتها و ركبانها و طلائعها، فلم يخرج من شراف إلا عن تعبئة، و لا فصل منها إلا بكتاب عمر و إذنه.

قالوا فيما ذكر سيف عن رجاله: و بعث عمر، رحمه الله، الأطبة، و بعث على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى، و جعل إليه الأقباض و قسمة الفيء، و جعل داعيهم و رائدهم سلمان الفارسى. فكان أمراء التعبئة يلون الأمير و الذين يلون أمراء التعبئة أمراء الأعشار، و الذين يلون أمراء الأعشار أصحاب الرايات، و الذين يلون أصحاب الرايات و القواد رؤساء القبائل، فلما فرغ سعد من تعبئته و أعد لكل شيء من أمره جماعات و رؤساء كتب بذلك إلى عمر، رحمه الله، و لا خفاء بما بين مقتضى هذا الحديث و بين ما قبله من الاختلاف بالتأخر أو التقدم، و الله تعالى أعلم.

و بعث سعد فى مقامه بالقادسية إلى أسفل الفرات عاصم بن عمرو فسار حتى أتى ميسان، فطلب بقرا و غنما فلم يقدر عليها، و تحصنوا منه فى الأفدان، و أوغلوا فى الآجام، فضرب حتى أصاب رجلا على طف أجمة، فسأله و استدله على البقر و الغنم، فحلف له، و قال: ما أعلم، و إذا هو راعى ما فى تلك الأجمة، فصاح منها ثور: كذب و الله و ها نحن أولاء، فدخل فاستاق الثيران و أتى بها العسكر، فقسم ذلك سعد على الناس، فأخصبوا أياما، و هذا اليوم هو يوم الأباقر.

و ذكر المدائنى أن حنظلة بن الربيع الأسيدى هو صاحب هذه الغارة، و أنه أتى أسفل الفرات فلم يصب مغنما و لم يلق كيدا، فرجع، فلقوا رجلا، فقالوا له: هل تعلم مكان أحد من عدونا بحضرتك؟ قال: لا، قد رغبتموهم فخلوا عن مساكنهم، قالوا: فتعلم مكان طعام، أو شاء، أو بقر؟ قال: لا، و سمعوا خوار ثور من غيضة، فدخلوها، فأصابوا بقرا و غنما.

قال: و قال الحجاج لرجل من بنى أسد: أشهدت القادسية؟ قال: نعم، قرمنا إلى اللحم فخرجت فى رجال من المسلمين نلتمس اللحم، فأخفقنا، فلما انصرفنا إذا بصوت عن أيماننا: ادخلوا الغيضة فإن فيها غنيمة و أجرا، فدخلنا غيضة قريبا منا فإذا عشرة من

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۵۲

الأعاجم، و إذا طعام و بقر و غنم، فقاتلونا عما فى أيديهم، فاستشهد منا رجلان، و قتلنا منهم ثمانية، و أسرنا رجلين فقتلناهما صبرا، و حملنا الطعام، و استقنا الشاء و البقر، فقسم سعد ذلك بين المسلمين، و نفل كل رجل منا قتل رجلا سلبه. فقال الحجاج: هذه بشرى من الله لأوليائه، لا يكون ذلك حتى يكون الجمع برّا تقيا. فكيف كانوا؟ قال: لا تسأل عن صدق قول، و وفاء بالعهد، و أداء للأمانة، و صبر عند البأس، و الله أعلم ما يسرون، فأما الظاهر فإنا لم نر قوما قط أزهد فى دنيا و لا أشد لها بغضا، ما اعتد على رجل منهم فى يوم بواحدة من ثلاث: لا بجبن، و لا بغدر، و لا بغلول، أشداء على الكفار، رحماء بينهم، قال الحجاج: هذه صفة الأبرار.

و كتب عمر إلى سعد، رضى الله عنهما: أخبرنى عن الناس و بلائهم، أ تفاضلت القبائل فيه، أو أخرجوا على السواء؟ فكتب إليه: إن القبائل لم تزل إلى أن كتبت إليك متساوية فى كل غارة، و مناهبة فى جميع ما أعدوا، و قسم ما ناهبوا، و لم يفترقوا إلا فى ثلاث، لما نزلنا بلاد القوم و عسكرنا بالقادسية، قرمت العرب إلى طعامهم، و عاموا إلى شرابهم، فانتدب لهم من مضر عاصم بن عمرو، و سواد بن مالك، و مالك بن ربيعة، و المساور بن النعمان، و غالب بن عبد الله، و عبيد الله بن وهب، و عبيد الله بن عمير الأشجعى، و عمرو بن الهذيل الأسدى، و عمرو بن ربيعة، و الحارث بن ذى البردين، فألحموا الناس و ألبنوهم حتى تفرغوا لحربهم، و انتدب من ربيعة:

عبد الله بن عامر بن حجیة، و أبجر بن جابر، و خالد بن المعمر، و عائذ بن أبی مرضیة، و یزید بن مسهر، و سمی آخرین، فأنكحوا الناس و أخدموهم بنات فارس، و بنیهم، فرغبوا فی حربهم.

و انتدب من أهل الیمن: خولی بن عمرو، و الحارث بن الحارث، و عمرو بن خوثعة، و القاسم بن عقیل، و خمیصة بن النعمان، و سمی غیرهم، فحملوا الناس علی خیول و بغال و حمیر، و دعوا الخیل العراب.

و أقام سعد بالمسلمین فی منزله من القادسیة، و رستم بالحیرة، و كف رستم عن القتال، و طمع أن یضجر المسلمون بمكانهم، و كف سعد عنهم و المسلمون، و صبروا رجاء أن یصالحوا عن بلادهم و یعطوا الجزیة و یسلموا.

و كان عمرا، رحمه الله، قد عرف أن القوم سیطاولونهم فلذلك ما عهد إلی سعد و المسلمین أن ینزلوا علی حدود أرضهم و أن یطاولوهم أبدا حتی ینقضوهم، فحینئذ نزلوا القادسیة و قد وطنوا أنفسهم علی الصبر، و أبی الله إلاـ أن یتم نوره، و إذا أراد الله أمرا أصابه، فأقاموا و اطمأنوا، فكانوا یغیرون علی السواد، فانتسفوا ما یلیهم فحووه، و أعدوا للمطاولة، أو یفتح علیهم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۵۳

و كان عمر، رضی الله عنه، یمدهم بالأسواق إلی ما یصیبون، فلما رأی ذلك یزدجرد من أمرهم، و علم أنهم غیر منتهین، و أنه إن أقام لم یتركوه، و شكا إلیه عظماء أهل فارس من نزولهم القادسیة، و إخرابهم البلاد بالغارات، و رستم كاف عنهم، مقیم بإزائهم، أمر رستم بالشخوص لمناجزتهم، و رأی رستم أن ینزل بینهم و بین العتیق، ثم یطاولهم مع المنازلة، و رأی أن ذلك أمثل ما هم عاملون، حتی یصیبوا من الإحجام حاجتهم و تدور لهم سعود.

و عن سیف «۱» عن رجاله، قالوا: و جعلت السرایا تطوف، و رستم بالنجف، و الجالینوس بین النجف و السیلحین، و ذو الحاجب بین رستم و الجالینوس، و قال الناس لسعد: قد ضاق بنا المكان فأقدم، فزجر من كلمه بذلك، و قال: إذا كفیتم الرأی فلا تكلفوا، فإنا لن نقدم إلا علی رأی ذوی الرأی، فاسكتوا ما سكتنا عنكم.

و عن أبی عثمان النهدی «۲» أن سعدا، رحمه الله، لما نزل رستم النجف بعث الطلائع، و أمرهم أن یصیبوا رجلا لیسأله عن أهل فارس، فأخرج طلیحة فی خمسة، و عمرو بن معدی كرب فی خمسة، و ذلك صبیحة قدم رستم الجالینوس و ذا الحاجب و هم لا یشعرون بفصولهم من النجف، فلم یسیروا إلا فرسخا و بعض آخر حتی رأوا مسالحهم و سرحهم علی الصفوف قد ملؤها، فقال بعضهم: ارجعوا إلی أمیركم فإنه سرحكم و هو یری أن القوم بالنجف فأخبروه الخبر، و قال بعضهم: ارجعوا لا ینذر بكم عدوكم. فقال عمر لأصحابه: صدقتم، و قال طلیحة لأصحابه: كذبتم، ما بعثتم لتخبروا عن السرح، أو ما بعثتم إلا للخبر، قالوا: فما ترید؟ قال: أرید أن أخالط عسكر القوم أو أهلك، قالوا:

أنت رجل فی نفسك غرر، و لن تفلح بعد قتل عكاشة بن محصن، فارجع معنا، فأبی.

و أتی سعد الخبر برحیل فارس، فبعث قیس بن هبیرة، و أمره علی مائة، و علیهم أن لقیهم، فانتهی إلیهم و قد افترقوا، و فارقهم طلیحة، فرجع بهم قیس فأخبروا سعدا بقرب القوم، و مضی طلیحة حتی دخل عسكر رستم، و بات فیه یجوسه و ینظر و یتوسم.

فلما أدبر اللیل أتی أفضل من توسم فی ناحیة العسكر، فإذا فرس لم یر فی خیل القوم مثله، و فسطاط أبیض لم یر مثله، فانتضی سیفه، فقطع مقود الفرس، ثم ضمه إلی مقود فرسه، و حرك فرسه فخرج یعدو به، و نذر به القوم، فتنادوا و ركبوا الصعبة و الذلول، فخرجوا فی طلبه، فلحقه و قد أصبح فارس من الجند، فلما غشیة و بوّأ له الرمح

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۱۰).

(۲) انظر: الطبری (۳/ ۵۱۲- ۵۱۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۵۴

لیطعنه عدل طلیحة فرسه، فبدر الفارسی بین یدیه، فکر علیه طلیحة فقسم ظهره بالرمح، ثم لحق به آخر ففعل به مثل ذلک، و لحق به آخر و قد رأی مصرع صاحبیه، و هما ابنا عمه، فازداد حنقا ففعل معه طلیحة کما فعل معهما، ثم کر علیه و دعاه إلی الإسار، فعرف الفارسی، أنه قاتله، فاستأسر، و أمره طلیحة أن یرکض بین یدیه، ففعل، و لحق الناس، فرأوا فارسی الجند قد قتلا و أسر الثالث، و قد شارف طلیحة عسکر المسلمین، فأحجموا و نکصوا.

و أقبل طلیحة حتی غشی العسکر، و هم علی تعبئة، فأفزع الناس، و جوزوه إلی سعد، فلما انتهی إلیه قال: ویحک ما وراءک قال: دخلت عساکرهم و جستها، و قد أخذت أفضلهم توسما، و ما أدری أصبت أو أخطأت و ها هو ذا فاستخبره. فأقیم الترجمان بین سعد و بین الفارسی، فقال الفارسی: أ تؤمننی علی دمی إن صدقتک؟ قال: نعم، و الصدق فی الحرب أحب إلینا من الکذب، قال: أخبرکم عن صاحبکم هذا قبل أن أخبرکم عمن قبلی، باشرت الحرب و غشیتها، و سمعت بالأبطال و لقیتها مذ أنا غلام إلی أن بلغت ما تری، فلم أر و لم أسمع بمثل هذا، أن رجلا قطع عسکرین لا یجترئ علیهما الأبطال إلی عسکر فیه سبعون ألفا یخدم الرجل منهم الخمسة و العشرة إلی ما هو دون ذلک، فلم یرض أن یخرج کما دخل حتی سلب فارس الجند و هتک أطناب بیته، و طلبناه فأدرکه الأول و هو فارس الناس، یعدل بألف فارس، فقتله، ثم أدرکه الثانی، و هو نظیره فقتله، ثم أدرکته و لا أظننی خلفت بعدی من یعدلنی، و أنا الثائر بالقتیلین، و هما ابنا عمی، فرأیت الموت فاستأسرت ثم أخبره عن أهل فارس، أن الجند عشرون و مائة ألف، و أن الأتباع مثلهم خدام لهم. و أسلم الرجل و سماه سعد مسلما، و عاد إلی طلیحة فقال:

لا و الله ما تهزمون ما دمتم علی ما أری من الوفاء و الصدق و الإصلاح و المواساة، لا حاجة لی فی صحبة فارس، فکان من أهل البلاء یومئذ.

و عن موسی بن طریف «۱» أن سعدا بعث طلیحة و عمرو بن معدی کرب، فأمر طلیحة بعسکر رستم، و أمر عمرا بعسکر الجالینوس، فخرج فی عدة، و خرج طلیحة وحده، فبعث قیس بن هبیرة فی آثارهما، و قال: إن لقیت قتالا ـ فأنت علیهم، فخرج حتی تلقی عمرا، فسأله عن طلیحة، فقال: لا علم لی به، فلما انتهیا إلی النجف قال له قیس: ما ترید؟ قال: أن أغیر علی أدنی عسکرهم، قال: فی هؤلاء قال: نعم، قال: لا أدعک و الله و ذاک أتعرض المسلمین لما لا یطیقون قال: و ما أنت و ذاک قال: إنی أمرت

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۱۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۵۵

علیک، و لو لم أکن أمیرا لم أدعک. فقال عمرو بعد أن شهد لقیس نفر باستعمال سعد إیاه علیه و علی طلیحة: و الله یا قیس، إن زمانا تکون علیّ فیه أمیرا لزمان سوء؛ لأن أرجع عن دینکم هذا إلی دینی الذی کنت علیه و أقاتل علیه حتی أموت أحب إلیّ أن تؤمر علیّ ثانیة، و لئن عاد صاحبک الذی بعثک لمثلها لنفارقنه، قال: ذلک إلیک بعد مرتک هذه، فرده، فرجع إلی سعد بالخبر و بأعلاج و أفراس، و شکا کل واحد منهما لصاحبه، أما قیس فشکا عصیان عمرو، و أما عمرو فشکا طاعة قیس، فقال سعد: یا عمرو، الخیر و سلامة مائة أحب إلیّ من مصاب مائة تقتل ألفا، أتعمد إلی حلبة فارس فتصادمهم بمائة؟ إن کنت لأراک أعلم بالحرب مما أری. فقال له عمرو: إن الأمر لکما.

قلت: و خرج طلیحة حتی أتی النجف فدخل عسکر رستم فی لیلة مقمرة، فتوسم فیه، فهتک أطناب بیت رجل علیه و اقتاد فرسه، ثم خرج حتی مر بعسکر ذی الحاجب، فهتک علی آخر بیته و حل فرسه، ثم خرج حتی أتی الخرار و اتبعه هؤلاء، فکان أولهم لحاقا به الجالینوس ثم الحاجبی ثم النخعی، فأصاب الأولین و أسر الآخر، و أتی به سعدا فأخبره، و أسلم فسماه سعد مسلما، و لزم طلیحة فکان معه فی تلک المغازی کلها.

و عن موسی بن طریف، أیضا، قال: قال سعد لقیس بن هبیرة: أخرج یا عاقل، فإنه لیس وراءک من الدنیا شیء تحنو علیه حتی تأتینی

بخبر القوم، فخرج، و سرح معه عمرو ابن معدى كرب و طليحة، فلما جاز القنطرة لم يسر إلا يسيرا حتى انتهى إلى خيل عظيمة منهم بحيالها ترد عن عسكرهم، و إذا رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذى الحاجب، و ارتحل الجالينوس فنزل ذو الحاجب منزله، و نزل الجالينوس بطيزناباذ «۱»، و قدم تلك الخيل، فقال قيس: قاتلوا عدوكم يا معشر المسلمين. فأنشب القتال، و طاردهم ساعة، ثم حمل عليهم، فكانت هزيمتهم، و أصاب منهم اثنى عشر رجلا، و أسر ثلاثة، و أصاب أسلاب، فأتوا سعدا بالغنيمة و أخبروه الخبر، فقال: هذه بشرى إن شاء الله، إذا لقيتم جمعهم الأعظم وحدهم، فلهم أمثالها، و دعا عمرا و طليحة، فقال: كيف رأيتما قيسا؟ فقال طليحة: رأيناه أكيس منا، و قال عمرو: الأمير أعلم بالرجال منا، فقال سعد:

إن الله أحيا بالإسلام قلوبا كانت ميتة، و أمات به قلوبا كانت حية، و إنى أحذركما أن تؤثرا أمر الجاهلية على أمر الإسلام، فتموت قلوبكما و أنتما حيان، الزموا السمع و الطاعة و الاعتراف بالحقوق، فما رأى الناس كأقوام أعزهم الله بالإسلام.

---

(۱) طيزناباذ: موضع بين الكوفة و القادسية على حافة الطريق، بينها و بين القادسية ميل. انظر:
معجم البلدان (۴/ ۵۴، ۵۵).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۲، ص:۴۵۶

قالوا: و لما انتهى رستم إلى العتيق، وقف عليه بحيال عسكر سعد، و نزل الناس، فما زالوا يتلاحقون و ينزلهم فينزلون، حتى اعتموا من كثرتهم.

و قال المدائنى: مكثوا ليلتهم كلها يتحدرون، و من غد إلى قريب من نصف النهار بعده تجب منها القلوب.

و قال قيس بن أبى حازم، و كان شهد القادسية: كان مع رستم ثمانية عشر فيلا، و مع الجالينوس خمسة عشر فيلا.

و قال غيره: كان فى جملتها فيل سابور الأبيض، و كانت الفيلة تألفه، و كان أعظمها و أقدمها.

و قال الرفيل: كانت ثلاثة و ثلاثون، فى القلب ثمانية عشر، و فى المجنبتين خمسة عشر.

قال: و لما نزل رستم العتيق و بات به، أصبح غاديا على التصفح و التحرز، فساير العتيق نحو خفان، حتى أتى على مقطع عسكر المسلمين، ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة، فتأمل القوم، حتى أتى على تل يشرف عليهم، فلما وقف على القنطرة أرسل زهرة بن جوية، و كان هناك مسلحة لسعد، فخرج إليه حتى واقفه، فأراده على أن يصالحهم، و يجعل له جعلا على أن ينصرفوا عنه، و جعل يقول إنكم جيراننا و قد كانت طائفة منكم فى سلطاننا، فكنا نحسن جواركم، و نكف الأذى عنكم، و نوليهم المرافق الكثيرة، و نحفظهم فى أهل باديتهم، فنرعيهم مراعينا، و نميرهم من بلادنا و لا نمنعهم التجارة فى شىء من أرضنا، فقد كان لهم فى ذلك معاش، يعرض له بالصلح و لا يصرح، فقال له زهرة: صدقت، قد كان ما تذكر، و ليس أمرنا أمر أولئك و لا طلبتنا طلبتهم. إنا لم نأتكم لطلب الدنيا، إنما طلبتنا و همتنا الآخرة، كما ذكرت، يدين لكم من قدم عليكم منا، و يضرع إليكم يطلب ما فى أيديكم، ثم بعث الله، عز و جل، إلينا رسولا، فدعانا إلى دينه فأجبناه، فقال لنبيه صلى اللّه عليه و سلم: إنى قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينى، فأنا منتقم بهم منه، و أجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به و هو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذل، و لا يعتصم به أحد إلا عز.

قال رستم: و ما هو؟ قال: أما عموده الذى لا يصلح منه شىء إلا به، فشهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله، و الإقرار بما جاء به من عند الله تعالى.

الاكتفاء، الكلاعى، ج۲، ص:۴۵۷

قال: ما أحسن هذا و أى شىء أيضا؟.

قال: و إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى.

قال: حسن، و أى شىء أيضا؟.

قال: و الناس بنو آدم و حواء، إخوة لأب و أم.

فقال: ما أحسن هذا ثم قال له رستم: أ رأیت لو أنی رضیت هذا الأمر و أجبتکم إلیه و معی قومی کیف یکون أمرکم أ ترجعون؟.

قال: إی و الله، ثم لا نقرب بلادکم إلا فی تجارة أو حاجة.

قال: صدقتنی و الله، أما أن أهل فارس منذ ولی أردشیر لم یدعوا أحدا یخرج من عمله من السفلة، کانوا یقولون إذا خرجوا من أعمالهم: تعدوا طورهم، و عادوا أشرافهم.

فقال له زهرة: نحن خیر الناس للناس، و لا نستطیع أن نکون کما تقولون، نطیع الله فی السفلة، و لا یضرنا من عصی الله فینا.

فانصرف عنه، و دعا رجال فارس فذاکرهم هذا فحموا منه، و أنفوا، فقال: أبعدکم الله و أسحقکم أخزی الله أجزعنا و أجبننا.

و عن سیف «۱» عن رجاله، قالوا: أرسل سعد إلی المغیرة و بسر بن أبی رهم و عرفجة ابن هرثمة و حذیفة بن محسن و ربعی بن عامر و قرفة بن أبی زاهر التیمی الوائلی و مذعور ابن عدی العجلی و المضارب بن یزید و سعید بن مرة، و هما من بنی عجل، أیضا، و کان سعید من دهاة العرب، فقال لهم سعد: إنی مرسلکم إلی هؤلاء، فما عندکم؟.

قالوا: نتبع ما تأمرنا به، و ننتهی إلیه، فإذا جاء أمر لم یکن منک فیه شیء نظرنا أمثل ما ینبغی و أنفعه للناس، فکلمناهم به.

قال سعد: هذا فعل الحزمة، اذهبوا فتهیئوا.

فقال ربعی بن عامر: إن الأعاجم لهم آراء و أدب، و متی نأتهم جمیعا یرون أنا قد احتفلنا لهم فلا تزدهم علی رجل، فمالئوه جمیعا علی ذلک، فقال: فسرحنی، فسرحه، فخرج ربعی بن عامر لیدخل علی رستم عسکره، فاحتبسه الذی علی القنطرة، و أرسل

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۱۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۵۸

إلی رستم بمجیئه، فاستشار عظماء أهل فارس، فقال: ما ترون؟ أ نباهی أم نتهاون؟

فاجتمع ملؤهم علی المباهاة، فأظهروا الزبرج، و بسطوا البسط و النمارق، و لم یترکوا شیئا، و وضعوا لرستم سریر الذهب، و ألبس زینته، من الأنماط و الوسائد المنسوجة بالذهب. و أقبل ربعی یسیر علی فرس له زباء قصیرة، معه سیف له مشوف و غمده لفافة ثوب خلق، و رمحه معلوب بقد، معه حجفة من جلود البقر، علی وجهها أدیم أحمر مثل الرغیف، و معه فرسه و نبله.

فلما انتهی إلی أدنی البسط، قیل له: انزل، فحمل فرسه علیها، فلما استوت علی البسط نزل عنها و ربطها بوسادتین فشقهما، ثم أدخل الحبل فیهما، فلم یستطیعوا أن ینهوه، و إنما أروه التهاون، و عرف ما أرادوا، فأراد استحراجهم، و علیه درع له کأنه أضاة، و یلمقة عباءة بعیره، قد جابها و تدرعها، و شدها علی وسطه بسلب، و لأسه أربع ضفائر، قد قمن قیاما، کأنهن قرون الوعول، و کان أکثر العرب شعرة. فقالوا له: ضع سلاحک، فقال: إنی لم آتکم فأضع سلاحی بأمرکم، أنتم دعوتمونی، فإن أحببتم أن آتیکم کما أرید و إلا رجعت. فأخبروا رستما، فقال: ائذنوا له، هل هو إلا رجل فأقبل یتوکأ علی رمحه، و زجه نصل یقارب الخطو، و یزج النمارق و البسط، فما ترک لهم نمرقة و لا بساطا إلا أفسده و ترکها متهتکة مخرقة.

فلما دنا من رستم تعلق به الحرس، و جلس علی الأرض، و رکز رمحه فی البساط، فقالوا: ما حملک علی هذا؟ قال: إنا لا نستحب القعود علی زینتکم. فقال له رستم: ما جاء بکم؟ فقال: الله ابتعثنا، و جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلی عبادة الله تعالی، و من ضیق الدنیا إلی سعة الآخرة، و من جور الأدیان إلی عدل الإسلام، فأرسلنا بدینه إلی خلقه لندعوهم إلیه، فمن قبله قبلنا ذلک منه، و رجعنا عنه و ترکناه و أرضه یلیها دوننا، و من أبی قاتلناه أبدا، حتی نفضی إلی موعود الله. قال: و ما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات علی قتال من أبی، و الظفر لمن بقی. قال رستم: قد سمعنا مقالتکم، فهل لکم أن تؤخروا هذا الأمر حتی ننظر فیه و تنظروا قال: نعم، کم أحب إلیک؟ أ یوم أم یومان؟ قال: لا، بل حتی نکاتب أهل رأینا و رؤساء قومنا. فقال: إن مما سن لنا رسول الله

صلی اللّه علیه و سلم، و عمل به أئمتنا، ألا نمکن الأعداء من بداتنا، و لا نؤجلهم عند الالتقاء أکثر من ثلاث، فنحن مترددون عنکم ثلاثا، فانظر فی أمرک و اختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام و ندعک و أرضک، أو الجزاء فنقبل و نکف عنک، و إن کنت عن نصرنا غنیا ترکناک منه، و إن کنت إلیه محتاجا منعناک، أو المنابذة فی الیوم الرابع، و لسنا نبدؤک فیما

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۵۹

بیننا و بین الیوم الرابع إلا أن تبدأنا، أنا کفیل لک بذلک علی جمیع من تری. قال:

أ سیدهم أنت؟ قال: لا، و لکن المسلمین فیما بینهم کالجسد بعضهم من بعض، یجیر أدناهم علی أعلاهم. فخلص رستم برؤساء أهل فارس، فقال: ما ترون؟ هل سمعتم کلاما قط أوضح نصرا و لا أعز من کلام هذا الرجل؟ قالوا: معاذ الله أن تمیل إلی شیء من هذا و تدع دینک لهذا الکلب، أ ما تری إلی ثیابه فقال: ویحکم لا تنظروا إلی الثیاب، و لکن انظروا إلی الرأی و الکلام و السیرة، إن العرب تستخف باللباس و المأکل و یصونون الأحساب، لیسوا مثلکم فی اللباس، و لا یرون فیه ما ترون. و أقبلوا إلیه یتناولون سلاحه و یزهدونه فیه، فقال لهم: هل لکم أن ترونی فأریکم؟ فأخرج سیفه من خرقة کأنه شعلة نار. ثم رمی ترسا و رموا حجفته، فخرق ترسهم و سلمت حجفته. فقال: یا أهل فارس، إنکم عظمتم الطعام و الشراب، و أنا صغرناهما، ثم رجع إلی أن ینظروا إلی الأجل.

فلما کان الغد بعثوا: أن ابعث إلینا ذلک الرجل، فبعث إلیهم سعد حذیفة بن محصن، فأقبل فی نحو ذلک الزی، حتی إذا کان علی أدنی البساط، قیل له: أنزل، قال: ذلک لو جئتکم فی حاجتی، فقولوا لملککم: أله حاجة أم لی؟ فإن قال لی فقد کذب، و رجعت عنه، و ترکتکم، و إن قال له، لم آته إلا علی ما أحب. فقال: دعوه، فجاء حتی وقف علیه و رستم علی سریره، فقال له: انزل، قال: لا أفعل، فلما أبی سأله: ما بالک جئت و لم یجئ صاحبنا بالأمس؟ قال: إن أمیرنا یحب أن یعدل بیننا فی الشدة و الرخاء، فهذه نوبتی. قال: ما جاء بکم؟ قال: الله عز و جل منّ علینا بدینه، و أرانا آیاته حتی عرفناه و کنا له منکرین. ثم أمرنا بدعاء الناس إلی واحدة من ثلاث، فأیها أجابوا إلیه قبلناه:

الإسلام و ننصرف عنکم، أو الجزاء و نمنعکم إن احتجتم إلی ذلک، أو المنابذة. فقال: أو الموادعة إلی یوم. فقال: نعم، ثلاثا من أمس.

فلما لم یجد عنده إلا ذلک رده، و أقبل علی أصحابه فقال: ویلکم أ لا ترون ما أری؟

جاءنا الأول بالأمس فغلبنا علی أرضنا، و حقر ما نعظم، و أقام فرسه علی زبرجنا و ربطه به، فهو فی یمن الطائر، ذهب بأرضنا و ما فیها إلیهم، مع فضل عقله. و جاءنا هذا الیوم فوقف علینا، فهو فی یمن الطائر سیقوم علی أرضنا دوننا، فراده أصحابه الکلام حتی أغضبوه و أغضبهم.

فلما کان من الغد أرسل: ابعثوا إلینا رجلا، فبعثوا إلیه المغیرة بن شعبة. قالوا: فلما جاء إلی القنطرة یعبرها إلی أهل فارس حبسوه و استأذنوا رستما فی إجازته، فأذن فی ذلک، فأقبل المغیرة و القوم فی زیهم فی الأمس، لم یغیروا شیئا من شارتهم، تقویة

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۶۰

لتهاونهم، علیهم التیجان و الثیاب المنسوجة بالذهب، و بسطهم علی غلوة لا یصل إلی صاحبهم حتی یمشی علیها غلوة، و جاء المغیرة و له أربع ضفائر یمشی، حتی جلس معه علی سریره و شارته، فوثبوا إلیه فنتروه و أنزلوه و مغثوه، فقال: إنه کانت تبلغنا عنکم أحلام، و لا أری قوما أسفه منکم، إنا معشر العرب سواء، لا یستعبد بعضنا بعضا إلا أن یکون محاربا لصاحبه، فظننت أنکم تواسون قومکم کما نتواسی، و کان أحسن من الذی صنعتم أن تخبرونی أن بعضکم أرباب بعض، و أن هذا الأمر لا یستقیم فیکم فلا نصنعه، و لم آتکم و لکنکم دعوتمونی، زاد المدائنی: و لیس ینبغی لکم إذا أرسلتم إلیّ أن تمنعونی من الجلوس حیث أردت، و ما أکلمکم إلا و أنا جالس معه، الیوم علمت أنکم مغلوبون، و أن ملکا لا یقوم علی هذه السیرة، و لا علی هذه العقول.

فقالت السفلة: صدق و الله العربی، و قالت الدهاقین: و الله لقد رمی بکلام لا یزال خولنا و الضعفاء منا ینزعون إلیه، قاتل الله أولینا، ما

کان أحمقهم حین یصغرون أمر هذه الأمة فمازحه رستم لیمحو ما صنع به، فقال له: یا عربی، إن الحاشیة قد تصنع ما لا یوافق الملک، فیتراخی عنها مخافة أن یکسرها عما ینبغی من ذلک، و الأمر علی ما تحب من الوفاء و قبول الحق، و لیس ما صنعوا بضائرک و لا ناقصک عندنا، فاجلس حیث شئت، فأجلسه معه، ثم قال: ما هذه المغازل التی معک؟، یعنی السهام، قال: ما ضر الجمرة أن لا تکون طویلة ثم راماهم، ثم قال له رستم: تکلم أو أتکلم؟ فقال المغیرة:

أنت الذی بعثت إلینا، فتکلم، فأقام الترجمان بینهما، و تکلم رستم، فحمد قومه، و عظم الملک و المملکة، و قال: لم نزل متمکنین فی البلاد، ظاهرین علی الأعداء، أشرافا فی الأمم، لیس لأحد من الملوک مثل عزنا و شرفنا و سلطاننا، ننصر علی الناس و لا ینصرون علینا إلا الیوم أو الیومین أو الشهر أو الشهرین، لأجل الذنوب، فإذا انتقم الله منا فرضی رد إلینا عزنا، ثم إنه لم تکن فی الناس أمة أصغر عندنا أمرا منکم، کنتم أهل قشف و معیشة سیئة، لا نراکم شیئا و لا نعدکم، و کنتم إذا قحطت أرضکم و أصابتکم السنة استعنتم بناحیة أرضنا فنأمر لکم بشیء من التمر و الشعیر ثم نردکم، و قد علمت أنه لم یحملکم علی ما صنعتم إلا ما أصابکم من الجهد فی بلادکم، فأنا آمر لأمیرکم بکسوة و بغل و ألف درهم، و آمر لکل واحد منکم بوقر من تمر و بثوبین، و تنصرفون عنا، فإنی لست أشتهی أن أقتلکم، و لا آسرکم.

فتکلم المغیرة، فحمد الله و أثنی علیه، ثم قال: إن الله سبحانه خالق کل شیء و رازقه، یرفع من یشاء و یضع من یشاء، فمن صنع شیئا فإن الله، تبارک اسمه و تعالی،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۶۱

هو یصنعه و الذی صنعه. و أما الذی ذکرت به نفسک و أهل بلادک من الظهور علی الأعداء و التمکین فی البلاد و عظم السلطان فی الدنیا، فنحن نعرفه و لا ننکره، و الله صنعه لکم، و وضعه فیکم، و هو له دونکم، و أما ما ذکرت فینا من سوء الحال، و ضیق المعیشة، و اختلاف القلوب، فنحن نعرفه، و الله ابتلانا بذلک، و صیرنا إلیه، و الدنیا دول، و لم یزل أهل شدائدها یتوقعون الرخاء حتی یصیروا إلیه، و أهل رخائها یتوقعون الشدة حتی تنزل بهم، و یصیروا إلیها، و لو کنتم فیما آتاکم الله دوننا أهل شکر، لکان شکرکم یقصر عما أوتیتم، و لأسلمکم ضعف الشکر إلی تغیر الحال، و لو کنا فیما ابتلینا به أهل کفر، کان عظیم ما تتابع علینا مستجلبا من الله رحمة یرفه بها عنا، و لکن الشأن غیر ما تذهبون إلیه، إن الله تعالی بعث فینا رسولا، فکذبه مکذبون و صدقه منا آخرون، و أظهر الله دعوته، و أعز دینه علی کره ممن کذبه و حاده، حتی دخلوا فی الإسلام طوعا و کرها، فأمرنا أن ندعو من خالفنا إلی دیننا، فمن أباه قاتلناه.

و ذکر نحو ما تقدم من الکلام فی الأحادیث المتقدمة من دعائه إلی الإسلام، و قال له:

فإن أبیت فکن لنا عبدا تؤدی الجزیة عن ید و أنت صاغر، و إلا السیف إن أبیت.

فنخر رستم عند ذلک نخرة و استشاط غضبا، ثم حلف بالشمس لا یرتفع لکم الضحی غدا حتی أقتلکم أجمعین.

فانصرف المغیرة، و خلص رستم بأشراف فارس، فقال: أین هؤلاء منکم؟ ما بعد هذا؟ أ لم یأتکم الأولان فجسراکم و استخرجاکم، ثم جاءکم هذا فلم یختلفوا، و سلکوا طریقا واحدا، و لزموا أمرا واحدا، هؤلاء و الله الرجال، صادقین أو کاذبین، و الله لئن کان بلغ من رأیهم و صونهم أمرهم أن لا یختلفوا، ما قوم أبلغ فیما أرادوا منهم، و إن کانوا صادقین ما یقوم لهؤلاء شیء فلجوا و تجلدوا، فقال: و الله إنی لأعلم أنکم تصغون إلی ما أقول لکم، و إن هذا منکم ریاء، فازدادوا لجاجا.

و فی بعض الروایات أن مما قال المغیرة لرستم و قد توعد المسلمین بأنهم مقتولون، قال: هو الذی نتمنی، أن المقتول منا صائر فی الجنة، و الهارب فی النار، و للباقی الصابر الظفر بحدیث صادق و وعد لا خلف له، و قد أصبنا فی بلادکم حبة کأنها قطع الأوتار، فأکلنا منها و أطعمنا أهلینا، فقالوا: لا صبر لنا حتی تنزلوا هذه البلاد.

قال رستم: أما لنقرننکم فی الجبال.

قال المغیرة: أما و بنا حیاة فلا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٤٦٢

قال رستم: ارجع إلى أصحابك و استعدوا للحرب، فليس بيننا و بينكم صلح، و لنفقأن عينك غدا.

فقال المغيرة: و أنت ستقتل غدا إن شاء الله، و إن ما قلت لى ليسرنى، لو لا أن أجاهدكم بعد اليوم لسرنى أن تذهبا جميعا.

و رجع المغيرة فتعجبوا من قوله. فقال رستم: ما أظن هذا الملك إلا قد انقضى، و أن أجمل بنا أ لا يكون هؤلاء أصبر منا، و لقد وعدوا وعدا ليموتن أو ليدركنه، و لقد حذروا و خوفوا من الفرار خوفا لا يأتونه، و قد رأيت ليلتى هذه كأن القوس التى فى السماء خرت، و كأن الحيتان خرجن من البحر، و أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم، فهل لكم أن تقبلوا بعض ما عرضوا عليكم؟ قالوا: لا.

قال: فأنا رجل منكم، و كتب إلى يزدجرد بما كلمه به المغيرة، فقال شاهين الأزدى:

لو لم يكن إلا ساسة دوابنا لأخذناهم بهم. فكتب إليه أمره بقتالهم، و قال: إذا لقيتهم فضع الرجال فيما بينى و بينك، على كل ربوة رجلا، فكلما حدث أمر نادى به بعضهم بعضا حتى يفضى الخبر إلىّ.

و حدث سيف «١» عن رجاله، قالوا: أرسل إليهم سعد بقية ذوى الرأى جميعا، و حبس الثلاثة، فخرجوا حتى أتوه، فقالوا له: إن أميرنا يقول لك: إن الحرب تحفظ الولاة، و إنى أدعوك إلى ما هو خير لنا و لك، و هى العاقبة بأن تقبل منا ما دعاك الله، عز و جل، إليه، و نرجع إلى أرضنا، و ترجع إلى أرضك و بعضنا من بعض، إلا أن داركم لكم، و أمركم فيكم، و ما أصبتم مما وراءكم كان زيادة لكم دوننا، و كنا لكم عونا على أحد إن أرادكم أو قوى عليكم. و اتق الله يا رستم، و لا يكونن هلاك قومك على يديك، فإنه ليس بينك و بين أن تغتبط إلا أن تدخل فيه و تطرد به الشيطان عنك. الاكتفاء، الكلاعى ج ٢ ٤٦٢ تأمير عمر، رضى الله عنه، سعد بن أبى وقاص على العراق و ذكر الخبر عن حرب القادسية ..... ص : ٤٣١

ال رستم: إنى قد كلمت منكم نفرا، و لو أنهم فهموا عنى رجوت أن تكونوا قد فهمتم، و إن الأمثال أوضح من كثير من الكلام، و سأضرب لكم مثلكم. إنكم كنتم أهل جهد فى المعيشة، و قشف فى الهيئة، لا تمتنعون و لا تنتصفون، فلم نسئ جواركم، و لم ندع مواساتكم، تقتحمون المرة بعد المرة، فنميركم ثم نردكم، و تأتوننا أجراء و تجارا فنحسن إليكم، فلما تطعمتم طعامنا، و شربتم شرابنا، و أظلكم ظلنا، وصفتم ذلك لقومكم، ثم دعوتموهم فأتيتمونا بهم، و إنما مثلكم فى ذلك و مثلنا كمثل رجل كان له

---

(١) انظر: الطبرى (٣/ ٥٢٥- ٥٢٨).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٤٦٣

كرم، فرأى فيه ثعلبا، فقال: و ما ثعلب فانطلق الثعلب، فدعا الثعالب إلى ذلك الكرم، فلما اجتمعت عليه سد عليها صاحب الكرم مدخلها فقتلها، و قد علمت أن الذى حملكم على هذا الحرص و الطمع مع الجهد، فارجعوا عنا عامكم هذا، و امتاروا حاجتكم، و لكم العود كلما احتجتم، فإنى لا أشتهى أن أقتلكم، و قد أصاب أناس كثير منكم ما أرادوا من أرضنا، ثم كان مصيرهم القتل و المهرب، و من سن هذا لكم خير منكم و أقوى، و قد رأيتم أنتم كلما أصابوا شيئا أصيب بعضهم و نجا بعضهم، و خرج مما كان أصاب، و من أمثالكم فيما تصنعون مثل جرذان ألفت جرة فيها حب، و فى الجرة ثقب، فدخل الأول فأقام فيها، و جعلت الأخر ينقلن منها و يرجعون و يكلمنه فى الرجوع، فيأبى، فانتهى سمن الذى فى الجرة، فاشتاق إلى أهله ليريهم حسن حاله، فضاق عليه الجحر، و لم يطق الخروج، فشكى القلق إلى أصحابه، و سألهم المخرج، فقالوا: ما أنت بخارج منها حتى تعود كما كنت قبل أن تدخل، فكف و جوع نفسه، و بقى فى الجرة، حتى إذا عاد كما كان أتى عليه صاحب الجرة فقتله، فاخرجوا أو ليكونن هذا لكم مثلا.

و قال لهم، أيضا، فيما قال: لم يخلق الله خلقا أولع من ذباب، ما خلاكم يا معشر العرب، ترون الهلاك و يدليكم فيه الطمع، و مثلكم فى هذا مثل الذباب إذا رأى العسل طار، و قال: من يوصلنى إليه و له درهمان حتى يدخله؟ لا ينهاه أحد إلا عصاه، فإذا دخله غرق و نشب، و قال: من يخرجنى و له أربعة دراهم؟ و ضرب للقوم أمثالا غير هذه نحوا منها.

قالوا: فتكلم القوم، فقالوا: أما ما ذكرت من سوء حالنا فيما مضى، و انتشار أمرنا، فلم نبلغ كنهه يموت الميت منا إلى النار، و يبقى الباقى منا فى بؤس، فبينا نحن فى أسواء ذلک، فبعث الله، عز و جل، فينا رسولا من أنفسنا إلى الإنس و الجن، رحمة رحم بها من أراد رحمته، و نقمة ينتقم بها ممن رد كرامته، فبدأ بنا قبيلة قبيلة، فلم يكن أحد أشد عليه و لا أشد إنكارا لما جاء به، و لا أجهد على قتله ورد ما جاء به من قومه، ثم الذين يلونهم، حتى طابقناه على ذلک كلنا، فنصبنا له جميعا، و هو وحده فرد ليس معه إلا الله تعالى فأعطى الظفر علينا، فدخل بعضنا طوعا و بعضنا كرها، ثم عرفنا جميعا الحق و الصدق لما أتى به من الآيات المعجزة، و كان مما أتى به من عند ربنا، عز و جل، جهاد الأدنى فالأدنى، فصرنا فى ذلک فيما بيننا، نرى أن الذى قال لنا و وعدنا لا نخرج عنه و لا ننقص منه، حتى اجتمعت العرب على هذا، و كانوا من الاختلاف فيما لا يطيق

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶۴

الخلائق بالتفهم معه، ثم أتيناكم بأمر ربنا، نجاهد فى سبيله، و ننفذ لأمره، و نستنجز موعوده، و ندعوكم إلى الإسلام و أحكامه، فإن أجبتمونا تركناكم و رجعنا، و خلفنا فيكم كتاب الله، عز و جل، و إن أبيتم لم يحل لنا إلا أن نعاطيكم القتال أو تفتدوا بالجزاء، فإن فعلتم و إلا ـ فإن الله، عز و جل، قد أورثنا أرضكم و أبناءكم و أموالكم. فاقبلوا نصيحتنا، فو الله لإسلامكم أحب إلينا من غنائمكم، و لقتالكم بعد أحب إلينا من صلحكم، و أما ما ذكرت من رثاثتنا و قلتنا فإن إرادتنا الطاعة، و قتالنا الصبر و أما ما ضربتم لنا من الأمثال، فإنكم ضربتم للرجال و للأمور الجسام و للجد الهزل، و لكنا سنضرب لكم مثلا، و إن مثلكم مثل رجل غرس أرضا، و اختار لها الشجر و الحب، و أجرى لها الأنهار، و زينها بالقصور، و أقام فيها فلاحين يسكنون قصورها، و يقومون على جناتها، فخلفه الفلاحون فى القصور بما لا يحب، و فى الجنان بمثل ذلک، فأطال نظرتهم، فلما لم يستحيوا من تلقاء أنفسهم، استعتبهم فكابروه، فدعا إليهم غيرهم، فأخرجهم منها، فإن ذهبوا عنها تخطفهم الناس، و إن أقاموا صاروا خولا لهم يملكونهم و يسومونهم الخسف أبدا، و الله لو لم يكن ما نقول لكم حقا، و لم تكن إلا الدنيا، لما كان لنا عما ضربنا به من لذيذ عيشكم، و رأينا من زبرجكم من صبر، و لقارعناكم أو نغلبكم عليه.

فقال رستم: أ تعبرون إلينا أو نعبر إليكم؟ فقالوا: بل اعبروا إلينا، فخرجوا من عنده عشيا، فأرسل سعد إلى الناس أن يقفوا مواقفهم، و أرسل إليهم: شأنكم و العبور، فأرادوا القنطرة، فأرسل إليهم: لا و لا كرامة أما شىء قد غلبناكم عليه فلن نرده عليكم، تكلفوا معبرا غير القناطر، فباتوا يسكرون العتيق حتى الصباح بأمتعتهم.

و ذكر المدائنى أن رستم وجه الجالينوس ليعبر القنطرة، فوقف بحيال زهرة بن جوية، و كان عليها، و قال: ليخرجن إلىّ الموكل بهذا الموضع، فخرج زهرة على فرس كميت أغر ذنوب، معه رمح معلوب، و سيف رث الجفن، فقال له الفارسى: إنک لم توضع هذا الموضع إلا و أنت ركن من أركان أصحابک، و أرى سيفک رث الجفن، قال: إن يكن رث المنظر فإنه حديد الضربة، و قرب إليه الفارسى بالصلح و لم يصرح، و مناه، و قال:

نحسن جواركم و نرفقكم فى معايشكم. فقال زهرة: إنا لم نأتكم نطلب الدنيا بغير آخرة، إنما أتيناكم ندعوكم إلى ديننا، فإن أبيتموه فدنياكم التى تعرضون علينا لنا إن شاء الله، فقال له الفارسى: فخلوا لنا الطريق فنعبر إليكم فنناجزكم، قال: لا، قال: و لم و أنتم تمنون لقاءنا قال: نكره أن نرد عليكم شيئا قد غلبناكم عليه، فرجع إلى رستم فأخبره، فأعظم ذلک، فانصرف الجالينوس، فجلس رستم يفكر فيما أخبره، و غلبته عيناه فنام

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶۵

فانتبه و يده فى كتف جارية قاعدة بين يدى فراشه، فقال: ما لک؟ قالت: مالت يدک فرفعتها، فقال: أشفقت أن سقطت من فراش ديباج على بساط ديباج؟ فكيف بها غدا إذا انعفرت فى التراب و وطئتها الخيل؟ قالت: و ما يضطرک إلى ذلک؟ و قد أعطوک ما لک فيه نصف و نجاة: إما أن تدخل فى دينهم فتكون مثلهم، و إما أن تفتدى منهم بشىء تعطيهم و يبقى لک أمرک، و إما أن

تذهب إلى مأمنك من الأرض؟ فقال: إن فى عنقى حبلا أقاد به إلى مصرعى، لا أقدر على الامتناع.

و بات العاجم ليلتهم يسكرون العتيق بالقصب و التراب و البراذع حتى جعلوه طريقا، و استتم بعد ما ارتفع النهار من الغد.

قالوا: و رأى رستم من الليل أن ملكا نزل من السماء فأخذ قسى أصحابه فختم عليها، ثم صعد بها إلى السماء، فاستيقظ مهموما حزينا، فدعا خاصته و قصها عليهم، و قال: إن الله، عز و جل، ليعظنا، لو أن فارس تركونى أتعظ، أ ما ترى النصر قد رفع عنا و ترى الريح مع عدونا و أنا لا نقوم لهم فى فعل و لا منطق؟.

يوم أرماث

و لما تم السكر عبروا بأثقالهم حتى نزلوا على ضفة العتيق، و لما عبر أهل فارس أخذوا مصافهم، و جلس رستم على سريره، و ضربت عليه طيارة، و عبأ فى القلب ثمانية عشر فيلا، عليها الصناديق و الرجال، و فى المجنبتين ثمانية و سبعة عليها الصناديق و الرجال، و أقام الجالينوس بينه و بين ميمنته و البيزران بينه و بين ميسرته، و بقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين و المشركين.

و أخذ المسلمون، أيضا، مصافهم، و كانت التعبئة التى تقدم بها سعد قبل انفصاله عن شراف بإذن عمر، رضى الله عنه، أن جعل على المقدمة زهرة بن الجوية، و على الميمنة عبد الله بن المعتم، و كان من أصحاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و أحد التسعة الذين قاموا عليه فتممهم طلحة بن عبيد الله عشرة فى العرافة، و على الميسرة شرحبيل بن السمط الكندى، و كان شابا قد قاتل أهل الردة على الردة، و وفى الله عز و جل، فعرف ذلك له، و على الساقة عاصم بن عمرو السعدى، و على الطلائع سواد بن مالك التميمى، و على المجردة سلمان بن ربيعة الباهلى، و على الرجال حمال بن مالك الأسدى، و على الركبان عبد الله بن ذى السهمين الخثعمى، فلما تصافوا يومئذ جعل سعد زهرة و عاصما بين عبد الله بن المعتم،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶۶

و بين شرحبيل بن السمط، و وكل صاحب الطلائع بالطرد، و خلط بين الناس فى القلب و المجنبات، و نادى مناديه: ألا إن الحسد لا يحل إلا على الاجتهاد فى أمر الله تعالى يا أيها الناس، فتحاسدوا و تغايروا على الاجتهاد.

و ذكر المدائنى أنه كان على الميمنة يوم القادسية شرحبيل بن السمط، و على الميسرة هاشم بن عتبة، و على الخيل قيس بن مكشوح، و على الرجل المغيرة بن شعبة، فالله تعالى أعلم.

و كان سعد يومئذ لا يستطيع أن يركب و لا يجلس، كان به عرق النسا و دماميل، و إنما هو على وجهه و فى صدره و سادة، و هو مكب عليها، مشرف على الناس من القصر، يرمى بالرقاع فيها أمره و نهيه إلى خالد بن عرفطة، و هو أسفل منه، و كان الصف إلى جانب القصر، و كان خالد كالخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهدا مشرفا.

و قيل: بل استخلفه على الناس لأجل شكواه، فاختلف عليه الناس، فقال سعد:

احملونى، فأشرفوا به على الناس، فارتقوا به، فأكب مطلعا عليهم، و الصف فى أصل حائط قديس، حيث كان سعد يأمر خالدا فيأمر خالد الناس، و كان ممن شغب عليه وجوه من وجوه الناس، فهم بهم سعد و شتمهم، و قال: أما و الله لو لا أن عدوكم بحضرتكم لجعلكم نكالا لغيركم فحبسهم فى القصر و قيدهم، منهم أبو محجن الثقفى.

و قال جرير يومئذ: أما أنى بايعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، على أن أسمع و أطيع لمن ولى الأمر و إن كان عبدا حبشيا.

و قال سعد: و الله لا يعود أحد بعدها يحبس المسلمين عن عدوهم و يساغبهم و هم بإزائهم إلا سننت فيه سنة يؤخذ بها من بعدى.

و ذكر المدائنى أنه أتى رستما رجل من أهل الحيرة ليلا، فقال له: أمير المسلمين وجع، و هو فى قصر العذيب مع العيال، و لو طرقته خيل لقتل لا يشعر به أصحابه، فانتخب رستم خمسمائة فارس، فوجههم، إليه، فترفعوا عن العسكرين و قطعوا الوادى، و أخذوا فى خفض من الأرض، و جاء رجل من العجم إلى المسلمين مستأمنا، فأخبرهم، فانتدب حنظلة بن الربيع الأسيدى فى خمسمائة من تحت

الليل، فسار إلى العذيب، و قال لأصحابه: إنه ليطيب نفسى أن عبد الله بن سبرة عند سعد، فانتهى إلى سعد عند طلوع الفجر و لم تصل إليهم الفرس، فأنذروه و أصبحوا فإذا الأساورة متحدرون من ناحية وادى السباع، فتلقاهم عبد الله بن سبرة الواقفى، أحد بنى حرملة بن سعد بن مالك بن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶۷

ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، فى سرعان الناس، معه عشرة فوارس و غلام له روى يقال له يزيد، كان أصابه يوم اليرموك، و اتبعهم حنظلة فى أصحابه، فقتل عبد الله بن سبرة قبل أن تتام إليه الخيل أساورين.

و قال مرة الهمدانىّ، و كان مع حنظلة: لما دنونا من معتركهم سمعنا صوتا منكرا شديدا، فقال حنظلة: صوت ابن الكندية و رب الكعبة، بعض هنات أبى قيس، فانتهينا إليهم فإذا عبد الله بن سبرة يذمر أصحابه و هو يقول لغلامه: يا يزيد ثكلتك أمك إن فاتك أحد، و قد انكسر رمحه، و هو يضربهم بعمود ما يضرب به رجلا إلا قتله، و لا دابة إلا عقرها، و إن غلامه ليذودهم عليه بالرمح، فلما غشيهم حنظلة و أصحابه انهزموا، فما تشاء أن تجد الخمسة و الستة من المسلمين يخفقون أسوارا بأسيافهم إلا وجدته، فقتل منهم ثلاثون، و يقال مائة، و أفلت الآخرون أكثرهم جريح، فرجعوا إلى رستم، فطلب الحيرى ليقتله و ظن أنه عين دس له فلم يقدر عليه، و تحول سعد فنزل مع جماعة الناس.

و فيما حكاه سيف عن رجاله «۱»: أن سعدا، رحمه الله، بعد ما تهدم على الذين اعترضوا على خالد بن عرفطة خطب من يليه يومئذ فحمد الله و أثنى عليه. و قال: إن الله و هو الحق، و قوله الحق، لا شريك له فى الملك، و ليس لقوله خلف، قال: وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ [الأنبياء: ۱۰۵]، إن هذا ميراثكم و هو موعد ربكم، و قد أباحها لكم منذ ثلاث حجج، و أنتم تطعمون منها و تأكلون، و تقتلون أهلها، و تجبونهم و تسبونهم إلى هذا اليوم، بما نال منه أصحاب الأيام منكم، و قد جاءكم منهم هذا الجمع، و أنتم وجوه العرب، و أعيانهم، و خيار كل قبيلة، و عز من وراءكم، فإن تزهدوا فى الدنيا و ترغبوا فى الآخرة يجمع الله لكم الدنيا و الآخرة، و لا يقرب ذلك أحدا إلى أجله، و أن تفشلوا و تهنوا و تضعفوا تذهب ريحكم و توبقوا آخرتكم.

و كتب سعد إلى أهل الرايات: إنى قد استخلفت عليكم خالد بن عرفطة، و ليس يمنعنى أن أكون مكانه إلا وجعى الذى كان يعودنى، و ما بى من جبون، و إنى مكب على وجهى و شخصى لكم باد، فاسمعوا له و أطيعوا، فإنه إنما يأمركم بأمرى، و يعمل برأيى. فقرئ على الناس فزادهم خيرا، فانتهوا إلى رأيه، و قبلوا منه، و تحاثوا على السمع و الطاعة، و أجمعوا على عذر سعد و الرضا بما صنع.

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۳۱، ۵۳۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶۸

قالوا: و أرسل سعد للذين انتهى إليهم رأى الناس، و الذين انتهت إليهم نجدتهم، و أصناف الفضل منهم إلى الناس، فقال: انطلقوا فقوموا فى الناس بما يحق عليكم و عليهم عند مواطن البأس، فإنكم من العرب بالمكان الذى أنتم به، و أنتم شعراء العرب و خطباؤهم و ذوو رأيهم و نجدتهم و سادتهم، فسيروا فيهم، و حرضوهم على القتال.

فساروا فيهم.

فقال قيس بن هبيرة: أيها الناس، احمدوا الله على ما هداكم له و أبلاكم يزدكم، و اذكروا آلاء الله، و ارغبوا إليه فى عادته، فإن الجنة و الغنيمة أمامكم، و إنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء، و الأرض القفر، و الظراب الخشن، و الفلوات التى لا تقطعها الأدلة.

و قال غالب بن عبد الله الليثى: أيها الناس، احمدوا الله على ما أبلاكم، و سلوه يزدكم، و ادعوه يجبكم، يا معشر معد، ما علتكم اليوم و أنتم فى حصونكم، يعنى الخيل، و من لا يعصيكم معكم، يعنى السيوف؟ فاذكروا حديث الناس فى غد، فإنه بكم غدا يبدأ، و بمن

بعدكم يثنى.

و قال ابن الهذيل الأسدى: يا معشر معد، اجعلوا حصونكم السيوف، و كروا عليهم كأسود الجم، و تربدوا إليهم تربد النمور، و ادرعوا العجاج، و ثقوا بالله تعالى و غضوا الأبصار، فإذا كلت السيوف فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه.

و قال بسر بن أبى رهم: احمدوا الله، و صدقوا قولكم بفعل، و لا تموتن إلا و أنتم مسلمون، انصروا الله ينصركم، و لا يكونن شىء بأهون عليكم من الدنيا، فإنها تأتى من تهاون بها، و لا تميلوا إليها فتهرب منكم.

و قال عاصم بن عمرو: يا معشر العرب، إنكم أعيان العرب، و قد صمدتم لأعيان العجم، إنما تخاطرون بالجنة، و يخاطرون بالدنيا، فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم. لا تحدثن اليوم أمرا تكونون به شينا على العرب غدا.

و قال ربيع السعدى: يا معشر العرب، قاتلوا للدين و الدنيا، سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران: ۱۳۳]، فإن عظم الشيطان عليكم الأمر، فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل.

و تقدم كل واحد من أولئك الذين بعثهم سعد من وجوه الناس بمثل هذا الكلام، و تواثق الناس، و تعاهدوا، و اهتاجوا لكل ما ينبغى لهم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶۹

و فعل أهل فارس، فيما بينهم، مثل ذلك، و تعاهدوا و تواصوا، و اقترنوا بالسلاسل، و كان المقترنون ثلاثين ألفا.

و قال سعد للناس: الزموا مواقفكم، لا تحركوا شيئا حتى نصلى الظهر، فإذا صليتم الظهر فإنى مكبر تكبيرة فكبروا و استعدوا، و اعلموا أن التكبير لم يعطه أحد قبلكم، و إنما أعطيتموه تأييدا، فإذا سمعتم الثانية فكبروا، و لتستتموا عدتكم، فإذا كبرت الثالثة فكبروا، و لينشط فرسانكم الناس ليبرزوا و يطاردوا، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم، و قولوا: لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.

و يروى أنه لما نادى منادى سعد بالظهر، نادى رستم: أكل عمر كبدى أحرق الله كبده علم هؤلاء حتى علموا.

و قيل: إن رستم قال نحوا من هذا عند ما نزل بين الحصن و العتيق، و قد أذن مؤذن سعد الغداة، و راى الناس يتخشخشون، فنادى فى أهل فارس: أن اركبوا، فقيل له: و لم؟

قال: أ ما ترون إلى عدوكم قد نودى فيهم فتخشخشوا لكم؟ فقال له رجل قد كان رستم بعثه قبل ذلك عينا إلى عسكر المسلمين فانغمس فيهم و عرف حالهم، و انصرف إليه: فأخبره أن ذلك تخشخشهم للصلاة. فقال رستم بالفارسية ما تفسيره: أتانى صوت عند الغداة، و إنما هو عمر الذى يعلم الكلاب العقل، فلما سمع الأذان بالصلاة قال: أكل عمر كبدى.

قالوا: و لما صلى سعد الظهر أمر غلاما كان عمر، رحمه الله، ألزمه إياه، و كان من القراء، بقراءة سورة الجهاد، و كان المسلمون كلهم إذ ذاك يتعلمونها، فقرأها على الكتيبة التى تليه، و قرئت فى كل كتيبة، فهشت قلوب الناس و عرفوا السكينة مع قراءتها.

قال مصعب بن سعد: و كانت قراءتها سنة، يقرأها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، عند الزحف، و يستقرئها، فعمل الناس بذلك.

قالوا: و لما فرغ القراء، كبر سعد فكبر الذين يلونه، و كبر بعض الناس بتكبير بعض، فتخشخش الناس، ثم ثنى فاستتم الناس، ثم ثلث فبرز أهل النجدات فأنشبوا القتال، و خرج أمثالهم من فارس، فاعتوروا الطعن و الضرب، و خرج غالب بن عبد الله الليثى و هو يقول:

قد علمت واردة المسالحذات البنان و اللبان الواضح

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۷۰ أنى سمام البطل المشايحو فارج الأمر المهم الفادح فخرج إليه هرمز، و كان من ملوك الباب، و كان متوجا، فأسره غالب أسرا، فجاء به فأدخل إلى سعد، و انصرف غالب للمطاردة.

و ذكر المدائنى أن رستم أمر هرمز فتقدم فى كتيبة، فشد عليه غالب و زهرة بن جوية، فسبق إليه غالب فى خيل فقتله.

قالوا: و خرج عاصم بن عمرو و هو يقول:

قد علمت صفراء بيضاء اللببمثل اللجين يتغشاه الذهب

أنى أمر إمرار السببمثلى على مثلك يعديه الكتب فطارد رجلا- من أهل فارس، فهرب منه و اتبعه، حتى إذا خالط صفهم و التقى بفارس معه بغل، فترك الفارس البغل، و اعتصم بأصحابه فحموه، و استاق عاصم البغل و الرحل، حتى آوى إلى الصف، و إذا الفارس خباز الملك، و إذا الذى كان معه لطف الملك:

الأخبصة و العسل المعقد، فنفل ذلك سعد أهل موقف عاصم، و بعث إليهم ليأكلوه و هم فى موقفهم.

و جال عمرو بن معدى كرب بين الصفين يحرض الناس، و يقول: إن الرجل من هذه الأعاجم إذا ألقى من فرسه فإنما هو تيس.

قال قيس بن أبى حازم: فبينا هو كذلك يحرضنا إذ خرج إليه رجل من الأعاجم، فوقف بين الصفين فرماه بنشابة فما أخطأت سية قوسه و هو متنكبها، فالتفت إليه ثم حمل عليه، فاعتنقه، ثم أخذ بمنطقته فاحتمله فوضعه بين يديه، فجاء به حتى إذا دنا منا كسر عنقه، ثم وضع سيفه على حلقه فذبحه، ثم ألقاه. و قال: هكذا فافعلوا بهم. فقلنا:

من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع؟.

و قال بعضهم: و أخذ سواريه و منطقته و يلمق ديباج كانت عليه. ثم كتبت الكتائب من هؤلاء و هؤلاء.

و ذكر المدائنى أن رستم ظاهر يومئذ بين درعين، و قرب له فرس فنزا عليه، و لم يمسه بيده، و قال: اليوم ندق العرب دقا. فقال له رجل: قل إن شاء الله. قال: إن شاء و إن لم يشأ، و قدم كتيبة عليها الدروع و المغافر و الأداة الكاملة، فدفعوا إلى جعفى، و هم حديثو عهد بالشرك، فنازلوهم فلم تحك سيوفهم فى جنبهم، فظنوا أن الحديد لا يحك فيهم،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۷۱

حتى حمل رجل منهم على أسوار فطعنه فقتله، و نادى: يا آل جعفى، السلاح تنفد فيهم فشأنكم بهم، و نحو هذا قول عمرو بن معدى كرب فى ذلك اليوم، و قد رماه رجل من أهل العجم بنشابة، فوقعت فى كتفه، و عليه درع حصينة، فلم تنفد، و حمل هو على الرجل فعانقه ثم صرعه فقتله، و قال:

أنا أبو ثور و سيفى ذو النونأضربهم ضرب غلام مجنون

يا زيد إنهم يموتون

و لم يكن عمرو و لا قومه يجهلون أن القوم يموتون، و لكنه الشعر تحسن فيه هذه المآخذ، و يملح بهذه المقاصد.

و مثله قول الآخر:

القوم أمثالكم لهم شعرفى الرأس لا ينشرون إن قتلوا و يفوق هذا كله قول الله سبحانه، و لكتابه المثل الأعلى: وَ لا تَهِنُوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً [النساء: ۱۰۴]. و قد بعدنا عما كنا بسبيله، فلنعد إليه.

قالوا: لما كتبت الكتائب بعد الطراد، و تزاحف الناس، صرفت الأعاجم فيولها نحو المسلمين، فوجهت إلى الوجه الذى فيه بجيلة ثلاثة عشر فيلا، و صفوا على سائر الناس سبعة عشر، و لما حمل أصحاب الفيلة تفرقت الكتائب، و ابذعرّت الخيل، و كادت بجيلة تؤكل، فرت خيلها نفارا، فأرسل سعد إلى بنى أسد: يا بنى أسد ذببوا على بجيلة و من لافها من الناس، فخرج طليحة بن خويلد، و حمال بن مالك الأسدى و غالب بن عبد الله و الربيل بن عمرو فى كتائبهم فباشروا الفيلة، حتى عزلها ركبانها، و إن على كل فيل يومئذ عشرين رجلا.

و قال موسى بن طريف: قام طليحة فى قومه حين استصرخهم سعد، فقال: يا عشيرتاه، إن المنوه باسمه، الموثوق به، أنتم، و إن هذا، يعنى سعدا، لو علم أن أحدا أحق بإغاثة هؤلاء منكم لاستغاثتهم، ابدءوهم الشدة، و أقدموا عليهم إقدام الليوث الحربة، فإنما سميتم أسدا لتفعلوا فعلهم، شدوا و لا تصدوا، و كروا و لا تفروا، لله در ربيعة أى فرى يفرون و أى قرن يغنون هل يوصل إلى مواقفهم فأغنوا

عن مواقفکم أعانکم الله، شدوا علیهم باسم الله. فقام المعرور بن سوید و شقیق، فشدوا و الله علیهم فما زالوا یضربونهم

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۷۲

و یطعنونهم حتی حبسنا الفیلة عنهم، و خرج إلی طلیحة عظیم منهم فبارزه، فما ألبثه طلیحة أن قتله.

قالوا: و قام الأشعث بن قیس، فقال: یا معشر کندة، لله در بنی أسد أی فری یفرون و أی هذ یهذون عن موقفهم منذ الیوم أغنی کل قوم ما یلیهم، و أنتم تنظرون من یکفیکم البأس، أشهد ما أحسنتم أسوة إخوانکم من العرب، و أنهم لیقتلون و یقتلون، و أنتم جثاة علی الرکب، فوثب إلیه منهم عشرة، فقالوا: عثر جدک إنک لتؤیسنا یا هذا، نحن أحسن الناس موقفا! فمن أین خذلنا قومنا العرب و أسأنا أسوتهم؟ فها نحن معک، فنهد و نهدوا، فأزالوا الذین بإزائهم.

و لما رأی أهل فارس ما تلقی من کتیبة بنی أسد رموهم بحدهم؛ و بدر المسلمون الشدة علیهم، و هم ینتظرون التکبیرة الرابعة من سعد، فاجتمعت حلبة فارس، فیهم ذو الحاجب و الجالینوس، علی بنی أسد و معهم تلک الفیلة، و قد ثبتوا لهم، و کبر سعد التکبیرة الرابعة، فزحف إلیهم المسلمون و رحی الحرب تدور علی بنی أسد، و حملت الفیول فی المیمنة و المیسرة علی الخیول، فکانت الخیول تحجم عنها و تحید، و ألح فرسانهم علی الرجل، و جد المقاتلة مع الفیلة، فقال بعض الأسدیین: و الله لأموتن أو لأطعنن عینی بعض هذه الفیلة، فقصد لأعظمها فیلا فقاتل حتی وصل إلیه، و علی کل فیل قوم یقاتلون، فطعن فی عین ذلک الفیل بسیفه، و ضربه سائس الفیل بعمود فهشم وجهه، و أدبر الفیل فخبط من حوله، و اشتد القتال عند فیل منها، فقال حبیش الأسدی لبشر بن أبی العوجاء الطائی: أری القتال قد اشتد عند هذا الفیل، فتبایعنی علی الموت فنحمل علی حماته فنکشفهم أو نقتل دونه. قال: نعم، فحملا فضرب حبیش رجلا- من الفرس من حماة الفیل فقتله، و دنوا من الفیل، فضرب حبیش مشفره فرمی به و ضرب الطائی ساقه فبرک الفیل، و انطوت الفرس علی بنی أسد، فقتل حبیش.

و أرسل سعد إلی عاصم بن عمرو، فقال: یا معشر بنی تمیم، أ لستم أصحاب الإبل و الخیل؟ أ ما عندکم لهذه الفیلة من حیلة، قالوا: بلی و الله، ثم نادی عاصم فی رجال من قومه رماة و أخر أهل ثقافة، فقال: یا معشر الرماة، ذبوا رکبان الفیلة عنا، و یا معشر أهل الثقافة، استدبروا الفیلة فقطعوا وضنها، و خرج یحمیهم و الرحی دائرة علی بنی أسد، و قد جالت المیمنة و المیسرة غیر بعید، و أقدم أصحاب عاصم علی الفیلة، فأخذوا بأذنابها و ذباب توابیتها فقطعوا وضنها، فما بقی لهم یومئذ فیل إلا أعری، و قتل أصحابها، و تقاتل الناس و نفس عن بنی أسد، و ردوا عنهم الفرس إلی مواقفهم، فاقتتلوا حتی غربت

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۷۳

الشمس. ثم حتی ذهبت هدأة من اللیل، ثم رجع هؤلاء و هؤلاء، و أصیب من بنی أسد تلک العشیة خمسمائة، و کانوا ردءا للناس، و کان عاصم عادیة الناس و حامیتهم، فهذا یوم القادسیة الأول، و هو یوم أرماث.

و قال عاصم بن عمرو التمیمی فی ذلک:

أ لم یأتیک و الأنباء تسری بما لاقیت فی یوم النزال

و لما أن تزایل مقرفوهم عصینا القوم بالأسل الطوال

و عریت الفیول من التوابی و عطلت الخیول من الرجال

و لو لا ذبنا عمن یلینا للج الجمع فی فعل الضلال

حمینا یوم أرماث حمانا و بعض القوم أولی بالحمال و قال عمرو بن ساس الأسدی:

فلا و أبیک لا ینفک فینا من السادات حظ ما بقینا

أ لسنا المانحین لدی قدیس جموع الفرس مرداة طحونا

و لسنا مثل من لا طرق فیه و لکن غثنا یلفی سمینا

و نحن إذا یریح اللیل أمرایهم الناس عصمة من یلینا

و مرقصة منعناها إذا مارأت دون المحافظة التقینا

نذکرها إذا ولهت بنیهاو نحمیها إذا نحمی بنینا

إذا افترش النواحی بالنواحیو کان القوم فی الأبدان جونا

إذا ثار الغبار کأن فیهإذا اصطفت عجاجته طحینا

و قد علمت بنو أسد بأنانضارب بالسیوف إذا غشینا

و نحن فوارس الهیجا إذا مارأیت الخیل مسندة عرینا و ذکر المدائنی خبر هذا الیوم، و قد أورد کثیرا مما أورده، فی تضاعیف الأخبار المتقدمة و فی بعض ما ذکره أن المسلمین هم الذین عبروا إلی الفرس، خلافا لما تقدم ذکره: أنه لما عزم الفریقان علی اللقاء أرسل سعد إلی جریر و المغیرة و حنظلة، فقال:

إنکم قد أصبحتم فی دار قد أذل الله لکم أهلها، فأنتم تطئونهم منذ سنین، و قد أتوکم فی جمع لا أظنهم یریدون أن یزایلوکم حتی یفصل بینکم، و لستم و هم سواء فی دنیا تقاتلون عنها، و قد خلفوا مثلها، فإن فروا فروا إلی مثلها و أنتم تقاتلون عن دینکم، فإن فررتم فررتم عنه إلی فیافی لا خیر فیها، و أنتم غرر قومکم، إنکم إن ظهرتم علیهم کان لکم أبناؤهم و نساؤهم، و إن تواکلتم لم یبقوا منکم باقیة مخافة أن تعودوا علیهم،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۷۴

و الأرض من وراءکم قفر بسابس، لیس لکم فیها معقل و لا ملجأ، فاتقوا الله و اصبروا، و حضوا المسلمین و واسوهم و تنجزوا موعود الله، فإنه قال: وَ لَقَدْ کَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّکْرِ أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصَّالِحُونَ [الأنبیاء: ۱۰۵]، و قد ولیت الحرب خالد بن عرفطة، فالزموا السمع و الطاعة، و لا تهنوا و لا تفشلوا فتذهب ریحکم، فخرجوا من عند سعد و قد استعد المشرکون لقتالهم، و هم وقوف یهابون العبور و الإقدام، فأرسل سعد إلی الناس: لا تعبروا حتی آذن لکم، و قد أخذ الناس العدة للقتال، فوقفوا ینتظرون الإذن من سعد، و حض رؤساء القبائل عشائرهم، فلما طال وقوفهم و لم یأتهم إذن سعد، قال جریر بن عبد الله: أیها الناس، ما تنتظرون، أ ما تریدون أن تقاتلوهم إن لم یقاتلوکم، و عبر النهر فی بجیلة، فقال قیس بن مکشوح: یا معشر مذحج، قد تقدمکم إخوانکم فسابقوهم، فو الله لا یسبق أحد الیوم إلا أعطاه الله غدا علی قدر سبقه فی الدنیا، و عبر قیس، و عبر بعده عمرو بن معدی کرب، و قال زهرة بن جویة: یا بنی تمیم، ما تنتظرون و قد مضی إخوانکم، و عبروا، و اتبع الناس بعضهم بعضا. فقال سعد: اللهم إنهم عبروا و لم یستأمرونی فاقض لهم بالنصر، فصف المسلمون، علی میمنتهم شرحبیل بن السمط، و علی میسرتهم هاشم بن عتبة، و علی الخیل قیس بن مکشوح، و علی الرجالة المغیرة بن شعبة، و المسلمون عشرة آلاف، و یقال ما بین السبعة آلاف إلی الثمانیة، عامة جثهم براذع الرحال، قد عرضوا فیها الجرید یتسترون بها، و علی رءوسهم أنساع الرجال، یطوی الرجل نسعة رحله علی رأسه، و المشرکون ستون ألفا، و قیل أکثر.

و ظاهر رستم بین درعین، و قدم کتیبة علیهم الدروع و المغافر و الأداة الکاملة، فدفعوا إلی جعفی، و قد تقدم خبرهم، و أخرج رستم بعد ذلک کتیبة فیها الجالینوس، فتقدم و قد اعتصب بعصابة دیباج، معه ترس مذهب، فتلقاه طلیحة، و اختلفا ضربتین، فوقعت ضربة الجالینوس فی جحفة طلیحة، و وقع سیف طلیحة فی رأس الجالینوس، فهشم البیضة و ندرت عن رأسه و قد جرحه، فولوا منهزمین إلی رستم، فعظموا أمر العرب لیعذرهم، و أخذ طلیحة البیضة فنفلها، فکانت قیمتها أربعمائة مثقال، و أقبل قیس بن مکشوح، یومئذ، فوقف علی المغیرة فقال: ما رأیت کالیوم عدیدا و لا حدیدا، فقال المغیرة: إن هذا زبد من زبد الشیطان، و الله جاعل بعضه علی بعض، و حض المغیرة الناس و قال: إن الکلام عند القتال فشل، فالزموا الصمت، و لا یزولن أحد منکم عن مرکزه، فإذا حرکت رایتی فاحملوا، فقال له رجل: ما تنتظر؟ قال: اجلس، فقال رجل من بنی

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۷۵

مجاشع: الله أکبر، إنی لأری الأرض من خلل صفهم، فکبروا و احملوا، فقال له المغیرة:

اجلس، و أقبل المغیرة علی قیس بن مکشوح فقال: احمل یا قیس فإنی حامل، و نکبنی خیلک، لا أعرفنک إذا غلبت رجالی فیهم إن تجاوزها خیلک، فإذا عضک السلاح رددتها علی أعقابها فی وجوه رجالی، فیکون أشد علیهم من عدوهم، و هز المغیرة رایته، و حمل، و اتبعه قیس، فما وصلوا کتیبته حتی رجع فیهم طعنتین، فقال طلیحة: یا بنی أسد، ما تستحیون، الناس یقاتلون و أنتم وقوف، فحمل فقالت امرأة من بنی أسد لبنیها و هم أربعة: یا بنی، و الله ما نبت بکم دار و لا أفحمتکم سنة، و لقد أسلمتم طائعین، و هاجرتم راغبین، و جئتم بأمکم عجوزا کبیرة فوضعتموها بین یدی أهل فارس، فقاتلوا عن دینکم و أمکم، فو الله إنکم لبنو رجل واحد، کما أنکم بنو امرأة واحدة، فاشهدوا أشد القتال، فحملوا، فقالت: اللهم احفظ فیّ بنی.

و روی الشعبی أن هذه المرأة کانت من النخع، و ذکر حدیثها بنحو ما تقدم إلی قولها: کما أنکم بنو امرأة واحدة، و زاد هاهنا: ما خنت أباکم، و لا فضحت خالکم، انطلقوا فاشهدوا أول القتال و آخره، فأقبلوا یشتدون، فلما غابوا عنها رفعت یدیها إلی السماء و هی تقول: اللهم ادفع عن بنی، فرجعوا إلیها و قد أحسنوا القتال، فما کلم رجل منهم کلما.

قال الشعبی: فرأیتهم بعد ذلک یأخذون ألفین ألفین من العطاء، فیأتون أمهم فیلقونه فی حجرها، فترده علیهم، و تقسمه فیهم علی ما یصلحهم.

و قد ذکر الزبیر بن بکار نحو هذا عن الخنساء بنت عمرو بن الشرید السلمیة فی بنین لها أربعة شهدت معهم حرب القادسیة، فقالت لهم من أول اللیل: یا بنی، إنکم أسلمتم طائعین، و هاجرتم مختارین، و ذکرت من صونها لنسبهم نحو ما ذکر قبل، ثم قالت لهم:

و قد تعلمون ما أعد الله للمسلمین من الثواب الجزیل فی حرب الکافرین، و اعلموا أن الدار الباقیة خیر من الدار الفانیة، فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمین فاغدوا إلی قتال عدوکم مستبصرین، و بالله علی أعدائه مستنصرین، فإذا رأیتم الحرب قد شمرت عن ساقها و اضطرمت لظاها علی سباقها و جللت نارا علی أرواقها، فتیمموا وطیسها، و جالدوا رئیسها عند احتدام حمیسها «۱»، تظفروا بالغنم و الکرامة فی دار الخلد و المقامة، فخرج بنوها قابلین لنصحها، فلما أضاء لهم الصبح باکروا مراکزهم، و أنشأ أولهم یقول:

---

(۱) الحمیس: أی التنور.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۷۶ یا إخوتی إن العجوز الناصحهقد نصحتنا إذ دعتنا البارحه

مقالة ذات بیان واضحهفباکروا الحرب الضروس الکالحة

و إنما تلقون عند الصالحةمن آل ساسان کلابا نابحه

قد أیقنوا منکم بوقع الجائحهو أنتم بین حیاة صالحه

أو موتة تورث غنما رابحه

و تقدم فقاتل حتی قتل، رحمه الله، ثم حمل الثانی و هو یقول:

إن العجوز ذات حزم و جلدو النظر الأوفق و الرأی السدد

قد أمرتنا بالسداد و الرشدنصیحة منها و برا بالولد

فباکروا الحرب حماة فی العددإما لفوز بارد علی الکبد

أو میتة تورثکم عز الأبدفی جنة الفردوس و العیش الرغد فقاتل حتی استشهد، رحمه الله، ثم حمل الثالث و هو یقول:

و الله لا نعصی العجوز حرفاقد أمرتنا حدبا و عطفا

نصحا و برا صادقا و لطفافبادروا الحرب الضروس زحفا

حتى تلفوا آل كسرى لفّاو تكشفوهم عن حمالكم كشفا فقاتل حتى استشهد، رحمه الله، و حمل الرابع و هو يقول:

لست لخنساء و لا لاخزمو لا لعمر و ذى السناء الأقدم

إن لم أرد فى الجيش جيش العجمماض على الهول خضم خضرم

إما لفوز عاجل و مغنمأو لوفاة فى السبيل الأكرم فقاتل حتى قتل، رحمة الله عليه و على إخوته، فبلغ الخبر أمهم، فقالت: الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، و أرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته، فكان عمر، رضى الله عنه، يعطى الخنساء بعد ذلك أرزاق أولادها الأربعة، لكل واحد مائتى درهم، حتى قبض، رحمه الله.

فهذا ما ذكره الزبير بن بكار، و الذى قبله ذكره المدائنى، رحمهما الله، و لعل الخبرين صحيحان، و الله أعلم أى ذلك كان. ثم ذكر المدائنى، بعد، من حسن بلاء بنى أسد و انطواء الفرس عليهم فى مجال الفيلة ما قد ذكرناه قبل فى موضعه.

و ذكر، أيضا، أن الأشعث بن قيس قال عند ما اشتد قتالهم: لله در بنى أسد، أى فرى يفرون، و أنتم تنظرون، يا معشر كندة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۷۷

و قال زهرة بن جوية: يا بنى تميم، قد صبر إخوانكم من بنى أسد، و أحسنوا فذودوا عنهم الفيلة و حماتها، فحمل زهرة فى بنى تميم، و جرير فى بجيلة، فكشفوا المشركين عن بنى أسد، و قد استشهد منهم خمسون رجلا، و تحاجزوا قريبا من العصر، فجمعوا بين الصلاتين ثم عاودوا القتال مطاردة و مشاولة حتى غابت الشمس.

و التقى حنظلة بن الربيع الأسيدى ذو الحاجب فاختلفا طعنتين، فصارا جميعا إلى الأرض، فضرب حنظلة ذا الحاجب على رأسه فصرعه، فحامت عنه الأساورة، حتى ركب، و حامى عن حنظلة القعقاع بن عمرو، أحد بنى يربوع، و ذريح، أحد بنى تيم اللات، حتى ركب، فقال ذريح:

لما رأيت الخيل شك نحورهارماح و نشاب صبرت جناحا

على الموت حتى أنزل الله نصرهو ود جناح لو قضى فأراحا

كأن سيوف الهند حول لبانهبوارق غيث من تهامة لاحا قال: و أصيبت يومئذ عين المغيرة بن شعبة، و تحاجزوا حين أمسوا، فرجع المسلمون إلى عسكرهم، و رجع رستم إلى عسكره. هذا ما ذكره المدائنى.

و يقال: إن القعقاع لم يشهد يوم أرماث هذا، و إنما قدم من الشام بعد انقضائه، فشهد سائر الأيام و أبلى فيها، و سيأتى ذكر ذلك إن شاء الله.

و ذكر سيف عن بعض رجاله أن سعدا كان قد تزوج سلمى بنت خصيفة، امرأة المثنى بن حارثة، كما تقدم، فنزل بها القادسية، فلما كان يوم أرماث، و جال الناس، جعل سعد يتململ و يجول فوق القصر، و كان لا يطيق جلوسا إلا على بطنه، فلما رأت سلمى ما يصنع أهل فارس قالت: وا مثنياه و لا مثنى للخيل اليوم، و هى عند رجل قد أضجر ما يرى من أصحابه و من نفسه، فلطم وجهها، و قال: أين المثنى من هذه الكتيبة التى تدور عليها الرحى!، يعنى أسدا، و عاصما، فقالت: أ غيرة و جبنا؟ قال: و الله لا يعذرنى أحد اليوم إذا أنت لم تعذرينى و أنت ترين ما بى، فالناس أحق ألا يعذرونى!.

فلما ظهر المسلمون لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه، و كان غير جبان و لا ملوم، رضى الله عنه.

و كانت القادسية فى شوال سنة خمس عشرة، و ابتداء أيامها يوم الاثنين لثلاث ليال خلون من شوال أو لأيام بقين منه، و قيل كانت فى المحرم سنة أربع عشرة، و الأول أصح و أولى بالصواب إن شاء الله تعالى.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۷۸

ذكر اليوم الثانى من أيام القادسية، و هو يوم أغواث

قالوا «۱»: و لما أصبح الناس من الغد، یعنون الغد من یوم أرماث، أصبحوا علی تعبئة، و قد و کل سعد رجالا بنقل الشهداء إلی العذیب و نقل الرثیث. فأما الرثیث فأسلموا إلی النساء یقمن علیهم حتی یقضی الله فیهم قضاءه، و أما الشهداء فلیدفنوهم هنالک علی مشرق، واد بین العذیب و بین عین شمس فی عدوتیه جمیعا، و فی ذلک یقول سعد، رحمه الله:

جزی الله أقواما بجنب مشرق غداة دعا الرحمن من کان داعیا

جنانا من الفردوس و المنزل الذی یحل به ذو الخیر ما کان باقیا و انتظر الناس بالقتال حمل الرثیث و الأموال، فلما استقلت بهم الإبل موجهة نحو العذیب طلعت علیهم نواصی الخیل من نحو الشأم، و کان عمر، رضی الله عنه، قد أمر أبا عبیدة بن الجراح لما انقضی شأن الیرموک و فتح دمشق بصرف أهل العراق أصحاب خالد الذین قدم بهم علیه إلی العراق، و لم یذکر له عمر خالدا، فضن أبو عبیدة بخالد فحبسه، و قد قیل إن عمر أمر بحبسه، فأمسکه و سرح الجیش و هم ستة آلاف، ألف من أبناء العرب من أهل الحجاز، و سائرهم من ربیعة و مضر، و أمر علیهم هاشم بن عتبة بن أبی وقاص «۲»، و علی مقدمته القعقاع بن عمرو، أی التمیمی، فجعله أمامه، و جعل علی إحدی مجنبتیه قیس بن مکشوح المرادی «۳»، و لم یکن شهد الأیام، و إنما أتاهم و هم بالیرموک حین صرف أهل العراق فصرف معهم، و علی المجنبة الأخری الهزهاز بن عدی العجلی، فطوی القعقاع و تعجل، فقدم علی الناس صبیحة یوم أغواث، و قد عهد إلی أصحابه أن ینقطعوا أعشارا، و هم ألف، فکلما بلغ عشرة مد البصر سرح فی آثارهم عشرة، و تقدم هو فی عشرة، فأتی الناس فسلم علیهم، و بشرهم بالجنود، و قال: یا أیها الناس، إنی قد جئتکم فی قوم، و الله لو کانوا بمکانکم، ثم أحسوکم لحسدوکم حظوتها، و حاولوا أن یطیروا بها دونکم، فاصنعوا کما أصنع، فتقدم ثم نادی: من یبارز؟ فسکن الناس إلیه، و قالوا لقول أبی بکر الصدیق، رضی الله عنه: لا یهزم جیش

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۴۲).

(۲) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۸۹۳۴)، أسد الغابة ترجمة رقم (۵۳۲۸)، العبر (۱/ ۳۹)، طبقات خلیفة (۸۳۱)، مروج الذهب (۳/ ۱۳۰)، تاریخ بغداد (۱/ ۱۹۶)، مرآة الجنان (۱/ ۱۰۱)، العقد الثمین (۷/ ۳۵۹)، شذرات الذهب (۱/ ۴۶).

(۳) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۷۳۲۹)، طبقات ابن سعد (۵/ ۵۲۵)، المحبر (۲۶۱)، معجم الشعراء (۱۹۸)، تهذیب الأسماء و اللغات (۲/ ۶۴)، شذرات الذهب (۱/ ۴۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۷۹

فیهم مثل القعقاع، فخرج إلیه ذو الحاجب، فقال له القعقاع: من أنت؟ فقال: أنا بهمن جاذویه، فنادی: یا لثارات أبی عبید و سلیط و أصحاب یوم الجسر. فاجتلدا، فقتله القعقاع، و جعلت خیله ترد قطعا، و ما زالت ترد إلی اللیل و تنشط الناس، و کأن لم تکن بالناس مصیبة، کأنما استقبلوا قتالهم بقتل الحاجبی و بلحاق القطع، و انکسرت الأعاجم لذلک.

و کان أول القتال قبل أن یقدم القعقاع المطاردة، فلما قدم قال: أیها الناس اصنعوا کما أصنع، فنادی: من یبارز؟ فبرز له ذو الحاجب فقتله، و آخر فقتله، و خرج الناس من کل ناحیة، و بدأ الضرب و الطعان، و نادی القعقاع، أیضا: من یبارز؟ فخرج إلیه رجلان، أحدهما البیزران و الآخر البندوان، فانضم إلی القعقاع الحارث بن ظبیان، أحد بنی تیم اللات، فبارز القعقاع البیزران، فضربه فأذری رأسه، و بارز ابن ظبیان البندوان، فضربه فأذری رأسه، و حمل بنو عم القعقاع، یومئذ، عشرة عشرة من الرجال، علی إبل قد ألبسوها، فهی مجللة مبرقعة، و أطافت بهم خیولهم، و أمروا أن تحمل تلک الإبل علی خیل الفرس یشبهون بالفیلة التی أرسلت علیهم الفرس بالأمس، فجعلت تلک الإبل لا تصمد لقلیل و لا لکثیر إلا نفرت بهم خیلهم، و رکبتهم خیول المسلمین. فاستنوا بهم، فلقی أهل فارس من الإبل یوم أغواث أعظم مما لقی المسلمون من الفیلة یوم أرماث.

و لم یقاتلوا فی هذا الیوم علی فیل، کانت توابیتها قد تکسرت بالأمس، و استأنفوا علاجها حین أصبحوا فلم ترتفع حتی کان من الغد،

و لم یر أهل فارس فی هذا الیوم شیئا یعجبهم، و أکثر المسلمون فیهم القتل.

و قالوا: قتل القعقاع یوم أغواث ثلاثین جملة، کلما حمل حملة قتل فیها، و آزر القعقاع، یومئذ، ثلاثة من بنی یربوع، و جعل القعقاع کلما طلعت قطعة کبر و کبر المسلمون و یحمل و یحملون، و قدم ذلک الیوم رسول لعمر، رضی الله عنه، بأربعة أفراس، و أربعة أسیاف لیقسمها سعد فیمن انتهی إلیه البلاء، إن کان لقی حربا، فدعا حمال بن مالک و الرفیل بن عمرو بن ربیعة الوالبیین و طلیحة بن خویلد الفقعسی «۱»، و کلهم من بنی أسد، و عاصم بن عمرو التمیمی «۲»، فأعطاهم الأسیاف، و دعا القعقاع بن عمرو

---

(۱) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۴۳۰۹)، تاریخ خلیفة (۱۰۲، ۱۰۳، ۱۰۴)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۶۴۱)، تهذیب الأسماء و اللغات (۱/ ۲۵۴، ۲۵۵)، دول الإسلام (۱/ ۱۷)، تاریخ الإسلام (۲/ ۴۱)، العبر (۱/ ۲۶)، شذرات الذهب (۱/ ۳۲).

(۲) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۴۳۷۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۸۰

التمیمی و الیربوعیین و هم: نعیم بن عمرو بن عتبان و عتاب بن نعیم بن عتاب، و عمرو ابن شبیب بن زنباع، أحد بنی زید، فحملهم علی الأفراس، فأصاب ثلاثة من بنی یربوع ثلاثة أرباعها، و أصاب ثلاثة من بنی أسد ثلاثة أرباع السیوف، فقال الرفیل فی قطعة یذکر السیوف:

لقد علم الأقوام أنی أحقهمإذا حصلوا بالمرهفات البواتر و قال القعقاع فی شأن الخیل:

و لم تعرف الخیل العرب سواءناعشیة أغواث بجنب القوادس و ذکر المدائنی حرب هذا الیوم فخالف بعض ما تقدم، و قال: إن الناس لما أصبحوا غداة الثلاثاء عبر رستم إلی المسلمین بجنوده و فیلته من حین طلعت الشمس إلی قریب من نصف النهار، و أخذوا عدة الحرب، و صافهم المسلمون، و علی المیمنة عبد الله بن المعتم، و علی المیسرة هاشم بن عتبة، و علی الخیل المغیرة بن شعبة، و علی الرجالة سلمة بن حدیم، فقال سعد بن عبید الأنصاری: یا أیها الناس، إن الدنیا دار زوال و فتنة، و أنتم منقلبون إلی دار الجزاء، فلا یکونن شیء أحب إلیکم من فراقها، فإن ما عند الله خیر للأبرار، و تقدم أمام الناس، فبرز له شهریار السجستانی، فقتل کل واحد منهما صاحبه، ثم طاردت الفرسان و اقتتلوا حتی زالت الشمس، و تحاجزوا، و صلی المسلمون ثم عادوا إلی مصافهم، فنصل من عسکر المشرکین رجل یسأل المبارزة، فبرز له زهرة بن جویة فقتله، و حمل فوارس من المشرکین علی زهرة فعقروا به، و ندر سیفه من یده، فقاتلهم راجلا یحثو فی وجوههم التراب حتی توافت إلیه خیل المسلمین، فکشفوهم عنه، و قد ذهبوا بسیفه، فقال:

فإن تأخذوا سیفی فإنی محربخروج من الغماء محتضر النصر

و إنی لحام من وراء عشیرتیأطاعن فیهم بالمثقفة السمر و قد روی غیر المدائنی هذا الشعر و الخبر للأعرف بن الأعلم العقلی فی هذا الیوم.

و قال عمرو بن معدی کرب لقومه: یا بنی زبید، إنی مخالط الجمع، فانظرونی قدر نحر جزور و تعسیرها، ثم اطلبونی، فإنکم تجدونی و سیفی فی یدی أقاتل به قدما لا- أزول، و فی روایة: فإن تأخرتم عنی فقد فقدتم أبا ثور، و أین لکم مثل أبی ثور، و حمل حتی خالطهم، فستره الغبار، فقال بعض الزبیدیین: أیا بنی زبید، علام- تدعون صاحبکم و قد توسط جمع المشرکین، و الله ما أری أن تدرکوه حیا، و إن فقدتموه فقد المسلمون

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۸۱

فارسهم، فحملوا و حمل الناس حملة واحدة فانتهوا إلیه و قد رمی فرسه بنشابة فسب فصرعه و عار، و أخر عمرا عنه المشرکون، و ذلک بعد ما طعنوه، و إن سیفه لفی یده یضاربهم به.

فلما رأی أصحابه أخذ برجل فرس أسوار فاحتبسه، و إن الفارسی لیضرب فرسه فما یتحرک، فلما غشیه الجمع رمی بنفسه و خلا فرسه

فركبه عمرو، و قال: أنا أبو ثور كدتم تفقدوننى، و ثبت عمرو يقاتل فارسا و راجلا، إذا قاتل راجلا شد مقود فرسه فى وسطه و قاتل.

و تزاحف الناس فقال رجل من المسلمين لرجل من الأنصار: أعرنى ترسك، قال: ما بى عنه غنى، و لكن أى أتراس العجم تريد أتيتك به إن شاء الله، فأشار له إلى ترس مذهب، فحمل فلم يزل يقاتل حتى خلص إلى صاحب الترس فقتله و استلب ترسه، فأتى به صاحبه، فقال: دونك.

و صار الناس إلى السيوف، فقاتلوا حتى اعتموا و تحاجزوا عند العتمة عن قتلى و جرحى كثير فى الفريقين، و قتل يومئذ رجل من طيئ يكنى أبا كعب رجلا من المشركين، و أخذ قلنسوته فلبسها، و أقبل يعدو به فرسه و هو يقاتل، فنظر إليه رجل من بجيلة يقال له مضرس، و هو يقاتل، فظن أنه من الفرس فطعنه، فقال: بسم الله، قتلتنى، فقال مضرس: إنا لله و عانقه، فقال: غفر الله لك يا أخى، فبكى مضرس و احتمل أبو كعب، فقال سعد: الشهادة لا تقاد، و لا كل ميتة مظنون غيرها، و لكن من أحب أخذ الدية، فكان مضرس يأتيه يعوده فيبكى حتى تبل دموعه لحيته، و يقول أبو كعب: غفر الله لك يا أخى.

و قال أبو كعب:

لعمرى لقد ثارت رماح مضرس بعلج هوى فى الصف من آل فارس ثم مات أبو كعب بعد أيام من تلك الطعنة، و صفح وليه عن الدية.

و يروى أنه عرض مثل هذا بعينه لرجل آخر من طيئ، أيضا، يقال له: بجير بن عميرة، و كان أحمر شبيها بالعجم، فاستلب رجلا من أهل فارس رايته فأقبل بها، فبصر به رجل من كندة يدعى فروة، فحمل عليه فطعنه، فأصاب مقتله، فنادى بجير: بسم الله، فاعتنقه فروة، فأتيا سعدا فقال لهما: إن الشهادة لا ثواب لها فى الدنيا، و لكن كفوا العجلات.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۸۲

و خرج يومئذ رجل من أهل فارس ينادى: من يبارز، فبرز له علباء بن جحش العجلى، فبعجه علباء، فأصاب سحره، و بعج الفارسى علباء فخرق أمعاءه، و خرا جميعا، فأما الفارسى فمات من ساعته، و أما الآخر فانتثرت أمعاؤه، فلم يستطع القيام، فعالج ادخالها فلم يتأت له حتى مر به رجل من المسلمين فقال له: يا هذا أعنى على بطنى، فأدخله له، فأخذ بصفاقيه ثم زحف نحو صف فارس ما يلتفت إلى المسلمين، فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعا من مصرعه إلى صف فارس. فقال:

أرجو بها من ربنا الثواباقد كنت ممن يحسن الضرابا قالوا «۱»: و قاتلت الفرسان يوم الكتائب فيما بين أن أصبحوا إلى انتصاف الليل، فكانت ليلة أرماث تدعى ليلة الهدأة، و ليلة أغواث تدعى ليلة السواد، و النصف الأول يدعى السواد، ثم لم يزل المسلمون يرون فى يوم أغواث الظفر على فارس، و قتلوا فيه عامة أعلامهم، و جالت فيه خيل القلب، و ثبت رجلهم، فلو لا أن خيلهم كرت أخذ رستم أخذا، فلما ذهب السواد تفايأ الناس و باتوا على مثل ما بات القوم عليه ليلة أرماث، و لم يزل المسلمون ينتمون لدن أمسوا إلى أن تفايئوا.

فلما أمسى سعد و سمع ذلك نام، و قال لبعض من عنده: إن تم الناس على الانتماء فلا توقظونى، فإنهم أقوياء على عدوهم، و إن سكتوا و لم ينتم الآخرون فلا توقظونى، فإنهم على التساوى، فإن سمعتم ينتمون فأيقظنى، فإنما انتماؤهم من السوء.

قالوا «۲»: و لما اشتد القتال بالسواد، و كان أبو محجن قد حبس و قيد، فهو فى القصر، صعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه و يستقيله، فزبره سعد و رده فنزل، و أتى سلمى بنت خصفة، فقال لها: يا بنت خصفة، هل لك إلى خير؟ قالت: و ما ذاك؟ قال: تخلين عنى و تعيرننى البلقاء، فالله علىّ إن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى فى قيدى، و إن أصبت و خشيت هذا فما أكثر من يفلت و يجرب صاحبه. فقالت: و ما أنا و ذاك فرجع يرسف فى قيوده و يقول:

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقناو أترك مشدودا علىّ وثاقيا

إذا قمت عنانى الحديد و أغلقت مصاريع من دونى تصم المناديا

و قد كنت ذا مال كثير و إخوةفقد تركونى واحدا لا أخا ليا

---

(١) انظر: الطبرى (٣/ ٥٤۶، ٥٤٧).

(٢) انظر: الطبرى (٣/ ٥٤٨- ٥٥٠).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٤٨٣ و لله عهد لا أخيس بعهدهلئن فرجت أن لا أزور الحوانيا «١» فقالت سلمى: إنى استخرت الله و رضيت بعهدك، فأطلقته، و قالت: أما الفرس فلا أعيرها، و رجعت إلى بيتها، فاقتاد أبو محجن الفرس فأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق فركبها، قيل بسرجها، و قيل: عريا، ثم ذبب عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه و سلاحه بين الصفين، ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة، فكبر و حمل على ميمنة القوم، يلعب بين الصفين برمحه و سلاحه، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فبرز أمام الناس، فحمل على القوم يلعب بين الصفين برمحه و سلاحه، و كان يقصف الناس ليلتئذ قصفا منكرا و يعجب الناس منه و هم لا يعرفونه و لم يروه من النهار، فقال بعضهم: أوائل أصحاب هاشم بن عتبة أو هاشم نفسه. و جعل سعد يقول و هو مشرف على الناس مكب من فوق القصر: و الله لو لا محبس أبى محجن الثقفى لقلت: إن هذا أبو محجن و هذه البلقاء. و قال بعض الناس: إن كان الخضر يشهد الحروب فنظن أن صاحب البلقاء الخضر، و قال آخرون: و الله لو لا أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا: ملك بيننا، و لا يذكر الناس أبا محجن و لا يأبهون له، لمبيته فى محبسه، فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس و تراجع المسلمون، و أقبل أبو محجن حتى دخل من حيث خرج، فوضع عن نفسه و عن دابته، و أعاد رجله فى قيده، و قال:

لقد علمت ثقيف غير فخربأنا نحن أكثرهم سيوفا

و أكثرهم دروعا سابغاتو أصبرهم إذا كرهوا الوقوفا

و أنا وفدهم فى كل يومفإن عيوا فسل بهم عروفا

و ليلة قادس لم يشعروا بى‌و لم أشعر بمخرجى الزحوفا

فإن أحبس فذلكم بلائى‌و إن ترك أذيقهم الحتوفا فقالت له سلمى: فى أى شىء حبسك هذا الرجل؟ قال: أما و الله ما حبسنى لحرام أكلته و لا شربته، و لكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية، و أنا امرؤ شاعر يدب الشعر فى لسانى، و ينبعث على شفتى، فيساء لذلك ثنائى، فعلى ذلك حبسنى. قلت:

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمةتروى عظامى بعد موتى عروقها

و لا تدفننى بالفلاة فإننى‌أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

---

(١) انظر الأبيات فى: الأغانى للأصفهانى (٢١/ ١٣٩، ١٤٠)، مروج الذهب للمسعودى (١/ ٥٢٨- ٥٣٠)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (٢/ ٣٣٠).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٤٨٤

و لم تزل سلمى مغاضبة لسعد عشية أرماث، و ليلة السواد، حتى إذا أصبحت أتته فصالحته و أخبرته خبرها و خبر أبى محجن، فدعا به فأطلقه، و قال: اذهب فما أنا بمؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله، قال: لا جرم، و الله لا أجيب لسانى إلى صفة قبيح أبدا.

حديث يوم عماس، و هو اليوم الثالث من أيام القادسية

قالوا «١»: و أصبح المسلمون من اليوم الثالث، و هم على مواقفهم، و أصبحت الأعاجم كذلك، و بين هؤلاء و هؤلاء قدر ميل فى عرض ما بين الصفين، و قد قتل من المسلمين ألفان بين رثيث و ميت، و من المشركين عشرة آلاف. و قال سعد: من شاء غسل الشهيد

الميت و الرثيث، و من شاء فليدفنهم بدمائهم، و جعلهم المسلمون وراء ظهورهم، و أقبل الذين يحملونهم إلى القبور، يتبعون القتلى و يبلغون الرثيث إلى النساء، و كان النساء و الصبيان يحفرون المقابر فى اليومين: يوم أرماث و يوم أغواث، بعدوتى مشرق، و كان فى الطريق أصل نخلة بين القادسية و العذيب، ليس بينهما يومئذ نخلة غيرها، فكان الرثيث إذا انتهى بهم إليها و أحدهم يعقل سألهم أن يقفوا به تحتها يستروح إلى ظلها، فمر حاجب بن يزيد، و كان على الشهداء بتلك النخلة مع بعض الشهداء بتلك النخلة مع بعض الشهداء و ولاتهم، و رجل من الجرحى من طيئ يدعى يقول و هو مستظل بظلها:

ألا يا اسلمى يا نخلة بين قادس و بين العذيب لا يجاورك النخل و آخر من بنى ضبة أو من بنى ثور يدعى غيلان، و هو يقول:

ألا ـ يا اسلمى يا نخلة فوق جرعة يجاورك الجمان و الرمث و الرغل قالوا «۲»: و بات القعقاع ليلته كلها يسرب أصحابه إلى المكان الذى فارقهم فيه بالأمس، ثم قال: إذا طلعت لكم الشمس، فأقبلوا مائة مائة، و كلما توارت عنكم مائة فليتبعها مائة، فإن جاء هاشم فذاك و إلا جددتم للناس رجاء وجدا، ففعلوا، و لا يشعر بذلك أحد، و كان مكانهم مما صنع الله للمسلمين، فلما ذر قرن الشمس و القعقاع يلاحظ الخيل، طلعت نواصيها، فكبر و كبر الناس، و قالوا: جاء المدد.

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۵۰).

(۲) انظر: الطبرى (۳/ ۵۵۱، ۵۵۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۸۵

و قد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها، فجاءوا من قبل خفان، فتقدم الفرسان و تكتبت الكتائب، فاختلف الطعن و الضرب، و مدد المسلمين متتابع، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم، و قد طوى فى سبعمائة، فأخبروه برأى القعقاع و ما صنع فى يومه، فعبأ أصحابه سبعين سبعين، فلما نجز آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم فى سبعين معه، فيهم قيس بن هبيرة المرادى، و هو ابن المكشوح، فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب، كبر و كبر المسلمون، و قد أخذوا مصافهم، و قال هاشم:

أول القتال المطاردة ثم المراماة، فأخذ قوسه، فوضع سهما ثم نزع فرفعت فرسه رأسها، فخل أذنيها، فضحك و قال: وا سوأتاه من رمية رجل ينتظره كل من رآه، أين ترون سهمى كان بالغا؟ فقيل: العتيق. فنزقها و قد نزع السهم عن أذنيها، ثم ضربها حتى وقفت على العتيق، ثم ضربها فأقبلت تخرقهم حتى عاد إلى موقفه، و قيل: إنه نزل عن فرسه و فعل ذلك راجلا، فالله أعلم.

و ما زالت مقانبه تطلع و قد بات المشركون فى علاج توابيتهم حتى أعادوها على الفيلة، فأصبحوا على مواقفهم، و أقبلت الفيلة معها الرجالة يحمونها أن تقطع وضنها، و مع الرجالة فرسان يحمونهم، إذا أرادوا كتيبة دلفوا إليها بفيل و أتباعه، لينفروا بهم خيلهم، فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس؛ لأن الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش، و إذا طافوا به كان آنس، فكان الفيل كذلك حتى عدل النهار.

و لما قدم قيس بن المكشوح مع هاشم، قام فيمن يليه فقال: يا معشر العرب، إن الله، عز و جل، قد من عليكم بالإسلام، و أكرمكم بمحمد صلى اللّه عليه و سلم، فأصبحتم بنعمته إخوانا، دعوتكم واحدة و أمركم واحد، بعد إذ أنتم يعدو بعضكم على بعض عدو الأسد، و يختطف بعضكم بعضا اختطاف الذئاب، فانصروا الله ينصركم، و تنجزوا من الله تعالى فتح فارس، فإن إخوتكم من أهل الشام قد أنجز الله تعالى لهم فتح الشام، و انتثال القصور الحمر و الحصون الحمر.

و خرج يوم عماس رجل من العجم حتى إذا كان بين الصفين هدر و شقشق و نادى:

من يبارز؟ فخرج إليه رجل من المسلمين يقال له: شبر بن علقمة، و كان قصيرا دميما، فقال: يا معشر المسلمين، قد أنصفكم الرجل، فلم يجبه أحد، و لم يخرج إليه أحد، فقال:

أما و الله لو لا ـ أن تزدرونى لخرجت إليه، فلما رأى أنه لا يمنع أخذ سيفه و جحفته، ثم تقدم، فلما رآه الفارسى هدر، ثم نزل إليه

فاحتمله، فألقاه ثم جلس على صدره ثم أخذ سيفه ليذبحه، و مقود فرسه مشدود بمنطقته، فلما استل السيف حاص الفرس حيصة

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۸۶

فجذبه المقود فقلبه عنه، فقام إليه و هو يسحب فافترسه، فجعل أصحابه المسلمون يصيحون به، فقال: صيحوا ما بدا لكم، فو الله لا أفارقه حتى أقتله ثم أسلبه، فذبحه و سلبه، ثم أتى سعدا بالسلب فنفله إياه، فباعه باثنى عشر ألفا.

قالوا «۱»: و لما رأى سعد الفيلة تفرق الناس، و عادت لفعلها يوم أرماث، سأل: هل لها مقاتل؟ فقيل له: نعم، المشافر و العيون لا تنتفع بها بعدها، فأرسل إلى القعقاع و أخيه عاصم: أن اكفيانى الفيل الأبيض، و كان بإزائهما، فأخذ القعقاع و عاصم رمحين أصمين لينين و دنوا فى خيل و رجل، و قالا: اكتنفوه لتحيروه، و فعل الآخران مثل ذلك، فلما اكتنف الفيلان نظر كل واحد منهما يمنة و يسرة و هما يريدان أن يتخبطا، فحمل القعقاع و عاصم و الفيل البيض متشاغل بمن حوله فوضعا رمحيهما معا فى عينيه، و قبع و نفض رأسه فطرح سائسه و دلى مشفره، فنفخه القعقاع و رمى به و وقع لجنبه، و قتلوا كل من كان عليه، و قال حمال لصاحبه و قد قصدا إلى الفيل الأجرب: إما أن تضرب المشفر و أطعن فى عينه، أو تطعن فى عينه و أضرب مشفره، فاختار صاحبه الضرب، فحمل عليه حمال و هو متشاغل بملاحظة من اكتنفه، لا يخاف سائسه إلا على بطانه فطعنه فى عينه، فأقعى، ثم استوى فنفخه الآخر، فأبان مشفره، و بصر به السائس ففقر أنفه و جبينه بفأسه.

و يروى أن الفيلين صاحا عند ذلك صياح الخنزير، ثم ولى الأجرب الذى عور فوثب فى العتيق، فاتبعته الفيلة فخرقت صف الأعاجم، فعبرت العتيق فى أثره فبيتت المدائن فى توابيتها و هلك من فيها.

و قيل: إنه بقى منها الفيل الأبيض، لم يبق فى المعركة غيره، و إن الناس رشقوا مشافر الفيلة، فعند ذلك انبعث الفيل الآخر فلم تنته عن المدائن، و كانت تفعل بالناس الأفاعيل فاستقام للناس بعدها وجه القتال، و خلصوا بأهل فارس، فاجتلدوا على جرد بالسيوف حتى أمسوا و هم فى ذلك على السواء.

فكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديدا، العرب و العجم فيه على السواء، و لا يكون بينهم لفظة إلا تقاولها الرجال بالأصوات حتى تبلغ يزدجرد بالمدائن، إذ كان قد أمر رستم بأن يرتب الرجال على الطريق بينهما ليبلغه بالتنادى ما يطرأ فى العسكر من حينه، فيرسل إليهم أهل النجدات ممن بقى عنده فيتقوون بهم، و أصبحت عنده للذى

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۵۵، ۵۵۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۸۷

لقى بالأمس الأمداد على البرد، فلو لا الذى صنع الله للمسلمين فى الذى ألهم إليه القعقاع فى اليومين، و ما أتاح لهم بهاشم لكسر ذلك المسلمين.

و أصيب يومئذ مؤذن سعد بن أبى وقاص فتشاح الناس على الأذان، حتى كادوا يجتلدون بالسيوف، فأقرع بينهم سعد.

قالوا «۱»: و لما أمسى الناس من يومهم ذلك، و أطعنوا إلى الليل، و اشتد القتال فصبر الفريقان، فخرجا على السواء فلم يسمع إلا الغمائم من هؤلاء و هؤلاء، فسميت ليلة الهرير، و لم يكن بعدها قتال بليل فى القادسية.

و جدد المشركون فى تلك الليلة تعبئة، و أخذوا فى أمر لم يكونوا عليه فى الأيام الثلاثة، و بقى المسلمون على تعبئتهم، فخرج مسعود بن مالك الأسدى، و قيس بن هبيرة المرادى، و هو ابن المكشوح، و أشباههم فطاردوا القوم و حركوهم للقتال، فإذا هم فيه أمة لا يشهدون و لا يريدون إلا الزحف، فقال قيس بن مكشوح لمن يليه، و لم يشهد شيئا من لياليها إلا تلك الليلة: إن عدوكم قد أبى إلا المزاحفة، و الرأى رأى الأمير، و ليس بأن تحمل الخيل ليس معها الرجال، فإن القوم إذا زحفوا و طاردهم عدوهم على الخيل لا رجال معهم عقروا بهم، و لم يطيقوا أن يقدموا عليهم، فتيسروا للحملة.

و قال دريد بن كعب النخعى، و كان معه لواء النخع: إن المسلمين قد تهيئوا للمزاحفة، فاسبقوا المؤمنين الليلة إلى الله و الجهاد، فإنه لا يسبق الليلة أحد إلا كان ثوابه على قدر سبقه، فنافسوهم فى الشهادة، و طيبوا بالموت أنفسا، فإنه لا نجاء من الموت إن كنتم تريدون الحياة، و إلا فالآخرة ما أردتم.

و قال الأشعث بن قيس: يا معشر العرب، إنه لا ينبغى أن يكون هؤلاء أجرأ على الموت و لا أسخى أنفسا عن الدنيا منكم، تنافسوا و لا تجزعوا من القتل فإنه أمانى الكرام، و منايا الشهداء، و ترجل.

و قال حنظلة بن الربيع «۲» و أمراء الأعشار: ترجلوا أيها الناس، و افعلوا كما نفعل، و لا

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۵۷).

(۲) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۱۸۶۴)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۲۸۰)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۴۲)، الطبقات (۱/ ۴۳، ۱۲۹)، تهذيب الكمال (۱/ ۳۴۳)، الإكمال (۱/ ۷۳)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۱۶)، الجرح و التعديل (۳/ ۱۰۵۹)، تهذيب التهذيب (۳/ ۶۰، ۶۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۸۸

تجزعوا مما لا بد منه، فالصبر أنجى من الجزع. و فعل طليحة و غالب أهل النجدات من جميع القبائل مثل ذلك.

و قال أنس بن الجليس: شهدت ليلة الهرير، فكان صليل الحديد فيها كضرب القيون ليلتهم حتى الصباح، أفرغ عليهم الصبر إفراغا.

و بات سعد بليلة لم يبت بمثلها، و رأى العرب و العجم أمرا لم يروا مثله قط، و انقطعت الأصوات و الأخبار عن سعد و رستم، فبعث سعد فى تلك الليلة نجادا، و هو غلام، إلى الصف، إذ لم يجد رسولا، فقال: انظر ما ذا ترى من حالهم، فرجع إليه فقال: ما رأيت يا بنى؟ فقال: رأيتهم يلعبون، فقال: أو يجدون. فأقبل سعد على الدعاء، حتى إذا كان فى وجه الصبح، انتمى الناس فاستدل سعد بذلك على أنهم الأعلون، و أن الغلبة لهم.

قال بعضهم: أول شىء سمعه سعد ليلتئذ مما يستدل به على الفتح فى نصف الليل الباقى صوت القعقاع بن عمرو و هو يقول:

نحن قتلنا معشرا و زائداأربعة و خمسة و واحدا

تحسب فوق البلد الأساوداحتى إذا ماتوا دعوت واحدا

الله ربى و احترزت جاهدا

فاستدل سعد بهذا، و بما سمع معه من غير القعقاع من الانتماء، و اتسع له الرجاء، فسمع عمرو بن معدى كرب يقول: أنا ابن أسلة، و طليحة يقول: أنا ابن ليلى، و سعد بن عمارة يقول: أنا ابن أروى، ثم سمع الانتساب من كل ناحية: خذها و أنا الغلام الجرمى من النخع، خذها و أنا الغلام المالكى من بنى أسد، خذها و أنا الغلام الأسعدى من عجل، فأصبحوا و الناس على مواقفهم متحاجزين، فصلى المسلمون الغداة و فضوا من شأنهم.

خبر اليوم الرابع من أيام القادسية

و هذا أ هو آخر أيامها، و يسمى من بينها: يوم القادسية، و فيه قتل الله رستم، و أتم الفتح للمسلمين.

قالوا «۱»: و أصبح الناس ذلك اليوم حسرى، لم يغمضوا ليلتهم كلها، فسار القعقاع

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۶۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۸۹

فى الناس، فقال: إن الدبرة بعد ساعة لمن بدأ اليوم، فاصبروا و احملوا، فإن النصر مع الصبر. فاجتمع إليه هلال بن علفة، و مالك بن ربيعة، و الكلح الضبى، و ضرار بن الخطاب، و ابن الهذيل، و غالب، و طليحة، و عاصم بن عمرو بن ذى البردين، و أمثالهم ممن اختصر ذكره، و معهم عشائرهم. ثم صمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح.

و لما رأت ذلك القبائل قام فيهم رجال منهم، فقالوا: لا يكونن هؤلاء أجد فى أمر الله تعالى، منكم، و لا أسخى نفسا عن الدنيا، تنافسوها. فحملوا مما يليهم حتى خالطوا الذين بإزائهم.

و قام فى ربيعة عتيبة بن النهاس، و فرات بن حيان، و المعنى بن حارثة، و سعيد بن مرة، فى أمثالهم، فقالوا: أنتم أعلم الناس بفارس و أجرؤهم عليهم فيما مضى، فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجرأ مما كنتم.

و اقتتل الناس إلى أن انفرج قلب المشركين حين قام قائم الظهيرة، و قد ركد عليهم النقع، و اشتد الحر، و سقفتهم الشمس، فهبت ريح عاصف، فقلعت طيارة رستم عن سريره، فهوت فى العتيق، فانتهى القعقاع و أصحابه إلى السرير فعثروا به، و قد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة إلى بغال قدمت عليه يومئذ بمال فهى واقفة، فاستظل فى ظل بغل منها و حمله، و ضرب هلال بن علفة العدل الذى على البغل الذى رستم تحته، فقطع حباله، فوقع عليه أحد العدلين، و لا يراه هلال و لا يشعر به، فأزال من ظهره فقارا، و يضربه ضربة فنفحت مسكا، و مضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، فاقتحمه عليه هلال، فتناوله و قد عام، فأخرجه ثم ضرب جبينه بالسيف حتى قتله، ثم جاء به فرمى به بين أرجل البغال، و صعد السرير، ثم نادى: قتلت رستما و رب الكعبة، إلىّ إلىّ، فأطافوا به ما يحسون السرير و ما يرونه، و كبروا و تنادوا، و انبت قلب المشركون عندها و انهزموا، و قام الجالينوس على الردم، و نادى أهل فارس إلى العبور، و انسفى الغبار، فأما المقترنون فإنهم خشعوا فتهافتوا فى العتيق، فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبر، و هم ثلاثون ألفا.

و أخذ ضرار بن الخطاب «درفش كابيان»، راية كسرى، فعوض عنها ثلاثين ألفا، و كانت قيمتها ألف ألف و مائتى ألف، و قتلوا فى المعركة من الليل، يعنى ليلة الهرير، عشرة آلاف سوى من قتلوا فى تلك الثلاثة الأيام.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹۰

و أكب المسلمون على من ثبت لهم و على من سفل منهم عن الردم و من ارتفع عنه فقتلوا منهم ستين ألفا، فقتلوا يوم القادسية مائة ألف سوى من قتلوا فى الأيام قبله.

قالوا: فلما انكشف أهل فارس، فلم يبق منهم بين الخندق و العتيق أحد، و طبقت القتلى ما بين قديس و العتيق أمر سعد زهرة بن جوية باتباعهم، فنادى زهرة فى المقدمات و ساروا، و أمر سعد القعقاع بمن سفل، و شرحبيل بمن علا، و أمر خالد بن عرفطة بسلب القتلى و بدفن الشهداء ليلة الهرير و يوم القادسية، ألفين و خمسمائة، و قيل: ثلاثة آلاف، من وراء العتيق بحيال مشرق، و دفن شهداء الأيام الثلاثة قبل ذلك على مشرق، و يقال:

كانوا ألفين و خمسمائة، و جمعت الأسلاب و الأموال، فجمع منها شيء لم يجمع قبله و لا بعده، و أرسل سعد إلى هلال بن علفة فدعا له، فقال: أين صاحبك؟ يعنى رستما. قال:

رميت به تحت بغل، فقال: اذهب فجئ به، فذهب فجاء به. فقال له سعد: جرده إلا ما شئت، فخذ سلبه، فلم يدع عليه شيئا، و يقال: إنه باع الذى سلبه بسبعين ألفا، و كان قد تخفف حين وقع فى الماء، و لم توجد قلنسوته، و كانت قيمتها مائة ألف.

و جاء نفر من العباد حتى دخلوا على سعد، فرأوا رستما ببابه مطروحا، فقالوا: أيها الأمير، رأينا جسد رستم على باب قصرك و عليه رأس غيره، و كأن الضرب قد شوهه، فضحك سعد، و خرج زهرة فى آثار أهل فارس، فانتهى إلى الردم و قد تبعوه ليمنعوهم به من الطلب، فقال زهرة لبكير بن عبد الله الليثى، و هو الذى يقال له فارس أطلال، و هو اسم فرس له كان يعرف بها: يا بكير، أقدم، و كان يقاتل على الإناث، فضرب فرسه، و قال: ثبى أطلال، فتجمعت و قالت: وثبا و سورة البقرة ثم و ثبت و وثب زهرة، و كان على حصان،

و تتابع ذلك ثلاثمائة فارس، فلحق زهرة بالقوم و الجالينوس فى آخرهم يحميهم، فشاوله زهرة، فاختلفا ضربتين، فقتله زهرة، و أخذ سلبه، و قتل أولئك الفرار ما بين الخرارة إلى السيلحين إلى النجف، و رجع زهرة فى أصحابه حين أمسوا، فباتوا بالقادسية، و لما رجع القعقاع و شرحبيل إلى سعد، قال لشرحبيل: اغد فى طلب القعقاع، و قال للقعقاع: اغد فى طلب شرحبيل فعلا هذا، و سفل هذا، حتى بلغا مقدار الخرارة من القادسية.

قال الشعبى: خرج القعقاع و أخوه و شرحبيل فى طلب من ارتفع و سفل، فقتلوهم فى كل قرية و أجمة و شاطئ نهر، و رجعوا، فوافوا صلاة الظهر، و هنأ الناس أميرهم، و أثنى على كل حى خيرا، و ذكره منهم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹۱

و قال فى ذلك هلال بن علفة:

جدعت أنوف العجم يوم لقيتهمبرستم و الجمعان فى أشغل الشغل

فضضت به رض الصفوف فقوضتصفوفهم و الحرب جاحمة تغلى و قال الشماخ فى قصيدة يرثى بكير بن عبد الله، فارس أطلال، و يذكر ما كان من فرسه فى و ثبتها المذكورة قبل:

و غيب عن خيل بموقان أسلمتبكير بنى الشدّاخ فارس أطلال

غداة اقتحام القوم من بعد نطقهاو حلفتها عرض العتيق بإدلال و لما قتل زهرة الجالينوس و أخذ سلبه، جاء به إلى سعد، فعرفه الأسارى الذين كانوا عند سعد، و قالوا: هذا سلب الجالينوس، و كان سيدا من ساداتهم، و عظيما من عظمائهم، فقال سعد لزهرة: هل أعانك عليه أحد؟ قال: نعم. قال: من؟ قال: الله عز و جل. فنفله إياه.

و قيل: إنما جاء بالسلب و قد لبسه، فانتزعه منه سعد، و قال: ألا انتظرت إذنى، و كتب فيه إلى عمر، رضى الله عنه، فكتب إليه عمر: أن يمضى لزهرة ذلك السلب، و عاتب سعدا فى كتابه، و قال له: تعمد إلى مثل زهرة و قد صلى بما صلى به و بقى عليك ما بقى من حربك، تكسر قرنه و تفسد قلبه.

و يروى أن سعدا استكثر له السلب، فكتب فيه إلى عمر، فكتب إليه: إنى قد نفلت من قتل رجلا سلبه، فدفعه إليه سعد، فباعه بسبعين ألفا.

و قال زهرة فى قتل الجالينوس:

تبعنا جيوش الجالينوس و قد رأىبعينيه أمرا ذا إياس منكرا

لحقنا به نرمى الكرانيف سادراو يعجب إذ خلى الجموح و شمرا

فوليته لما التقينا مصمماأراه محيا الموت أحمر أصفرا و قال سيف «۱» عن رجاله: ثبت بعد الهزيمة بضع و ثلاثون كتيبة، استحيوا من الفرار، فصمد لهم بضعة و ثلاثون من رؤساء المسلمين، لكل كتيبة منها رأس من رؤساء المسلمين فأباد الله تلك الكتائب يومئذ.

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۶۹، ۵۷۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹۲

و قال سعيد بن المرزبان «۱»: أصاب أهل فارس يومئذ بعد ما انهزموا ما أصاب الناس قبلهم، قتلوا حتى إن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل منهم فيأتيه حتى يقوم بين يديه فيضرب عنقه، و حتى إنه ليأخذ سلاحه فيقتله به، و حتى إنه ليأمر أحد الرجلين منهم بقتل صاحبه.

و قال بعض من شهدها: أبصر سلمان بن ربيعة الباهلى أناسا من الأعاجم تحت راية لهم قد حفروا لها و جلسوا تحتها، و قالوا: لا نبرح حتى نموت، فحمل عليهم فقتلهم و سلبهم، و كان سلمان فارس الناس يوم القادسية، و أحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثبت، و

کذلک أخوه عبد الرحمن بن ربیعة، ذو النور، مال علی آخرین قد تکتبوا و نصبوا للمسلمین، فطحنهم بخیله.

و قال الشعبی: کان یقال لسلمان أبصر بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجزور.

و قال بعض بنی معرض: ما رأینا مثل أهل القادسیة، هزمناهم فاتبعناهم و هم علی خیولهم کأنها فی طین، و نحن علی أرجلنا کأنا ظباء، و لقد أدرکنا رجلا یعدو به فرسه فصحنا به، فلم یتحرک، فأخذناه أسیرا.

قال أبو وائل، و شهدها: لقد سمعت الفرس یقولون ما تقطع سیوفنا الشعر، و لقد نزع منا النصر.

و قال الأسود النخعی «۲»: شهدت القادسیة، فلقد رأیت غلاما منا من النخع یسوق ستین أو ثمانین رجلا من أبناء الأحرار، و أتی رجل سعدا فقال: تجعل لی ثلث ما أجیئک به؟ قال: نعم. فأتاه بأساورة قد أسرهم، فقال له سعد: کیف أخذت هؤلاء وحدک؟

قال: صحت بهم و هم منهزمون فوقفوا لم یمتنع منهم أحد، فجعل سعد یتعجب.

و کان سعد أجرأ الناس و أشجعهم، إنه نزل قصرا غیر حصین یشرف منه علی الناس و یری قتالهم، و صف المسلمین إلی أصل حائط القصر، و لو أعراه الصف فواق ناقة أخذوا برمته. فو الله ما کربه هول تلک الأیام، و لا ـ أغلقه. و دخل إلیه فی الیوم الرابع رجل من بجیلة فقال: أبا إسحاق إن الناس قد جبنوک و قالوا: لم یمنعک من الخروج الوجع، قال: ما أخاف ذلک علی نفسی، أو ما تری ما بی، و سأخرج، و کان به حبون و دمامیل لا یستطیع أن یقر لها إلا مکبا علی صدره، فرکب فرسا فانتهی إلی باب القصر

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۶۹).

(۲) انظر: الطبری (۳/ ۵۷۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۹۳

و قد تبوأ فیه حمام، فطرن فنفر الفرس فشب، فانفجر ما کان من قروحه و خرج، فوقف و حض المسلمون و قال: لا ـ تکون هذه الأعاجم أصبر علی المقارعة منکم، و اعلموا أن القوم ملوا إن کنتم مللتم، فنشط الناس.

و فی حدیث غیر هذا أن جریرا البجلی قال فی ذلک الیوم:

أنا جریر کنیتی أبو عمروقد نصر الله و سعد فی القصر و قال رجل من المسلمین، أیضا:

نقاتل حتی أنزل الله نصره و سعد بباب القادسیة معصم

فأبنا و قد أمت نساء کثیرة و نسوة سعد لیس فیهم أیم فلما بلغ ذلک من قولهما سعدا خرج إلی الناس فاعتذر إلیهم و أراهم ما به من القروح فی فخذیه، فعذره الناس، و قال سعد یجیب جریرا من أبیات:

و ما أرجو بجیلة غیر أنی أؤمل أجرهم یوم الحساب و فی حدیث یروی عن قیس بن أبی حازم «۱»، و کان شهد تلک الحرب أن الفرس لما انهزموا لحقوا بدیر قرة و ما وراءه، و نهض سعد بالمسلمین حین نزل بدیر قرة علی من هناک من الفرس، و قدم علیه بالدیر عیاض بن غنم فی ألف رجل من الشام مددا لهم، فأسهم لهم سعد مع المسلمین فیما أصابوا بالقادسیة، ثم إن الفرس هربت من دیر قرة إلی المدائن یریدون نهاوند، و احتملوا معهم الذهب و الفضة و الدیباج و الفرند و الحریر و السلاح و ثیاب کسری، و خلوا ما سوی ذلک، و أتبعهم سعد الطلب، فبعث خالد بن عرفطة و وجه معه عیاض بن غنم فی أصحابه، و جعل علی مقدمة الناس هاشم بن عتبة، و علی میمنتهم جریر بن عبد الله و علی المیسرة زهرة بن جویة، و تخلف سعد لما به من الوجع.

فلما أفاق من وجعه أتبع الناس بمن بقی معه من المسلمین حتی أدرکهم دون دجلة، فلما وضعوا علی دجلة العسکر و الأثقال طلبوا المخاضة فلم یهتدوا لها، حتی أتی سعدا علج من أهل المدائن فقال: أدلکم علی طریق تدرکونهم قبل أن یمنعوا، فخرج بهم علی مخاضة بقطربل، فکان أول من خاضها هاشم، و أتبعه خیله، ثم جاز خالد بن عرفطة بخیله و تتابع الناس فخاضوا حتی جاوزوا، فزعموا أنه لم یتهد لتلک المخاضة بعد، ثم ساروا حتی انتهوا إلی مظلم ساباط، فأشفق الناس أن یکون به کمین للعدو، فتردد الناس

(۱) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۷۱۶۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۹۴

و جبنوا عنه، فکان أول من دخله بجیشه هاشم، فلما جاز ألاح للناس بسیفه، فعرف الناس أن لیس به شیء یخافونه، فأجاز بهم خالد بن عرفطة، ثم لحق سعد بالناس حین انتهوا إلی جلولاء و بها جماعة من الفرس، فکانت وقعة جلولاء بها، فهزم الله الفرس و أصاب المسلمون بها أفضل مما أصابوا بالقادسیة، و أصیبت ابنة لکسری، یقال لها:

منجانة، و یقال: ابنة ابنه، و قال شاعر من المسلمین:

یا رب مهر حسن مطهمیحمل أثقال الغلام المسلم

ینجو إلی الرحمن من جهنمیوم جلولاء و یوم رستم

و یوم زحف الکوفة المقدمو یوم لا فی حتفة مهزم

و خر دین الکافرین للفم

و فی کتاب المدائنی عن أبی وائل قال: هزمناهم، یعنی یوم القادسیة، حتی انتهوا إلی الفرات فقاتلونا علیه، فهزمناهم حتی انتهوا إلی الصراة فقاتلونا علیها، فهزمناهم حتی انتهوا إلی المدائن فدخلوها و نزل المسلمون دیر السباع، فجعلنا نغادیهم فنقاتلهم، فقال المسلمون: هؤلاء فی البیوت و نحن فی الصحراء، اعبروا إلیهم فعبرنا إلیهم فحصرناهم فی الجانب الشرقی حتی أکلوا الکلاب و السنانیر، فخرجوا علی حامیة معهم الأثقال و العیال حتی نزلوا جلولاء الوقیعة، و تبعناهم فقاتلوا بها قتالا شدیدا عن العیال و الذراری، فجال المسلمون جولة فناداهم سعد: یا معشر المسلمین، أین أین أ ما رأیتم ما خلفکم؟ أ تأتون عمر منهزمین فعطفوا، و هزم الله المشرکین، و سمیت جلولاء الوقیعة فتح الفتوح، و سیأتی ذکر فتح جلولاء و المدائن علی التمام بعد انقضاء بقایا الأخبار عن شأن القادسیة و مغانمها إن شاء الله تعالی.

قال الشعبی: بلغ الفیء بالقادسیة ستمائة ألف ألف، و کان خمسها عشرین و مائة ألف ألف، و کان الملک یزدجرد بن کسری قد حمل نصف الأموال إلی أهل فارس بالقادسیة لیتوردوا بها بلاد العرب، و لیغزوا عمر، رضی الله عنه، فی داره و قراره، فعل مقتدر مغرور، و أمر الجنود أن یحضروا الحرب بأموالهم، و أن یختلفوا لیکون أجد لهم فی الامتناع و المخاطرة لدنیاهم، فاجتمعت معهم من الأموال و الزین و الشارات علی قدر أحسابهم ما لا یحصی، و کان سبب ذلک ما قضی الله عز و جل، للمسلمین، فساقه إلیهم، و کان یزدجرد قد استبقی النصف من الأموال و أقره فی بیت المال علی حاله، فأفاءه الله علی المسلمین یوم المدائن.

و ذکر المدائنی أن المسور بن مخرمة أصاب یوم القادسیة إبریق ذهب علیه یاقوت،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۹۵

فقال له بعض الفرس: آخذه منک بعشرة آلاف، فأبی و أتی به سعدا، فباعه بمائة ألف.

و قال مخنف بن سلیم: إنی لفی طلب المشرکین یومئذ إذ لحقت رجلین أحدهما علی فرس و الآخر علی بغل، ثم ذکر حدیثا انتهی فیه إلی أن فاته صاحب الفرس و لحق بصاحب البغل فأخذه، قال: و أنا أرید أن آتی به سعدا و ما من رأی أن أنظر إلیه، فجاء مولی لی و أنا أصلی فحط الثقل و استخرج سفطا فنظر إلیه و قال لی: أ تدری ما معک؟

قلت: لا، قال: بعض کنوز کسری، فنظرت فإذا ناقة ذهب علیها رجل ذهب و بطان ذهب و زمام ذهب، و إذا ذلک کله مکلل بالجوهر علیه مثال رجل من فضة، فأتیت بها سعدا، فقال: أبشر لأفضل منه من ثواب الله، و ولانی مغانم القادسیة، و معی غیری، فجاء رجل بسفط آخر فألقاه فی المغانم، و قال: أما و الله لو لا خوف الله ما أدیته، فإذا الذی جئت به لا یقارب ما جاء به الرجل، فقلت: من أنت؟

قال: و الله ما أخبرک لتحمدنی أنت و لا أحد من الناس، و أصاب الناس رثة و متاعا کبیرا.

و قال طلحة بن مصرف: أمروا مما جدوا من الطيب للنساء ببعضه، فأصاب كل امرأة مع الناس ثلاثة و ثلاثون مثقالا من عنبر، و مثلها من مسک، و أشرک صبيان الذين استشهدوا فى ذلک، فأما الکافور فلم يعبئوا به شيئا، و بعضهم استبدل منه بالملح کيلا بکيل، و أصاب الرجل من المسلمين خمسة آلاف و نيف من سهمه، و صير الله، عز و جل، العدة و الأداة إلى المسلمين، فلم يبق أحد إلا أردى، و رکب، و فضل عنهم حتى جنبوا الجنائب.

و ذکر سيف عن رجاله قالوا: و قسم سعد الفىء بالقادسية على تسعة و ثلاثين ألفا أو يزيدون، و کان من شهدها أکثر من تسعة و ثلاثين ألفا و أقل من الأربعين، فأصيب منهم خمسة آلاف و مائتان، و قيل و خمسمائة، ثم لحق فى الأيام الثلاثة بعد الوقعة عدد من استشهد فقسم الفىء على تلک العدة التى هى أقل من أربعين ألفا. قالوا: و أعطى الناس المتاع بالقيمة فى سهم الرجل.

قال إبراهيم بن يزيد: کانوا ليقومون الشىء الثمين بالشىء اليسير.

و قال الشعبى: لم يقسم يومئذ لأکثر من فرسين، و لا يقسم لأکثر منهما، قالوا: فبلغ سهم الفرسين و صاحبهما سبعة و عشرين ألفا، للرجل خمس ذلک و للفرسين سائر ذلک، و للفرس الواحد بحساب ذلک عشرة آلاف و نيف، و سهم الرجل الواحد خمسة آلاف و نيف، و سهم الرجل الفارس ذى الفرس الواحد خمسة عشر ألفا و نيف، و کان القاسم

الاکتفاء، الکلاعى ،ج۲،ص:۴۹۶

بين الناس و المميز للخيل و الذى يلى الأقباض سلمان بن ربيعة الباهلى.

قال المدائنى: فجاء عمرو بن معدى کرب بفرسين يقودهما، فقال سلمان لأحد الفرسين: هذا هجين، فقال عمرو: الهجين يعرف الهجين، فأغلظ له سعد عند ذلک و هدده. فقال عمرو:

إذا قتلنا و لا يبکى لنا أحد قالت قريش ألا تلک المقادير

نعطى السوية من طعن له نهل و لا سوية إذ تعطى الدنانير

و نح فى الصف قد تدمى حواجبنانعطى السوية مما أخلص الکير قالوا «۱»: و کتب سعد بالفتح إلى عمر، رحمه الله، و بعدة من أصيب من المسلمين جملة، و سمى له منهم من کان عمر يعرفه، و کان کتابه إليه:

أما بعد، فإن الله، عز و جل، نصرنا على أهل فارس، و منحهم سنن من کان قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل و زلزال شديد، و قد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهوها فلم ينفعهم الله بذلک، بل سلبهموه و نفله عنهم إلى المسلمين، و اتبعهم المسلمون يقتلونهم على الأنهار و على صفوف الآجام و فى الفجاج، و أصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ، و فلان و فلان، و رجال من المسلمين لا تعلمهم، الله بهم عالم، کانوا إذا جن عليهم الليل يدوون بالقرآن دوى النحل، و هم آساد من الناس لا تشبههم الأسود، و لم يفضل من مضى منهم على من بقى إلا بفضل الشهادة، إذ لم تکتب لهم.

و لما أتى عمر الکتاب بالفتح قام فى الناس فقرأه عليهم، و کان رضى الله عنه، لما أتاه الخبر بنزول رستم القادسية يستخبر الرکبان عن أهل القادسية من حين يصبح إلى انتصاف النهار، ثم يرجع إلى بيته، فلما لقيه البشير سأله من أين جاء، فأخبره، فقال: يا عبد الله، حدثنى، قال: هزم الله العدو، و عمر، رضى الله عنه، يخب معه و يستخبره، و الآخر يسير على ناقته و هو لا يعرفه حتى دخل المدينة، فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين، فقال الرجل: فهلا أخبرتنى، رحمک الله، أنک أمير المؤمنين و جعل عمر يقول له: لا عليک يا أخى.

و قال عمر للناس عند ما قرئ عليهم الفتح: إنى حريص على أن لا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجز ذلک عنا تأسينا حتى نستوى فى الکفاف، إنى

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۸۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۹۷

و الله ما أنا بملک فأستعبدکم، و لکنی عبد الله عرض علیّ الأمانة، فإن أبیتها و رددتها علیکم و أتبعتکم حتی تشبعوا و ترووا فی بیوتکم سعدت، و إن أنا حملتها و استتبعتکم إلی بیتی شقیت، ففرحت قلیلا و حزنت طویلا، و بقیت لا أقال و لا أرد فأستعتب.

و کتب سعد، أیضا، إلی عمر فی ثلاثة أصناف من المسلمین اجتمعوا إلیه یسأله عنهم، عمن أسلم بعد ما فتح الله تعالی، علیهم ممن کان له عهد و معونة، و عمن أعتق الجند من رقیقهم بعد الفتح، و عمن جاء بعد ما فتح الله علیهم و أخبره أنه ممسک عن القسم حتی تأتیه رأیه.

قالوا: و کانت طائفة من الدیلم و رؤساء أهل المسالح قد استجابوا للمسلمین و اختاروا عهودهم علی عهد فارس، و قاتلوا مع المسلمین علی غیر الإسلام، و کانوا حشوة فیمن أسلم منهم، فلما فتح الله تعالی علی المسلمین قال أولئک الذین لم یکونوا أسلموا:

إخواننا الذین سبقونا دخلوا فی هذا الأمر من أول الشأن خیر و أصوب رأیا، و الله لا یفلح أهل فارس بعد رستم إلا من دخل فی هذا الأمر منهم، فأسلموا، فهم الصنف الأول من الذین سأل عنهم سعد عمر، رضی الله عنهما، قالوا: و تتابع أهل العراق من أصحاب الأیام الذین شهدوا الیرموک و دمشق و رجعوا ممدین لأهل القادسیة، فتوافوا بها من الغد و من بعد الغد جاء أولهم یوم أغواث و آخرهم من بعد الغد من یوم الفتح، و قدمت أمداد فیها و همدان و من أبناء الناس، فهذا الصنف الثانی ممن کتب فیهم سعد.

و أقام المسلمون فی انتظار أمر عمر، رضی الله عنه، یقومون أقباضهم، و یحزرون جندهم و یرمون أمورهم و یجددون حربهم، حتی جاءهم جواب عمر:

أما بعد، فالغنیمة لمن شهد الوقعة، و المواساة لمن أغاث فی ثلاث بعد الوقعة، فأشرکوهم و من أعانکم فی حربکم من أهل عهدکم، ثم أسلم بعد الحرب فی ثلاث، و من شهد حربکم من مملوک ثم عتق فی ثلاث بعدها فأشرکوا هؤلاء الأصناف الثلاثة فیما أفاء الله علیکم.

و کانوا کتبوا إلیه، أیضا، یسألونه عمن احتلم بعد الوقعة ممن شهدها، فأجابهم عن ذلک:

أما بعد فمن أدرک الحلم ممن شهد الوقعة فی ثلاث بعدها فأشرکوهم و ألحقوهم، و أقسموا لهم و لمن لحق فی ثلاث أو أسلم فی ثلاث، فإن الله لن یزیدکم بذلک إلا فضلا، و لیست فی الفیوء أسوة بعد الخمس إلا لهؤلاء الطبقات.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۹۸

و کتبوا إلی عمر، أیضا، أن أقواما من أهل السواد ادعوا عهودا، و لم یقم علی عهد الأیام لنا و لم یف به أحد علمناه إلا أهل بانقیا و بسما و أهل أ لیس الأخیرة، و ادعی سائر أهل السواد أن فارس أکرهوهم و حشروهم، فلم یخالفوا إلینا، و لم یذهبوا فی الأرض.

و کتبوا إلیه، أیضا، فی کتاب آخر: أن أهل السواد جلوا، فجاءنا من تمسک بعهده و لم یجلب علینا، فتممنا لهم علی ما کان بین المسلمین و بینهم قبلنا، و زعموا أن أهل الأرض قد لحقوا بالمدائن، فأحدث إلینا فیمن أقام و فیمن جلا و فیمن ادعی أنه استکره و حشر فهرب و لم یقاتل، أو استسلم، فإنا بأرض رغیبة، و الأرض خلاء من أهلها، و عددنا قلیل، و قد کثر أهل صلحنا، و إن أعمر لها و أوهن لعدونا تألفهم.

فلما انتهی ما کتبوا به إلی عمر، رضی الله عنه، قام فی الناس فقال: إنه من یعمل بالهوی و المعصیة یسقط حظه و لا یضر إلا نفسه، و من یتبع السنة و ینته إلی الشرائع و یلزم السبیل النهج ابتغاء ما عند الله لأهل طاعته أصاب أمره و ظفر بحظه، و ذلک أن الله عز و جل یقول: وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا یَظْلِمُ رَبُّکَ أَحَداً [الکهف: ۴۹]، و قد ظهر الأیام و القوادس بما یلیهم، و جلا أهله، و أتاهم من أقام علی عهدهم، فما رأیکم فیمن زعم أنه استکره و حشر، و فیمن لم یدع ذلک و لم یقم و جلا، و فیمن أقام و لم یدع شیئا، و لم یجل، و فیمن استسلم.

فأجمعوا علی أن الوفاء لمن أقام و کف، و أن من ادعی و صدق بمنزلتهم، و من کذب نبذ إلیهم و أعادوا صلحهم، و أن یجعل أمر

من جلا إلى المسلمين، فإن شاءوا و ادعوهم و كانوا لهم ذمة، و إن شاءوا أتموا على منعهم من أرضهم، و لم يعطوهم إلا القتال، و أن يخيروا من أقام و استسلم بين الجزاء و الجلاء، و كذلك الفلاح.

فكتب عند ذلك عمر، رضى الله عنه، جوابا عما كتبوا إليه فى ذلك.

أما بعد، فإن الله عز و جل أنزل فى كل شىء رخصة فى بعض الحالات إلا فى أمرين: العدل فى السيرة، و الذكر. فأما الذكر فلا رخصة فيه فى حالة، و لم يرض منه إلا بالكثير، و أما العدل فلا رخصة فيه فى قريب و لا بعيد، و لا فى شدة و لا رخاء، و العدل و إن رئى لنا، فهو أقوى و أطفأ للجور، و أقمع للباطل من الجور، و إن رئى شديدا فهو أنكس للكفر، فمن تم على عهده من أهل السواد و لم يعن عليكم بشىء فله الذمة و عليهم الجزية، و أما من ادعى أنه استكره ممن لم يخالفهم أو يذهب فى الأرض فلا تصدقوهم بما ادعوا من ذلك إلا أن تشاءوا، و إن لم تشاءوا فانبذوا إليهم، و أبلغوهم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹۹

مأمنهم، و من أقام و لم يجل و ليس له عهد فلهم ما لأهل الذمة بمقامهم لكم و كفهم عنكم إجابة، و الفلاحون إذا فعلوا ذلك، و كل من ادعى شيئا فصدق فلهم الذمة. و إن كذبوا نبذ إليهم، و أما من أعان و جلا فذلك أمر جعله الله إليكم، فإن شئتم فادعوهم إلى أن يقوموا لكم فى أرضكم، و لهم الذمة و عليهم الجزية، فإن كرهوا ذلك فاقتسموا ما أفاء الله عليكم منهم.

فلما قدمت كتب عمر على سعد بن مالك و المسلمين عرضوا على من يليهم ممن جلا و تنحى من أهل السواد أن يتراجعوا، و لهم الذمة و عليهم الجزية، و تراجعوا و صاروا ذمة كمن تم و لزم عهده إلا أن خراجهم أثقل، و أنزلوا من ادعى الاستكراه و هرب منزلتهم، و عقدوا لهم، و أنزلوا من أقام منزلة ذى العهد، و كذلك الفلاحون، و لم يدخل فى الصلح ما كان لآل كسرى، و لا ما كان لمن خرج معهم، و لم يجب إلى الإسلام و لا إلى الجزية.

فصارت فيئا لمن أفاء الله عليه كالصوافى فى الأول، و سائر السواد لهم ذمة، و أخذوهم بخراج كسرى، و كان على رءوس الرجال و ما بأيديهم من الحصة و الأموال، و كان مما أفاء الله عليهم ما كان لآل كسرى و من صوب معهم و عيالهم و عيال من قاتل معهم و ماله، و ما كان لبيوت النيران و الآجام و مستنقع المياه، و ما كان للسكك، فلم يتأت قسم ذلك الفىء الذى كان لآل كسرى و من صوب معهم؛ لأنه كان متفرقا فى كل السواد، فكان يليه لأهل الفىء من وثقوا به و تراضوا عليه.

قالوا: و أدلى جرير و بجيلة يوم القادسية بمثل ما كان عمر جعل لهم من ربع الخمس مما أفاء الله يوم البويب، فكتب سعد إلى عمر بذلك، فاجابه: قد ضللت إذا و ما أنا من المهتدين، إنى إنما كنت جعلت لهم ربع الخمس مما أفاء الله على المثنى حين أمددته بهم فى وجههم ذلك إلى البويب نفلا، فقد أخذوه أيام البويب، ثم لم يمضوا و لكن رجعوا إلى أرض العرب، فعنفهم بما ادعوا مما ليس لهم و لا لى و قل لهم: و الله و لو لا أنى قاسم مسئول لبلغت منكم.

فلما بلغ الكتاب سعدا أمر جريرا بجمع بجيلة، فجمعهم له، فقرأ عليهم سعد الكتاب، فقال جرير: صدق و الله عمر و أسأنا، و تتابع على ذلك قومه إلا امرأة يقال لها: أم كرز، فإنها قالت: كذبت و الله يا جرير، و جعل جرير يقول لها: حلا يا أم كرز، فتعود له بالتكذيب، فلا يزيد على أن يقول: حلا يا أم كرز.

و خالف المدائنى ما ذكره سيف فى قصة جرير و قومه، و قال: إن سعدا لما جمع الغنائم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۰۰

و عزل الخمس، و أراد قسمة الباقى، قال له جرير: إن أمير المؤمنين جعل لنا الربع، و قال بعضهم: الثلث بعد الخمس من كل شىء، فبعث سعد بالخمس إلى عمر، و كتب إليه بقول جرير، فقال عمر: صدق جرير، قد جعلت له و لقومه ما قال من السواد، فخيروهم، فإن شاءوا أعطوا و كان قتالهم للجعالة، و إن شاءوا فلهم سهم المسلمين و قتالهم، فخيرهم سعد فاختاروا سهام المسلمين. فالله أعلم أى ذلك كان.

و ذکر المدائنی، أیضا، أنه کان فیمن قدم علی عمر مع الخمس الأسدی الذی طعن الفیل فضربه سائسه علی وجهه فهشم وجهه، فقال له عمر: من أنت؟ و ما هذه؟ یعنی الضربة التی فی وجهه، قال: أصابنی قدر من قدر الله، فأخبر القوم عمر خبره، فعانقه عمر و قال: أبشر فهی نور لک یوم القیامة، فهل لک من حاجة؟ قال: تکتب إلی سعد یعطینی محتلما و فرسی، فکتب إلی سعد: أعطه محتلمین، ففعل ذلک سعد.

قال الشعبی: و أمر عمر، رضی الله عنه، فی الأعشار بخمسمائة فرس نفلا- من خیل فارس لتقسم فی أهل البلاء، فأصاب کل عشر خمسون فرسا، فأصاب النخع عشرون، و قیل: خمسة و عشرون، و أصاب سائرها، سائر مذحج.

قالوا: و کتب عمر، رحمه الله، إلی سعد: أنبئنی أی فارس کان یوم القادسیة أفرس، و أی راجل کان أرجل، و أی راکب کان أثبت. فکتب إلیه: إنی لم أر فارسا مثل القعقاع بن عمرو حمل فی یوم ثلاثین حملة، فقتل فی کل حملة کمیا، و لم أر راجلا مثل یعفور بن حسان الذهلی إنه جاء فی الیوم بخمسة فوارس، یختل الفارس منهم حتی یردفه، ثم یغلبه علی عنانه حتی یأتی به سلما، و لم أر راکبا مثل الحارث بن قرم البهزی، إنه جاء ببعیره یرفعه، ثم رکب الکرادیس ففرق بینها، فإذا نفر بالفارس انحط عنه فعانقه، ثم قتله، ثم یثب علی بعیره من قیام.

و کتب عمر إلی سعد، أیضا: أنبئنی من وجدت أصبر لیلة الهریر؟ فکتب إلیه: إن الحس سکن عنی، حتی إذا کان فی وجه الصبح سمعت انتماء فی مضر و انتماء فی ربیعة ثم انتسابا فی الیمن، فوجدت المنتمین من تمیم و أسد و قیس و المنتمین من بکر و حلفاؤها و المنتسبین فی أهل الیمن من مذحج و کندة.

و فی کتاب المدائنی أن عمر کتب إلی سعد یسأله: أی الناس کان أصبر بالقادسیة؟

فکتب إلیه سعد: إن الحرب رکدت لیلة، فلم أسمع إلا هماهم الرجال، و هریرهم، و وقع الحدید، فلما کان قبیل الفجر سمعت الانتماء من کل: أنا ابن معدی کرب، أنا

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۰۱

الجذامیّ، أنا المالکی من أسد، أنا الأشعری، ثم صار الانتماء قصره فی جذیمة، فلما انجلت الحرب رأیت جماعة قتلی فی ربضة، فقلت: من هؤلاء؟ قالوا: من جذیمة النخع، أصیبوا من آخر اللیل و هم ینتمون، فنفلهم عمر خمسة و عشرین فرسا، یعنی بنی جذیمة.

و حکی المدائنی عن الشعبی قال: کان السبی بالقادسیة و جلولاء مائة ألف رأس، و قد قیل: أقل من هذا، و قول الشعبی أکثر و أشهر.

و یروی أنه لما کان العطاء فضل من أهل البلاء بالقادسیة بخمسمائة خمسمائة فی أعطیاتهم خمسة و عشرون رجلا، منهم زهرة بن الجویة و عصمة الضبی و الکلح الضبی، و أما أهل البلاء قبلهم ففرض لهم العطاء علی ثلاثة آلاف، فضلوا علی أهل القادسیة.

و ذکر سیف بن عمر عن رجاله، قالوا: کانت العرب توقع وقعة العرب و أهل فارس فی القادسیة یرون أن ثبات ملکهم و زواله بها، و کانت فی کل بلدة مصیخة إلیها، تنظر ما یکون من أمرها، حتی أن کان الرجل لیرید الأمر فیقول: لا أنظر فیه حتی أری ما یکون من أمر القادسیة، فلما کانت وقعتها سارت بها الجن إلی ناس من الإنس فسبقت أخبار الإنس إلیهم، قالوا: فبرزت امرأة لیلا علی جبل بصنعاء، لا یدری من هی، و هی تقول:

حییت عنا عکرم ابنة خالدو ما خیر زاد بالقلیل المصرد

و حیتک عنی الشمس عند طلوعهاو حیاک عنی کل ناج مفرد

و حیتک عنی عصبة حنفیةحسان الوجوه آمنوا بمحمد

أقاموا لکسری یضربون جنودهبکل رقیق الشفرتین مهند و سمع أهل الیمامة مجتازا یغنی بهذه الأبیات:

وجدنا الأکثرین بنی تمیمغداة الروع أصبرهم رجالا

هم ساروا بأرعن مکفهرإلی لجب یوازنهم رعالا

بحور للأكاسر من رجال كأسد الغاب تحسبهم جبالا

هم تركوا بقادس عز فخرو بالنجفين أياما طوالا

مقطعة أكفهم و سوقبمردى حيث قابلت الجبالا و سمع أهل البحرين راكبا يقول:

ألا حييا أفناء بكر بن وائلفقد تركوا جمع الأعاجم واجما

هم صدقوا يوم القوادس فارسابأسيافهم ضربا يبل القوائما

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۰۲ أناخوا لهم فى عرصة الدار و انتموالإلى باذخ يعلو الذرى و الجماجما و سمع سامع بعمان قائلا:

ألا إن عبد القيس كانوا بأسرهمغداة قديس كالأسود الشداقم

و إذا هم من تغلب ابنة وائل كتائب تردى بالقنا و القوائم

هم فرقوا جمع الأعاجم و ابتنواقرارهم بالمقربات السواهم

فقولا لعبد الله أهلا و مرحباو تغلب إذ فضوا هوادى الأعاجم

و أشقوا رءوس العجم بالبيض و انتموالأكرم أنساب العريب الأكارم و ذكر الرواة أنهم سمعوا نحو هذا بالمدينة و مكة و نجران، و أنشدوا ما سمع فى كل موضع منها، تركت ذكر ذلك اختصارا.

و مما قيل أيضا فى فتح القادسية من الشعر الذى لم يزل العلماء قديما يروونه، قول بشر بن ربيعة الخثعمى:

تذكر هداك الله وقع سيوفنابباب قديس و المكر ضرير

عشية ود القوم لو أن بعضهميعار جناحى طائر فيطير

إذا ما فرغنا من قراع كتيبةبرزنا لأخرى كالجبال تسير

ترى القوم منها واجمين كأنهمجمال بأحمال لهن زفير

و عند أبى حفص عطاء لراحلو عند المعنى فضة و حرير و قال القعقاع بن عمرو يذكر شدة ذلك اليوم و ما لقيت الفيول فيه و تأثيره فيها:

حضض قومى مضر حى بن يعمرفلله قومى حين هزوا العواليا

و ما خام عنها يوم سادت جموعنالأهل قديس يمنعون المواليا

فإن كنت قاتلت العدو بنيةفإنى لألقى فى الحروب الدواهيا

فيولا أراها كالليوث مغيرةأسمل أعيانا لها و مآقيا و قال حمال الأسدى فى مثل ذلك:

ألا هل أتاها يوم أعماس أننىأمارس آسادا لها و فيولا

أمارس فيلا مثل كعبة أبهرترى دونه رجراجة و خيولا

طعنت برمحى عينه فرددتهيرشح بولا خشية و جفولا و قال الشماخ بن ضرار:

و يوم بجو القادسية إذ سموافعجت بقصاب من الهند نافح

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۰۳ أجالدهم و الحى حولى كأنهمرجال تلاقوا بينهم بالسوافح

و إنى لمن قوم على أن ذممتهمإذا أولموا لم يولموا بالأنافح

و أنك من قوم تحن نساؤهمإلى الجانب الأقصى حنين المنائح و قال أيضا:

فليت أبا حفص رآنا و وقعنابباب قديس بعد ما عدل الصف

حملنا على الآساد آساد فارس كحملة هرماس يحربه الصرف و قال عاصم بن عمرو:

شاب المفارق و الأعراض فالتمعتمن وقعة بقديس جرها العجم

جاب الکتائب و الأوزاع و انشمرت من صکة دیانها الحکم

بینا بجیلة قد کدت سراتهم سالت علیهم بأیدی الناصر العصم

سرنا إلیهم کأنا عارض بردتزجی توالیه الأرواح و الدیم

کان العتیق لهم مثوی و معرکةفیها الفرائض و الأوصال و اللمم و قال أبو بجید، نافع بن الأسود یمدح قومه، و یذکرهم أثرهم فی الجاهلیة و الإسلام:

و قال القضاة من معد و غیرهاتمیمک أکفاء الملوک الأعاظم

هم أهل عز ثابت و أرومةو هم من معد فی الذری و الغلاصم

و هم یضمنون المال للجار ما ثوی و هم یطعمون الدهر ضربة لازم

سدیف الذری من کل کوماء بازلمقیما لمن یعفوهم غیر جارم

فکیف تناحیها الأعاجم بعد ماعلوا لجسیم المجد أهل المواسم

و بذل الندی للسائلین إذا اعتفواو کب المتالی فی السنین الأوازم

و مدهم الأیدی إلی غایة العلی إذا أقصرت عنها أکف الألائم

و إرسالهم فی النائبات تلادهم لفک العناة أو لکشف المغارم

وقودهم الخیل العتاق إلی العدی ضواری تردی فی لجاج المخارم

مجنبة تشکو النسور من الوجی یعاندن أعناق المطی الرواسم

لتنفض و ترا أو لتحوی مغنماکذلک قدماهم حماة المغانم

و کائن أصابوا من غنیمة قاهرحدائق من نخل بقران ناعم

و کان لهذا الحی منهم غنیمةکما أحرزوا المرباع عند المقاسم

کذلک کان الله شرف قومنابها فی الزمان الأول المتقادم

و حین أتی الإسلام کانوا أئمةو قادوا معدّا کلها بالخزائم

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۰۴ إلی هجرة کانت سناء و رفعةلباقیهم فیهم و خیر مراغم

إذا الریف لم ینزل عریف بصحبه و إذ هو تکفیه ملوک الأعاجم

فجاءت تمیم فی الکتائب نصرةیسیرون صفا کاللیوث الضراغم

علی کل جرداء السراة و ملهب بعید مدی التقریب عبل القوائم

علیهم من الماذی زعف مضاعفله حبک من شکة المتلازم

فقیل لکم مجد الحیاة فجاهدوافأنتم حماة الناس عند العظائم

فصفوا لأهل الشرک ثم تکبکبواو طاروا علیهم بالسیوف الصوارم

فما برحوا یعصونهم بسیوفهم علی الهام منهم و الأنوف الرواغم

لدن غدوة حتی تولوا تسوقهم رجال تمیم ذحلها غیر نائم

من الراکبین الخیل شعثا إلی الوغی بصم القنا و المرهفات القواصم

فتلک مساعی الأکرمین ذوی الندی تمیمک لا مسعاة أهل الألائم

ذکر فتح المدائن «۱» و ما نشأ بینه و بین القادسیة من الأمور

و المدائن على مسافة بعض يوم من بغداد، و يشتمل مجموعها على مدائن متصلة مبنية على جانبى دجلة شرقا و غربا، و دجلة تشق بينها، و لذلك سميت المدائن. فالمدينة الغربية منها تسمى بهرسير، و المدينة الشرقية تسمى العتيقة، و فيها القصر الأبيض الذى لا يدرى من بناه، و يتصل بهذه المدينة العتيقة المدينة الأخرى التى كانت الملوك تنزلها و فيها الإيوان، إيوان كسرى العجيب الشأن، الشاهد بضخامة ملك بنى ساسان، و يقال: إن سابور ذا الأكتاف منهم هو الذى بناه، و هو من أكابر ملوكهم، و قد بنى ببلاد فارس و خراسان مدنا كثيرة ذكرها أبو بكر بن ثابت الخطيب فى صدر كتابه فى تاريخ بغداد «۲».

قال: و كان الإسكندر أجل ملوك الأرض، و قيل: إنه ذو القرنين الذى ذكره الله فى كتابه، فقال: إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً فَأَتْبَعَ سَبَباً

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۶۱۹)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۲/ ۳۵۲- ۳۶۱)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۶۱، ۶۴- ۶۹)، الروض المعطار للحميرى (ص ۵۲۶- ۵۲۹)، معجم البلدان لياقوت (۵/ ۷۵).

(۲) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (۱/ ۱۲۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۰۵

[الكهف: ۸۴، ۸۵]، حتى بلغ مشارق الأرض و مغاربها، و له فى كل إقليم أثر، فبنى بالمغرب الإسكندرية، و بخراسان العليا على ما يقال سمرقند، و مدينة الصغد، و بخراسان السفلى مرو و هراة، و بناحية الجبل جىّ و مدينة أصبهان، و بنى مدنا أخرى كثيرة فى نواحى الأرض و أطرافها، و جال الدنيا كلها و وطئها، فلم يختر منها منزلا سوى المدائن فنزلها، و بنى بها مدينة عظيمة، و جعل عليها سورا أثره باق، و هى المدينة التى تسمى الرومية فى جانب دجلة الشرقى، و أقام بالإسكندرية راغبا عن بقاع الأرض كلها و عن بلاده و وطنه.

و ذكر بعض أهل العلم أنها لم تزل مستقرة منذ نزلها حتى مات بها، و حمل منها فدفن بالإسكندرية لمكان والدته، فإنها كانت إذ ذاك باقية هناك.

و قد كان ملوك الفرس لهم حسن التدبير و السياسة و النظر فى الممالك و اختيار المنازل، فكلهم اختار المدائن و ما جاورها لصحة تربتها و طيب هوائها و اجتماع مصب دجلة و الفرات بها.

و يذكر عن الحكماء أنهم كانوا يقولون: إذا أقام الغريب على دجلة من بلاد الموصل تبين فى بدنه قوة، و إذا أقام بين دجلة و الفرات بأرض بابل تبين فى عقله زيادة و فى فطنته ذكاء وحدة، و ذلك الذى أورث أهل بغداد الاختصاص بحسن الأخلاق و التفرد بجميل الأوصاف، و قل ما اجتمع اثنان متشاكلان، و كان أحدهما بغداديا إلا كان هو المقدم فى لطف الفطنة، و حسن الحيلة، و حلاوة القول، و سهولة البذل، و وجد ألينهما جانبا، و أجملهما معاشرة.

و كان حكم المدائن إذ كانت عامرة آهلة هذا الحكم، و لم تزل دار مملكة الأكاسرة، و محل كبار الأساورة، و لهم بها آثار عظيمة، و أبنية قديمة، منها الإيوان الذى لم ير فى معناه أحسن منه صنعة، و لا أعجب عملا، و قد أحسن فى وصفه أبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى فى قصيدة له على روى السين يقال إنه ليس للعرب سينية مثلها، و وصف أيضا معه القصر الأبيض، و ما كان مصورا فيه من الصور العجيبة و التماثيل البديعة و الصنائع الغريبة فأبدع فى وصف ذلك و أحسن ما شاء، فقال:

حضرت رحلى الهموم فوجهت إلى أبيض المدائن عنس

أتسلى عن الحظوظ و آسىلمحل من آل ساسان درس

أذكرتنيهم الخطوب التوالىو لقد تذكر الخطوب و تنس

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۰۶ و هم خافضون فى ظل عالمشرف يحسر العيون و يخس

حلل لم تکن کأطلال سعدی‌فی قفار من البسابس ملس
و مساع لو لا المحاباة منی‌لم تطقها مسعاة عنس و عبس
لو تراه علمت أن اللیالی‌جعلت فیه مأتما بعد عرس
و هو ینبیک عن عجائب قوم‌لا یشاب البیان فیهم بلبس
و إذا ما رأیت صورة أنطاکیة ارتعت بین روم و فرس
و المنایا مواثل و أنو شروان یزجی الصفوف تحت الدرفس
فی اخضرار من اللباس علی أصفر یختال فی صبیغة ورس
و عراک الرجال بین یدیه‌فی خفوت منهم و إغماض جرس
من مشیح یهوی بعامل رمح‌و ملیح من السنان بترس
تصف العین أنهم جد أحیاء لهم بینهم إشارة خرس
یغتلی فیهم ارتیابی حتی‌تتقراهم یدای بلمس
حلم مطبق علی الشک عینی‌أم أمان غیرن ظنی و حدس
و کأن الإیوان من عجب الصنعة جوب فی جنب أرعن جلس
یتظنی من الکآبة إذا یبدو لعینی مصبح أو ممس
مزعجا بالفراق عن أنس إلف‌عز أو مرهقا بتطلیق عرس
عکست حظه اللیالی و بات المشتری فیه و هو کوکب نحس
فهو یبدی تجلدا و علیه‌کلکل من کلاکل الدهر مرس
لم یعبه أن بز من بسط الدیباج و استل من ستور الدمقس
مشمخر تعلو له شرفات‌رفعت فی رءوس رضوی و قدس
لابسات من البیاض فما تبصر منها إلا جلائل برس
لست تدری أصنع إنس لجن‌صنعوه أم صنع جن لإنس

غیر أنی أراه یشهد أن لم‌یک بانیه فی الملوک بنکس و لا أعلم أحدا من الشعراء وصف القصر الأبیض و هذا الإیوان بأبدع من هذا الوصف و لا أشجی و لا أوقع.

و یروی أن أبا جعفر المنصور، رحمه الله، لما أفضت إلیه الخلافة هم بنقض هذا الإیوان، و استشار فی ذلک جلساءه و ذوی الرأی عنده من رجاله، فکلهم وافقه علی رأیه و أشار علیه بما یطابق هواه إلا خالد بن برمک، فإنه قال له: لا تفعل یا أمیر المؤمنین

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۰۷

فإنه آیة الإسلام، و إذا رآه من یأتی فی مستقبل الزمان علم أن أصحاب مملکته لم یغلبوا علیه إلا بأمر من عند الله و بتأیید أمد به المسلمین الذین قهروهم، و بقاؤه فخر لکم و ذکر، و مع هذا فالمؤونة فی هدمه أکثر من العائد علیه، فاستغشه المنصور فی ذلک، و قال له: یا خالد، أبیت إلا میلا مع العجمیة، ثم أمر بنقض الإیوان، فبلغت النفقة فی نقض الشیء الیسیر منه مبلغا عظیما، فکتب إلیه بذلک فعزم علی ترکه، و قال لخالد بن برمک: قد صرنا إلی رأیک، فقال له خالد: إن رأیی الآن أن تبلغوا به الماء، فقال له المنصور: و کیف ذلک؟ قال: لأنی آنف لکم أن یکون أولئک بنوا بناء تعجزون أنتم عن هدمه و الهدم أسهل من البناء. ففکر المنصور فی قوله فعلم أنه قد صدق، ثم نظر فإذا هدمه یتلف الأموال فأمر بالإمساک عنه. و کان بعد یقول: لقد حب إلیّ هذا البناء أن لا أبنی إلا بناء جلیلا یصعب هدمه.

و قد بشر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أصحابه بالاستيلاء على مملكة فارس و وعدهم بافتتاح المدائن، فضرب يوم الخندق بمعول أخذه صخرة عظيمة اعتاصت عليهم فى الخندق، فكسر ثلثها بضربة، و قال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، و الله إنى لأبصر قصورها الحمر الساعة»، ثم ضرب الثانية فكسر ثلثها الثانى و قال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، و الله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض»، ثم ضرب الثالثة فكسر بقية الحجر و قال:

«الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، و الله إنى لأرى أبواب صنعاء من مكانى هذا الساعة» فصدق الله وعده و أنجز لمحمد صلى اللّه عليه و سلم ما بشرهم به و استأصل بهم مملكة فارس، و فتح عليهم المدائن فى زمان عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر سيف بن عمر عمن سماه من رجاله «۱» و ربما زدت فى تضاعيفه من حديث غيره، قالوا: عهد عمر، رضى الله عنه، إلى سعد حين أمره بالمسير إلى المدائن أن يخلف النساء و العيال بالعتيق، و يجعل معهم كثفا من الجند ففعل، و عهد إليه أن يشركهم فى كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين فى عيالاتهم قالوا: و كان مقام سعد بالقادسية بعد الفتح شهرين فى مكاتبة عمر، رضى الله عنه، فى العمل بما ينبغى، فقدم سعد زهرة بن جوية نحو اللسان، و هو لسان البحر الذى أدلعه فى الريف، و عليه الكوفة اليوم، و كانت عليه قبل اليوم الحيرة، و كان النخيرجان معسكرا به فأرفض و لم يثبت حين سمع بمسيرهم إليه، و لحق بأصحابه. ثم أمر سعد عبد الله بن المعتم أن يتبع زهرة و أمر شرحبيل بن السمط أن يتبع عبد الله ثم أتبعهم هاشم بن عتبة و ولاه خلافته التى كان

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۶۱۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۰۸

عليها قبل خالد بن عرفطة، و جعل خالدا على الساقة، ثم ارتحل سعد يتبعهم بعد فراغه من أمر القادسية كله، و كل المسلمين فارس مؤد قد نقل الله، عز و جل، إليهم ما كان فى عسكر فارس من سلاح و كراع و مال، فسار زهرة حتى ينزل الكوفة، و الكوفة كلها حصباء و رملة حمراء مختلطين، ثم نزل عليه عبد الله و شرحبيل، فارتحل زهرة عند ذلك نحو المدائن.

فلما انتهى إلى برس لقيه بها بصبهرى فى جمع فناوشهم زهرة فهزمهم، و هربوا إلى بابل و بها فالة القادسية و بقايا رؤسائهم، و كان زهرة قد طعن بصبهرى يوم برس فمات من طعنته بعد ما لحق ببابل، و أقبل عند ذلك بسطام دهقان برس فاعتقد من زهرة و عقد له الجسور، و أتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل. و قدموا على أنفسهم الفيرزان، فكتب بذلك زهرة إلى سعد فأتاه الخبر و قد نزل بالكوفة على من بها مع هاشم بن عتبة، فقدمهم ثم أتبعهم حتى نزل برس فقدم منها زهرة و أتبعه الآخرين، ثم أتبعهم حتى نزلوا على الفيرزان ببابل فاقتتلوا فهزموا المشركين فى أسرع من لفت الرداء فانطلقوا على وجهين، و لم تكن لهم همة إلا الافتراق، فخرج الهرمزان نحو الأهواز، و خرج الفيرزان معه حتى طلع على نهاوند، و بها كنوز كسرى، فأخذها و أكل الماهين، و صمد النخيرجان و مهران الرازى للمدائن، حتى عبرا بهرسير إلى جانب دجلة الآخر، ثم قطعا الجسر و خلفا شهريار دهقانا من دهاقين الباب فى جمع بكوثى، فقدم سعد، زهرة بن جوية ثم أتبعه الجنود، فساروا إليه.

فلما التقى بأطراف كوثى جيش شهريار و أوائل خيل المسلمين، خرج شهريار فنادى: أ لا رجل، أ لا فارس منكم شديد عظيم يخرج إلىّ حتى أنكلكم به، فقال زهرة و كايده: لقد أردت أن أبارزك، فأما إذ سمعت قولك، فإنى لا أخرج إليك إلا عبدا، فإن أقمت له قتلك و إن فررت منه فإنما فررت من عبد، ثم أمر أبا نباتة نائلا الأعوجى و كان من شجعان بنى تميم، فخرج إليه، مع كل واحد منهما الرمح، و كلاهما وثيق الخلق، إلا أن شهريار مثل الجمل، فلما رأى نائلا ألقى الرمح ليعتنقه، و ألقى نائل الرمح ليعتنقه، و انتضيا سيفيهما فاجتلدا، ثم اعتنقا فخرا عن دابتيهما، فوقع شهريار على نائل كأنه بيت، فضعضعه بفخذه، و أخذ الخنجر و أراد حل أزرار درعه ليذبحه، فوقعت إبهامه فى فم نائل، فمضغها فحطم عظمها و أحس منه فتورا، فثاوره فجلد به الأرض، ثم قعد على صدره، و أخذ

خنجره فکشف درعه عن بطنه، فطعن فی بطنه و جنبه حتى مات، فأخذ فرسه و سواریه و سلبه، و انکشف أصحابه، فذهبوا فی البلاد، و أقام زهرة بکوثى

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۰۹

حتى قدم علیه سعد، فغنم سعد نائلا ذلک السلب کله، و قال له: عزمت علیک یا نائل إلا لبست سواریه و قباءه و درعه و رکبت دابته، فانطلق فتدرع سلبه ثم أتاه فی سلاحه على دابته، فقال له سعد: اخلع سواریک إلا أن ترى حربا فالبسهما، و کان أول رجل من المسلمین سور بالعراق.

قالوا: فأقام سعد بکوثى أیاما و أتى المکان الذی حبس فیه إبراهیم، علیه السلام، بکوثى، و البیت الذی کان فیه محبوسا فنظر إلیه و صلى على رسول الله و على إبراهیم و على أنبیاء الله، صلوات الله على جمیعهم، و قرأ: وَ تِلْکَ الْأَیَّامُ نُداوِلُها بَیْنَ النَّاسِ [آل عمران: ۱۴۰]، ثم إن سعدا قدم زهرة إلى بهرسیر فمضى من کوثى فی المقدمات و تبعته المجنبات، و خرج هاشم، و خرج سعد فی أثره، و قد فل زهرة کتیبة کسرى التی کانت تدعى بوران حول المظلم، مظلم ساباط، و کان رجالها یحلفون کل یوم بالله لا یزول ملک فارس ما عشنا.

و لما انتهى هاشم إلى مظلم ساباط وقف لسعد حتى لحق به، فلما نزل قاله: أَ وَ لَمْ تَکُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَکُمْ مِنْ زَوالٍ [إبراهیم: ۴۴]، و وافق ذلک رجوع المقرط، أسد کان کسرى قد ألفه و تخیره من أسود المظلم، فبادر المقرط الناس حتى انتهى إلیهم سعد، فنزل إلیه هاشم فقتله، فقبل سعد رأسه، و قبل هاشم قدمیه.

و قال المدائنی: فنظر هاشم إلى الناس و قد أحجموا و وقفوا فقال: ما لهم؟ فقیل له: أسد قد منعهم، ففرج هاشم الناس و قصد له فثاوره الأسد و ضربه هاشم فقطع موصله کأنما اجتلم به غصنا، و وقعت الضربة فی خاصرته، و قال بعضهم: على هامته، فقتله.

قالوا: و قدم سعد هاشما إلى بهرسیر ثم ارتحل سعد فنزل على البأس بها و جعل المسلمون المتقدمون إلیها کلما قدمت علیهم خیل وقفوا ثم کبروا حتى نجز آخر من کان مع سعد، و لما نزل سعد على بهرسیر بث الخیول، فأغار على ما بین دجلة إلى من له عهد من أهل الفرات، فأصابوا مائة ألف فلاح، فقال شیرزاذ، دهقان ساباط، و کان قد تلقى زهرة فی طریقه بالصلح و تأدیة الجزیة، فقال لسعد عند ما أتى بالفلاحین فخندق لهم: إنک لا تصنع بهؤلاء شیئا، إنما هؤلاء علوج لأهل فارس فدعهم إلیّ حتى یفرق لک الرأی فیهم، فکتب علیه بأسمائهم، و دفعهم إلیه، فقال لهم شیرزاذ: انصرفوا إلى قراکم.

و کتب سعد إلى عمر رحمهما الله: إنا وردنا بهرسیر بعد الذی لقینا بین القادسیة و بهرسیر، فلم یأتنا أحد لقتال، فبثثت الخیول فجمعت الفلاحین من القرى و الآجام،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۱۰

فرأیک. فأجابه عمر: إن من أتاکم من الفلاحین إذا کانوا مقیمین لم یعینوا علیکم فهو أمانهم، و من لم یأتکم و لم یهرب فهو أمانهم، و من هرب فأدرکتموه فشأنکم به.

فلما جاء سعدا الکتاب خلى عنهم. و راسله الدهاقین، فدعاهم إلى الإسلام أو الجزاء و لهم الذمة و المنعة، فرضوا بالجزیة و المنعة، و لم یبق فی غربی دجلة إلى أرض العرب سوادی إلا أمن و اغتبط بملک الإسلام و استقبلوا الخراج.

و أقام سعد بالناس على بهرسیر یرمونهم بالمجانیق و یدبون إلیهم بالدبابات، و یقاتلونهم بکل عدة.

قال بعضهم: و کان سعد عند ما نزلها و علیها خنادقها و حرسها و عدة الحرب استصنع شیرزاذ المجانیق فنصب على أهلها عشرین منجنیقا فشغلهم بها، و کان الأعاجم و العرب مطیفین بهم، و ربما خرجوا یمشون على المسنیات المشرفة على دجلة فی جماعتهم و عدتهم لقتال المسلمین، فلا یقومون لهم، فکان آخر ما خرجوا فی رجالة و ناشبة، و تجردوا للحرب، و تتابعوا على الصبر، فقاتلهم

المسلمون فكذبوا و توالوا، و كانت على زهرة بن الجوية يومئذ درع مفصومة، فقيل له: لو أمرت بهذا الفصم فسرد فقال: و لم؟ فقالوا: إنا نخاف عليك منه، فقال: إنى لكريم على الله، أن ترك سهم فارس الجند كلهم ثم أتانى من هذا الفصم حتى يثبت فىّ، فكان أول رجل من المسلمين أصيب يومئذ بنشابة، فثبتت فيه من ذلك الفصم، فقال بعضهم: انزعوها عنه، فقال: دعونى، فإن نفسى معى ما دامت فىّ، لعلى أن أصيب فيهم بطعنة أو بضربة أو خطوة، فمضى نحو العدو، فضرب بسيفه شهربراز من أهل اصطخر، فقتله، و أحيط به فقتل و انكشفوا.

و سيأتى بعد من أخبار زهرة بن الجوية و آثاره فى الوقائع التى لا شك فى كونها بعد هذه ما يوهن خبر قتله المذكور آنفا، و الأولى بحسب هذا إن شاء الله أن يكون غير زهرة هو صاحب هذه القصة؛ إذ قد ذكر المدائنى أن هاشم بن عتبة قال لزهير بن سليم الأزدى، قال: و يقال لغيره، و رأى فى درعه فصما، إنى لا آمن أن تصيبك نشابة فى هذا الموضع، فلو سردته قال: لئن تركت نشابة الفارسى جسدى كله إلا هذا الموضع إنى إذا لسعيد، ثم ذكر نحو ما تقدم، فالله أعلم.

و قال أنيس بن الحليس «۱»: بينا نحن محاصرون بهرسير بعد زحفهم و هزيمتهم، أشرف علينا رسول فقال: إن الملك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۱۱

دجلة و جبلها، و لكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أ ما شبعتم لا أشبع الله بطونكم؟

فبدر الناس أبو مفرز الأسود بن قطبة، و قد أنطقه الله، عز و جل، بما لا يدرى ما هو و لا نحن، فأجابه بالفارسية و لا يعرف منها شيئا هو و لا نحن، فرجع الرجل و رأيناهم يقطعون إلى المدائن، فقلنا: يا أبا مفرز ما قلت له؟ قال: لا و الذى بعث محمدا بالحق ما أدرى ما هو، و إلا أنى علتنى سكينة، و أرجو أن أكون أنطقت بالذى هو خير، و انتاب الناس يسألونه حتى سمع بذلك سعد، فجاءنا فقال: يا أبا مفرز ما قلت له؟ فو الله إنهم لهراب، فحدثه بمثل حديثه إيانا، فنادى فى الناس، ثم نهد بهم، فما ظهر على المدينة أحد و لا خرج إلينا إلا رجل نادى بالأمان فأمناه، فقال: ما بقى أحد فيها فما يمنعكم، فتسورها الرجال، و افتتحناها، فما وجدنا فيها شيئا و لا أحدا، إلا أسارى أسرناهم خارجا منها، فسألناهم و ذلك الرجل: لأى شىء هربوا؟ فقال: بعث إليكم الملك يعرض عليكم الصلح، فأجبتموه أنه لا يكون بيننا و بينكم صلح أبدا حتى نأكل عسل أفريذون بأترج كوثى، فقال الملك: وا ويلة أ لا أرى الملائكة تكلم على ألسنتهم، ترد علينا و تجيبنا عن العرب، و و الله لئن لم يكن كذلك، ما هو إلا شىء ألقى علىّ فى هذا الرجل لننتهى، فأرزوا إلى المدينة القصوى.

قالوا: و لما دخل سعد و المسلمون بهرسير أمر بها فثلمت و تحول العسكر إليها و لاح لهم و ذلك فى جوف الليل القصر الأبيض، فقال ضرار بن الخطاب: الله أكبر، أبيض كسرى هذا ما وعد الله و رسوله، و تابعوا التكبير حتى أصبحوا.

و قال القعقاع بن عمرو:

أ لم يأتيك و الأخبار تنمىو تصعد فى الملمعة الفياف

توافينا و منزلنا جميعاأمام الخيل بالسمر الثقاف

قسمنا أرضهم قسمين حتىنزلنا مثل منزلهم كفاف

دعاء ما دعونا آل كسرىو قد هم المرازب بانصراف

و ما أن طبهم جبن و لكنرميناهم بداعية ذعاف

فتحنا بهرسير بقول حقأتانا ليس من سجع القوافى

و قد طارت قلوب القوم مناو ملوا الضرب بالبیض الخفاف و لما نزل سعد بهرسیر، و هی المدینة الدنیا من المدائن، طلب السفن لیعبر بالناس إلی المدینة القصوی منها، فلم یقدر علی شیء، و وجدهم قد ضموا السفن، فأقاموا أیاما یریدونه علی العبور فیمنعه الإبقاء علی المسلمین، و دجلة قد طما ماؤها یتدفق جانباها،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۱۲

فیروی أنه بینا سعد و المسلمون کذلک إذ سمعوا لیلا قائلا یقول: یا معشر المسلمین، هذه المدائن قد غلقت أبوابها و غیبت السفن و قطعت الجسور فما تنتظرون، فربکم الذی یحملکم فی البر هو الذی یحملکم فی البحر، فندب سعد الناس إلی العبور، فأتاه قوم من العجم ممن قد اعتقد منه ذمة فقالوا: ندلک علی موضع أقل غمرا من هذا، فدلوه علی دیلمایا «۱».

و قیل «۲»: إن سعدا رأی رؤیا کأن خیول المسلمین اقتحمت دجلة فعبرتها، و قد أقبلت من المد بأمر عظیم، فعزم علی تأویل رؤیاه علی العبور، و فی سنة جود صیبها متتابع، فجمع الناس فحمد الله و أثنی علیه ثم قال: إن عدوکم قد اعتصم منکم بهذا البحر فلا تخلصون إلیهم معه، و هم یخلصون إلیکم إذا شاءوا، فیناوشونکم فی سفنهم، و لیس وراءکم شیء تخافون أن تؤتوا منه، فقد کفاکموهم أهل الأیام، و أعطوا ثغورهم، و أفنوا ذادتهم، و قد رأیت من الرأی أن تبادروا جهاد العدو بنیاتکم قبل أن تحصدکم الدنیا: ألا إنی قد عزمت علی قطع هذا البحر إلیهم، فقالوا جمیعا: عزم الله لنا و لک علی الرشد فافعل، فقال: من یبدأ و یحمی لنا الفراض حتی یتلاحق به الناس لکیلا یمنعوهم الخروج؟

فانتدب له عاصم بن عمرو أول الناس، و انتدب معه ستمائة من أهل النجدات، و استعمل علیهم عاصما، فسار فیهم حتی وقف علی شاطئ دجلة فقال: من ینتدب معی لنمنع الفراض من عدوکم حتی تعبروا؟ فانتدب له ستون فجعلهم نصفین علی خیول إناث و ذکور، لیکون أسلس لعوم الخیل، ثم اقتحموا دجلة و اقتحم بقیة الستمائة علی أثرهم و قد شدوا علی خیولهم حزمها و ألبابها و قرطوها أعنتها و شدوا علیهم أسلحتهم، فلما رأتهم الأعاجم و ما صنعوا أعدوا للخیل التی تقدمت خیلا مثلها، فاقتحموا إلیهم دجلة، فلقوا عاصما فی السرعان، و قد دنا من الفراض، فقال: الرماح الرماح أشرعوها و توخوا العیون، فالتقوا، فاطعنوا فی الماء، و توخی المسلمون عیونهم، فتولوا نحو البر و المسلمون یشمسون بهم خیلهم حتی ما یملکون منها شیئا، فلحقوا بهم فی البر فقتلوا عامتهم، و نجا باقیهم عورانا. و نزلت بالمسلمین خیولهم حتی انتقضت علی الفراض، و تلاحق باقی الستمائة بأوائلهم الستین غیر متعتعین.

و یروی أن أولئک الستین خرجوا یومئذ من دجلة منقطعین زمرا، الزمرة الأولی تسعة فیهم عاصم، و الثانیة ثمانیة عشر، و الثالثة ثلاثة و ثلاثون، و یومئذ سمیت کتیبة عاصم هذه کتیبة الأهوال، لما رأی منهم فی الماء و الفراض.

---

(۱) دیلمایا: موضع بالعراق علی دجلة. انظر الخبر و التعریف فی: الروض المعطار (ص ۲۴۹).

(۲) انظر: الطبری (۴/ ۹، ۱۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۱۳

و لما رأی سعد عاصما علی الفراض و قد منعها، أذن للناس فی الاقتحام، و قال: قولوا نستعین بالله، و نتوکل علی الله، حسبنا الله و نعم الوکیل، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلی العظیم، و تلاحق عظم الجند فرکبوا اللجة، و اعترضوا دجلة و إنها لمسودة تزخر، لها حدب یقذف بالزبد، فکان أول من اقتحم سعد بن أبی وقاص، ثم اقتحم الناس، و قد قرنوا أنثی بکل حصان یتحدثون علی ظهورها کما یتحدثون علی الأرض، و طبقوا دجلة خیلا و دواب و رجالا حتی ما یری الماء من الشاطئ أحد، و سلمان الفارسی یسایر سعدا یحدثه، و الماء یطفو بهم، و الخیل تعوم، فإذا أعیا فرس استوی قائما یستریح کأنه علی الأرض، فقال قیس بن أبی حازم: إنی لأسیر فی دجلة فی أکثر مائها إذ نظرت إلی فارس و فرسه کأنه واقف ما یبلغ الماء حزامه.

و قال بعضهم: لم یکن بالمدائن أمر أعجب من ذلک، فقال سعد: ذٰلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ [فصلت: ۱۴].

و فى روايـة أنه قال لسلمان و هو يسايره فى الماء: و الله لينصـرن الله وليه، و ليظهرن الله دينه، و ليهزمن عـدوه، إن لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات، فقال سلمان: يا أبا إسحاق، الإسلام جديد، ذلل الله لكم البحر كما فرقه و ذلّله لبنى إسرائيل، و الذى نفس سلمان بيده، لتخرجن منه أفواجا كما دخلتموه أفواجا، فخرجوا منه كما قال سلمان، لم يفقدوا شيئا، و لم يغرق فيه أحد.

قال أبو عثمان النهدى «۱»: إلا رجلا من بارق يدعى غرقدة، زل عن ظهر فرس له شـقراء، كأنى أنظر إليها عريا تنفض عرفها، و الغريق طاف، فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه إليه، فجره حتى عبر، فقال البارقى: و كان من أشد الناس: أعجزت الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع و كانت للقعقاع فيهم خئولة.

و قال بعض رجال سيف بن عمر «۲»: إنه لم يـذهب للمسـلمين يومئذ فى الماء شـىء إلا قدح كانت علاقته رثة، فانقطعت، فذهب به الماء، فقال الرجل: الذى كان يعاوم صاحب القدح «۳» معيرا له: أصابه القدر فطاح، فقال: إنى لأرجو و الله أن لا يسلبنى الله قدحى من بين أهل العسكر، و إذا رجل من المسلمين ممن تقدم ليحمى الفراض قد سفل

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۰).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۱۲).

(۳) هو: مالك بن عامر، حليف لقريش من عنزة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۱۴

حتى طلعت عليه أوائل الناس، و قـد ضـربت الرياح و الأمواج القـدح حتى وقع إلى شاطئ، فتناوله برمحه، فجاء به إلى العسكر فعرّفه، فعرفه صـاحبه فأخـذه، و قـال لصـاحبه الـذى كـان يعـاومه: أ لم أقـل لك؟ فيروى أن عمر، رحمه الله، بلغه ما كان قال له صاحبه أولا، فأنكره و أرسل إليه: أنت القائل أصابه القدر فطاح؟ تفجع مسلما!.

و قال الأسود بن قطبة أبو مفزر يرتجز يومئذ:

يا دجل إن الله قد أشجاكهذى جنود الله فى قراك

فلتشكرى الذى بنا حباكو لا تروعى مسلما أتاك و قال عاصم بن عمرو فى ذلك:

ألا هل أتاها أن دجلة ذللتعلى ساعة فيها القلوب تقلب

ترانا عليها حين عبّ عبابهاتبارى إذا جاشت بموج تصوب

نفينـا بهـا كسـرى عن الـدار فانتوىلأبعـد مـا ينوى الركيك الموقب قال: و فجأ المسـلمون أهل فارس من هـذا العبور بأمر لم يكن فى حسـبانهم، فـأجهضوكم و أعجلوهم عن حمل أموالهم، و خرجوا هرابا، و قـد كان يزدجرد خرج قبلهم إلى حلوان فنزلها بعـد أن قـدم إليها عياله حين أخـذت بهرسير و خرجوا معهم بما قـدروا عليه من حر متاعهم و خفيفه، و بالنساء و الـذرارى و ما قدروا عليه من بيت المال، و تركوا فى الخوائن من الثياب و المتاع و الآنيـة و الألطاف و الأدهان ما لا يـدرى ما قيمته، و خلفوا ما كانوا أعدوا للحصار من البقر و الغنم و كـل الأطعمـة و الأشـربة، فـدخل المسـلمون المـدائن و استولوا على ذلك كله فكان أول من دخلها كتيبـة الأهوال، ثم تبعتهـا الخرسـاء، كتيبـة سـعد، فأخـذوا فى سـككها لا يلقون أحـدا و لا يحسونه إلا ما كان فى القصـر الأبيض، فأحاطوا بهم و دعوهم فاستجابوا لسـعد على الجزاء و الذمة، و يرجع إليها أهـل المـدائن على مثل عهـدهم، ليس فى ذلك ما كان لآل كسـرى و من خرج معهم.

و نزل سعد القصر الأبيض و سرح زهرة فى آثار القوم إلى النهروان فانتهى إليها، و سرح مقدار ذلك فى طلبهم من كل وجه.

و قال حبيب بن صـبهان «۱»: لما عبر المسـلمون دجلة، جعل أهل فارس و هم ينظرون إليهم يعبرون يقول بعضـهم لبعض بالفارسـية ما تفسيره بالعربية: إنكم و الله ما تقاتلون الإنس و إنما تقاتلون الجن.

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۱۵

قالوا: و ما زالت حماة أهل فارس یقاتلون على ماء الفراض یمنعون المسلمین من العبور، حتى ناداهم مناد: علام تقتلون أنفسکم؟ فو الله ما فی المدائن من أحد، فانهزموا و اقتحمتها الخیول علیهم، و لما دخلها سعد فرأى خلوتها و انتهى إلى إیوان کسرى أقبل یقرأ کَمْ تَرَکُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُیُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ کَرِیمٍ وَ نَعْمَةٍ کانُوا فِیها فاکِهِینَ کَذلِکَ وَ أَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِینَ [الدخان: ۲۵، ۲۸]، و صلى فیه صلاة الفتح، و لا تصلى جماعة، فصلى ثمانی رکعات لا یفصل بینهن، و اتخذ الإیوان مسجدا، و فیه تماثیل الجص رجال و خیل، فلم یمتنع هو و لا المسلمون، یعنى من الصلاة فیه، لأجلها، و ترکوها على حالها، و أتم سعد الصلاة یوم دخلها لأنه أراد المقام بها. و بالمدائن کانت أول جمعة جمعت بالعراق فی صفر سنة ست عشرة. و وکل سعد بالإقباض من یجمعها «۱»، و أمره بجمع ما فی القصر و الإیوان و منازل کسرى و سائر الدور، و إحصاء ما یأتیه به الطلب، و قد کان أهل المدائن تأهبوا عند المدائن للغارة، ثم طاروا فی کل وجه، فما أفلت أحد منهم بشیء و لا بخیط، ألح علیهم الطلب فتنفذوا ما فی أیدیهم، و رجعوا بما أصابوا من الأقباض، فضموها إلى ما قد جمع.

و قال حبیب بن صبهان: دخلنا المدائن، فأتینا على قباب ترکیة مملوءة سلالا مختمة بالرصاص، فما حسبناها إلا طعاما، فإذا هی آنیة الذهب و الفضة و قسمت بعد بین الناس.

قال: و لقد رأیت الرجل یطوف و یقول: من معه بیضاء بصفراء؟ و أتینا على کافور کثیر فما حسبناه إلا ملحا، فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته فی الخبز.

و عن الرفیل بن میسور «۲» قال: خرج زهرة، یعنى ابن الجویة، فی المقدمة یتبعهم حتى انتهى إلى جسر النهروان و هم علیه، فازدحموا فوقع بغل فی الماء و عجلوا عنه ثم کلبوا علیه، فقال زهرة: أقسم بالله إن لهذا البغل لشأنا، ما کلب القوم علیه و لا صبروا للسیوف بهذا الموقف الضنک بعد ما أرادوا ترکه إلا لشیء، فترجل حتى إذا أزاحهم أمر أصحابه فاحتملوا البغل بما علیه حتى أدوه إلى الأقباض ما یدرون ما علیه، و إذا الذی علیه حلیة کسرى، ثیابه و خرزاته و وشاحه و درعه التی کان فیها الجوهر، و کان یجلس فیها للمباهاة.

(۱) هو: عمرو بن عمرو بن مقرن.

(۲) انظر: الطبری (۴/ ۱۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۱۶

و قال الکلج الضبی: کنت فیمن خرج للطلب، فإذا أنا ببغالین قد ذبا الخیل عنهما بالنشاب، فما بقى معهما غیر نشابتین، فالتظظت بهما، فاجتمعا، و قال أحدهما لصاحبه: ارمه و أحمیک، أو أرمیه و تحمینى، فحمى کل واحد منهما صاحبه حتى رمیا بهما. ثم إنی حملت علیهما فقتلتهما، و جئت بالبغلین ما أدرى ما علیهما، حتى بلغتهما صاحب الأقباض، فإذا هو یکتب ما یأتیه به الرجال و ما کان فی الخزائن و الدور، فقال:

على رسلک حتى ننظر ما معک فحططت عنهما، فإذا سفطان على أحد البغلین فیهما تاج کسرى مفسخا، و کان لا- تحمله إلا أسطوانتان، و فیهما الجوهر، و على الآخر سفطان فیهما ثیاب کسرى التی کان یلبس من الدیباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر و غیر الدیباج منسوجا منظوما.

قالوا «۱»: و خرج القعقاع یومئذ فی الطلب، فلحق بفارسی یحمی الناس، فاقتتلا فقتله القعقاع، و إذا معه جنبیة علیها عیبتان و غلافان فی أحدهما خمسة أسیاف و فی الآخر ستة، و فی العیبتین أدراع، درع کسرى و مغافره و ساقاه و ساعداه، و درع هرقل، و درع النعمان، و

درع داهر، و درع سیاوخش، و درع بهرام شوبین، و کانوا استلبوا ما لم یرثوا منها، مما استلبوا أیام غواتهم خاقان و هرقل و داهر، و أما النعمان و بهرام فحین هربا و خالفا کسری. و فی أحد الغلافین سیف کسری و هرمز و کسوتی قباذ و فیروز، و فی الآخر سیوف سائر من نسبت إلیه دروع من تلک الدروع، فجاء القعقاع بذلک کله إلی سعد، فقال له: اختر أحد هذه الأسیاف، فاختار سیف هرقل، و أعطاه إیاه معه درع بهرام، و نفل سعد سائر ذلک فی الخرساء، کتیبته، إلا سیف کسری و النعمان، فإنه بعث بهما إلی عمر فی الأخماس مع حلی کسری و تاجه و ثیابه، لیری ذلک المسلمون، و لتسمع به العرب، لمعرفتهم بها.

و قال عصمة الضبی «۲»: خرجت فیمن خرج یطلب، فأخذت طریقا مسلوکا فإذا علیه حمّار، فلما رآنی حث حماره فلحق آخر قدامه، فمالا و حثا حماریهما، فانتهینا إلی جدول قد کسر جسره، فثبتا حتی أتیتهما، ثم تفرقا، و رمانی أحدهما فألظظت به حتی قتلته، و أفلت الآخر، فرجعت إلی الحمارین، فأتیت بهما صاحب الأقباض، فنظر فیما علی أحدهما، فإذا سفطان فی أحدهما فرس من ذهب مسروج بسرج من فضة علی ثغره و لببه الزمرد و الیاقوت منظومین علی الفضة، و لجام کذلک، و فارس من فضة مکلل

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۸).

(۲) انظر: الطبری (۴/ ۱۸، ۱۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۱۷

بالجوهر، و إذا فی الآخر ناقة من فضة علیها شلیل من ذهب، و بطان من ذهب و زمام من ذهب، و کل ذلک منظوم بالیاقوت، و إذا علیها رجل من ذهب مکلل بالجوهر، کان کسری یضعهما إلی أسطوانتی التاج.

و عن أبی عبیدة العنبری «۱» قال: لما هبط المسلمون بالمدائن، و جمعوا الأقباض، أقبل رجل بحق فدفعه إلی صاحب الأقباض، فقال هو و الذین معه، لما نظروا إلی ما فیه: ما رأینا مثل هذا قط، ثم قالوا له: هل أخذت منه شیئا؟ فقال: لا و الله لا أخبرکم لتحمدونی، و لا غیرکم لیقرظونی، و لکنی أحمد الله و أرضی بثوابه. فأتبعوه رجلا حتی أتی إلی أصحابه، فسأل عنه، فإذا هو عامر بن عبد قیس.

و یروی أن سعدا، رحمه الله، قال حین رأی ما رأی من ورع الناس و کونهم لم یتعلق علی أحد منهم بغلول فیما جمعوا من الغنائم: و الله إن هذا الجیش لأهل أمانة، و لو لا ما سبق لأهل بدر ما فضلتهم علیهم، و لقد نالت الدنیا من رجال من أهل بدر حین أصابوها.

و قال جابر بن عبد الله: و الله الذی لا إله إلا هو، ما اطلعنا علی أحد من أهل القادسیة یرید الدنیا مع الآخرة.

قال بعضهم: و لقد کانوا یخافون قیس بن مکشوح، و عمرو بن معدی کرب، و طلیحة بن خویلد، و أشباههم علی الغلول، فما تعلق علی أحد منه بشیء یکرهونه و لا أرادوا الدنیا.

و لما قدم علی عمر، رحمه الله، بسیف کسری و منطقته و زبرجه، قال: إن أقواما أدوا هذا لذووا أمانة. فقال علی، رضی الله عنه: إنک عففت فعفت الرعیة.

قالوا: و لما اجتمعت الغنائم، و تراجع الطلب قسم سعد بین الناس فیئهم بعد ما خمسه، فأصاب الفارس اثنا عشر ألفا، و کلهم کان فارسا لیس فیهم راجل، و کانت الجنائب فی المدائن کثیرة، و یقال: کانوا بین أهل الأیام و أهل القادسیة الذین لم یشهدوا الأیام، و بین من لحق بهم فی ثلاث من غیر أهل الأیام بالقادسیة، و بین أهل الروادف ستین ألفا، و قسم سعد دور المدائن بین الناس، و أوطنوها، و کان الذی ولی القبض عمرو بن عمرو المزنی، و الذی ولی القسم سلمان بن ربیعة.

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۱۸

و قال الشعبی «۱»: بعث سعد إلی العیالات فأنزلهم الدور لما قسمها و فیها المرافق، فأقاموا بالمدائن حتی فرغوا من جلولاء و حلوان و

تكريت و الموصل، ثم تحولوا إلى الكوفة بعد.

قالوا: و جمع سعد الخمس، و أدخل فيه كل شىء أراد أن يعجب به عمر، من ثياب كسرى و حليه و سيفه و نحو ذلك، و نفل من الأخماس فى أهل البلاء، و لم يجهدها، و فضل بعد القسم بين الناس، و إخراج الخمس، القطف فلم يعتدل، فقال للمسلمين: هل لكم فى أن تطيب أنفسنا عن أربعة أخماسه، و نبعث به إلى عمر فيضعه حيث يرى، فإنا لا نراه يتفق: و هو بيننا قليل، و هو يقع من أهل المدينة موقعا؟ فقالوا: نعم، فبعث به على ذلك الوجه، و القطف هو بهار كسرى ثقل عليهم أن يذهبوا به، فتركوه بالمدائن، فأصابه المسلمون، و كان بساطا واحدا ستين ذراعا فى ستين ذراعا فيه طرز كالسور و فصوص كالأنهار، و فى خلال ذلك كالدير، فى حافاته كالأرض المزروعة و الأرض المبقلة بالنبات فى الربيع من الحرير على قضبان الذهب و نواره بالذهب و الفضة و أشباه ذلك. و كانوا يعدونه للشتاء إذا ذهبت الرياحين، فكان إذا أرادوا الشراب شربوا عليه، فكأنهم فى رياض، و كانت العرب تسميه القطف، فبعث به سعد مع الأخماس إلى عمر، رضى الله عنه، مع بشير بن الخصاصية، فلما قدم عليه نفل من الخمس أناسا، و قال: إن الأخماس ينفل منها من شهدها و من غلب من أهل البلاء فيما بين الخمسين، و لا أرى القوم جهدوا الخمس، ثم قسم الخمس فى مواضعه، ثم قال: أشيروا علىّ فى هذا القطف. فأجمع ملؤهم على أن قالوا: قد جعلوا ذلك لك، فراء رأيك، إلا ما كان من على، رضى الله عنه، فإنه قال: يا أمير المؤمنين، الأمر كما قالوا: و لم يبق إلا التروية، إنك إن تقبله اليوم على هذا لم تعدم فى غد من يستحق به ما ليس له، قال: صدقتنى و نصحتنى.

و فى رواية أن عمر، رضى الله عنه، استشارهم فيه، فمن بين مشير بقبضه، و آخر مفوض إليه، و آخر مرفق، فقام على، رضى الله عنه، حين رأى عمر تأنى حتى انتهى إليه، فقال: لم تجعل علمك جهلا، و يقينك شكّا إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فامضيت، أو لبست فأبليت، أو أكلت فأفنيت. قال: صدقتنى، فقطعه فقسمه بين الناس، فأصاب عليا قطعة منه، فباعها بعشرين ألفا، و ما هى بأجود تلك القطع.

و ذكر المدائنى أن عمر حين قال له على: إن بلته لم تعدم بعدك من يستحق مأثما

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۲۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۱۹

بك، صرفه إلى سعد، و كتب إليه: أن بعه و اقسم ثمنه على من أفاءه الله عليهم.

قال رجال سيف «۱»: و لما أتى عمر بحلى كسرى و زيه فى المباهاة، و فى غير ذلك، و كانت له عدة أزياء لكل حالة زى، قال: علىّ بمحلم، و كان أجسم عربى يومئذ بأرض المدينة، فألبس تاج كسرى على عمودين من خشب، و صب عليه أوشحته و قلائده و ثيابه، و أجلس للناس، فنظر إليه عمر، و نظر إليه الناس، فرأوا أمرا عظيما من أمر الدنيا و فتنتها، ثم قام عن ذلك، فألبس زيه الذى كان يلبسه، فنظروا إلى مثل ذلك فى غير نوع، حتى أتى على الأزياء كلها، ثم ألبسه سلاحه، و قلده سيفه، فنظروا إليه فى ذلك، ثم وضعه ثم قال: و الله إن أقواما أدوا هذا لذووا أمانة، و نفل سيف كسرى محلما، هكذا وقع ذكر محلم فى هذا الحديث، و لا أعرف و لا أعلم فى ذلك الصدر من اسمه محلم إلا محلم بن جثامة، و يقال: إنه توفى على عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و قصته فى الدم الذى أصابه، و العفو عند وجوب القود، و دعاء النبىّ صلى اللّه عليه و سلم لما مثل بين يديه، قصة مشهورة.

و قد قيل: إنه عاش بعد النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فالله أعلم.

و كذلك قيل: إن الذى ألبسه عمر سوارى كسرى هو سراقة بن مالك المدلجى.

و روى سفيان بن عيينة عن أبى موسى، عن الحسن أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال لسراقة بن مالك «۲»: «كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟» «۳» قال: فلما أتى عمر بسوارى كسرى و منطقته و تاجه دعا سراقة فألبسه إياهما، و كان سراقة رجلا أزب كثير شعر

الساعدين، و قال له: ارفع يديك فقل: الحمد لله، الله أكبر، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول: أنا رب الناس، و ألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابيا من بنى مدلج، و رفع بها عمر صوته.

و ذكر أبو الحسن المدائنى فى فتوح العراق خبر المدائن، فخالف فيه كثيرا مما تقدم و زاد و نقص، و سأذكر من ذلك ما يحسن ذكره على سبيل الاختصار و التوخى لحذف ما يكون ذكره تكرارا إلا ما يعتاض فضله من الحديث للحاجة إليه.

---

(۱) انظر: الطبرى (۲۲، ۲۳).

(۲) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۳۱۲۲)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۹۵۵)، الثقات (۳/ ۱۸۰)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۱۰)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۸۴)، تهذيب التهذيب (۳/ ۴۵۶)، تهذيب الكمال (۱/ ۴۶۶)، الجرح و التعديل (۴/ ۱۳۴۲)، شذرات الذهب (۱/ ۳۵)، العبر (۱/ ۲۷)، العقد الثمين (۴/ ۵۲۳).

(۳) انظر الحديث فى: إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۷/ ۱۸)، الشفاء للقاضى عياض (۱/ ۶۷۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۲۰

فمن ذلك أن يزدجرد لما غلب سعد على مدينة نهرسير و اعتقد أهل غربى دجلة منه الذمة نقل خزائنه و أمواله و دواوينه إلى حلوان، و أقام فى الإيوان فى مقاتلته، و سعد و المسلمون فى دير المنازل، فبينما هم به و دجلة قد طماها ماؤها يتدفق جانباها، إذ سمعوا ليلا قائلا يقول: يا معشر المسلمين، هذه المدائن غلقت أبوابها، و غيبت السفن، و قطعت الجسور، فما تنتظرون، فربكم الذى يحملكم فى البر يحملكم فى البحر؟ فندب سعد الناس إلى العبور، ثم ساق الحديث فى ركوبهم دجلة على ظهور خيلهم نحوا مما تقدم، ثم قال: و نظر ضرار بن الخطاب و المسلمون فرأوا بناء أبيض، فقال ضرار: الله أكبر، أبيض المدائن و رب الكعبة، و هرب أهل المسالح حين عبر المسلمون، و اعروها و قالوا: هؤلاء من السماء، و خرج أهل الرومية و من كان فيها من الأساورة معهم الفيلة فقاتلهم المسلمون، فكانت الفيلة تهم فى وجوه الخيل، و المسلمون قليل ليست لهم رجالة تقاتل عن خيلهم، فكانت الخيل تنفر، فأتى رجل سعدا فقال: تؤمننى على نفسى و أهلى و مالى و أدلك على ما ترد به الفيلة؟ قال: نعم. قال: الخنازير. قال: و أنى لى بها؟ قال: أنا أجيئك بها، فجاءه بخنازير فضربت فجعلت تقيع فى وجوه الفيلة، فولت و انهزم المشركون. فوقف رجل يحميهم و اعترض الطريق فلما دنا منه المسلمون ضرب فرسه ليقدم عليهم، فاعتاص و ضربه ليهرب، فاعتاص فطعنه رجل من المسلمين فقتله، و دخل الآخرون الرومية، و مضى الأساورة إلى يزدجرد بالإيوان، فهرب هو و أساورته و مقاتلته، و سمعوا صوتا من ورائهم علاج تقتلون أنفسكم و قد ذهبت مدة ملككم.

و مضى سعد إلى المدينة العتيقة، فمر المسلمون بمجلس لكسرى كان يسمى بهشت إيوان، فوقفوا ينظرون إليه و قد تقدم سعد فانطوى عليه، فظن أنهم اقتطعوا، فسأل عنهم، فأخبر، فقال لبعض من معه من العجم: ما هذا المجلس؟ قالوا: بهشت إيوان.

قال: و ما تفسيره؟ قالوا: الجنة. فأرسل سعد قوما فأحرقوه، و خرج أهل المدائن إلى سعد فتلقوه بجامات الذهب و الفضة مملوءة دنانير و دراهم يسألونه الأمان على أن يعطوا الجزية، فقبل ذلك منهم، و نزل القصر الأبيض، و أمر أهل المدائن فعقدوا الجسر، فعبر المسلمون جميعا و أثقالهم و إبلهم، و تحول سعد فعسكر فى مكانين على الناقوس و على نهر أبغش، بين العسكرين ميل، و كان أكثر العسكرين أهلا الذين على نهر أبغش، و اتخذ سعد مسجدا على الناقوس فهو إلى اليوم يسمى مسجد العسكر، و صلى فيه على بن أبى طالب حين قدم المدائن و هو يريد صفين.

و لم يأخذ سعد من المدينة و من أهلها إلا ما كان للملك و أهل بيته و لمن هرب،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۲۱

و أصابوا فى خزائنهم ما عجزوا عن حمله من المتاع و صنوف الأطعمة ما لا يوصف كثرة، فأمر سعد بجمع ذلك، فجمع و ولاه النعمان

بن مقرن ثم تلا:

أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ وَ سَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ [إبراهيم: ۴۴، ۴۵].

و كتب سعد إلى عمر بفتح المدائن و بهرب ابن كسرى، فكتب إليه عمر:

أوصيك بتقوى الله الذى بتقواه سعد من سعد و بترك تقواه شقى من شقى، و قد عرفت بلاء الله عندنا أيها الرهط أنه استنقذنا من الشرك و أهله، و أخرجنا من عبادة أوثانهم، و هدانا من ضلالتهم، و عرفت مخرجنا من عندهم، كيف خرجنا، و أن الرهط على بعير عليه أنفسهم و زادهم يتعاور اللحاف الواحد العدة منا من بلغ مأمنه منا بلغ مجهودا، و من أقام فى أرضه أقام مفتونا فى دينه معذبا فى بدنه، أشد أهله عليه أقربهم منه، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقسم بالله لتأخذن كنوز كسرى و قيصر، يعجب من ذلك من سمعه، فأبقاك الله حتى وليت ذلك بنفسك، فأعرض عن زهرة ما أنت فيه، حتى تلقى الخماص الذين ذهبوا فى شمالهم، لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم و بين الله حجاب، لم تفتنهم الدنيا، و لم يغتروا بها، فاقتدوا بهديهم، و لا تضللن أنفسكم، و كونوا الأمة الممدوحة المباركة التى قال الله تبارك و تعالى: وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاةِ وَ إِيتاءَ الزَّكاةِ وَ كانُوا لَنا عابِدِينَ [الأنبياء:

۷۳].

قال: و حصر سعد الرومية تسعة أشهر حتى أكل السنانير و الكلاب بعضهم، فأتى سعدا رجل مستأمن، فسأله الأمان لنفسه و أهله، على أن يدله على عورة المدينة، فأمنه فدله على مجرى الماء إلى المدينة، و كان يأتيهم الماء فى قناة من دجلة، فغورها المسلمون فارتحل أهل الرومية حين انقطع الماء عنهم من ليلتهم، و حملوا ما خف من أموالهم، و خرجوا على حامية معهم أثقالهم، فأخذوا طريق خراسان، فأتت امرأة منهم سعدا فسألته الأمان فأمنها، فقالت لم يبق فى المدينة أحد من المقاتلة و لا عيالاتهم، بقى قوم ضعفاء، فدخلها سعد، فأصابوا متاعا كثيرا و سلاحا و سبيا قليلا، فبعث بخمس ما أصاب من الرومية، و ما صالح عليه أهل المدائن إلى عمر مع بشير بن الخصاصية.

و ذكر من حديث البساط الذى مر ذكره نحوا مما تقدم.

و ذكر، أيضا، عن حرملة بن صدقة بإسناده إليه قال: غزوت خراسان فرأيت رجلا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۲۲

من العجم يشبه الروم فسألنى عن مسكنى، فقلت: المدائن، قال: أيها؟ قلت: الرومية.

قال: فأين منزلك منها؟ فوصفته له، قال: هذه دارى، إنى أحدث أصحابى عنها و عن حالى، و ما كنت فيه فيكذبوننى، و لقد دفنت حين حصرنا العرب فى الدكان التى على باب الدار عشرة آلاف درهم و آنية ذهب و فضة كثيرة، فأغضيت على ما قال، و استأذنت أميرى فى القفل، فأذن لى، فقدمت فاحتفرت ذلك الموضع فأصبت ما قال على ما قال، فأحرزته و رجعت إلى مركزى.

قال المدائنى: و اقتسم المسلمون الرومية أرباعا فنزلوها، و نسبت الأرباع إلى قبائل، و معهم فيها غيرهم، غير أنه قيل: ربع عبد القيس و ربع بجيلة و أسد و ربع خزاعة و ربع بقى على ما كان يسمى فى الجاهلية، طسوج هندوان.

و كان كسرى أنزله قوما من الزط فهو يسمى بذلك الاسم إلى اليوم، و اتخذ آل صوحان مسجدا بالرومية، و اختطت القبائل فيما حول الإيوان، و نزلوا المدينة العتيقة، و لم ينزلوا إلا ما كان للملك و لأهل بيته و لمن هرب مما لم يصالح عليه، فاختط حول الإيوان و الرومية تميم و سليم و عبس و بكر و مزينة و جهينة و همدان و ثقيف و الأنصار و مراد، و نزل بنو أسد الفارقين، و نزل المسلمون الإيوانات و بيوت النيران و المرابط و السكك و دور الضرب و الدواوين، و صار بستان الملك الذى كان يدخله إذا فرغ من الزمزمة مقابر للمسلمين، و نزل حذيفة مربط يزدجرد، و نزل سعد القصر الأبيض و المسجد الذى يجتمعون فيه مسجد العسكر على الناقوس، فلم يزل المسلمون بالمدائن و ما حولها حتى تحولوا إلى الكوفة، فتركوا خططهم على حالها تعرف بهم، و أقام قوم اتخذوا الضياع

بالسواد، فلم يتحولوا، و كان مقامهم بعد الحرب سنتين.

و ذكر أيضا أن سعد بن أبى وقاص كان حين سار إلى المدائن خلف قوما بأرض الكوفة، فقسم لهم مع من شهد المدائن حين فتحها، فقام إليه رجل من هذيل فقال له:

عمدت إلى فيئنا فأعطيته من لم يشهد، و ركب إلى عمر فشكا سعدا، فأرسل عمر، عمار بن ياسر و عبد الله بن مسعود، فقال: إن وجدتماه بالكوفة فلا تبيتن بها، و إن وجدتماه خارجا عن الكوفة فلا تدعاه يدخلها و خذا الخاتم من يده، فلقياه بفيين فأخذ أحدهما الخاتم من يده، فنظر إلى الآخر، فقال: أمر بذلك، فقال سعد:

خذينى فجرينى ضباع و أبشرىبلحم امرئ لم يحضر اليوم ناصره قال: دعونى أدخل الكوفة، قالا: لا، فقطعا به الفرات من دير الأعور، فلما قدم على

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۲۳

عمر قال: أين الهذلى؟ فقام، فقال: ما يقول هذا؟ قال سعد: صدق، قال: ارجع فخذه منهم ثم أقسمه.

و ذكر عن عبد الله بن سليم و غيره، قالوا: اجتمع الأساورة بحلوان عند يزدجرد، فذكروا العرب و رثاثة سلاحهم و سوء عدتهم و ظهورهم عليهم، فتلاوموا و قالوا: أسلمنا ملكنا و ما كنا فيه إلى عصابة لم تكن فى الأرض أمة أصغر أمرا عندنا منهم، فقال بعضهم: لا تعجبوا من هذا، فإنها دولة جاءت قوما، و مدة انقضت عنكم، و هذا أمر أراده الله، و الله لا يغلب. فقال رجل منهم: ارفعوا لى كرة، فرفعوها فرماها بنشابات فلم يخطئها، قال: هذا ما ترون من رمى، و لقد رأيتنى مرة فى بستان أرمى الزنانير بجلاهق فما أخطأت بواحدة، فقدم العرب فهربت و اتبعنى رجل فرميته بخمس نشابات فما أصبته، و دعا رجل بقوسه فرمى بنشابة فى حائط لبن فغيبها إلى قريب من الريش، ثم اعترض ساقا من شجرة بسيف فاجتمه، ثم قال: ترون رمى و ضربى؟ قالوا: نعم، قال:

فإنى رميت رجلا، يعنى من المسلمين، ليس عليه سلاح و لا ثوب يقيه، فأصبت بطنه فما خدشه، و لقد ضربت رجلا حاسرا أصلع بسيفى هذا، فخرج من رأسه شبه الدقيق، و حدث بعض العجم قال: كنت فيمن انهزم عن العرب، فإنى لأسير فى عشرة من الأساورة إذ انتهينا إلى نهر و رجل من العرب يسقى فرسه، فلما رآنا شد حزام فرسه و ألجمه و ركبه و حمل علينا فولينا، و انفردت من أصحابى دهشا و طمع فىّ فاتبعنى حتى صرت فى مؤخر النهر و فرسى أقوى من فرسه، فزجرت فرسى، فطغى بى النهر، و وقف ينظر إلىّ لا يقدر على العبور، فالتفت إليه، فقال: أولى لك، فلم أدر ما قال لى حتى سألت بعد و علمت، فما خرج رعب تلك الكلمة من قلبى.

و ذكر بإسناد له إلى عبد الله بن معقل بن مقرن المزنى قال: اصطفى عمر من مال العجم أصنافا، مال من هرب و من قتل، و كل مال لكسرى أو لأحد من أهل بيته، و كل مسيل ماء، و كل دير بريد، فكان خراج ما اصطفى سبعة آلاف ألف حتى كان يوم دير الجماجم أحرق الديوان، فأخذ كل قوم ما يليهم.

قال المدائنى: و كان المغنم بالمدائن و الرومية قريبا من مغنم القادسية.

و مما قيل فى ذلك من الشعر قول أبى بجيد، نافع بن الأسود التميمى يفخر بقومه:

بنو تميم عتاد الحرب قد علموا الناهضون إذا فرسانها ركبوا

و الحاملون إذا ما أزمة أزمتثقل العشائر إن جمعوا و إن ندبوا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۲۴ و الفاصلون إذا ما خطة جهلتعند الجموع و فيهم تفصل الخطب

و المانعون من الأعداء دارهمعند الهياج إذا ما اهتزت الطنب

و الواردون على كسرى مدائنهقسرا و من دونها بحر له لجب

نحوى نهابهم و الخيل مشعلةوسط الديار و منها حولهم عصب

شعث عليها ليوث ما يهجهجهاعند الصياح بها عجم و لا عرب

شمس بأيديهم سمر مثقفةو كل عضب له فى متنه شطب

إذا جلوها على الأعداء فى فزعلاحت كأن فوق أيديهم بها شهب و قال أيضا:

و نحن صبحنا يوم دجلة أهلهاسيوفا و أرماحا و جيشا عرمرما

نراوح بالبيض الرقاق رءوسهمإذ الرمى أغرى بيننا فتضرما

أذقناهم يوم المدائن بأسناصراحا و أسعطنا الألائم علقما

سقيناهم لما تولوا إلى الردى كئوسا ملأناهن صابا و شبرما

أبيتم علينا السلم ثم رجعتموإلى السلم لما أصبح السلم محرما

و يوم يطير القلب من نعراتهربطنا له جأشا و هجنا به دما

دعونا إليه من تميم معاشرايجيبون داعيهم و إن كان مجرما

يحلون فى اليوم الشديد قيامهعن الشمس و الآفاق أغبر مظلما

ألا أيها ذا السائل عن عشيرتىستخبر عنهم إن سألت لتعلما

فمهما عقدنا جاز فى الناس حكمناو ننقضه منهم و إن كان محكما و قال أيضا:

أىّ يوم لنا كيوم قديسقد تركنا به القنا مرفوضا

كم سبينا من تاج ملك و أسوار ترى فى نطاقه تفضيضا

و قربنا خير الجيوش شتاءو ربيعا مجملا و غريضا

و نفرنا فى مثلهم عن تراضلم نعرض و لم نذق تغميضا

ثم سرنا من فورنا نحو كسرىففضضنا جموعه تفضيضا

و أملنا على المدائن خيلابحرها مثل برهن أريضا

و انتلنا خزائن المرء كسرىيوم ولى و حاص منا جريضا و قال النابغة الجعدى من كلمة يذكر أيامهم تلك مع كسرى و غيره:

فمضت كتائبنا إليه عنوةحتى حللنا حيث ينخرق الصبا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۲۵ نرمى مدينته و نحطم جمعهو نصكك رأس عموده حتى انشطا

و لقيصر أخرى رمينا رميةقطعت قرينته كما انقطع السدا

و الخيل تخفق بين دجلة عنوةبالسفح من أقر إلى وادى القرى

لا قيصر أبدا و لا كسرى بهاقضى الحديث و كان شيئا فانقضى

حديث «۱» وقعة جلولاء «۲»

ذكر سيف «۳» عن قيس بن أبى حازم قال: أقمنا بالمدائن حين هبطنا و اقتسمنا ما فيها، فأتانا الخبر بأن مهران قد عسكر بجلولاء، و خندق عليه، و أن أهل الموصل قد عسكروا بتكريت، فكتب سعد بذلك إلى عمر، فأجابه: أن سرح هاشم بن عتبة إلى جلولاء فى اثنى عشر ألفا، و اجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو.

و روى من سماه سيف من رجاله: أن عمر كتب، أيضا، إلى سعد: لئن هزم الله الجندين: جند مهران و جند الأنطاق، فقدم القعقاع حتى يكون على حد سوادكم، بين السواد و الجبل.

قالوا: و كان من حديث جلولاء أن الأعاجم لما انتهوا إليها بعد الهرب من المدائن، و تفرقت الطرق بأهل أذربيجان و الباب و بأهل الجبال و فارس تذامروا و قالوا: إن افترقتم لم تجتمعوا أبدا، و هذا مكان يفرق بيننا، فهلموا فلنجتمع به للعرب و لنقاتلهم، فإن كان لنا

فهو الذى نريد، و إن كانت الأخرى كنا قد قضينا ما علينا، و أبلينا عذرا. فاحتفروا الخندق، و اجتمعوا فيه على مهران، و نفذ يزدجرد إلى حلوان فنزل بها، و رماهم بالرجال، و خلف فيهم الأموال، فأقاموا فى خندقهم، و قد أحاطوا به الحسك من الخشب إلا طرقهم. ففصل هاشم بالناس من المدائن فى اثنى عشر ألفا، فيهم وجوه المهاجرين و الأنصار و أعلام العرب، فسار إلى جلولاء أربعا، حتى قدم عليهم، فحاصرهم و أحاط بهم، فطاولهم أهل فارس، و جعلوا لا يخرجون عليهم إلا إذا أرادوا، و زاحفهم المسلمون ثمانين زحفا، كل ذلك يعطيهم الله الظفر على المشركين، و غلبوهم على حسك الخشب، فاتخذوا حسك الحديد.

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۲۴- ۳۵)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۳۶۱- ۳۶۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۶۹- ۷۱)، تاريخ ابن خلدون (۲/ ۱۰۲، ۱۰۳).

(۲) أشار صاحب الروض المعطار إلى أن جلولاء بالعراق فى أول الجبل، و هى مدينة صغيرة عامرة بها نخل و زرع، و منها إلى خانقين سبعة و عشرون ميلا (ص ۱۶۷).

(۳) انظر: الطبرى (۴/ ۲۴، ۲۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۲۶

و عن بعض الرواة أن هاشما لما نزل على مهران بجلولاء جعل يقوم فى الناس، و يقول:

إن هذا منزل له ما بعده، و جعل سعد يمده بالفرسان حتى إذا كانوا أخيرا قال بعضهم لبعض: أبلوا الله بلاء حسنا يتم لكم عليه الأجر و المغنم، و اعملوا لله فإنكم ردء المسلمين، فالتقوا فاقتتلوا، و بعث الله عليهم ريحا أظلت عليهم البلاد، و لم يستطيعوا إلا المحاجزة، فتهافتت فرسانهم فى الخندق، فلم يجدوا بدا من أن يجعلوا فرضا مما يليهم، تصعد منه خيلهم، فأفسدوا حصنهم، و بلغ ذلك المسلمين، فنظروا إليه، فقالوا: ننهد إليهم ثانية فندخله عليهم أو نموت دونه، فلما نهدوا الثانية خرج القوم، فرموا حول الخندق مما يلى المسلمين بحسك الحديد لكيلا تقدم عليهم الخيول، و تركوا للمجال وجها، فخرجوا منه على المسلمين، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله و لا ليلة الهرير إلا أنه كان أكمش و أعجل، و انتهى القعقاع فى الوجه الذى زحف منه إلى باب خندقهم، فأخذ به، و أمر مناديا فنادى: يا معشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل خندق القوم فأقبلوا إليه، و لا يمنعكم من بينكم و بينه من دخوله. و إنما فعل القعقاع ذلك ليقوى المسلمين، فحملوا حملة لم يقم لها شىء، حتى انتهوا إلى باب الخندق، و لا يشكون أن هاشما به، فإذا هو بالقعقاع قد أخذ به، و أخذ المشركون فى الهزيمة يمنة و يسرة عن المجال الذى بحيال خندقهم، فهلكوا فيما أعدوا للمسلمين فعقرت دوابهم، و عادوا رجالة، و اتبعهم المسلمون، فلم يفلت منهم إلا من لا يعد، و قتل الله منهم يومئذ مائة ألف، فجللت القتلى المجال و ما بين يديه و ما خلفه، فسميت جلولاء لما جللها من قتلاهم، فهى جلولاء الوقيعة.

و قال بعضهم: كان أشقى أهل فارس بجلولاء أهل الرى، كانوا بها حماة أهل فارس، ففنى أهل الرى يوم جلولاء.

و فى حديث عن محفز بن ثعلبة، و كان شهدها: أن أهل فارس لما رأوا أمداد المسلمين بادروا بقتالهم فى عددهم، ثم وصف من شدة قتالهم. قال: حتى أنفذوا النبل، و قصفوا الرماح حتى صاروا إلى السيوف و الطبرزينات و كانوا بذلك صدر نهارهم إلى الظهيرة، و لما حضرت الصلاة صلى الناس إيماء، حتى إذا كان بين الصلاتين خنست كتيبة من كتائب المشركين و جاءت أخرى فوقفت مكانها، فأقبل القعقاع على الناس، فقال:

أهالتكم هذه؟ قالوا: نعم، نحن مكلون و هم مريحون، و الكال يخاف العجز إلا أن يعقب، فقال: إنا حاملون حملة عليهم و مجادوهم و غير كافين عنهم و لا مقلعين عنهم حتى يحكم الله بيننا، فاحملوا حملة رجل واحد حتى تخالطوهم، و لا يكذبن أحد منكم. فحمل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۲۷

فانفرجوا فما نهنه أحد عن باب الخندق، و ألبسهم الليل رواقه، فأخذوا يمنة و يسرة، و نادى منادى القعقاع: أين تحاجزون و أميركم

فی الخندق فحمل المسلمون، فأدخل الخندق، فأتی فسطاطا فیه مرافق و ثیاب، و إذا ترس علی إنسان فأنبشه، فإذا امرأة کالغزال فی حسن الشمس، فأخذها و ثیابها، فادیت الثیاب، و طلبت الجاریة حتی صارت إلیّ فاتخذتها أم ولد.

قالوا «۱»: و أمر هاشم القعقاع بالطلب، فطلبهم حتی بلغ خانقین، و أدرک بها مهران فقتله، و أدرک الفیرزان فنزل، فتوقل فی الظراب و خلی فرسه، و أصاب القعقاع سبایا، فبعث بهن إلی هاشم، فکن مما اقتسم، و اتخذن، فولدن فی المسلمین، فذلک السبی ینسب إلی جلولاء، و منه کانت أم الشعبی، و یقال من القادسیة.

و یروی أن عمر، رضی الله عنه، قال و قد بلغه ما أصیب من هؤلاء السبایا: اللهم إنی أعوذ بک من أبناء الجلولیات.

قالوا: و لما بلغت الهزیمة یزدجرد سار من حلوان نحو الجبل، فنزل القعقاع بحلوان فی جند فلم یزل إلی أن تحول سعد بالناس من المدائن إلی الکوفة، فلحق به.

قالوا: و کتبوا إلی عمر بفتح جلولاء و بنزول القعقاع حلوان، و استأذنوه فی اتباعهم، فأبی، و قال: لوددت أن بین السواد و الجبل سدا لا یخلصون إلینا و لا نخلص إلیهم، حسبنا من الریف السواد، إنی آثرت سلامة المسلمین علی الأنفال.

و ساق المدائنی خبر جلولاء مساقا بینه و بین ما تقدم بعض اختلاف و أسنده عن جماعة سمی منهم، قال: و بعضهم یزید علی بعض، فسقت حدیثهم: أن یزدجرد هرب إلی حلوان، فلما فتح سعد الرومیة کتب إلی عمر یستأذنه فی البعثة إلی ابن کسری، فکتب إلیه: «الحمد لله الذی أذل ابن کسری و شرده، فأقم بمکانک و احذر علی من معک من المسلمین» فأقام سعد بالمدائن سنتین لم یوجه أحدا، و کتب ابن کسری إلی الجبال فجمع المقاتلة فوجههم إلی جلولاء، و أمر الأساورة و الجنود فنزلوها، فاجتمع بها جمع عظیم علیهم خرزادین خرمهر، فکتب سعد إلی عمر بجمعهم، فکتب إلیه: أقم بمکانک و وجه إلیهم جیشا، فإن الله ناصرک و متم وعده الذی وعد نبیه صلی اللّه علیه و سلم فعقد سعد لهاشم بن عتبة و ندب الناس، فانتدب معه أربعة آلاف فیهم طلیحة بن خویلد، و عمرو ابن معدی کرب و فرسان المسلمین، فسار.

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۲۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۲۸

فلما کان بمهروذ أتاه دهقانها فصالحه علی أن یفرش له جریبا دراهم، فقبل منه و مضی إلی جلولاء، فقدم علی قوم قد أعدوا عدة عظیمة، و تحرزوا بالخنادق، فقاتلوهم قتالا ـ شدیدا عن العیال و الذراری، و کتب هاشم إلی سعد یستمده، و أتی المشرکون أهل أذربیجان مددا فعاجلوهم القتال، و کثروهم، فجال المسلمون و انکشفوا، فناداهم هاشم:

یا معشر المسلمین أین؟ أ ما رأیتم ما خلفتم؟ أ تأتون عمر منهزمین؟ فعطف الناس، و علی المیمنة حجر بن عدی، و علی المیسرة عمرو بن معدی کرب، و علی الخیل زهرة بن جویة، و علی الرجال طلیحة بن خویلد، فاشتد القتال بینهم حتی مضی وقت الظهر فصلی المسلمون یومئون إیماء، و ألح المشرکون علیهم، و طلعت کتیبة للمشرکین حامیة فجازت الخندق، ثم طلعت أخری، فقال طلیحة و عمرو بن معدی کرب: یا معشر الفرسان، الأرض و اقرنوا خیولکم، ففعلوا و جثوا و أشرعوا الرماح فرجعت الخیل عنهم، و رموهم بالنشاب، فترسوا، فمکثوا بذلک ملیا، و أشفق المسلمون فحضهم طلیحة و زهرة و عمرو، فبینا هم علی ذلک إذ سمعوا تکبیرا للمسلمین وراءهم، فإذا قیس بن مکشوح قد جاءهم فی ألف و أربعمائة فارس و ستمائة راجل، فانهزم المشرکون قبل أن یصل إلیهم، و هاجت ریح شدیدة أظلمت لها الأرض، فتهافت المشرکون فی الخندق، و اتبعهم المسلمون فانتهوا إلی خنادقهم و قد انجلت عنهم الظلمة فرکبوا أکتافهم، فقتلوا منهم مقتلة عظیمة و حووا عسکرهم، فأصابوا شیئا لم یصیبوا مثله من الأموال و السلاح و المتاع و السبایا و الدواب، فجمع ذلک کله إلی هاشم، فجاء رجل من آل خارجة بن الصلت بتمثال ناقة من ذهب موشحة بالدر و ألقاها فی المغنم، و جاء مجفر بن ثعلبة بجاریة، و جاء کل رجل بما صار فی یدیه، فحمل هاشم ذلک کله إلی سعد، فکتب سعد إلی عمر بالفتح و بما

أصاب من السبايا و استأذنه فى اتباع العجم و المسير إلى الجبال، فكتب إليه عمر، رحمه الله: أقم مكانك عامك هذا حتى ننظر، و احذر على المسلمين، و اترك أهل الجبال ما تركوك، فوددت أن بيننا و بين الجبال سدا من نار لا يخلصون إلينا و لا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد، فأقم و لا تطلب ما سوى ذلك عامك هذا إلا أن ينزل عدو بقربك، و اقسم بين المسلمين ما أفاء الله عليهم. و كانت الغنائم ثمانية عشر ألف ألف، فبلغت السهام ثلاثة آلاف، للفرس سهمان و للراجل سهم، و قال قوم: كانت الغنائم ستة و ثلاثين ألف ألف، و كانت السهام ستة آلاف و ثمانية من الدواب، للفرس سهمان و للراجل سهم، فحمل سعد الخمس مع زياد ابن أبى سفيان.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۲۹

و فى كتاب سيف «۱» عمن سمى من رجاله قالوا: و نفل سعد من أخماس جلولاء من أعظم البلاء ممن شهدها، و من أعظمه ممن كان ثابتا بالمدائن، و بعث بالأخماس مع قضاعى بن عمرو الدؤلى من الذهب و الورق و الآنية و الثياب، و بعث بالسبى مع أبى مفزر الأسود بن قطبة. قال بعضهم: و بعث بالحساب مع زياد بن أبى سفيان، و كان الذى يكتبه للناس و يدونهم، فلما قدموا على عمر كلم زياد عمر فيما جاء به و وصف له، فقال له عمر: هل تستطيع أن تقوم فى الناس بمثل الذى كلمتنى به؟ فقال: و الله ما على الأرض شخص أهيب فى صدرى منك، فكيف لا أقوى على هذا فى غيرك؟ فقام فى الناس بما أصابوا و بما صنعوا، و بما يستأذنون فيه من الانسياح فى البلاد، فقال عمر، رضى الله عنه: هذا الخطيب المصقع، فقال زياد: إن جندنا أطلقوا بأفعالهم لسانى.

و عن أبى سلمة قال «۲»: لما قدم على عمر، رحمه الله، بالأخماس من جلولاء، قال عمر: و الله لا يجنه سقف بيت حتى أقسمه. فبات عبد الرحمن بن عوف و عبد الله بن أرقم يحرسانه فى صحن المسجد، فلما أصبح جاء فى الناس و كشف عنه جلابيبه، و هى الأنطاع، فلما نظر إلى ياقوته و زبرجده و جوهره بكى، فقال له عبد الرحمن: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فو الله إن هذا إلا موطن شكر. فقال عمر: و الله ما ذاك يبكينى، و تالله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا و تباغضوا، و لا تحاسدوا إلا ألقى باسهم بينهم. ثم دعا الحسن فيما ذكر المدائنى فحثا له، ثم دعا الحسين فحثا له، ثم قال: ما ترى؟ أنحثى لهم حثيا أم نكيل بالصاع. قال: بل احث لهم، ففعل، ثم دون الدواوين و فرض و قسم.

و ذكر المدائنى، أيضا، أن سعدا كتب إلى عمر، رحمه الله، مع زياد يستأذنه فى اتباع المشركين و يصغر أمرهم عنده، فكتب إليه عمر: جاءنى كتابك تستأذننى فى اتباع المشركين، و سيأتى فيهم أمرى، و ذلك من حق إمامك عليك، و إنما حق المسلم على المسلم بحق الله، و إن أعظم أهل الإسلام حقا عليهم إمامهم، و ذلك أنه لا تجد أحدا من الناس صلاح أهل الأرض فى صلاحه إلا نبى أو خليفة، فالأمر إليك فى اتباعهم تغرير بالمسلمين، و انظر ما أجلب الناس به عليك فى العساكر من مال أو كراع أو سلاح أو متاع، فاقسمه بين من حضر، و اترك الأرضين و الأنهار فتكون فى أعطية المسلمين، فإنك إن قسمتها بين من حضرك لم يكن لمن بعدهم شىء و لا توطن ولدا من والده، و لا تمسن أنثى من السبى حتى يطيب رحمها، و لا تتخذن مشركا أمينا على المسلمين، فإنهم

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۲۹).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۳۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۳۰

يأخذون الرشوة فى دينهم و لا رشوة فى دين الله، و ادع الناس فمن استجاب لك و أسلم قبل القتال فهو رجل من المسلمين و له سهم فى الإسلام، و من أسلم بعد القتال و بعد الهزيمة فهو رجل من المسلمين و ماله لأهل الإسلام، و الأسير إذا أسلم فى أيدى المسلمين فقد أمن على دمه، و هو فىء للمسلمين، و أقر الفلاحين على حالهم إلا من حاربك أو هرب أو ترك أرضه و خلاها، فهى لكم فإن رجع فقبلتم منه الجزية فهو ذمة.

و ذكر سيف «۱» عن رجاله قالوا: كان صلح عمر الذى صالح عليه أهل الذمة، أنهم إن غشوا المسلمين لعدوهم برئت منهم الذمة، و إن سبوا مسلما أن ينهكوا عقوبة، و إن قاتلوا مسلما أن يقتلوا، و على عمر منعهم، و برئ عمر إلى كل ذى عهد من معرة الجيش.

قال بعضهم: فكان الفلاحون للطرق و الجسور و الأسواق و الحرث، و الدلالة مع الجزى عن أيديهم على قدر طاقتهم، و كانت الدهاقين للجزية عن أيديهم و العمارة، و على كلهم الإرشاد و ضيافة ابن السبيل من المهاجرين.

قال المدائنى: و شهد عبد الله بن عمر جلولاء، و اشترى من المغنم متاعا بأربعين ألفا، فلما قدم المدينة أتاه عمر فى منزله، فقال لامرأته: يا صفية احتفظى بما جاء به عبد الله و لا يصلن منه إلى شىء، ثم قال لعبد الله: يا عبد الله اشتريت من غنائم المسلمين؟

فقالوا: ابن عمر و صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فلأن يرخصوا عليك بمائة أحب إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم، لك فيما اشتريت ربحا لدرهم درهم، فدعا عمر التجار فعرضه عليهم و قال: اشتروا فإنه للمسلمين، فتزايدوا حتى بلغ مائة ألف، فباعه، و أعطى عبد الله ثمانين ألفا، و بعث بالباقى إلى سعد، و كتب إليه: اقسمه فيمن شهد سنة تسع عشرة.

و عن رجال سيف «۲» قالوا: و لما رجع أهل جلولاء إلى المدائن نزلوا قطائعهم، و صار السواد ذمة لهم إلى ما أصفاهم الله به من مال الكاسرة، و من لج معهم.

و قال القعقاع بن عمرو يذكر نزوله بجلولاء:

من مبلغ عنى القبائل مالكاو قد أحسنت عند الهياج القبائل

فلله جاهدنا و فى الفرس بغيؤو نحن على الثغر المخوف نساجل

و أنتم عتاد إن ألمت ملمةو جلت علينا فى الثغور الجلائل

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۳۲).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۳۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۳۱ و هل تذكرونا إن نزلنا و أنتم‌منازل كسرى و الأمور حوائل

فصرنا لكم ردءا بحلوان بعد مانزلنا جميعا و الجموع نوازل

فنحن الأولى فزنا بحلوان بعد ماأرنت على كسرى الإما و الحلائل و قال أبو بجيد فى ذلك:

و يوم جلولاء الوقيعة أصبحت‌كتائبنا تردى بأسد عوابس

فضضت جموع الفرس ثم أنمتهم‌فتبا لأجساد المجوس النجائس

و أفلتهن الفيرزان بجرعةو مهران أردت يوم حز القوانس

أقاموا بدار للمنية موعدو للترب تحثوها خجوج الروامس «۱»

حديث يوم تكريت «۲»

و كان سعد، رحمه الله، لما كتب إلى عمر، رضى الله عنه، بأمر جلولاء، و أجابه بما ذكر قبل، كتب إليه أيضا باجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق و إقباله بهم إلى تكريت حتى نزل بها، و خندق عليه ليحمى أرضه، فأمر عمر سعدا أن يسرح عبد الله بن المعتم إلى الأنطاق، و عين لمقدمته و ميمنته و ميسرته و ساقته رجالا سماهم له، ففصل على ذلك عبد الله من المدائن فى خمسة آلاف، فسار إلى تكريت حتى ينزل على الأنطاق، و معه الروم و إياد و تغلب و النمر، و قد خندقوا، فحصرهم أربعين يوما و تزاحفوا أربعة و عشرين زحفا، فى كلها هزم المشركون و لا يخرجون خرجة إلا كانت عليهم.

فلما رأت الروم ذلك تركوا أمراءهم، و نقلوا متاعهم إلى السفن، و قد كان عبد الله ابن المعتم و كل بالعرب ليدعوهم إليه و إلى

نصرته على الروم رجالا- من تغلب و إياد و النمر، فكانوا لا يخفون عليه شيئا، فأقبلت إليه العيون منهم بما فعلت الروم و سألوه للعرب السلم و أخبروه أنهم قد استجابوا، فأرسل إليهم: إن كنتم صادقين فاشهدوا أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله، و أقروا بما جاء به من عند الله، ثم اعملوا بما نأمركم، فردوا إليه رسلهم بالإسلام، فأرسل إليهم: إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد نهدنا إلى الأبواب التى تلينا لندخل عليهم منها، فخذوا بالأبواب التى تلى دجلة، و كبروا و قاتلوا و اقتلوا من قدرتم عليه.

---

(۱) انظر الأبيات فى: الطبرى (۴/ ۳۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۷۱).

(۲) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۳۵- ۳۷)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۳۶۴- ۳۶۶)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۷۱، ۷۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۳۲

فانطلقوا حتى واطئوهم على ذلك، و نهد عبد الله و المسلمون لما يليهم و كبروا و كبرت تغلب و إياد و النمر، و قد أخذوا بالأبواب، فحسب القوم أن المسلمين قد أتوهم من خلفهم، فابتدروا الأبواب التى أمامهم، فأخذتهم سيوف المسلمين مستقبلتهم، و سيوف الربعيين الذين أسلموا ليلتئذ من خلفهم، فلم يفلت من أهل الخندق إلا من أسلم من تغلب و إياد و النمر.

قال سيف «۱»: و كان عمر، رضى الله عنه، قد عهد إلى سعد، إن هزم أهل تكريت أن يأمر عبد الله بن المعتم بتسريح ربعى بن الأفكل العنزى إلى الحصنين، و ربعى هو الذى كان عمر رسم أن يكون على مقدمة عبد الله فى هذا الوجه، فسرحه عبد الله إلى الحصنين، و قال له: اسبق الخبر، و سر ما دون القيل، و أحى الليل، و سرح معه تغلب و إياد و النمر، فقدمهم و عليهم عتبة بن الوعل، أحد بنى سعد بن جشم و ذو القرط و أبو وداعة ابن أبى كرب و ابن ذى السنينة قتيل الكلاب و ابن الحجير الأيادى و بشر بن أبى حوط متساندين، فساروا يسبقون إلى الحصنين خبر الهزيمة ليغزوا أهلها.

فلما كانوا قريبا منها، قدموا عتبة بن الوعل فادعى الظفر و النفل و القفل، ثم الرجال المسلمون آنفا واحدا بعد آخر، كلما وصل واحد منهم ذكر مثل ما ذكر عتبة، فوقفوا بالأبواب و قد أخذوا بها، و أقبلت سرعان الخيل مع ربعى بن الأفكل، حتى اقتحمت الحصنين على أهلهما، فكانت إياها، فنادوا بالإجابة إلى الصلح، فأقام من استجاب، و هرب من لم يستجب، إلى أن أتاهم عبد الله بن المعتم، فدعا من لج و هرب، و وفى لمن أقام، فتراجع الهارب و اغتبط مع المقيم، و صارت لهم جميعا الذمة و المنعة، و اقتسم المسلمون بتكريت ما أفاء الله عليهم على أن لكل سهم ألف درهم للفارس ثلاثة آلاف و للراجل ألف، و بعثوا بالأخماس مع فرات بن حيان «۲»، و بالفتح مع الحارث بن حسان «۳»، و ولى حرب الموصل ربعى بن الأفكل، و الخراج عرفجة بن هرثمة.

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۳۶).

(۲) انظر ترجمته فى: الثقات (۳/ ۳۳۳)، الإكمال (۲/ ۳۲۵)، الطبقات الكبرى (۶/ ۴۰)، تهذيب الكمال (۲/ ۱۰۹۲)، الجرح و التعديل (۷/ ۴۴۹، ۴۵۰)، الإصابة ترجمة رقم (۶۹۸۰)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۲۰۵).

(۳) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۱۴۰۰)، أسد الغابة ترجمة رقم (۸۶۹)، الثقات (۳/ ۷۵)، تقريب التهذيب (۱/ ۱۴۰)، الجرح و التعديل (۳/ ۳۲۵)، تهذيب التهذيب (۲/ ۱۳۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۳۳

ذكر يوم ماسبذان «۱» و يوم قرقيسيا «۲»

ذكروا «۳» أنه لما رجع هاشم من جلولاء إلى المدائن، بلغ سعدا أن آذين بن الهرمزان جمع جمعا، فخرج بهم إلى السهل، و أن أهل الجزيرة بعثوا جندا إلى هيت، فكتب سعد بذلك إلى عمر، فكتب إليه أن يبعث ضرار بن الخطاب فى جند إلى ابن الهرمزان، و يبعث

عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف فى جند إلى هيت، و رسم لكلا الجندين صاحب مقدمتيه و مجنبتين و ساقة و سماهم، فخرج ضرار فى الجند، و قدم صاحب مقدمته حتى انتهى إلى سهل ماسبذان، فالتقوا بمكان يدعى بهندف، فاقتتلوا به، فأسرع المسلمون فى المشركين، و أخذ ضرار آذين بن الهرمزان سلما، فأسره فانهزم عنه جيشه، فقدمه فضرب عنقه، ثم خرج فى الطلب حتى انتهى إلى السيروان، فأخذ ماسبذان عنوة، فتطاير أهلها فى الجبال، فدعاهم فاستجابوا له، و أقام بها حتى تحول سعد من المدائن فأرسل إليه، فنزل الكوفة و استخلف على ماسبذان، و كانت إحدى فروج الكوفة.

و خرج عمر بن مالك فى جنده سائرا نحو هيت «۴»، و قدم الحارث بن يزيد العامرى، و هو المعين لمقدمته، حتى نزل بهيت و قد خندقوا عليهم، فلما رأى عمر بن مالك امتناع القوم بخندقهم استطال أمرهم، فترك الأخبية على حالها و خلف عليهم الحارث بن يزيد يحاصرهم، و خرج فى نصف الناس يعارض الطريق حتى جاء قرقيسيا فى عرة، فأخذها عنوة، فأجاب أهلها إلى الجزاء، و كتب إلى الحارث فى أهل هيت: إن هم استجابوا فخل عنهم و إلا فخندق على خندقهم خندقا أبوابه مما يليك حتى أرى من رأيى، فسمحوا بالاستجابة، و انضم الجند إلى عمر بن مالك و الأعاجم إلى أهل بلدهم.

و قال ضرار بن الخطاب يذكر ملتقاهم بهندف:

و لما لقينا فى بهندف جمعهم تنادوا و قالوا يا صبر و ايال فارس

فقلنا جميعا نحن أصبر منكم و أكرم فى يوم الوغى و التمارس

---

(۱) ماسبذان: أحد فروج الشام بالقرب من هيت. انظر: الروض المعطار (ص ۵۱۹).

(۲) قرقيسيا: كورة من كور ديار ربيعة، كانت فى الجانب الشرقى من الفرات. انظر: الروض المعطار (ص ۴۵۵).

(۳) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۳۷، ۳۸)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۳۶۶، ۳۶۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۷۲، ۷۳).

(۴) هيت: مدينة بين الرحبة و بغداد، و هى على شاطئ الفرات. انظر: الروض المعطار (ص ۵۹۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۳۴ ضربناهم بالبيض حتى إذا انثنت أقمنا لها ميلا بضرب القوانس

فولوا سراعا نحو دار أبيهم و قد خوروا يوم الوغا بالوساوس

فما برحت خيلى تقص طريقهم و تقتلهم بين اشتباك الخنادس

ذكر الحديث عن تمصير الكوفة و البصرة و تحول سعد بن أبى وقاص عن المدائن إلى الكوفة و ما يندرج مع ذكر البصرة من فتح الأبلة «۱»

ذكروا «۲» أنه جاء عمر، رضى الله عنه، فتح جلولاء، و ما ذكر بعدها، و نزول المسلمين حيث ذكر قبل نزولهم منها، و لما قدمت الوفود بذلك عليه، أنكرهم حين رآهم، و قال: و الله ما هيئتكم بالهيئة التى بدوتم بها، و لقد قدمت وفود القادسية و المدائن و إنهم لكما بدوا، فما غيركم؟ قالوا: و خومة البلاد، فنظر فى حوائجهم، و عجل سراحهم، و كتب إلى سعد: أنبئنى ما الذى غير ألوان العرب و لحومهم؟.

فكتب إليه: إن العرب خددهم و غير ألوانهم و خومة المدائن و دجلة، فكتب إليه عمر:

إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان، فابعث سلمان رائدا و حذيفة، و كانا رائدى الجيش، فليرتادا منزلا بريا بحريا، ليس بينى و بينكم فيه بحر و لا جسر، و لم يكن بقى من أمر الجيش شىء إلا و قد أسنده عمر إلى رجل، فبعث سعد حذيفة و سلمان.

فخرج سلمان حتى أتى الأنبار، فسار فى غربى الفرات لا يرى شيئا، حتى أتى الكوفة، و خرج حذيفة فى شرقى الفرات لا يرضى شيئا، حتى أتى الكوفة، فأتيا عليها و فيها ديارات ثلاث: دير حرقة، و دير أم عمرو، و دير سلسلة، و أخصاص خلال ذلك، فأعجبتهما البقعة،

فنزلا فصلیا، و قال کل واحد منهما: اللهم رب السماوات و ما أظلت، و رب الأرضین و ما أقلت، و رب الریح و ما أذرت، و النجوم و ما هوت، و البحار و ما جرت، و الشیاطین و ما أضلت، و الخصاص و ما أجنت، بارک لنا فی هذه الکوفة، و اجعله منزل ثبات، فرجعا إلی سعد بالخبر.

و ذکر المدائنی أن الناس اجتووا المدائن بعد أن رجعوا من جلولاء، فشکوا ذلک إلی

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۴۰)/ فتوح البلدان للبلاذری (ص ۳۳۸- ۳۵۴، ۴۲۵- ۴۵۸)، الکامل فی التاریخ لابن الأثیر (۲/ ۳۶۷- ۳۷۱).

(۲) انظر: الطبری (۴/ ۴۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۳۵

عمر، فقال عمر: هل تصبر بها الإبل؟ قالوا: لا؛ لأن بها بعوضا، قال: فإن العرب لا تصبر ببلاد لا تصبر بها الإبل، اخرجوا فارتادوا منزلا.

قال أبو وائل: فخرجنا فأردنا أن ننزل الحیرة، فقال رجل من أهلها: یا معشر المعذبین، أ لا أدلکم علی ما ارتفعت عن البعوضة و تطأطأت عن الثلجة و طعنت فی البریة و خالطت الریف؟ قلنا: بلی، فدلنا علی الکوفة، فاختط الناس و نزلوا الکوفة، فکتب إلی عمر بذلک.

و ذکر سیف «۱» عمن سماه من رجاله قالوا: مصر المسلمون المدائن و أوطنوها، حتی إذا فرغوا من جلولاء و تکریت و أخذوا الحصنین، کتب عمر إلی سعد أن ابعث عتبة بن غزوان «۲» إلی فرج الهند فلیرتد منزلا یمصره، و ابعث معه سبعین رجلا من أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و ابعث بعده عرفجة بن هرثمة، و اجعل مکانه الحارث بن حسان، و ابعث عاصم بن عمرو، و حذیفة بن محصن، و مجزأة بن ثور، و الحصین بن القعقاع، فخرج عتبة فی سبعمائة من المدائن و اتبعه عرفجة فی سبعمائة، ثم عاصم ثم حذیفة ثم مجزأة ثم الحصین، کل واحد منهم فی سبعمائة، ثم سعد بن سلمی فی سبعمائة، فساروا حتی أتوا علی البصرة الیوم فنزلوها و ثبتوا بها، و البصرة کل أرض حجارتها جص.

قالوا «۳»: و لما نزل أهل الکوفة الکوفة، و استقرت بأهل البصرة الدار، عرف القوم أنفسهم، و ثاب إلیهم ما کانوا فقدوا، ثم إن أهل المصرین استأذنوا فی بنیان القصب، فقال عمر، رضی الله عنه: العسکرة أجد لحربکم و أذکی لکم، و ما أحب أن أخالفکم، و ما القصب؟ قالوا: العکرش إذا روی قصب فصار قصبا، قال: فشأنکم، فابنوا بالقصب، ثم وقع الحریق فی المصرین، و کانت الکوفة أشدهما حریقا، فاحترق ثمانون عرشا، و لم یبق فیها قصبة، فبعث سعد نفرا منهم إلی عمر یستأذنونه فی البنیان باللبن، و یخبرونه عن الحریق و ما بلغ منهم، و کانوا لا یدعون شیئا و لا یأتونه إلا أمروه فیه، فقال: ابنوا، و لا یزدن أحد علی ثلاثة أبیات، و لا تطاولوا فی البنیان، و الزموا السنة تلزمکم الدولة، فرجع القوم بذلک إلی الکوفة.

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۴۳).

(۲) انظر ترجمته فی: طبقات ابن سعد (۳/ ۱/ ۶۹)، التاریخ الکبیر (۶/ ۵۲۰، ۵۲۱)، المعارف (۲۷۵)، الجرح و التعدیل (۶/ ۳۷۳)، تاریخ بغداد (۱/ ۱۵۵- ۱۵۷)، تهذیب التهذیب (۷/ ۱۰۰)، شذرات الذهب (۱/ ۲۷)، الإصابة ترجمة رقم (۵۴۲۷)، أسد الغابة ترجمة رقم (۳۵۵۶).

(۳) انظر: الطبری (۴/ ۴۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۳۶

و کتب عمر إلی عتبة و أهل البصرة بمثل ذلک، و عهد عمر إلی الوفد، و تقدم إلی الناس ألا یرفعوا بنیانا فوق القدر، قالوا: و ما القدر؟ قال: ما لا یقربکم من السرف، و لا یخرجکم من القصد.

فأول شیء خط بالکوفة، و بنی حین عزموا علی البناء المسجد، فاختط ثم قام رجل شدید النزع، فرمی عن یمینه و من بین یدیه و من خلفه و عن شماله، و أمر من شاء أن یا بنی وراء مواقع تلک السهام، و بنوا لسعد دارا بحیاله، بینهما الطریق، و جعل فیها بیوت الأموال، و هی قصر الکوفة الیوم، و بنی سعد فی الذی خطوا للقصر قصرا بحیال محراب مسجد الکوفة الیوم، و جعل فیه بیت المال، و سکن ناحیته، ثم إن بیت المال نقب علیه منه، فأخذ منه المال.

و کتب سعد بذلک إلی عمر، و وصف له موضع الدار و بیوت المال من الصحن، فکتب إلیه عمر: أن انقل المسجد حتی تضعه إلی جانب الدار، و اجعل الدار قبالته، فإن للمسجد أهلا بالنهار و باللیل، و فیهم حصن لمالهم، فنقل المسجد و أراغ بنیانه، فقال له دهقان من أهل همذان، یقال له روزبه بن بزرجمهر: أنا أبنیه لک، و أبنی لک قصرا و أصلهما، و یکون بنیانا واحدا، فخط قصر الکوفة علی ما خط علیه، ثم أنشأه من بعض آجر قصر کان للأکاسرة فی ضواحی الحیرة علی مساحته الیوم، و وضع المسجد بحیال بیوت الأموال، و کان بنیانه علی أساطین من رخام، کانت لکنائس لکسری بغیر مجنبات، فلم یزل علی ذلک حتی بنی زمن معاویة بنیانه الیوم علی یدی زیاد.

و لما أراد زیاد بناءه دعا بنائین من بنائی الجاهلیة، فوصف لهم موضع المسجد و قدره و ما یزید من طوله فی السماء، و قال: أشتهی من ذلک شیئا لا- أقع علی صفته، فقال له بناء قد کان بنی لکسری: لا یجیء هذا إلا بأساطین من جبال الأهواز، تنقر ثم تثقب، و تحشی بالرصاص و بسفافید الحدید، فترفعه ثلاثین ذراعا فی السماء ثم تسقفه، ثم تجعل له مجنبات و مواخر، فیکون أثبت له، فقال: هذه الصفة التی کانت نفسی تنازعنی إلیها و لم تعبرها.

قال عطاء مولی إسحاق بن طلحة: کنت أجلس فی المسجد الأعظم من قبل أن یبنیه زیاد، و لیست له مجنبات و لا مواخر، فأری منه دیر هند و باب الجسر.

و ذکر الطبری «۱» عن المدائنی أن عمر بن الخطاب وجه عتبة بن غزوان إلی البصرة

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۳۷

سنة أربع عشرة، و ذکر عن الشعبی قال: قتل مهران فی صفر سنة أربع عشرة، فقال عمر لعتبة: قد فتح الله علی إخوانکم الحیرة و ما حولها، و قتل عظیم من عظمائها، و لست آمن أن یمدهم إخوانهم من أهل فارس، فأنا أرید أن أوجهک إلی أرض الهند، و البصرة یومئذ تدعی أرض الهند، لتمنع أهل ذلک الحیز من إمداد إخوانهم علی إخوانکم و تقاتلهم، لعل الله أن یفتح علیکم، فسر علی برکة الله، و اتق الله ما استطعت، و احکم بالعدل، و صل الصلاة لوقتها، و أکثر ذکر الله.

فأقبل عتبة فی ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا، و ضوی إلیه قوم من الأعراب و أهل البوادی، فقدم البصرة فی خمسمائة، یزیدون قلیلا أو ینقصون قلیلا.

و ذکر من طریق آخر «۱» أنه رقمها فی ثلاثمائة، فلمّا رأی منبت القصب، و سمع نقیق الضفادع قال: إن أمیر المؤمنین أمرنی أن أنزل أقصی البر من أرض العرب، و أدنی أرض الریف من أرض العجم، فهذا حیث وجب علینا طاعة إمامنا، فنزل الخریبة.

و فی حدیث الشعبی «۲»: و لیس بها، یعنی بالبصرة، یومئذ إلا سبع دساکر، فکتب إلی عمر، و وصف له منزله، فکتب إلیه عمر: أجمع الناس موضعا واحدا و لا تفرقهم، و أقام عتبة أشهرا لا یغزو و لا یلقی أحدا.

و فی حدیث آخر «۳»: أن عتبة أقبل بمن کان معه حتی إذا کانوا بالمربد وجدوا هذا الکذان، قالوا: هذه البصرة، فساروا حتی بلغوا حیال الجسر الصغیر، فإذا حلفاء و قصب نابتة، فقالوا: هاهنا أمرتم، فنزلوا دون صاحب الفرات، فأتی فقیل له: إن هاهنا قوما معهم رایة، و هم یریدونک، فأقبل فی أربعة آلاف أسوار، فقال: ما هم إلا ما أری، اجعلوا فی أعناقهم الحبال، و أتونی بهم، فجعل عتبة یوجل و

یقول: إنی شهدت القتال مع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، یعنی فکان لا یقاتل حتی تزول الشمس و تهب الریاح و ینزل النصر، حتی إذا زالت الشمس، قال عتبة لأصحابه: احملوا، فحملوا علیهم فقتلوهم أجمعین، إلا صاحب الفرات، أخذوه أسیرا، فقال عتبة: ابغوا لنا منزلا هو أنزه من هذا، و کان یوم عکاک، فرفعوا له منبرا، فقام یخطب، فقال: إن الدنیا قد آذنت بصرم و ولت حذاء، و لم یبق منها إلا صبابة الإناء، ألا و أنکم منتقلون منها إلی دار القرار، فانتقلوا بخیر ما

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۴).

(۲) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۱).

(۳) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۱، ۵۹۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۳۸

بحضرتکم، و لقد ذکر لی: أن صخرة ألقیت من شفیر جهنم هوت سبعین خریفا، و لتملأنه، أ فعجبتم! و لقد ذکر لی أن ما بین مصراعین من مصاریع الجنة مسیرة أربعین عاما، و لیأتین علیه یوم و له کظیظ من الزحام، و لقد رأیتنی و إنی لسابع سبعة مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ما لنا طعام إلا ورق السمر، حتی تقرحت أشداقنا، و التقطت بردة فشققتها بینی و بین سعد، فما منا من أولئک السبعة من أحد إلا و هو أمیر مصر من الأمصار، و ستجربون الأمراء بعدنا.

و فی بعض ما ذکره الطبری «۱» من الأحادیث عن مقدم عتبة البصرة، و أنه نزل الخریبة، قال: و بالأبلة خمسمائة من الأساورة یحمونها، و کان مرفأ السفن من الصین و ما دونها، فسار عتبة، فنزل دار الإجانة، فأقام نحوا من شهر، ثم خرج إلیه أهل الأبلة فناهضهم عتبة، و جعل قطبة بن قتادة السدوسی، و قسامة بن زهیر المازنی فی عشرة فوارس، و قال لهما: کونا فی ظهورنا، فتردا المنهزم، و تمنعا من أرادنا من ورائنا، ثم التقوا فما اقتتلوا مقدار جزر جزور و قسمها، حتی منحهم الله أکتافهم، و ولوا منهزمین، حتی دخلوا المدینة، و رجع عتبة إلی عسکره فأقاموا أیاما و ألقی الله فی قلوبهم الرعب فخرجوا عن المدینة، و حملوا ما خف لهم، و عبروا إلی الفرات، و خلوا المدینة، فدخلها المسلمون فأصابوا متاعا و سلاحا و سبیا و عینا، فاقتسموا العین، فأصاب کل رجل منهم درهمان، و ولی نافع بن الحارث أقباض الأبلة، فأخرج خمسه ثم قسم الباقی بین من أفاء الله علیه، و کتب بذلک مع نافع بن الحارث.

و قال داود بن أبی هند: أصاب المسلمون بالأبلة من الدراهم ستمائة درهم، فأخذ کل رجل درهمین، ففرض عمر لأصحاب الدرهمین فی ألفین من العطاء.

و قال الشعبی «۲»: شهد فتح الأبلة مائتان و سبعون، فیهم أبو بکرة، نفیع بن الحارث، و شبل بن معبد، و المغیرة بن شعبة، و مجاشع بن مسعود، و أبو مریم البلوی.

و فی حدیث یروی عن عمرة ابنة قیس «۳»: أنه لما خرج الناس لقتال أهل الأبلة، و کانوا حیالها، قالوا للعدو: نعبر إلیکم أو تعبرون إلینا؟ قال: اعبروا إلینا، فأخذوا خشب العشر فأوثقوه، و عبروا، فقال المشرکون: لا تأخذوا أولهم حتی یعبر آخرهم،

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۴).

(۲) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۵).

(۳) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۳۹

فلما صاروا علی الأرض کبروا تکبیرة، ثم کبروا الثانیة، فقامت دوابهم علی أرجلها، ثم کبروا الثالثة، فجعلت الدابة تضرب بصاحبها الأرض، و جعلنا ننظر إلی رءوس تندر، ما نری من یضربها، و فتح الله علی أیدیهم المدینة.

و قال سلمة بن المحبق «۱»: شهدت فتح الأبلة، فوقع فی سهمی قدر نحاس، فلما نظرت إذا هی ذهب فیها ثمانون ألف مثقال، و کتب فی ذلک إلی عمر، فکتب: أن تصبر یمین سلمة بالله لقد أخذها یوم أخذها و هی عنده نحاس، فإن حلف سلمت إلیه، و إلا قسمت بین المسلمین. قال: فحلفت فسلمت لی.

قال المثنی بن موسی بن سلمة: فأصول أموالنا الیوم منها.

و قال عبایة بن عبد عمرو «۲»: شهدت فتح الأبلة مع عتبة، فبعث نافعا إلی عمر، و جمع لنا أهل دست میسان، فقال عتبة: أری أن نسیر إلیهم، فسرنا فلقینا مرزبان دست میسان، فقاتلناه، فانهزم أصحابه و أخذ أسیرا، فأخذ قباؤه و منطقته فبعث بها عتبة مع أنس بن حجیة الیشکری.

قال أبو الملیح الهذلی: فسأله عمر: کیف المسلمون؟ قال: انثالت علیهم الدنیا، فهم یهیلون الذهب و الفضة، فرغب الناس فی البصرة فأتوها.

و عن علی بن زید قال: لما فرغ عتبة من الأبلة جمع له مرزبان دست میسان، فسار إلیه عتبة من الأبلة فقتله، ثم سرح مجاشع بن مسعود إلی الفرات و بها مدینة، و وفد عتبة إلی عمر، و أمر المغیرة بن شعبة أن یصلی بالناس حتی یقدم مجاشع من الفرات، فإذا قدم فهو الأمیر، فظفر مجاشع بأهل الفرات، و رجع إلی البصرة، و جمع المیلکان، عظیم من عظماء الأعاجم، للمسلمین، فخرج إلیه المغیرة، فلقیه بالمرغاب «۳»، فظفر به، فکتب إلی عمر بالفتح، فقال عمر لعتبة: من استعملت علی البصرة؟ فقال: مجاشع بن مسعود، قال: تستعمل رجلا من أهل الوبر علی أهل المدر؟ تدری ما حدث؟ قال: لا، فأخبره بما کان من أمر المغیرة، و أمره أن یرجع إلی عمله، فمات عتبة فی الطریق، و استعمل عمر المغیرة. الاکتفاء، الکلاعی ج ۲ ۵۳۹ ذکر الحدیث عن تمصیر الکوفة و البصرة و تحول سعد بن أبی وقاص عن المدائن إلی الکوفة و ما یندرج مع ذکر البصرة من فتح الأبلة ..... ص : ۵۳۴

فی روایة أن أهل میسان هم الذین جمعوا، فلقیهم المغیرة، و ظهر علیهم قبل قدوم مجاشع من الفرات، و بعد أن شخص عتبة إلی عمر أثر ما قتل مرزبان دست میسان.

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۶).

(۲) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۵).

(۳) المرغاب: موضع نهر بالبصرة. انظر: معجم البلدان (۵/ ۱۰۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۴۰

و ذکر الطبری بسنده عن قتادة قال: جمع أهل میسان للمسلمین، فسار إلیهم المغیرة، و خلف الأثقال، فلقیهم دون دجلة، فقالت أردة بنت الحارث بن کلدة: لو لحقنا بالمسلمین فکنا معهم، فاعتقدت لواء من خمارها، و اتخذ النساء من خمرهن رایات، و خرجن یردن المسلمین، فانتهین إلیهم، و المشرکون یقاتلونهم، فلما رأی المشرکون الرایات مقبلة، ظنوا أن مددا أتی المسلمین فانکشفوا، و اتبعهم المسلمون، فقتلوا منهم عدة.

أردة بنت الحارث بن کلدة: هذه کانت تحت شبل بن معبد البجلی، و کانت أختها صفیة عند عتبة بن غزوان، فلما ولی عتبة البصرة، انحدر معه أصهاره، أبو بکرة و نافع و شبل، و انحدر معهم زیاد، فلما فتحوا الأبلة لم یجدوا قاسما یقسم بینهم، فکان زیاد قاسمهم، و هو ابن أربع عشرة سنة، له ذؤابة، فأجروا علیه کل یوم درهمین.

قال الطبری: و کان ممن سبی من میسان یسار أبو الحسن البصری، و أرطبان جد عبد الله بن عون بن أرطبان.

و الأخبار فی شأن هذین المصرین یوهم ظاهرها الاختلاف المتباین فی وقت عمارة المسلمین لهما، فأکثرها علی أن ذلک کان بعد المدائن، و بعد جلولاء، و قد ذکرنا ما ذکر الطبری فی بعض ما أورده، أن عمر وجه الناس مع عتبة إلی البصرة فی سنة أربع عشرة، و

هذا يقتضى أنه قبل القادسية، فضلا عن المدائن، و كذلك ذكر المدائنى من حديث حميد بن هلال، أن خالد بن عمير العدوى حدثه قال: لما كان أيام القادسية، كتب إلينا أهل الكوفة يستمدوننا، فأمدهم أهل البصرة بألف و خمسمائة راكب، كنت فيهم، فقدمنا على سعد بالقادسية و هو مريض، و ذكر بقية الحديث.

و لعل نزول المسلمين بهذين الموضعين كان متقدما على تمصيرهما و بنيانهما بزمان، و مع ذلك فلا يرتفع الخلاف فى ذلك بين الأخبار كل الارتفاع، و الله تعالى أعلم.

و كان عمر، رضى الله عنه، قد أمر سعدا بعد ما وجهه إلى العراق أن يجعل الناس أعشارا، فلما كان بعد ذلك رجح الأعشار بعضهم بعضا رجحانا كثيرا، فكتب سعد إلى عمر فى تعديلهم، فكتب إليه: أن عدلهم، فأرسل سعد إلى قوم من نساب العرب و عقلائهم و ذوى الرأى منهم، كسعيد بن نمران، و مشعلة بن نعيم، فعدلوهم أسابعا، فلم يزالوا كذلك عامة إمارة معاوية حتى ولى زياد فربعهم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۴۱

ذكر الجزيرة، و ذكر السبب الذى دعا عمر إلى الأمر بقصدها «۱»

و ذلك أن هرقل أغزى حمص فى البحر بعد أن غلب عليها المسلمون، و استمد أهل الجزيرة على أبى عبيدة و من فيها من المسلمين، فأجابوه، و بلغت أمداد الجزيرة ثلاثين ألفا، سوى أمداد قنسرين من تنوخ و غيرهم، فبلغوا من المسلمين كل مبلغ، فضم أبو عبيدة مسالحه، و عسكروا بفناء مدينة حمص، و خندقوا عليها، و كتبوا إلى عمر و استصرخوه، و كان عمر، رضى الله عنه، قد اتخذ فى كل مصر على قدرها خيولا من فضول أموال المسلمين، عدة لما يعرض، فكان من ذلك بالكوفة أربعة آلاف فرس يشتيها فى قبلة قصر الكوفة و ميسرته، بمكان يسمى لأجل ذلك الآرى، و يربعها فيما بين الفرات و الأبيات من الكوفة، مما يلى العاقول، فسمته الأعاجم: آخر الشاهجان، يعنون معلف الأمراء.

و كان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلى فى نفر من أهل الكوفة، يصنع سوابقها، و يجريها فى كل يوم، و بالبصرة نحو منها، و قيمه عليها جزء بن معاوية، و فى كل مصر من الأمصار على قدره، فلما وقع إلى عمر كتاب أبى عبيدة يستصرخه، كتب إلى سعد بن أبى وقاص: أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو، و سرحهم من يومهم الذى يأتيك فيه كتابى إلى حمص، فإن أبا عبيدة قد أحيط به، و تقدم إليهم فى الجد و الحث.

و كتب إليه أيضا: أن سرح سهيل بن عدى إلى الجزيرة فى الجند، و ليأت الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص، و إن أهل قرقيسيا لهم سلف، و سرح عبد الله بن عتبان إلى نصيبين، ثم لينفضا حران و الرها، و سرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة و تنوخ، و سرح عياض بن غنم، فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعا إلى عياض، فمضى القعقاع فى أربعة آلاف من يومهم الذى أتاهم فيه الكتاب نحو حمص، و حديثهم مذكور فى أمر حمص من فتح الشام، و إنما أعيد منه هنا هذا القدر تطريقا لحديث الجزيرة و تمهيدا له.

و خرج عياض بن غنم، و أمراء الجزيرة، فسلكوا طريق الجزيرة على الفراض و غيرها، فتوجه كل أمير إلى الكورة التى أمّر عليها، و لما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص أن الجنود قد خرجت من الكوفة، و لم يدروا، الجزيرة يريدون أم حمص؟

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۵۰)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۷۶)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۳۷۲- ۳۷۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۴۲

تفرقوا إلى بلدانهم خوفا عليها، و خلوا الروم، فأتى سهيل بن عدى حتى انتهى إلى الرقة، و قد حصر فيها أهلها الذين ارفضوا عن حمص، فنزل عليهم، و أقام محاصرهم حتى صالحوه، و ذلك أن قالوا فيما بينهم: إنكم بين أهل العراق و أهل الشام، فما بقاؤكم على

حرب هؤلاء و هؤلاء؟ فبعثوا إلی عیاض، و هو فی منزل واسط بالجزیرة، فقبل منهم و عقد لهم عن أمرة سهیل بن عدی.

و خرج عبد الله بن عبد الله بن عتبان، فسلک علی دجلة حتی انتهی إلی الموصل، عبر إلی بلد ثم أتی نصیبین، فلقوا بالصلح، و صنعوا کما صنع أهل الرقة، و خافوا مثل الذی خافوا، فعقد لهم عبد الله عن أمر عیاض، و أجروا ما أخذوه عنوة من الرقة و نصیبین، ثم أجابوا مجری أهل الذمة، و لما أعطی أهل الرقة و نصیبین الطاعة، ضم عیاض سهیلا و عبد الله إلیه، فسار بالناس إلی حران، فأخذ ما دونها، فلما انتهی إلیهم اتقوه بالإجابة إلی الجزیة، فقبل منهم، و أجری من أجاب بعد غلبته مجری أهل الذمة، ثم سرح سهیلا و عبد الله إلی الرها، فاتقوهما بالإجابة إلی الجزیة، فقبل ذلک عیاض منهم، و أجری من دونهم مجراهم، فکانت الجزیرة أسهل البلدان أمرا و أیسره فتحا.

و قال سهیل بن عدی فی ذلک:

و صادمنا الفرات غداة سرناإلی أهل الجزیرة بالعوالی

و لم نثن الأعنة حین سرنابجرد الخیل و الأسل النهال

فأجهضنا الأولی قادوا لحمصو قد منوا أمانی الضلال

أخذنا الرقة البیضاء لمارأینا الشهر لوح بالهلال

و أزعجت الجزیرة بعد خفضو قد کانت تخوف بالزوال

و صار الخرج صافیة إلینابأکناف الجزیرة عن تغال و قال فی ذلک عبد الله بن عتبان:

ألا من مبلغ عنی بجیرافما بینی و بینک من بعاد

فإن تقبل تلاق العدل فیناو تنسی ما عهدت من الجهاد

و إن تدبر فما لک من نصیبنصیبی فیلحق بالعباد

و قد ألقت نصیبین إلیناسواد البطن بالخرج السداد

لقد لقیت نصیبین الدواهیبدهم الخیل و الجرد الوراد

و نفست الجیاد عن أهل حمصجنود الروم أصحاب الفساد

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۴۳ و عاین عامر منهم عدیداو دهما مثل سائمة الجراد و خرج الولید بن عقبة «۱» حتی قدم علی بنی تغلب و عرب الجزیرة، فنهض معه مسلمهم و کافرهم إلا- أیاد بن نزار، فإنهم ارتحلوا بکلیتهم، فاقتحموا أرض الروم، فکتب الولید بذلک إلی عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، فکتب إلی ملک الروم: إنه بلغنی أن حیا من أحیاء العرب ترک دارنا و أتی دارک، فو الله لتخرجنه أو لننبذن إلی النصاری، ثم لنخرجنهم إلیک. فأخرجهم ملک الروم، فتم منهم علی الخروج أربعة آلاف، و خنس بقیتهم، فتفرقوا مما یلی الشام و الجزیرة من بلاد الروم، فکل أیادی فی أرض العرب من أولئک الأربعة آلاف، و أبی الولید أن یقبل من بنی تغلب إلا- الإسلام، و کتب فیهم إلی عمر، فأجابه: إنما ذلک لجزیرة العرب لا یقبل منهم فیها إلا الإسلام، فدعهم علی أن لا ینصروا ولیدا، و أقبل منهم إذا أسلموا، فقبل منهم علی أن لا ینصروا ولیدا، و لا یمنعوا أحدا منهم من الإسلام، و أبی بعضهم إلا الجزاء، و رضی منهم بما رضی به من العباد و تنوخ.

و فی حدیث عن أبی سیف التغلبی «۲»: أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم کان عاهد وفد بنی تغلب علی أن لا ینصروا ولیدا، فکان ذلک الشرط علی الوفد و علی من وفدهم، و لم یکن علی غیرهم، فلما کان زمان عمر قال مسلموهم: لا تنفروهم بالخراج فیذهبوا، و لکن أضعفوا علیهم الصدقة التی تأخذونها من أموالهم، فإنهم یغضبون من ذلک الجزاء علی أن لا ینصروا ولیدا إذا أسلم آباؤهم، فخرج وفدهم فی ذلک إلی عمر، رحمه الله.

و لما بعث الولید إلیه برءوس النصاری و بدیانیهم، فأمرهم عمر بأداء الجزیة، قالوا له:

أبلغنا مأمننا، فو الله لئن وضعت علینا الجزاء لندخلن أرض الروم، و و الله لتفضحنا من بین العرب، فقال لهم: أنتم فضحتم أنفسکم، و خالفتم أمتکم، و الله لتؤدنها و أنتم صغرة قمأة، و لئن هربتم إلی الروم لأکتبن فیکم، ثم لأسبینکم. قالوا: فخذ منا شیئا و لا تسمیه جزاء، فقال: أما نحن فنسمیه الجزاء، و سموه أنتم ما شئتم. فقال له علی بن أبی طالب و أصغی إلیه عمر: یا أمیر المؤمنین، أ لم یضعف علیهم سعد بن مالک الصدقة؟ قال: بلی،

(۱) انظر ترجمته فی: طبقات ابن سعد (۶/ ۲۴)، الجرح و التعدیل (۹/ ۸)، تاریخ ابن عساکر (۱۷/ ۴۳۴)، تذهیب التهذیب (۴/ ۱۳۸)، البدایة و النهایة (۸/ ۲۱۴)، العقد الثمین (۷/ ۳۹۸)، تهذیب التهذیب (۱۱/ ۱۴۲)، أسد الغابة ترجمة رقم (۵۴۷۵)، الإصابة ترجمة رقم (۹۱۶۷).

(۲) انظر: الطبری (۴/ ۵۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۴۴

قال: فرضی به منهم جزاء و رضی القوم بذلک، فبنو تغلب تسمی جزیتهم صدقة، و أما تنوخ فلم تبال أی ذلک کان، فهم یسمونها الجزیة، و کان فی بنی تغلب عز و امتناع، فلا یزالون ینازعون الولید فیهم بهم و یقول:

إذا ما عصبت الرأس منی بمشوذفغیک منی تغلب ابنة وائل و بلغت عمر، رحمه الله، فخاف أن یخرجوه و أن یضعف صبره فیسطو علیهم، فعزله و أمر علیهم فرات بن حیان و هند بن عمرو الجملی.

ذکر فتح سوق الأهواز و مناذر و نهرتیر «۱»

ذکر سیف عن شیوخه، قالوا «۲»: لما انهزم الهرمزان بالقادسیة، جعل وجهه إلی أمته، فملکهم و قاتل بهم من أرادهم، فکان یغیر علی میسان و دست میسان من وجهین، من مناذر و نهرتیر، فاستمد عتبة بن غزوان سعدا، فأمده بنعیم بن مقرن و نعیم بن مسعود، و أمرهما أن یکونا بین أهل میسان و دست میسان و بین نهرتیر، و وجه عتبة، سلمی بن القین و حرملة بن مریطة الحنظلیین، فنزلا علی حدود أرض میسان و دست میسان، بینهم و بین مناذر، و دعوا بنی العم بن مالک، فخرج إلیهم غالب الوائلی و کلیب بن وائل الکلبی، فترکا نعیما و نعیما، و أتیا سلمی و حرملة، و قالا: أنتما من العشیرة، و لیس لکما منزل، فإذا کان یوم کذا فانهدوا للهرمزان، فإن أحدنا یثور بمناذر، و الآخر بنهرتیر، فنقتل المقاتلة، ثم یکون وجهنا إلیکم، فلیس دون الهرمزان شیء إن شاء الله.

فلما «۳» کانت لیلة الموعد، خرج سلمی و حرملة صبیحتها فی تعبئة، و أنهضا نعیما، و نعیم و سلمی علی أهل البصرة، و نعیم بن مقرن علی أهل الکوفة، فالتقوا هم و الهرمزان بین دلث و نهرتیر فاقتتلوا، فبینا هم فی ذلک أقبل المدد من قبل غالب و کلیب، و أتی الهرمزان الخبر بأخذ مناذر و نهرتیر، فکسر الله فی ذرعه و ذرع جنده، و هزمه و إیاهم، فقتل المسلمون منهم ما شاءوا و أصابوا ما شاءوا، و اتبعوهم حتی وقفوا علی شاطئ دجیل، و أخذوا ما دونه، و عسکروا بحیال سوق الأهواز، و قد عبر الهرمزان جسر سوق الأهواز، و أقام بها، و صار دجیل بینه و بین المسلمین، و رأی الهرمزان ما لا طاقة له به،

(۱) انظر الخبر فی: الطبری (۴/ ۷۲- ۷۷)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۷/ ۸۲، ۸۳).

(۲) انظر: الطبری (۴/ ۷۲، ۷۳).

(۳) انظر: الطبری (۴/ ۷۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۴۵

فطلب الصلح و کتبوا إلی عتبة یستأمرونه فیه، و کاتبه الهرمزان، فأجاب عتبة إلی ذلک علی الأهواز کلها و مهرجان قذق، ما خلا

نهرتير و مناذر، و ما غلبوا عليه من سوق الأهواز، فإنا لا نرد عليهم ما تنقذنا.

و جعل عتبة على مناذر سلمى بن القين مسلحة و أمرها إلى غالب، و حرملة على نهرتير، و أمرها إلى كليب، فكانا على مسالح البصرة، و هاجرت طوائف بنى العم، فنزلوا البصرة، و جعلوا يتبايعون على ذلك، و كتب عتبة بذلك إلى عمر، رحمه الله، و وفد وفدا منهم سلمى و حرملة، و أمرهما أن يستخلفهما على عمليهما و غالب و كليب، و وفد يومئذ من البصرة وفودا، فأمرهم عمر أن يرفعوا حوائجهم، فكلهم قال: أما العامة فأنت صاحبها، فلم يبق إلا خواص أنفسنا، فطلبوا لأنفسهم، إلا ما كان من الأحنف بن قيس، فإنه قال: يا أمير المؤمنين، إنه لكما ذكروا، و لقد يغرب عنك ما يحق علينا إنهاؤه إليك مما فيه صلاح العامة، و إنما ينظر الوالى فيما غاب عنه بأعين أهل الخير، و يسمع بآذانهم، و إنا لم نزل ننزل منزلا بعد منزل حتى أرزنا إلى البر، و إن إخواننا من أهل الكوفة نزلوا فى مثل حدقة البعير الغاسقة، من العيون العذاب، و الجنان الخصاب، فتأتيهم ثمارهم غضة، لم تخضد، و إنا معاشر أهل البصرة نزلنا بسبخة هشاشة زعقة نشاشة، طرف لها فى الفلاة، و طرف لها فى البحر الأجاج، يجر إليها ما جر فى مثل مرئ النعامة، دارنا مفعمة، و وظيفتنا ضيقة، و عددنا كثير، و أشرافنا قليل، و أهل البلاء فينا كثير، و درهمنا كبير، و فقيرنا صغير، و قد وسع الله علينا، و زادنا فى أرضنا، فوسع علينا يا أمير المؤمنين، و زدنا وظيفة، تطوف علينا، و نعيش بها.

فنظر عمر إلى منازلهم التى كانوا بها، إلى أن صاروا إلى الحجر، فنفلهموها، و أقطعهم إياها، و كان ذلك مما كان لآل كسرى، فصار فيئا فيما بين دجلة و الحجر، فاقتسموه، و كان سائر ما كان آل كسرى فى أرض البصرة على حال ما كان فى أرض الكوفة ينزلونه من أحبوا، و يقتسمونه بينهم، لا يستأثرون به على بدء و لا ثنى، بعد ما يرفعون خمسه إلى الوالى. فكانت قطائع أهل البصرة نصفين، نصفها مقسوم، و نصفها متروك للعسكر و للاجتماع، و كان أصحاب الألفين ممن شهد القادسية ثم أتى البصرة مع عتبة خمسة آلاف، و كانوا بالكوفة ثلاثين ألفا، فألحق عمر أعدادهم بأهل البصرة، حتى ساواهم بهم، ألحق جميع من شهد الأهواز، ثم قال: هذا الغلام سيد أهل البصرة، يعنى الأحنف، و كتب إلى عتبة أن يسمع منه، ورد سلمى و حرملة و غالبا و كليبا إلى مناذر و نهرتير، فكانوا عدة فيها لما يعرض.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۴۶

حديث فتح الأهواز و مدينة سرق

و اتصل ما بين أهل البصرة و بين أهل ذمتهم، على ما ذكر، إلى أن وقع بين الهرمزان و بين غالب و كليب فى حدود الأرضين اختلاف، فحضر سلمى و حرملة لينظرا فيما بينهم، فوجدا غالبا و كليبا محقين، و الهرمزان مبطلا، فحالا بينه و بينهما، فكفر الهرمزان، و منع ما قبله، و استعان بالأكراد، فكثف جنده، و كتبوا ببغيه و كفره إلى عتبة، فكتب بذلك إلى عمر، فأمدهم عمر بحرقوص بن زهير السعدى، و كانت له صحبة، و أمره على القتال، و على ما غلب عليه. فنهدوا معه، و نهد الهرمزان بمن معه حتى إذا انتهوا إلى جسر سوق الأهواز عبر الهرمزان فوق الجسر، بعد أن خيرهم، فقالوا له: اعبر، فاقتتلوا هنالك، فهزم الله الهرمزان، و وجه نحو رامهرمز، و افتتح حرقوص سوق الأهواز، فأقام بها، و نزل الجبل، و اتسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تستر، و وضع الجزية، و كتب بالفتح و الأخماس إلى عمر، فحمد الله، و دعا له بالثبات و الزيادة.

و كان عمر، رضى الله عنه، قد عهد إلى حرقوص: إن فتح الله عليهم أن يبعث جزء بن معاوية فى أثر الهرمزان، و هو متوجه إلى رامهرمز، فما زال يقاتلهم حتى انتهى إلى قرية الشغر، و أعجزهم بها الهرمزان، فمال منها جزء إلى دورق، و مدينة سرق فيها قوم لا يطيقون منعها، فأخذها صافية، و دعا من هرب إلى الجزاء و المنعة، فأجابوه، و كتب بذلك كله إلى عمر و إلى عتبة، فكتب عمر، رحمه الله، إلى جزء و إلى حرقوص بلزوم ما غلبا عليه، و المقام حتى يأتيهما أمره، ففعلا، و استأذنه جزء فى عمران ما دثر، فأذن له، فشق الأنهار، و عمر الموات.

و لما نزل الهرمزان رامهرمز و ضاقت عليه الأهواز بالمسلمين، طلب الصلح و راسل فيه حرقوصا و جزءا، فكتب فيه حرقوص إلى عمر، فكتب إليه و إلى عتبة، يأمر بقبول صلح الهرمزان على ما لم يفتتحوا من البلاد، على رامهرمز و تستر و السوس و جندى‌سابور و البنيان و مهرجان نقذق، فقبل ذلك الهرمزان، و أجابهم إليه، فأقام أمراء الأهواز على ما أسند إليهم عمر، و أقام الهرمزان على صلحه يجبى إليهم و يمنعونه، و إن غاوره أكراد فارس أعانوه و ذبوا عنه.

و كتب عمر إلى عتبة أن يوفد عليه عشرة من صالحاء جند البصرة، فوفد إليه منهم عشرة، فيهم الأحنف بن قيس، فلما قدموا عليه، قال للأحنف: إنك عندى مصدق، و قد رأيتك رجلا، فأخبرنى: أظلمت الذمة، أ لمظلمة نفروا، أم لغير ذلك؟ فقال: بل لغير مظلمة، و الناس على ما تحب، قال: فنعم إذا انصرفوا إلى رحالكم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۴۷

و كتب عمر إلى عتبة: أن اصرف الناس عن الظلم، و اتقوا الله، و احذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغى، فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه، و قد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم، فأوفوا بعهد الله، و قوموا على أمره يكن لكم عونا و ناصرا.

و بلغ عمر، رحمه الله، أن حرقوصا نزل جبل الأهواز و الناس يختلفون إليه، و الجبل كئود يشق على من رامه، فكتب إليه: بلغنى أنك نزلت منزلا كئودا لا تؤتى فيه إلا على مشقة، فأسهل و لا تشقن به على مسلم و لا معاهد، و قم فى أمرك على رجل تدرك الآخرة و تصف لك الدنيا، و لا تدركنك فترة و لا عجلة، فتكدر دنياك و تذهب آخرتك.

ذكر غزو المسلمين أرض فارس «۱»

قالوا «۲»: و كان المسلمون بالبصرة و أرضها يومئذ سوادها، و الأهواز على ما هم عليه، ما غلبوا عليه منها ففى أيديهم، و ما صلحوا عليه ففى أيدى أهله يؤدون الخراج، و لا يدخل عليهم، و لهم الذمة و المنعة، و عميد الصلح الهرمزان. و قد قال عمر، رحمه الله: حسبنا أهل البصرة سوادهم و الأهواز، وددت أن بيننا و بين فارس جبلا من نار لا نصل إليهم منه و لا يصلون إلينا، كما قال لأهل الكوفة: وددت أن بينهم و بين الجبل جبلا من نار لا يصلون إلينا منه و لا نصل إليهم.

و كان العلاء بن الحضرمى على البحرين، رده إليها عمر بعد أن عزله عنها بقدامة بن مظعون، و كان العلاء يناوئ سعد بن أبى وقاص لصدع صدعه القضاء بينهما، فطار العلاء على سعد فى الردة بالفضل، فلما ظفر سعد بالقادسية، و أزاح الأكاسرة، و استعلى بأعظم مما كان جاء به العلاء، أسر العلاء أن يصنع شيئا فى الأعاجم، و رجاء أن يدال كما قد كان أديل، و لم يقدر العلاء، و لم ينظر فيما بين فضل الطاعة و فضل المعصية و عواقبها، فندب أهل البحرين إلى أهل فارس، فتسرعوا إلى ذلك، ففرقهم أجنادا، على أحدها الجارود بن المعلى، و على الآخر السوار بن همام، و على الآخر خليد بن المنذر بن ساوى، و هو مع ذلك على جماعة الناس، فحملهم فى البحر إلى فارس بغير إذن عمر،

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۷۹- ۸۳)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۲/ ۳۷۶- ۲۷۹).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۷۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۴۸

و كان عمر، رحمه الله، لا يأذن لأحد فى ركوبه غازيا، يكره التغرير بجنده استنانا بالنبى صلى اللّه عليه و سلم و بأبى بكر، إذ لم يغزيا فيه أحدا.

فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا فى اصطخر، و بإزائهم أهل فارس، قد اجتمعوا على الهربذ، فحالوا بين المسلمين

و بين سفنهم، فقام خليد فى الناس، فقال: إن الله إذا قضى لأحد أمرا جرت به المقادير حتى يصيبه، و إن هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم لحربهم، و إنما جئتم لمحاربتهم، و السفن و الأرض لمن غلب، وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ وَ إِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ [البقرة: ۴۵].

فأجابوه، فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديدا فى موضع يدعى طاوس، و جعل السوار يحض و يذكر قومه عبد القيس حتى قتل، و قتل الجارود، و يومئذ ولى عبد الله بن المسور و المنذر بن الجارود حياتهما إلى أن ماتا. و جعل خليد بن المنذر يقول للمسلمين: انزلوا، فنزلوا فقاتلوا القوم فقتل أهل فارس مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها، ثم خرج المسلمون يريدون البصرة إذ غرقت سفنهم، و لم يجدوا إلى الرجوع فى البحر سبيلا، فوجدوا شهرك قد أخذ عليهم الطرق فعسكروا و امتنعوا.

و لما بلغ عمر، رحمه الله، ما صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش فى البحر، يعنى قبل أن يبلغه ما عرض لهم، ألقى فى روعه نحو من الذى كان، فاشتد غضبه على العلاء و كتب إليه بعزله و توعده و أمره بأثقل الأشياء عليه، و أبغض الوجوه عليه، بتأمر سعد عليه، و قال: الحق بسعد بن أبى وقاص فيمن قبلك، فخرج نحوه بمن معه.

و كتب عمر إلى عتبة بن غزوان: أن العلاء بن الحضرمى حمل جندا من المسلمين، فأقطعهم أهل فارس، و عصانى، و أظنه لم يرد الله بذلك، فخشيت عليهم ألا ينصروا و أن يغلبوا و ينشبوا، فاندب الناس إليهم، و اضممهم إليك من قبل أن يجتاحوا، فندب عتبة الناس، و أخبرهم بكتاب عمر، فانتدب عاصم بن عمرو و عرفجة بن هرثمة و حذيفة بن محصن و مجزأة بن ثور و الأحنف بن قيس و صعصعة بن معاوية و آخرون من رءوس المسلمين و فرسانهم، فخرجوا فى اثنى عشر ألفا على البغال يجنبون الخيل، و عليهم أبو سبرة بن أبى رهم، أحد بنى مالك بن حسل بن عامر بن لؤىّ، و المسالح على حالها بالأهواز و الذمة، و هم ردء الغازى و المقيم، فسار أبو سبرة بالناس، و ساحل لا يلقاه أحد، و لا يعرض له حتى التقى بخليد و أصحابه بحيث أخذ عليهم الطريق.

و كان أهل اصطخر حيث أخذوا عليهم الطريق و أنشبوهم، استصرخوا عليهم أهل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۴۹

فارس كلهم، فضربوا إليهم من كل وجه و كورة، فالتقوا هم و أبو سبرة، و قد توافت إلى المسلمين أمدادهم و إلى المشركين أمدادهم، و على المشركين شهرك، و هو الذى كان أخذ عليهم الطريق غب وقعة القوم بطاوس، فاقتتلوا، ففتح الله على المسلمين، و قتل المشركون و أصاب المسلمون منهم ما شاءوا، و هى الغزاة التى شرفت بها نابتة البصرة، فكانوا أفضل المصرين نابتة، ثم انكفأوا بما أصابوا، و قد عهد إليهم عتبة و كاتبهم بالحث و قلة العرجة، فانضموا إليه بالبصرة، فرجع أهلها إلى منازلهم منها، و تفرق الذين تنقذوا من أهل هجر إلى قبائلهم، و الذين تنقذوا من عبد القيس فى موضع سوق البحرين.

و لما أحرز عتبة الأهواز و أوطأ فارس، استأذن عمر فى الحج، فأذن له، فلما قضى حجه استعفاه، فأبى أن يعفيه، و عزم عليه ليرجعن إلى عمله، فدعا الله ثم انصرف، فمات فى بطن نخلة، فدفن بها، و مر به عمر زائرا لقبره، فقال: أنا قتلتك، لو لا أنه أجل معلوم و كتاب مرقوم، و أثنى عليه بالفضل. و مات عتبة و قد استخلف على الناس أبا سبرة بن أبى رهم و عماله على حالهم، و مسالحه على نهرتير و مناذر و سوق الأهواز و سرق. و أمّر عمر أبا سبرة على البصرة بقية السنة التى مات فيها عتبة، ثم عزله، و استخلف عبد الرحمن بن سهل، ثم استعمل المغيرة بن شعبة، فعمل عليها بقية تلك السنة التى ولاه فيها و السنة التى تليها، لم ينتقض عليه أحد فى عمله، و كان مرزوق السلامة.

ذكر فتح رامهرمز و السوس و تستر و أسر الهرمزان «۱»

ذكر سيف «۲» عن أصحابه قالوا: لم يزل يزدجرد يثير أهل فارس أسفا على ما خرج عنهم، فكتب إليهم و هو بمرو، يذكرهم الأحقاد و يؤنبهم، أن قد رضيتم يا أهل فارس أن غلبتكم العرب على السواد و ما والاه، و على الأهواز، ثم لم يرضوا بذلك حتى يوردوكم فى

بلادكم و عقر داركم، فخرجوا و تكاتبوا هم و أهل الأهواز، و تعاهدوا و تواثقوا على النصرة، و جاءت الأخبار حرقوص بن زهير و جزءا و سلمى و حرملة عن خبر غالب و كليب، فكتبوا إلى عمر و إلى المسلمين بالبصرة، فكتب عمر إلى سعد: أن ابعث إلى الأهواز بعثا كثيفا مع النعمان بن مقرن و عجل، و ابعث سويد بن مقرن، و عبد

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۸۳)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۲/ ۱۸۷، ۱۸۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۸۵– ۸۹).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۸۳، ۸۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۵۰

الله بن ذى السهمين، و جرير بن عبد الله الحميرى، و جرير بن عبد الله البجلى، فلينزلوا بإزاء الهرمزان حتى يتيقنوا أمره.

و كتب إلى أبى موسى، و هو على البصرة: أن ابعث إلى الأهواز جندا كثيفا، و أمر عليهم سهيل بن عدى، و ابعث معه البراء بن مالك، و عاصم بن عمرو، و مجزأة بن ثور، و كعب بن سور، و عرفجة بن هرثمة، و حذيفة بن محصن، و عبد الرحمن بن سهل، و الحصين بن معبد، و على أهل الكوفة و البصرة جميعا أبو سبرة بن أبى رهم، و كل من أتاه فمدد له.

و خرج النعمان بن مقرن فى أهل الكوفة، فأخذ وسط السواد حتى قطع دجلة بحيال ميسان، ثم أخذ البر إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل، و انتهى إلى نهرتير فجازها، و جاز مناذر، ثم شق الأهواز، و خلف حرقوصا و سلمى و حرملة، ثم سار نحو الهرمزان، و هو برامهرمز، فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره، و رجا أن يقتطعه، و قد طمع فى نصر أهل فارس، و قد أقبلوا نحوه، و نزلت أوائل أمدادهم بتستر، فالتقى النعمان و الهرمزان بأربك، فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم إن الله هزم الهرمزان، و أخلى رامهرمز و لحق بتستر، و سار النعمان بن أربك حتى نزل برامهرمز، ثم صعد لإيذج، فصالحه عليها تيرويه، فقبل منه و تركها، و رجع إلى رامهرمز، فأقام بها.

و جاء سهل فى أهل البصرة حتى نزلوا سوق الأهواز، فأتاهم بها خبر الوقعة التى أوقعها النعمان بالهرمزان حتى لحق بتستر، فمالوا نحوه من سوق الأهواز، فكان وجههم منها إلى تستر، و مال النعمان إليها من رامهرمز، و خرج سلمى و حرملة و حرقوص و جزء، فنزلوا جميعا على تستر، و بها الهرمزان و جنوده من أهل فارس و أهل الجبال و أهل الأهواز فى الخنادق، فكتبوا بذلك إلى عمر، رحمه الله، و استمده أبو سبرة فأمده بأبى موسى، فساجلوهم، و على أهل الكوفة النعمان، و على أهل البصرة أبو موسى، و على الفريقين أبو سبرة، فحاصروهم أشهرا، و أكثروا فيهم القتل.

و قتل البراء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح الله على المسلمين مبارزة مائة، سوى من قتل فى غير المبارزة، و قتل مجزأة بن ثور مثل ذلك، و قتل كعب بن سور و أبو تميمة كل واحد منهما مثل ذلك، و هؤلاء فى عدة من أهل البصرة، و فعل مثل ذلك من الكوفيين رجال، منهم حبيب بن قرة، و ربعى بن عامر، و عارم بن عبد الأسد، و كان من الرؤساء، فى ذلك، ما ازدادوا به إلى ما كان منهم، و زاحفهم المشركون فى أيام

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۵۱

تستر ثمانين زحفا تكون عليهم مرة و لهم أخرى، حتى إذا كان فى آخر زحف منها و اشتد القتال، قال المسلمون: يا براء، أقسم على ربك ليهزمنهم لنا، فقال البراء بن مالك: اللهم اهزمهم لنا و استشهدنى، فهزمهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم، فأرزوا إلى مدينتهم، فأحاط المسلمون بها.

فبينا هم على ذلك و قد ضاقت المدينة بهم، و طالت حربهم، خرج رجل إلى النعمان فاستأمنه على أن يدله على مدخل يوصل منه إلى المدينة، و يكون منه فتحها، فأمنه النعمان، فقال: انهدوا من قبل مخرج الماء، و رمى رجل آخر غير ذلك الرجل فى ناحية أبى موسى بسهم يستأمنهم فيه على أن يدلهم على ذلك، فأمنوه فى نشابة، فرمى إليهم بأخرى، و دلهم على مخرج الماء، فندب الأميران أصحابهما، فانتدب لأبى موسى كعب ابن سور و مجزأة بن ثور و بشر كثير.

و انتدب للنعمان أيضا بشر كثير، منهم: سويد بن المثعبة، و عبد الله بن بشر الهلالى، فنهدوا، فالتقوا هم و أهل البصرة على ذلك المخرج، و قد تسرب سويد و عبد الله، فاتبعهم الفريقان، حتى إذا اجتمعوا فيها، و الناس على رجل من خارج، كبروا فيها، و كبر المسلمون من خارج، و فتحت الأبواب، فاجتلدوا فيها، فأناموا كل مقاتل، و أرز الهرمزان إلى القلعة فأطاف به الذين دخلوا من مخرج الماء، فلما عاينوه و أقبلوا قبله، قال لهم: ما شئتم، قد ترون ضيق ما أنا فيه و أنتم، و إن معى فى جعبتى مائة نشابة، و و الله لا تصلون إلىّ، ما دامت معى نشابة، و ما يقع لى سهم إلا فى رجل، و ما خير أسارى إذا أصبت منكم مائة بين قتيل و جريح، قالوا: فتريد ما ذا؟ قال: أن أضع يدى فى أيديكم على حكم عمر يصنع بى ما شاء، قالوا: فذلك لك.

فرمى بقوسه، و أمكنهم من نفسه، فشدوه وثاقا، و اقتسموا ما أفاء الله عليهم، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف، و الراجل ألفا. و جاء الرجل الذى خرج بنفسه إلى النعمان، و الآخر الذى رمى بالسهم فى ناحية أبى موسى، فقالا للمسلمين: من لنا بالأمان الذى طلبنا علينا و على من مال علينا؟ قالوا: و من مال معكم؟ قالوا: من أغلق عليه بابه مدخلكم، فأجازوا ذلك لهم، و قتل ليلتئذ من المسلمين ناس كثير، منهم مجزأة بن ثور، و البراء بن مالك، قتلهما الهرمزان.

و خرج أبو سبرة من تستر فى أثر الفل، و قد قصد السوس، و أخرج معه النعمان و أبا موسى الهرمزان، حتى نزلوا على السوس، و كتبوا بذلك إلى عمر، فكتب إلى أبى موسى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۵۲

برده على البصرة، فانصرف عليها، و أمر عمر على جند البصرة المقترب، و هو الأسود بن ربيعة، و كتب إلى زر بن عبد الله بن كليب الفقيمى أن يسير إلى جندى‌سابور، فسار حتى نزل عليها، و كان الأسود و زر من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من المهاجرين إليه، الوافدين عليه، فقال له الأسود لما وفد عليه: جئت لأقترب إلى الله بصحبتك، فسماه المقترب، و قال له زر: يا رسول الله، فنى بطنى، و كثر إخوتنا، فادع الله لنا، فقال:

«اللهم أوف لزر عمارته»، فتحول إليهم العدد.

و وفد أبو سبرة وفدا، فيهم أنس بن مالك، و الأحنف بن قيس، و أرسل الهرمزان معهم، فقدموا مع أبى موسى البصرة، ثم خرجوا نحو المدينة، حتى إذا دخلوها هيئوا الهرمزان فى هيئته، فألبسوه كسوته من الديباج، و وضعوا على رأسه تاجا مكللا بالياقوت، كيما يراه عمر و المسلمون فى هيئته، ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر فى منزله فلم يجدوه، فسألوا عنه، فقيل لهم: جلس فى المسجد لوفد قدموا عليه من الكوفة، فانطلقوا يطلبونه فى المسجد فلم يروه.

فلما انصرفوا مروا بغلمان يلعبون، فقالوا لهم: ما تلددكم تريدون أمير المؤمنين؟ فإنه نائم فى ميمنة المسجد، متوسد برنسه، و كان عمر، رحمه الله، قد جلس لوفد الكوفة فى برنس، فلما فرغ من كلامهم و ارتفعوا عنه، و أخلوه نزع برنسه ثم توسده فنام، فانطلقوا و معهم النظارة، حتى إذا رأوه جلسوا دونه، و ليس فى المسجد نائم و لا يقظان غيره، و الدرة فى يده، فقال الهرمزان: أين عمر؟ قالوا: هو ذا، و جعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكتوا عنه، فقال لهم الهرمزان: أين حرسه و حجابه؟ فقالوا: ليس له حارس و لا حاجب، و لا كاتب و لا ديوان، فقال: ينبغى له أن يكون نبيا، قالوا: بل يعمل عمل الأنبياء، و كثر الناس، فاستيقظ عمر، رحمه الله، بالجلبة، فاستوى جالسا، ثم نظر إلى الهرمزان، فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم، فتأمله و تأمل ما عليه، و قال: أعوذ بالله من النار، و أستعين بالله، ثم قال: الحمد لله الذى أذل بالإسلام هذا و أشباهه، يا معشر المسلمين، تمسكوا بهذا الدين، و اهتدوا بهدى نبيكم، و لا تبطرنكم الدنيا فإنها غرارة.

فقال الوفد: هذا ملك الأهواز فكلمه، فقال: لا، حتى لا يبقى عليه من حليته شىء، فرمى عنه بكل شىء كان عليه إلا شيئا يستره، و ألبسوه ثوبا صفيقا، فقال عمر: هى يا هرمزان، كيف رأيت وبال الغدر و عاقبة أمر الله؟ فقال: يا عمر، إنا و إياكم فى الجاهلية كان الله قد خلى بيننا و بينكم، فغلبناكم إذ لم يكن معنا و لا معكم، فلما كان معكم غلبتمونا، فقال عمر: إنما غلبتمونا فى الجاهلية باجتماعكم و تفرقنا، ثم قال عمر: ما

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۵۳

عذرک و ما حجتک فی انتقاضک مرة بعد مرة؟ فقال: أخاف أن تقتلنی قبل أن أخبرک، قال: لا تخف ذلک. و استسقی ماء، فأتی به فی قدح غلیظ، فقال: لو مت عطشا لم أستطع أن أشرب فی مثل هذا، فأتی به فی إناء یرضاه، فجعلت یده ترعد، و قال: إنی أخاف أن أقتل و أنا أشرب، فقال عمر: لا بأس علیک حتی تشربه، فأکفأه.

فقال عمر: أعیدوا علیه، و لا تجمعوا علیه القتل و العطش، فقال: لا حاجة لی فی الماء، إنما أردت أن أستأمن به، فقال عمر: إنی قاتلک، فقال: قد أمنتنی، قال: کذبت، قال أنس: صدق یا أمیر المؤمنین، قد أمنته، قال: ویحک یا أنس، أنا أؤمن قاتل مجزأة و البراء ابن مالک، و الله لتأتین بمخرج و إلا عاقبتک. قال: قلت له: لا بأس علیک حتی تخبرنی، و قلت له: لا بأس علیک حتی تشربه، و قال له من حوله مثل ذلک، فأقبل الهرمزان، و قال: خدعتنی، و الله لا أنخدع إلا أن تسلم، فأسلم ففرض له علی ألفین و أنزله المدینة.

و یروی أن المغیرة بن شعبة کان الترجمان یومئذ بین عمر و بین الهرمزان إلی أن جاء المترجم، و کان المغیرة یفقه من الفارسیة شیئا، فقال له عمر: ما أراک بها حاذقا، ما أحسنها أحد منکم إلا خب، و لا خب إلا دق، إیاکم و إیاها، فإنها تنقص الإعراب.

ذکر فتح السوس

و الأخبار التی نذکرها بعد ذلک شدیدة الخلاف لبعض ما تقدم، و کذلک قال أبو جعفر الطبری «۱»: إن أهل السیر اختلفوا فی أمرها. قال: فأما المدائنی فإنه قال: لما انتهی فل جلولاء إلی یزدجرد و هو بحلوان، دعا بخاصته و بالموبذ، فقال: إن القوم لا یلقون جمعا إلا فلوه، فما ترون؟ قال الموبذ: نری أن نخرج فننزل اصطخر، فإنها بیت المملکة، و تضم إلیک خزائنک، و توجه الجنود، فأخذ برأیه، و سار إلی أصبهان و دعا سیاه، فوجه ثلاثمائة فیهم سبعون من عظمائهم، و أمره أن ینتخب من کل بلدة یمر بها من أحب، فمضی سیاه و اتبعه یزدجرد، حتی نزلوا اصطخر و أبو موسی محاصر سوس، فوجه سیاه إلی السوس، و الهرمزان إلی تستر، فنزل سیاه منزلا تحول عنه حین سار أبو موسی إلی تستر.

فنزل سیاه بینها و بین رامهرمز، و دعا الرؤساء الذین کانوا خرجوا معه من أصبهان، و قد عظم أمر المسلمین عنده، فقال: قد علمتم أنا کنا نتحدث أن هؤلاء القوم أهل

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۸۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۵۴

الشقاء و البؤس سیغلبون علی هذه المملکة، و تروث دوابهم فی إیوانات اصطخر و مصانع الملوک، و یشدون خیولهم بشجرها، و قد غلبوا علی ما رأیتم، و لیس یلقون جندا إلا فلوه، و لا ینزلون بحصن إلا فتحوه، فانظروا لأنفسکم. قالوا: رأینا رأیک، قال: فلیکفنی کل رجل منکم حشمه و المنقطعین إلیه، فإنی أری أن ندخل فی دینهم.

فوجهوا شیرویه فی عشرة من الأساورة إلی أبی موسی، فقدم علیه، فقال: إنا قد رغبنا فی دینکم، فنسلم علی أن نقاتل العجم معکم، و إن قاتلنا أحد من العرب منعتمونا منهم، و ننزل حیث شئنا، و نکون فیمن شئنا منکم، و تلحقونا بأشرف العطاء، و یعقد لنا بذلک الأمیر الذی هو فوقک، فقال أبو موسی: بل لکم ما لنا، و علیکم ما علینا، فقال:

لا نرضی.

و کتب أبو موسی إلی عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، بأمرهم، فأجابه: أعطهم ما سألوک، فکتب لهم أبو موسی، فأسلموا، و شهدوا معه حصار تستر، فلم یکن أبو موسی یری منهم جدا و لا نکایة، فقال لسیاه: یا أعور، ما أنت و أصحابک کما کنا نری، قال: لسنا مثلکم فی هذا الدین، و لا بصائرنا کبصائرکم، و لیس لنا فیکم حرم نحامی عنهم، و لم تلحقونا بأشرف العطاء و لنا سلاح و کراع و

أنتم حسر. فکتب أبو موسی إلی عمر فی ذلک، فکتب إلیه: أن ألحقهم علی قدر البلاء فی أفضل العطاء و أکثر شیء أخذه أحد من العرب. ففرض لمائة منهم فی ألفین ألفین، و لستة منهم فی ألفین و خمسمائة، لسیاه و خسرو و ابنه مقلاص و شهریار و شهرویه و أفریذون، و إیاهم عنی الشاعر بقوله:

و لما رأی الفاروق حسن بلائهمو کان بما یأتی من الأمر أبصرا

فسن لهم ألفین فرضا و قد رأی ثلاثمائین فرض عک و حمیرا قال: فحاصروا حصنا بفارس، فمشی سیاه فی آخر اللیل فی زی العجم حتی رمی بنفسه إلی جانب الحصن، و نضح ثیابه بالدم، و أصبح أهل الحصن، فرأوا رجلا فی زیهم صریعا، فظنوا أنه رجل منهم أصیبوا به، ففتحوا باب الحصن لیدخلوه، و ثار فقاتلهم حتی دخلوا عن باب الحصن و هربوا، ففتح الحصن وحده و دخله المسلمون، و قوم یقولون: فعل هذا الفعل سیاه بتستر، و حاصروا حصنا آخر، فمشی خسرو إلی الحصن، فأشرف علیه رجل منهم فکلمه، فرماه خسرو بنشابة فقتله.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۵۵

أما سیف «۱»، فإنه ذکر بإسناد له قال: لما نزل أبو سبرة فی الناس علی السوس، و أحاط المسلمون بها، و علیهم شهریار أخو الهرمزان، ناوشهم مرات، کل ذلک یصیب أهل السوس من المسلمین، فأشرف علیهم الرهبان و القسیسون، فقالوا: یا معشر العرب، إن مما عهد إلینا علماؤنا و أوائلنا، أنه لا یفتح السوس إلا الدجال، أو قوم فیهم الدجال، فإن کان الدجال فیکم فستفتحونها، و إن لم یکن معکم فلا- تعنوا بحصارنا، و جاء صرف أبی موسی إلی البصرة، و عمل مکانه علی جندها الذین بالسوس المقترب، و النعمان علی أهل الکوفة، فحاصر السوس مع أبی سبرة.

فجاء کتاب عمر بصرف النعمان إلی أهل نهاوند لاجتماع الأعاجم بها، فتهیأ للمسیر، ثم استقبل فی تعبئته، فناوش أهل السوس قبل مضیه، فعاد الرهبان و القسیسون، و أشرفوا علی المسلمین، و غاظوهم، و صاف ابن صیاد یومئذ مع النعمان فی خیله، فأتی باب السوس غضبان فدقه برجله، و قال: انفتح، فتقطعت السلاسل، و تکسرت الأغلاق، و فتحت الأبواب، و دخل المسلمون، فألقی المشرکون بأیدیهم، و نادوا: الصلح الصلح، فأجابهم المسلمون إلی ذلک، بعد ما دخلوها عنوة، و اقتسموا ما أصابوا قبل الصلح، ثم افترقوا.

فتح جندی‌سابور

قالوا «۲»: و لما فرغ أبو سبرة من السوس خرج فی جنده حتی ینزل علی جندی‌سابور، و زر بن عبد الله محاصرهم، فأقاموا علیها یغادونهم و یراوحنهم القتال، فلم یفجأ المسلمین یوما إلا و أبوابها تفتح، ثم خرج السرح، و خرجت الأسواق، و انبث أهلها، فأرسل إلیهم المسلمون: أن ما لکم؟ قالوا: رمیتم لنا بالأمان فقبلناه، و أقررنا لکم الجزاء، علی أن تمنعونا، فقال المسلمون: ما فعلنا، فقال أهل جندی‌سابور: ما کذبنا، فسأل المسلمون فیما بینهم، فإذا عبد یدعی مکنفا کان أصله منها، هو الذی کتب لهم أمانا، فرمی به إلیهم من عسکر المسلمین، فقالوا: إنما هو عبد، فقال المشرکون: إنا لا نعرف حرکم من عبدکم، و قد جاءنا أمان، فنحن علیه قد قبلناه، و لم نبدل، فإن شئتم فاغدروا، فأمسکوا عنهم، و کتبوا بذلک إلی عمر، فأجابهم: إن الله عظیم الوفاء، فلا

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۹۱، ۹۲).

(۲) انظر الخبر فی: الطبری (۴/ ۹۳، ۹۴)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۷/ ۸۹)، الکامل فی التاریخ لابن الأثیر (۲/ ۳۸۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۵۶

تکونون أوفیاء حتی توفوا، ما دمتم فی شک أجیزوهم، وفوا لهم، ففعلوا و انصرفوا عنهم.

و قال عاصم بن عمرو فی ذلک:

لعمرى لقد كانت قرابة مكنفقرابة صدق ليس فيها تقاطع

أجارهم من بعد ذل و قلةو خوف شديد و البلاء بلاقع

فجاز جواز العبد بعد اختلافناورد أمورا كان فيها تنازع

إلى الركن و الوالى المصيب حكومةفقال بحق ليس فيه تخادع

فلله جندى ساهبور لقد نجتغداة منتها بالبلاء اللوامع

حديث وقعة نهاوند «۱»

و الاختلاف فيها بين أهل الأخبار كثير، و لكن الذى ذكره أبو الحسن المدائنى من حديثها أحسن ما وقفت عليه من الأحاديث منساقا، و أطوله اقتصاصا، فلذلك آثرت الابتداء به، و ربما أدرجات فى تضاعيفه من حديث غيره ما يحسن إدراجه فيه، ثم أذكر بعد انقضائه ما اختار ذكره من الأخبار التى أوردها سواه عن هذه الوقعة إن شاء الله.

ذكر المدائنى «۲» عن رجال من أهل العلم، يزيد بعضهم على بعض: أن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، شاور الهرمزان، فقال له: أما إذا فتنى بنفسك فأشر علىّ، أ بفارس أبدأ أم بالجبال: أذربيجان و أصبهان؟ قال: فارس الرأس و الجبال جناحان، فاقطع الجناحين فلا يتحرك الرأس، قال عمر: بل أقطع الرأس فلا يقوم جسد و لا جناح. فكتب عمر إلى عثمان بن أبى العاص و هو بتوج: أن سر إلى اصطخر، و قدم عليه أبو موسى، فأمره أن يرجع إلى البصرة، و يسير إلى ابن كسرى مع عثمان بن أبى العاص، و قال: كل واحد منكم أمير على جنده، فقدم أبو موسى البصرة، فسار إلى يزدجرد باصطخر، و سار إليه عثمان من توج.

فلما ألحوا على يزدجرد كتب إلى أهل الرى و أهل الجبال: أصبهان و همدان و قومس،

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۲۲)، فتوح البلدان للبلاذرى (ص ۳۷۱- ۳۷۶)، معجم البلدان لياقوت (۵/ ۳۱۳، ۳۱۴)، العبر للذهبى (۱/ ۲۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۱۰۵)، مرآة الجنان لليافعى (۱/ ۷۷).

(۲) انظر الرواية فى: الطبرى (۴/ ۵۳۴- ۵۳۶)، الأخبار الطوال للدينورى (ص ۱۳۳- ۱۳۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۵۷

أن العرب قد ألحوا علىّ فاشغلوهم عنى، و ردوهم إلى بلادهم، فكتب بعضهم إلى بعض:

أن صاحب العرب الذى جاء بدينهم و أظهر أمرهم هلك، و ملك بعده رجل لم يلبث إلا قليلا حتى هلك، و إن صاحبهم هذا عمر و طال سلطانه، و أغزى جنوده بلادكم، فليس بمنته حتى تخرجوه من بلادكم و تغزوه فى بلاده، فأجمعوا على ذلك و تمالوا عليه و تعاقدوا، و أنفذوا أن يجتمعوا بنهاوند، و بلغ ذلك أهل الكوفة، فكتبوا به إلى عمر، فخرج يمشى حتى قام على المنبر، فقال: أين المسلمون؟ أين المهاجرون و الأنصار؟

فاجتمع الناس، فحمد الله و أثنى عليه، و قال: إن عظماء أهل الرى و أهل أصبهان و أهل همذان و أهل نهاوند و أهل قومس و أهل حلوان، أمم مختلفة ألوانها و ألسنتها و أديانها و مللها، و قد تعاهدوا أن يخرجوا إخوانكم من بلادهم و أن يغزوكم فى بلادكم، فأشيروا علىّ و أوجزوا و لا تطنبوا، فتفشغ بكم الأمور.

فقام طلحة، و كان من خطباء قريش و ذوى رأيهم و من علية أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال: يا أمير المؤمنين، قد حنكتك الأمور، و جربتك الدهور، و عجمتك البلايا، و أحكمتك التجارب، فأنت ولى ما وليت، لا ينبثر فى يديك، و لا يحل عليك، فمرنا نطع، و احملنا نركب، و قدنا ننقد، فإنك مبارك الأمر، ميمون النقيبة، و قد أخبرت و خبرت و جربت، فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار.

قال: تکلموا، فقال عثمان: اکتب إلی أهل الشام أن یسیروا من شامهم، و إلی أهل الیمن فلیسیروا من یمنهم، و سر نفسک فی أهل الحرمین إلی أهل المصرین، فتلقی جمع المشرکین بجمع المسلمین، فیتعال فی عینک ما قد کثر عندک، و تکون أعز منهم، إنک لن تستبقی من نفسک باقیة بعد العرب، و لن تمتنع من الدنیا بعزیز، و لا تلوذ منها بحریز، و هذا یوم له ما بعده، فاحضرهم برأیک، و اشهدهم بمقدرتک.

قال: تکلموا، فقال علی بن أبی طالب: یا أمیر المؤمنین، إن کتبت إلی أهل الشام فساروا من شامهم أغارت الروم علی بلادهم، و إن سار أهل الیمن من یمنهم خلفتهم الحبش فی عیالاتهم، و إن سرت بأهل الحرمین انتقضت الأرض علیک من أقطارها، حتی یکون ما تخلفه من العورات فی العیالات أهم إلیک مما بین یدیک، و أما ما ذکرت من مسیرهم فالله لمسیرهم أکره، و هو أقدر علی تغییر ما کره، و أما کثرتهم فإنا لم نکن نلق عدونا بالکثرة، و لکنا کنا نلقاهم بالصبر، إنک إن نظر إلیک الأعاجم قالوا: هذا أمیر العرب، فکان أشد لحربهم و کلبهم، و لکن اکتب إلی أهل البصرة فلیتفرقوا علی ثلاث فرق، فلتقم فرقة فی دیارهم، و فرقة فی أهل عهدهم، و تسیر فرقة إلی إخوانهم بالکوفة.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۵۸

قال: هذا رأی، و قد کنت أحب أن أتابع علیه، لعمری لئن سرت بأهل الحرمین و نظر إلیّ الأعاجم لتنقضن الأرض و لیمدنهم من لم یمدهم، و لیقولن: أمیر العرب إن قطعناه قطعنا أصل العرب، فأشیروا علیّ برجل أولیه و اجعلوه عراقیا، قالوا: أنت أفضل رأیا و أعلم بأهل العراق، و هم عمالک و قد وفدوا علیک و عرفتهم، قال: لأولینها رجلا یکون لأول أسنة یلقاها، النعمان بن مقرن. و کان النعمان بکسکر قد کتب إلی عمر: یا أمیر المؤمنین، إنما مثلی و مثل کسکر مثل شاب عند مومسة تلون له کل یوم و تعطر، و إنی أذکرک الله إلا بعثتنی فی جیش إلی ثغر غازیا، و لا تبعثنی جابیا.

فندب عمر أهل المدینة، فانتدب منهم جمع، فوجههم إلی الکوفة، و کتب إلی عمار بن یاسر أن یستنفر ثلث أهل الکوفة، و أن یسیروا إلی العجم بنهاوند، فقد ولیت علیهم النعمان بن مقرن المزنی، و کتب إلی أهل الکوفة بذلک، و کتب إلی أبی موسی أن یستنفر ثلث أهل البصرة إلی نهاوند، و کتب إلی النعمان: إنی وجهت جیشا من أهل المدینة و أهل الکوفة و أهل البصرة إلی نهاوند، فأنت علی الناس و معک فی الجیش طلیحة بن خویلد و عمرو بن معدی کرب، فأحضرهما الناس و شاورهما فی الحرب، فإن حدث بک حدث، فأمیر الناس حذیفة، فإن قتل فجریر بن عبد الله، فإن قتل فالمغیرة بن شعبة، فإن قتل فالأشعث بن قیس، و ذکر الأشعث فی هذا غریب، فإن المعروف من عمر، رضی الله عنه، أنه لم یستعمل أحدا ممن ارتد، و لکن هذا وقع فی هذا الحدیث، و الله أعلم.

و بعث عمر بالکتاب مع السائب بن الأقرع بن عوف، و قال له: إن سلم الله ذلک الجند فقد ولیتک مغانمهم و مقاسمهم، فلا ترفعن إلیّ باطلا و لا تمنعن أحدا حقه، و إن هلک ذلک الجند فاذهب فلا أرینک أبدا، فقدم السائب الکوفة فیمن نفر من أهل المدینة، و بعث بکتاب أهل البصرة مع عمرو بن معدی کرب فاستنفرهم أبو موسی فنفر ثلثهم، و خرجوا إلی الکوفة علیهم مجاشع بن مسعود، و علی أهل الکوفة حذیفة بن الیمان، ثم ساروا جمیعا مع من قدم من أهل المدینة إلی نهاوند، و سار النعمان بن مقرن فتوافوا بنهاوند، و الأعاجم بها ستون ألفا علیهم ذو الفروة، و هو ذو الحاجب، و هم بمکان یقال له: الاستفیذهان بقریة یقال لها: فیدیسجان، دون مدینة نهاوند بفرسخین، و قد خندق الأعاجم و هالوا فی الخندق ترابا قد نخلوه، فبعث النعمان طلیحة بن خویلد و بکیر بن الشداخ، فارس أطلال، لیعلما علم القوم.

فأما بکیر فانصرف، فقیل له: ما ردک؟ قال: أرض العجم، و لم یکن لی بها علم

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۵۹

فخفت أن یأخذ علیّ مضیق أو بعض جبالها، و مضی طلیحة فأبطأ حتی ساء ظن الناس به، فعلم علمهم ثم رجع فلم یمر بجماعة إلا کبروا، فأنکر ذلک منهم، و قال: ما لکم تکبرون إذا رأیتمونی؟ قالوا: ظننا أنک فعلت کفعلتک. قال: لو لم یکن دین لحمیت أن

أجزر العرب هذه الأعاجم الطماطم، و أخبر الناس بعدة القوم و كثرتهم، فقالوا: حسبنا الله و نعم الوكيل.

و أقام النعمان أياما حتى استجم الناس أنفسهم و ظهرهم، فلما كان يوم الأربعاء من بعض تلك الأيام دنا من عسكر المشركين، و قال: إن أمير المؤمنين كتب إلىّ أن لا أقاتلهم حتى أدعوهم، فمن رجل يأتيهم بكتابه؟ و معه فى عسكره ممن قدم من المدينة عبد الله ابن الزبير و عبد الله بن عمر أو الزبير و ابنه عبد الله، فتواكل الناس، فقام المغيرة بن شعبة يتذيل فى مشيته، و كان آدم طويلا ذا ضفيرتين أعور، فأخذ الكتاب فأتاهم، فقال: القوا إلىّ شيئا، فألقوا له ترسا فجلس عليه، فقال الترجمان: ما أقدمكم؟ فذكر ما كانوا فيه من ضيق المعيشة، و قال: كنا أهل جهد و جفاء بين شوك و حجر، و مدر وحية و عقرب، يغير بعضنا على بعض، فأتينا بلادكم فأصبنا مطعما طيبا و شرابا عذبا و لبوسا لينا و طلا باردا، فلسنا براجعين إلى ما كنا فيه حتى نصيب حاجتنا أو نموت.

فنظر بعضهم إلى بعض و قالوا: صدق، فقالوا: إنكم معشر العرب أرجاس أنجاس، و إنما غركم مناخر نبذ جوى الأهواز، و عوران المدائن الذين لقوكم، و إنه ليس ممن ترى إلا فارسى محض أسوار، و لو لا فساد الأرض لقتلناكم، فما حاجتكم التى تريدون أن تصيبوها؟ فقرأ عليهم المغيرة كتاب عمر: إنا ندعوكم إلى ما دعاكم الله إليه و رسوله، أن تدخلوا فى السلم كافة، فإن فعلتم فأنتم إخواننا، لكم ما لنا و عليكم ما علينا، فإن أبيتم الإسلام فالجزية، فإن أبيتم الجزية استنصرنا الله عليكم.

قالوا: الآن حين نقرنكم فى الجبال، فرجع المغيرة، فقال للنعمان: حبست الناس حتى طمحت أبصارهم، أما و الله إن لو كنت صاحبها؟ قال: ربما كنت، فلم يخزك الله و لم تخب. و نهض المسلمون للحرب، فأقبل ذو الحاجب على برذون أمام العجم، فقالوا:

انزلوا بالطائر الصالح الذى نصرتم به على الأمم، و تهزمون به العرب، فبرز له رجل من المسلمين فقتله ذو الحاجب، و تهايجوا و اقتتلوا حتى كثرت بينهم القتلى و الجرحى، ثم تحاجزوا، و غدا المشركون غداة الخميس من غد يجرون الحديد و يسحبون الدروع، و غدا المسلمون على راياتهم فتقدم رجل من العجم قد أعلم بعصابة فيها جواهر أمام أصحابه، فحمل عليه أوفى بن سبرة القشيرى فقتله و سلبه، فنفله النعمان سلبه، و حمل المشركون

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۶۰

فتلقاهم المسلمون فاقتتلوا حتى صبغت الدماء ثنن الخيل و تحاجزوا عند السماء، فبات المسلمون يوقدون النيران، و يعصبون بالخرق، لهم أنين من الجراح، و دوى بالقرآن كدوى النحل، و بات المشركون فى المعازف و الخمور و بهم من الجراح مثل ما بالمسلمين.

و أصبحوا يوم الجمعة، فأقبل النعمان معلما ببياض، على برذون قصير، عليه قباء أبيض مصقول و قلنسوة بيضاء مصقولة، فوقف على الرايات فحضهم، و قال: يا معشر المسلمين، إن هؤلاء قد أخطروا لكم أخطارا و أخطرتم لهم أخطارا، أخطروا لكم دنيا، و أخطرتم لهم الإسلام، فالله الله فى الإسلام أن تخذلوه، فإنكم أصبحتم بابا بين المسلمين و المشركين، فإن كسر الباب دخل على الإسلام ليشغل كل امرئ منكم قربه و لا يخلفه على صاحبه، فإنه لوم و خذلان و وهن و فشل، إنى هاز الراية فإذا هززتها فليأخذ الرجال همايينها فى أحقيتها و شسوعها فى نعالها، و ليتعهد أصحاب الخيل أعنتها و حزمها، فإذا هززتها الثانية فليعرف كل امرئ منكم مصوب رمحه و موضع سلاحه و وجه مقاتله، فإذا هززتها الثالثة و كبرت فكبروا و استنصروا الله و اذكروه، فإذا حملت فاحملوا.

فقال رجل من أهل العراق: قد سمعنا مقالتك أيها الأمير، فنحن واقفون عند قولك، منتهون إلى رأيك، فأى النهار أحب إليك؟ أوله أم آخره؟ قال: آخره حين تهب الرياح، و تحل الصلاة و ينزل النصر لمواقيت الصلاة، فأمهل الناس حتى إذا زالت الشمس، هز الراية فقضى الناس حوائجهم و شدت الرجال مناطقها، و نزع أصحاب الخيل المخالى عن خيلهم و قرطوها أعنتها و شدوا حزمها و تأهبوا للحرب، ثم أمهل حتى إذا كان فى آخر الوقت هزها فصلى الناس ركعتين و جال أصحاب الخيل فى متونها و صوبوا رماحهم فوضعوها بين آذان خيولهم، و أقبلت الأعاجم على براذينهم عليهم الرايات المدبجة، و المناطق المذهبة، و وقف ذو الحاجب على بغلة، فلقد رأى الأعاجم و هم فى عدتهم و إن لأقدامهم فى ركبهم لزلزلة، و إن الأسوار ليأخذ النشابة فما يسدد الفوق للوتر و ما يتمالك أن يضعها على قوسه.

فقال النعمان: یا معشر المسلمین، إنی هاز الرایة و حامل فاحملوا، و لا یلوی أحد علی أحد، و إن قیل قتل النعمان، فلا یلوین علیّ أحد، و أنا داع بدعوة فعزمت علی کل رجل منکم إلا أمن، ثم قال: اللهم اعط النعمان الیوم الشهادة فی نصر المسلمین، و افتح علیهم، ثم نثل درعه، و هز الرایة و کبر، فکبر الأدنی فالأدنی ممن حوله حتی غشیهم التکبیر من السماء، و صوب رایته کأنها جناح طائر، و حمل و حمل الناس، فکان أول

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۶۱

صریع رحمه الله، و مر به معقل بن یسار فذکر عزمته: أ لا یلوی أحد علیّ، فجعل علما عنده، و مر أخوه سوید بن مقرن أو نعیم، فألقی علیه ثوبا لکی لا یعرف، و نصب الرایة و هی تقطر دما، قد قتل بها قبل أن یصرع، و سقط ذو الحاجب عن بغلته فانشق بطنه، و انهزم المشرکون، فاتبعوهم یقتلونهم کیف شاءوا.

فقال بعض من حضر ذلک الیوم: إنی لفی الثقل فثارت بیننا و بین القوم عجاجة قسطلانیة، فجعلت أسمع وقع السیوف علی الهام، ثم کشفت، فإذا المسلمون یتبعونهم کالذباب یتبع الغنم، فاتبعتهم طائفة من المسلمین حتی دخلوا مدینتهم، ثم رجعوا، و حوی المسلمون عسکرهم، و رجع معقل بن یسار إلی النعمان بعد انهزام المشرکین و معه أدواة فیها ماء فغسل التراب عن وجهه، فقال: من أنت؟ قال: معقل بن یسار، قال: ما فعل الناس؟ قال: فتح الله علیهم، قال: الحمد لله، اکتبوا بذلک إلی عمر.

و فاضت نفسه، فاجتمع الناس و فیهم ابن الزبیر و ابن عمر، فأرسلوا إلی أم ولده، فقالوا:

أعهد إلیک عهدا؟ فقالت: هاهنا سفط فیه کتاب، فأخذوه فإذا کتاب عمر إلی النعمان:

إن حدث بک حدث فالأمیر حذیفة، فإن قتل ففلان، فإن قتل ففلان.

فتولی أمر الناس حذیفة، فأمر بالغنائم فجمعت، ثم سار إلی مدینة نهاوند و قد حملت الغنائم إلی عسکرهم، و حصر أهل المدینة و قاتلوهم، فبیناهم یطاردونهم إذ لحق سماک بن عبید عظیما من عظمائهم یقال له: دینار، فسأله الأمان، فأمنه و أدخله علی حذیفة، فصالحه عن البلد علی ثمانمائة ألف و شیء من العسل و السمن، و قال: إن لکم لوفاء بالعهد، و أخاف علیکم خمسة أشیاء: الخب و البخل و الغدر و الخیلاء و الفجور، و أخاف أن یأتیکم الخب من قبل النبط، و الخیلاء من قبل الروم، و البخل من قبل فارس، و الفجور و الغدر من قبل أهل الأهواز، و أتی السائب بن الأقرع دهقان و قد جمعت الغنائم، فقال له: أ تؤمننی علی دمی و دماء قرابتی و أدلک علی کنز النخیرجان؟ ثم تجلبوا علیه فی الحرب فیقسم و تجری علیه السهام، و لم یحرزوه بجزیة أقاموا علیها، و إنما هو دفین دفنوه و فروا عنه، فتأخذه لصاحبکم، یعنی عمر رضی الله عنه، تخصه به.

قال: أنت آمن إن کنت صادقا، قال: فانهض معی، فنهض معه فانتهی به إلی قلعة، فرفع صخرة و دخل غارا فاستخرج سفطین، فإذا قلائد منظومة بالدرر و الیاقوت و قرطة و خواتم و تیجان مکللة بالجوهر، فأمنه ثم أتی به حذیفة فأخبره، فقال: اکتمه، فکتمه حتی قسم الغنائم بین الناس و عزل الخمس، ثم خرج السائب مسرعا فقدم علی عمر، فقال له عمر: ما وراءک؟ فو الله ما نمت هذه اللیلة إلا تغررا، و ما أتت علیّ لیلة بعد اللیلة

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۶۲

التی أصبح فیها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم میتا أعظم من هذه اللیلة، قال: أبشر بفتح الله و حسن قضائه لک فی جنودک، ثم اقتص الخبر حتی انتهی إلی قتل النعمان، فقال: إنا لله، یرحم الله النعمان، ثم مه، قال: ثم و الله ما أصیب بعده رجل یعرف وجهه، قال: لا أم لک و لا أب، قتل الضعفاء الذین لا یعرفهم عمر ابن أم عمر، و أکب طویلا و بکی، ثم قال:

أصیبوا بمضیعة؟ قال: لا، و لکن أکرمهم الله بالشهادة، و ساقها إلیهم، فقال: ویحک، أ غلبتم علی أجساد إخوانکم أم دفنتموهم؟ قال: دفناهم، قال: فأعطیت الناس حقوقهم؟

قال: نعم.

قال: فنهض عمر فأخذ السائب بثوبه و قال: حاجة، قال: ما حاجتك إذ أعطيت الناس حقوقهم؟ قال: حاجة لك و إليك، فجلس، فجر السائب الغرارة فأخرج السفطين ففتحهما و نظر إلى ما فيهما كأنه النيران يشب بعضها بعضا، فقال عمر: ما هذا؟

فأخبره، فدعا عليا و عبد الله بن أرقم و غيرهما، فختموا على السفطين و قال له: اختم معهم، فختمه، و قال لعبد الله بن أرقم: ارفعه، و رجع السائب، فرأى عمر ليالى كالحيات يردن نهشه، فسرح رجلا، و كتب إلى السائب: إن صادفك رسولى فى الطريق فلا تصلن إلى أهلك حتى تأتينى، و إن وصلت إلى أهلك فعزمة منى إليك إذا قرأت كتابى أن تشد على راحلتك و تقبل إلىّ، و كتب إلى عمار: لا تضعن كتابى حتى ترحل إلىّ السائب، و أمر الرسول أن يعجله، فقدم الرسول، فقال له السائب: أبلغه عنى شىء أم به علىّ سخطة؟ قال: ما رأيت ذلك و لا أعلمه، بلغه عنك خير و لا شر.

و ركب فقدم على عمر، فقال له: يا ابن أم مليكة، يا ابن الحميرية، ما لى و لك أم ما لك ولى، ثكلتك أمك، ما الذى جئتنى به؟ فلقد بت مما جئتنى به مروعا أظن الحيات تنهشنى، أخبرنى عن السفطين، فقال: و الله لئن أعدت عليك الحديث فزدت حرفا أو نقصت حرفا لأكذبن، قال: إنك لما انصرفت فأخذت مضجعى لمنامى أتتنى الملائكة، فأوقدوا علىّ سفطيك جمرا و دفعوهما فى نحرى و أنا أنكص و أعاهدهم أن أردهما فأقسمهما على من أفاءهما الله عليه، فكاد ابن الخطاب يحترق، ثم لم أزل مروعا أظن الحيات تنهشنى، فاردد هذين السفطين فبعهما بعطاء الذرية و المقاتلة أو بنصف ذلك، و أقسم ثمنها على من أفاءهما الله عليه.

و قال بعضهم: قال له: بعهما و اجعل ثمنهما فى أعطية المسلمين بالبصرة و الكوفة، فإن خرج كفافا فذاك، و إن فضل فاجعله فى بيت مال المسلمين.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۶۳

فقدم السائب بهما فاشتراهما عمرو بن حريث بعطاء الذرية و المقاتلة. و قال بعضهم:

اشتراهما بأعطية أهل المصرين، فباع أحدهما من أهل الحيرة بما أخذهما به، و استفضل الآخر. و قال بعضهم: استفضل مائة ألف دينار، فكان أول مال اعتقده.

قال: و كان النخيرجان تحصن فى قلعة من قلاع نهاوند و معه مائة امرأة من نساء الأساورة و معه حلية كثيرة من كنز كسرى، فصالحه حذيفة على ما كان معه، و افتتح حذيفة رساتيق مما يلى أصبهان.

و كان أهل نهاوند قد حفروا خندقا و هالوا فيه ترابا متحولا، فلما انهزموا جعلوا يسقطون فى ذلك الخندق و يغرقون فى ذلك التراب.

و كان يقال لفتح نهاوند: فتح الفتوح.

و ذكر المدائنى أيضا، عن موسى بن عبيدة، عن أخيه، قال: قدمت البصرة فرأيت بها شيخا أصم، فقلت: ما أصابك؟ قال: أنا من أهل نهاوند، فنزل المسلمون، يعنى عند ما نزلوا عليها، فكبروا تكبيرة ذهب سمعى منها.

و ذكر الطبرى «۱» فيما ذكره من الأخبار المختلفة فى هذه الوقعة، عن سيف، عن أبى بكر الهذلى نحوا من هذا الحديث، و زاد فيه أشياء و خالفه فى أماكن منه، منها أن النعمان بن مقرن عند ما أمّره عمر، رضى الله عنه، على هذه الحرب فى هذا الوجه كان يومئذ بالبصرة و معه قواد من قواد أهل الكوفة قد أمدّ بهم عمر، رحمه الله، أهل البصرة عند انتقاض الهرمزان، فافتتحوا رامهرمز و ايذج، و أعانوهم على تستر و جندى‌سابور و السوس، فكتب إليه عمر: إنى قد وليتك حربهم، يعنى الأعاجم الذين اجتمعوا بنهاوند، فسر من وجهك هذا حتى تأتى ماه، فإنى قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها، فإذا اجتمع إليك جندك فسر إلى الفيرزان و من تجمع إليه من الأعاجم من أهل فارس و غيرهم، و استنصر الله، و أكثر من لا حول و لا قوة إلا بالله، و إن حدث بك حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن.

و فى حديثه: أنه لما استحث أهل الكوفة كان أسرعهم إلى ذلك الوجه الروادف ليبلو فى الدين و ليدركوا حظا، و أن حذيفة بن اليمان خرج بأهل الكوفة أميرا عليهم بأمر عمر حتى ينتهى إلى النعمان، و خرج معه نعيم بن مقرن حتى قدموا على النعمان بالطرز، و

جعلوا بمرج القلعة خیلا علیها النسیسر، و کتب عمر، رحمه الله، إلی سلمی بن القین

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۲۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۶۴

و حرملة بن مریطة، و زر بن کلیب و المقترب بن ربیعة، و القواد الذین کانوا بین فارس و الأهواز أن اشغلوا فارس عن إخوانکم، و حوطوا بذلک أمتکم و أرضکم، و أقیموا علی حدود ما بین فارس و الأهواز حتی یأتیکم أمری، و بعث مجاشع بن مسعود إلی الأهواز، و قال له: أفصل منها علی ماه، ففعلوا ما أمرهم به، و قطعوا بذلک علی أهل نهاوند أمداد فارس.

و فیه «۱» أن النعمان لما أتاه طلیحة بخبر نهاوند و أعلمه أنه لیس بینه و بینها أحد و لا شیء یکرهه، و قد توافی إلیه أمداد المدینة، نادی عند ذلک بالرحیل، و بعث إلی مجاشع أن یسوق الناس، و سار النعمان علی تعبئته، و علی مقدمته أخوه نعیم، و علی مجنبتیه أخوه سوید و حذیفة بن الیمان، و علی المجردة القعقاع، و علی الساقة مجاشع، فانتهوا إلی الأسبیذهان و الفرس به وقوف علی تعبئتهم و أمیرهم الفیرزان، و قد توافی إلیه نهاوند کل من غاب عن القادسیة و الأیام من أهل الثغور و أمرائها و أعلام من أعلامهم لیسوا بدون من شهد الأیام و القوادس.

فلما رآهم النعمان کبر ثلاثا و کبر الناس معه، فزلزلت الأعاجم، و أمر النعمان و هو واقف بحط الأثقال، و بضرب الفسطاط، فضرب و هو واقف، و ابتدره أشراف أهل الکوفة و أعیانهم، فسبق إلیه عدة منهم سابقوا أکفاءهم فسبقوهم، و هم أربعة عشر رجلا: حذیفة بن الیمان، و عقبة بن عمرو، و المغیرة بن شعبة، و بشیر بن الخصاصیة، و حنظلة بن الربیع الکاتب، و ابن الهدیر، و ربعی بن عامر، و عامر بن مطر، و جریر بن عبد الله الحمیری، و جریر البجلی، و الأشعث بن قیس، و الأقرع بن عبد الله الحمیری، و سعید بن قیس الهمدانیّ، و وائل بن حجر، فلم یر بناة فسطاط بالعراق کهؤلاء.

و أنشب النعمان القتال، فاقتتلوا یوم الأربعاء و یوم الخمیس، و الحرب بینهم فی ذلک سجال، ثم انحجزوا فی خنادقهم یوم الجمعة، و حصرهم المسلمون، فأقاموا علیهم ما شاء الله و الأعاجم بالخیار، لا یخرجون إلا إذا أرادوا الخروج، فاشتد ذلک علی المسلمین و خافوا أن یطول أمرهم، و أحبوا المناجزة، فتجمع أهل الرأی من المسلمین، و أتوا النعمان فی ذلک فوافقوه و تروی فی الذی رووا فیه، فقال: علی رسلکم، لا تبرحوا، ثم بعث إلی من بقی ممن لم یأته من أهل النجدات و الرأی فی الحرب، فتوافوا إلیه، فتکلم النعمان، فقال: قد ترون المشرکین و اعتصامهم بالحصون من الخنادق و المدائن، و أنهم لا یخرجون إلا إذا شاءوا، و لا یقدر المسلمون علی انغاضهم و انبعاثهم قبل مشیئتهم، و هم

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۲۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۶۵

یرون ما المسلمون فیه من التضایق، فما الرأی الذی به نحمشهم و نستخرجهم إلی المناجزة؟.

فقال بعض المسلمین: التحصن علیهم أشد من المطاولة علیکم، فدعهم و طاولهم و قاتل من أتاک منهم.

فردوا جمیعا علیه رأیه، و قالوا: إنا لعلی یقین من إنجاز ربنا موعده، فما لنا و للمطاولة حتی لا نجد منها بدا؟.

و تکلم «۱» عمرو بن معدی کرب، یومئذ، فلم یوافقهم قوله الذی قال، و ردوه علیه.

و قال طلیحة: أما أنا فأری أن نبعث خیلا مؤدیة، فیحدقوا بهم، ثم یراموهم لیحمشوهم و ینشبوا القتال، فإذا استحمشوا و اختلطوا بهم أرزت إلینا خیلنا تلک استطرادا، فإنا لم نستطرد لهم فی طول ما قاتلناهم، و إنا إذا فعلنا و رأوا ذلک منا طمعوا فی هزیمتنا و لم یشکوا فیها، فخرجوا فجادونا و جاددناهم، حتی یقضی الله فینا و فیهم ما أحب.

فأمر «۲» النعمان القعقاع، صاحب المجردة، بذلک ففعل، و أنشب القتال، فأنغضهم فلما خرجوا نکص، ثم نکص، فاغتنمتها الأعاجم، ففعلوا کما ظن طلیحة و خرجوا، فلم یبق أحد إلا من یقوم لهم علی الأبواب، و جعلوا یرکبون القعقاع حتی أرزا إلی الناس، و انقطع القوم من حصنهم بعض الانقطاع، و النعمان و المسلمون علی تعبئتهم فی یوم الجمعة و فی صدر النهار، و قد عهد النعمان إلی الناس عهده، و أمرهم أن یلزموا الأرض و لا یقاتلوهم حتی یأذن لهم، ففعلوا و استتروا بالحجف من الرمی، و أقبل المشرکون علیهم یثفنونهم حتی أفشوا فیهم الجراحات، و شکا الناس ذلک بعضهم إلی بعض، ثم قالوا للنعمان: أ لا تری ما نحن فیه؟ أ لا تری ما لقی الناس؟ فما تنتظر بهم؟

ائذن للناس فی قتالهم، فقال النعمان: رویدا رویدا، تروا أمرکم، فقال المغیرة: لو أن هذا الأمر إلیّ علمت ما أصنع، فقال النعمان: رویدا تری أمرک، فقد کنت تلی الأمر فتحسن، و لا یخذلنا الله و إیاک، و نحن نرجو فی المکث مثل الذی ترجو فی الحث.

و جعل النعمان ینتظر بالکتائب أحب الساعات کانت إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی القتال أن یلقی فیها العدو، و ذلک عند الزوال و تفیؤ الأفیاء و مهب الأرواح. فلما کان قریبا من

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۳۰).

(۲) انظر: الطبری (۴/ ۱۳۰، ۱۳۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۶۶

تلک الساعة تحشحش النعمان و سار فی الناس علی برذون أحوی قریب من الأرض، فجعل یقف علی کل رایة فیحمد الله عز و جل و یثنی علیه و یقول: قد علمتم ما أعزکم الله به من هذا الدین و ما وعدکم من الظهور، و قد أنجز لکم هوادی ما وعدکم و صدوره، و إنما بقیت أعجازه و أکارعه، و الله منجز وعده، و متبع آخر ذلک أوله، و اذکروا ما مضی إذ أنتم أذلة، و ما استقبلتم من هذا الأمر و أنتم الیوم عباد الله حقا و أولیاؤه، و قد علمتم انقطاعکم من إخوانکم من أهل الکوفة، و الذی لهم فی ظفرکم و عزکم، و الذی علیهم فی هزیمتکم و ذلکم، و قد ترون ما أنتم بإزائه من عدوکم، و ما أخطرتم و ما أخطروا لکم، فأما ما أخطروا لکم فهذه الزینة و ما ترون من هذا السواد، و أما ما أخطرتم لهم فدینکم و بیضتکم، و لا سواء ما أخطرتم و أخطروا، فلا یکونن علی دنیاهم أحمی منکم علی دینکم، و أتقی الله عبد صدق الله و أبلی نفسه فأحسن البلاء، فإنکم بین خیرین تنتظرون إحدی الحسنیین، من بین شهید حی مرزوق، أو فتح قریب و ظفر یسیر، فکفی کل رجل ما یلیه و لم یکل قرنه إلی أخیه، فإذا قضیت أمری فاستعدوا، فإنی مکبر ثلاثا، فإذا کبرت الأولی فلیتهیأ من لم یکن تهیأ، فإذا کبرت الثانیة فلیجمع علیه رداءه، و لیشد علیه سلاحه و لیتأهب للنهوض، فإذا کبرت الثالثة فإنی حامل إن شاء الله، فاحملوا معا، اللهم أعز دینک، و انصر عبادک، و اجعل النعمان أول شهید الیوم علی إعزاز دینک و نصر عبادک.

و فی روایة «۱» إنه قال: اللهم إنی أسألک أن تقر عینی بفتح یکون فیه عز الإسلام و ذل یذل به الکفار، ثم اقبضنی بعد ذلک علی الشهادة، أمنوا یرحمکم الله، فأمنا و بکینا.

فلما فرغ النعمان من التقدم إلی أهل المواقف رجع إلی موقفه، فکبر الأولی و الثانیة و الثالثة، و الناس سامعون مطیعون مستعدون للمناهضة ینحی بعضهم بعضا عن سننه، و حمل النعمان و حمل الناس، و رایة النعمان تنقض نحوهم انقضاض العقاب، فالتقوا بالسیوف فاقتتلوا قتالا شدیدا لم یسمع السامعون بوقعة یوم قط کانت أشد منها قتالا، فقتلوا فیها من أهل فارس فیما بین الزوال و الإعتام ما طبق أرض المعرکة دما، یزلق الناس و الدواب، و أصیب فرسان من فرسان المسلمین فی الزلق فی الدماء، منهم النعمان أمیرهم، زلق فرسه فی الدماء فصرعه، فأصیب عند ذلک، رحمه الله، و تناول الرایة منه قبل أن تقع أخوه نعیم بن مقرن، و سجی النعمان بثوب، و أتی حذیفة بالرایة فدفعها إلیه، و کان اللواء مع حذیفة.

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۳۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۶۷

و قال المغيرة: اكتموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا و فيهم؛ لئلا يهن الناس، فاقتتلوا حتى إذا أظلم الليل عليهم انكشف المشركون و ذهبوا، و المسلمون ملظون بهم، فعمى على المشركين قصدهم، فتركوه و أخذوا نحو اللهب و هو الخندق الذى كانوا أنزلوا دونه، فوقعوا فيه، فمات فيه منهم مائة ألف أو يزيدون، سوى من قتل منهم فى المعركة، و هم أعداد الذين هووا، و لم يفلت إلا الشريد، و نجا الفيرزان من بين الصرعى فى المعركة، فهرب نحو همدان فى ذلك الشريد، فتبعهم نعيم بن مقرن، و قدم القعقاع فأدركه حين انتهى إلى ثنية همدان، و الثنية مشحونة من بغال و حمير موقورة عسلا، فحبسه على أجله، فقتله على الثنية بعد ما امتنع، لم يزل يتوقل فى الجبل لما غشيه إذ لم يجد مساغا، و توقل القعقاع فى أثره حتى أخذه، و استاق العسل و ما خالطه من سائر الأحمال، فأقبل به، و سميت تلك الثنية بذلك: ثنية العسل. و قال القعقاع فى ذلك:

قولا لأصرام بأكناف الجبل بأن لله جنودا من عسل

تقتل أحيانا بأسياف الأجل

و مضى الفلال حتى انتهوا إلى مدينة همدان فدخلوها و الخيل فى آثارهم، فنزلوا عليها و حووا ما حولها، فلما رأى ذلك خسروشنوم استأمنهم على أن يضمن لهم همدان و دستى، و أن لا يؤتى المسلمون منهم، فقبل المسلمون ذلك و أجابوا إليه، و آمنوهم فأقبل كل من كان هرب، و لما بلغ الخبر أهل الماهين بأن همدان قد أخذت، و نزلها نعيم بن مقرن و القعقاع بن عمرو اقتدوا بخسروشنوم، فراسلوا حذيفة فأجابهم إلى ما طلبوا، فأجمعوا على إتيانه، فخدعهم دينار، و كان ملكا إلا أنه كان دون أولئك الملوك، و أتى إلى المسلمين فى الديباج و الحلى، فأعطاهم حاجتهم و احتمل لهم ما أرادوا، فعاقدوه عليهم، و لم يجد الآخرون بدا من متابعته و الدخول فى أمره، فقيل لأجل ذلك: ماه دينار، فنسبت إليه، و ذهب حذيفة بها، و كان النعمان بن مقرن قد عاهد بهراذان على مثل ذلك، فقيل: ماه بهراذان، فنسبت إليه لأجل ذلك، و وكل النسير بن ثور بقلعة قد كان لجأ إليها قوم فحاصرها فافتتحها، فنسبت إلى النسير.

و فى غير هذا الحديث «۱» أن أهل نهاوند خرجوا ذات يوم على المسلمين فلم يلبثهم المسلمون أن هزموهم، و تبع سماك بن عبيد العبسى رجلا منهم معه نفر ثمانية على أفراس لهم، فبارزهم فلم يبرز له أحد منهم إلا قتله حتى أتى عليهم، ثم حمل الفارسى الذى كانوا معه فأسره سماك و أخذ سلاحه، و وكل به رجلا، فقال: اذهبوا بى إلى

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۳۵، ۱۳۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۶۸

أميركم حتى أصالحه على هذه الأرض و أؤدى إليه الجزية، و اسألنى أنت عن أسارك ما شئت، و قد مننت علىّ إذ لم تقتلنى، و إنما أنا عبدك الآن، و إن أدخلتنى على الملك فأصلحت ما بينى و بينه وجدت لى شكرا، و كنت لى أخا، فخلى سبيله و آمنه، و قال: من أنت؟ قال: أنا دينار، و البيت يومئذ فى آل قارن، فأتى به حذيفة فحدثه دينار عن نجدة سماك و ما قتل، و صالحه على الخراج، فنسبت إليه ماه، فكان بعد يواصل سماكا و يهدى له، و يوافى الكوفة، فقدمها فى إمارة معاوية مرة، فقال للناس: يا معشر أهل الكوفة، إنكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس، فعمرتم بذلك زمان عمر و عثمان، ثم تغيرتم و فشت فيكم خصال أربع: بخل و خب و غدر و ضيق، و لم تكن فيكم واحدة منهن، فرمقتكم، فإذا ذلك فى مولديكم، فعلمت من أين أتى ذلك، و إذ الخب من قبل النبط، و البخل من قبل فارس، و الغدر من قبل خراسان، و الضيق من قبل الأهواز.

و قسم حذيفة لمن خلفوا بمرج القلعة و غيره، و لأهل المسالح جميعا من فىء نهاوند مثل الذى قسم لأهل المعركة؛ لأنهم كانوا ردءا للمسلمين، و كان سهم الفارس يوم نهاوند ستة آلاف، و سهم الراجل ألفين، و نفل حذيفة من الأخماس من شاء من أهل البلاء، و

دفع ما بقى منها إلى السائب، فخرج بها إلى عمر، و تململ عمر، رضى الله عنه، تلك الليلة التى كان قدر لملاقاتهم، و جعل يخرج و يلتمس الخبر، فبينا رجل من المسلمين قد خرج فى بعض حوائجه، فرجع إلى المدينة ليلا، لحق به راكب فى الليلة الثالثة من يوم نهاوند يريد المدينة، فقال له الرجل: يا عبد الله، من أين أقبلت؟ فقال: من نهاوند، فقال: الخبر؟ قال: فتح الله على النعمان و استشهد، و اقتسم المسلمون فىء نهاوند، فأصاب الفارس منه ستة آلاف، و طواه الراكب حتى انغمس فى المدينة، فلما أصبح الرجل تحدث بحديثه، و نمى الخبر حتى بلغ عمر، رحمه الله، و هو فيما هو فيه، فأرسل إليه، فسأله فأخبره، فقال: صدق و صدقت، هذا غيثم بريد الجن، و قد رأى بريد الإنس، فقدم بعد ذلك عليه بالفتح طريف بن سهم، أخو ربيعة بن مالك، و قدم السائب على أثره بالأخماس.

و ذكر من حديث السفطين قريبا مما تقدم فى الحديث الآخر، إلا أنه ذكر فيه أنه صرف معه السفطين من فوره و قال له: النجاء، عودك على بدئك حتى تأتى حذيفة فيقسمهما على من أفاءهما الله عليه، و أنه أصاب الفارس منهما لما باعهما حذيفة و قسم ثمنهما أربعة آلاف.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۶۹

و فى بعض ما ذكره الطبرى «۱» عن سيف عن شيوخه أن انبعاث الأعاجم للاجتماع بنهاوند كان بدؤه فى زمان سعد بن أبى وقاص بالكوفة، و إليه بلغ الخبر فأعلم به عمر، ثم انبرى لسعد قوم تشكوا منه ظالمين له إلى عمر، أحدهم الجراح بن سنان الأسدى، فاستقدمه عمر مع محمد بن مسلمة، بعد أن وجه محمدا لسؤال أهل الكوفة عنه، و الطواف به على مساجدها، فكلهم يقول إذا سئل: لا نعلم إلا خيرا، و لا نشتهى به بدلا، إلا الجراح و أصحابه فإنهم كانوا يسكتون، يتعمدون ترك الثناء، و لا يسوغ لهم قول الشر، حتى انتهوا إلى بنى عبس، فقال محمد: أنشد الله رجلا علم حقا إلا قاله.

فقال أسامة بن قتادة: اللهم إذ نشدتنا فإنه لا يقسم بالسوية، و لا يعدل فى الرعية، و لا يغزو فى السرية. فقال سعد: اللهم إن كان قالها كاذبا رياء و سمعة فأعم بصره، و أكثر عياله، و عرضه لمضلات الفتن. فعمى، و اجتمع عنده عشر بنات، و كان يسمع بخبر المرأة فيأتيها حتى يجسها، فإذا غير عليه يقول: دعوة سعد الرجل المبارك.

ثم أقبل سعد يدعو على أولئك النفر الذين انبروا له و خرجوا إلى عمر متشكين به، فقال: اللهم إن كانوا خرجوا أشرا و بطرا و كذبا فأجهد بلاءهم، ففعل الله ذلك بهم، فقطع جراح بالسيوف يوم ثاور الحسن بن على ليغتاله بساباط، و شدخ قبيصة بالحجارة، و قتل أربد بالوجء و بنعال السيوف. و قال سعد: و الله إنى لأول رجل هراق دما فى المشركين، و لقد جمع لى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أبويه، و ما جمعهما لأحد قبلى، و لقد رأيتنى خمس الإسلام، و بنو أسد تزعم أنى لا أحسن أصلى و أن الصيد يلهينى. و خرج محمد بن مسلمة به و بهم حتى قدموا على عمر، فقال: يا سعد، ويحك! كيف تصلى؟ فقال: أطيل الأولين، و أحذف الأخرين، فقال: هكذا الظن بك، ثم قال: لو لا الاحتياط لكان سبيلهم بيننا، ثم قال: من خليفتك يا سعد على الكوفة؟ فقال: عبد الله بن عبد الله بن عتبان، فأقره عمر و استعمله.

قال «۲»: فكان سبب نهاوند و بدء مشورتها و بعوثها فى زمان سعد، و أما الوقعة ففى زمان عبد الله.

و كان من حديثهم أنهم نفروا لكتاب يزدجرد، فتوافوا إلى نهاوند مائة و خمسين ألف مقاتل، و اجتمعوا على الفيرزان، و إليه كانوا توافوا، ثم قالوا: إن محمدا الذى جاء العرب بالدين لم يغرض غرضا، يريدون النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، قالوا: ثم ملكهم أبو بكر من بعده فلم يغرض

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۲۰).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۱۲۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷۰

غرض فارس، إلا فى غارة تعرض لهم فيها، و إلا فيما يلى بلادهم من السواد، ثم ملك عمر فطال ملكه و غرض، حتى تناولكم و انتقضكم السواد و الأهواز و أوطأها، ثم لم يرض حتى أتى أهل فارس فى عقر دارهم، و هو آتيكم إن لم تأتوه، و قد أخذ بيت مملكتكم فاقتحم بلاد ملككم، و ليس بمنته حتى تخرجوا من فى بلادكم من جنوده و تقلعوا هذين المصرين، ثم تشغلوه فى بلاده و قراره، فتعاهدوا على ذلك و تعاقدوا، و كتبوا بينهم به كتابا.

و بلغ الخبر سعدا، فكتب به إلى عمر، ثم لقيه بالخبر مشافهة لما شخص إليه، و قال:

إن أهل الكوفة يستأذنوك فى الانسياح إليهم و مبادرتهم الشدة، و كان عمر منعهم من الانسياح فى الجبل، ثم كتب إليه عبد الله بن عبد الله بمن اجتمع منهم، و قال: إن جاءونا قبل أن نبادرهم الشدة ازدادوا جرأة و قوة، و إن نحن عاجلناهم كان لنا ذلك عليهم، و بعث بكتابه مع قريب بن ظفر العبدى.

فلما قرأ عمر الكتاب قال للرسول: ما اسمك؟ قال: قريب، قال: ابن من؟ قال: ابن ظفر، فتفاءل إلى ذلك، و قال: ظفر قريب إن شاء الله، و لا حول و لا قوة إلا بالله، و نودى فى الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، و حينئذ وافاه سعد، فتفاءل أيضا إلى سعد بن مالك، و قام عمر على المنبر خطيبا، فأخبر الناس الخبر، و استشارهم، و قال: هذا يوم له ما بعده من الأيام، ألا و إنى قد هممت بأمر و إنى عارضه عليكم، فاسمعوه ثم أجيبونى و أوجزوا و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم، و لا تكثروا و لا تطلبوا، فتفشغ بكم الأمور، و يلتوى عليكم الرأى، أ فمن الرأى أن أسير فيمن قبلى و من قدرت عليه حتى أنزل منزلا واسطا بين المصرين، فأستنفرهم ثم أكون لهم ردءا حتى يفتح الله عليهم و يقضى ما أحب؟.

فقام عثمان و طلحة و الزبير و عبد الرحمن بن عوف فى رجال من أهل الرأى من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقالوا: لا نرى ذلك، و لكن لا يغيبن عنهم رأيك و أمرك، و بإزائهم وجوه العرب و فرسانهم و أعلامهم و من قد فض جموعهم و قتل ملوكهم و باشر من حروبهم ما هو أعظم من هذا، و إنما استأذنوك و لم يستصرخوك، فأذن لهم، و اندب إليهم، و ادع لهم، فقام على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فقال: أصاب القوم يا أمير المؤمنين الرأى، و فهموا ما كتب به إليك، و إن هذا الأمر لم يبن نصره و لا خذلانه لكثرة و لا لقلة هو دينه الذى أظهر، و جنده الذى أعز و أمده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ، و نحن على موعود من الله سبحانه، و الله منجز وعده، و ناصر جنده، و مكانك منهم مكان

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷۱

النظام من الخرز يجمعه و يمسكه، فإن انحل تفرق ما فيه و ذهب، ثم لم تجتمع بحذافيره أبدا، و العرب اليوم و إن كانوا قليلا فهم كثير عزيز بالإسلام، فأقم و اكتب إلى أهل الكوفة، فهم أعلام العرب و رؤساؤهم، و من لم يحفل بمن هو أجمع من هؤلاء و أحد و أجد فليأتهم الثلثان و ليقم الثلث، و اكتب إلى أهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم.

فسر عمر، رحمه الله، بحسن رأيهم، و أعجبه ذلك منهم. و قام سعد فقال: خفض عليك يا أمير المؤمنين، فإنهم إنما جمعوا لنقمة نازلة بهم.

و بالوقوف على ما أثبتناه من الأخبار عن هذه الوقعة يعرف ما اتفقت عليه و ما اختلفت فيه، و قد حذفنا منها ما قدرنا الاستغناء عن إيراده مما لعل فى بعضه زيادة فى الخلاف.

و ذكر المدائنى أن وقعة نهاوند كانت فى سنة إحدى و عشرين، و ذكر الطبرى «۱» أنها كانت فى أول سنة تسع عشرة لست سنين من إمارة عمر، رضى الله عنه.

و ذكر أيضا عن سيف «۲» عن شيوخه ما كتب به النعمان بن مقرن من الأمان لأهل ماه بهراذان، و حذيفة لأهل ماه دينار، و كلا الكتابين موافق للآخر لفظا و معنى، و كتاب النعمان:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى نعمان بن مقرن أهل ماه بهراذان، أعطاهم الأمان على أنفسهم و أموالهم و أراضيهم، لا يغيرون

على ملتهم، و لا يحال بينهم و بين شرائعهم، و لهم المنعة ما أدوا الجزية فى كل سنة إلى من وليهم، على كل حالم فى ماله و نفسه على قدر طاقته، و ما أرشدوا ابن السبيل، و أصلحوا الطرق، و قروا جنود المسلمين ممن مر بهم فأوى إليهم يوما و ليلة، و وفوا و نصحوا، فإن غشوا و بدلوا، فذمتنا منهم بريئة. شهد عبد الله بن ذى السهمين، و القعقاع بن عمرو، و جرير بن عبد الله، و كتب فى المحرم سنة تسع عشرة.

قالوا: و ألحق عمر، رضى الله عنه، من شهد نهاوند من الروادف فأبلى بلاء حسنا فاضلا فى ألفين، ألحقهم بأهل القادسية.

و قال القعقاع بن عمرو فى ذلك:

---

(١) انظر: الطبرى (۴/ ١١۴).

(٢) انظر: الطبرى (۴/ ١٣۶، ١٣٧).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۵٧٢ جذعت على الماهات آناف فارس لكل فتى من صلب فارس حادر

هتكت بيوت الفرس لما لقيتهم و ما كل من يلقى الحروب بثائر

حبست ركاب الفيرزان و جمعه على فتر من حرها غير فاتر

هدمت به الماهات و الدرب بغتة إلى غاية أخرى الليالى الغوابر و قال أبو بجيد فى ذلك:

لو أن قومى فى الحروب أذلة لأخنث عليهم فارس فى الملاحم

و لكن قومى أحرزتهم سيوفهم فآبوا و قد عادوا حواة المكارم

أبينا فلم نعط الظلامة فارسا و لكن قبلنا عفو سلم المسالم

و نحن حبسنا فى نهاوند خيلنا لشر ليال أنتجت للأعاجم

نتجن لهم فينا و عضل سخلها غداة نهاوند لإحدى العظائم

ملأنا شعابا فى نهاوند منهم رجالا و خيلا أضرمت فى الضرائم

و أركضهن الفيرزان على الصفا فلم ينجه منا انفساح المخارم

ذكر الانسياح فى بلاد فارس، و عمل المسلمين به بإذن عمر رضى الله عنه، فيه بعد منعه إياهم، و ما تبع ذلك من الفتوح فى بقية خلافته و قتال الترك و الديلم و غيرهم «١»

و لم يزل عمر، رضى الله عنه، ينهى المسلمين عن الانسياح فى بلاد فارس، و يأمرهم بالاقتصار على ما فى أيديهم، و الجد فى قتال من قاتلهم، نظرا للإسلام و احتياطا على أهله و إشفاقا، و لا يزال أهل فارس يجهدون بعد كل نيل منهم و هزيمة تأتى على جموعهم فى انبعاث جموع أخر، رجاء الاستدراك لما قد أذن الله فى إقامته، و الإبقاء من أمرهم لما سبقت المشيئة بزواله و استيلاء الإسلام عليه و على سواه، تتميما لنوره، و إنجازا لموعود رسوله الذى أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون.

و كان بعض أهل الذمة الذين قهرهم الإسلام على الصلح و أقرهم على الجزية ينتقضون عند تحرك أهل فارس، فسأل عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وفد أهل البصرة عن ذلك، و هل يفضى المسلمون إلى أهل الذمة بأذى أو بأمور لها ينتقضون؟ فقالوا: لا نعلم إلا وفاء و حسن ملكة، قال: كيف هذا؟ فلم يجد عند أحد منهم شيئا يشفيه و يبصر

---

(١) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ٩۴- ١٣٨)، فتوح البلدان للبلاذرى (ص ۴٧۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۵٧٣

به ما يقولون، إلا ما كان من الأحنف بن قيس، فإنه قال: يا أمير المؤمنين، أخبرك أنك نهيتنا عن الانسياح فى البلاد، و أمرتنا بالاقتصار على ما كان فى أيدينا، و أن ملك فارس حى بين أظهرهم، و أنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم، و لم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه، و قد رأيت أنا لم نأخذ شيئا بعد شىء إلا بانبعاثهم، و أن ملكهم هو الذى يبعثهم، و لا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فنسيح فى بلادهم حتى نزيله عن فارس و نخرجه من مملكته و عن أمته، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس.

فقال: صدقتنى و الله و شرحت لى الأمر عن حقه، و أذن عمر عند ذلك فى الانسياح، و انتهى إلى رأى الأحنف، و عرف فضله و صدقه، و رأى أن يزدجرد يبعث عليه فى كل عام حربا إن لم يأذن للناس فى الانسياح فى أرض العجم، و رأى أن يزدجرد على ما كان فى يدى كسرى، فوجه عمر، رضى الله عنه، الأمراء من أهل البصرة و من أهل الكوفة، و أمر على كلا المصرين أمراء، أمرهم بأمره، و أذن لهم فى الانسياح، فانساحوا و بعث بألوية من ولى مع سهيل بن عدى حليف بنى عبد الأشهل، فقدم سهيل البصرة بالألوية، فدفع لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس، و لواء أردشير خره و سابور إلى مجاشع ابن مسعود السلمى، و لواء اصطخر إلى عثمان بن أبى العاص، و لواء فسا و درابجرد إلى سارية بن زنيم الكنانى، و لواء كرمان مع سهيل بن عدى، و لواء سجستان إلى عاصم بن عمرو، و لواء مكران إلى الحكم بن عمرو التغلبى، فعسكروا ليخرجوا إلى هذه الكور، و ذلك فى سنة سبع عشرة فى بعض ما ذكره الطبرى عن سيف عن شيوخه. قالوا: فلم يستتب مسيرهم حتى دخلت سنة ثمان عشرة.

و ذكر الطبرى أيضا، عن سيف أن إذن عمر فى الانسياح إنما كان بعد فتح نهاوند، و هذا لا يكون إلا فى سنة تسع عشرة أو بعدها، على ما ذكرنا من الاختلاف فى فتح نهاوند.

و ذكر أيضا أنه قدمت الألوية من عند عمر، رحمه الله، إلى نفر بالكوفة، فقدم لواء منها على نعيم بن مقرن، و أمره بالمسير نحو همدان، و كان أهلها كفروا بعد الصلح الذى تقدم ذكره بعد هزيمة فارس بنهاوند، و قال له: إن فتح الله عليك فما وراءك لك، فى وجهك كذلك إلى خراسان، و بعث عقبة بن فرقد و بكير بن عبد الله، و عقد لهما على أذربيجان و فرقها بينهما، و أمر أحدهما أن يأخذ إليها من حلوان على ميمنتها، و الآخر أن يأخذ إليها من الموصل على ميسرتها، فتيامن هذا عن صاحبه، و تياسر هذا، و بعث إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان بلواء، و أمره أن يسير إلى أصبهان، و كان شجاعا بطلا،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷۴

من أشراف الصحابة، و من وجوه الأنصار، و أمده بأبى موسى من البصرة، و أمّر مكانه على البصرة عمر بن سراقة، و كان عبد الله خليفة سعد على الكوفة عند ما توجه إلى عمر، فأقره عمر مستعملا عليها، ثم صرفه عنها بزياد بن حنظلة، و كتب إليه عند ما أراد توجيهه إلى أصبهان أن سر من الكوفة حتى تنزل المدائن، فاندبهم و لا تنتخبهم، ثم اكتب إلىّ بذلك، فلما أتى عمر انبعاث عبد الله، بعث حينئذ زياد بن حنظلة على الكوفة، فلما أتاه انبعاث الجنود و انسياحهم، أمّر عمار بن ياسر على الكوفة، و قرأ قول الله تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ [القصص: ۵].

و يروى أن زيادا ألح على عمر فى الاستعفاء بعد أن عمل قليلا فأعفاه و ولى عمارا، و كان زياد من المهاجرين.

و لما بعث عمر، رضى الله عنه، عمارا على الكوفة بعث عبد الله بن مسعود ليعلم الناس، و كتب إلى أهل الكوفة: إنى بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرا، و جعلت عبد الله ابن مسعود معلما و وزيرا، و هما من النجباء من أصحاب محمد صلى اللّه عليه و سلم.

و فى رواية: و وليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة و ما وراءها، و وليت عثمان بن حنيف الفرات و ما سقى.

و سنذكر إن شاء الله الجهات و الكور التى عقد عليها عمر، رضى الله عنه، الألوية لمن ذكر قبل من أمرائه جهة جهة و بلدا بلدا، غير متقلدين فى ذلك تاريخا و لا متبرئين فيه من عهدة الخطأ فى تقديم مؤخر أو تأخير مقدم، لكثرة ما بين أهل الأخبار فى ذلك من الاختلاف الذى لا يتحصل معه حقيقة سوى المقصود من صنع الله لأوليائه فى إظهار كلمة الإسلام و نصره إياهم على كل من ناوأهم من الأمم تتميما لأمره و إنجازا لموعوده و تصديقا فى كل زمان و مكان لقوله: وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ

الْعُلْيا وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [التوبة: ۴۰].

ذكر الخبر عن أصبهان «۱»

فأما أصبهان، فإن عبد الله بن عبد الله بن عتبان خرج إليها بأمر عمر، رضى الله عنه، و على مقدمته عبد الله بن ورقاء الرياحى، و على مجنبتيه عبد الله بن بديل بن ورقاء

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۳۹- ۱۴۱)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۳/ ۸، ۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷۵

الأسدى، و ليس الخزاعى، و عصمة بن عبد الله، و سار عبد الله فى الناس نحو جىّ و قد اجتمع أهل أصبهان عليهم الاستندار، و على مقدمته شهربراز جاذويه، شيخ كبير فى جمع عظيم، فالتقى المسلمون و مقدمة المشركين برستاق من رساتيق أصبهان، فاقتتلوا قتالا شديدا، و دعا الشيخ إلى البراز، فبرز له عبد الله بن ورقاء، فقتله و انهزم أهل أصبهان، و سمى المسلمون ذلك الرستاق رستاق الشيخ، فما زال ذلك اسمه بعد.

و دعى عبد الله من يليه فسارع الاستندار إلى الصلح، فصالحه عبد الله، ثم سار من رستاق الشيخ نحو جىّ فانتهى إليها، و بها يومئذ ملك أصبهان الفاذوسفان فى جمعه، فحاصرهم عبد الله، و خرجوا إليه، فلما التقوا، قال له ملكهم: لا تقتل أصحابى و لا أقتل أصحابك، و لكن ابرز إلىّ، فإن قتلتك رجع أصحابك، و إن قتلتنى سالمك أصحابى، و إن كان أصحابى لا تقع لهم نشابة إلا فى رجل، فبرز له عبد الله، و قال: إما أن تحمل علىّ، و إما أن أحمل عليك، فقال: أحمل عليك، فوقف له عبد الله، فحمل عليه الفاذوسفان، فطعنه، فأصاب قربوس السرج فكسره، و قطع اللبد و الحزام، و زال اللبد و السرج، فوقع عبد الله قائما، ثم استوى على الفرس عريا، و قال له: اثبت، فحاجزه و قال: ما أحب أن أقاتلك، فإنى قد رأيتك رجلا كاملا، و لكن ارجع معك إلى عسكرك فأصالحك و أدفع المدينة إليك على أن من شاء أقام و أدى الجزية و قام على ماله، و على أن تجرى مجراهم من أخذتم ماله عنوة و يتراجعون، و من أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء و لكم أرضه.

فقال له عبد الله: لكم ذلك، فرجع القوم إلى جىّ، إلا ثلاثين رجلا من أصبهان خالفوا قومهم، فخرجوا فلحقوا بكرمان، و دخل عبد الله و أبو موسى حيا، مدينة أصبهان، و إنما وصل إليه أبو موسى من ناحية الأهواز بعد الصلح، و اغتبط من أقام، و ندم من شخص.

و كتب عبد الله بالفتح إلى عمر، فأمره أن يلحق بسهيل بن عدى فيجتمع معه على قتال من بكرمان، و أن يستخلف على أصبهان السائب بن الأقرع، ففعل عبد الله ما أمره به، و خرج فى جريدة خيل فلحق بسهيل قبل أن يصل إلى كرمان، و سيأتى ذكر فتحها بعد إن شاء الله.

و الكتاب الذى كتبه عبد الله لأهل أصبهان:

بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من عبد الله للفاذوسفان و أهل أصبهان و ما حواليها،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷۶

إنكم آمنون ما أديتم الجزية، و عليكم من الجزية على قدر طاقتكم كل سنة تؤدونها إلى الذى يلى بلادكم عن كل حالم، و دلالة المسلم و إصلاح طريقه و قراه يوما و ليلة، و حملان الراجل إلى مرحلة، و لا تسلطوا على مسلم، و للمسلمين نصحكم و أداء ما عليكم، و لكم الأمان ما فعلتم، فإذا غيرتم شيئا أو غيره مغير منكم و لم تسلموه فلا أمان لكم، و من سب مسلما بلغ منه، فإن ضربه قتلناه. و كتب و شهد عبد الله بن قيس، و عبد الله بن ورقاء، و عصمة بن عبد الله.

ذكر فتح همذان ثانية و قتال الديلم «۱»

و قد كان حذيفة اتبع فالة نهاوند نعيم بن مقرن و القعقاع بن عمرو، فبلغا همذان فصالحهم خسروشنوم على همذان و دستبى، فرجعوا عنه، ثم إن أهل همذان كفروا بعد و نقضوا ذلك الصلح، فكتب عمر، رحمه الله، إلى نعيم بن مقرن: أن سر حتى تأتى همذان، و ابعث على مقدمتك سويد بن مقرن، و على مجنبتيك ربعى بن عامر و مهلهل بن زيد، هذا طائى، و ذاك تميمى، فخرج نعيم فى تعبئته فسار حتى نزل مدينة همذان و قد تحصنوا، فحاصرهم و أخذ ما بينها و بين جرميذان، و استولى على بلاد همذان كلها.

فلما رأى ذلك أهل المدينة سألوا الصلح، على أن يجريهم و من استجاب له مجرى واحدا، ففعل، و قبل منهم الجزاء على المنعة، و فرق دستبى بين النفر من أهل الكوفة، بين عصمة بن عبد الله الضبى، و مهلهل بن زيد الطائى، و سماك بن عبيد العبسى، و سماك ابن مخرمة الأسدى، و سماك بن خرشة الأنصارى، فكان هؤلاء أول من ولى مسالح دستبى و قاتل الديلم.

فبينا نعيم فى مدينة همذان فى توطئتها فى اثنى عشر ألفا من الجند تكاتب الديلم و أهل الرى و أهل أذربيجان، ثم خرج موثا فى الديلم حتى ينزل بواج‌الروذ، و أقبل أبو الفرخان فى أهل الرى، حتى انضم إليه، و أقبل أخو رستم فى أهل أذربيجان حتى انضم إليه، و تحصن أمراء مسلح دستبى و بعثوا إلى نعيم بالخبر، فاستخلف يزيد بن قيس، و خرج إليهم فى الناس حتى نزل عليهم بواج‌الروذ، فاقتتلوا بها قتالا شديدا، و قتل القوم مقتلة عظيمة لم تكن دون وقعة نهاوند، و لا قصرت ملحمتهم عن الملاحم الكبار، و قد

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۴۶- ۱۴۹)، الكامل لابن الأثير (۳/ ۷، ۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۱۲۰- ۱۲۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷۷

كانوا كتبوا إلى عمر، رحمه الله، باجتماعهم، ففزع عمر و اهتم لحربهم، و توقع ما يأتيه عنهم، فلم يفجأه إلا البريد بالبشارة، فقال: أ بشير؟ فقال: بل عروة، فلما ثنى عليه:

أ بشير؟ فهم عنه ما أراد، فقال: بشير، فقال عمر: رسول نعيم؟ قال: رسول نعيم، قال:

الخبر؟ قال: البشرى بالفتح و النصر، و أخبره الخبر، فحمد الله، و أمر بالكتاب فقرئ على الناس، فحمد الله تعالى، ثم قدم عليه بالأخماس سماك بن مخرمة، و سماك بن عبيد، و سماك بن خرشة فى نفر من أهل الكوفة، فنسبهم، فانتسبوا له، فقال: بارك الله فيكم، اللهم أسمك بهم الإسلام و أيدهم بالإسلام، ثم كتب إلى نعيم:

أما بعد، فاستخلف على همذان و آمد بكير بن عبد الله بن سماك بن خرشة، و سر حتى تقدم الرى فتلقى جمعهم، ثم أقم بها، فإنها أوسط تلك البلاد و أجمعها لما تريد.

فأقر نعيم يزيد بن قيس على همذان، و سار بالناس من واج‌الروذ إلى الرى.

و قال نعيم يذكر قتالهم فى واج‌الروذ من أبيات:

صدمناهم فى واجروذ بجمعناغداة رميناهم بإحدى القواصم

فما صبروا فى حومة الموت ساعةلجد الرماح و السيوف الصوارم

أصبنا بها موثا و من لف جمعهو فيها نهاب قسمها غير عاتم

تبعناهم حتى أووا فى شعابهمنقتلهم قتل الكلاب الحوائم

كأنهم عند انثياب جموعهمجدار تشظى لبنه للهوادم و قال سماك بن مخرمة الأسدى بعد تلك الأيام «۱»:

برزت لأهل القادسية معلماو ما كل من يلقى الكريهة يعلم

و قومى بنو عمرو بن نصر كأنهمأسود بتوج حين شبوا و أسلموا

و يوم بأكناف النخيلة قبلهاالجحت فلم أبرح أدمى و أكلم

و أقعص منهم فارسا بعد فارسو ما کل من یغشی الکریهة یسلم

فنجانی الله الأجل و جرأتیو سیف لأطراف المآرب مخذم

و حولی بنو ذودان لا یبرحوننیإذا سرحت صاحوا بهم ثم صمموا

و أیقنت یوم الدیلمیین أنهمتی ینصرف قومی عن الناس یهزم

محافظة إنی امرؤ ذو حفیظةإذا لم أجد مستأخرا أتقدم

---

(۱) انظر الأبیات فی: الطبری (۴/ ۱۴۹)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۷/ ۱۲۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۷۸

فتح الری «۱»

و خرج نعیم بن مقرن إلی الری فلقیه أبو الفرخان مسالما، و مخلفا بالری یومئذ سیاوخش بن مهران بن بهرام، و کان سیاوخش قد استمد أهل دنباوند و طبرستان و قرمس و جرجان، و قال: قد علمتم أن هؤلاء إن حلوا بالری، إنه لا مقام لکم، فاحتشدوا له، فناهد بهم المسلمین، فالتقوا بسفح جبل الری الذی إلی جانب مدینتها فاقتتلوا به.

و قد کان أبو الفرخان قال لنعیم: إن القوم کثیر و أنتم فی قلة، فابعث معی خیلا أدخل مدینتهم من مدخل لا یشعرون به، و ناهدهم أنت، فإنهم إذا خرجوا علیهم لم یثبتوا لک. فبعث معه نعیم من اللیل خیلا علیها ابن أخیه المنذر بن عمرو، فأدخلهم المدینة، و لا یشعر القوم، و بیتهم نعیم بیاتا فشغلهم عن مدینتهم، فاقتتلوا و صبروا حتی سمعوا التکبیر من ورائهم، فانهزموا، فقتلوا مقتلة عدوا فیها بالقصب، و أفاء الله علی المسلمین بالری نحوا من فیء المدائن، و صالح أبو الفرخان نعیما علی أهل الری، فلم یزل بعد شرف الری فی آله، و سقط آل بهرام، و أخرب نعیم مدینة الری، و هی التی یقال لها العتیقة، و أمر أبا الفرخان فبنی مدینة الری الحدثاء، و کتب لهم نعیم کتابا أعطاهم فیه الأمان لهم و لمن کان معهم من غیرهم، علی أن علی کل حالم من الجزیة طاقته فی کل سنة، و علی أن ینصحوا و لا یغلوا و لا یسلوا، و یدلوا المسلم و یقروه یوما و لیلة، و یفخموه، فمن سب مسلما أو استخف به نهکک عقوبة، و من ضربه قتل، و من بدل منهم فلم یسلم برمته فقد غیر جماعته.

و راسل عند ذلک نعیما مردانشاه مصمعان نهاوند فی الصلح علی شیء یفتدی به من غیر أن یسأله النصر و المعونة، ففعل ذلک نعیم، و کتب له به و لأهل موضعه کتابا علی أن یتقی من ولی الفرج بمائتی ألف درهم فی کل سنة.

و قال أبو بجید فی یوم الری:

ألا هل أتاها أن بالری معشراشفوا سقما لما استجاشوا و قتلوا

لها موطنان عاینوا الهلک فیهمابأید طوال لم یخنهن مفصل

و خیل تعادی لا هوادة عندهاو زاد و کمت تمتطی و محجل

---

(۱) انظر الخبر فی: الطبری (۴/ ۱۵۰، ۱۵۱)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۷/ ۱۲۱، ۱۲۲)، نهایة الأرب للنویری (۱۹/ ۲۶۴- ۲۶۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۷۹ و دهم و شقر تنشر البلق بینهاإذا ناهبت قوما تولوا و أوهلوا

قتلناهم بالسفح مثنی و موحداو صار لنا فیها مداد و مأکل

قتلنا سیا و خشا و من مال میلهو لم ینج منهم بالسفوح مؤمل

جزی الله خیرا معشر عصبوهمو أعطاهم خیر العطاء الذی ولوا و قال أیضا:

و بالرى إن سألت بنا أم جعفرفمنا صدور الخيل و الخيل تنفر

إذا حذر الأقرام منهن قارح تفخمه فى الموت أغيد أزهر

أخو الهيج و الروعات إن زفرت بهأناخ إليها صابرا حين يزفر

فتسفر عنها الحرب بعد انصبابهاو فينا البقايا و الفعال المسهر

قتلنا بنى بهرام لما تتابعواعلى أمر غاويهم و غاب المسور

و بالسفح موتى لا تطير نسورهالها فى سواء السفح مثوى و مغبر

و لو لا اتقاء القوم بالسلم أقفرتبلادهم أو يهربون فيعذروا

خلفناهم بالرى و الرى منزلله جانب صعب هناك معور

ذكر فتح قومس و جرجان

فأما قومس، فإن عمر، رحمه الله، كان كتب إلى نعيم بن مقرن حين أعلمه بفتح الرى: أن قدم سويد بن مقرن إلى قومس، ففصل إليها سويد من الرى فى تعبئته، فلم يقم له أحد، فأخذها سلما، و عسكر بها، و كاتب الذين لجئوا إلى طبرستان منهم، و الذين أخذوا المفاوز يدعوهم إلى الصلح و الجزاء، و كتب لهم بذلك كتابا «۱».

و أما جرجان، فإن سويدا سار إليها فكاتبه ملكها، و بدأه بالصلح على أن يؤدى له الجزاء و يكفيه حرب جرجان، فإن غلب أعانه، فقبل سويد ذلك منه، ثم تلقاه قبل أن يدخل جرجان، فدخلها معه، و عسكر سويد بها حتى جبى إليه خراجها، و سمى فروجها، فسدها بترك دهستان، و رفع الجزاء عمن أقام بمنعها، و أخذ الخراج من سائر أهلها، و كتب سويد بذلك كتابا لملكها رزبان صول و أهل دهستان و سائر أهل جرجان «۲».

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۵۱، ۱۵۲)، الروض المعطار (ص ۴۸۵).

(۲) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۵۲، ۱۵۲)، تاريخ جرجان (ص ۴۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۸۰

ذكر فتح طبرستان

و راسل الأصبهذ سويدا فى الصلح على أن يتوادعا، و يجعل له شيئا على غير نصرة و لا معونة على أحد، فقبل ذلك منه، و كتب له: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من سويد بن مقرن للفرخان اصبهبذ خراسان على طبرستان و جبل جيلان، إنك آمن بأمان الله على أن تكف نصرتك و أهل حواشى أرضك، و لا تؤوى لنا بغية و تتقى من ولى فرج أرضك بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك، فإذا فعلت ذلك فليس لأحد منا أن يغير عليك، و لا أن يتطوف أرضك، و لا يدخل عليك إلا بإذنك، سبيلنا عليكم بالإذن آمنة، و كذلك سبيلكم، و لا تسألون لنا إلى عدو و لا تغلون، فإن فعلتم فلا عهد بيننا و بينكم «۱».

فتح أذربيجان

و لما «۲» افتتح نعيم همذان ثانية، و سار إلى الرى كتب إلى عمر: أن يبعث سماك بن خرشة الأنصارى، و ليس بأبى دجانة، ممدا لبكير بن عبد الله بأذربيجان، و كان عمر قد فرق أذربيجان بين بكير و بين عتبة بن فرقد، و أمر كل واحد منهما بطريق غير طريق صاحبه، فسار بكير حين بعث إليها حتى إذا طلع بحيال جرميذان، طلع عليه اسفندياذ بن الفرخزاد مهزوما من واجروذ، فكان أول قتال

لقیه بکیر بأذربیجان، فاقتتلوا، فهزم الله جند اسفندیاذ و أخذه بکیر أسیرا، فقال له: الصلح أحب إلیک أم الحرب؟ فقال بکیر: بل الصلح، قال: فأمسکنی عندک، فإن أهل أذربیجان إن لم أصالح علیهم و أراضی لم یقیموا لک، و جلوا إلی الجبال التی حولها من القبج و الروم و من کان فی حصن تحصن إلی یوم ما، فأمسکه عنده، و صارت البلاد إلیه إلا ما کان من حصن، و قدم سماک علی بکیر و اسفندیاذ فی إساره، و قد افتتح ما یلیه، و افتتح عتبة بن فرقد ما یلیه.

و تشوفت نفس بکیر إلی المضی قدما، فقال لسماک: إن شئت کنت معی، و إن شئت أتیت عتبة، فإنی لا أرانی إلا تارککما و طالبا وجها هو أکره من هذا. فاستأذن عمر، فکتب إلیه بالإذن علی أن یتقدم نحو الباب، و أمره أن یستخلف علی عمله، فاستخلف

---

(١) انظر: الطبری (۴/ ١۵٣).

(٢) انظر الخبر فی: الطبری (۴/ ١۵٣- ١۵۵)، البدایة و النهایة لابن کثیر (٧/ ١٢٢)، تاریخ ابن خلدون (٢/ ١١٩، ١٢٠).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج٢،ص:۵٨١

عتبة علی ما افتتح منه، و دفع إلیه اسفندیاذ، فأمر عتبة سماکا علی ما استخلفه علیه بکیر، و جمع عمر، رحمه الله، أذربیجان کلها لعتبة بن فرقد، و کان بهرام بن الفرخزاد قد أخذ بطریق عتبة، و أقام له فی عسکره حتی لحق عتبة فاقتتلوا، فهزمهم عتبة، و هرب بهرام، فلما بلغ الخبر اسفندیاذ و هو بعد فی إسار بکیر قال: الآن تم الصلح، و طفئت الحرب، فصالح بکیر، و أجاب إلی ذلک جمیعهم، و عادت أذربیجان سلما، و کتب عتبة بینه و بین أهلها کتابا إذ جمع له عمل بکیر إلی عمله:

بسم الله الرحمن الرحیم: هذا ما أعطی عتبة بن فرقد، عامل عمر بن الخطاب أمیر المؤمنین، أهل أذربیجان، سهلها و جبلها، و حواشیها و شعاریها، و أهل ملکها کلهم من الأمان علی أنفسهم و أموالهم و ملتهم و شرائعهم، علی أن یؤدوا الجزیة علی قدر طاقتهم، لیس ذلک علی صبی و لا علی امرأة و لا زمن لیس فی یده من الدنیا شیء، و لا متعبد متخل لیس فی یدیه من الدنیا شیء، لهم ذلک و لمن سکن معهم، و علیهم قری المسلم من جنود المسلمین یوما و لیلة و دلالته، و من حشر منهم فی سنة رفع عنه جزاء تلک السنة، و من أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلک، و من خرج فله الأمان حتی یلجأ إلی حرزه.

حدیث فتح الباب «١»

و بعث عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، سراقة بن عمرو إلی الباب بعد أن رد أبا موسی مکانه إلی البصرة، و کان سراقة یدعی ذا النور، و جعل عمر علی مقدمته عبد الرحمن بن ربیعة، و کان أیضا یدعی ذا النور، و جعل علی إحدی مجنبتیه حذیفة بن أسید الغفاری، و سمی للأخری بکیر بن عبد الله اللیثی، و کان بإزاء الباب قبل قدوم سراقة علیه، و کتب إلیه: أن یلحق به، و جعل علی المقاسم سلمان بن ربیعة، فقدم سراقة عبد الرحمن، و خرج فی الأثر، حتی إذا خرج من أذربیجان نحو الباب، قدم علیه بکیر فی أدنی الباب، فاستدفأ ببکیر، و دخل بلاد الباب علی ما عباه عمر، رحمه الله، و کان ملک الباب یومئذ شهربراز، رجل من آل شهربراز الملک الذی أفسد بنی إسرائیل و أعری منهم الشام.

---

(١) انظر الخبر فی: الطبری (۴/ ١۵۵- ١۶٠)، الکامل فی التاریخ لابن الأثیر (٣/ ١۴)، البدایة و النهایة لابن کثیر (٧/ ١٢٢، ١٢٣).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج٢،ص:۵٨٢

فلما أطل علیه عبد الرحمن بن ربیعة بالباب کاتبه شهربراز و استأمنه علی أن یأتیه، فأمنه عبد الرحمن علی ذلک، فأتاه فقال: إنی بإزاء عدو کلب و أمم مختلفة، لا ینسبون إلی أحساب، و لیس ینبغی لذی العقل و الحسب أن یعین أمثال هؤلاء و لا یستعین بهم علی ذوی الأحساب و الأصول، و ذو الحسب قریب ذی الحسب حیث کان، و لست من الفتح فی شیء و لا من الأرض، و إنکم قد غلبتم علی

بلادی و أمتی، فأنا الیوم منکم یدی مع أیدیکم، و صبری معکم، فمرحبا بکم، و بارک الله لنا و لکم، و جزیتنا إلیکم، و لکم النصر و القیام بما تحبون، و لا تذلونا بالجزیة فتوهنونا لعدوکم.

فقال عبد الرحمن: فوقی رجل قد أظلک فسر إلیه، فجوزه، فسار إلی سراقة، فلقیه بمثل ذلک، فقال له سراقة: قد قبلت ذلک فیمن کان معک علی هذا ما دام علیه، و لا بد من الجزاء علی من یقیم و لا ینهض، فقبل ذلک شهربراز، و صارت سنة فیمن کان یحارب العدو من المشرکین، و فیمن یستنفر من أهل الجزیة، فتوضع عنه جزیة تلک السنة التی استنفر فیها.

و کتب سراقة إلی عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، بذلک، فأجازه و حسنه، و لیس فی تلک البلاد التی فی ساحة الجبال نبک لم یقم الأرمن بها إلا علی أوفاز، و إنما بها سکان ممن حولها و من الطراء استأصلت الغارات نبکها من أهل القرار، و أرز أهل الجبال منهم إلی جبالهم، و جلوا عن قرار أرضهم، فکان لا یقیم بها إلا الجنود و من أعانهم أو تجر إلیهم.

و اکتتبوا من سراقة بن عمرو کتابا بالأمان لشهربراز و سکان أرمینیة و الأرمن، علی أنفسهم و أموالهم و ملتهم، لا یضارون و لا ینتقضون، و علی أهل أرمینیة و الأبواب، الطراء منهم و التناء و من حولهم، فدخل معهم أن ینفروا لکل غارة، و ینفروا لکل أمر رآه الوالی صلاحا، ناب أو لم ینب، علی أن توضع علی من أجاب إلی ذلک الجزاء، و من استغنی منهم فقعد فعلیه مثل ما علی أهل أذربیجان من الجزاء و الدلالة و النزول یوما کاملا، فإن حشروا وضع ذلک عنهم، و إن ترکوا أخذوا به.

ثم إن سراقة بن عمرو وجه بعد ذلک بکیر بن عبد الله و حبیب بن مسلمة، و کان عمر أمد به سراقة، و حذیفة بن أسید و سلمان بن ربیعة إلی أهل تلک الجبال المحیطة بإرمینیة، فوجه بکیرا إلی موقان، و حبیبا إلی تفلیس، و حذیفة إلی من بجبال اللان، و سلمان إلی وجه آخر.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۸۳

و کتب سراقة بالفتح و بالذی وجه فیه هؤلاء إلی عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، فأتی عمر أمر لم یکن یری أنه یستتم له علی ما خرج علیه سریعا بغیر مئونة، و کان فرجا عظیما به جند عظیم، إنما ینتظر أهل فارس صنیعهم، ثم یضعون الحرب أو یبعثونها.

فلما استوثقوا و استحلوا عدل الإسلام مات سراقة، رحمه الله، و استخلف عبد الرحمن بن ربعة، و قد مضی أولئک القواد الذین بعثهم سراقة، فلم یفتح أحد منهم ما وجه له إلا بکیرا فإنه فض موقان، ثم تراجع أهلها علی الجزیة، فقبل منهم و کتب لهم بها و بأمانهم علیها.

و لما بلغ عمر، رحمه الله، موت سراقة و استخلافه عبد الرحمن أقره عمر و أمره بغزو الترک، فخرج بالناس حتی قطع الباب، فقال له شهربراز: ما ترید أن تصنع؟ قال: أرید بلنجر، فقال شهربراز: إنا لنرضی منهم أن یدعونا من وراء الباب، فقال عبد الرحمن:

لکنا لا نرضی منهم بذلک حتی نأتیهم فی دیارهم، و بالله إن معنا لأقواما لو یأذن لنا أمیرنا فی الإمعان لبلغت بهم الردم، قال: و ما هم؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و دخلوا فی هذا الأمر بنیة، و کانوا أصحاب حیاء و تکرم فی الجاهلیة، فازداد حیاؤهم و تکرمهم و لا یزال هذا الأمر دائما لهم، و النصر معهم حتی یغیرهم من یغلبهم، و حتی ینقلوا عن حالهم.

فغزا عبد الرحمن بلنجر غزاة فی زمان عمر، رضی الله عنه، لم تئم فیها امرأة و لم ییتم صبی، و بلغت خیله فی غزاته البیضاء علی رأس مائتی فرسخ من بلنجر، ثم غزا فسلم، ثم غزا غزوات فی زمان عثمان، رضی الله عنه، ثم أصیب عبد الرحمن حین تبدل أهل الکوفة فی إمارة عثمان لاستعماله من کان ارتد استصلاحا لهم، فلم یصلحهم ذلک و زادهم فسادا، أن سادهم من طلب الدنیا، و عضلوا بعثمان، رضی الله عنه و رحمه، حتی جعل یتمثل:

و کنت و عمرا کالمسمن کلبهفخدشه أنیابه و أظافره و قال سلمان بن ربیعة «۱»: لما دخل عبد الرحمن بن ربیعة علیهم، یعنی علی الترک، حال الله بینهم و بین الخروج علیه، و قالوا: ما اجترأ علینا هذا الرجل إلا و معهم الملائکة تمنعهم من الموت، فتحصنوا منه، فرجع بالغنم و الظفر، و ذلک فی إمارة عمر، ثم لما

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۵۸، ۱۵۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۸۴

غزاهم غزوات فی زمان عثمان ظفر بهم کما کان یظفر، حتی إذا تبدل أهل الکوفة، و ذکر بعض ما تقدم من استعمال من ارتد، و غزاهم بعد ذلک تذمرت الترک و قالوا:

انظروا، و کانوا یقولون إنهم لا- یموتون. قال: فاختفوا لهم فی الغیاض، فرمی رجل منهم رجلا من المسلمین علی غرة فقتله، و هرب عنه أصحابه، فخرجوا علیه عند ذلک، فاقتتلوا فاشتد قتالهم، و نادی مناد من الجو: صبرا آل عبد الرحمن موعدکم الجنة فقاتل حتی قتل عبد الرحمن و انکشف المسلمون، و أخذ سلمان بن ربیعة الرایة، فقاتل بها، و نادی مناد من الجو: صبرا آل سلمان، فقال سلمان: أو تری جزعا؟ ثم خرج بالناس و خرج سلمان الفارسی و أبو هریرة الدوسی علی جیلان، فقطعوها إلی جرجان، و اجترأ الترک بعدها و لم یمنعهم ذلک من اتخاذ جسد عبد الرحمن، فما زالوا بعد یستسقون به.

و جعل عثمان، رحمه الله، یغزیها مع حبیب بن مسلمة.

و حدث مطر بن ثلج التیمی قال: دخلت علی عبد الرحمن بن ربیعة بالباب و شهربراز عنده، فأقبل رجل علیه شحوب حتی جلس إلی شهربراز، فتساءلا، ثم إن شهربراز قال لعبد الرحمن: أیها الأمیر، أ تدری من أین جاء هذا الرجل؟ إنی بعثته منذ سنتین نحو السند لینظر لی ما حاله و من دونه، و زودته مالا- عظیما، و کتبت له إلی من یلینی، و أهدیت له، و سألته أن یکتب إلی من وراءه، و زودته لکل ملک هدیة، ففعل ذلک بکل ملک بینی و بینه، حین انتهی إلیه، حتی انتهی إلی الملک الذی السد فی ظهر أرضه، فکتب له إلی عامله علی ذلک البلد، فأتاه فبعث معه بازیاره و معه عقابه. فذکر أنه أحسن إلی البازیار و قال: فتکشر لی البازیار.

فلما انتهینا إذا جبلان بینهما سد مسدود، حتی ارتفع علی الجبلین بعد ما استوی بهما، و إذا دون السد خندق أشد سوادا من اللیل لبعده، فنظرت إلی ذلک و تفرست فیه، ثم ذهبت لأنصرف، فقال لی البازیار: علی رسلک، أکافئک، إنه لا یلی ملک بعد ملک إلا تقرب إلی الله بأفضل ما عنده من الدنیا، فیرمی به فی هذا اللهب، فشرح بضعة لحم معه، فألقاها فی ذلک الهوی، و انقضت علیها العقاب، و قال: إن أدرکتها قبل أن تقع فلا شیء، و إن لم تدرکها حتی تقع فذلک شیء، فخرجت علینا العقبان باللحم فی مخالبها، و إذا فیها یاقوتة، فأعطانیها، و هی هذه. فتناولها منه شهربراز و هی حمراء فناولها عبد الرحمن، فنظر إلیها ثم ردها إلیه، فقال شهربراز: لهذه خیر من هذه البلد، یعنی الباب، و ایم الله لأنتم أحب إلیّ ملکة من آل کسری، و لو کنت فی سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتزعوها منی، و ایم الله لا یقوم لکم شیء ما وفیتم أو وفی ملککم الأکبر.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۸۵

فأقبل عبد الرحمن علی الرسول و قال: ما حال الردم و ما شبهه؟ فقال: هذا الثوب الذی علی هذا الرجل، و أشار إلی مطر بن ثلج، و کان علیه قباء برود یمنیة أرضة حمراء و وشیه أسود أو وشیه أحمر و أرضه سوداء، فقال مطر: صدق و الله الرجل، لقد نفذ و رأی، قال عبد الرحمن: أجل، و وصف صفة الحدید و الصفر و قرأ: آتُونِی زُبَرَ الْحَدِیدِ إلی آخر الآیة [الکهف: ۹۶]، و قال عبد الرحمن لشهربراز: کم کانت هدیتک؟

قال: قیمة مائة ألف فی بلادی هذه، و ثلاثة آلاف ألف و أکثر فی تلک البلدان.

ذکر مسیر یزدجرد إلی خراسان و دخول الأحنف إلیها غازیا «۱»

ذکروا أن یزدجرد لما انهزم أهل جلولاء خرج یرید الری، و قد جعل له محمل یطیق ظهر بعیره، و کان إذا سار نام و لم یعرس بالقوم، فانتهی به إلی مخاضة و هو نائم فی محمله، فأنبهوه لیعلم، و لئلا- یفزع إن هو استیقظ إذا خاض البعیر به، فعنفهم علی إنباهه و قال:

بئس ما صنعتم، و الله لو تركتمونى لعلمت ما مدة هذه الأمة، إنى رأيت أنى و محمدا، يعنى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، تناجينا عند الله تعالى فقال له: أملككم مائة سنة، فقال: زدنى، فقال: عشرا و مائة، فقال: زدنى، فقال: عشرين و مائة سنة، فقال: زدنى، فقال: لك. و أنبهتمونى، و لو تركتمونى لعلمت.

فلما انتهى إلى الرى، وثب عليه آبان جاذويه، و كان على الرى، حينئذ، فأخذه، فقال له يزدجرد: يا آبان جاذويه، تغدر بى! فقال: لا و لكن قد تركت ملكك و صار فى يدى غيرك، فأحببت أن أكتتب على ما كان لى من شىء، و ما أردته من غير ذلك، و أخذ خاتم يزدجرد و وصل الأدم، و اكتتب الصكاك و سجل السجلات بكل ما أعجبه، ثم ختم عليها ورد الخاتم، ثم أتى بعد سعدا فرد عليه كل شىء فى كتابه.

و لما صنع آبان جاذويه بيزدجرد ما صنع خرج يزدجرد من الرى إلى أصبهان و كره جوار آبان و لم يأمنه، ثم عزم على كرمان، فأتاها و معه النار، فأراد أن يضعها فى كرمان، ثم عزم على خراسان، فأتى مرو فنزلها و قد نقل النار، فبنى لها بيتا و اتخذ بستانا، و بنى أزجا فرسخين من مرو إلى البستان، فاطمأن فى نفسه و أمن أن يؤتى، و كاتب من مرو من بقى من الأعاجم حيث لم يفتتحه المسلمون، فدانوا له، حتى إذا ثار

---

(١) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ١۶۶- ١٧٣)، تاريخ ابن خلدون (٢/ ١٢٠- ١٢٢).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۵٨۶

أهل فارس و الفيرزان فنكثوا، و ثار أهل الجبال و الفيزران فنكثوا، و صار ذلك داعية إلى إذن عمر، رضى الله عنه، فى الانسياح، فانساح أهل البصرة و أهل الكوفة حتى أثخنوا فى الأرض، فخرج الأحنف إلى خراسان، فأخذ على مهرجان نقذف، ثم خرج على أصبهان، و أهل الكوفة محاصرو جىّ، فدخل خراسان من الطبسين، فافتتح هراة عنوة، و استخلف عليها صحار بن فلان العبدى، ثم سار نحو مرو الشاهجان، و أرسل إلى نيسابور، و ليس دونها قتال، مطرف بن عبد الله بن الشخير، و إلى سرخس الحارث بن حسان.

فلما دنا الأحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد نحو مروالروذ حتى نزولها، و نزل الأحنف مرو الشاهجان، و كتب يزدجرد إلى خاقان و ملك الصغد و صاحب الصين يستمدهم و يستعين بهم، و خرج الأحنف من مرو الشاهجان، و استخلف عليها حارثة ابن النعمان الباهلى بعد ما لحقت به أمداد الكوفة، على أربعة أمراء: علقمة بن النضر النضرى، و ربعى بن عامر التميمى، و عبد الله بن أبى عقيل الثقفى، و ابن أم غزال الهمدانىّ، و بلغ يزدجرد خروج الأحنف سائرا نحوه فخرج إلى بلخ، و نزل الأحنف مروالروذ، و قدم أهل الكوفة فساروا إلى بلخ، و اتبعهم الأحنف، و التقى أهل الكوفة و يزدجرد ببلخ، فهزمه الله بهم، و توجه فى أهل فارس إلى النهر فعبروا، و لحق الأحنف بأهل الكوفة و قد فتح الله عليهم، و تتابع أهل خراسان ممن شذ و تحصن على الصلح فيما بين نيسابور إلى طخارستان، و عاد الأحنف إلى مروالروذ فنزلها، و استخلف على طخارستان ربعى بن عامر، و هو الذى يقول له النجاشى و نسبه إلى أمه، و كان من أشراف العرب:

ألا رب من تدعو فتى ليس بالفتىألا إن ربعى بن كأس هو الفتى

طويل قعود القوم فى قعر بيتهإذا شبعوا من ثقل جفنته سقى و كتب الأحنف بفتح خراسان إلى عمر، رحمه الله، فقال: لوددت أنى لم أكن بعثت إليها جندا، و لوددت أنه كان بيننا و بينها بحر من نار، فقال على، رضى الله عنه: و لم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأن أهلها سينقضون ثلاث مرات، فيجتاحون فى الثالثة، فكان أن يكون ذلك بأهلها أحب إلىّ من أن يكون بالمسلمين.

و كتب عمر إلى الأحنف: أما بعد، فلا تجوزن النهر و اقتصر على ما دونه، و قد عرفتم بأى شىء دخلتم خراسان، فدوموا على الذى دخلتم به يدم لكم النصر، و إياكم و إياكم أن تغيروا فتنقضوا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۵٨٧

و لما بلغ رسول يزدجرد إلى خاقان لم يستتب له إنجاده حتى عبر إليه النهر مهزوما، و قد استتب له ذلك، و الملوك ترى على أنفسها إنجاد الملوك، فأقبل فى الترك، و حشر أهل فرغانة و الصغد، ثم خرج بهم، و خرج يزدجرد راجعا إلى خراسان حتى عبر النهر إلى بلخ، و عبر معه خاقان، فأرز أهل فارس إلى الأحنف بمروالروذ، و جاء المشركون حتى نزلوا بها عليه، و كان حين بلغه عبورهم قاصدين له، خرج ليلا فى عسكره يتسمع فى ليلة مظلمة هل يسمع برأى ينتفع به؟ فمر برجلين ينقبان علفا، إما تبنا و إما شعيرا، و أحدهما يقول لصاحبه: لو أن الأمير أسندنا إلى هذا الجبل فكان النهر بيننا و بين عدونا خندقا، و الجبل فى ظهورنا لئلا يأتونا من خلفنا، و كان قتالنا من وجه واحد رجوت أن ينصرنا الله عز و جل. فرجع الأحنف و اجتزأ بها.

فلما أصبح جمع الناس و قال: إنكم قليل و إن عدوكم كثير، فلا يهولنكم، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، و الله مع الصابرين، ارتحلوا من مكانكم هذا فأسندوا إلى هذا الجبل، فاجعلوه فى ظهوركم، و اجعلوا النهر بينكم و بين عدوكم، و قاتلوهم من وجه واحد، ففعلوا، و قد أعدوا ما يصلحهم، و الأحنف فى عشرة آلاف من أهل البصرة، و أهل الكوفة نحو منهم، و أقبلت الترك و من اجتلبت حتى نزلوا بهم، فكانوا يغادونهم و يراوحونهم، و يتنحون عنهم بالليل ما شاء الله.

و طلب الأحنف علم مكانهم بالليل حتى علم علمهم، ثم خرج ليلة طليعة لأصحابه حتى كان قريبا من عسكر خاقان فوقف، فلما كان فى وجه الصبح خرج فارس الترك بطوقه و ضرب طبله، ثم وقف من العسكر موقفا مثله، فحمل عليه الأحنف، فاختلفا طعنتين، فطعنه الأحنف فقتله، و هو يرتجز:

إن على كل رئيس حقاأن يخضب الصعدة أو تندقا

إن لها شيخا بها ملقاسيف أبى حفص الذى تبقى ثم وقف موقف التركى و أخذ طوقه، ثم خرج آخر من الترك، ففعل فعل صاحبه، ثم وقف دونه، فحمل عليه الأحنف، فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله و هو يرتجز:

إن الرئيس يرتبى و يطلعو يمنع الخلاء إذا ما أرتعوا ثم وقف موقف التركى الثانى، و أخذ طوقه، ثم خرج ثالث من الترك، ففعل فعل صاحبه، و وقف دون الثانى منهما، فحمل عليه الأحنف فاختلفا طعنتين، فطعنه الأحنف فقتله و هو يرتجز:

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۸۸ جرى الشموس ناجزا بناجزمحتفلا فى جريه مشارز ثم انصرف الأحنف إلى عسكره، و لا يعلم بذلك أحد منهم حتى دخله و استعد.

و كان من شيمة الترك أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم كهؤلاء، كلهم يضرب بطلبه ثم يخرجوا بعد خروج الثالث، فخرجت الترك ليلتئذ بعد الثالث، فأتوا على فرسانهم مقتلين، فتشاءم خاقان و تطير، و قال: قد طال مقامنا، و قد أصيب هؤلاء بمكان لم يصب بمثله قط أحد منا، فما لنا فى قتال هؤلاء القوم من خير، فانصرفوا بنا، فكان وجههم راجعين، و ارتفع النهار للمسلمين و لا يرون شيئا، فأتاهم الخبر بانصراف خاقان إلى بلخ، فقال المسلمون للأحنف: ما ترى فى اتباعهم؟ فقال: أقيموا بمكانكم و دعوهم.

و كان يزدجرد لما نزل بمروالروذ خرج إلى مرو الشاهجان فتحصن منه حارثة بن النعمان و من معه، فحاصرهم و استخرج خزائنه من مواضعها، و خاقان ببلخ مقيم له، فلما جمع يزدجرد ما كان فى يديه مما وضع بمرو، فأعجل عنه و أراد أن يستقل منها، إذا أمر عظيم من خزائن أهل فارس، فقال له أهل فارس: أى شىء تريد أن تصنع؟ فقال:

أريد اللحاق بخاقان، فأكون معه أو بالصين، فقالوا له: مهلا، فإن هذا رأى سوء، إنك إنما تأتى قوما فى مملكتهم و تدع أرضك و قومك، و لكن ارجع إلى هؤلاء القوم، يعنون المسلمين، فنصالحهم، فإنهم أوفياء و أهل دين، و هم يلون بلادنا، و إن عدوا يلينا فى بلادنا أحب إلينا ملكه من عدو يلينا فى بلاده لا دين لهم و لا ندرى ما وفاؤهم، فأبى عليهم و أبوا عليه، فقالوا: فدع خزائننا نردها إلى بلادنا و من يليها، و لا تخرجها من بلادنا إلى غيرها، فأبى، فقالوا: إنا لا ندعك.

فاعتزلوه و تركوه فى حاشيته، فاقتتلوا، فهزموه و أخذوا الخزائن و استولوا عليها، و كتبوا إلى الأحنف بالخبر، فاعترضهم المسلمون و المشركون يثفنونه، فقاتلوه، و أصابوا فى آخر القوم، و أعجلوه عن الأثقال، و مضى مزايلا حتى يقطع النهر إلى فرغانة و الترك، فلم

يزل مقيما بقية زمان عمر، رضى الله عنه، يكاتبهم و يكاتبونه، أو من شاء الله منهم، إلى أن كان زمن عثمان، رضى الله عنه، فكفر أهل خراسان، فأقبل حتى نزل مرو، فكان من أمره إلى حين مقتله ما نذكره بعد فى موضعه إن شاء الله.

و أقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه، و دفعوا إليه تلك الخزائن و الأموال، و تراجعوا إلى بلدانهم و أموالهم على أفضل ما كانوا فى زمان الأكاسرة، فكانوا كأنهم فى ملكهم، إلا أن المسلمين أوفى لهم و أعدل عليهم، فاغتبطوا، و أصاب الفارس يوم يزدجرد كسهم الفارس يوم القادسية.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۸۹

و لما سمع خاقان و هو و الترك ببلخ ما لقى يزدجرد، و أن الأحنف خرج مع المسلمين من مروالروذ نحوه، ترك بلخ و عبر النهر، و أقبل الأحنف حتى نزل بلخ، و نزل أهل الكوفة فى كورها الأربع، ثم رجع إلى مروالروذ فنزل بها، و كتب بالفتح الذى صنع الله فى خاقان و يزدجرد إلى عمر، رحمه الله، و بعث إليه بالأخماس، و وفد الوفود.

و لما عبر خاقان النهر، و عبرت معه حاشية آل كسرى، أو من أخذ نحو بلخ منهم مع يزدجرد، لقوا رسول يزدجرد الذى كان بعثه إلى ملك الصين، و أهدى إليه معه، و معه جواب كتاب يزدجرد من ملك الصين، فسألوه عما وراءه، فقال: لما قدمت عليه بالكتاب و الهدايا كافأنا بما ترون، و أراهم هديته، و أجاب يزدجرد بهذا الكتاب بعد أن كان قال لى: قد عرفت أن حقا على الملوك إنجاد الملوك على من غلبهم، فصف لى صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فإنى أراك تذكر منهم قلة و كثرة منكم، و لا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذى تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا لخير عندهم و شر فيكم، فقلت: اسألنى عما أحببت، فقال: أ يوفون بالعهد؟ قلت: نعم، قال: و ما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟ قلت: يدعوننا إلى واحدة من ثلاث: إما دينهم فإن أجبناهم أجرونا مجراهم، أو الجزية و المنعة، أو المنابذة.

قال: فكيف طاعتهم أمراءهم؟ قلت: أطوع قوم لمرشدهم، قال: فما يحلون و ما يحرمون؟ فأخبرته، فقال: أ يحرمون ما حلل لهم، أو يحلون ما حرم عليهم؟ قلت: لا، قال:

فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبدا حتى يحلوا حرامهم و يحرموا حلالهم، ثم قال: أخبرنى عن لباسهم، فأخبرته، و عن مطاياهم، فقلت: الخيل العراب، و وصفتها، فقال: نعمت الحصون هذه، و وصفت له الإبل، بركها و انبعاثها بحملها، فقال: هذه صفة دواب طوال الأعناق.

و كتب معه إلى يزدجرد: إنه لم يمنعنى أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو و آخره بالصين الجهالة بما يحق علىّ، و لكن هؤلاء القوم الذين وصف لى رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها، و لو خلى سربهم أزالونى ما داموا على ما وصف، فسالمهم و أرض منهم بالسلامة، و لا تهيجهم ما لم يهيجوك.

فأقام يزدجرد و آل كسرى بفرغانة على عهد من خاقان، و لما وقع الرسول بالفتح و الوفد بالخبر و معهم الغنائم لعمر بن الخطاب، رضى الله عنه، من قبل الأحنف، جمع الناس و خطبهم، و أمر بكتاب الفتح فقرئ عليهم، و قال فى خطبته: إن الله تبارك و تعالى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۰

ذكر رسوله و ما بعثه به من الهدى، و وعد على اتباعه من عاجل الثواب و آجله خير الدنيا و الآخرة، فقال عز و جل: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [التوبة: ۳۳]، فالحمد لله الذى أنجز وعده، و نصر جنده، ألا و إن الله قد أورثكم أرضهم و ديارهم و أموالهم و أبناءهم، لينظر كيف تعملون، ألا و إن المصرين اليوم من مسالحها كأنتم و المصرين فيما مضى من البعد و قد و غلوا فى البلاد، و الله بالغ أمره، و منجز وعده، و متبع آخر ذلك و أوله، فقوموا فى أمره على رجل يوف لكم بعهده و يؤتكم وعده، و لا تغيروا فيستبدل الله بكم قوما غيركم، فإنى لا أخاف على هذه الأمة أن يؤتوا إلا من قبلكم.

و سيأتى بعد إن شاء الله ما كان من انتقاض خراسان و غيرها فى خلافة عثمان، رضى الله عنه.

و نذكر الآن بقية فتوح أهل البصرة الذين عقد لهم عمر، رضى الله عنه، عند الإذن لهم فى الانسياح على ما تقدم.

فتح توج

قالوا «۱»: و خرج أهل البصرة الذين وجهوا أمراء على فارس، و معهم سارية بن زنيم و من بعث معهم إلى ما وراء ذلك، و أهل فارس مجتمعون بتوج، فلم يصمدوا بجمعهم، و لكن قصد كل أمير منهم قصد إمارته و كورته التى أمر بها، و بلغ ذلك أهل فارس، فتفرقوا إلى بلدانهم ليمنعوها كما تفرق المسلمون فى القصد إليها، فكانت تلك هزيمة أهل فارس، تشتت أمورهم و تفرقت جموعهم، فتطيروا من ذلك كأنما ينظرون إلى ما صاروا إليه، فقصد مجاشع بن مسعود فيمن معه من المسلمين لسابور و أردشير خره، فالتقوا بتوج مع أهل فارس، فاقتتلوا ما شاء الله عز و جل، ثم إن الله عز و جل سلط المسلمين على أهل توج فهزموهم و قتلوهم كل قتلة، و بلغوا منهم ما شاءوا، و غنمهم ما فى عسكرهم فحووه.

و هذه توج الآخرة، لم يكن لها بعدها شوكة، و الأولى التى تنقذ فيها جنود العلاء بن الحضرمى أيام طاوس، و الوقعتان متساجلتان.

ثم دعوا بعد هزيمتهم هذه الآخرة إلى الجزية و الذمة، فتراجعوا و أقروا و خمس مجاشع

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۷۴، ۱۷۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۱

الغنائم، و بعث بخمسها، و وفد وفدا، و قد كانت البشرى و الوفود يجازون و تقضى لهم حوائجهم، لسنة جرت بذلك من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و حدث عاصم بن كليب، عن أبيه قال: خرجنا مع مجاشع غازين توج، فحاصرناها و قاتلناهم ما شاء الله، فلما افتتحناها حوينا نهبا كثيرا، و قتلنا قتلى عظيمة، فكان علىّ قميص قد تخرق، فأخذت إبرة و سلكا، فجعلت أخيط قميصى بها، ثم إنى نظرت إلى رجل من القتلى عليه قميص فنزعته، فأتيت به الماء، فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه، فلبسته، فلما جمعت الرثة، قام مجاشع خطيبا، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أيها الناس لا تغلوا، فإنه من غل جاء بما غل يوم القيامة، ردوا و لو المخيط، فلما سمعت ذلك نزعت القميص فألقيته فى الأخماس.

و فى ذلك يقول مجاشع «۱»:

و نحن ولينا مرة بعد مرةبتوج أبناء الملوك الأكابر

لقينا جنود الماهيان بسحرةعلى ساعة تلوى بأيدى الخطائر

فما فتئت خيلى تكر عليهمو يلحق منها لاحق غير جائر

لدن غدوة حتى أتى الليل دونهمو قد عولجوا بالمرهفات البواتر

و كان كذاك الدأب فى كل كورةأجابت لإحدى المنكرات الكبائر

حديث اصطخر

قالوا «۲»: و قصد عثمان بن أبى العاص لاصطخر، فالتقى هو و أهلها بجور فاقتتلوا ما شاء الله، ثم فتح الله على المسلمين جور و اصطخر، فقتلوا ما شاء الله، و تفرق من تفرق، ثم إن عثمان دعا الناس إلى الجزاء و الذمة، فراسلوه و راسلهم، فأجابه الهربذ و كل من هرب أو تنحى، فتراجعوا و باحوا بالجزاء، و جمع عثمان حين هزمهم ما أفاء الله عليهم فخمسه و بعث بالخمس إلى عمر، رحمه الله، و قسم الباقى فى الناس، و عف الجند عن النهاب، و أدوا الأمانة، و استدقوا الدنيا، فجمعهم عثمان ثم قام فيهم، و قال: إن هذا الأمر لا

يزال مقبلا و أهله معافون مما يكرهون ما لم يغلوا، فإذا غلوا رأوا ما ينكرون و لم يسد الكثير مسد القليل اليوم.

---

(۱) انظر الأبيات فى: الروض المعطار (ص ۱۴۳).

(۲) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۷۵- ۱۷۷)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۳/ ۲۰، ۲۱)، تاريخ ابن خلدون (۲/ ۱۲۲، ۱۲۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۲

و عن الحسن قال: قال عثمان بن أبى العاص يوم اصطخر: إن الله عز و جل إذا أراد بقوم خيرا كفهم و وفر أمانتهم، فاحفظوها، فإن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، فإذا فقدتموها جدد لكم فى كل يوم فقدان شىء من أموركم.

ثم إن شهرك خلع فى آخر إمارة عمر أو أول إمارة عثمان، رحمهما الله، و نشط فارس و دعاهم إلى النقض، فوجه إليه عثمان بن أبى العاص ثانية، و بعث معه جنودا أمد بهم عليهم عبيد الله بن معمر، و شبل بن معبد، فالتقوا بفارس، فقال شهرك لابنه و هو فى المعركة، و بينهم و بين قرية لهم تدعى رىشهر ثلاثة فراسخ، و كان بينهم و بين قرارهم اثنا عشر فرسخا: يا بنى، أين ترى أن يكون غداؤنا هنا أو بريشهر؟ فقال: يا أبت، إن تركونا فلا يكون غداؤنا هنا و لا بريشهر، و لا يكون إلا فى المنزل، و لكن و الله ما أراهم يتركوننا. فما فرغا من كلامهما حتى أنشب المسلمون القتال، فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل فيه شهرك و ابنه و قتل من المشركين مقتلة عظيمة، و ولى قتل شهرك الحكم بن أبى العاص أخو عثمان بن أبى العاص.

و ذكر الطبرى عن أبى معشر: أن اصطخر الآخرة كانت سنة ثمان و عشرين، و ذلك فى وسط إمارة عثمان بن عفان، رضى الله عنه.

و ذكر أيضا بسنده إلى عبيد الله بن سليمان قال: كان عثمان بن أبى العاص أرسل إلى البحرين، فأرسل أخاه الحكم فى ألفين إلى توج، و كان كسرى قد فر عن المدائن، و لحق بجور من أرض فارس.

قال الحكم: فقصد إلى شهرك، و كان كسرى أرسله، فهبطوا من عقبة، عليهم الحديد، فخشيت أن تغشى أبصار الناس، فأمرت مناديا فنادى: أن من كانت له عمامة فليلقها على عينه، و من لم يكن له عمامة فليغمض بصره، و ناديت: أن حطوا عن دوابكم. فلما رأى شهرك ذلك حط أيضا، ثم ناديت: أن اركبوا، و صففنا لهم، و ركبوا، فجعلت الجارود العبدى على الميمنة، و أبا صفرة، يعنى أبا المهلب، على الميسرة، فحملوا على المسلمين فهزموهم حتى ما أسمع لهم صوتا، فقال لى الجارود: أيها الأمير، الجند! فقلت: إنك سترى أمرك، فما لبثنا أن رجعت خيلهم، ليس عليهم فرسانهم، و المسلمون يتبعونهم يقتلونهم، فنثرت الرءوس بين يدى، و أتيت برأس ضخم، و كان معى بعض ملوكهم فارق كسرى و لحق بى، فقال: هذا رأس الازدهاق، يعنون شهرك، فحوصروا فى مدينة سابور، فصالحهم الحكم، و كان ملكهم آذربيجان، فاستعان به الحكم على قتال أهل اصطخر.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۳

و قال يزيد بن الحكم بن أبى العاص يذكر اصطخر الآخرة:

أنا ابن عظيم القريتين كليهمانمتنى إلى العليا الفروع الفوارع

لنا مجد بطحاوى ثقيف و غالبإذا عد بطحاواهما والد سائع

لنا الحسب العود الذى لا تنالهعيون العدى و الحاسدات الدواسع

أبى سلب الجبار بيضة ملكهفخر و أطراف الرماح شوارع

بمعترك ضنك به قصد القنىو هام و أيد تختليها القواطع

بأيدى سراة كلهم باع نفسهفأوفوا بما باعوا و أوفى المبايع

هم المؤمنون الواردو الموت فى الوغىكما ترد الماء العطاش النوائع

نجاهد فى نصر لخير شريعةإذا ذكرت يوم الحساب الشرائع

سمونا لزحف المشركين بوقعةبها رد مال الجزية المتتابع

تركنا من القتلى نثارا تعودهانسور تراماها الضباع الجوامع

جثى من عظام المشركين كأنهاتلوح من الرأى البعيد صوامع

تركنا سباع الأرض و الطير منهمشباعا و ما فيها إلى الحول جائع

حديث فسا و دارابجرد «۱»

قالوا «۲»: و قصد سارية بن زنيم لفسا و دارابجرد حتى أفضى إلى عسكرهم، فنزل عليهم و حاصرهم ما شاء الله، ثم إنهم استمدوا، فتجمعوا و تجمعت إليهم أكراد فارس، فدهم المسلمين أمر عظيم و جمع كثير، فرأى عمر، رضى الله عنه، فى تلك الليلة معركتهم و عددهم فى ساعة من النهار، فنادى من الغد، الصلاة جامعة، حتى إذا كان فى الساعة التى رأى فيها ما رأى خرج إليهم، و كان أريهم و المسلمين بصحراء، و إن أقاموا فيها أحيط بهم و إن أرزوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد، ثم قام فقال: أيها الناس، إنى رأيت هذين الجمعين، و أخبر بحالهما، ثم قال: يا سارية، الجبل الجبل، ثم أقبل عليهم، فقال: إن لله عز و جل جنودا، و لعل بعضها أن يبلغهم، و لما كان تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية و المسلمون على الإسناد إلى الجبل، ففعلوا و قاتلوا القوم من وجه واحد، فهزمهم الله لهم، و كتبوا بذلك إلى عمر، رحمه الله، و باستيلائهم على البلد و دعاء أهله و تسكينهم.

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۷۸، ۱۷۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۱۳۰- ۱۳۲)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۳/ ۲۱، ۲۲).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۱۷۸، ۱۷۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۴

و عن رجل من بنى مازن قال: كان عمر، رحمه الله، قد بعث سارية بن زنيم الدؤلى إلى فسا و دارابجرد فحاصرهم، ثم إنهم تداعوا فأصحروا له، و كثروه و أتوه من كل جانب، فقال عمر، رضى الله عنه، و هو يخطب فى يوم جمعة: يا سارية بن زنيم، الجبل الجبل.

و فى غير هذا الحديث: ثم عاد عمر فى خطبته فعجب الناس لندائه سارية على بعده، فقضى الله سبحانه أن كان سارية و أصحابه فى ذلك الوقت موافقين للمشركين، و قد ضايقهم المشركون من كل جانب، و إلى جانب المسلمين جبل، إن لجئوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد، فسمعوا صوتا يقول: يا سارية بن زنيم، الجبل الجبل، كما قال عمر، رضى الله عنه، و فى ذلك الوقت بعينه، فلجئوا إلى الجبل، فنجوا و هزموا عدوهم و أصابوا مغانم كثيرة.

قال المازنى فى حديثه: إن سارية أصاب فى المغانم سفطا فيه جوهر، فاستوهبه المسلمون لعمر، فوهبوه له، فبعث به و بالفتح رجلا، و قال له: استقرض ما تبلغ به و ما تخلفه فى أهلك على جائزتك، و كان الرسل و الوفد يجازون، فقدم الرجل البصرة ففعل، ثم خرج فقدم على عمر، رحمه الله، فوجده يطعم الناس، و معه عصاه التى يزجر بها بعيره، فقصده، فأقبل عليه بها، فقال: اجلس، فجلس حتى إذا أكل انصرف عمر، و قام الرجل فاتبعه، فظن عمر أنه رجل لم يشبع، فقال حين انتهى إلى باب داره: ادخل، فلما جلس فى البيت أتى بغذائه، خبز و زيت و ملح و جريش، فوضع له، ثم قال للرجل: ادن فكل، فأكلا.

حتى إذا فرغ قال له الرجل: رسول سارية بن زنيم يا أمير المؤمنين، فقال: مرحبا و أهلا، ثم أدناه حتى مست ركبته ركبته، ثم سأله عن المسلمين، ثم سأله عن سارية، فأخبره، ثم أخبره بقصة الدرج، فنظر إليه ثم صاح به و قال: لا و لا كرامة حتى تقدم على ذلك الجيش فتقسمه بينهم، و طرده، فقال: يا أمير المؤمنين، إنى قد أنضبت إبلى و استقرضت على جائزتى، فأعطنى ما أتبلغ به، فما زال عنه حتى أبدله بعيرا ببعيره من إبل الصدقة، و أخذ بعيره فأدخله فى إبل الصدقة، و رجع الرجل مغضوبا عليه محروما حتى قدم البصرة، فنفذ لما أمره به عمر، رحمه الله، و قد كان أهل المدينة سألوه عن سارية و عن الفتح، و هل سمعوا شيئا يوم الوقعة؟ فقال: نعم سمعنا: يا سارية،

الجبل الجبل. و قد كدنا نهلك، فلجأنا إليه ففتح الله علينا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۵٩۵

حديث فتح كرمان

قالوا «١»: و قصد سهيل بن عدى إلى كرمان، و لحقه عبد الله بن عبد الله بن عتبان، و على مقدمته سهيل بن عدى النسير بن عمرو العجلى، و قد حشد له أهل كرمان، و استعانوا بالقفس، فاقتتلوا فى أدنى أرضهم، ففضهم الله تعالى، فأخذوا عليهم بالطريق، و قتل النسير مرزبانها، و دخل سهيل من قبل طريق القرى إلى جيرفت، و عبد الله بن عبد الله من مفازة شير، فأصابوا ما شاءوا من بعير أو شاة، فقدموا الإبل و الغنم فتحاصوها و أخروا البخت لعظم البخت على العرب، و كرهوا أن يزيدوا. و كتبوا إلى عمر، فأجابهم: إن البعير العربى إنما قوم ببعير اللحم، و ذلك مثله، فإذا رأيتم أن للبخت فضلا فزيدوا.

و ذكر المدائنى أن الذى فتح كرمان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى فى خلافة عمر بن الخطاب، ثم أتى الطبسين من كرمان، ثم قدم على عمر، رضى الله عنه، فقال:

يا أمير المؤمنين، إنى افتتحت الطبسين فاقطعنيهما، فأراد أن يفعل، فقيل لعمر: إنهما رستاقان عظيمان، فلم يقطعه إياهما، و هما بابا خراسان.

فتح سجستان

قالوا «٢»: و قصد عاصم بن عمرو لسجستان، و لحقه عبد الله بن عمير، فالتقوا هم و أهل سجستان فى أدنى أرضهم، فهزموهم ثم اتبعوهم، حتى حصروهم بزرنج و مخر المسلمون أرض سجستان ما شاء الله، ثم إنهم طلبوا الصلح على زرنج و ما احتازوا من الأرضين، فأعطاهم ذلك المسلمون، و كان فيما اشترطوا من صلحهم أن فدافدها حمى، فكان المسلمون إذا خرجوا تناذروها خشية أن يصيبوا منها فيخفروا. فتم أهل سجستان على الخراج، فكانت سجستان أعظم من خراسان شأنا، و أبعد فروجا، يقاتلون القندهار و الترك و أمما كثيرة، و كانت فيما بين السند إلى نهر بلخ.

فلم تزل أعظم البلدين و أصعب الفرجين، و أكثرها عددا و جندا حتى كان زمن معاوية، فهرب الشاه من أخيه، رتبيل، إلى بلد فيها يدعى آمل، و دانوا لسلم بن زياد و هو يومئذ على سجستان، ففرح بذلك و عقد لهم، و أنزلهم تلك البلاد، و كتب إلى

---

(١) انظر: الطبرى (۴/ ١٨٠).

(٢) انظر الخبر فى: (۴/ ١٨٠، ١٨١)، الروض المعطار (ص ٣٠۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۵٩۶

معاوية بذلك يرى أنه قد فتح عليه، فقال معاوية: إن ابن أخى ليفرح بأمر إنه ليحزننى و ينبغى له أن يحزنه، قالوا: و لم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأن آمل بلدة بينها و بين زرنج صعوبة و تضايق، و هؤلاء قوم غدر نكر، فيضطرب الجبل غدا، فأهون ما يجىء منهم أن يغلبوا على بلاد آمل بأسرها.

و تم لهم على عهد ابن زياد، فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه، و خلت آمل، و خافه أخوه فاعتصم منه بمكانه الذى هو به، و لم يرضه ذلك حين تشاغل الناس عنه حتى طمع فى زرنج فغزاها، فحصرهم حتى أتتهم الأمداد من البصرة.

قالوا: و سار رتبيل و الذين جاءوا معه فنزلوا تلك البلاد شجا لم ينتزع إلى اليوم، و قد كانت البلاد مذللة إلى أن مات معاوية، رحمه الله.

فتح مكران

قالوا «۱»: و قصد الحكم بن عمرو التغلبى لمكران، حتى انتهى إليها، و لحق به شهاب بن مخارق بن شهاب، فانضم إليه، و أمده سهيل بن عدى، و عبد الله بن عتبان بأنفسهما، فانتهوا إلى دوين النهر، و قد انفض أهل كرمان إليه حتى نزلوا على شاطئه، فعسكروا، و عبر إليهم راسل ملكهم، ملك السند، فازدلف بهم يستقبل المسلمين، فالتقوا فاقتتلوا بمكان من مكران من النهر على أيام، فهزم الله راسلا و سلبه، و أباح المسلمين عسكره، و قتلوا فى المعركة من المشركين مقتلة عظيمة، و اتبعوهم يقتلونهم أياما، حتى انتهوا إلى النهر.

ثم رجعوا فأقاموا بمكران، و كتب الحكم إلى عمر بالفتح، و بعث بالأخماس مع صحار العبدى، و استأمره فى الفيلة، فقدم صحار على عمر، رحمه الله، فسأله عن مكران، و كان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذى يجىء منه، فقال: يا أمير المؤمنين، أرض سهلها جبل، و ماؤها وشل، و تمرها دقل، و عدوها بطل، و خيرها قليل، و شرها طويل، و الكثير بها قليل، و القليل بها ضائع، و ما وراءها شر منها، فقال عمر، رحمه الله:

أسجاع أنت أم مخبر؟ فقال: بل مخبر، فقال: لا و الله، لا يغزوها لى جيش ما أطعت، و كتب إلى الحكم و إلى سهيل: أن لا يجوزن مكران أحد من جنودكما، و اقتصر على ما دون النهر، و أمره ببيع الفيلة بأرض الإسلام و قسم أثمانها على من أفاءها الله عليه.

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۸۱، ۱۸۲)، الروض المعطار (ص ۵۴۳، ۵۴۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۷

حديث بيروذ

قالوا «۱»: و لما فصلت الجنود إلى الكور اجتمع ببيروذ جمع عظيم من الأكراد و غيرهم، و كان عمر، رحمه الله، قد عهد إلى أبى موسى حين سارت الجنود إلى الكور أن يسير حتى ينتهى إلى حد ذمة البصرة، كى لا يؤتى المسلمون من خلفهم، و خشى أن يستلحم بعض جنوده أو ينقطع منهم طرف أو يخلف فى أعقابهم، فكان الذى حذر من اجتماع أهل بيروذ و قد أبطأ أبو موسى حتى تجمعوا، فخرج أبو موسى حتى ينزل ببيروذ على الجمع الذى تجمع بها، و ذلك فى رمضان، فنزل على جمع لهم منعة، فالتقوا بين نهرى تيرى و مناذر، و قد توافى إليها أهل النجدات من أهل فارس و الأكراد ليكيدوا المسلمين، أو ليصيبوا منهم عورة، و لم يشكوا فى واحدة من اثنتين.

فقام المهاجر بن زياد و قد تحنط و استقل فقال لأبى موسى: أقسم على كل صائم إلا رجع فأفطر، فرجع أخوه فيمن رجع لإبراء القسم، و ذلك الذى أراد المهاجر أن يرجع أخوه لئلا يمنعه من الاستقتال، و تقدم فقاتل حتى قتل، رحمه الله، و فرق الله عز و جل المشركين حتى تحصنوا فى قلة و ذلة، و أقبل الربيع بن زياد، أخو المهاجر، فاشتد حزنه عليه، و رق له أبو موسى للذى رآه دخله من مصاب أخيه، فخلفه عليهم، و خرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان، فلقى بها جنود أهل الكوفة محاصرين جىّ، ثم انصرف إلى البصرة و قد فتح الله على الربيع بن زياد أهل بيروذ من نهرتيرى، فهزمهم و جمع السبى و الأموال، فتنقى أبو موسى ستين غلاما من أبناء الدهاقين و عزلهم، و بعث بالفتح إلى عمر، رحمه الله، و وفد وفدا، فجاءه رجل من عنزة يقال له: ضبة بن محصن، فقال:

اكتبنى فى الوفد، فقال: قد كتبنا من هو أحق منك، فانطلق مغاضبا مراغما، و كتب أبو موسى إلى عمر بقصة الرجل.

فلما قدم الكتاب بالفتح و الوفد على عمر قدم العنزى فأتى عمر فسلم عليه، فقال:

من أنت؟ فأخبره، فقال: لا مرحبا و لا أهلا، فقال: أما المرحب فمن الله، و أما الأهل فلا أهل، فاختلف إليه ثلاثا، يقول هذا و يرد عليه هذا، حتى إذا كان اليوم الرابع فدخل عليه، فقال له: ما نقمت على أميرك؟ فقال: تنقى ستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه، و له

جاریة تدعی عقیلة، تغذی جفنة و تعشی جفنة، و لیس منا رجل یقدر علی ذلک، و له قفیزان، و له خانان، و فوض إلی زیاد، و کان زیاد هو ابن أبی سفیان، یلی أمور البصرة، و أجاز الحطیئة بألف.

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۸۳- ۱۸۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۹۸

فکتب عمر، رحمه الله، کل ما قال، و بعث إلی أبی موسی، فلما قدم حجبه أیاما، ثم دعا به، و دعا ضبة بن محصن، و دفع إلیه الکتاب، فقال: اقرأ ما کتبت، فقرأ: أخذ ستین غلاما لنفسه، فقال أبو موسی: دللت علیهم، و کان لهم فداء ففدیتهم، فأخذته فقسمته بین المسلمین، فقال ضبة: و الله ما کذب و لا کذبت، و قرأ: له قفیزان، فقال أبو موسی:

قفیز لأهلی أقوتهم به، و قفیز فی أیدیهم للمسلمین، یأخذون به أرزاقهم، فقال ضبة:

و الله ما کذب و لا کذبت، فلما ذکر عقیلة سکت أبو موسی و لم یعتذر، و علم أن ضبة قد صدقه.

قال: و زیاد یلی أمور الناس و لا یعرف هذا ما یلی، قال أبو موسی: وجدت له نبلا و رأیا، فأسندت إلیه عملی. قال: و أجاز الحطیئة بألف. قال: سددت فمه بمالی أن یشتمنی، فقال: قد فعلت ما فعلت، فرده عمر، رحمه الله، و قال: إذا قدمت فأرسل إلیّ زیادا و عقیلة، ففعل، فقدمت عقیلة قبل زیاد، و قدم زیاد فأقام بالباب، فخرج عمر و زیاد بالباب قائم و علیه ثیاب بیض کتان، فقال: ما هذه الثیاب؟ فأخبره، فقال: کم أثمانها؟

فأخبره بشیء یسیر، و صدقه، فقال له: کم عطاؤک؟ قال: ألفان، قال: ما صنعت بأول عطاء خرج لک؟ فقال: اشتریت به والدتی فأعتقتها، و اشتریت فی الثانی ربیبی عبیدا فأعتقته، فقال: وفقت، و سأله عن الفرائض و السنن و القرآن، فوجده فقیها، فرده، و أمر أمراء البصرة أن یستعینوا برأیه، و حبس عقیلة بالمدینة.

و قال عمر، رضی الله عنه: ألا- إن ضبة بن محصن غضب علی أبی موسی فی الحق أن أصابه، و فارقه مراغما أن فاته أمر من أمور الدنیا، فصدق علیه و کذب، فأفسد کذبه صدقه، فإیاکم و الکذب، فإن الکذب یهدی إلی النار.

و کان الحطیئة قد لقیه فی غزاة بیروذ، و کان أبو موسی ابتدأها فحاصرهم حتی فلهم ثم جازاهم و وکل بهم الربیع، ثم رجع إلیهم بعد الفتح فولی القسم.

و من مدح الحطیئة فی أبی موسی:

و غارة کشعاع الشمس مشعلةتهوی بکل صبیح الوجه بسام

قب البطون من التعداء قد علمتأن کل عام علیها عام الجام

مستحقبات روایاها جحافلهایسمو بها أشعری طرفه سامی

لا یزجر الطیر إن مرت به سنحاو لا یاض له قسم بأزلام

جمعت من عامر فیها و من أسدو من تمیم و ذبیان و من حام

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۹۹ و ما رضیت لهم حتی رفدتهممن وائل رهط بسطام بإصرام

فی متلف طائعا لله محتسبایرجو ثواب کریم العفو رحام

غزوة سلمة بن قیس الأشجعی الأکراد

ذکر الطبری «۱» من طریقین، کلاهما ینمی إلی سلیمان بن بریدة، و اللفظ فی الحدیثین متقارب، و ربما کان فی أحدهما زیادة علی الآخر، و أحدهما عن سیف بن عمر، و فیه: أن سلیمان بن بریدة قال: لقیت رسول سلمة بن قیس الأشجعی، فقال:

کان عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، إذا اجتمع له جیش من العرب، بعث علیهم رجلا من أهل العلم و الفقه، فاجتمع إلیه جیش، فبعث سلمة بن قیس، فقال: سر باسم الله، قاتل فی سبیل الله من کفر بالله، فإذا لقیتم عدوکم من المشرکین فادعوهم إلی ثلاث خصال: ادعوهم إلی الإسلام، فإن أسلموا و اختاروا دارهم فعلیهم فی أموالهم الزکاة، و لیس لهم فی فیء المسلمین نصیب، و إن اختاروا أن یکونوا معکم فلهم مثل الذی لکم و علیهم مثل الذی علیکم، و إن أبوا فسلوهم الخراج، فإن أعطوکموه فقاتلوا عدوکم من ورائهم، و فرغوهم لخراجهم، و لا تکلفوهم فوق طاقتهم، فإن أبوا فقاتلوهم، فإن الله ناصرکم علیهم، و إن تحصنوا منکم فی حصن فسألوکم أن ینزلوا علی حکم الله و رسوله فلا تعطوهم علی حکم الله و رسوله، فإنکم لا تدرون ما حکم الله و رسوله فیهم، و إن سألوکم أن ینزلوا علی ذمة الله و رسوله فلا تعطوهم ذمة الله و ذمة رسوله، و أعطوهم ذمم أنفسکم، فإن قاتلوکم فلا تغلوا و لا تغدروا و لا تمثلوا، و لا تقتلوا ولیدا.

قال: فلقینا عدونا من المشرکین من الأکراد، فدعوناهم إلی ما أمر به أمیر المؤمنین من الإسلام، فأبوا، فدعوناهم إلی الخراج فأبوا، فقاتلناهم، فنصرنا علیهم، فقتلنا المقاتلة و سبینا الذریة و جمعنا الرثة، فوجد فیها سلمة حقی جوهر، فجعلهما فی سقط، ثم قال:

إن هذا لا یبلغ فیکم شیئا، فإن طابت أنفسکم به لأمیر المؤمنین بعثت به إلیه، فإن له بردا و مؤونة، فقالوا: نعم، قد طابت أنفسنا، فبعثنی سلمة، یعنی بالخبر و السفط، إلی أمیر المؤمنین.

قال: فدفعت إلیه ضحی و الناس یتغدون و هو متکئ علی عصا کهیئة الراعی فی غنمه یطوف فی تلک القصاع یقول: یا یرفاء، زد هؤلاء لحما، زد هؤلاء خبزا، زد هؤلاء

---

(۱) انظر الخبر فی: الطبری (۴/ ۱۸۶- ۱۹۰)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۷/ ۱۳۲، ۱۳۳)، الکامل فی التاریخ لابن الأثیر (۳/ ۲۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۰۰

مرقة، فلما دفعت إلیه قال: اجلس، فجلست فی أدانی الناس، فإذا طعام فیه خشونة و غلظ، طعامی الذی معی أطیب منه، فلما فرغ الناس قال: یا یرفاء، ارتفع قصاعک، ثم أدبر و اتبعته، فدخل داره ثم دخل حجرته، فاستأذنت و سلمت، فأذن لی، فإذا هو جالس علی مسح متکئ علی وسادتین من أدم محشوتین لیفا، فنبذ إلیّ إحداهما، فجلست علیها، فقال: یا أم کلثوم، غداءنا، فجاءوا إلیه بقصعة فیها خبز و زیت فی عرضها ملح لم یدق، فقال لی: کل، فأکلت قلیلا، و أکل حتی فرغ، ما رأیت رجلا أحسن أکلا منه، ما یتلیس طعامه بیده و لا فمه، ثم قال: اسقونا، فجاءوا بغس، فقال: اشرب، فشربت قلیلا، شرابی الذی معی أطیب منه، فأخذه فشربه حتی قرع القدح جبهته، و قال: إنک لضعیف الأکل و الشرب، ثم قال: الحمد لله الذی أطعمنا فأشبعنا، و سقانا فأروانا.

قال: قلت: قد أکل أمیر المؤمنین فشبع، و شرب فروی، حاجتی یا أمیر المؤمنین، قال:

و ما حاجتک؟ قلت: أنا رسول سلمة بن قیس، فقال: مرحبا بسلمة و برسوله، و کأنما خرجت من صلبه، قال: حدثنی عن المهاجرین، کیف هم؟ قلت: کما تحب من السلامة و الظفر علی العدو، قال: کیف أسعارهم؟ قلت: أرخص أسعار، قال: کیف اللحم فیهم؟ فإنه شجرة العرب و لا تصلح العرب إلا بشجرتها، قلت: البقرة بکذا، و الشاة بکذا، ثم قلت: یا أمیر المؤمنین، سرنا حتی لقینا عدونا من المشرکین، فدعوناهم إلی ما أمرتنا به من الإسلام فأبوا، فدعوناهم إلی الخراج فأبوا، فقاتلناهم فنصرنا الله علیهم، فقتلنا المقاتلة و سبینا الذریة، و جمعنا الرثة، و خرج له عن الحدیث کله حتی انتهی إلی السقط و أخرجه إلیه.

قال: فلما نظر إلی تلک الفصوص من بین أحمر و أصفر و أخضر، وثب و جعل یدیه فی خاصرتیه، و قال: لا أشبع الله إذا بطن عمر! و ظن النساء أنی قد اغتلته، فکشفن الستر، فقال: یا یرفاء، جأ عنقه، فوجأ عنقی و أنا أصیح، فقال: النجاء، و أظنک ستبطئ، أما و الذی لا إله غیره لئن تفرق الناس إلی مشاتیهم قبل أن یقسم هذا فیهم لأفعلن بک و بصاحبک فاقرة، قلت: یا أمیر المؤمنین، ابدع بی فاحملنی، قال: یا برفاء، اعطه راحلتین من الصدقة، فإذا لقیت أفقر إلیهما منک فادفعهما إلیه، قلت: نعم، و ارتحلت حتی أتیت سلمة، فقلت: ما

بارك الله لى فيما اختصصتنى به، اقسم هذا فى الناس قبل أن أفضح و الله و تفضح. قال: فقسمه فيهم قبل التفرق إلى مشاتيهم، و الفص يباع بخمسة دراهم و ستة دراهم، و هو خير من عشرين ألفا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۰۱

و قد تقدم قبل فى فتح فسا و درابجرد خبر لرسول سارية بن زنيم شبيه بهذا الخبر، فالله تعالى أعلم.

و ذكر الطبرى غزوة سلمة بن قيس هذه فى سنة ثلاث و عشرين، و هى السنة التى قتل عمر، رضى الله عنه، فى آخرها، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر الخبر عن إحرام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه إلى حين مقتله

لم يزل عمر، رضى الله عنه، قائما على أمر الله، مجتهدا فيه، مجاهدا لأعدائه متعرفا منه سبحانه، من المعونة و التأييد و جميل الكفاية و العناية و الصنع ما وطأ له البلاد و دوخ الممالك، و ألقى إليه مقاليد الأمم من الفرس و الروم و الترك و الأكراد و غيرهم من الأمم و الأجيال الذين تقدم ذكرهم، و أنجز الله فى مدة خلافته معظم ما وعد به رسوله صلى اللّه عليه و سلم من الفتوح، و جمع إليه أكثر ما زواه له من الأرض، و تغلغلت جنوده فى الآفاق عند ما أذن لها فى الانسياح، حتى أمرهم آخر إمارته بالإقصار، و الكف احتياطا على المسلمين و نظرا للإسلام، و أقبل عند ما أذن لهم فى ذلك على الدعاء، و تتبع آثار العمال بالعيون و النصحاء فى السر و العلانية، و تفقد الناس فى الشرق و الغرب، إلى أن أتته منيته المحتومة، بالشهادة المقدرة له فى مصلاه، على ما يأتى الذكر له إن شاء الله تعالى.

و قد ورد فى غير موضع من الآثار ذكر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لاستشهاده مخبرا و داعيا، و هو الداعى المجاب، و الصادق المصدوق، صلوات الله و بركاته عليه.

و روى عن عوف بن مالك الأشجعى أنه رأى فى المنام على عهد أبى بكر، رحمه الله تعالى، كأن الناس جمعوا، فإذا فيهم رجل قد علاهم، فهو فوقهم بثلاثة أذرع، قال:

فقلت: من هذا؟ قالوا: عمر، قلت: و لم؟ قالوا: لأن فيه ثلاث خصال: لا يخاف فى الله لومة لائم، و إنه خليفة مستخلف، و شهيد مستشهد، قال: فأتى أبا بكر فقصها عليه، فأرسل أبو بكر إلى عمر ليبشره، قال: فجاء، فقال لى أبو بكر: اقصص رؤياك، فلما بلغت: خليفة مستخلف، زبرنى عمر و انتهرنى، و قال: اسكت، تقول هذا و أبو بكر حى.

قال: فلما كان بعد و ولى عمر، مررت بالشام و هو على المنبر، فدعانى فقال: اقصص

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۰۲

رؤياك، فقصصتها، فلما قلت: إنه لا يخاف فى الله لومة لائم، قال: إنى لأرجو أن يجعلنى الله منهم، فلما قلت: خليفة مستخلف، قال: قد استخلفنى، فأسأله أن يعيننى على ما ولانى، فلما ذكرت: شهيد مستشهد، قال: أنّى لى الشهادة و أنا بين أظهركم تغزون و لا أغزو؟ ثم قال: بلى، يأتى الله بها أنّى شاء، يأتى الله بها أنّى شاء.

و كان عمر، رحمه الله، ملازما للحج فى سنى خلافته كلها، و كان من سيرته أن يأخذ عماله بموافاته كل سنة فى موسم الحج ليحجزهم بذلك عن الرعية، و يحجر عليهم الظلم، و يتعرف أحوالهم فى قرب، و ليكون للرعية وقت معلوم ينهون إليه شكاويهم فيه.

فلما كانت السنة التى قتل منسلخها، رضى الله عنه، خرج إلى الحج على عادته، و أذن لأزواج النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فخرجن معه، فلما وقف عمر، رحمه الله، يرمى الجمرة أتاه حجر فوقع على صلعته فأدماه، و ثم رجل من بنى لهب، قبيلة من الأزد، تعرف فيها العيافة و الزجر، و إياها عنى القائل:

تيممت لهبا أبتغى العلم عندهمو قد رد علم العالمين إلى لهب فقال اللهبى عند ما أدمى عمر، رحمه الله: أشعر أمير المؤمنين لا يحج بعدها.

و یروى عن عائشة، رضى الله عنها، و حجت مع عمر تلک الحجة: أنه لما ارتحل من الحصبة أقبل رجل متلثم، قالت: فقال و أنا أسمع: أین کان منزل أمیر المؤمنین؟ فقال قائل: هذا کان منزله، فأناخ فى منزل عمر، ثم رفع عقیرته یتغنى:

علیک السلام من أمیر و بارکت ید الله فى ذلک الأدیم الممزق

فمن یسع أو یرکب جناحى نعامة لیدرک ما قدمت بالأمس یسبق

قضیت أمورا ثم غادرت بعدها بوائق فى أکمامها لم تفتق قالت عائشة: فقلت لبعض أهلى: اعلموا لى من هذا الرجل، فذهبوا، فلم یجدوا فى مناخه أحدا، قالت عائشة: فو الله إنى لأحسبه من الجن، فلما قتل عمر نحل الناس هذه الأبیات للشماخ بن ضرار أو لأخیه مزرد.

و قال سعید بن المسیب: لما صدر عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، من منى أناخ بالأبطح، ثم کوم کومة بطحاء، ثم طرح علیها رداءه و استلقى، ثم مد یدیه إلى السماء، فقال: اللهم کبرت سنى، و ضعفت قوتى، و انتشرت رعیتى، فاقبضنى إلیک غیر مضیع و لا مفرط، ثم قدم المدینة، فخطب الناس فقال: أیها الناس، قد سنت لکم السنن، و فرضت لکم الفرائض، و ترکتم على الواضحة، إلا أن تضلوا بالناس یمینا و شمالا، و ضرب بإحدى یدیه على الأخرى.

الاکتفاء، الکلاعى ،ج۲،ص:۶۰۳

قال سعید: فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل، رحمه الله.

و روى عن عمر، رحمه الله، أنه لما انصرف من حجته هذه التى لم یحج بعدها و انتهى إلى ضجنان، وقف فقال: الحمد لله و لا إله إلا الله، یعطى من یشاء ما یشاء، لقد کنت بهذا الوادى أرعى إبلا للخطاب، و کان فظا غلیظا یتعبنى إذا عملت، و یضربنى إذا قصرت، و قد أصبحت و أمسیت و لیس بینى و بین الله أحد أخشاه، ثم تمثل:

لا شىء مما ترى تبقى بشاشته یبقى الإله و یودى المال و الولد

لم تغن عن هرمز یوما خزائنه و الخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

و لا سلیمان إذ تجرى الریاح له و الإنس و الجن فیما بینها برد

أین الملوک التى کانت نوافلها من کل أوب إلیها وافد یفد

حوض هنالک مورود بلا کذب لا بد من ورده یوما کما وردوا ثم إن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، بعد أن قدم المدینة من حجه خرج یوما یطوف بالسوق، فلقیه أبو لؤلؤة غلام المغیرة بن شعبة، و کان نصرانیا، فقال: یا أمیر المؤمنین، أعدنى على المغیرة، فإن علیّ خراجا کثیرا، قال: و کم خراجک؟ قال: درهمان فى کل یوم، قال: و أیش صناعتک؟ قال: نجار، نقاش، حداد، قال: فما أرى خراجک کثیرا على ما تصنع من الأعمال، قال: و بلغنى أنک تقول: لو أردت أن أعمل رحا تطحن بالریح لفعلت، قال: نعم، قال: فاعمل لى رحا، قال: لئن سلمت لأعملن لک رحا یتحدث بها من بالمشرق و المغرب، ثم انصرف عنه، فقال عمر: لقد توعدنى العلج آنفا، ثم انصرف عمر إلى منزله.

فلما کان من الغد جاءه کعب الأحبار، فقال: یا أمیر المؤمنین، اعهد، فإنک میت فى ثلاثة أیام، قال: و ما یدریک؟ قال: أجده فى کتاب الله، التوراة، فقال عمر: آلله إنک لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة؟ قال: اللهم لا، و لکن أجد صفتک و حلیتک، بأنه قد فنى أجلک، و عمر لا یحس وجعا و لا ألما، فلما کان من الغد جاءه کعب فقال: یا أمیر المؤمنین، ذهب یوم و بقى یومان، ثم جاء من بعد الغد فقال: ذهب یومان و بقى یوم و لیلة، و هى لک إلى صبحها، فلما کان الصبح خرج عمر إلى الصلاة، و کان یوکل بالصفوف رجالا، فإذا استوت أخبروه فکبر، و دخل أبو لؤلؤة فى الناس فى یده خنجر له رأسان نصابه فى وسطه، فضرب به عمر ست ضربات، إحداهن تحت سرته، هى التى قتلته، فلما وجد عمر حر السلاح سقط، و قال: دونکم الکلب فإنه قتلنى، و ماج الناس و أسرعوا إلیه، فجرح منهم ثلاثة عشر رجلا، حتى جاء رجل منهم فاحتضنه من خلفه،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۰۴

و قیل: ألقی علیه برنسا، فقیل: إنه لما أخذ قتل نفسه. و قال عمر، رضی الله عنه، عند ما سقط: أ فی الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم یا أمیر المؤمنین، هو ذا، قال: تقدم فصل بالناس. قال: فصلی عبد الرحمن بن عوف، و حمل عمر إلی منزله، فدعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: إنی أرید أن أعهد إلیک، قال: أنشدک الله یا أمیر المؤمنین، أ تشیر علیّ بذلک؟ قال: اللهم لا، قال: و الله لا أدخل فیه أبدا، قال: فهبنی صمتا حتی أعهد إلی النفر الذین توفی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و هو عنهم راض، ادع لی علیا و عثمان و الزبیر و سعدا، قال: و انتظروا أخاکم طلحة ثلاثا، فإن جاء و إلا فاقضوا أمرکم، أنشدک الله یا علی إن ولیت من أمر الناس شیئا أن تحمل بنی هاشم علی رقاب الناس، و أنشدک یا عثمان إن ولیت من أمور الناس شیئا أن تحمل بنی أبی معیط علی رقاب الناس، و أنشدک یا سعد إن ولیت من أمور الناس شیئا أن تحمل أقاربک علی رقاب الناس، قوموا فتشاوروا، ثم اقضوا أمرکم، و لیصل بالناس صهیب، و أمرهم أن یحضر معهم عبد الله بن عمر علی أن لا یکون له فی الأمر شیء.

ثم دعا أبا طلحة الأنصاری، فقال: قم علی بابهم لا تدع أحدا یدخل إلیهم، و أوصی الخلیفة من بعدی بالأنصار الذین تبوؤا الدار و الإیمان، أن یحسن إلی محسنهم، و أن یتجاوز عن مسیئهم، و أوصی الخلیفة من بعدی بالعرب، فإنها مادة الإسلام، أن تؤخذ صدقات أغنیائهم فتوضع فی فقرائهم، و أوصی الخلیفة من بعدی بذمة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أن یوفی لهم بعهدهم، اللهم هل بلغت، ترکت الخلیفة من بعدی علی أنقی من الراحة، یا عبد الله بن عمر، اخرج فانظر من قتلنی، فقال: یا أمیر المؤمنین، قتلک أبو لؤلؤة غلام المغیرة بن شعبة، قال: الحمد لله الذی لم یجعل منیتی بید رجل سجد لله سجدة واحدة، یحاجنی بلا إله إلا الله، یا عبد الله، إن اختلف القوم فکن مع الأکثر، و إن کانوا ثلاثة و ثلاثة فاتبع الحرب الذی فیه عبد الرحمن بن عوف، یا عبد الله، ائذن للناس، فجعل یدخل علیه المهاجرون و الأنصار فیسلمون علیه، و یقول لهم: أ عن ملأ منکم کان هذا؟

فیقولون: معاذ الله، و دخل فی الناس کعب، فلما نظر إلیه عمر أنشأ یقول:

و أوعدنی کعب ثلاثا أعدهاو لا شک أن القول ما قاله کعب

و ما بی حذار الموت إنی لمیتو لکن حذار الذنب یتبعه الذنب فقیل له: لو دعوت الطبیب، فدعی له طبیب من بنی الحارث بن کعب، فسقاه نبیذا فخرج مشکلا، فقال: اسقوه لبنا، فخرج اللبن أبیض، فقال له الطبیب: لا أری أن تمسی، فما کنت فاعلا فافعل. و فی روایة أنه قیل له عند ذلک: یا أمیر المؤمنین، اعهد،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۰۵

قال: قد فرغت، و قال لعبد الله ابنه: یا عبد الله، اذهب إلی عائشة، فاسألها أن تأذن لی أن أدفع مع النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و أبی بکر. و فی روایة أنه قال له: اذهب إلی عائشة فقل لها: إن عمر یستأذن أن یدفن مع صاحبیه، و لا تقل أمیر المؤمنین، فإنی لست الیوم بأمیر المؤمنین، فذهب إلیها عبد الله فوجدها تبکی، فذکر لها ذلک، فقالت: نعم، قد کنت أردته لنفسی و لأوثرنه الیوم علی نفسی، فرجع إلیه عبد الله و هو متطلع إلیه، فقال: ما قالت لک؟ قال: أذنت، قال: الحمد لله، ما کان علیّ أمر أهم من هذا، فإذا أنا مت فاغسلنی، ثم احملنی، و أعد علیها الاستئذان، فإذا أذنت و إلا فاصرفنی إلی مقابر المسلمین.

فلما توفی، رحمه الله و رضی عنه، خرجوا به، فصلی علیه صهیب، و دفن فی بیت عائشة، رضی الله عنه و عنها.

و یروی أنه لما احتضر قال و رأسه فی حجر ابنه عبد الله، رضی الله عنهما:

ظلوم لنفسی غیر أنی مسلمأصلی الصلاة کلها و أصوم و کان مقتله لأربع بقین من ذی الحجة من سنة ثلاث و عشرین، و قیل: لثلاث بقین منه، و قیل: إن وفاته کانت غرة المحرم من سنة أربع و عشرین.

و نزل فی قبره عثمان و علی و عبد الرحمن بن عوف و الزبیر و سعد بن أبی وقاص، و قیل: صهیب و ابنه عبد الله بن عمر عوضا من الزبیر و سعد.

و اختلف فی مبلغ سنه یوم توفی، و أشهر ما فی ذلک أنه توفی ابن ثلاث و ستین سنة، و أنه استوفی عدة خلافته سن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم التی توفی لها، و سن أبی بکر الصدیق، رضی الله عنهما.

و یروی عن عامر الشعبی أنه لما طعن عمر، رضی الله عنه، دخل علیه عبد الله بن عباس، فقال: یا أمیر المؤمنین، أبشر بالجنة، فقال: ما تقول؟ قال: اللهم نعم، أسلمت حین کفر الناس، و قاتلت مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حین خذله الناس، و مات نبی الله صلی اللّه علیه و سلم و هو عنک راض، و لم یختلف فی خلافتک رجلان، ثم قتلت شهیدا، فقال عمر: و الله إن من تغرونه لمغرور، و الله لو أن لی ما طلعت علیه الشمس من صفراء و بیضاء لافتدیت به من هول المطلع.

و عن ابن عباس أیضا قال: لما وضع عمر فی أکفانه، اکتنفه الناس یصلون علیه

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۰۶

و یدعون، فإذا أنا برجل قد زحمنی من خلفی، فنظرت، فإذا علی بن أبی طالب، رضی الله عنه، فقام فدعا له و ترحم علیه، ثم قال: و الله ما أصبح أحد أحب إلیّ من أن ألقی الله بمثل صحیفته منک، و إنی لأرجو أن یجعلک الله مع صاحبیک؛ لأنی کثیرا ما سمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول: «خرجت أنا و أبو بکر و عمر»، و دخلت أنا و أبو بکر و عمر، و فعلت أنا و أبو بکر و عمر» «۱»، فإنی أرجوا أن یجعلک الله مع صاحبیک.

و ذکر عبد الله بن مسعود یوما عمر، رضی الله عنه، فهملت عیناه و هو قائم حتی بل الحصی، ثم قال: إن عمر کان حائطا کثیفا یدخله المسلمون و لا یخرجون منه، فلما مات عمر انثلم الحائط فهم یخرجون و لا یدخلون، و ما من أهل بیت من المسلمین لم تدخل علیهم مصیبة من موت عمر إلا أهل بیت سوء، فإذا ذکر الصالحون فحیّ هلا بعمر.

و روی أنس، عن أبی طلحة أنه قال: و الله ما أهل بیت من المسلمین إلا و قد دخل علیهم لموت عمر، رضی الله عنه، نقص فی دینهم و فی دنیاهم.

و عن أبی وائل قال: خرج حذیفة إلی المدائن و هم یذکرون الدجال، فأخبرنا مسروق أنه سأله عن ذلک، فقال: نجب تجیء من هاهنا تنعی عمر.

و عن حذیفة أیضا قال: کان الإسلام کالرجل المقبل لا یزداد إلا قربا، فلما قتل عمر، رضی الله عنه، کان کالرجل المدبر، لا یزداد إلا بعدا.

و قالت عاتکة ابنة زید بن عمرو بن نفیل، امرأة عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، ترثیه:

و فجعنی فیروز لا در دره‌بأبیض تال للکتاب منیب

رءوف علی الأدنی غلیظ علی العداأخی ثقة فی النائبات نجیب

متی ما یقل لا یکذب القول فعله‌سریع إلی الخیرات غیر قطوب و مما ینسب إلی الشماخ بن ضرار، و إلی أخیه مزرد بن ضرار أنه قال فی عرم بن الخطاب، و یروی عن عائشة أن الجن بکت به علی عمر، رحمه الله، قبل أن یقتل بثلاث، و قد تقدم ذکر بعض هذا الشعر:

أبعد قتیل بالمدینة أظلمت‌له الأرض تهتز العضاة بأسوق

جزی الله خیرا من إمام و بارکت‌ید الله فی ذاک الأدیم الممزق

---

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۵/ ۱۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۰۷ و ما کنت أخشی أن تکون وفاته‌بکفی سبنتی أزرق العین مطرق و قبل هذا البیت بیتان قد تقدما قبل، فلذلک حذفناهما الآن هنا اختصارا.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۰۸

ذكر خلافة ذى النورين أبى عمرو عثمان بن عفان أمير المؤمنين، رضى الله عنه و مبايعة أهل الشورى له بعد وفاة عمر، رضى الله عنه

و لما مضى عمر، رحمه الله، لسبيله، تفاوض أهل الشورى فيما بينهم ثلاثا بعد وفاته، و انصرف أمر جميعهم إلى عبد الرحمن بن عوف، رضى الله عنه، فبائع لعثمان، رحمه الله، فبايعه بقية أهل الشورى، و كافة الصحابة، رضى الله عن جميعهم، و ذلك يوم السبت غرة المحرم من سنة أربع و عشرين.

و ذكر سيف «۱» بإسناد له، أنه لما بايع أهل الشورى عثمان، رحمه الله، خرج و هو أشدهم كآبة، فأتى منبر النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فخطب الناس، فحمد الله و أثنى عليه، و صلى على نبيه صلى اللّه عليه و سلم، ثم قال: إنكم فى دار قلعة، و فى بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم، ألا و إن الدنيا طويت على الغرور، فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ [لقمان: ۳۳]، اعتبروا بمن مضى، ثم جدوا و لا تغفلوا، فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا و إخوانها الذين آثروها و عمروها و متعوا بها طويلا أ لم تلفظهم؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، و اطلبوا الآخرة، فإن الله ضرب لها مثلها، و الذى هو خير، فقال: وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً الْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيْرٌ أَمَلًا [الكهف: ۴۴، ۴۵].

و ذكر سيف «۲» أن أول كتاب كتبه عثمان، رضى الله عنه، إلى عماله:

أما بعد، فإن الله عز و جل أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، و لم يتقدم إليهم فى أن يكونوا جباة، و إن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة، و لم يخلقوا جباة، و ليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة و لا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء و الأمانة و الوفاء، ألا و إن أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور الناس و فيما عليهم، فتعطوهم ما لهم، و تأخذوهم بما عليهم،

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۲۴۳).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۲۴۴، ۲۴۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۰۹

ثم تثنوا بالذمة، فتعطوهم الذى لهم، و تأخذوهم بالذى عليهم، ثم العدو الذى تنتابون، فاستفتحوا عليهم بالوفاء.

قال «۱»: و أول كتاب كتبه إلى أمراء الجنود فى الفروج:

أما بعد، فإنكم حماة المسلمين و ذادتهم، و قد وضع لكم عمر، رحمه الله، ما لم يغب عنا، بل كان عن ملأ منا، فلا يبلغنى عن أحد منكم تغيير و لا تبديل فيغير الله بكم و يستبدل بكم غيركم، فانظروا كيف تكونون؟ فإنى أنظر فيما ألزمنى الله النظر فيه و القيام عليه.

و كتب، رحمه الله، إلى عمال الخراج:

أما بعد، فإن الله تعالى خلق الخلق بالحق، و لا يقبل إلا الحق، خذوا الحق و أعطوا الحق به، و الأمانة الأمانة، قوموا عليها، و لا تكونوا أول من سلبها، فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم، و الوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم و لا المعاهد، فإن الله و رسوله خصم لمن ظلمهم.

و كان كتابه إلى العامة:

أما بعد، فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء و الإتباع، فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، و بلوغ أولادكم من السبايا، و قراءة الأعراب و الأعاجم القرآن، فإن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «الكفر فى العجمة، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا و ابتدعوا».

و زاد عثمان، رضى الله عنه، الناس فى أعطياتهم مائة مائة، و هو أول خليفة زاد الناس فى العطاء، و كان عمر، رحمه الله، يجعل لكل نفس منفوسة من أهل الفيء فى رمضان درهما فى كل يوم، و فرض لأزواج النبىّ صلى اللّه عليه و سلم درهمين درهمين، فقيل له: لو وضعت لهم طعاما فجمعتهم عليه، فقال: أشبع الناس فى بيوتهم، فأقر عثمان الذى صنع عمر، و زاد فوضع طعام رمضان للمتعبد الذى يبيت فى المسجد و لابن السبيل و للمثوبين بالناس فى رمضان.

و كان فى مدة خلافته، رحمه الله، فتوح عظام فى البر و البحر، و هو أول من أغزى فيه، و قد تقدم ذكر كثير من ذلك كإفريقية و غزوة ذات الصوارى فى البحر على يدى

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۲۴۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱۰

عبد الله بن سعد، و غزوة قبرس على يدى معاوية بن أبى سفيان، و غير ذلك مما سلف فى هذا الكتاب.

و نذكر الآن من ذلك ما تيسر ذكره إن شاء الله تعالى مما لم نذكر قبل، و أكثر من ذلك مما كان قد افتتح على عهد عمر، رحمه الله، و انتقض بعد وفاته، فوجه إليه عثمان، رحمه الله، فاسترده، حتى استوثق الأمر، و انتظمت الفتوح.

ذكر غزوة الوليد بن عقبة أذربيجان و أرمينية لمنع أهلها ما صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر بن الخطاب «۱»

و يقال: إنها كانت فى السنة التى بويع فيها عثمان، و قيل: فى سنة خمس و عشرين بعدها، و قيل: فى سنة ست، ذكر ذلك كله الطبرى.

و حكى «۲» أيضا عن أبى مخنف، عن قرة بن لقيط الأزدى ثم العامرى: أن مغازى أهل الكوفة كانت الرى و أذربيجان، و كان بالبحرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة، ستة آلاف بأذربيجان، و أربعة آلاف بالرى، و كان بالكوفة إذ ذاك أربعون ألف مقاتل، و كان يغزو هذين المصرين منهم عشرة آلاف كل سنة، فكان الرجل تصيبه فى كل أربع سنين غزوة، فغزا الوليد بن عقبة فى أزمانه على الكوفة فى سلطانه عثمان أذربيجان و أرمينية، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلى، فبعثه أمامه مقدمة له، و خرج الوليد فى جماعة الناس يريد أن يمعن فى أرض أرمينية، فمضى حتى دخل أذربيجان، فبعث عبد الله بن شبل بن عوف الأحمسى فى أربعة آلاف، فأغار على أهل موقان و الببر و الطيلسان، فأصاب من أموالهم و غنم، و سبى سبيا يسيرا، و تحرز القوم منه، فأقبل بذلك إلى الوليد.

ثم إن الوليد صالح أهل أذربيجان على ثمانمائة ألف درهم، و ذلك هو الصلح الذى كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان أيام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، ثم حبسوها بعد وفاته، فلما وطئهم الوليد بالجيش، انقادوا و طلبوا إليه أن يتم لهم على ذلك صلح ففعل، و قبض منهم المال، و بث الغارات فيمن حولهم من أعداء الإسلام، فبعث سلمان ابن ربيعة إلى أرمينية فى اثنى عشر ألفا، فسار فى أرضها، فقتل و سبى، و غنم و انصرف

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۲۴۶، ۲۴۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۱۴۹، ۱۵۰)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۲/ ۴۳، ۴۴).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۲۴۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱۱

مملوء اليدين إلى الوليد، فانصرف الوليد و قد ظفر و أصاب حاجته. فلما دخل الموصل راجعا أتاه كتاب من عثمان، رحمه الله:

أما بعد، فإن معاوية بن أبى سفيان كتب إلىّ يخبرنى أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع كثيرة عظيمة، و قد رأيت أن يمدهم

إخوانهم من أهل الكوفة، فإذا أتاك كتابى هذا فابعث رجلا ممن ترضى نجدته و بأسه و شجاعته و سخاءه و إسلامه فى ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذى يأتيك فيه رسولى، و السلام.

فقام الوليد فى الناس، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإن الله قد أبلى المسلمين فى هذا الوجه بلاء حسنا، فرد عليهم بلادهم التى كفرت، و فتح بلادا لم تكن افتتحت، و ردهم سالمين غانمين مأجورين، و الحمد لله رب العالمين. و قد كتب إلىّ أمير المؤمنين أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف إلى ثمانية آلاف، تمدون إخوانكم من أهل الشام، فإنهم قد جاشت عليهم الروم، و فى ذلك الأجر العظيم، و الفضل المبين، فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة، فانتدب الناس، فلم يمض ثلاثة أيام حتى خرج فى ثمانية آلاف من أهل الكوفة، فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم، فشنوا عليهم الغارات، و أصابوا ما شاءوا من سبى، و ملأوا أيديهم من المغانم، و افتتحوا بها حصونا كثيرة.

و كان على أهل الشام حبيب بن مسلمة، و سلمان على أهل الكوفة، و زعم الواقدى أن سعيد بن العاص هو الذى أمد حبيبا بسلمان، و أن سبب ذلك أن عثمان، رضى الله عنه، أمر معاوية بإغزاء حبيب فى أهل الشام و أرمينية، فوجهه إليها معاوية، فبلغ حبيبا أن الموريان الرومى قد توجه نحوه فى ثمانين ألفا من الروم و الترك، فأعلم بذلك معاوية فكتب معاوية إلى عثمان، فكتب عثمان إلى سعيد بإمداد حبيب، فأمده بسلمان فى ستة آلاف، و كان حبيب صاحب كيد، فأجمع على أن يبيت الموريان، فسمعته امرأته، أم عبد الله بنت يزيد الكلبية، يذكر ذلك، فقالت له: فأين موعدك؟ قال: سرادق الموريان أو الجنة، ثم بيتهم، فقتل من اشرأب له، و أتى السرادق فوجد امرأته قد سبقت، فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق، ثم مات عنها حبيب، فخلف عليها الضحاك ابن قيس الفهرى، فهى أم ولد.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۶۱۲

ذكر انتقاض فارس، و مسير عبد الله بن عامر إليها و فتحه إياها «۱»

و لما ولى عثمان، رحمه الله، أقر أبا موسى الأشعرى على البصرة ثلاث سنين، و عزله فى الرابعة، و أمر على خراسان عمير بن عثمان بن سعد، و على سجستان عبيد الله بن عمير الليثى من بنى ثعلبة، فأثخن فيها إلى كابل، و أثخن عمير فى خراسان حتى بلغ فرغانة، فلم يدع دونها كورة إلا أصلحها، و بعث إلى مكران عبيد الله بن معمر التيمى، فأثخن فيها حتى بلغ النهر، و بعث على كرمان عبيد الله بن عنبس، و بعث إلى فارس و الأهواز نفرا، و أبو موسى فى كل ذلك على البصرة.

فلما كان فى السنة الثالثة كفر أهل ايذج و الأكراد، فنادى أبو موسى فى الناس، و حضهم، و ذكر من فضل الجهاد فى الرجلة، حتى حمل نفر على دوابهم، و أجمعوا على ألا يخرجوا إلا رجالة، ثم نشأ بينه و بين أهل البصرة فى هذا الاستنفار ما نفرهم عنه، و طلبوا إلى عثمان أن يديلهم عنه، فدعا عثمان عند ذلك عبد الله بن عامر، فأمره على البصرة و صرف عبيد الله بن معمر إلى فارس، و استعمل مكانه عمير بن عثمان بن سعد، و استعمل على خراسان أمين بن أحمر اليشكرى، و على سجستان عمران بن الفضل البرجمى، و على كرمان عاصم بن عمرو، فمات بها.

فجاشت فارس فانتفضت بعبيد الله بن معمر، و اجتمعوا له باصطخر، فالتقوا على بابها، فقتل عبيد الله، و بلغ الخبر عبد الله بن عامر، فاستنفر أهل البصرة إليهم، و خرج فى الناس و على مقدمته عثمان بن أبى العاص، فالتقى هو و أهل فارس باصطخر، فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يزالوا منها فى ذل، و كتب بذلك إلى عثمان بن عفان، فكتب إليه يأمره أن يولى على كور فارس نفرا سماهم له، و فرق خراسان بين ستة نفر، منهم الأحنف بن قيس على المروين.

ذكر مقتل يزدجرد «۱»

قال الطبرى «۲»: اختلف فى سبب قتله، كيف كان؟ فذكر عن ابن إسحاق أن يزدجرد هرب من كرمان فى جماعة ليسير إلى مرو، فسأل مرزبانها مالا فمنعه، فخافوا على أنفسهم، فأرسلوا إلى الترك يستنصرون بهم عليه، فأتوه فبيتوه، و قتلوا أصحابه، و قيل: بل أهل مرو هم الذين بيتوه لما خافوه، و لم يستجيشوا عليه الترك، فقتلوا أصحابه، و خرج هاربا على رجليه، معه منطقته و سيفه و تاجه، حتى أتى إلى منزل نقار على شط المرغاب، فلما غفل يزدجرد، و قيل: لما نام، قتله النقار و أخذ متاعه، و ألقى جسده فى المرغاب، فأصبح أهل مرو فاتبعوا أثره، حتى خفى عليهم عند منزل النقار، فأخذوه لهم بقتله، و أخرج متاعه، فقتلوا النقار و أهل بيته، و أخذ متاعه و متاع يزدجرد و أخرجوه من المرغاب فجعلوه فى تابوت خشب، فزعم بعضهم أنه حمل إلى اصطخر فدفن بها فى أول سنة إحدى و ثلاثين.

و كان يزدجرد قد وطئ امرأة بمرو، فولدت منه بعد مقتله غلاما ذاهب الشق، فسمى المخدج، و عاش حتى ولد له أولاد بخراسان، فوجد قتيبة حين افتتح الصغد أو غيرها جاريتين فقيل له: إنهما من ولد المخدج، فبعث بهما أو بإحداهما إلى الحجاج بن يوسف فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك، فولدت له يزيد بن الوليد بن عبد الملك الناقص.

و ذكر عن المدائنى أن يزدجرد أتى خراسان، و معه خرزادمهر أخو رستم، فقال لمرزبان مرو و اسمه ماهويه: إنى قد أسلمت إليك الملك، ثم أقام بمرو و هم بعزل ماهويه، فكتب ماهويه إلى الترك يخبرهم بمكانه و عاهدهم على المؤازرة عليه و خلى لهم الطريق،

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۲۹۳- ۳۰۰)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۱۵۸، ۱۵۹)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۳/ ۵۹- ۶۱).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۲۹۳، ۲۹۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱۵

فأقبلوا إلى مرو و خرج إليهم يزدجرد فى أصحابه، فقاتلهم و معه ماهويه فى أساورة مرو، فأثخن فى الترك حتى خشى ماهويه أن ينهزموا، فتحول إليهم فى أساورة مرو، فانهزم جند يزدجرد و قتلوا، و عقر عند المساء فرس يزدجرد، فمضى ماشيا هاربا حتى انتهى إلى بيت فيه رحى على شط المرغاب، فمكث فيه ليلتين، فطلبه ماهويه فلم يقدر عليه إلى أن دخل صاحب الرحى بيته فى اليوم الثانى، فرأى يزدجرد، فقال: ما أنت؟ إنسى أم جنى؟ قال: إنسى، فهل عندك طعام؟ قال: نعم، فأتاه به، فقال: إنى مزموم، فأتنى بما أزمزم به.

فذهب الطحان إلى بعض الأساورة، فطلب منه ما يزمزم به، قال: و ما تصنع به؟

فقال: عندى رجل لم أر مثله قط، و قد طلب هذا منى، فجاء الأسوار بالطحان إلى ماهويه، فأخبره فقال: هذا يزدجرد، اذهبوا فجيئونى برأسه، فقال له الموبذ: ليس ذلك إليك، قد علمت أن الدين و الملك مقترنان، لا يستقيم أحدهما إلا بالآخر، و متى فعلت انتهكت الحرمة العظيمة، و تكلم الناس فأعظموا ذلك، فشتمهم ماهويه و قال للأساورة:

من تكلم فاقتلوه، و أمر عدة فذهبوا مع الطحان ليقتلوا يزدجرد، فانطلقوا، فلما رأوه كرهوا قتله، و تدافعوا ذلك، و قالوا للطحان: ادخل فاقتله، فدخل عليه و هو نائم و معه حجر فشدخ به رأسه، ثم اجتزه فدفعه إليهم، و ألقى جسده فى المرغاب، فخرج قوم من أهل مرو فقتلوا الطحان و هدموا أرحاءه.

و ذكر الطبرى «۱» حديثين مختلفين مطولين، و أحدهما أطول من الآخر يتضمن ضروبا من الاضطرابات تقلب فيها، و أنواعا من الدوائر دارت عليه، حتى كانت منيته آخرها، و فيه أن رجال ماهويه الذين وجههم لطلب يزدجرد و أمرهم بقتله لما انتهوا إلى الطحان، فسألوه عنه، فأنكره، فضربوه ليدل عليه فلم يفعل، فلما أرادوا الانصراف قال أحدهم:

إنى أجد ريح المسك، و نظر إلى طرف ثوب من ديباج فى الماء، فاجتذبه، فإذا هو يزدجرد، فسأله ألا يقتله و لا يدل عليه، و جعل له سواره و خاتمه و منطقته، فأبى عليه إلا أن يعطيه دراهم و يخلى عنه، و لم يكن ذلك عند يزدجرد، فقال: قد كنت أخبر أنى سأحتاج إلى أربعة دراهم، و قال للرجل: ويحك، خاتمى لك، و ثمنه لا يحصى، فأبى و أنذر أصحابه، فأتوه، فطلب إليهم يزدجرد ألا يقتلوه،

و قال: ويحكم، إنا نجد فى كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق فى الدنيا، مع ما هو قادم عليه، فلا تقتلونى و ائتوا بى إلى الدهقان، أو سرحونى إلى العرب، فإنهم يستحيون مثلى من

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۲۹۸)، الأخبار الطوال (ص ۱۳۹، ۱۴۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱۶

الملوك، فأخذوا ما كان عليه من الحلى، فجعلوه فى جراب و ختموا عليه، ثم خنقوه بوتر، و طرحوه فى نهر مرو.

و فى آخر الحديث «۱»: أنه لما بلغ مقتله رجلا من أهل الأهواز كان مطرانا على مرو، جمع من كان قبله من النصارى، و قال لهم: إن ملك الفرس قد قتل، و هو ابن شهريار بن كسرى، و لهذا الملك عنصر فى النصرانية، و إنما شهريار ولد شيرين التى قد عرفتم حقها و إحسانها إلى أهل ملتها فى غير وجه، مع ما نال النصارى فى مملكة جده كسرى من الشرف، و قبل ذلك فى مملكة ملوك من أسلافه، حتى بنى لهم بعضهم البيع، و سدد لهم بعضهم، يعنى للنصارى، ملتهم فينبغى لنا أن نحزن لقتل هذا الملك و نظهر من كرامته بقدر ما كان من إحسان سلفه وجدته إلى النصارى، و قد رأيت أن أبنى له ناووسا، و أحمل جثته فى كرامة حتى أواريها.

فقال له النصارى: أمرنا لأمرك تبع، و نحن لك على رأيك هذا مواطئون، فأمر المطران ببناء ناووس فى جرف بستان المطارنة بمرو، و مضى بنفسه و معه نصارى مرو حتى استخرج جثة يزدجرد من النهر و كفنها و جعلها فى تابوت و حملها هو و أولئك النصارى على عواتقهم حتى أتوا به الناووس الذى بنى له و واروه فيه، و ردموا بابه، فكان ملك يزدجرد عشرين سنة، منها أربع سنين فى دعة و ست عشرة فى تعب من محاربة العرب إياه.

و كان آخر ملك من آل أردشير بن بابك، و صفا الملك بعده للعرب، فسبحان ذى العظمة و الملكوت، الملك الحق الدائم الذى لا يموت، لا إله إلا هو، كل شىء هالك إلا وجهه، له الحكم و إليه ترجعون.

ذكر فتح أبرشهر، و طوس، و بيورد، و نسا، و سرخس، و صلح مرو

ذكر الطبرى «۲» أن ابن عامر لما فتح فارس قام إليه أوس بن حبيب التميمى، فقال:

أصلح الله الأمير إن الأرض بين يديك، و لم تفتح من ذلك إلا القليل، فسر فإن الله ناصرك، قال: أو لم نأمرك بالمسير؟ و كره أن يظهر له أنه قبل رأيه.

و ذكر فى بعض ما ذكره عن المدائنى أن ابن عامر لما فتح فارس رجع إلى البصرة

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۳۰۰).

(۲) انظر: تاريخ الملوك و الرسل للطبرى (۳/ ۳۰۰- ۳۰۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱۷

و استعمل على اصطخر شريك بن الأعور الحارثى، فدخل على ابن عامر رجل من بنى تميم يقال له: الأحنف، و قيل غيره، فقال له: إن عدوك منك هارب، و لك هائب، و البلاد واسعة، فسر فإن الله ناصرك و معز دينه.

فتجهز ابن عامر و أمر الناس بالتجهيز للمسير، و استخلف على البصرة زيادا، و سار إلى كرمان، ثم أخذ إلى خراسان.

قال: و أشياخ كرمان يذكرون أنه نزل العسكر بالسيرجان، و سار إلى خراسان، و استعمل على كرمان مجاشع بن مسعود، و أخذ ابن عامر على مفازة رابر، و هى ثمانون فرسخا، ثم سار إلى الطبسين يريد أبرشهر، و هى مدينة نيسابور، و على مقدمته الأحنف ابن قيس، فأخذ إلى قهستان، و خرج إلى أبرشهر فلقيته الهياطلة فقاتلهم الأحنف فهزمهم، ثم أتى ابن عامر نيسابور، و افتتح ابن عامر مدينة

أبرشهر، قيل: صالحا، و قيل:

عنوة، و فتح ما حولها: طوس و بيورد و نسا و حمران و سرخس.

و يقال: إنه بعث إلى سرخس عبد الله بن خازم ففتحها، و أصاب جاريتين من آل كسرى.

و يروى أن أهل أبرشهر لما فتحها ابن عامر صالحا فى قول من قال ذلك، أعطوه جاريتين من آل كسرى.

و عن أشياخ من أهل خراسان: أن ابن عامر سرح الأسود بن كلثوم، من عدى الرباب، إلى بيهق، و هى من أبرشهر، بينهما ستة عشر فرسخا، ففتحها، و قتل الأسود، و كان فاضلا فى دينه و من أصحاب عامر بن عبد قيس، و كان عامر يقول بعد ما خرج من البصرة: ما آسى من العراق على شيء إلا على ظماء الهواجر و تجاوب المؤمنين، و إخوان مثل الأسود بن كلثوم.

و يروى أن ابن عامر لما غلب على من بنيسابور أرسل إله أهل مرو يطلبون الصلح، فبعث إليهم حاتم بن النعمان، فصالح مرزبان مرو على ألفى ألف و مائتى ألف. الاكتفاء، الكلاعى ج ۲ ۶۱۷ ذكر فتح أبرشهر، و طوس، و بيورد، و نسا، و سرخس، و صلح مرو ..... ص : ۶۱۶

قال مقاتل بن حيان: على ستة آلاف ألف و مائتى ألف.

قال الطبرى «۱»: و فى سنة اثنتين و ثلاثين كانت غزوة معاوية بن أبى سفيان مضيق القسطنطينية، و معه زوجته عاتكة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف،

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۳۰۴، ۳۰۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱۸

و قيل: فاختة. و استعمل سعيد بن العاص، سلمان بن ربيعة على فرج بلنجر، و أمد الجيش الذى كان به مقيما مع حذيفة بأهل الشام، عليهم حبيب بن مسلمة.

و كان عثمان، رحمه الله، قد أمر سعيدا بإغزاء سلمان، فيما ذكره سيف عن بعض رجاله، و كتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة، الذى يقال له: ذو النور، و هو على الباب: أن الرعية قد أبطر كثيرا منها البطنة، فقصر و لا تقتحم بالمسلمين، فإنى خاش أن يبتلوا، فلم يزجر ذلك عبد الرحمن عن غايته، فغزا فى السنة التاسعة من إمارة عثمان حتى إذا بلغ بلنجر حصرها و نصب عليها المجانيق و العرادات، فجعل لا يدنو منها أحد إلا أعنتوه أو قتلوه، و أسرعوا فى الناس.

ثم إن الترك اتعدوا يوما، فخرج أهل بلنجر، و توافى إليهم الترك فاقتتلوا فأصيب عبد الرحمن، ذو النور، فانهزم المسلمون و تفرقوا.

و قد تقدم ذكر مقتله قبل، و أن المشركين احتازوه إليهم فجعلوه فى سفط، فكانوا يستسقون به بعد و يستنصرون به.

و ذكر سيف من بعض طرقه «۱»: أنه لما تتابعت الغزوات على الخزر تذامروا و تعايروا و قالوا: كنا أمة لا يقوم لها أحد حتى جاءت هذه الأمة القليلة فصرنا لا نقوم لها، فقال بعضهم: إنهم لا يموتون، و لو كانوا يموتون لما افتتحوا علينا. ثم كمنوا فى الغياض ليجربوا، فرموا بعض من مر بهم فى ذلك الكمين من جند المسلمين فقتلوهم، فعند ذلك تداعوا إلى الحرب و تواعدوا يوما، فاقتتلوا فقتل عبد الرحمن و تفرق الناس فرقتين، فرقة نحو الباب فحماهم سلمان الفارسى حتى أخرجهم، و فرقة نحو الخزر، فطلعوا على جيلان و جرجان، فيهم سلمان الفارسى و أبو هريرة.

و قال بعضهم: غزا أهل الكوفة ثمان سنين من إمارة عثمان، رضى الله عنه، لم تئم فيهن امرأة، و لم ييتم فيهن صبى من قتل حتى كان، يعنى فى السنة التاسعة، فكان ما ذكر من قتل عبد الرحمن بن ربيعة و من أصيب معه.

ذكر فتح مروالروذ و الطالقان و الفارياب و الجوزجان و طخارستان

ذكر الطبرى «٢» بإسناده عن ابن سيرين قال: بعث ابن عامر، الأحنف بن قيس إلى

---

(١) انظر: الطبرى (٣/ ٣٠٥، ٣٠۶).

(٢) انظر: الطبرى (۴/ ٣١٠- ٣١٣).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۶١٩

مروالروذ، فحصر أهلها، فخرجوا إليهم فقاتلوهم، فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حصونهم، فأشرفوا عليهم، فقالوا: يا معشر العرب، ما كنتم عندنا كما نرى، لو علمنا أنكم كما نرى لكاتب لنا و لكم حال غير هذه، فأمهلونا ننظر فى يومنا، و ارجعوا إلى عسكركم، فرجع الأحنف.

فلما أصبح غاداهم و قد أعدوا له، فخرج من المدينة رجل من العجم معه كتاب، فقال: إنى رسول فأمنونى، فأمنوه، فإذا هو ابن أخى مرزبان مرو و معه كتابه إلى الأحنف، و إذا فيه: إلى أمير الجيش، إنا نحمد الله الذى بيده الدول، يغير ما شاء من الملك، و يرفع من شاء بعد الذلة، و يضع من شاء بعد الرفعة، إنى دعانى إلى مصالحتك و موادعتك ما كان من إسلام جدى، و ما كان رأى من صاحبكم من الكرامة و المنزلة، فمرحبا بكم فأبشروا، و أنا أدعوكم إلى الصلح على أن أؤدى إليكم خراجنا ستين ألف درهم، و أن تقروا بيدى ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جد أبى حيث قتل الحية التى أكلت الناس و قطعت السبيل من الأرض و القرى بما فيها من الرجال، و لا تأخذوا من أحد من أهل بيتى شيئا من الخراج، و لا تخرجوا المرزبة من أهل بيتى إلى غيرهم، فإن جعلت ذلك لى خرجت إليك، و قد بعثت إليك ابن أخى ماهك ليستوثق منك بما سألت.

فكتب إليه الأحنف:

بسم الله الرحمن الرحيم، من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مروالروذ و من معه من الأساورة و الأعاجم، سلام على من اتبع الهدى و آمن و اتقى، أما بعد، فإن ابن أخيك ماهك قدم علىّ، فنصح لك جهده، و أبلغ عنك، و قد عرضت ذلك على من معى من المسلمين، و أنا و هم فيما عليك سواء، و قد أجبناك إلى ما سألت، و عرضت علىّ أن تؤدى عن كورتك و فلاحيك و الأرضين ستين ألف درهم إلىّ و إلى الوالى بعدى من أمراء المسلمين، إلا ما كان من الأرضين التى ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطعها جد أبيك، و الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، و إن عليك نصرة المسلمين و قتال عدوهم بمن معك من الأساورة إن أحب المسلمون ذلك، و إن لك على ذلك نصر المسلمين على من يقاتل من ورائك من أهل ملتك، جار لك بذلك منى كتاب يكون لك بعدى، و لا خراج عليك و لا على أحد من أهل بيتك من ذوى الأرحام، و إن أنت أسلمت و اتبعت الرسول كان لك ما للمسلمين من العطاء و المنزلة و الرزق و أنت أخوهم، و لك بذلك ذمتى و ذمة أبى و ذمة المسلمين و ذمم آبائهم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۶٢٠

و عن مقاتل بن حيان: أن ابن عامر صالح أهل مرو، و بعث الأحنف فى أربعة آلاف إلى طخارستان، فأقبل حتى نزل موضع قصر الأحنف من مروالروذ، و جمع له أهل طخارستان، و أهل الجوزجان، و الطالقان، و الفارياب، و كانوا ثلاثة زحوف، ثلاثين ألفا، و أتى الأحنف خبرهم، فاستشار الناس فاختلفوا، فمن قائل: نرجع إلى مرو، و قائل:

نرجع إلى أبرشهر، و قائل: نقيم و نستمد، و قائل: نلقاهم فنناجزهم.

قال: فلما أمسى الأحنف خرج يمشى فى العسكر، و يسمع حديث الناس، فمر بأهل خباء و رجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن، و هم يتحدثون و يذكرون العدو، فقال بعضهم:

الرأى للأمير إذا أصبح أن يسير حتى يلقى القوم حيث لقيناهم، فإنه أرعب لهم، فنناجزهم، فقال صاحب الخزيرة أو العجين: إن فعل ذلك فقد أخطأ، أ تأمرونه أن يلقى حد العدو مصحرا فى بلاده، فيلقى جميعا كثيرا بعدد قليل، فإن جالوا جولة اصطلموا؟

و لكن الرأى له أن ينزل بين المرغاب و الجبل، فيجعل المرغاب عن يمينه و الجبل عن يساره فلا يلقاه من عدوه و إن كثروا إلا عدد أصحابه، فرجع الأحنف و قد اعتقد ما قال، فضرب عسكره، و أقام فأرسل إليه أهل مرو يعرضون عليه أن يقاتلوا معه، فقال: إنى أكره أن أستنصر بالمشركين، فأقيموا على ما أعطيناكم، فإن ظفرنا فنحن على ما جعلنا لكم، و إن ظفروا بنا و قاتلوكم فقاتلوا عن أنفسكم.

قال: فوافوا المسلمين صلاة العصر، فعاجلهم المشركون، فناهضوهم و قاتلوهم فصبر الفريقان حتى أمسوا، و الأحنف يتمثل:

أحق من لم يكره المنيةحزور ليست له ذرية و فى غير حديث مقاتل أن الأحنف لقيهم فى المسلمين ليلا فقاتلوهم حتى ذهب عامة الليل، ثم هزمهم الله، فقتلهم المسلمون حتى انتهوا إلى رسكن، و هى على أثنى عشر فرسخا من قصر الأحنف، و كان مرزبان مروالروذ قد تربص بحمل ما كان صالح عليه، لينظر ما يكون من أمرهم، فلما ظفر الأحنف سرح رجلين إلى المرزبان، و أمرهما أن لا يكلماه حتى يقبضاه ففعلا، فعلم أنهما لم يصنعا ذلك به إلا و قد ظفروا، فحمل ما كان عليه.

و بعث الأحنف إلى الجوزجان الأقرع بن حابس فى جريدة خيل إلى بقية كانت بقيت من الزحوف التى هزمهم الأحنف، فقاتلهم الأقرع بخيله، فجال المسلمون جولة، فقتل بعض فرسانهم، ثم أظفر الله المسلمين بهم فهزموهم و قتلوهم، و أولئك القتلى من فرسان

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۲۱

المسلمين عنى أبو كثير النهشلى إذ قال:

سقى مزن السحاب إذا استهلتمصارع فتية بالجوزجان

إلى القصرين من رستاق خوطأقادهم هناك الأقرعان و هى طويلة.

ذكر جرى الصلح بين الأحنف و بين أهل بلخ «۱»

قال المدائنى بإسناده عن إياس بن المهلب: سار الأحنف من مروالروز إلى بلخ، فحاصرهم، فصالحه أهلها على أربعمائة ألف، فرضى بذلك منهم، و استعمل ابن عمه أسيد بن المتشمس على أخذها منهم، و مضى إلى خوارزم، فأقام حتى هجم عليه الشتاء، فقال لأصحابه: ما ترون؟ فقال له حصين: قد قال عمرو بن معدى كرب:

إذا لم تستطع شيئا فدعهو جاوزه إلى ما تستطيع فأمر الأحنف بالرحيل، ثم انصرف إلى بلخ، و قد قبض ابن عمه ما صالحهم عليه، و وافق مهرجانهم و هو يجبيهم، فأهدوا إليه هدايا من آنية الذهب و الفضة و دنانير و دراهم و متاع و دواب، فقال أسيد: هذا لم نصالحكم عليه، قالوا: لا، و لكن هذا شىء نصنعه فى هذا اليوم لمن ولينا، نستعطفه به، قال: ما أدرى ما هذا؟ و إنى لأكره أن أرده، و لعله من حقى، و لكنى أقبضه و أعزله حتى أنظر، و قدم الأحنف، فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا مثل ما قالوا له، فقال الأحنف: آتى به الأمير، فحمله إلى ابن عامر و أخبره عنه، فقال:

اقبضه يا أبجر، فهو لك، قال: لا حاجة لى فيه، فقال ابن عامر: ضمه إليك يا مسمار، قال: فضمه القرشى، و كان مضما.

و ذكر المدائنى بإسناد آخر: أن ابن عامر حين صالح أهل مرو، و صالح الأحنف أهل بلخ بعث خليد بن عبد الله الحنفى إلى هراة و إلى باذغيس، فافتتحهما، ثم كفر العدو بعد ذلك فكان مع قارن.

و قال: و لما رجع الأحنف قال الناس لابن عامر: ما فتح على أحد ما فتح عليك، فارس، و كرمان، و سجستان، و عامة خراسان، فقال: لا جرم، لأجعلن شكرى لله على ذلك أن أخرج معتمرا من موقفى، فأحرم بعمرة من نيسابور، فلما قدم على عثمان، رضى الله عنه، لامه على إحرامه من خراسان، و قال له: ليتك تضبط الميقات الذى يحرم

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۳۱۳، ۳۱۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۲۲

منه الناس. قال: استخلف ابن عامر علی خراسان حین خرج منها سنة اثنتین و ثلاثین قیس بن الهیثم، فجمع قارن جمعا کثیرا من ناحیة الطبسین و أهل باذغیس و هراة و قهستان، فأقبل فی أربعین ألفا، فقال قیس لعبد الله بن حازم: ما تری؟ قال: أری أن تخلی البلاد فإنی أمیرها، و معی عهد من ابن عامر، إذا کانت حرب بخراسان فأنا أمیرها، و أخرج کتابا قد افتعله، فکره قیس مشاغبته، فخلاه و البلاد، و أقبل إلی ابن عامر، فلامه ابن عامر، و قال: ترکت البلاد حربا و أقبلت؟ قال: جاءنی بعهد منک.

قال: و سار ابن خازم إلی قارن فی أربعة آلاف، و أمر الناس فحملوا الودک، فلما قرب من عسکره أمر الناس أن یدرج کل واحد منهم علی زج رمحه ما کان من خرقة أو قطن أو صوف، ثم یوسعوه و دکا من سمن أو زیت أو دهن أو إهالة. و قدم مقدمته ستمائة، ثم أتبعهم، و أمر الناس فأشعلوا النیران فی أطراف الرماح، و جعل بعضهم یقتبس من بعض، و انتهت مقدمته إلی عسکر قارن نصف اللیل، و لهم حرس، فناوشوهم، و هاج المشرکون علی دهش، و کانوا آمنین علی أنفسهم من البیات، و دنا ابن خازم منهم، فرأوا النیران یمنة و یسرة، و تتقدم و تتأخر، و تنخفض و ترتفع، و لا یرون أحدا فهالهم ذلک، ثم غشیهم ابن خازم بالمسلمین، و مقدمته تقاتلهم، فقتل قارن و انهزم العدو، فاتبعوهم یقتلونهم کیف شاءوا، و أصابوا سبیا کثیرا، و أخذ ابن خازم عسکر قارن بما کان فیه، و کتب بالفتح إلی ابن عامر، فرضی و أقره علی خراسان، فلبث علیها حتی انقضی أمر الجمل.

و قد روی أنه لما جمع قارن هذا الجمع للمسلمین، ضاق المسلمون بأمرهم، و استشار قیس، عبد الله بن خازم فی ذلک، فقال له: إنک لا تطیق کثرة من أتانا، فاخرج بنفسک إلی ابن عامر فتخبره بکثرة من جمعوا لنا، و نقیم نحن فی هذه الحصون نطاولهم حتی تقدم و یأتینا مددکم، فخرج قیس، فلما أمعن أظهر ابن خازم عهدا، و قال: قد ولانی ابن عامر علی خراسان، فسار إلی قارن و ظفر به، و کتب بالفتح إلی ابن عامر، فأقره علی خراسان، فلم یزل أهل البصرة یغزون من لم یکن صالح من أهل خراسان، فإذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف للعقبة، فکانوا کذلک حتی کانت الفتنة، فالله أعلم أی ذلک کان.

فتح عموریة و انتقاضها

و عن سعید بن عبد العزیز: أن عثمان رضی الله عنه ائتمّ بأبی بکر و عمر رضی الله

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۲۳

عنهما فی أثرة المجاهدین و تقویتهم بالأموال، و لقد زاد عثمان أهل العطاء مائة مائة، و تابع إغزاءهم أرض الروم، حتی ذلت عموریة و ما دونها من مدائن ضاحیة الروم علی أداء الجزیة، و علی إنزال جماعة من المسلمین مدینة عموریة یقاتلون من خلفها، فلم یزل المسلمون بها حتی بلغ أهل عموریة قتل عثمان رضی الله عنه قبل أن یبلغ ذلک من کان بها من المسلمین، فقتلوهم علی فرشهم، و انتقض ذلک الصلح.

و تمت الفتوح بعثمان رضی الله عنه و رحمه فلم تفتح بعده بلدة إلا صالحا، کان کفر أهلها، أو أرض مما افتتح، عیال علی ما افتتح عمر، لا یقوی علیها الجنود إلا بالفیء الذی أفاء الله عز و جل علی عمر رضی الله عنه.

مقتل عثمان رضی الله عنه

و قتل عثمان رضی الله عنه بالمدینة فی الثامن عشر لذی الحجة سنة خمس و ثلاثین، و قیل فی وسط أیام التشریق، و قیل یوم الترویة، و قیل غیر ذلک، و لا خلاف بینهم فی أنه قتل فی ذی الحجة، و إنما الخلاف فی أی یوم منه قتل، و کانت خلافته إحدی عشرة سنة و أحد عشر شهرا و أیاما، و سنه یوم قتل مختلف فیها أیضا علی ما قیل فی ذلک أنه کان ابن تسعین سنة، و قیل: ابن ثمان و ثمانین سنة، و قیل: ابن ست و ثمانین سنة، و قیل: ابن اثنتین و ثمانین، و قیل، ابن ثمانین.

و قتل رحمه الله و رضی عنه ظلما و تعدیا، بمقدمات فتن نشأت علی عهده، و قد کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أنذر بها، و

أخبر ان الحق مع عثمان رحمه الله و رضی عنه فیها.

و روی مرة البهزی أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: «إنها ستكون فتن كأنها صیاصی بقمر»، فمر علینا رجل متقنع فقال: هذا و أصحابه علی الحق، فذهبت فنظرت إلیه، فإذا هو عثمان بن عفان رضی الله عنه.

و حدیث عائشة رضی الله عنها أنها سمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول له: «إن الله ملبسك قمیصا تریدك أمتی علی خلعه فلا تخلعه»، قال: فلم أدر ما هو حتی رأیت عثمان قد أعطی كل شیء سأله إلا الخلع، فعلمت أنه علی عهد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم الذی سمع منه.

و فی حدیث آخر عنها: أنها رأت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یسار عثمان، و لون عثمان یتغیر،

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۲،ص:۶۲۴

فلما حصر قیل له، أ لا تقاتل؟ قال: لا إن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عهد إلی عهدا فأنا صابر نفسی علیه.

و ضایق الناس عثمان رضی الله عنه و انبسطوا علیه، و آذوه، و هو صابر علی عهد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم راض بقضاء الله فیه، آمر بكف الأسلحة و الأیدی، كل من انبعث لنصره، واق للمؤمنین بنفسه.

حدث عبد الله بن ربیعة أنهم كانوا معه فی الدار، فلما سمع أنهم یریدون قتله قال:

ما أعلم أنه یحل دم المؤمن إلا الكفر بعد الإیمان، و الزنا بعد الإحصان، أو قتل نفس بغیر حق، و أیم الله، ما زنیت فی جاهلیة و لا إسلام، و ما ازددت للإسلام إلا حبا، و لا قتلت نفسا بغیر حق، فعلام تقتلوننی؟ ثم عزم علینا أن نكف أیدینا و أسلحتنا، و قال: إن أعظمكم غناء أكفكم لیده و سلاحه.

و قال أبو هریرة لأهل الدار و هو معهم فیها: أشهد لسمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول:

«تكون بعدی فتن و أمور»، قلنا: فأین الملتجأ منها یا رسول الله؟ قال: «إلی الأمین و حزبه»، و أشار إلی عثمان. فقام الناس فقالوا: قد أمكنتنا البصائر، فإذن لنا فی الجهاد، فقال عثمان: أعزم علی من كانت لی علیه طاعة أن لا یقاتل.

و مما ینسب إلی كعب بن مالك یذكر هذه الحال من عثمان بعد قتله رضی الله عنه و قال مصعب: هی لحسان، و قال ابن أبی شبة: هی للولید بن عقبة:

فكف یدیه ثم أغلق بابهو أیقن أن الله لیس بغافل

و قال لأهل الدار لا تقتلونهمعفا الله عن ذنب امرئ لم یقاتل

فكیف رأیت الله ألقی علیهم العداوة و البغضاء بعد التواصل

و كیف رأیت الخیر أدبر بعدهعن الناس إدبار السحاب الحوامل و قال ابن عمر لبعض من وقع عنده فی عثمان: أما و الله ما تعلم عثمان قتل نفسا بغیر حق، و لا جاء من الكبائر شیئا، و لكن هو هذا المال إن أعطاكموه رضیتم، و إن أعطاه ذوی قرابته سخطتم، إنما تریدون أن تكونوا كفارس و الروم، و لا یتركون أمیرا إلا قتلوه، و فاضت عیناه من الدمع، و قال: اللهم إنا لا نرید ذلك.

و حسب عثمان، رضی الله عنه، من الفضل العظیم، و الحظ الجسیم، إلی ما له فی الإسلام من الآثار الكرام و النفقات التی بیضت وجه النبیّ علیه السلام قوله صلوات الله علیه: أنت ولیی فی الدنیا و الآخرة.

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۲،ص:۶۲۵

و یروی أنه لما قتل سقطت من دمه قطرات علی المصحف فصادفت قول الله تعالی:

فَسَیَكْفِیكَهُمُ اللَّهُ [البقرة: ۱۳۷]، و یقال: إن الذی تولی قتله من الذین دخلوا علیه رجل من أهل مصر یقال له جبلة بن الأیهم، و كذلك كان جمهور الداخلین علیه من أهل مصر. فیروی عن یزید بن أبی حبیب، و هو من جملة المصریین أنه قال: بلغنی أن عامة النفر الذین ساروا إلی عثمان بن عفان جنوا.

و عن أبی قلابة قال: کنت فی فندق بالشام، فسمعت منادیا ینادی: یا ویلة، النار النار، فقمت فإذا أنا برجل مقطوع الیدین من المنکبین، مقطوع الرجلین من الحقوین، أعمی، منکب لوجهه ینادی: یا ویلة، النار النار، فقلت: ما لک؟ قال: کنت فیمن دخل علی عثمان یوم الدار، و کنت فی سرعان الناس، أو من أول الناس وصل إلیه، فلما دنوت منه صاحت امرأته فلطمتها، فنظر إلی عثمان فتغرغرت عیناه بالدموع، و قال: ما لک سلب الله یدک و رجلیک و أعمی بصرک و أدخلک جهنم، قال: فأخذتنی رعدة شدیدة، و لا و الله ما أحدثت شیئا غیر هذا.

فخرجت و رکبت راحلتی، حتی إذا صرت بموضعی هذا لیلا أتانی آت، و إله ما أدری إنسی هو أم جنی، ففعل بی الذی تری، و قد استجاب الله دعوته فی یدی و رجلی و بصری، فو الله إن بقی إلا النار. قال أبو قلابة: فهممت أن أطأ برجلی، ثم قلت: بعدا و سحقا.

و کان مع عثمان رحمه الله و رضی عنه فی الدار جماعة من الصحابة و أبناء الصحابة، یدرءون عنه، و قاتلوا عنه یوم الدار حتی أخرج منهم یومئذ أربعة من شباب قریش محمولین مضرجین بالدم، و هم الحسن بن علی، و عبد الله بن الزبیر، و محمد بن حاطب، و مروان بن الحکم، و لما أخبر علی بقتله قال للذین أخبروه: تبا لکم آخر الدهر، و سمع یومئذ ضجة، فسأل عنها، فقیل: عائشة تلعن قتلة عثمان، و الناس یؤمنون، فقال علی:

اللهم العن قتلة عثمان، اللهم العن قتلة عثمان.

و قال سعید بن زید: لو أن أحدا انقض لما فعل بعثمان لکان حقیقا أن ینقض.

و قال ابن العباس: لو اجتمع الناس علی قتل عثمان لرموا بالحجارة کما رمی قوم لوط.

و قال عبد الله بن سلام: لقد فتح الناس علی أنفسهم بقتل عثمان باب فتنة لا ینغلق عنهم إلی یوم القیامة.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۲۶

و فی ذلک یقول بعضهم:

لعمر أبیک و لا تکذبین لقد ذهب الخیر إلا قلیلا

لقد سفه الناس فی دینهمو خلی ابن عفان شرا طویلا و ذکرت عائشة رضی الله عنها قتله و قتلته فقالت: اقتحم علیه النفر الثلاثة حرمة البلد الحرام و الشهر الحرام و حرمة الخلافة، و لقد قتلوه و إنه لمن أوصلهم للرحم و أتقاهم لربه.

و قال أیمن بن خریم:

ضحوا بعثمان فی الشهر الحرام ضحی فأی ذبح حرام ویلهم ذبحوا

و أی سنة کفر من أولهمو باب شر علی سلطانهم فتحوا

ما ذا أرادوا أضل الله سعیهم بسفک ذاک الدام الذاکی الذی سفحوا و قال علی بن حاتم: سمعت یوم قتل عثمان صوتا یقول:

أبشر یا ابن عفان بروح و ریحان أبشر یا ابن عفان برب غیر غضبان

أبشر یا ابن عفان بغفران و رضوان

قال: فالتفت فلم أر أحدا.

و الأخبار و الأشعار فی هذه المعنی کثیرة، أعجلتنا عن الإکثار منها محاولة الخاتمة، فنسأل الله أن یجعلها جمیلة، و یتقبلها قربة إلیه و إلی رسوله و وسیلة.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۲۷

الخاتمة

و قد انتهی و الحمد لله ما عملنا علیه فی هذا الکتاب، من قصد الاستیفاء لمغازی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و مغازی الثلاثة

الخلفاء، و لم یقع فی خلافة رابعهم فی تقلدها المحتوم بأیام محتوم أمدها، أبی الحسن علی بن أبی طالب، رضی الله عنه و عنهم، من أمثال هذه الفتوح ما نثبته معها، و نجری فی إیراده علی الطریقة التی سلکنا مهیعها، لاستقباله بخلافته، رضی الله عنه، من مکابدة الفتن المارجة، و محاربة الفئة الباغیة، و الفرقة الخارجة، ما أشتهر عند أهل الإسلام، و أغنی العلم به عن الإعلام، و لو کان لاغتنمنا به زیادة الإمتاع، و إفادة القلوب و الأسماع، لأن هؤلاء الخلفاء الأربعة، رضی الله عنهم، هم بعد نبیهم، صلوات الله علیه، خیر الأمة، و الراشدون من الأئمة، و أولی من صرف إلی تقیید أخبارهم و تخلید آثارهم عنان الهمة، و أحق من اعتلق من حبهم، و الإیواء إلی شعبهم، و الثناء علیهم، و الانضواء إلی حزبهم بأوثق أسباب العصمة و أمتن ذرائع الحرمة و الرحمة، و کل صحابة المصطفی أهل منا لذلک، و الموفق من سلک فی حبهم هذه المسالک.

و ما فضل أصحاب النبیّ و قومهلمن رام إحصاء له بمحسب

و لکنه أجر و زخر أعدهو أجعله أمنی و حصنی و مهربی

سأقطع عمری بالصلاة علیهمو أدأب فی حبی لهم کل مدأب

إلیک رسول الله منها وسیلةتناجیک عن قلب بحبک مشرب

یزورک عن شحط الدیار مسلماو یلقاک بالإخلاص لم یتنکب تم کتاب الاکتفاء من مغازی سیدنا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و مغازی الثلاثة الخلفاء، رضی الله عنهم، و حشرنا معهم، و ربنا المحمود لا إله غیره، و لا مرجو إلا برکته و خیره. برسم الفقیر إلی الله تعالی جمال الدین محمد بن ناصر الدین محمد بن السابق الحنفی الحموی، لطف الله تعالی به، علی ید الفقیر لعفو ربه القدیر محمد بن خلیل بن إبراهیم الحنفی، عامله الله بلطفه الخفی، و فرغ من کتابته فی الیوم المبارک نهار الأربعاء السادس من صفر سنة ستین و ثمانمائة، أحسن الله عقبتها، آمین، و صلی الله علی سیدنا محمد و آله و صحبه و سلم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۲۹

فهرس محتویات الجزء الثانی

ذکر بعث رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی الملوک، و کتابه إلیهم یدعوهم إلی الله و إلی الإسلام ۳ ذکر کتاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلی قیصر، و ما کان من خبر دحیة معه ۴ ذکر توجه عبد الله بن حذافة إلی کسری بکتاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و ما کان من خبره معه ۱۰ ذکر إسلام النجاشی، و کتاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلیه مع عمرو بن أمیة الضمری ۱۲ کتاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی المقوقس صاحب الإسکندریة مع حاطب بن أبی بلتعة ۱۳ ذکر کتاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی المنذر بن ساوی العبدی مع العلاء بن الحضرمی بعد انصرافه من الحدیبیة ۱۵ ذکر کتاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلی جیفر و عبد ابنی الجلندی الأزدیین، ملکی عمان، مع عمرو بن العاص ۱۷ کتاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی هوذة بن علی مع سلیط بن عمرو العامری، و ما کان من خبره معه ۱۹ ذکر کتاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلی الحارث بن أبی شمر الغسانی مع شجاع بن وهب ۲۲ ذکر کتاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلی فروة بن عمرو الجذامیّ ثم النفاتی، و ما کان من تبرعه بالإسلام هدایة من الله عز و جل له ۲۶

ذکر حجة الوداع و تسمی أیضا حجة التمام، و حجة البلاغ ۳۰ ذکر مصیبة الأولین و الآخرین من المسلمین بوفاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و علی آله أجمعین ۳۶ بیعة أبی بکر رضی الله عنه و ما کان من تحیز الأنصار إلی سعد بن عبادة فی سقیفة بنی ساعدة و منتهی أمر المهاجرین معهم ۵۰ ذکر غسل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و دفنه، و ما یتصل بذلک من أمره صلوات الله علیه و سلامه و رحمته و برکاته ۵۸ ذکر خلافة أبی بکر الصدیق رضی الله عنه و ما حفظ عن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من الإیماء إلیها و الإشارات الدالة علیها مع ما کان من تقدمه صلی اللّه علیه و سلم إلی الإنذار بالفتن الکائنة بعده و ما صدر عنه من الأقاویل المنذرة

بالردة ۸۵ ذکر بدء الردة بعد وفاة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و ما کان من تأیید الله لخلیفة رسوله علیه السلام فیها ۸۸ وصیة أبی بکر الصدیق رضی الله عنه، خالد بن الولید حین بعثه فی هذا الوجه ۹۷ ذکر مسیر خالد بن الولید رضی الله عنه، إلی بزاخة و غیرها ۱۰۱ ذکر رجوع بنی عامر و غیرهم إلی الإسلام ۱۰۵

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۳۰

قصة مسیلمة الکذاب و ردة أهل الیمامة ۱۱۲

ذکر تقدیم خالد بن الولید الطلائع أمامه من البطاح ۱۱۹

ذکر ردة بنی سلیم ۱۴۴

ردة البحرین ۱۴۸

ذکر ردة أهل دبا و أزد عمان ۱۵۴

ذکر ردة صنعاء ۱۵۶

ذکر ردة کندة و حضرموت ۱۵۹

ذکر بدء الغزو إلی الشام و ما وقع فی نفس أبی بکر الصدیق رضی الله عنه، من ذلک و ما قوی عزمه علیه ۱۶۶

وقعة أجنادین ۲۰۱

وقعة مرج الصفر ۲۰۶

ذکر الخبر عن وفاة أبی بکر الصدیق رضی الله عنه، و ما کان من عهده إلی عمر بن الخطاب، جزاهما الله عن دینه الحق أفضل الجزاء ۲۰۸

استخلاف عمر بن الخطاب ۲۱۲

ذکر الخبر عما صار إلیه أمر دمشق من الفتح و الصلح بعد طول الحصار فی خلافة عمر بن الخطاب، علی نحو ما ذکره من ذلک أصحاب فتوح الشام ۲۱۸

ذکر بیسان ۲۲۳

ذکر طبریة ۲۲۳

حدیث مرج الروم من روایة سیف أیضا ۲۲۴

وقعة فحل حسبما فی کتب فتوح الشام ۲۲۶

فتح حمص فیما حکاه أصحاب فتوح الشام ۲۴۳

حدیث حمص آخر ۲۴۸

فتح قنسرین ۲۵۰

جمع الروم للمسلمین ۲۵۱

وقعة الیرموک علی نحو ما حکاه أصحاب کتب فتوح الشام ۲۵۹

قصة صلح إیلیاء و قدوم عمر رضی الله عنه الشام ۳۰۱

ذکر ما وعدنا به قبل من سیاقة فتح قیساریة حیث ذکرها أصحاب فتوح الشام خلافا لما أوردناه قبل ذلک عن سیف بن عمر، مما لا یوافق هذا مساقا و لا زمانا، حسب ما یوقف علیه فی الموضعین إن شاء الله تعالی ۳۱۸

ذکر فتح مصر ۳۲۲

ذکر فتح أنطابلس ۳۵۴

فتح أطرابلس ۳۵۵

ذکر انتقاض الإسکندریة فى خلافة عثمان رضى الله عنه ۳۵۶

ذکر غزو إفریقیة و فتحها ۳۵۸

ذکر صلح النوبة ۳۶۲

ذکر البحر و الغزو فیه ۳۶۳

غزو معاویة بن أبى سفیان قبرس ۳۶۴

غزوة ذات الصوارى ۳۶۶

ذکر فتح العراق و ما والاه على ما ذکره سیف بن عمر و أورده أبو جعفر محمد بن جریر الطبرى عنه و عن غیره ۳۶۸

أخبار الأیام فى زمان خالد بن الولید رضى الله عنه ۳۷۲

حدیث الثّنى و المذار ۳۷۶

حدیث الولجة و هى مما یلى کسکر من

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۳۱

البر ۳۷۸

حدیث ألّیس، و هى على صلب الفرات ۳۷۹

حدیث أمغیشیا و کیف أفاءها الله بغیر قتال ۳۸۲

حدیث یوم المقر و فم فرات بادقلى مع ما یتصل به من حدیث الحیرة ۳۸۲

حدیث الأنبار و هى ذات العیون ۳۹۰

حدیث عین التمر ۳۹۱

حدیث دومة الجندل و ما بعدها من الأیام بحصید و الخنافس و مصیخ و البشر و الفراض ۳۹۲

حدیث المثنى بعد خالد ۳۹۸

ذکر ما کان من خبر العراق فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و ما کان من أمر المثنى بن حارثة معه، و ذکر أبى عبید بن مسعود، على ما فى ذلک کله من الاختلاف بین رواة الآثار ۴۰۰

حدیث وقعة الجسر ۴۰۷

حدیث البویب و وقعة مهران ۴۱۵

حدیث غارة المثنى على سوقى الخنافس و بغداد ۴۲۶

حدیث السرایا من الأنبار ۴۲۸

ذکر ما هیج حرب القادسیة على ما ذکره سیف عن أشیاخه ۴۲۹

تأمیر عمر، رضى الله عنه، سعد بن أبى وقاص على العراق و ذکر الخبر عن حرب القادسیة ۴۳۱

یوم أرماث ۴۶۵

ذکر الیوم الثانى من أیام القادسیة، و هو یوم أغواث ۴۷۸

حدیث یوم عماس، و هو الیوم الثالث من أیام القادسیة ۴۸۴

خبر الیوم الرابع من أیام القادسیة ۴۸۸

ذکر فتح المدائن و ما نشأ بینه و بین القادسیة من الأمور ۵۰۴

حديث وقعة جلولاء ۵۲۵

حديث يوم تكريت ۵۳۱

ذكر يوم ماسبذان و يوم قرقيسيا ۵۳۳

ذكر الحديث عن تمصير الكوفة و البصرة و تحول سعد بن أبى وقاص عن المدائن إلى الكوفة و ما يندرج مع ذكر البصرة من فتح الأبلة ۵۳۴

ذكر الجزيرة، و ذكر السبب الذى دعا عمر إلى الأمر بقصدها ۵۴۱

ذكر فتح سوق الأهواز و مناذر و نهرتير ۵۴۴

حديث فتح الأهواز و مدينة سرق ۵۴۶

ذكر غزو المسلمين أرض فارس ۵۴۷

ذكر فتح رامهرمز و السوس و تستر و أسر الهرمزان ۵۴۹

ذكر فتح السوس ۵۵۳

فتح جندى‌سابور ۵۵۵

حديث وقعة نهاوند ۵۵۶

ذكر الانسياح فى بلاد فارس، و عمل المسلمين به بإذن عمر رضى الله عنه، فيه بعد منعه إياهم، و ما تبع ذلك من الفتوح فى بقية خلافته و قتال الترك و الديلم و غيرهم ۵۷۲

ذكر الخبر عن أصبهان ۵۷۴

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۳۲

ذكر فتح همذان ثانية و قتال الديلم ۵۷۶

فتح الرى ۵۷۸

ذكر فتح قومس و جرجان ۵۷۹

ذكر فتح طبرستان ۵۸۰

فتح أذربيجان ۵۸۰

حديث فتح الباب ۵۸۱

ذكر مسير يزدجرد إلى خراسان و دخول الأحنف إليها غازيا ۵۸۵

فتح توج ۵۹۰

حديث اصطخر ۵۹۱

حديث فسا و دارابجرد ۵۹۳

حديث فتح كرمان ۵۹۵

فتح سجستان ۵۹۵

فتح مكران ۵۹۶

حديث بيروذ ۵۹۷

غزوة سلمة بين قيس الأشجعى الأكراد ۵۹۹

ذكر الخبر عن إحرام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه إلى حين مقتله ۶۰۱ ذكر خلافة ذى النورين أبى عمرو عثمان بن عفان أمير

المؤمنین، رضی الله عنه و مبایعة أهل الشوری له بعد وفاة عمر، رضی الله عنه ۶۰۸
ذکر غزوة الولید بن عقبة أذربیجان و أرمینة لمنع أهلها ما صالحوا علیه أهل الإسلام أیام عمر بن الخطاب ۶۱۰
ذکر انتقاض فارس، و مسیر عبد الله بن عامر إلیها و فتحه إیاها ۶۱۲
ذکر انتقاض خراسان، و خروج سعید بن العاص و عبد الله بن عامر إلیها و ذکر طبرستان و استیلاء سعید علیها ۶۱۲
ذکر مقتل یزدجرد ۶۱۴
ذکر فتح أبرشهر، و طوس، و بیورد، و نسا، و سرخس، و صلح مرو ۶۱۶
ذکر فتح مروالروذ و الطالقان و الفاریاب و الجوزجان و طخارستان ۶۱۸
ذکر جری الصلح بین الأحنف و بین أهل بلخ ۶۲۱
فتح عموریة و انتقاضها ۶۲۲
مقتل عثمان رضی الله عنه ۶۲۳
الخاتمة ۶۲۷
الفهرس ۶۲۸

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج/۱ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابِذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.
مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...
- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.
- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى " القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع " ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّـِى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنـَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مركز القائمیه اصفهان للتحریات الکمبیوتریة
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹